
Bibliotheca Alexandrina
0113597



للمحدث الشهير والفقيه النبيل

على بن سلطان محمد القارى رحمه البارى

المتوفى ١٠١٤هـ

الجزء الأول

الناشر
دار الكتاب الإسلامي
القاهرة

(فهرس البضاعة المزجاة لمن يطالع المرقاة فى شرح المشكاة)

(فهرس الحواشي)

بسم الله الرحمن الرحيم

الملا على القارى

اسمه على واسم ابيه سلطان محمد(١) قال الشيخ ابواسحاق ابراهيم بن عبدالله الساقزى الرومى فى مقدمة فيض الأرحم و فتح الاكرم فى شرح الحزب الاعظم و الورد الافخم لعلى القارى ما نصه :

"على بن سلطان محمد القارى" و هو من المجاورين هجر من بلدة هراة فى العجم و دأب العجم ان يسموا اولادهم اسماً زوجاً مثل فاضل محمد و صادق محمد و اسم ابيه سلطان محمد من

---

(١) و قد اكتفى المؤرخ عبد الملك العصامى الشافعى المتوفى ١١١١ھ فى "سمط النجوم العوالى و التوالى" ج ٤ ص ٣٩٤ بذكر اسم ابيه على لفظ "سلطان" فقط و اكتفى عليه العلامة الحافظ محب الدين ابو الفيض محمد مرتضى البلگرامى ثم الزبيدى الحنفى المتوفى ١٢٠٥ھ فى مقدمة كتابه تاج العروس من جواهر القاموس (ج ١ ص ٣) و الشيخ محمد عبد الحى اللكهنوى فى كتابه طرب الاماثل بتراجم الافاضل (ص ٢٢٥) جريا على دأب العرب فى تسميتهم الاسماء المفردة و لكن تعدى من ادخل لفظ ابن بين سلطان ومحمد حيث ذكر "سلطان بن محمد".

و الصحيح ما ذكرنا و كذا رأينا اسم ابيه فى المصحف بخطه عند العالم الكبير الشيخ محمد هاشم جان المجددى بٹنڈو سائين داد بالسند و جميع مؤلفاته المطبوعة فى الآستانة و الهند و مصر.

هذا القبيل على ما سمع و اما كونه من الملوك فلم يسمع (٢)"

و كنية على القارى "ابو الحسن" حسبما ذكره الحافظ السيد عبد الحى الكتانى الفاسى المتوفى سنة ١٣٨١ھ فى مقدمة كتابه "التراتيب الادارية و العمالات و الصناعات و المتاجر و الحالة العلمية التى كانت على عهد تاسيس المدينة المنورة" حيث يقول :

"و شرح مسند ابى‌حنيفة رواية الحصفكى لابى الحسن على القارى المعروف بابن سلطان المكى (٣)"

و لقب على القارئ "نور الدين"

ولد الملا على القارى بهراة (٤) (و لم اقف على سنة ميلاده الى الآن) و نشأ بها و حفظ القرآن و علم التجويد من ابن الخطيب فى جامع هراة الشيخ العالم المقرئ معين الدين بن حافظ زين الدين الهروى كما صرح به فى رسالته سم القوارض فى ذم الروافض ما نصه حرفياً :

"استاذى المرحوم فى علم القراءة مولانا معين الدين بن حافظ زين الدين من اهل رمانكاه (٥) (كازركاه) .

---

(٢) و قال مؤلفه فى آخره !

"تم تاليف شرح هذا الكتاب بعون الملك الوهاب فى سادس شهر رجب من سنة اربع و ثلاثين و مائة و الف و قد وقع الشروع فى تسويده سادس شهر رمضان من سنة ثلاث و ثلاثين و مائة و الف الحمد لله اولاً و آخراً على توفيق الاتمام و على اشرف خلقه ظاهراً و باطناً افضل الصلوات واتم السلام.

الحمد لله الموفق لاتمام كتابه هذا الشرح على يدى الفقير اليه عز شانه محمد الحافظ العشاق مولداً والحنفى مذهباً فى يوم الاثنين ببلدة قسطنطينة من سنة سبعين و مائة و الف فى شهر ربيع الآخر و صلى وسلم على سيدنا محمد و آله آمين".

نسخة هذا الشرح محفوظة فى مكتبة صاحب العلم وهب الله شاه فى قرية پير جهنڈو بالسند و عنها نقلنا .

(٣) التراتيب الادارية (ج ١ ص ١٧) الرباط ١٣٤٦ھ .

(٤) هى مدينة عظيمة مشهورة من امهات مدن خراسان التى خرج منها العلماء الكبار من المؤرخين و اللغويين و الفقهاء و النحاة راجع معجم البلدان لياقوت.

(٥) راجع سم القوارض فى ذم الروافض منها نسخة مخطوطة بخط نسخ واضح حديث مع مجموعة تتضمن اثنتين و خمسين رسائل للمولى على القارى فى مجلد واحد ، فى مكتبة الكلية الشرقية بپشاور اطلعنى عليها الشيخ البحاثة عبد القدوس القاسمى .

بعد اتمام البضاعة المزجاة سافرت باكستان الغربية سفراً علمياً و لما بلغت بپشاور و رأيت=

و قرأ الكتب الدراسية و اخذ العلوم المتعارفة عن شيوخ عصره بهراة و بعد تغلب السلطان اسماعيل بن حيدر الصفوى الموسوى اول ملوك الصفوية الرافضة على هراة و قتله المسلمين ظلماً و نهبه اياها و اشاعته شعائر الرافضة فيها ضاقت عليهم ارضها بما رحبت فخرج المسلمون منها و هاجر المولى على القارى منها الى حرم الله و طاب به المقام بمكة المكرمة و استوطنها و حمد الله على اقامته بها فى رسالته سم القوارض حيث قال :

"و قد ورد لا تسبوا الشيطان و تعوذوا بالله من شره و فيه تنبيه على الترقى من التفرقة المعبر عنها الاثنية الى مقام التوحيد الصرف و الجمعية و الحمد لله على ما اعطانى من التوفيق و القدرة على الهجر من دار البدعة الى خير ديار السنة التى هى مهبط الوحى و ظهور النبوة و اثبتنى على الاقامة من غير حول منى و لا قوة (٦)"

و قرأ القرآن العظيم بمكة المكرمة على القراء الاجلاء و اتقن الحفظ ابدع اتقان و حفظ الشاطبية و قرأ السبعة من طريقها و اتقن القرآت بوجوهها و تلا و رتل القرآن العظيم احسن ترتيل حتى اشتهر بالقارى و ذكر سنده للقرآت فى آخر كتابه "المنح الفكرية على متن الجزرية" و كذا فى شرحه على الشاطبية حيث قال :

"اما سندى فى تحقيق القرآت و تدقيق الروايات فعلى المشائخ العظام و القراء الكرام من اجلهم فى هذا الفن الشريف و اكملهم شيخ القراء بمكة الغراء وحيد عصره و فريد دهره العالم العامل الصالح الكامل الشيخ سراج الدين عمر اليمنى الشواف بلغه الله سبحانه المقام العالى الواف وجزاه عنى وعن سائر المسلمين الجزاء الكاف وقد قرأ على جماعة قرؤا على الامام العلامة محمد بن القطان خطيب المدينة المنورة و امامها و هو قرأ على الشيخ زين الدين عبد الغنى الهيثمى المصرى و هو على خاتمة القراء و المحدثين الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن محمد الجزرى قدس سره السرى (٧)"

= مكتبة الذاخرة الكلية الشرقية بيشاور و زرت الشيخ العالم البحاثة عبدالقدوس القاسمى استاذ الكلية الشرقية بها جرى بينى و بينه المحادثة بالبضاعة المزجاة فقال الشيخ البحاثة القاسمى ان فى مكتبة الكلية الشرقية مجموعة من اثنتين وخمسين رسائل للمولى على القارى هل طالعته قلت لا قال ان المولى على القارى ذكر فيها بعض شيوخه و هى عندى الآن فاشتاقت نفسى اليها و قد تفضل الاستاذ بها على فاشكره شكراً جزيلا و جزاه الله عنى خيراً .

(٦) راجع سم القوارض الورقة ٣٠٠ ضمن مجموعة رسائله المخطوطة فى مكتبة الكلية الشرقية بيشاور.

(٧) راجع المنح الفكرية ص ٧٣ ، ٧٤ طبع مصر ١٣٦٧هـ و شرح الشاطبية طبع مجتبائى بدهلى الهند ١٣٤٨هـ .

و اشتغل بسماع الحديث بمكة فاخذ عن شيوخها منهم :
مفسر مكة و فقيهها فى عصره الشيخ زين الدين عطية بن على بن حسن السلمى المكى المتوفى ٩٨٣هـ فقد قال فى مقدمة كتابه "مرقاة المفاتيح" ما نصه :

"قرأت هذا الكتاب المعظم (المشكاة) على مشائخ الحرم المحترم نفعنا الله بهم و ببركات علومهم منهم فريد عصره و وحيد دهره مولانا العلامة الشيخ عطية السلمى تلميذ شيخ الاسلام و مرشد الانام مولانا الشيخ ابى الحسن البكرى (٨)"

و المولى على القارى ينقل عنه و عن تفسيره فى كتابه "المرقاة" الفوائد و يصفه تارة "بشيخنا (٩)" و استاذنا (١٠)" و مولانا (١١)" و تارة "بعمدة المفسرين (١٢)" و قد وصفه فى

---

(٨) قال على باشا مبارك المتوفى ١٨٩٣م فى ترجمة البكرى فى كتابه الخطط الجديدة لمصر القاهرة (ج ٣ ص ١٣٧) .

"السيد محمد ابو الحسن (بن جلال الدين محمد ابى البقاء بن عبد الرحمن بن احمد) البكرى الصديقى الشافعى المفسر تلميذ شيخ الاسلام زكريا كان عالما فى جميع الفنون ملازما للتقوى فرغ من تاليف تفسيره فى آخر جمادى الثانية سنة ٩٢٦هـ و هو اذ ذاك ابن ثمان و عشرين سنة و شهر و ثمانية عشر يوماً لان مولده سنة ٨٩٨هـ ملخصاً من آخر نسخة من ذلك التفسير بخط والد المترجم منقولة من خط ولده موجودة الآن بالكتبخانة الخديوية المصرية . . . . و ذكر ولده ايض الوجه فى رسالته لسلطان المغرب السابق ذكرها ان وفاة والده المذكور كانت سنة ٩٥٢ عن اربع و خمسين سنة و انه كان يقيم سنة بمصر و سنة بمكة المكرمة"

و قال تلميذه الشيخ الحافظ نجم الدين محمد بن احمد الغيطى المصرى الشافعى المتوفى ٩٨١، ٩٨٢هـ فى "ثبته" ما نصه :

"شيخنا مفرد العصر و نادرة الدهر و اعجوبة الزمان و وحيد الاوان ابى الحسن البكرى الصديقى الشافعى نفع الله ببركاته و رضى الله عنه اخذت عنه التفسير و الحديث و الفقه والتصوف له مؤلفات كثيرة فى التفسير و الفقه و غيرهما وله رسائل الاحزاب فى التصوف توفى سنة اثنين و خمسين و تسعمائة"

و نسخة هذا الثبت محفوظة فى مكتبة صاحب العلم، وهب الله شاه فى قرية پير جهنڈو بالسند و ايضاً راجع مرقاة المفاتيح (ج ٢ ص ٥٧٥ و ج ٤ ص ٦٩٨و٧٠٢) .

(٩، ١٠، ١١، ١٢) راجع مرقاة المفاتيح (ج ١ ص ٤٦٣ و ج ٢ ص ٥٢ و ج ٣ ص ١١٦ و ج ٥ ص ٦٦١ طبع مصر الغزى ، الكواكب السائرة ج ٢ ص ١٩٤-١٩٧ ، العيدروسى ، النور السافر ص ٤٢٧-٤٢٩ و ابن العماد ، شذرات الذهب ج ٨ ص ٢٩٢ و كتابنا فوائد جامعه بر عجاله نافعة ص ٣٤٩-٣٥٢ .

رسالته سم القوارض "بسيدى فى علم التفسير الشيخ عطية المكى السلمى"

و منهم مسند مكة العلامة الشيخ زكريا الذى قال عنه المولى على القارى فى مقدمة كتابه "المرقاة" ما نصه :

"ومنهم (اى من المشائخ الذين قرأت عليهم) زبدة الفضلاء و عمدة العلماء مولانا السيد زكريا (١٣) تلميذ العالم الربانى مولانا اسماعيل (١٤) الشروانى من اصحاب قطب العارفين

(١٣) قال عنه الشيخ عبد الحق الدهلوى فى كتابه زاد المتقين فى سلوك طريق اليقين بالفارسية :

"السيد زكريا كان ذومجد و شرف يتبرك به و نادرة عصره، كبير السن، عذب المشرب، منعزلاً عن التكلف و كان موطنه الهند نشأ و ترعرع فى بلاد اليمن و عند ما وصل الى مكة المكرمة استوطنها و عكف بها على درس الحديث و الافادة و اكثر اهل العجم يأخذون عنه و يتبركون به وكان الشيخ مع كبر سنه و ضعف بنيانه يجيء من داره التى تقع بجبل ابى قبيس الى بيت الله الحرام و يصلى و يأكل من كسب يديه و ينفرد بسائر اعماله الشخصية و اعمال عياله متشددا و مصرا عليها قبره فى الجنة المعلاة يزار ويتبرك به رحمة الله عليه وعلى جميع الصالحين" الورقة ١٢٣ معربا عن الفارسية وملخصاً

(١٤) قال نجم الدين محمد بن محمد الغزى المتوفى ١٠٦١هـ فى كتابه الكواكب السائرة باعيان ائمة العاشرة (ج ٢ ص ١٢٣ بيروت ١٩٤٥م) ما نصه :

الشيخ الامام العلامة المحقق المدقق الصالح الزاهد، العارف بالله تعالى المولى اسماعيل (بن عبد الله) الشروانى الحنفى .

قرأ على علماء عصره منهم العلامة جلال الدين ثم خدم الشيخ العارف بالله تعالى خواجه عبيد الله السمرقندى و تربى عنده و صار من كمل اصحابه و لما مات خواجه عبيد الله ارتحل المولى المذكور الى مكة المشرفة و توطنها و دخل الروم فى ولاية سلطان ابى يزيد خان ثم عاد الى مكة و اقام بها الى ان مات و ذكره شيخ الاسلام الجد فيمن صحبهم من اولياء الله تعالى بمكة من المجاورين بها و سمعت شيخنا يحكى عن والده انه كان يثنى عليه لانه قدم دمشق و نزل بالنورية و تردد اليه جمع من الافاضل و قرأ عليه فى تفسير البيضاوى ثم انفرد بجامع التكية السليمية قال ابن طولون !

و اجتمعت به ثمة و اخبرنى انه اخذ الحديث من الامير جمال الدين الخراسانى المحدث قال ورأيته ينتقص الامام البغوى المفسر للقرآن فنفرت النفس منه بسبب ذلك فانه احد ائمة السنة انتهى .

قلت و لعل بغضه منه بسبب ان الاعاجم يميلون الى المباحث الدقيقة المعلقة بالعقليات دون المأثورات و تفسير البغوى غالبه خال من مثل ذلك لا بسبب ما توهمه ابن طولون من ميل الى بدعة ونحوها فقد كفاك تزكية الجد له . =

غوث السالكين خواجه عبيد الله (٥ ١) السمرقندى احد اتباع خواجه بهاء الدين

= و ذكر صاحب الشقائق النعمانية قال :

و كان رجلا معمراً و قوراً مهيباً منقطعاً عن الناس مشتغلا بنفسه طارحا للتكلف العادى و كان حسن المعاشرة للناس يستوى عنده صغيرهم و كبيرهم غنيهم و فقيرهم و كان له فضل عظيم فى العلوم الظاهرة و الف حاشية على تفسير البيضاوى و كان يدرس بمكة فيه و فى البخارى و توفى بها فى عشر ذى الحجة سنة اثنتين و اربعين و تسعمائة .

و قال ابن طولون :

فى عشر ذى القعدة عن نحو اربع و ثمانين سنة و صلى عليه غائبة بجامع دمشق يوم الجمعة مستهل ربيع الاول سنة ثلاث و اربعين و تسعمائة رحمه الله تعالى .

راجع ترجمة طاشكبرى زاده : الشقائق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية ج ١ ص ٣٩٧ ، مطبوع على هامش وفيات الاعيان ، طبعة مصر ١٣١٠ه و مرقاة المفاتيح ج ٣ ص ٤٤ طبع مصر و ابن العماد : شذرات الذهب ج ٨ ص ٢٤٧ .

(٥ ١) قال ابو الخير احمد المعروف بطاش كبرى زاده المتوفى ٩٦٨ه فى الشقائق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية ما نصه :

"الشيخ العارف بالله خواجه عبيد الله السمرقندى ولد رحمه الله تعالى فى بلدة تاشقند من ولاية شاش حكى عن بعض احفاده ، و هو خواجه محمد قاسم بن خواجه محمد عبد الهادى بن خواجه محمد عبد الله بن خواجه عبيدالله انه ينتهى نسبه الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه".

و قال ايضاً نقل عن جدى انه قال ما غفلت عن الله سبحانه و تعالى الا مرة و هو انى كنت فى سن عشر و كنت اذهب الى المعلم بتاشقند و الرحل فى تلك البلاد كثير فوقع نعلى فى الوحل و اشتغلت باخراجه و وقعت الغفلة منى فى ذلك الوقت و قال ايضاً اخذ جدى طريقة التصوف عن المولى يعقوب الجرخى و هو لقنه الذكر قال و نقل عن جدى انه قال غلب على خاطرى داعية تحصيل العلم و كنت فى سن العشرين فذهبت من تاشقند الى خدمة المولى نظام الدين خامرس و هو مدرس فى ذلك الزمان بمدرسة الغ بيك بسمرقند و كنت سمعت حاله و جذبته و استغراقه فوجدته فى المدرسة يدرس للطلبة فجلست فى زاوية من المدرسة صامتا و ساكتا و لما فرغ من الدرس نظر الى و قال لاى شىء اخترت الصمت وقبل ان اتكلم اجاب هو وقال الصمت نوعان صمت المتبرقين من عالم البشرية و انه مبارك لصاحبه و صمت الساكتين فيه و انه مكر لصاحبه و كان خواجه عبيد الله يقول علمت جلالة قدر المولى المذكور من كلامه هذا .

و كانت طريقة الشيخ خواجه عبيد الله الاعتقاد على مذهب اهل السنة و الجماعة و الانقياد لاحكام الشريعة و الاتباع لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم و دوام العبودية وهو ملاحظة جناب =

النقشبندى (١٦) روّح الله روحها و رزقنا فتوحها"

= الحق من غير شعور بما سواه ،

و قال التوحيد تخليص القلب عن الشعور بما سواه و قال الوحدة خلاص القلب عن العلم بوجود ما سوى الله ، و قال الاتحاد الاستغراق فى وجود الحق سبحانه و تعالى وقال السعادة خلاص السالك عن نفسه فى مشاهدة الله تعالى و قال الشقاوة الالتفات الى النفس و الانقطاع عن الحق ، و قال ، الوصل نسيان العبد نفسه فى شهود نور الحق ، و قال الفصل قطع السر عما سوى الله تعالى، و قال السكر غلبة حال على القلب لا يقدر معه على ستر ما وجب عليه ستر ،

توفى قدس سره فى سنة خمس و تسعين و ثمانمائة و قبره الشريف بظاهر سمرقند انتهى ملخصاً من الشقائق النعمانية ج ١ ص ٢٨٧-٢٩٣ .

(١٦) قال طاش كبرى زاده فى كتابه الشقائق النعمانية :

و اعلم ان الطريقة النقشبندية تنتهى الى الشيخ خواجه بهاء الدين النقشبندى و لنذكر بعضاً من مناقبه . . . . . . فنقول :

اصل هذه الطريقة خواجه بهاء الدين النقشبندى قدس سره العزيز و اسمه الشريف محمد بن محمد بن محمد البخارى كان نسبته فى الطريق الى السيد امير كلال و تلقن منه الذكر و تربى ايضاً من روحانية الشيخ عبد الخالق الغجدوانى سئل هو عن طريقة و قيل انها مكتسبة او موروثة فقال شرفت بمضمون جذبة من جذبات الحق توازى عمل الثقلين .

و سئل هو ايضاً عن معنى طريقته فقال الخلوة فى الكثرة و توجه الباطن الى الحق والظاهر الى الخلق قال و اليه يشير قول الله عزوجل : "رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله"

و كان لا يذكر علانية و يعتذر فى ذلك ويقول امرنى عبد الخالق الغجدوانى فى الواقعة بالعمل بالعزيمة فلهذا تركت الذكر فى العلانية و لم يكن له غلام و لا جارية فقيل له فى ذلك فقال العبد لا يليق ان يكون سيداً .

و كان يوصى باتهام النفس و معرفة كيدها و مكرها و كان يقول لا يصل احد الى هذه الطريقة الا بمعرفة مكايد النفس و قال تعالى : "يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله" اشارة الى ان المؤمن ينبغى ان ينفى وجوده الطبيعى فى كل طرفة عين و يثبت معبوده الحقيقى و كان يقول نفى الوجود اقرب الطرق عندى و لكن لا يحصل الا بترك الاختيار و رؤية قصور الاعمال و كان يقول التعلق بما سوى الله تعالى حجاب عظيم للسالك ، و كان يقول طريقتنا الصحبة و الخير فى الجمعية بشرط نفى الاصحاب بعضهم بعضاً و فى الخلوة شهرة و الشهرة آفة و قال ايضاً طريقتنا هى العروة الوثقى لانها مبنية على المتابعة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و آثار الصحابة رضى الله تعالى عنهم و رضوا عنه و آدابهم وقال لا بد للطالب ان يعرف احواله اولا فاذ اصحب مع واحد من اهل الطريقة فان وجد=

و يصفه القاري فى كتابه المرقاة "بشيخنا (١٧) السيد"

و منهم الامام العالم الكبير مسند الحرم الشيخ على بن حسام الدين المتقى الحنفى المتوفى ٩٧٥ھ ذكره المولى على القارى فى بقدمة كتابه "مرقاة المفاتيح" "بالعالم العامل والفاضل الكامل العارف بالله الولى مولانا على افاض الله علينا من مدده العلى" و يحكى عنه فى شرحه حكايات عجيبة عن بعض عاداته الشريفة (١٨).

و منهم خاتمة المحققين و مسند الحرم و حافظها العلامة الشيخ ابو العباس شهاب الدين احمد ابن محمد المعروف بابن حجر (١٩) الهيتمى السعدى الانصارى الشافعى المكى المتوفى ٩٧٣ھ ذكره فى

= فى حاله زيادة يلازمه بحكم قوله عليه السلام اصبت فالزم.

مات قدس سره ليلة الاثنين الثالثة من شهر ربيع الاول سنة احدى و تسعين و سبعمائة، الشقائق النعمانية ج ١ ص ٢٨٤-٢٨٦.

(١٧) راجع مرقاة المفاتيح ج ٣ ص ٢١١ طبع مصر.

(١٨) راجع مرقاة المفاتيح ج ٢ ص ٤٧٠ حيث قال فى شرح حديث "اذكر هاذم اللذات"

"كان شيخنا العارف بالله تعالى رحمه الولى مولانا نور الدين على المتقى يعمل كيساً مكتوباً عليه لفظ الموت يعلق فى رقبة المريد يستفيد منه انه قريب غير بعيد فيقصر امله و يكثر عمله"

وقد افرد الائمة فى ترجمته تاليف منهم العلامة الشيخ عبد القادر بن احمد الفاكهى المتوفى ٩٨٩ھ وسماه القول النقى فى مناقب المتقى كما نقل عنه الشيخ عبد القادر العيدروسى المتوفى ١٠٣٨ھ فى ترجمته من كتابه النور السافر عن اخبار القرن العاشر ومنهم الشيخ عبد الوهاب المتوفى ١٠٠١ھ و سماه اتحاف التقى فى فضل الشيخ على المتقى قال المؤرخ صديق حسن القنوجى المتوفى ١٣٠٧ھ فى كتابه ابجد العلوم:

"ابان فيه عن فضائله الكثيرة و هو حقيق بذلك"

و منهم المحدث الفقيه الشيخ عبد الحق بن سيف الدين البخارى الدهلوى قال القنوجى "ذكر له الشيخ عبد الحق الدهلوى ترجمة حافلة فى المقصد الاول من كتابه زاد المتقين فى سلوك طريق اليقين و اثنى عليه كثيراً و حرر احواله الشريفة فى ابواب خمسة تام"

راجع ترجمته، الشعرانى، لواقح الانوار فى طبقات الاخيار ج ١ ص ١٨٥ مصر ١٣٧٣ھ و الغزى، الكواكب السائرة فى اعيان المئة العاشرة ج ٢ ص ٢٢١-٢٢٢، بيروت ١٩٥٨م، و غلام على آزاد، سبحة المرجان فى آثار هندوستان ص ٤٣، بمبئى بالهند ١٣٠٣ھ و عبد الحى الحسنى، نزهة الخواطر ج ٤ ص ٢٣٤-٢٤٤ حيدرآباد الدكن ١٣٧٤ھ.

(١٩) قال المؤرخ محي الدين عبد القادر العيدروسى فى ترجمة العلامة ابن حجر المكى من كتابه النور السافر عن اخبار القرن العاشر ما لفظه:

ولد فى رجب سنة تسع و تسعمائة، و مات ابوه و هو صغير فكفله الامامان الكاملان علماً =

كتابه "مرقاة المفاتيح لمشكاة المصابيح" "بشيخنا العالم العلامة و البحر الفهامة شيخ الاسلام و مفتى الانام صاحب التصانيف الكثيرة و التاليف الشهيرة مولانا و سيدنا و سندنا الشيخ شهاب الدين بن حجر المكى (٢٠)" و لكن المولى على القارى يتعقب عليه و يناقشه كثيراً فى شرحه المذكور آنفاً .

و منهم العلامة المحدث و مسند الحجاز الشيخ عبد الله السندى (٢١) المتوفى ٩٩٦ﻫ وقد ذكره على القارى فى كتابه "فتح المغطا شرح الموطا" للامام محمد "باستاذى" حيث قال فى مقدمته :

"وقد وجدت بخط استاذى المرحوم الشيخ عبدالله السندى فى ظهر هذا الكتاب انه مؤطا مالك بن انس برواية محمد بن الحسن و هو مشكل اذ يروى الامام محمد فيه عن غير الامام

= و عملا العارف بالله شمس الدين بن ابى الحمائل وشمس الدين الشناوى ثم ان الشمس الشناوى نقله من بلده محلة ابى الهيثم الى مقام القطب الشريف سيدى احمد البدوى نفع الله به فقرأ هناك على عالمين به فى مبادى العلوم ثم نقله فى سنة اربع و عشرين و هو فى سن نحو اربعة عشر سنة الى الجامع الازهر مسلماً له الى رجل صالح من تلامذة شيخه الشناوى و ابن ابى الحمائل فحفظه حفظاً بليغاً و جمعه بعلماء مصر فى صغر سنه فأخذ عنهم وكان قد حفظ القرآن العظيم فى صغره و من مشائخه الذين اخذ عنهم شيخ الاسلام القاضى زكريا الشافعى و الشيخ الامام المعمر الزينى عبد الحق السنباطى و الشهاب الرملى و الامام ابو الحسن البكرى وغيرهم و اذن له بعضهم بالإفتاء والتدريس و عمره دون العشرين و برع فى علوم كثيرة من التفسير و الحديث و علم الكلام و اصول الفقه و فروعه و غيرها و من محفوظاته فى الفقه المنهاج للنووى و مقروآته كثيرة لا يمكن تعدادها و اما اجازات المشائخ له كثيرة جداً و قد استوعبها رحمه الله فى معجم مشائخه ، و قدم الى مكة فى آخر سنة ثلاث و ثلاثين فحج و جاور بها فى السنة التى تليها ، ثم عاد الى مصر ، ثم حج بعياله فى آخر سنة سبع و ثلاثين ثم حج سنة اربعين و جاور من ذلك الوقت بمكة المشرفة و اقام بها يؤلف و يفتى ، و يدرس الى ان توفى فكانت مدة اقامته بها ثلاثا و ثلاثين سنة مختصراً .

راجع ترجمته : الغزى ، الكواكب السائرة ج ٣ ص ١١١ الخفاجى : ريحانة الالبا ص ١١١ ، ٢١٢ وابن العماد شذرات الذهب ج ٨ ص ٣٧٠-٣٧٢ و ايضاً راجع كتابنا "فوائد جامعه بر عجاله نافعه" و فيه فوائد حسنة ص ٣٣٣ .

(٢٠) راجع مرقاة المفاتيح ج ١ ص ٢٥ طبع مصر .

(٢١) قال الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوى المتوفى ١٠٥٢ فى ترجمته من كتابه اخبار الاخيار فى اسرار الابرار بالفارسية (المطبعة المجتبائية ١٣٣٢ﻫ ص ٢٨٠) .

الشيخ عبد الله والشيخ رحمة الله، رحمة الله عليهما كانا قريبين وهما من السند ينتميان الى المدينة المنورة وكانا من الفقهاء الصوفية وقد انحدرا من المدينة المطهرة الى الديار الهندية و افادا =

= طلبة الحديث النبوى الشريف حتى دعاها الطلبة و نعتوها بالشيخين و كان الخواجة عبد الشهيد عبيد اللهى رحمة الله عليه يقول عنها انها يذكراننا بالشيخين ابى بكر الصديق و عمر الفاروق رضى الله عنها و كانا آيتين فى العلم و العمل الصالح و التقوى لا يدانيها احد و كان الطلبة يعتقدون انه لم يأت احد مثلها الى الهند من الحرمين الشريفين و كانا من رفقاء على المتقى و خلفائه و اتفت حولة الحكام الذين كانوا يمثلون السلطان العثمانى فى المكة المكرمة و كان الشيخ على المتقى يستميلهم لاجراء منح لبعض مريديه و خدامه الفقراء الا انه لم يقبل هذه المنح للشيخين و السيد عبد الوهاب لان هذه المنح لم تخل من ريبة والد الشيخ رحمة الله القاضى عبدالله خرج من السند مدفوعا ببعض الحوادث ميمما شطر المدينة المنورة مع الاهل و العيال و اقام فى طريقه بمدينة احمد آباد فترة من الزمن حيث التقى بشيخ على المتقى و لازمه و عند ما وصل الى الحجاز استوطن المدينة المنورة و لقى ربه بعد برهة و جيزة و الشيخ عبد الله هذا كان رفيقا و مصاحبا للقاضى عبد الله و نشأ و ترعرع فى المدينة المنورة و اشتغل بها بالافادة و العبادة ثم خرج منها مدفوعا ببعض الحوادث فى سنة سبع و سبعين و تسع مائة من الهجرة الى هذه الديار و بعد عودته اقام مدة بمدينة احمد آباد حيث كانت موطن آبائه و بعد مضى سنين اصاب الشيخ عبد الله والشيخ رحمة الله مرض عضال الذى افقدها السيطرة على تحريك اعضاء الجسم فخرجا من احمد آباد الى الحجاز و لدى وصولها الى مكة المكرمة وافتها المنية رحمهم الله عليهم و على جميع عباد الله الصالحين.

و ذكره الشيخ عبد الحق الدهلوى فى ترجمته من كتابه زاد المتقين فى سلوك طريق اليقين ما نصه حرفياً بالفارسية:

عبد الله سندى از اصحاب على متقى ست و شاگرد ابن حجر مکى در علم عربيت استفاده مى کرد و اكثر احوال مى گفت اعربوا لنا هذا الكلام دانشمند بود و مرد خدا از هيچ کس طمع و با هيچ کس کارے نداشت براۓ خدا درس و افاده نمودے وتصحيح کتب حديث کردے ، نسخه مشکاة بدست خود بغايت تصحيح نموده و تحشيه کرده و ورق ورق ساخته تا بسيار کس دريك مجلس ازان استفاده مى کردند و انتساخ مى کرد و در حواشى اثبات مذهب حنفى نموده و دلائل آن آورده است مى گفت من مشکاة را حنفى ساخته ام و مى گفت که در تمام عمر خود کارے که کرده ام ابن مشکاة ست اميد دارم که خداۓ تعالى مرا بدان بخشد مات رحمه الله فى ٩٩٦ھ.

(ترجمه) كان عبد الله السندى من اصحاب الشيخ على المتقى ، اخذ عن ابن حجر المكى و كان المكى يراجع عنه فى العربية و يقول كثيراً اعربوا لنا هذا الكلام و كان رجلا عالماً من رجال الله منقطعاً عن الناس ، كان يدرس و يفيد ابتغاء لوجه الله سبحانه و يصحح كتب الحديث ، كتب بيده نسخة لمشكاة المصابيح بغاية الصحة و حشاها و جعله ورقة ورقة يستفيد منه الناس فى مجلس واحد و اورد فى حواشيه دلائل باثبات مذهبه الحنفية و كان ينسخ و يقول انى جعلت بها مشكاة المصابيح حنفياً ويقول العمل الذى عملته فى طول عمره ارجو الله به المغفرة هو هذا "المشكاة" =

مالك (٢٢) ايضاً كالامام ابى‌حنيفة و امثاله و لعله نظر الى الاغلب"

و وصفه فى شرحه على مسند الامام الاعظم برواية حصفكى "بشيخنا و مولانا (٢٣)"

و منهم العلامة الحافظ مسند عصره صاحب الطبقات الحنفية و مفتى مكة الشيخ قطب الدين (٢٤) المكى الحنفى المتوفى ٩٩٠هـ حيث و صفه فى رسالته "بيان فعل الخير اذا دخل مكة من حج عن الغير" "بعمدة المتأخرين و زبدة المتبحرين شيخنا مفتى المسلمين بحرم الله الامين مولانا

= توفى سنة ست و تسعين و تسع مائة بمكة المباركة .

و راجع تقصارجيود الاحراز للنواب صديق حسن القنوجى ، المطبعة الشاهجهانية بهوفال بالهند ١٢٩٨هـ ص ١٠٠ .

(٢٢) راجع فتح المغطا شرح المؤطا و نسخته الخطية محفوظة فى مكتبة صاحب العلم ، وهب الله شاه فى قرية پير جهنڈو بالسند وقد رأينا نسخة أخرى احسن منها عند العالم الكبير الشيخ محمد هاشم جان المجددى بقرية ٹنڈو سائين داد بالسند.

(٢٣) راجع مسند امام اعظم برواية حصفكى مع شرح ملا على قارى ص ٤ المطبع المجتبائية دهلى ١٣١٣هـ.

(٢٤) قال الغزى فى ترجمته من كتابه الكواكب السائرة باعيان المائة العاشرة (ج ٣ ص٤٤) ما نصه :

محمد بن احمد علاء الدين بن محمد بن قاضى خان بن بهاء الدين بن يعقوب بن حسن بن على النهروانى (النهروالى باللام نسبة لنهروالة بلدة فى توابع گجرات بالهند) الشيخ الامام العلامة المحقق المدقق الفهامة ، الشيخ قطب ابن شيخ العلاء علاء الدين النهروانى (النهروالى) الاصل الهندى ثم المكى الحنفى و ما اوردته فى نسبه هو ما قرأته بخطه فى استدعائه لشيخ الاسلام الوالد .... انه مشهور بالشيخ قطب الدين الهندى مولده سنة سبع عشرة و تسع مائة كما قرأته بخطه و اكبر من حدث عنه من المسندين الشيخ عبد الحق السنباطى و بن اعظم مشائخه والده و الشيخ محمد ... التونسى و الشيخ ناصر الدين اللقانى و الشيخ احمد بن يونس ابن الشلبى و الشيخ جمال الدين الحرباقى و اجتمع بشيخ الاسلام الوالد بمكة و بالشام ثم كتب اليه استدعاء فى سنة سبع و سبعين و تسع مائة ليجيزه و يجيز اولاده فكتب اليه باجازة حافلة . . . . و ذكره ابن الحنبلى فى تاريخه و اثنى عليه قال و الم باللغتين التركية و الفارسية و من مؤلفاته طبقات الحنفية احترقت فى جملة كتبه (قلت) و وقفت له على تاريخ كتبه لمكة المشرفة وكان بارعاً مفننا فى الفقه و التفسير و العربية و نظم الشعر و نظمه فى غاية الرقة .

و قال عبد الحى الحسنى فى نزهة الخواطر ج ٤ ص ٢٨٦ ما نصه :

ولد بلاهور.... و اشتغل على والده بالعلم و رحل الى مكة المشرفة و اخذ عن الخطيب المعمر احمد محب الدين بن ابى القاسم محمد البعقيلى النويرى المكى و عن محدث اليمن وجيه الدين =

. . . .

=عبد الرحمن بن على الربيع الشيبانى الزبيدى و عن الشيخ شهاب الدين احمد بن موسى بن عبد الغفار المغربى الاصل ثم المصرى نزيل الحرمين عن والده و الشيخ محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحطاب المالكى و والده الشيخ محمد بن عبد الرحمن و سار الى مصر سنة ثلاث و اربعين و تسع مائة و اجتمع بها بابى عبد الله محمد بن يعقوب العباسى المتوكل على الله المتوفى سنة خمسين و تسع مائة صرح به فى تاريخ مكة ، قال و قد اجتمعت به و اخذت عنه فى رحلتى الى مصر لطلب العلم الشريف فى سنة ٩٤٣هـ وكانت مصر اذ ذاك مشحونة بالعلماء العظام مملوءة بالفضلاء الفخام ميمونة بيمن بركات المشائخ الكرام كأنها عروس تتهادى بين اقمار و شموس .

ثم انقضت تلك السنون و اهلها فكأنها و كأنهم احلام .

و ذكر فى تاريخ مكة انه اخذ الطريقة عن الشيخ علاء الدين الكرمانى النقشبندى المتوفى سنة تسع و ثلاثين و تسع مائة لعله كان قبل رحلته الى مصر .

و له سند عال لصحيح البخارى لا اعلم فى الدنيا سندا اعلى من ذلك السند (و قد تكلم عليه الحافظ السيد عبد الحى الكتانى فى ترجمته من كتابه فهرس الفهارس و الاثبات حق التكلم بما لا مزيد عليه) .

قلت و قد ترجم له القاضى محمد بن على الشوكانى فى البدر الطالع قال و كان يكتب الانشاء لاشراف مكة و له فصاحة عظيمة يعرف ذلك من اطلع على مؤلفه البرق اليمانى فى الفتح العثمانى و هو مؤلف الاعلام فى اخبار بيت الله الحرام و كان عظيم الجاه عند الاتراك لا يحج من كبرائهم الا و هو الذى يطوف به و لا يرتضون لغيره و كانوا يعطونه العطاء الواسع فكان يشترى بما يحصله منهم نفائس الكتب و يبذلها لمن يحتاجها و اجتمع عنده ما لم يجتمع عند غيره و كان كثير النزهات فى البساتين و كثيراً ما يخرج الى الطائف و يصحب معه جماعة من العلماء و الادباء و يقوم بكفاية الجميع انتهى .

و اما مصنفاته فمن احسنها كتابه الاعلام باعلام بيت الله الحرام صنفه سنة خمسين و ثمانين و تسع مائة . . . . و منها البرق اليمانى فى الفتح العثمانى تاريخ اليمن من سنة تسع مائة عند اول الفتح العثمانى على يد الوزير سليمان باشا الى ايام المؤلف الفه لوزير سنان باشا و يسمى ايضاً الفتوحات العثمانية للاقطار اليمنية و منها منتخب التاريخ فى التراجم و منها تمثال الامثال النادرة و التمثيل و المحاضرة بالابيات المفردة النادرة و منها الكنز الاسمى فى فن المعمى".

و قال عبد القادر العيدروسى فى النور السافر :

من افادات الشيخ قطب الدين رحمه‌الله تعالى ان لفظ "ابن خلكان" ضبط على صورة الفعلين خل امرا من خلى اى ترك فعل ماض و كان الناقصة و سبب تسميته بذلك انه كان يكثر ان يقول كان والدى كذا ، و كان جدى كذا فانه من البرامكة فقيل له خل كان قال : و رأيت من ضبطه=

قطب الدين (٢٥)"

فهؤلاء المحدثون المتقنون الذين اجازوه بمروياتهم و استفاد المولى على القارى منهم و حصل له اجازة عامة عن غيرهم من المسندين .

و منهم العارف الفقيه المحدث الشيخ محمد بن ابى الحسن البكرى (٢٦) المصرى الشافعى المتوفى ٩٩٤هـ و قد ذكره المولى على القارى فى رسالته سم القوارض حيث قال :

= بسكون اللام و الباق على حاله و الله اعلم".

قال العصامى فى سمط النجوم العوالى (ج ٤ ص ٣٣٧) .

فيها (سنة ٩٩٠) ايضاً كانت وفاة العلامة الشيخ قطب الدين النهروالى مفتى السادة الحنفية يوم السبت السادس و العشرين من شهر ربيع الثانى منها وقت اذان حزورة عند الفجر الثانى".

(٢٥) راجع رسالته بيان فعل الخير اذا دخل مكة من حج عن الغير الورقة ٢٢٦ ضمن مجموعة رسائله المخطوطة فى مكتبة الكلية الشرقية بيشاور .

(٢٦) قال عنه المؤرخ عبد القادر العيدروسى المتوفى ١٠٣٨هـ فى كتابه النور السافر عن اخبار القرن العاشر ما نصه :

و فى ربيع الثانى سنة ثلاث و تسعين توفى الاستاذ الاعظم قطب العارفين الشيخ محمد بن الشيخ ابى الحسن محمد . . . . ابن ابى بكر الصديق . . . . البكرى الصديقى الشافعى الاشعرى المصرى . . . . كان هذا الشيخ من آيات الله فى الدرس و الاملاء فكان اذا تكلم فيه تكلم بما يحير العقول و يذهل الافكار بحيث لا يرتاب سامعه فى ان ما يتكلم به ليس من جنس ما ينال بالكسب ، و ربما كان يتكلم فيه بكلام لا يفهمه احد من اهل مجلسه مع كون كثير منهم او اكثرهم على الغاية من التمكن فى سائر مراتب العلوم الاسلامية و الاحاطة بفنونها فيذكر له ذلك بعد القيام من المجلس فيقول : ليس ذلك باعجب من حال المتكلم به فانى فيه مثلهم ، و كان اليه النهاية فى العلم حتى كان بعض ائمة العلوم و المعارف هناك ممن افنى عمره فى كسب العلوم الدينية و المعارف الربانية يقول : و الله لا ندرى من اين هذا الكلام الذى نسمعه من هذا الاستاذ ؟ و لا نعلم له اصلاً يؤخذ منه ، و لولا العلم بسد باب النبوة لاستدللنا بما نسمعه منه على نبوته ،

و اما مجالسه فى التفسير و ما يقرره فيها من المعانى الدقيقة و الابحاث الغامضة مع استيعاب اقوال ائمة التفسير من السلف و الخلف ، و بيان اولاها بالاعتماد عنده و ذكر المناسبات بين السور و الآيات و بين اسماء الذات المقدسة و الصفات و مواضعها و ما قاله ائمة الطريق فى كل آية من علوم الاشارة فان القرآن نزل بها ايضاً ، فذلك مما يحير العقول و يدهش الخواطر مع كون ما يلقيه من ذلك كله فى الفاظ مخترعة بالغة فى الفصاحة و البلاغة و الجزالة و الايضاح الى الغاية التى ليس وراءها غاية ؛ مع كون اكثرها او جميعها مسجعاً مقفاً معرباً موضوعاً فى محله الذى لا اولى منه به ، =

"شيخنا المبرور المغفور محمد بن ابي الحسن البكرى".

و منهم الشيخ العالم الفقيه بدر الدين الشهاوى الحنفى المفتى بالحرم المكى و قد وصفه فى رسالته "لسان الاهتداء فى بيان الاقتداء".

"بشيخنا بدرالدين الشهاوى الحنفى المفتى بالحرم المكى (٢٧)".

و من ضمنهم الفقيه الواعظ الشيخ سنان الدين يوسف بن عبد الله الاماسى الرومى الحنفى ، نزيل مكة ، المعروف بسنان الواعظ صاحب قرة العين فى المناسك المتوفى فى حدود الف و قد وصفه المولى على القارى فى رسالته "بيان فعل الخير اذا دخل مكة من حج عن الغير".

"بشيخنا فخر العلماء و ذخر الصلحاء مولانا سنان الواعظ الرومى (٢٨)".

و من جملتهم الشيخ المسند محمد بن على بن احمد بن سالم الجناجى و قد ذكره فى مقدمة كتابه مرقاة المفاتيح حيث يقول :

"وقد حصل لى اجازة عامة و رخصة تامة من الشيخ العلامة على (٢٩) بن احمد الجنانى الازهرى الشافعى الاشعرى الانصارى و قد قال قرأت على شيخ الاسلام و امام الائمة

= و لم يحفظ له احد هفوة فى لفظ من الفاظه من جهة اعراب او تعريف او تقديم او تاخير او غير ذلك من هفوات الالسنة فى تقرير العلوم ، و ما من درس من دروسه الا و هو مفتتح بخطبة بديهية او غير بديهية مشتملة على الاشارة الى كل ما اشتمل عليه ذلك الدرس على طريق براعة الاستهلال، وهكذا كانت مجالسه فى الحديث و الفقه ، و كل علم يتصدى لتقريره لا يظن سامعه المتمكن فى ذلك العام الحافظ لاصوله وفروعه انه ترك فى كل بحث كلمة لاحد من المتكلمين فيه مع ما يبديه هو من اختياراته الشريفة و كان الشعراء من فضلاء مصر المتمكنين فى علوم اللغة و قواعد الشعر و مذاهب الانشاء يقصدون يوم ختمه فيكتبون القصائد البديعة فى مدحه ، و بيان ما من الله به عليه من سائر النعم الظاهرة و الباطنة فتتلى ، او المهم منها على رؤس الاشهاد فى مجلسه الشريف و فيه خلائق من الخاصة و العامة ، و يجلس هو نفعنا الله ببركاته لاستماع ما يتلى منها بين يديه ، و يجيز على كل منها و يظهر السرور بها لطفاً منه باصحابها و جبراً لخواطرهم و مقابلة لحسن ظنهم و عقائدهم نفعنا الله ببركاته ، و قد اطال العيدروسى فى ترجمته و افاد .

و انظر الغزى : الكواكب السائرة ج ٣ ص ٦٧-٧٢ وكتابنا فوائد جامعه بر عجاله نافعه بالاردية و الشيخ عبد الحق الدهلوى : زاد المتقين فى سلوك طريق اليقين بالفارسية .

(٢٧) راجع لسان الاهتداء فى بيان الاقتداء الورقة ٢٥٧ ضمن مجموعة رسائله المخطوطة فى مكتبة الكلية الشرقية بيشاور.

(٢٨) راجع رسالة بيان فعل الخير اذا دخل مكة من حج عن الغير الورقة ٢٢٦ ضمن مجموعة رسائله المخطوطة فى مكتبة الكلية الشرقية بيشاور .

(٢٩) اظن ان هنا قد سقط من المطبوعة بل من النسخ المخطوطة التى رأيتها فى مكتبات=

الاعلام الشيخ جلال الدين (٣٠) السيوطى كتبا من الحديث و غيره من العلوم كالبخارى و مسلم و غيرها من الكتب الستة وغيرها البعض قراءة و البعض سماعا و قد اجازنى بجميع مروياته و بما قرئ به و بما اجازه به خاتمة المحدثين مولانا الشيخ ابن حجر (٣١) العسقلانى قراءة و سماعاً و رواية و اجازة و على الشيخ القسطلانى صاحب المواهب و شارح البخارى (٣٢) من اجلاء تلامذة العسقلانى و اجازني بمروياته

= باكستان الغربية اسم شيخ على القارى محمد الذى اخذ عن السخاوى و السيوطى و الديبى وغيرهم و قد ثبت مكانه اسم ابيه و هو على بن احمد و لم يكن هو مسنداً معروفا و شيخاً له و قد وقع التصحيف فى نسبته الجنانى والصحيح الجناجى كما ضبطه السخاوى فى كتابه ضوء اللامع ج ٨ ص١٦١، و قال المؤرخ محى الدين عبد القادر العيدروسى فى كتابه النور السافر عن اخبار القرن العاشر ص ١٩٩ ما نصه :

و فى شهر ربيع الثانى سنة خمس و ثلاثين (بعد التسعمائة) توفى محمد بن على بن احمد بن سالم الجناجى بجيمين الاولى مضمومة بينها نون خفيفة ، نسبة لجناج قرية ببن البحر ارية و سنهور من الغربية ، ثم القاهرى الازهرى المكى و ربما يعرف هناك بابن وحشى بمكة و صلى عليه عند باب الكعبة و دفن بالمعلاة و كان مولده فى سنة ستين او بعدها تقريباً، وحفظ القرآن ونحو النصف الاول من مختصر الشيخ و من الفية النحو ، و اشتغل عند داود القلتاوى فى الفقه و العربية بل و قرأ على السنهورى النصف من توضيحها و سمع عليه غير ذلك و قرأ على الديبى البخارى ، و سمع على الكمال ابن ابى شريف فى مسلم ، و على الشاوى فى البخارى بحضرة الخيضرى كذا ذكر السخاوى قال : و حج غير مرة و لقينى فى سنة سبع و تسعين بمكة فقرأ على الموطا ، و نحو النصف الاول من الشفاء بسماع باقيه و لازمنى فى غير ذلك سماعاً و تفهماً و لديه استحضار و مشاركة واختص بالشمس الحلبى التاجر، ثم بابى الفتح ابن كرمون و سافر معه الى اليمن فحصل بعض ما ارتفق به و عاد بعد اشهر فى سنة تسع و تسعين و استمر مقيماً بمكة يقرى ولد المشار اليه بعد رجوع الاب الى القاهرة ، و معه جارية يتمتع بها و لا بأس به قال الشيخ جار الله بن فهد رحمه الله اقول :

و قد رزق منها ذكران و بنت و انقطع بمنزله من و جع رجله و تقرر فى عدة وظائف ، و ضرر فصار اولاده يباشرونها عنه بحيلة و اظهار فضيلة و استمر على ذلك حتى مات رحمه الله .

(٣٠) و قد ترجم السيوطى نفسه فى كتابه حسن المحاضرة فى اخبار مصر و القاهرة ج ١ ص ١٨٨-١٩٥ ، القاهرة ١٢٩٩هـ و ايضاً راجع كتابنا "فوائد جامعه بر عجاله نافعه" و فيه فوائد حسنة ص ٣٥٥ طبع كراچى .

(٣١) و قد ترجم ابن حجر لنفسه فى كتابه رفع الاصر عن قضاة مصر ج ١ ص ٨٥-٨٨ القاهرة ١٩٥٧م و مقدمة الكتاب (رفع الاصر) للدكتور حامد عبدالمجيد و راجع كتابنا فوائد جامعه بر عجاله نافعه بالاردية ، فيه فوائد جسنة ص ٤٣٧-٤٤٣ .

(٣٢) اما كتابه ارشاد السارى بشرح صحيح البخارى هو من عمدة مؤلفاته قال الشيخ=

و مؤلفاته و هذا على ما يوجد من السند المعتمد في هذا الزمان المكدر المنكد ثم انى قرأت ايضا بعض احاديث المشكاة على منبع بحر العرفان مولانا الشهير بميركلان (٣٣)

= عبد القادر العيدروسى فى ترجمته من كتابه النور السافر ما نصه :

"و من اجلها شرحه على صحيح البخارى مزجاً فى عشرة اسفار لعله احسن شروحه و اجمعها و الخصها".

و قال الحافظ السيد عبد الحى الكتانى فى كتابه فهرس الفهارس و الاثبات و معجم المعاجم و المشيخات و المسلسلات (ج ٢ ص ٣١٨) ما نصه :

"قلت و كان بعض شيوخنا يفضله على جميع الشروح من حيث الجمع و سهولة الاخذ والتكرار و الافادة بالجملة فهو للمدرس احسن و اقرب من فتح البارى فمن دونه".

اقول شرحه ارشاد السارى فاق فتح البارى من حيث شرح متون الحديث و حل مطالب الكتاب و فتح البارى امتازبه فى الخلافيات و لذا كان شيخنا العالم الربانى و المجاهد الكبير صاحب الآداب السنية و الاخلاق المرضية البهية السيد حسين احمد المدنى المتوفى ١٣٧٧ھ رئيس مشيخة دار العلوم بديوبند و شيخ الحديث بها يضعه امامه عند التدريس و كان رحمه الله جهورى الصوت يقرأ و يسرد الحديث بصوت حسن فصيح بالتجويد حيث يعلم الطلبة ما يقرأه و القسطلانى مزج المتن بالشرح و مع ذلك حين يقرأ شيخنا لا يترك من متون الاحاديث لفظاً و لا حرفاً و لا يخلط بين حرف من الشروح بالمتن حتى و لا سهواً و لا يترك التصلية و الترضية و الترحم ابدا ، و الله ما رأت عيناى مثله فى حسن قراءة الاحاديث مع آدابها قبله و لا بعده .

و قد سمعنا منه القسطلانى بتشديد اللام لا بتخفيفه و هذا هو الصحيح راجع تاج العروس من جواهر القاموس مادة ق س ط ل و شرح الزرقانى على المواهب اللدنية للقسطلانى ج ١ ص ١٣١ مصر ١٣٢٥ھ و تعليقات الكوثرى على ذيول تذكرة الحفاظ ص ٧٦ ، دمشق ١٣٤٧ھ .

راجع ترجمته : ابن اياس ، بدائع الزهور فى وقائع الدهور ج ٣ ص ١٠٥ مصر ١٣١١ھ .

(٣٣) قال العلامة الشريف عبد الحى بن فخر الدين الحسنى فى كتابه "نزهة الخواطر وبهجة المسامع و النواظر" (ج ٤ ص ٣٣١) ما نصه :

"الشيخ العالم المحدث محمد سعيد بن مولانا خواجه الحنفى الخراسانى المشهور بميركلان كان من كبار العلماء، ولد ونشأ وقرأ العلم على العلامة عصام الدين ابراهيم بن عرب شاه الاسفرائنى و على غيره من العلماء ثم اخذ الحديث عن السيد نسيم الدين ميرك شاه بن جمال الدين الحسينى الهروى و لازمه مدة ثم سافر الى الحرمين الشريفين فحج و زار و سكن بمكة المباركة مدة ، اخذ عنه الشيخ على بن سلطان القارى الهروى صاحب المرقاة و السيد غضنفر بن جعفر الحسينى النهروالى و خلق كثير من العلماء .

وكان عالما كبيراً محدثاً محققاً لا ينقله كثير الفوائد جيد المشاركة فى العلوم له يد طولى فى =

و هو قرأ على زبدة المحققين و عمدة المدققين سيرك شاه (۳٤) و هو على والده السيد السند مولانا جمال الدين (۳۵) المحدث صاحب روضة الاحباب و هو على عمه.

= الحديث ، درس و افاد مدة حياته مع الطريقة الظاهرة و الصلاح.
مات ببلدة آگره سنة احدى و ثمانين و تسع مائة و له ثمانون سنة ذكره البدايونى".

(۳٤) قال الميرزا محمد باقر الخوانسارى فى ترجمة الشيخ جمال الدين المحدث من كتابه "روضات الجنات (ج ۱ ص ٤۰۵)"

"وكان ولده (جمال الدين المحدث) الانجد المشتهر بالامير نسيم الدين محمد الملقب بميرك شاه ايضاً فى تكميل العلوم و الفنون و لا سيما علم الحديث وحيد زمانه و فريد اقرانه قد قام مقام والده المعظم فى المقبرة المنورة المذكورة مشتغلاً بالافادة و التدريس بمقتضى تعيين الواقف المؤسس لهذا التاسيس".

* و لم يذكر المؤرخ ميرخاند سنة وفاته فى كتابه روضة الصفا و لم اقف عليه.

(۳۵) قال الميرزا محمد باقر الخوانسارى فى ترجمته من كتاب روضات الجنات فى احوال العلماء و السادات (ج ۱ ص ٤٤۹) ما نصه:

"السيد الفاضل المحدث السنى جمال الدين ميرزا عطاء الله بن الامير فضل الله الشيرازى الدشتكى الملقب بجمال الحسينى صاحب كتاب روضة الاحباب فى سيرة النبى و الآل و الاصحاب ، ذكره صاحب مجالس المؤمنين بعد ترجمة عمه الاجل الاكمل الامير اصيل الدين عبد الله الحسينى الدشتكى الشيرازى صاحب كتاب درج الدرر فى احوال سيد البشر و رسالة مزارات هرات و غيرها و نقله عن كتب السير ان وفاته كان فى سابع عشر شهر ربيع الاول من سنة ثلاث و ثمان مائة و اعترافه بان هذه السلسلة الرفيعة لم يزل كانوا يدرسون كتب احاديث اهل السنة من شدة مراعاتهم التقية الى ان رأى واحد من اكابرهم النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه انه اراه كتاب المشكاة و سأله عن صحة احاديثه و ضعفها فاخذه النبى صلى الله عليه وسلم من يده و تصفحه ورقة ورقة وضرب على موضوعات احاديثه انامل الرد والمحو بحيث بقى على نسخة كتابه المذكور اثر محو الحضرة النبوية الى هذا الزمان و هى بعينها موجودة يزورونها بعد تقديم مراسم الطهارة و الخمد و الصلاة و نحوها و اول من ترك مطالعة احاديث هذه الفرقة الغاوية من هذه السلسلة ببركة ذلك المنام و اشتغل بالحكمة و الكلام هو الامير صدر الدين محمد الحسينى الدشتكى الشيرازى والد الامير غياث الدين منصور كما سيأتى فى ترجمته ان شاء الله و الآخرون كانوا يتوسلون بمباحثة اخبار هؤلاء عند اكابرهم و يتنعمون بهذه الوسيلة من عاجلهم فقال فى ذيل ترجمته بالفارسية ما يؤدى هذا المعنى كان الامير جمال الدين عطاء الله المذكور من جملة مصاديق "علماء امتى كانبياء بنى اسرائيل" و ممن ورد فى شأنه "العلماء ورثة الانبياء" على سبيل التعظيم و التبجيل حداه التائيد و التوفيق الى تحقيق احوال الاخبار والاحاديث مع كمال التنسيق فصرف عمره الشريف فى تتبع اقوال النبى صلى الله عليه وسلم المصطفى و افعاله =

. . . .

= الى ان صارت صحاح كلماته المنتشرة فى العالم و حسانها تحفة الاصحاب ورياض سيره وشمائله المطبوعات روضة الاحباب و اصبحت سدنة السنية كما ذكره صاحب السير.

يلاذ طوائف اشراف الانام و عتبة العلية فجمع اعاظم السادات المنتخبين الاعلام و قد صار مثل عمه الماجد الامير سيد اصيل الدين فريداً فى علم الحديث بسعيه المتين و ماهرا فى سائر اقسام العلوم الدينية و انواع الفنون اليقينية وكان اشتغاله بالتدريس و الافادة فى المدرسة السلطانية فى قبة فيها مقبرة الخاقان المنصور و كذا فى الخانقاه الاخلاصية وكان يذهب فى كل اسبوع مرة الى الجامع الاعظم من مدينة هراة و يقوم هناك بحق الارشاد و الهداية الى ما فيه النجاة و لكنه الآن على خلاف السابق معتكف فى زاوية العزلة عن الخلائق و مشتغل بادخار المثوبات الاخروية على الوجه اللائق و لذا ترى سلاطين الايام و سائر الاكابر و الحكام يظهرون كمال الارادة اليه و يتبركون بنيل صحبة الماجدة لادراك بعض ما وجدوه لديه من جملة مؤلفات حضرته العليا كتاب روضة الاحباب فى سيرة النبى صلى الله عليه وسلم و الآل والاصحاب سار فى الاشتهار بين جميع الاقطار كمثل الشمس فى رابعة النهار و الانصاف ان الاتيان بمثله من قبل الاقدام على الامر المحال انتهى.

اقول قوله مراعاتهم التقية الخ افتراء و كذب صريح لم يكن التقية من شعار افراد هذه العائلة الشريفة ولاهم من الرافضة و المترجمون المحققون ذكروه فى عداد اهل السنة و الجماعة و هذا هو الصحيح.

و القاضى نور الله التسترى المتوفى ١٠١٩هـ كان من غلاة الرافضة و هو اول رافضى عد الجمال المحدث من الرافضة بل زاد على ذلك فعد اسلافه و اخلافه الكرام من الروافض و كان هذا دأب التسترى لا سيما مع كبار اهل السنة و الجماعة و كان يهدف الى خلق تبلبل الافكار فى الناس فى أمورهم و تلبيس شئونهم ثم الذين جاؤا بعد التسترى من الشيعة حذوا حذوه و اوردوا ترجمته من كتابه "مجالس المؤمنين" و ذكروه من الرافضة.

و المؤرخون من اهل السنة كالفاضل غياث الدين بن همام الدين الهروى المتوفى ٩٤٤هـ و غيره لم يذكروا فى ترجمته شيأ يشير الى تشيعه او الى رفضه و لا يوجد تلميذ من تلامذة الجمال المحدث نسب اليه الرفض و التشيع و قد روى عنه المحدثون المتقنون و هم يفتخرون باتخاذه شيخا لهم و لا يذكرونه الا بخير و يعدونه من ائمتهم من اهل السنة و الجماعة.

و كتابه "روضة الاحباب فى سير النبى و الآل و الاصحاب" فقد دس فيه بعد موته فانه صنفه فى ايام حياة شيخه و عمه السيد اصيل الدين المتوفى ٨٨٣،٨٨٤هـ و عاش بعده ثمان و اربعين سنة و حصل له التداول و القبول و لكن لم يوجد فى كتابه شىء من الرفض و لو كان فيه رفضاً لعرف فى حياته و اشتهر ذلك عنه فذاك دليل قوى على ان الاشعار التى ذكرها مخدوم الملك (كما سيجىء ذكرها) دست فى كتابه روضة الاحباب و هذا من المكائد التى عرف الرافضة بها و قد نبه عليها =

السيد اصيل الدين الشيرازى روى انه ادرك من اكابر العلماء احدا و ثمانين منهم

= رئيس متكلمى الهند وفقيهها العلامة الشيخ عبدالعزيز الدهلوى فى كتابه التحفة الاثنا عشرية فقال:
"و من مكائدهم انهم يزيدون بعض الابيات فى شعر احد ائمة اهل السنة مما يوذن بتشيعه كما فعلوا فى ديوان حافظ الشيرازى و ديوان مولانا الرومى و الشيخ شمس الدين تبريزى قدس سره".

و لدسهم بعض الاشعار فى كتابه روضة الاحباب انكر مخدوم الملك على هذا الكتاب من تصنيفات السيد جمال الدين المحدث و علق عليه. و نقل المؤرخ البدايونى عن الفقيه المحدث الشيخ عبد الله بن شمس الدين الانصارى السلطانفورى المشهور بمخدوم الملك المتوفى ٩٩٠-٩٩١ﻫ انه كان يقول ان روضة الاحباب ليست من مصنفات الامير جمال الدين المحدث كان يستشهد بشعر فى منقبة سيدنا على رضى الله عنه اورده الجمال فى المجلد الثالث من ذلك الكتاب.

همين بس بود حق نمائى او   كه كردند شك در خدائى او

ثم التفت الى و قال انظر كيف بالغ فى بدحه حتى جاوز عن الرفض الى عقيدة الحلول ، اعاذنا الله سبحانه منها ، فقلت له هذا ماخوذ من قول الشافعى حيث قال :

لو ان المرتضى ابدا محله   لصار الناس طرا سجد له
كفى فى فضل مولانا على   وقوع الشك فيه انه الله

فنظر الى شزرا و نازعنى فى صحة النقل فقلت له نقلها المير حسين الميبذى فى شرح ديوان الشعر لسيدنا على رضى الله عنه فقال ان الميبذى ايضاً منهم فقلت له انى سمعت من بعض الثقات ان المجلد الثالث من روضة الاحباب ليس من مصنفات الامير جمال الدين المحدث بل لابنه ميرك شاه فقال انى وجدت فى المجلد الثانى ايضاً بعض المناكير فعلقت عليها الحواشى انتهى.

هذا ايضاً دليل على ان مخدوم الملك كان متيقنا بان جمال الدين المحدث و ابنه ميرك شاه كانا من اهل السنة و الجماعة.

قال مير خواند المتوفى ٩٠٣ﻫ فى ترجمته من كتابه روضة الصفا فى سيرة الانبياء و الملوك والخلفاء بالفارسية (ج ٧ ص ٧٢ طبع بمبئى ١٢٦٦ﻫ) الامير السيد اصيل الدين عبدالله بن عبدالرحمن ابن عبداللطيف بن جلال الدين يحيى الحسينى امتاز بالاصالة و الجلالة و النباهة و فاق الاقران وكان يفسر حقائق الصحف الالهية و اسرارها و يبين دقائقها و معارفها و لسانه ينثر الدرر كان رحمه الله عديم النظير فى علم التفسير و الجدل و الانشاء و فى عهد الملك خاقان سعيد غادر مسقط رأسه شيراز الى هراة و توطنها و كان يلقى الوعظ فى الاسبوع مرة واحدة فى مدرسة مهد عليا گوهر شاد آغا و يرشد الناس و كان مواظباً على ذكر سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم و سيره فى الربيع الاول و يفيد الناس افادة تامة، توفى سابع عشر ربيع الاول سنة ثلاث وثمانين او اربع و ثمانين وثمانمائة.

و من مؤلفاته درج الدرر فى ميلاد سيد البشر ، و شرح الحصن الحصين. =

"مولانا محمد (۳٦) بن محمد بن محمد الجزری

= (۳٦) قال الشیخ ابو الخیر طاش کبری زاده فی الشقائق النعمانیة :

"الشیخ محمد بن محمد بن محمد علی بن یوسف الجزری یکنی بابی الخیر ولد فیما حققه نفسه من لفظ والده فی لیلة السبت الخامس و العشرین من شهر رمضان سنة احدی و خمسین و سبع مائة بدمشق و حفظ القرآن سنة اربع و ستین و صلی به سنة خمس و ستین و سمع الحدیث من جماعة و افرد القرآت علی بعض الشیوخ و جمع السبعة فی سنة ثمان و ستین و حج فی هذه السنة ثم رحل الی الدیار المصریة فی سنة تسع و جمع القرآت العشرة و الاثنتی عشرة ثم الثلاث عشرة ثم رحل الی دمشق و سمع الحدیث من اصحاب الدمیاطی و الابرقوهی و اخذ الفقه عن الاسنوی و غیره ثم رحل الی الدیار المصریة و قرأ بها الاصول والمعانی و البیان و رحل الی اسکندریة وسمع من اصحاب ابن عبد السلام و غیرهم و اذن له بالافتاء شیخ الاسلام ابو الفداء اسماعیل بن کثیر سنة اربع و سبعین و سبع مائة و کذلک الشیخ ضیاء الدین سنة ثمان و سبعین و کذلک شیخ الاسلام البلقینی سنة خمس و ثمانین ثم جلس للاقراء و قرأ علیه القرآت جماعة کثیرون و ولی قضاء الشام سنة ثلاث و تسعین و سبع مائة ثم دخل الروم لما ناله من الظلم من اخذ امواله و غیره بالدیار المصریة فی سنة ثمان و تسعین و سبع مائة فنزل بمدینة بروسا دار الملك الکامل المجاهد بایزید بن عثمان فاکمل علیه القرآت العشر بها جماعة کثیرون من اهل تلك الدیار و غیرهم و لما کانت الفتنة العظیمة المشهورة من قبل تیمور خان فی اول سنة خمس و ثمان مائة فاخذه الامیر تیمور معه الی ماوراء النهر و الزله بمدینة کش ثم الی سمرقند و قرأ علیه فی کل منها جماعة کثیرون و لما توفی الامیر تیمور خان فی شعبان سنة سبع و ثمان مائة خرج من بلاد ما وراء النهر فوصل الی خراسان و دخل هراة ثم الی مدینة یزد ثم الی اصبهان ثم الی شیراز فقرأ علیه فی کل منها جماعة بعضهم السبعة و بعضهم العشرة و الزمه صاحب شیراز پیر محمد قضاء شیراز و نواحیها فبقی فیها کرها حتی فتح الله علیه فخرج منها الی البصرة ثم فتح الله له المجاورة بمکة و المدینة سنة ثلاث و عشرین و حین اقامته بالمدینة قرأ علیه شیخ الحرم و الف فی القرآت کتاب النشر فی القرآت العشر فی مجلدین و مختصره التقریب وتحبیر التیسیر فی القرآت العشرة وطبقات القراء و تاریخهم کبری و صغری التی نقلت هذه الترجمة من صغراها و لما اخذه الامیر تیمور خان الی ماوراء النهر الف هناك شرح المصابیح فی ثلاثة اسفار و الف فی التفسیر و الحدیث و الفقه و نظم قدیما غایة المهرة فی الزیادة علی العشرة و نظم طیبة النشر فی القرآت العشر و الجوهرة فی النحو و المقدمة فیما علی قارئی القرآن ان یعلمه و غیر ذلك فی فنون شتی هذا ما حکاه الجزری عن نفسه فی طبقاته الصغری نقلته عن خطه.

و قال بعض تلامذته بخطه قال الفقیر المغترف من بحاره توفی شیخنا رحمه الله ضحوة الجمعة لخمس خلون من اول الربیعین سنة ثلاث و ثلاثین و ثمان مائة بمدینة شیراز و دفن بدار القراء التی انشأها وکانت جنازته مشهورة تبادر الاشراف و الخواص الی حملها و تقبیلها و مسها تبرکا=

و الشيخ مجد الدين (٣٧) الفيروز آبادى صاحب القاموس والعلامة السيد الشريف (٣٨) الجرجانى

= بها و من لم يمكنه الوصول الى ذلك كان يتبرك بمن يتبرك بها و قد اندرس بموته كثير من مهام الاسلام رضى الله عنه و عن اسلافه و اخلافه .

و من جملة تصانيف الشيخ المذكور كتاب الحصن الحصين فى الدعوات المأثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم و هو كتاب نفيس جدا ثم اختصره اختصارا غير مخل انتهى الشقائق النعمانية ج ١ ص ٣٩-٤٢ و راجع ابن الجزرى: غاية النهاية ج ٢ ص ٢٤٨-٢٥١ .

(٣٧) قال طاش كبرى زاده فى كتابه الشقائق النعمانية :

المولى الفاضل صاحب القاموس و هو مجد الدين ابوطاهر محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازى الفيروزآبادى ،

وكان ينتسب الى الشيخ ابى اسحاق الشيرازى صاحب التنبيه و ربما يرفع نسبه الى ابى بكر الصديق رضى الله عنه و كان يكتب بخطه الصديقى دخل بلاد الروم و اتصل بخدمة السلطان المذكور و نال عنده مرتبة و جاها و اعطاه السلطان مالاً جزيلا و اعطاه الامير تيمور خان خمسة آلاف دينار ثم جال البلاد شرقاً و غرباً و اخذ من علمائها حتى برع فى العلوم كلها سيما الحديث و التفسير و اللغة و له تصانيف كثيرة تنيف على اربعين مصنفاً و اجل مصنفاته اللامع المعلم العجاب الجامع بين المحكم و العباب وكان تمامه فى ستين مجلدة ثم لخصها فى مجلدتين وسمى ذلك الملخص بالقاموس المحيط و له تفسير القرآن العظيم و شرح البخارى و المشارق .

و كان رحمه الله لا يدخل بلدة الا و اكرمه واليها و كان سريع الحفظ و كان يقول لا انام الا واحفظ مائتى سطر وكان كثير العلم و الاطلاع على المعارف العجيبة و بالجملة كان آية فى الحفظ و الاطلاع و التصنيف .

ولد سنة تسع و عشرين و سبع مائة بكازرين و توفى قاضياً بزبيد من بلاد اليمن ليلة العشرين من شوال سنة ست او سبع عشرة و ثمان مائة و هو ممتع بحواسه و دفن بتربة الشيخ اسماعيل الجبرتى و هو آخر من مات من الرؤساء الذين انفرد كل منهم بفن فاق فيه اقرانه على رأس القرن الثامن و هم الشيخ سراج الدين البلقينى فى الفقه على مذهب الشافعى رحمه الله و الشيخ زين الدين العراقى فى الحديث و الشيخ سراج الدين بن الملقن فى كثرة التصانيف فى فن الفقه و الحديث و الشيخ شمس الدين الفنارى فى الاطلاع على كل العلوم العقلية و النقلية و العربية و الشيخ ابو عبد الله بن عرفة فى فقه المالكية و فى سائر العلوم بالمغرب و الشيخ مجد الدين فى اللغة رحمهم الله تعالى رحمة واسعة انتهى ج ١ ص ٣٢-٣٤ و راجع السخاوى : الضوء اللامع ج ١٠ ص ٧٩-٨٦ ، السيوطى : بغية الوعاة ص ١١٧-١١٨ : ١ ، ابن العماد شذرات الذهب ج ٧ ص ١٢٦-١٣١ ، و مقدمة تاج العروس .

(٣٨) قال القاضى محمد بن على الشوكانى المتوفى ١٢٥٠ھ فى البدر الطالع بمحاسن من بعد =

وسمع منه مولانا نور الدين (٣٩) الجامی قدس سره السامی و غیره توفی سنة اربع و ثمانین وثمانمائة"

= القرن السابع (ج ٢ ص ٤٨٨-٤٩٠) .

السید علی بن محمد بن علی الحسینی الجرجانی عالم الشرق و یعرف بالسید الشریف و هو من اولاد محمد بن زید الداعی بینه و بینه ثلاثة عشر ابا ولد سنة اربعین و سبعمائة اشتغل ببلاده و قرأ المفتاح علی شارحه و کذا اخذ شرح المفتاح للقطب عن ابن مؤلفه مخلص الدین بن ابی الخیر علی و قدم القاهرة و اخذ بها عن اکمل الدین و غیره و اقام بسعید السعداء اربع سنین ثم خرج الی بلاد الروم ثم لحق ببلاد العجم و صار اماما فی جمیع العلوم العقلیة و غیرها متفردا بها مصنفا فی جمیع انواعها متبحرا فی دقیقها و جلیلها و طار صیته فی الآفاق و انتفع الناس بمصنفاته فی جمیع البلاد و هی مشهورة فی کل فن یحتج بها اکابر العلماء و ینقلون منها و یوردون و یصدرون عنها فمن مصنفاته المشهورة شرح المفتاح و شرح المواقف العضدیة و شرح الجغمینی فی علم الهیئة و شرح فرائض الحنفیة و له مصنفات غیر هذه و تصدی للاقراء و الافتاء و اخذ عنه الاکابر و بالغوا فی تعظیمه لا سیما علماء العجم و الروم فانهم جعلوه هو و السعد التفتازانی حجة فی علومها و قد جری بینهما مباحثات فی مجلس تیمورلنک و اختلف الناس فی عصرهما و فیما بعده من العصور من المحق منهما و مازال الاختلاف بین العلماء فی ذلک دائرا فی جمیع الازمنة و لا سیما علماء الروم فانهم یجعلون من جملة اوصاف اکابر علمائهم انه کان یمیل الی ترجیح جانب الشریف او الی ترجیح جانب السعد لما لهم بها و بما جری بینهما من الشغلة و قد کان اهل عصر صاحب الترجمة یفتخرون بالاخذ عنه ثم صار من بعدهم یفتخرون بالاخذ عن تلامذته و مصنفاته نافعة کثیرة المعانی واضحة الالفاظ قلیلة التکلف و التعقید الذی یوقع فیه عجمة اللسان کما یقع فی مصنفات کثیر من العجم و توفی یوم الاربعاء سادس ربیع الآخر سنة ست عشرة و ثمانمائة بشیراز و قیل فی اربع عشرة و ثمانمائة .

و راجع السخاوی : الضوء اللامع ج ٥ ص ٣٢٨-٣٣٠ السیوطی : بغیة الوعاة ص ٣٥١ .

(٣٩) قال طاش کبری زاده فی کتابه الشقائق النعمانیة (ج ١ ص ٢٩٣)

الشیخ العارف بالله عبد الرحمن بن احمد الجامی ولد رحمه الله بجام من قصبة خراسان و اشتغل اولاً بالعلم الشریف و صار من افاضل عصره فی العلم ثم صحب مشائخ الصوفیة و تلقن کلمة التوحید من الشیخ العارف بالله تعالی سعد الدین کاشغری وصحب مع خواجه عبیدالله السمرقندی و انتسب الیه اتم الانتساب و کان یذکر فی کثیر من تصانیفه اوصاف خواجه عبید الله و یذکر محبته له.

و کان مشتهراً بالعلم و الفضل و بلغ صیت فضله الی الآفاق حتی دعاه السلطان بایزید خان الی مملکته و ارسل الیه جوائز سنیة و کان یحکی من اوصلها الیه انه جهز آلات السفر و سافر من خراسان متوجها الی بلاد الروم و لما انتهی الی همذان قال للذی اوصله الجائزة انی امتثلت امره الشریف حتی وصلت الی همذان و بعد ذلک اتشبث بذیل الاعتذار و ارجو العفو منه انی لا اقدر=

قال اروى كتاب المشكاة عن مولانا شرف الدين (٤٠) الجرهى و هو يروى عن خواجه

=على الدخول الى بلاد الروم لما اسمع فيها من مرض الطاعون .

و حكى المولى الاعظم سيدى محى الدين الفنارى عن والده المولى على الفنارى انه قال والده و كان هو قاضيا بالعسكر المنصور للسلطان محمد خان ان السلطان قال لى يوماً ان الباحثين عن علوم الحقيقة المتكلمون و الصوفية و الحكماء و لابد من المحاكمة بين هؤلاء الطوائف قال قال والدى قلت للسلطان محمد خان لا يقدر على المحاكمة بين هؤلاء الا المولى عبد الرحمن الجامى قال قال فارسل السلطان محمد خان اليه رسولاً مع جوائز سنية و التمس منه المحاكمة المذكورة فكتب رسالة حاكم فيها بين هؤلاء الطوائف فى مسائل.ست منها مسئلة الوجود و ارسلها الى السلطان محمد خان و قال ان كانت الرسالة مقبولة يلحقها بباقى بيان المسائل و الا فلا فائدة فى تضييع الاوقات فوصلت الرسالة الى الروم بعد وفاة السلطان محمد خان قال المولى محى الدين الفنارى و بقيت تلك الرسالة عند والدى و اظن انه قال انها عندى الآن .

و له نظم بالفارسية يرجحونه على نظم بعض السلف و له منشآت لطيفة بالفارسية و هى فى غاية الحسن و القبول عند اهل الانشاء و له مصنفات آخر منظومة و منثورة منها شرح الكافية و قد لخص فيه ما فى شروح الكافية من الفوائد على احسن الوجوه و اكملها مع زيادات من عنده و قد كتب على اوائل القرآن العظيم تفسيراً ابرز فيه بعضا من بطون القرآن العظيم و له كتاب شواهد النبوة بالفارسية و له كتاب نفحات الانس بالفارسية ايضاً و كتاب سلسلة الذهب و قد طعن فيها على طوائف الرفضية و له غير ذلك من التصانيف كرسالة المعمى و العروض و القافية و كل تصانيفه مقبولة عند العلماء الفضلاء و توفى قدس سره بهراة سنة ثمان و تسعين و ثمانمائة و قال المؤرخ فى تاريخه (و من دخله كان آمنا) .

قيل لما توجه الطائفة الطاغية الاردبيلية الى خراسان اخذ ابنه ميتاً من قبره و دفنه فى ولاية اخرى و لما تسلط عليها الطائفة المذكورة نبشوا قبره فلم يجدوه و احرقوا ما فيه من الاخشاب انتهى

راجع ابن العماد : شذرات الذهب ج ٧ ص ٣٦٠-٣٦١ الخوانسارى: ج ١ ص ٤٣٧-٤٣٨.

(٤٠) قال السخاوى فى ترجمته من كتابه الضوء اللامع : (ج ٤ ص ١٨١-١٨٢)

(الشيخ) عبد الرحيم بن عبد الكريم بن نصر الله . . . . جمال الدين القرشى البكرى الصديقى الجرهى المحتد الشيرازى المولد الشافعى (وجره بكسر الجيم و فتح الراء) .

قال الجوهرينى :

ولد فى ليلة الخميس ثالث صفر سنة اربع و اربعين و سبع مائة بشيراز و حفظ القرآن و هو ابن ست و اخذ عن ابيه رواية و دراية و تفقه باخيه الغياث ابى محمد عبد الله و استاذه الفخر احمد ابن محمد السمرقندى . . . . وعبدالله بن محمود بن نجيم الشيرازى وسمع الكشاف على القاضى العضد=

امام الملة و الدين علي (٤١) بن مبارك شاه الصديقي و هو يروى عن المؤلف (٤٢) و هذا الاسناد لايوجد اعلى منه للاعتاد"

= وعليه و على القوام و المعمر امام الدين حمزة بن محمد التبريزى وسعد الدين محمد بن مسعود البليانى و فريد الدين عبد الودود بن داود و المجد اسماعيل الفالى الشيرازيين سمع عليهم الحديث و فى آخرين من اوائلهم ابو الفتوح الطاوسى بل حج معه حجة الاسلام و سمع من امام الدين على بن مبارك شاه الصديقى الساوى قديما فى سنة خمسين الصحاح و غيره و ارتحل فاخذ بمكة عن العفيفين يقال ان روايته عنه بالاجازة و المجد الفيروزآبادى و الشرف ابى الروح عيسى العجلونى و لبس منه الخرقة بلباسه لها من الشمس محمد الخابورى قال عن السهروردى . . . . و كذا لبس عن النور محمد بن عبدالله البكرمانى عن المجد بن الشهاب فضل الله التوربشتى عن والده عن السهروردى .

و من شيوخه غازى بن عبد الله المزى احد اصحاب الفخر بن البخارى و ممن اجاز له من اصبهان ابو الفتوح محمد بن محمد الايسى و هو مكثر مسموعاً و شيوخاً بالنسبة لاهل ناحيته حتى انه سمع البخارى على نيف و سبعين شيخاً . . . . و صحيح مسلم على عشرة فاكثر و كمل له سماع الكتب الستة و الموطا و مسند الشافعى و الدارمى و غيرها و ذكرت شيئا منها فى تاريخ المدينة و اكثر المجاورة بالحرمين حتى انه حج اكثر من ثلاثين مرة و حدث بها و ببلاد فارس بالكثير حتى فى مرض موته ، سمع منه الائمة و ممن سمع منه ولد العفيف محمد فقرأ عليه اشياء و ذكره فى مشيخته و بالغ فى مدحه فقال :

كان شيخاً كبيراً عالماً ناسكا حج قريبا من خمسين حجة و اكثر المجاورة بالحرمين و سمع و اسمع سنين عديدة و قال ادركت من ثلاث مائة شيخ بالسماع و القراءة و الاجازة بشيراز والعراق و مصر و الشام و الحجاز قال و شهرته تغنى عن بسط القول فيه و ممن سمع عليه التقى ابن فهد و ابناه و قرأ عليه ابو الفرج المراغى سنة احدى و عشرين بالروضة النبوية فى المصابيح و سمع عليه ذلك و كان كثير العبادة و التلاوة و الصيام مع كبر سنه حريصا على ايقاع الخمس فى الجماعات و مات فى ليلة الاحد سابع عشرى صفر سنة ثمان و عشرين ببلاد لار .

(٤١) قال ابن حجر العسقلانى فى ترجمة على بن مبارك شاه الساوى من كتابه الدرر الكامنة فى اعيان المائة الثامنة (ج ٢ ص ٨٥) حيدر آباد الدكن الهند ١٣٧٣هـ ما نصه :

"على بن مبارك شاه بن ابى بكر الساوى الشيرازى يلقب امام الدين ولد سنة ٧٠٩ و سمع من الحافظ المزى و غيره قال ابن الجزرى فى مشيخة الجنيد البليانى : كان اماماً علامة جمع بين العلم و العمل و سمع بدمشق و مصر و القدس و غيرها و رجع الى شيراز بعلم كثير و شهر السنة بها و لم يؤرخ وفاته".

(٤٢) هو ولى الدين، ابو عبدالله محمد بن عبدالله الخطيب العمرى التبريزى من رجال القرن =

. . . .

الثامن للهجرة .

كان رحمه الله من العاملين و المحدثين المتقنين و عباد الله المخلصين اخذ العلم عن الفقيه المحدث المفسر المتكلم العلامة شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبى (الآتى ذكره) و لازمه فحصل و وصل و كمل و لم نجد له فيا بين ايدينا من كتب التراجم ترجمة له الا من شرحوا المشكاة المصابيح ذكروا له ترجمة لاتزيد على جملة او جملتين، قال شيخه الامام العالم الربانى و العارف بالاحكام و المعانى حسين بن محمد الطيبى اول شارحى المشكاة .

"بغية الاكباد ، قطب الصلحاء شرف الزهاد و العباد ولى الدين محمد بن عبد الله الخطيب"

و قال فى حقه الحافظ ابن حجر الهيثمى المكى الشافعى فى كتابه فتح الاله فى شرح المشكاة ما لفظه :

"العلامة المحقق ولى الله (الدين) محمد بن عبد الله التبريزى الشافعى"

و قال عنه المولى على القارى :

مولانا الحبر العلامة ، و البحر الفهامة ، مظهر الحقائق ، و موضح الدقائق الشيخ التقى النقى . . . .

و قال المحدث الفقيه الشيخ عبد الحق الدهلوى فى حقه فى شرحه لمعات التنقيح فى شرح مشكاة المصابيح ما نصه حرفياً :

"للشيخ العالم العامل السالك الناسك الوارع البارع الفاضل الكامل ولى الدين عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب العمرى التبريزى طيب الله ثراه و جعل الجنة مثواه"

و قد وصلنا من مؤلفاته "مشكاة المصابيح" و "الاكمال فى اسماء الرجال" منذ كتب الطيبى حاشية الكشاف (فتوح الغيب فى الكشف عن قناع الريب) و بذل جهده فى تبيين وجوه القرآت و تصحيح الاحاديث و الروايات و تحقيق لغاته و تدقيق نكاته وقع فى قلبه ان يجمع كلام رسول الله و يشرح كما شرح كلام الله فذكر ذلك لتلميذه الخطيب التبريزى و استشاره فاتفق هو و شيخه على تهذيب مصابيح السنة للبغوى و استدراكه لكونه احسن ترتيبا من حيث الجمع فانه وضع دلائل الاحكام على نهج يستحسنه الفقيه و وضع الترهيب و الترغيب على ما يقتضيه العام و يرتضيه و لو فكر احد فى تغيير باب عن موضعه لم يجد له موضعاً انسب مما اقتضى رأيه رحمه الله ، فشمر له عن ذراعه و حسر له عن قناعه و استفرغ فيه الوسع و الطاقة و اصلح الخلل و جمع الشتات و استدرك عليه و بلغ فيه النهاية و سماه مشكاة المصابيح فرغ من جمعه آخر يوم الجمعة من رمضان عند رؤية هلال شوال سنة سبع و ثلاثين و سبع مائة و عرضه تحفة للعيد على شيخه فاستحسنه واستجاده وبدأ=

. . . .

= الطيبى فى شرحه فشرح شرحاً حسناً .

و جعل الخطيب يدرس هذا الكتاب و يفيد فروى عنه تلميذه على بن مبارك شاه الصديقى و من حيث الرواية المتصلة بالاسناد المتصل الى المؤلف هى سلسلة الوحيدة اشتهرت فى انحاء العالم الاسلامى و عمت .

ثم جمع الخطيب التبريزى فى كتاب رجال المشكاة و سماه الاكمال فى اسماء الرجال و هذا الكتاب مشتمل على بابين :

الباب الاول فى ذكر الصحابة ذكرهم و اناثهم و من بعدهم من التابعين و غيرهم من له ذكر او رواية فى كتاب المشكاة مرتب على حروف التهجى و اذكر الكنية ممن اشتهر بها فى حروف الكنية دون حرف اسمه فى حروف الاسم مثل ابى هريرة اسمه عبد الله او عبد الرحمن اذكره فى حرف الهاء لا فى حرف العين .

و الباب الثانى فى ذكر من لهم الاصول من المذكورين فى اول المشكاة و غيرهم و ان لم تذكرهم فى اولها رضوان الله عليهم اجمعين .

و قال فى آخره :

فرغت من هذه تصنيفاً يوم الجمعة عشرين رجب الحرام الفرد سنة اربعين و سبعمائة (لم يأت بعد ذلك خبر عن المؤلف و المظنون انه مات بعد ذلك و قد جزم اسماعيل باشا فى ترجمته من كتابه هدية العارفين طبع استنبول ١٩٥٥م ج ٢ ص ١٥٦ بان تاريخ وفاته سنة تسع و اربعين و سبع مائة و هو خطأ منه حيث لم يذكره مؤرخو صاحب الترجمة سواه) من جمعه و تهذيبه و تشذيبه و انا اضعف العباد الراجى الى عفو الله تعالى و غفرانه محمد بن عبيد الله (عبد الله) الخطيب بن محمد بمعاونة شيخى و مولائى سلطان المفسرين امام المحققين شرف الملة و الدين حجة الله على المسلمين الحسين ابن عبد الله بن محمد الطيبى متعوم الله بطول بقائه ثم عرضته عليه كما عرضت المشكاة فاستحسنه كما استحسنها و استجادها و الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على محمد و آله و اصحابه اجمعين.

و الاكمال مختصر مفيد و قد فاته اسماء و نبه عليها الملا على القارى فى شرحه و قد طبع الاكمال بالهند مع المشكاة مرة بعد أخرى .

و ان فيما الفه لدليلا واضحاً على معرفته بصناعة الحديث و سعة علمه و وفور فضله و حسن نيته .

اما نسخة المشكاة بخط مؤلفه كانت موجودة الى سنة خمس و خمسين و تسع مائة ثم تلفت كما قال المؤرخ عبد الله محمد بن عمر الشهير بالحاج الدبير الاصفى الغخانى المكى فى ذكر مربيه عبد العزيز آصف خان المتوفى ٩٦١ه من كتابه ظفر الواله بمظفر و آله (ج ٢ ص٢٨٨-٢٨٩ ، لندن ١٩١٠م) ما نصه : =

و قد استفاد من الشيخ العالم الكبير عبد الله الهندى الشهير بمخدوم الملك (٤٣)

= "و فى سنة خمس و خمسين وصل الى گجرات ولى نعمتى و صاحب تربيتى بركتى المسند العالى عبد العزيز آصف خان و به شكراً له بل و فخراً ضممت الى اسمى فى النسبة آصفى ،

و كان سبب قدومه من مكة المشرفة طلب السلطان له . . . . فسافر (آصف خان) الى الهند و كان البحر شديداً فتغير المركب على البذر المعروف بتكلوربتن . . . . فلما وضع قدمه على ساحل السلامة سجد شكراً لله و لو سكن البحر قليلا خرج من الاسباب ما سلم منه و ما اسف آصف خان الا على كتبه و على سيف من حديد الصاغة كان فى جملة ذخائر صاحب مكة سلطان الحجاز ابى يمنى محمد بن بركات آثره به لمحبته خلصت بينهما . . . . و هكذا اسف على فرس من ذخائره كان من نتاج الخيل العتاق الطويبة الحائز راكبها قصب الرهان على عادة العرب فى المسابقة و مع اسفه على الكتب كان اشد اسفاً على كتاب المشكاة بخط جامعه ولى الدين الخطيب التبريزى شكر الله سعيه فى جمعه"

(٤٣) قال السيد عبد الحى الحسنى فى ترجمته من كتابه نزهة الخواطر ج ٤ ص ٢٠٦ ما نصه :

الشيخ العالم الكبير عبدالله بن شمس الدين الانصارى السلطانفورى المشهور بمخدوم الملك كان اصله من بلدة تته من بلاد السند انتقل جده منها الى جالندهر و ولد عبد الله بسلطانفور من بلاد فنجاب و اشتغل بالعلم من صباه و سافر الى سرهند فقرأ الكتب الدرسية على العلامة عبد الله السرهندى ثم دخل دهلى و اخذ الحديث عن الشيخ ابراهيم بن المعين الحسينى الايرجى ثم رجع الى بلدته و اشتغل بالتدريس و التصنيف و التذكير و حصل له القبول العظيم فولاه همايون شاه التيمورى شياخة الاسلام فاستقل بها فى ايامه و ايام فترته الى اوائل عهد ولده اكبر شاه ، و كان الملوك و السلاطين كلهم يكرمونه غاية الاكرام و يتلقون اشاراته بالقبول حتى إن شير شاه لقبه بصدر الاسلام و ابنه سليم شاه كان يجلسه على سريره و يعرض عليه النذور الثمينة و لما رجع همايون شاه من ايران و جلس على سرير الملك مرة ثانية لقبه بشيخ الاسلام و لقبه اكبر شاه بمخدوم الملك و جعل وظيفته مائة الف دام ،

و استمر على ذلك سنين ثم لما دس الشيخ مبارك بن خضر الناگورى فى قلب اكبر شاه انه مجتهد فى المذهب لا ينبغى له تقليد الصدور و القضاة امر باخراجه الى الحرمين الشريفين فسافر الى الحجاز سنة سبع و ثمانين و تسع مائة فلما وصل الى مكة المباركة استقبله اكابر العلماء بمكة و تلقاه الشيخ شهاب الدين احمد بن حجر المكى اجلالاً و تعظيما فاقام بمكة مدة من الزمان ثم عاد الى الهند و لما وصل الى گجرات توفى بها مسموماً .

قال البدايونى انه كان من فحول العلماء رأسا فى الفقه و الاصول والتاريخ والحديث وسائر=

السلطانفوری حیث قال فی رسالته فی تحقیق احوال المهدی ما نصه حرفیاً :

"انی سمعت الشیخ العلامة والمفید الفهامة الشیخ عبدالله الهندی الشهیر بمخدوم الملك بین الخاص و العام (٤٤)"

و اخذ الطریقة العلیة النقشبندیة و القادریة و الچشتیة و غیرها عن مشائخ عصره و لازمهم و اجتهد فی اداء حق خدمتهم و نال ما نال و اقر بولایته الخاص و العام و اشتهر فضله فی الانام قال الشیخ مستقیم زاده سلیمان سعد الدین افندی المتوفی ١٢٠٢ھ فی کتابه تحفة خطاطین بالترکیة

"کان المولی علی حنفیاً مذهباً و نقشبندیاً مشرباً (٤٥)" .

و تعلم الخط عن الخطاط المشهور الشیخ حمد الله الاماسی (٤٦) و برع فی خط الثلث

= العلوم النقلیة وکان شدید التعصب علی اهل البدع و الاهواء لا سیا علی الشیعة ، قال وانه کان یقول ان روضة الاحباب لیست من مصنفات الامیر جمال الدین المحدث وکان یستشهد بشعر فی منقبة سیدنا علی رضی الله عنه اورده الجمال المجلد الثالث من ذلك الکتاب .

هبین بس بود حق نمائی او   که کردند شك در خدائی او

ثم التفت الی و قال انظر کیف بالغ فی مدحه حتی جاوز عن الرفض الی عقیدة الحلول، اعاذنا الله سبحانه منها ، فقلت له هذا ماخوذ من قول الشافعی حیث قال :

لو ان المرتضی ابدی محله   لصار الناس طراً سجداً له

کفی فی فضل مولانا علی   وقوع الشك فیه انه الله

فنظر الی شزراً و نازعنی فی صحة النقل فقلت له نقلها المیر حسین المیبذی فی شرح دیوان الشعر لسیدنا علی رضی الله عنه فقال ان المیبذی ایضا متهم بالرفض فقلت له انی سمعت من بعض الثقات ان المجلد الثالث من روضة الاحباب لیس من مصنفات الامیر جمال الدین المحدث بل لابنه میرك شاه فقال انی وجدت فی المجلد الثانی ایضاً بعض المناکیر فعلقت علیها الحواشی انتهی ·

و للشیخ عبد الله مصنفات عدیدة منها : کشف الغمة و منهاج الدین و عصمة الانبیاء شرح الحافظیة و رسالة فی تفضیل العقل علی العلم و له غیر ذلك من الرسائل .

توفی بارض گجرات مسموماً سموه بامر اکبر شاه، کما صرح به الخوافی فی "مآثر الامراء" و کان ذلك سنة تسعین او احدی و تسعین و تسع مائة .

(٤٤) راجع رسالته فی تحقیق احوال المهدی الورقة ٤٣ ضمن مجموعة رسائله المخطوطة فی مکتبة الکلیة الشرقیة بپشاور .

(٤٥) تحفة خطاطین ص ٣٢٤ ، استنبول ١٩٢٨م .

(٤٦) هو الشیخ حمد الله بن الشیخ مصطفی وده الاماسی المعروف بابن الشیخ، هاجر=

و النسخ براعة تامة و كان يكتب خط النسخ و الثلث بغاية الجودة و الحلاوة و يعيش من كسب يديه و يأكل من شغل الكتابة قال الشيخ محمد طاهر بن عبد القادر الكردى المكى فى كتابه "تاريخ الخط العربى و آدابه"!

"كان يكتب الخط الحسن و الغالب انه اخذ الخط عن الشيخ حمد الله الاماسى و كان يكتب فى كل سنة مصحفاً واحداً و يبيعه و يصرف ثمنه على نفسه طول السنة (٤٧)"

وقال الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوى فى ترجمة على المتقى من كتابه "زاد المتقين":

"كان رجلا من اهل العجم ، جميل الخط يقال له الملا على القارى اشترى منه الشيخ على المتقى نسخة من تفسير الجلالين التى كتبه بخطه الحسن باثنى عشر جديدة اعترافاً بفضله و اهليته و نظراً الى حاجته و هو يقول فى حقه انه اتعب نفسه فى الاجادة فى الكتابة و هو احق ان تشترى باغلى مما دفعته مع انه كان يوجد فى ذلك الايام نسخة واحدة من تفسير الجلالين بخط اهل مكة بجديد واحد انتهى (٤٨) ما نقله السيد صديق حسن القنوجى فى ترجمة الشيخ على المتقى من كتابه "اتحاف النبلاء المتقين عن زاد المتقين"

= والده المذكور من بخارى الى اماسية وتوطن بها ولد الشيخ حمد الله سنة ٨٤٠هـ فطلب العلم ثم رغب فى الاشتغال بالخط فاخذ عن الاستاذ خير الدين المرعشى و كان فى عهد السلطان سليم خان و عهد السلطان سليمان خان وكان غالب الخطاطين يتبعون قواعده و طريقته فى الخط فانه نبغ نبوغاً عظيماً فيه و له آثار خطية كثيرة فقد كتب سبعاً و اربعين مصحفاً بين كبير و صغير و كتب مشارق الانوار و كتب نحو الف نسخة من سورة الانعام و الكهف و جزء عم و كتب كثيراً من الرقعات و القطعات و كتب فى محراب جامع السلطان بايزيد و على قبته و على الباب الاوسط منه الى غير ذلك . . . . و بلغ من العمر ١١٠ سنة و دفن باسكدار و قد ذكرت ترجمته فى كثير من الكتب المؤلفة باللغة التركية (كدوحة الكتاب) و كتاب (هنروران) و كتاب (گلزار صواب) اه مترجما باختصار من التحفة انتهى من تاريخ الخط العربى و آدابه تاليف محمد طاهر الكردى مصر سنة ١٣٥٨هـ ص ٣٢١ .

(٤٧) و ايضاً ص ٢٩٢ .

(٤٨) و فيما يلى نصه بالفارسية :

در زاد المتقين بذكر شيخ على متقى نوشته كه مردے بود از اهل عجم خوش خط او را ملا على قارى گويند بملاحظه فضيلت و اهليت و افلاس او تفسير جلالين بدوازده جديده خريدند و هنوز مى گفتند كه عجائب مشقت كشيده است بزياده مى توان گرفت و تفسير مذكور بخط اهل مكه بيك جديد بهم مى رسد انتهى ، اتحاف النبلاء المتقين بمآثر الفقهاء المحدثين ص ٣٢٦ مطبع نظامى كان پور سنة ١٢٨٨هـ .

و قد رأيت بنفسي المصحف بخط الشيخ على القارى عند العالم الكبير الشيخ محمد هاشم المجددي بٹنڈو سائين داد بالسند في باكستان الغربية في سنة ١٣٧٧ھ.

ظل المولى على القارى قانعا بما يحصل من بيع كتبه و غلب على حاله الزهد و العفاف و الرضى بالكفاف و كان قليل الاختلاط بغيره ، و كثير العبادة و التقوى ، شديد الاقبال على عالم السر و النجوى ،

و قد اكب المولى على القارى منذ بلغ رشده على الاستفادة و الطلب و لازم اكابر العلماء حتى حذق في فن الاصول و الحديث و التفسير و التصوف و المعقول و فاق اقرانه و صار اماما شهيرا و علامة كبيرا نظارا متضلعا في كثير من العلوم العقلية و النقلية متمكنا بفن الحديث و التفسير و القرآت و الاصول و الكلام و العربية و سائر علوم اللسان و البلاغة مع الاتقان في كل ذلك و الاحاطة باسرارها و معرفة محاسنها و غوامضها و تحرير عويصاتها و حل مشكلاتها و ارتقى الى رتبة الكملاء الراسخين من العلماء و اجتمع فيه من الكمال ما تضرب به الامثال و قد ذكر المؤرخون له اوصافا كثيرة فقال محمد امين بن فضل الله الدمشقي المحبي المتوفى ١١١١ھ في "خلاصة الاثر في تراجم اعيان القرن الحادى عشر".

"على بن محمد سلطان الهروى المعروف بالقارى نزيل مكة احد صدور العلم فرد عصره ، الباهر السمت في التحقيق و تنقيح العبارات ، شهرته كافية عن الاطراء في وصفه" (٤٩).

و قال عبد الملك بن حسين العصامى المكى الشافعى في سمط النجوم و العوالى في انباء الاوائل و التوالى .

"الشيخ الملا على . . . . الجامع للعلوم العقلية و النقلية و المتضلع من السنة النبوية ، احد جماهير اولى الحفظ و الافهام" (٥٠) .

و ذكر السيد صديق حسن القنوجى في ترجمة الملا على القارى من كتابه "اتحاف النبلاء المتقين" قال السيد محمد بن ابى بكر الباعلوى في ترجمته من كتابه "عقدالجواهر و الدرر".

"هو الجامع للعلوم العقلية والنقلية والمتضلع من السنة النبوية واحد علماء الاعلام وجماهير اولى الحفظ و الافهام" (٥١) .

و قال عنه حافظ العصر العلامة الشيخ محمد عابد السندى ثم المدنى المتوفى ١٢٥٧ھ في كتابه "المواهب اللطيفة على مسند الامام ابى حنيفة".

الشيخ العلامة ، الحبر الفهامة ، الشيخ على القارى" (٥٢) .

---

(٤٩) خلاصة الاثر ج ٣ ص ١٨٥ مصر سنة ١٢٨٤ھ.

(٥٠) سمط النجوم العوالى ج ٤ ص ٣٩٤ .

(٥١) اتحاف النبلاء المتقين ص ٣٢٥ .

(٥٢) المواهب اللطيفة على مسند الامام ابى حنيفة الورقة ٢ وقد رأينا منه نسخة خطية بخط =

و قال عنه الشيخ العلامة ابو الحسنات محمد عبد الحي اللكهنوى المتوفى ١٣٠٤هـ فى مقدمة كتابه "التعليق الممجد على موطأ محمد :

"صاحب العلم الباهر و الفضل الظاهر على القارى الهروى ثم المكى" (٥٣) .

و قال ايضاً فى مقدمة "السعاية فى كشف ما فى شرح الوقاية" :

"هو محدث جليل و محقق نبيل" (٥٤) .

و قال الشيخ العالم الفقيه حسين بن محمد سعيد عبد الغنى المكى الحنفى فى كتابه "ارشاد السارى الى مناسك الملا على قارى" ما نصه :

"على بن سلطان محمد القارى، علامة زمانه و واحد عصره و اوانه ، والمتفرد الجامع لانواع العلوم العقلية و النقلية المتضلع من علوم القرآن و السنة النبوية و عالم بلاد الله الحرام و المشاعر العظام و احد جماهير الاعلام و مشاهير اولى التحقيق و الافهام" (٥٥) .

و قال المحقق المحدث البارع الشيخ محمد ادريس الكاندهلوى فى مقدمة كتابه "التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح".

"المحدث الجليل و الفاضل النبيل ، فريد دهره و وحيد عصره الشيخ نور الدين على بن سلطان محمد الهروى القارى" (٥٦) .

كان المولى على القارى الحنفى دينا ، تقيا ، ورعا ، فقيها ، بارعا ، واسع الرواية ، واسع الدراية و كان يتمتع بحرية تامة يعمل و يقول بما صح له من الدليل فى الكتاب و السنة و الاجماع و يرد ما يجد خلافا لها مهما كان القائل به صغيرا او كبيرا ، اماما او مجتهدا و يبين خطأه و ينصر قولاً واحدا يوافق القرآن و الحديث و الاصول و هذا كان دأبه فى المباحثات فالب عليه بعض معاصريه من المالكية و الشافعية و بلغ بهم التعصب الى حد انهم نهوا عن مطالعة تصانيفه و النظر فى كلامه قال المحبى فى "خلاصة الاثر".

"لكنه امتحن بالأعتراض على الأئمة لاسيما الشافعى و اصحابه رحمهم الله تعالى و اعترض

= المؤلف فى مكتبة صاحب العلم الرابع (كتب خانه پير جهنڈو سيد محب الله شاه) بالسند ، و نسخة ناقصة عند محب العلم و اهله الشيخ بشير محمد مدير كارخانه تجارت كتب بكراتشى اطال الله بقاؤه.

(٥٣) التعليق الممجد على موطأ محمد ص ١٩ المطبعة اليوسفى لكهنؤ بالهند سنة ١٣٤٦هـ .

(٥٤) (مقدمة) السعاية فى كشف ما فى شرح الوقاية ص ٣٩ ، المطبعة المصطفائية لكهنؤ بالهند سنة ١٣٠٦هـ .

(٥٥) ارشاد السارى الى مناسك الملا على القارى ص ٥ .

(٥٦) التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح (مقدمة ص ٦ طبع دمشق) .

على الأمام مالك فى ارسال اليد فى الصلاة و الف فى ذلك فانتدب لجوابه الشيخ محمد مكين و الف رسالة جوابا له فى جميع ما قاله و رد عليه اعتراضاته" (٥٧).

و قال المؤرخ عبد الملك العصامى:

"امتحن بالاعتراض على الأئمة لاسيما الشافعى و اصحابه و اعترض على الامام مالك فى ارسال يديه و لهذا تجد مؤلفاته ليس عليها نور العلم و من ثمة نهى عن مطالعتها كثير من العلماء و الأولياء" (٥٨).

و لا يخفى ان اختلاف العلماء فى الشريعة الاسلامية على درجات قال حمد بن محمد الخطابى المتوفى ٣٨٨ﻫ:

"و قد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اختلاف امتى رحمة و الاختلاف فى الدين ثلاثة اقسام:

احدها فى اثبات الصانع و وحدانيته و انكار ذلك كفر.

و ثانيها فى صفاته و انكارها بدعة.

و ثالثها فى احكام الفروع المحتملة وجوها فهذا جعله الله تعالى رحمة و كرامة" (٥٩).

و يقول النووى:

"حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اختلاف يؤدى الى الكفر و البدعة كاختلاف اليهود و النصارى و ذلك مثل الاختلاف فى نفس القرآن او فى معنى لا يسوغ الاجتهاد فيه او فيما يوقع فى شك و شبهة و فتنة و خصومة و اما الاختلاف لاستنباط فروع فى الدين منه (؟) و مناظرة اهل العلم فيه على سبيل الفائدة و اظهار الحق فليس بمنهى عنه بل هو مامور به و فضيلته ظاهرة و قد اجمع المسلمون عليه من عهد الصحابة الى الآن" (٦٠).

و قد قال المولى على القارى عين ما قاله الخطابى و النووى فذكر فى شرح حديث "اتبعوا السواد الاعظم" ما نصه:

"يعبر به عن الجماعة الكثيرة و المراد ما عليه اكثر المسلمين و قيل هذا فى اصول الاعتقاد كاركان الاسلام.

---

(٥٧) خلاصة الاثر ج ٢ ص ١٨٦.

(٥٨) سمط النجوم العوالى ج ٤ ص ٣٩٤.

(٥٩) مرقاة المفاتيح ج ٥ ص ٤٩٩ طبع مصر.

(٦٠) ايضاً ج ١ ص ١٨٩.

و اما فى الفروع كبطلان الوضوء بالمس مثلا فلا حاجة فيه الى الاجماع بل يجوز اتباع كل واحد من المجتهدين كالائمة الاربعة و ما وقع من الخلاف بين الماتريدية و الاشعرية فى مسائل فهى ترجع الى الفروع فى الحقيقة فانها ظنيات فلم تكن من الاعتقاديات المبنية على اليقينيات بل قال بعض المحققين الخلاف بينها فى الكل لفظى" (٦١).

و ثبت بتصريح المولى على القارى هذا و نقله عن الخطابى و النووى انه كان واسع الصدر فى المسائل الخلافية و عنده يسوغ الاختلاف فى الفروع بل صرح فى موضع آخر ان براعة الرجل على اقرانه فى فن من الفنون علامة الاجتهاد حيث قال:

"و الصواب ان كل من فاق على اقرانه فى فن من العلوم الشرعية من غير اختصاص بالفروع الفقهية فهو من الائمة المجتهدين و العلماء الراسخين الكاملين المكملين" (٦٢).

و لا شك ان جلالته فى العلوم الشرعية و طول باعه فى الفنون النقلية يدل على كونه من العلماء الراسخين و لله در محدث الديار اليمانية شيخ الاسلام محمد بن على الشوكانى حيث جعل خلافه مع الائمة دليلا ناصعا على اضطلاع المولى على القارى بالحديث و الفقه و الكلام و كونه مجتهدا فيها فقال بعد ايراده كلام العصامى المذكور آنفاً ما لفظه:

"و اقول هذا دليل على علو منزلته فان المجتهد شأنه ان يبين ما يخالف الادلة الصحيحة و يعترضه سواء كان قائله عظيما او حقيرا:

تلك شكاة ظاهر عنك عارها (٦٣).

و قال امام اهل الحديث فى الهند بلا مدافعة السيد صديق حسن القنوجى فى "اتحاف النبلاء" بعد قول العصامى المذكور ما نصه:

"يقول كاتب هذه السطور وقد كتب المولى على القارى فى رد من اورد عليها وهو موجود عندى بل عندى من مؤلفاته من كتب الفقه و الحديث زهاء اربعين كتابا و كل كتاب من تصانيفه دال على غاية تحقيقه و مشاركته فى ذلك العلم و سائر مؤلفاته متلقاة بالقبول و متداولة بين اهل العلم فلا معنى لقوله "ليس عليها نور العلم" بل قل من خرج من الحنفية فى هذا العصر مثل على القارى المنصف المحقق .... و له اليد الطولى فى تحقيق الفقه والحديث و التدقيق فى علوم الكلام و المعقول ، و اما اعتراضه على الامام مالك فى ارسال اليدين فى الصلاة و على بعض اصحاب الشافعى فى بعض المسائل فلم يكن

(٦١) مرقاة المفاتيح ج ١ ص ٢٠٥.
(٦٢) ايضاً ج ١ ص ١٨٨.
(٦٣) البدر الطالع ج ١ ص ٤٤٣-٤٤٥ طبع مصر.

مبنيا على العصبية و مجرد الهوى بل لوضوح الادلة خلافها و مثل هذا الاختلاف يوجد فى المتقدمين والمتاخرين من العلماء قديماً وحديثاً ولم يكن خاصا به انتهى كلامه" (٦٤).

---

(٦٤) فيما يلى نصه بالفارسية :
محرر سطور گويد ملا على قارى را جواب الجواب اين رسالها و از تصانيف او قريب چهل رساله بخط خاص وے در فقه و حديث نزد فقير ست . . . . همه تواليفش مقبول ست و در اهل علم متداول پس نبودن نور علم بران يعنى چه بلكه در فقهائے حنفيه كم كسے مثل او منصف مزاج محقق طبع درين دور برخاسته . . . . و در تحقيق فقه و حديث و دريافت علوم كلام و معقول يد طولى دارد از هر كتاب او رتبهٔ تحقيق نمايان ست دستگاه او دران علم عيان و اعتراض او بر ارسال مالك و اصحاب شافعى در بعض مسائل نه از راه عصبيت و هواست بلكه بر بنا وضوح ادله بر خلاف آن و اين قسم اختلاف در جميع اصناف علماء قديماً و حديثاً موجود ست مخصوص بوے نيست" اتحاف النبلاء المتقين ص ٣٢٥-٣٢٦ .

و لكن يقول ابو الحسنات محمد عبد الحى اللكهنوى فى كتابه التعليق الممجد على موطأ محمد ما نصه :

"وتصانيفه كلها جامعة مفيدة حاوية على فوائد لطيفة ولولا ما فى بعضها من رائحة التعصب المذهبى لكان اجود و اجود".

و مع هذه التاليفات القيمة و تحقيقات البديعة ربما لا يفى البحث حقه و لا يشبع القول فى المسئلة فى بعض تاليفه و لذا يشكو صنيعه هذا الشيخ المحدث الفقيه محمد حسن السنبلى المتوفى سنة ١٣٠٥ﻫ فى كتابه تنسيق النظام فى مسند الامام فى شرح قوله صلى الله عليه وسلم :

"انصرف النبى صلى الله عليه وسلم من صلاة الظهر او العصر فقال من قرأ منكم بسبح اسم ربك الاعلى فسكت القوم حتى سأل عن ذلك مرارا فقال رجل من القوم انا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد رأيتك تنازعنى او تخالجنى القرآن" ما نصه :

"ان القارى الحنفى حالة عجيب جدا يورد و ينقل الروايات الموافقة و المخالفة رطباً و يابساً صحاحاً و ضعافاً و لا ينقح الاحاديث و لا يميز بينها و لا يرفع التدافع و التعارض و لا يحملها على محامل صحيحة لا على مقتضى مذهبه و لا على غيره مع تصلبه فى مذهب الحنفية فاورد ههنا مع الرواية الاولى رواية ابن حبان عن انس فى قراءة الفاتحة خلف الامام و منع غيرها و رواية ابىداود عن عبادة نحو ذلك و رواية احمد وعبد بن حميد و ابى يعلى و ابن ماجه فى قراءة الفاتحة سراً و رواية ابىهريرة فى قراءة الفاتحة فى سكتات الامام و رواية الترمذى و ابىداود و عن عبادة فى وجوب الفاتحة خلف الامام ايضاً فى الجهرية ايضاً و لم يجب بعد هذا الايراد بشيء و سكت عنه و مع الرواية الاخيرة رواية الحاكم =

و هذا يثبت ان ما قاله محمد مكين و غيره من معاصريه فى حقه ما هو الا ناتج عن تعصب محض و الخلاف الناشئ عن المعاصرة اما لمنافسة دنيوية او عصبية مذهبية و المثل السائر يقول المعاصرة سبب المنافرة و لذا قال ابن حجر العسقلانى :

"ان قول الاقران بعضهم فى بعض غير مقبول و ما علمت عصرا سلم اهله من ذلك غير عصر الصحابة و التابعين" (٦٥) انتهى كلامه .

اما مسئلة الارسال فلا يخفى انه قول ضعيف عند عامة اهل العلم و حاشا على القارى ان يتكلم فى حق الامام مالك بما هو برىء منه .

و اما اعتراضه على الشافعى فقال فيه الشيخ جميل بك العظم فى كتابه "عقود الجوهر فى تراجم من لهم خمسون تصنيفا فمائة فاكثر" ما نصه :

"قلت اما تعرضه للاعتراض على الشافعى ففيه نظر بدليل انه الف رسالة رد بها على من نسبه الى تنقيص الامام الشافعى و الاعتراض عليه و انما الف رسالة سماها "تشييع فقهاء الحنفية لتشنيع سفهاء الشافعية" رد بها على من افغر فاه من الشافعية فى التنكيت على مذهب الامام الاعظم بل على الامام ذاته" (٦٦) .

و قد بين المولى على القارى تفصيل هذه القضية فى اول رسالته تشييع فقهاء الحنفية لتشنيع سفهاء الشافعية ما نصه حرفيا .

"فلما رأيت فى بعض الرسائل الشافعية طعناً شنيعاً و قدحاً فذيعاً بالنسبة الى الائمة الحنفية كتبت رسالة للرد عليهم فى هذه القضية و سميتها تشييع فقهاء الحنفية لتشنيع سفهاء الشافعية و انتشرت تلك الرسالة بين الفقهاء و السفهاء المكية و تحرك لبعضهم

= عن عبادة فى وجوب قراءة الفاتحة خلف الامام ايضاً فلعله فهم ان هذه الروايات مؤيدة بما رواه عن هذه الكتب حتى لم يجب عنه بشىء و هذا عجيب عن مثله و نحن نشمر الذيل للجواب عنه من قبل الحنفية فيما سيأتى".

قلت وقد لا ينشط الرجل للبحث بل يكتفى بالسرد دون الانتقاد ، و شرح مسند الامام شرح متوسط لم يلزم فيه بسرد جميع ما فى الباب و الانتقاد و ليس هذا دأبه فى سائر تاليفه فقد بسط فى شرح المشكاة بسطاً و اتى فى المباحث بما لها و ما عليها .

(٦٥) قال المحبى فى خلاصة الاثر (ج ٢ ص ٤٦٤) بعد نقل هذا الكلام :

"قلت و فى قوله غير عصر الصحابة و التابعين تأمل اذ لم يسلموا ايضاً من ذلك كما يعرفه من طالع سيرهم فالظاهر العموم و لعل كلامه مبنى على الاكثر و الغالب لقلته فيهم بالنسبة لمن بعدهم و الله اعلم".

(٦٦) عقود الجوهر فى تراجم من لهم خمسون تصنيفاً فمائة فاكثر ص ٢٦٤ بيروت سنة ١٣٢٦هـ .

عرق الجاهلية فقامت عليهم القيامة و اطالوا علينا لسان الملامة من بين سفيه منتن صائح فى الأسواق و اوساط الزقاق الا ان فلاناً سب الشافعى و طعن فى اصحاب مذهبه من النووى و الرافعى .... لما عجزوا عن المقاومة معى بالبحث فى الكلام .... جرى بين عموم الناس الجدال وكثرة القيل والقال حتى كاد ان يقع القتال فتذكرت قول المستضعفين من المتقدمين فقلت ربنا لا تخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها و اجعل لنا من لدنك ولياً و اجعل لنا من لدنك نصيرا فتولى امرى رعايتى شيخ الحرم المحترم ذو الشمائل السنية السنينة و الفضائل الرضية البهية مولانا بدر الدين حسن احسن الله اليه بانواع المنن و قام بنصرتى و حمايتى مولانا الاعظم و المقتدى الافخم زبدة المحققين و عمدة المدققين صاحب التصانيف المفيدة و التآليف المجيدة المستقيمة على جادة طريق النبوى و المقيم على سجادة سبيل المصطفوى مولانا القاضى حسين (٦٧) كفوى (الكفوى) جمع

---

(٦٧) قال عنه المؤرخ محمد المحبى المتوفى سنة ١١١١ھ فى كتابه خلاصة الأثر فى اعيان القرن الحادى عشر ج ٢ ص ١٢١-١٢٢ ما نصه :

حسين (بن رستم) الكفوى (الرومى الحنفى) احد موالى الروم المشهورين بالفضل و البراعة ذكره ابن نوعى و اثنى عليه كثيرا ثم قال قدم الى قسطنطينية و لزم داود زاده قاضى المدينة و لازم منه و درس الى ان وصل الى المدرسة السليمانية ثم ولى منها قضاء القدس فى شعبان سنة سبع بعد الالف ثم وجه اليه قضاء مكة فى شوال سنة ثمان بعد الالف ثم عزل فى صفر بن سنة عشرة و كان صاحب لطائف و فضائل و هو النبل ارباب المعارف فى عصره لم تزل لطائفه متداولة و اشعاره و آثاره شائعة .

و من تاليفاته الجليلة تعليقاته على البخارى و مسلم و شرح الكلستان بالتركية يتعرض فيه بشارحيه سرورى و شمعى و له كتاب فالنامه يذكر فيه غرائب وقائع وقعت لمن تفاءل بالقرآن و ديوان حافظ و غيرهما وهو اثر لطيف رأيته و طالعته و نقلت منه اشياء فمن ذلك ما حكاه عن قطب العارفين يعقوب الچرخى انه ذكر فى بعض مصنفاته ان العناية الالهية ساقته الى خدمة الخوجة بهاء الدين نقشبند قال فرأيت من كرمه اليهم غاية الالتفات و ظهر لى انه من خواص الاولياء و انه كامل مكمل فتفاءلت فى شأنه من المصحف فورد قوله تعالى اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده و حكى انه لما توفى المولى سنان محشى البيضاوى و الهداية اخذ بعض ارباب القلوب المصحف وتفاءل فيه على حسب حال المولى سنان فورد قوله تعالى و لقد اصطفيناه فى الدنيا و انه فى الآخرة لمن الصالحين .

و حكى عن نفسه قال كنت عزمت على الرحلة من بلدتى الكفة فى سنة خمس و ثمانين الفا و والدتى لكن ترددت هل اذهب بحرا او برا و تشعبت فى المخيلة وساوس الخوف من الغرق او كثرة التعب فتفاءلت من القرآن فورد قوله تعالى قال لا تخافا اننى معكما اسمع وارى ثم اعقبت فلك

الله له بين الانعام الدنيوى و الاكرام الاخروى بان اظهر لهم سيفاً حدا قاطعاً لامعاً و صار بينى و بينهم حدا جامعاً مانعاً و ماذاك منها كان الله لها و فى عيونها الا لقوة دولة ظل الظليل السلطانى و الجالة السيف البرهانى ادام الله دولته و نصرة احباله على اعداء الدين من الكافرين و الظالمين و لرعاية مولانا حامى اهل الحرمين الشريفين و حادى سكان المقامين المنيفين حفظه الله عن آفات الدارين بحرمة سيد الثقلين فحمدت الله على ذلك و شكرته فى الثبات لما هنالك و رأيت الاعداء بعدها هابوا و خابوا بين مخزى و هالك كما قال قائل :

الحمد لله راح الباغضون و هم بكيدهم فى اعتذار لا يفيدهم

و قال المحبى "فى خلاصة الاثر" :

"و اعجب من ذلك ما نقله عنه السيد محمد بن عبد الرسول البرزنجى الحسينى فى كتابه سداد الدين فى اثبات النجاة للوالدين انه شرح الفقه الاكبر المنسوب الى الامام ابى حنيفة رحمه الله تعالى و تعدى فيه طوره فى الاساءة فى حق الوالدين ثم انه ما كفاه ذلك حتى الف فيه رسالة (٦٨) فليته اذ لم يراع حق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث اذاه بذلك حتى الف فيه رسالة و قال فى شرحه للشفا متبجحا و مفتخرا بذلك لبيان شرف المصطفى صلى الله عليه وسلم".

= بتفاءل آخر فوردا لم تر ان الله سخر لكم ما فى الارض والفلك تجرى فى البحر بامره فتيمنت بالفال و ركبنا البحر فوصلنا سالمين بعون الله تعالى و حكى ان المولى معروف احد الموالى العظام الاخيار قال رأيت ليلة رؤيا عظيمة سررت بها كثيرا فلما استيقظت اخذت افكر فيها هل هى من قبل الرحمن او من جانب الشيطان فتفاءلت فى الجامع الصغير للسيوطى فورد قوله صلى الله عليه وسلم رؤيا المؤمن الصالح بشرى من الله و هى جزء من خمسين جزءا من النبوة انتهى .

و كان وقع بينه و بين نكسارى زاده محاورة الف فيها رسالة و طعن عليه فيها و كان فى علم الموسيقى نهاية وله اغانى ربطها مقبولة متداولة وكانت وفاته فى سنة عشرة بعد الالف رحمه الله تعالى.

(٦٨) و الحق ان هذه المسئلة كانت من المسائل التى ليس فيها جدوى و السكوت فيها اليق و احرى و لذا قال شاه عبد العزيز الدهلوى فى رسالته العجالة النافعة ما نصه :

ثم المسائل النادرة كاسلام ابوى النبى صلى الله عليه وسلم و روايات المسح على الرجلين عن ابن عباس و امثالها من النوادر اكثرها تخرج من هذه الكتب (اى من كتب الطبقة الرابعة) حتى ان غالب بضاعة الشيخ جلال الدين السيوطى و رأس ما له فى تصنيف الرسائل و نوادرها هى الكتب المشار اليها فالاشتغال باحاديثها و استنباط الاحكام منها لا طائل تحته و مع ذلك من كانت له رغبة فى تحقيقها فعليه بميزان الضعفاء للذهبى و لسان الميزان للحافظ ابن حجر العسقلانى".

الحطة فى ذكر صحاح الستة ص ٥٨ المطبع النظامى ، كان پور ١٢٨٣هـ

و قد اختار المولى على القارى هـذا القول بما ورد فى روايـة صحيحة عن ابىهريرة رضى الله عنه انه قال زار النبى صلى الله عليه وسلم قبر امـه فبكى و ابكى من حولـه فقال استاذنت ربى فى ان استغفر لها فلم يؤذن لي و استاذنته فى ان ازور قبرها فاذن لى فزوروا القبور فانهـا تذكر الموت رواه مسلم حيث قال فى شرح هذا الحديث :

"ذكر ابن الجوزى فى كتاب الوفاء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاة ابيه كان مع امه آمنـة فلما بلغ ست سنين خرجت بـه الى اخوالها بنى عـدى بن النجار بالمدينة تزورهم و منهم ابو ايوب ثم رجعت بـه الى مكة فلما كانوا بالابواء توفيت فقبرهـا هناك و قيل لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة زار قبرها بالابواء ثم قام مستعبرا فقال انى استأذنت ربى فى زيارة قبر امى فاذن لى و استاذنته بالأستغفار لها فلم يأذن لى و نزل "ما كان للنبى و الذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين و لو كانوا اولى قربى" الآية.

و اغرب ابن حجر حيث قال و لعل حكمة عـدم الاذن فى الاستغفـار لهـا اتمام النعمة عليه باحيائها له بعد ذلك حتى تصير من اكابر المؤمنين او الأمهال الى احيائها لتومن به فتستحق الاستغفار الكامل حينئذ اه.

و فيه ان قبل الايمان لا تستحق الاستغفار مطلقاً ثم الجمهور على ان والديـه صلى الله عليه وسلم ماتا كافرين و هذا الحديث اصح ما ورد فى حقهما و اما قول ابن حجر و حديث احيائهما حتى آمنا به ثم توفيا حديث صحيح و ممن صححه الامام القرطبى و الحافظ ابن ناصر الدين فعلى تقدير صحته لا يصلح ان يكون معارضا لحديث مسلم مع ان الحفـاظ طعنـوا فيه و منعـوا جوازه ايضاً بان ايمان اليأس غير مقبول اجماعا كما يدل عليه الكتاب و السنة و بان الايمـان المطلوب من المكلف انما هو الايمان الغيبى و قد قال تعـالى "و لو ردوا لعـادوا لما نهوا عنه" و هـذا الحديث الصحيح الصريح ايضاً رد ما تشبث به بعضهم بانهما كانا من اهل الفترة و لا عذاب عليهم مع اختلاف فى المسئلة و قد صنف السيوطى رسائل ثلاثة فى نجاة والديه صلى الله عليه وسلم و ذكر الادلة من الجانبين فعليك بها ان اردت بسطها" (٦٩).

ثبت بهذا انه لم يكن فى بدأ الامر متشددا فيه و لكنه فيما بعد تجاوز عن الحد حيث قال فى شرح الفقه الاكبر :

"و والدا رسول الله صلى الله تعالى عليه و آله وسلم ماتـا على الكفر، هذا رد على من قال انهما ماتا على الايمان او ماتا على الكفر ثم احياهما الله تعالى فماتا فى مقام الايقان، و قد افردت لهذه المسئلة رسالة مستقلة و دفعت ما ذكره السيوطى فى رسائله الثلاثة فى تقوية هذه المقالة بالادلة الجامعة المجتمعة من الكتاب والسنة والقياس واجماع الامة.

ومن غريب ما وقع فى هذه القضية انكار بعض الجهلة من الحنفية على ما فى بسط هذا الكلام

---

(٦٩) مرقاة المفاتيح ج ٢ ص ٤٠٦.

بل اشار الى انه غير لائق بمقام الامام الاعظم رحمه الله و هذا بعينه كما قال الضال جهم بن صفوان وددت ان احك من المصحف قوله تعالى ثم استوى على العرش و اشارة الضال الآخر وهو احمد بن ابى داود القاضى الى الخليفة المامون ان يكتب على ستر الكعبة. ليس كمثله شيء و هو العزيز الحكيم و قول الرافضى الاكبر انه برىء من المصحف الذى فيه نعت الصديق الاكبر" (٧٠).

وقال المولى على القارى فى رسالة مفردة فى هذا الموضوع ما نصه حرفياً:

"وقد التمس منى بعض الخلان من اعيان الاخوان ان اكتب رسالة موضحة لمسئلة ذكرها الامام الاعظم المعتبر (كذا) فى آخر كتابه الفقه الاكبر الذى عليه مدار الاعتقاد للاكثر و خالف فيها العلامة جلال الدين السيوطى وجمع من اتباع الامام الشافعى و قلده بعض العلماء و الفضلاء من اصحاب الامامة الحنفى نصرت متردداً بين القبول و النكول فاقدم رجلا و اؤخر اخرى خوفاً من قيام فتنة اخرى و حصول بلية كبرى لكنى توكلت على ربى فشرعت فيه قائلاً هو نعم الوكيل و حسبى فصنفت معتمدا على رب العباد بالاعتقاد للاعتقاد فى ابويه صلى الله تعالى عليه وسلم والاجداد طالبا من الله الكريم طريق الرشاد و الثبات على سبيل السداد انه كريم جواد رؤف بالعباد و عطوف بالعباد".

و قد اخطأ المولى على القارى فى هذا البحث حيث اسس بنيانه على نسخة محرفة من الفقه الاكبر قال العلامة المحدث الناقد الشيخ محمد زاهد الكوثرى المتوفى ١٣٧١ھ فى مقدمة كتاب العالم و المتعلم ما نصه:

"و اما الفقه الاكبر رواية حماد بن ابى حنيفة عن ابيه فله شروح كثيرة، و قد طبع مرات فى كثير من العواصم كما طبع كثير من شروحه، و اما سنده ففى النسخة الخطية المحفوظة ضمن المجموعة رقم (٢٢٦) بمكتبة شيخ الاسلام العلامة عارف حكمت بالمدينة المنورة زادها الله تكريما ففى اولها سند الشيخ ابراهيم الكورانى فى الكتاب الى على ابن احمد الفارسى عن نصير بن يحيى عن ابن مقاتل (محمد بن مقاتل الرازى) عن عصام ابن يوسف عن حماد بن ابى حنيفة رضى الله عن الجميع، و فى مكتبة شيخ الاسلام هذه نسختان من الفقه الاكبر رواية حماد قديمتان وصحيحتان فياليت بعض الطالبين قام باعادة طبع الفقه الاكبر من هاتين النسختين مع المقابلة بنسخ دار الكتب المصرية.

ففى بعض تلك النسخ: و ابوا النبى صلى الله عليه وسلم ماتا على الفطرة و (الفطرة) سهلة التحريف الى (الكفر) فى الخط الكوفى، و فى اكثرها: (ماتا على الكفر)، كان الامام الاعظم يريد به الرد على من يروى حديث (ابى و ابوك فى النار) و يرى كونهما من اهل النار لان انزال المرء فى النار لا يكون الا بدليل يقينى و هذا الموضوع ليس

---

(٧٠) شرح فقه اكبر ص ١٣٠ المطبع المجتبائية دهلى ١٣١٤ھ.

بموضوع عملى حتى يكتفى فيه بالدليل الظنى .

ويقول الحافظ محمد المرتضى الزبيدى شارح الاحياء و القاموس فى رسالته (الانتصار لوالدى النبى المختار) ـ و كنت رأيتها بخطه عند شيخنا احمد بن مصطفى العمرى الحلبى مفتى العسكر العالم المعمر ـ ما معناه ! ان الناسخ لما رأى تكرر (ما) فى (ما ماتا) ظن ان احداها زائدة فحذفها فذاعت نسخته الخاطئة ، و من الدليل على ذلك سياق الخبر لان اباطالب و الابوين لو كانوا جميعا على حالة واحدة جمع الثلاثة فى الحكم بجملة واحدة لا بجملتين مع عدم التخالف بينهم فى الحكم و هذا رأى وجيه من الحافظ الزبيدى الا انه لم يكن رأى النسخة التى فيها (ما ماتا) و انما حكى ذلك عن رآها و انى بحمد الله رأيت لفظ (ما ماتا) فى نسختين بدار الكتب المصرية قديمتين كما رأى بعض اصدقائى لفظى (ما ماتا) و (على الفطرة) فى نسختين قديمتين بمكتبة شيخ الاسلام المذكورة و على القارى بنى شرحه على النسخة الخاطئة و اساء الادب سامحه الله" (٧١) .

و عن هذه المسامحات قال المحبى "و لولاها لاشتهرت مؤلفاته بحيث ملأت الدنيا لكثرة فائدتها و حسن انسجامها".

و بالجملة كان رحمه الله من العلماء الذين اجتهدوا فى نشر العلوم الظاهرة و الباطنة و نصر السنة و قمع البدعة و عم النفع بهم و كثرت حاجة الناس الى كتبهم و لذا عده المؤرخون المحدثون من مجددى القرن العاشر حيث قال العلامة الفقيه المحدث الشيخ محمد عبد الحى اللكهنوى فى فتاواه :

"من يطالع خلاصة الاثر فى اعيان القرن الحادى عشر يتضح عليه ان الشيخ شهاب‌الدين الرملى و الملا على القارى كانا من المجددين" (٧٢) .

و قال ايضاً فى التعليقات السنية ما نصه :

"طالعت تصانيفه المذكورة كلها .... مفيدة بلغت الى مرتبة المجددية على رأس الالف"(٧٣).

و لا شك انه من مجددى (٧٤) القرن العاشر فانه احيا علوم التفسير و القراءة و الحديث

---

(٧١) العالم و المتعلم بتحقيق محمد زاهد الكوثرى ص ٦ مطبعة الانوار ، القاهرة ١٣٦٨هـ .

(٧٢) فيما نصه بالفارسية :

"از معاينهٔ خلاصة الاثر فى اعيان قرن الحادى عشر و غيره واضح است كه از مجددين الف شهاب الدين رملى و ملا على قارى و غيره بودند" (مجموعة الفتاوى ج ١ ص ٦٧ مطبع يوسفى لكهنو ١٣٤٤هـ).

(٧٣) راجع الفوائد البهية مع التعليقات السنية ص ٩ طبع مصر ١٣٢٤هـ .

(٧٤) و قد جاوز الحد علماء الشافعية حيث حصروا المجددين فى الشوافع و لم يذكروا غيرهم الا تحلة للقسم كما يتضح من ارجوزة الحافظ السيوطى التى سماها تحفة المهتدين باخبار المجددين =

و الفقه و غيرها بجمعها و شرحها فى كتبه المشهورة المقبوله و لكنه لا يساوى المجددين المتقدمين كما قال المولى على القارى بنفسه فى شرح قوله صلى الله عليه وسلم "ان الله يبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها".

= ونقلها المؤرخ المحبى فى ترجمة الشيخ الرملى من كتابه خلاصة الاثر (ج ٢ ص ٣٤٤-٣٤٥) برمتها و الشيخ محمد عبد الرؤف المناوى فى كتابه فيض القدير فى شرح الجامع الصغير (ج ٢ ص ٢٨٢) و نحن ننقلها من خلاصة الاثر:

الحمد لله العظيم المنه — المانح الفضل لاهل السنه
ثم الصلاة و السلام نلتمس — على نبى دينه لا يندرس
لقد اتى فى خبر مشتهر — رواه كل حافظ معتبر
بانه فى رأس كل مائة — يبعث ربنا لهذه الامه
منا عليها عالما يجدد — دين الهدى لانه مجدد
فكان عند المئة الاولى عمر — خليفة العدل باجماع وقر
و الشافعى كان عند الثانيه — لما له من العلوم الساريه
و ابن سريج ثالث الائمه — و الاشعرى عده من امه
والباقلانى رابع او سهل او — الاسفراينى خلف قد حكوا
والخامس الحبر هو الغزالى — و عده ما فيه من جدال
والسادس الفخر الامام الرازى — و الرافعى مثله يوازى
و السابع الراق الى المراق — ابن دقيق العيد باتفاق
و الثامن الحبر هو البلقينى — او حافظ الانام زين الدين
و عد سبط الميلق الصوفيه — لو وجدت مائته و فيه
والشرط فى ذلك ان تمضى المائة — و هو على حياته بين الفئة
يشار بالعلم الى مقامه — و ينصر السنة فى كلامه
و ان يكون جامعا لكل فن — و ان يعم علمه اهل الزمن
وان يكون فى حديث قدروى — من آل بيت المصطفى وهو قوى
و كونه فردا هو المشهور — قد نطق الحديث و الجمهور
و هذه تاسعة المئين قد — اتت ولا يخلف ما الهادى و عد
و قد رجوت انى المجدد — فيها . ففضل الله ليس يجحد
و آخر المئين فيها يأتى — عيسى نبى الله ذو الآيات
يجدد الدين لهذى الامة — و فى الصلاة بعضنا قد امه
مقررا لشرعنا و يحكم — بحكمنا و فى السماء يعلم =

ان المراد بمن يجدد ليس شخصاً واحداً بل المراد به جماعة يجدد كل احد فى بلد فى فن او فنون من العلوم الشرعية ما تيسر له من الامور التقريرية او التحريرية و يكون سبباً لبقائه و عدم اندراسه و انقضائه الى ان يأتى امر الله .

و لا شك ان هذا التجديد امر اضافى لان العلم كل سنة فى التنزل كما ان الجهل كل عام فى الترقى و انما حصل ترقى علماء زماننا بسبب تنزل العلم فى اواننا و الا فلا مناسبة بين المتقدمين و المتأخرين علماً و عملاً و حلماً و فضلاً و تحقيقاً و تدقيقاً لما يقتضى البعد عن زمنه عليه الصلاة و السلام كالبعد عن محل النور يوجب كثرة الظلمة و قلة الظهور و يدل عليه ما فى البخارى عن انس مرفوعا لا يأتى على امتى زمان الا الذى بعده شر منه و ما فى الكبير للطبرانى عن ابى الدرداء مرفوعا ما من عام الا وينتقص الخير فيه و يزيد الشر و ما فى الطبرانى عن ابن عباس قال ما من عام الا و يحدث الناس بدعة و يميتون سنة حتى تمات السنن و تحيا البدع و هذه النبذة اليسيرة ايضاً انما هى من بركات علومهم و مددهم فيجب علينا ان نكون معترفين بان الفضل للمتقدمين رضى الله عنهم اجمعين الى يوم الدين (٧٥) .

و بالجملة فلا ينكر ان له ايادى بيضاء على المشتغلين بعلوم الدين فى انحاء المعمورة و جل عمل الشيخ على القارى التلخيص و حسن الشرح و التجريد و كان منتهى امره صرف عمره فى التقرير و التاكيد و هذا هو الفرق بين عمل المتقدمين و المتأخرين كما ينقله عن القاضى ابى الخير ناصرالدين عبد الله بن عمر البيضاوى المتوفى ٦٥٨هـ منبها على مزايا المتقدمين و المتاخرين حيث قال :

"كما ان المتقدمين اجتهدوا فى التاسيس و التمهيد فالمتأخرون بذلوا وسعهم فى التلخيص و التجريد و صرفوا عمرهم فى التقرير و التاكيد" (٧٦) .

و يليق بنا ان ننبه هنا الى امر مهم وهو ان فقه الحديث علم غامض و المعتنون بهذا العلم و المبرزون فيه من القدماء و المتأخرين قليلون و المولى على القارى ان يعد فى عدادهم و كفى به فخراً .

قال المولى عبد العزيز الدهلوى فى رسالته العجالة النافعة :

"ان علم الحديث لما كان من قبيل الخبر والخبر يحتمل الصدق والكذب فلابد فى تحصيل

و بعده لم يبق من مجدد	و يرفع القرآن مثل ما بدى
وتكثر الاشرار و الاضاعه	من رفعه الى قيام الساعه
و احمد الله على ما علما	و ما جلا من الخفا و الغما
مصليا على نبى الرحمه	و الآل ما اصحابه المكرمه

(٧٥) راجع مرقاة المفاتيح ج ١ ص ٢٤٨ طبع مصر .

(٧٦) راجع مرقاة المفاتيح ج ٥ ص ٦٥٧

هذا العلم من امرين :

الاول : ملاحظة حال الرواة .

الثانى : الاحتياط العظيم فى فهم معانى الأحاديث لان المساهلة فى الأمر الاول توجب التباس الكاذب بالصادق و عدم الأحتياط فى الثانى يوجب اشتباه المراد بغير المراد و على التقديرين لا تحصل الفائدة التى ترجى من علم الحديث بل يحصل ضدها الموجب للضلال و الاضلال معاذ الله من ذلك .

فالامر الاول اعنى ملاحظة حال الرواة المخبرين فكان لهم فى الصدر الأول من التابعين و من تبعهم الى زمن البخارى و مسلم طريقاً آخر حيث كانوا يبحثون عن احوال رجال كل بلدة وزمان و يفتشون عنها فمتى شموا فى احد منهم رائحة الكذب و سوء الحفظ و عدم التدين لم يقبلوا حديثه و من ثم صنفت دفاتر مبسوطة و كتب مضبوطة فى احوال الرجال و اما اليوم فحاله على طريق آخر و لذلك وجب التمييز بين الكتب المجردة الصحاح القابلة الاعتماد و بين الكتب الواجبة الرد و الترك لئلا يقع الطالب فى ورطة التخليط و قد فات هذا التمييز من كثير من المحدثين المتأخرين حتى خالفوا فى رسائلهم جمهور السلف الصالحين و تمسكوا باحاديث الكتب التى لا عبرة بها عند المحققين المبرزين .

و الامر الثانى اى الاحتياط فى فهم معانى الأحاديث فمشارق الأنوار (٧٧) للقاضى عياض يكفى لتوضيح معانى الصحيحين و المؤطا و جامع الاصول (٧٨) لابن الاثير يغنى عن الأمهات الست كلها

---

(٧٧) قال قاضى القضاة برهان الدين ابن فرحون المالكى المتوفى ٧٩٩هـ فى ترجمة القاضى عياض من كتابه الديباج المذهب فى معرفة اعيان علماء المذهب (ص ١٧٠ مصر ١٣٥١هـ) ما نصه :

"كتاب مشارق الانوار فى تفسير غريب حديث المؤطا والبخارى و مسلم و ضبط الالفاظ و التنبيه على مواضع الإوهام و التصحيفات و ضبط اسماء الرجال و هو كتاب لو كتب بالذهب او وزن بالجوهر لكان قليلاً فى حقه و فيه انشد بعضهم :

مشارق الانوار تبدت بسبتة ۞ و من عجب كون المشارق بالغرب

طبع كتاب المذكور مرتين مرة بفاس و آخرى بمصر .

(٧٨) قال ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى المتوفى ٦٢٦هـ فى ترجمة ابن الاثير الجزرى الشافعى المتوفى ٦٠٦هـ من كتاب معجم الادباء (ج ٦ ص ٢٤١ القاهرة ١٩٢٣م) .

"كتاب جامع الاصول فى احاديث الرسول عشر مجلدات جمع فية بين البخارى و مسلم و المؤطا و سنن ابى داود و سنن النسائى و الترمذى عمله على حروف المعجم و شرح غريب الاحاديث ومعانيها و احكامها و وصف رجالها ونبه على جميع ما يحتاج اليه منها"

قال المؤلف اقطع قطعا انه لم يصنف مثله قط و لا يصنف" و قد طبع جامع الاصول بمصر .

و مجمع البحار (٧٩) يعنى لتحقيق جميع كتب الحديث من الطبقات الأربع المذكورة و شرح الشيخ عبد الرؤف المناوى على الجامع الصغير للسيوطى كاف واف لشرح اكثر الأحاديث و لكن كلام الشراح تنوع فى شرحهم الأحاديث و توجيهاتها كثيرا رطبا و يابساً فليعلم الطالب رجالا عليهم الاعتماد فى هذا الشان و على كتبهم و تاليفهم التعويل و الايقان منهم الامام النووى (٨٠) شارح صحيح مسلم و البغوى و كتابه شرح السنة (٨١) كاف فى فقه الحديث و توجيه مشكلاته حتى كاد

(٧٩) قال عنه المولى عبد العزيز الدهلوى فى رسالته عجاله نافعه ما نصه:

"مجمع البحار للشيخ محمد طاهر الكجراتى يغنى بشرح غريبها و توجيه عباراتها عن جميع المواد" (الحطة فى ذكر الصحاح الستة ص ٥٨).

و قال السيد عبد الحى الحسنى فى ترجمة الشيخ محمد بن طاهر الفتنى المتوفى ٩٨٦هـ من كتابه نزهة الخواطر (ج ٤ ص ٣٠١) ما نصه:

"و له مصنفات جليلة ممتعة اشهرها و احسنها كتابه مجمع بحار الانوار فى غرائب التنزيل و لطائف الاخبار . . . . جمع فيه كل غريب الحديث و ما الف فيه فجاء كالشرح للصحاح الستة و هو كتاب متفق على قبوله بين اهل العلم منذ ظهر فى الوجود و له منة عظيمة بذلك العمل على اهل العلم".

و قال السيد صديق حسن القنوجى فى كتابه ابجد العلوم (ج ٣ ص٨٩٦):

"و كتابه مجمع البحار قد طبع بالهند لهذا العهد و اشتهر اشتهار الشمس فى رابعة النهار و هو كتاب جمع فيه كل غريب الحديث و ما الف فيه فجاء كالشرح للصحاح الستة فان لم يكن عند احد شرح لكتاب من الامهات الست فهذا الكتاب يكفيه لحل المعانى و كشف المبانى و هو كتاب متفق على قبوله متداول بين اهل العلم منذ ظهر فى الوجود و بالله التوفيق".

(٨٠) و قد اثنى العلامة شرف الدين الطيبى فى كتابه الكاشف عن حقائق السنن على شرح النواوى المعروف بالمنهاج فى شرح مسلم بن الحجاج ثناء جميلا حيث قال:

"كان جل اعتمادى و غاية اهتمامى بشرح مسلم للنووى لانه كان اجمعها فوائد و اكثرها عوائد".

(٨١) قال محى السنة حسين بن مسعود البغوى فى مقدمة كتابه شرح السنة ما نصه:

"هذا كتاب يتضمن كثيرا من علوم الاحاديث وفوائد الاخبار المروية عن النبى صلى الله عليه وسلم من حل مشكلها و تفسير غريبها و بيان احكامها و ما يترتب عليها من الفقه و اختلاف العلماء و جمل لا يستغنى عن معرفتها وهو المرجوع اليه فى الاحكام و لم اودع فيه الا ما اعتمده ائمة السلف الذين هم اهل السنة المسلم لهم الامر وما اودعوه كتبهم =

يحصل منه شرح المصابيح و المشكاة كليهما و الخطابى شارح (٨٢) السنن لابى‌داود و هؤلاء هم الشوافع و منهم الطحاوى (٨٣) فى شرح الاحاديث و كتابه معانى الا ثار متمسك للحنفية و منهم

= و اما ما اعرضوا عنه من المقلوب و الموضوع و المجهول و اتفقوا على تركه فقد صنت هذا الكتاب عنه".

و قد اعتمد حكيم الامة العلامة المحدث الفقيه شاه ولى الله الدهلوى فى شرح الكبير للموطا بالفارسية على شرح السنة كما اعترف هو بنفسه فى مقدمة المصفى ، و قد رأينا قطعة من شرح السنة عند العلامة المحدث المحقق البارع المفضال الشيخ محمد يوسف البنورى و طالعناه .

(٨٢) قال ياقوت الرومى فى ترجمة الامام حسن بن محمد الصغانى اللاهورى المتوفى ٦٥٠هـ من كتابه معجم الادباء ما نصه :

"كان يقرأ عليه بعدن معالم السنن للخطابى و كان معجبا بهذا الكتاب و بكلام مصنفه و يقول :

"ان الخطابى جمع لهذا الكتاب جراميزه"

(٨٣) و الطحاوى من الائمة الجامعين بين الفقه و الحديث و هذا امر لا يجحده الا معاند قال شقيقى الاكبر المحدث البارع المحقق المفضال الشيخ محمد عبد الرشيد النعمانى فى كتابه ما تمس اليه الحاجة لمن يطالع سنن ابن ماجه ص ٢٩ طبع كراچى .

يقول فيه (معانى الآثار) العلامة المحدث الفقيه الاصولى امير كاتب العميد الاتقانى فى "غاية البيان" شرح الهداية.

اقول لا معنى لانكارهم على ابى‌جعفر فانه مؤتمن لامتهم مع غزارة علمه و ورعه و تقدمه فى معرفة المذاهب و غيرها فانظر شرح معانى الآثار هل ترى له نظيراً فى سائر المذاهب فضلاً عن مذهبنا هذا اه .

و لقد انصف حافظ المغرب امام اهل الظاهر الشيخ ابن حزم الظاهرى حيث ذكره تلو الصحيحين مع كتاب ابى‌داود و النسائى كما ينقله الذهبى فى "سير النبلا" فى ترجمته حيث قال رأيته ذكر قول من يقول اجل المصنفات الموطا فقال :

"بل اولى الكتب بالتعظيم صحيحا البخارى و مسلم و صحيح ابن السكن و منتقى ابن الجارود و المنتقى لقاسم بن الاصبغ ثم بعدها كتاب ابى‌داود و كتاب النسائى و مصنف قاسم بن اصبغ و مصنف ابى‌جعفر الطحاوى قلت ما ذكر سنن ابن ماجه و لا جامع الترمذى فانه ماراهما و لا دخلا الاندلس الا بعد موته اه".

و قال الحافظ العلامة بدر الدين العينى فى "نخب الافكار فى شرح معانى الاثار" :

و قد اثنى عليه كل من ذكره من اهل الحديث و التاريخ كالطبرانى و ابى عبد الله الحميدى=

. . . .

= و الحافظ ابن عساكر و غيرهم من المتقدمين و المتأخرين كالحافظ ابى الحجاج المزى و الحافظ الذهبى و عماد الدين بن كثير و غيرهم من اصحاب التصانيف، و لا يشك عاقل منصف ان الطحاوى اثبت فى استنباط الاحكام من القرآن و من الاحاديث النبوية و اقعد فى الفقه من غيره ممن عاصره سنا او شاركه رواية من اصحاب الصحاح و السنن لان هذا انما يظهر بالنظر فى كلامه و كلامهم و مما يدل على ذلك و يقوى ما ادعيناه تصانيفه المفيدة الغزيرة فى سائر الفنون من العلوم النقلية والعقلية.

و اما فى رواية الحديث و معرفة الرجال فهو كما ترى امام عظيم ثبت ثقة حجة كالبخارى و مسلم و غيرهما من اصحاب الصحاح و السنن يدل على ذلك اتساع روايته و مشاركته فيها ائمة الحديث المشهور كما ذكرناهم .

و اما تصانيفه فتصانيف حسنة كثيرة الفوائد و لا سيما كتاب "معانى الآثار" فان الناظر فيه المنصف اذا تامله يجده راجحا على كثير من كتب الحديث المشهورة المقبولة ويظهر له رجحانه بالتامل فى كلامه و ترتيبه و لا يشك فى هذا الا جاهل او معاند متعصب و اما رجحانه على نحو سنن ابى داود و جامع الترمذى و ابن ماجه و نحوها فظاهر لا يشك فيه و لا يرتاب فيه الا جاهل ، و ذلك لزيادة ما فيه من بيان وجوه الاستنباطات و اظهار وجوه المعارضات و تمييز النواسخ من المنسوخات و نحو ذلك فهذه هى الاصل و عليها العمدة فى معرفة الحديث و الكتب المذكورة غير مشحونة بها كما ينبغى كما ترى ذلك و تعاينه ، فان ادعى المدعى كونه مرجوحا بوجود بعض الضعفاء و الاسقاط فى رجاله فيجاب بان السنن المذكورة سلا ئى بمثل ذلك بل قد قيل انها لا تخلو عن بعض احاديث باطلة و احاديث موضوعة ، و اما الاحاديث الضعيفة فكثيرة جدا و اما السنن الدارقطنى او الدارمى او البيهقى و نحوها فلا تقارب خطوه و لا تدانى حقوه ، و لا هى مما تجرى معه فى الميدان و لا مما تعادل معه فى الميزان و لم يظهر رجحان هذا الكتاب عند كثير من الناس لكونه كنزا مخفيا ومعدنا مخبيا ، لم يصادفه من يستخرج ما فيه من العجائب و لم يعثر عليه من يستنبط ما فيه من الغرائب فلم يبرح الكمون و الاختفاء و لم يبرز على منصة الاجتلاء حتى كاد ان تضيف شمسه الى الافول و بدره الى التحول و ذلك لقصور فهم المتأخرين و تركهم هذا الكتاب و اشتغالهم بما لا يفيد شيأ فى هذا الباب مع استيلاء المخالفين المتعصبة على بقاع مناره ، و تحامل الخصوم المعادية على اندراس معالمه و آثاره و لكن الله يحق الحق و يبطل الباطل حيث خلق اناسا قاموا بحقوقه و احيوا امواته و قضوا من محاسن معالمه ما فاته ، فظهر له الترجيح على امثاله و التفرق على اشكاله اه من ما تمس اليه الحاجة .

قلت ، قال الامام ابو عبد الله شمس الدين محمد الذهبى المتوفى ٧٤٨ھ فى ترجمة الحافظ ابن الزبر الربعى المتوفى ٣٧٩ھ من كتابه تذكرة الحفاظ ما نصه :

قال على بن موسى السمسار وقال ابو سليمان : كان ابو جعفر الطحاوى قد نظر فى اشياء من =

. . . .

= تصانيفى و باتت عنده و تصفحها فاعجبته و قال لى يا ابا سليمان :
"انتم الصيادلة و نحن الاطباء"

قال الحافظ السيد عبد الحى الكتانى عند كلامه عن حافظ الحديث فى كتابة فهرس الفهارس و الاثبات ج ١ ص ٤٣ ما نصه :

(قال ابن حجر) فى ترجمة الحافظ تقى الدين بن رافع من ابناء الغمر للحافظ بن حجر قدمه السبكى على ابن كثير و غيره و قال لى شيخنا العراقى كان يقدمه لمعرفته بالاجزاء و عنايته بالرحلة و الطلب .

قلت و الانصاف ان ابن رافع اقرب الى وصف الحفظ على طريقة اهل الحديث من ابن كثير لعنايته بالعوالى و الاجزاء و الوفيات و المسموعات دون ابن كثير و ابن كثير اقرب الى الوصف بالحفظ على طريقة الفقهاء لمعرفته بالمتون الفقهية و التفسيرية دون ابن رافع فمن يجمع بينهما يكون الحافظ الكامل و قل من جمعهما بعد اهل العصر الاول كابن خزيمة و الطحاوى و ابن حبان والبيهقى و فى المتأخرين شيخنا العراقى".

و قال امام العصر و نخبة الدهر حافظ عصره العلامة السيد انور شاه الكشميرى :
"الامام الطحاوى اعلم الناس بمذهب ابى‌حنيفة ، بل اعلم الناس بالمذاهب كلها ، و هو يروى عن الشافعى بواسطة و عن مالك بواسطتين ، و عن ابى‌حنيفة بثلاث وسائط ، و فى (كتاب الحج) من كتابه "شرح معانى الآثار" عن احمد بواسطة .

و هو امام مجتهد و مجدد كما قاله ابن الاثير الجزرى ، قال ، و اريد بكونه مجددا من حيث شرح الحديث و محامله و غوامضه و البحث و التحقيق فهو امام طريقته المبتكرة حيث ان القدماء كانوا يقتنعون برواية الاحاديث فى كتبهم من غير ان يستعرضوا البحث و التحقيق كثيراً (معارف السنن ج ١ ص ١١٤ طبع كراچى و العرف الشذى طبع الهند ص ٤٥) .

قلت قال الحافظ شمس الدين ابن الجزرى المتوفى ٨٣٣ھ فى ترجمة محمد بن سنان بن سرح ابن ابراهيم ابى جعفر التنوخى الشيزرى الضرير القاضى المتوفى ٢٧٣ھ من كتابه غاية النهاية ما نصه :
"عنه اخذ الطحاوى مذهب ابى‌حنيفة و هو عن شيخه عيسى الشيزرى و هو عن محمد ابن الحسن".

و قال الشيخ ابو الحسنات محمد عبد الحى اللكهنوى فى كتابه الفوائد البهية فى تراجم الحنفية (طبع مصر ص ٣٢) .
"اخذ الطحاوى الفقه عن ابى جعفر احمد ثم خرج الى الشام فلقى بها ابا خازم عبد الحميد قاضى القضاة بالشام فاخذ عنه عن عيسى بن ابان عن محمد".

و قال حافظ عصره السيد انور شاه الكشميرى عن شرح معانى الآثار للطحاوى فى اماليه =

ابن عبد البر المالکی مقدم هذه الجماعة و کتاباه الاستذکار (٨٤) و التمهید تذکرتان عنه .

=على صحيح مسلم ما نصه :

ان مرتبة الطحاوی عندی لیس اقل مرتبة من ابی‌داود بل ابوداود قریب منه فان الطحاوی صحیح بوجهین :

الاول بحسب السند و الثانی بحسب المتن :

اما بحسب السند فان رواته کثیر ما یکون رواة ابی‌داود الا جابر الجعفی فما روی عنه ابوداود الا روایة واحدة عنه ایضاً و بعضهم قد جرحوا علی جابر و بعضهم وثقوه حتی ان شعبة لما اعترض علی سفیان الثوری انت لم ترو عن جابر الجعفی قال انی اعلم بالغاط و ما یقول من الاحادیث الصحاح.

و أعلم ان الذین یتعاملون علی الاحادیث قد تفرقوا علی فرقتین الفرقة الاولی لا یشتغل ولا یهتم الا باحادیث الصحیحین و یترك ما وراء ذلك او یعمل علیه بالتذبذب و الشك ا صحیح ام لا

و الثانی انهم سلاحظون الشروط التی ذکرها المحدثون لکتابهم و ان کانوا من الذین لا یبالون بالصحیح و السقیم فلابد ان ینظر فی اسنادهم .

و اما الذین التزموا الشرائط فعلینا ان ننقل شروطهم و نعتمد علیه اعم من ان یکون البخاری او المسلم او ابوداود او غیر ذلك الی هذا ذهب ابن تیمیة و غیرهم .

قال الاستاذ (انور شاه) :

ما لنا لا نعتمد علیهم انعول علی ابن حجر و نترك النسائی و اباداود و الطحاوی مع انهم من اجلة المحدثین فهذا هو خدعة الجاهلین و المتعصبین و الا اذا نظر نظر فی البخاری و الصحیح لمسلم ایضاً و انك ستجد بعد التفتیش ان رواة الصحیحین ایضاً لیسوا بسالم عن الجرح و التقدیح".

نقلناها من امالیه علی صحیح مسلم التی ضبطها تلمیذه السید مناظر احسن الجیلانی المتوفی ١٣٧٥ه و کانت هی محفوظة عند العلامة الشیخ شبیر احمد العثمانی المتوفی ١٣٦٩ه صاحب فتح الملهم الذی استفاد منها فی شرحه الحافل المذکور و قد طالعناها باستعار من تلمیذه المحقق المفضال الشیخ محمد یوسف البنوری الذی استعارها بدور من الاخ الشیخ العثمانی .

و قد افرد ترجمة الطحاوی الشیخ محمد زاهد الکوثری و سماه الطحاوی فی سیرة الامام الطحاوی و ذکر ترجمة الطحاوی المرحوم الشیخ محمد یوسف بن محمد الیاس الکاندهلوی ثم الدهلوی رئیس جماعة التبلیغ بالهند فی کتابه امانی الاحبار فی شرح معانی الآثار و اثنی علی کتابه شرح معانی الآثار ثناء جمیلا .

(٨٤) الاستذکار لمذاهب ائمة الامصار و فیما تضمنه المؤطا من معانی الرای و الآثار و کتابه التمهید لما فی المؤطا من المعانی و الاسانید قال ابن حزم :

"التمهید لصاحبنا ابی عمر لا اعلم فی الکلام علی فقه الحدیث مثله اصلا فکیف احسن منه ، و کتاب الاستذکار و هو اختصار التمهید و له توالیف لا مثل لها فی جمع معانیها" (تذکرة الحفاظ ج ٣ ص ١١٢٩).

و بالجملة فهؤلاء الائمة قولهم هو المعتمد عليه و كلامهم هو المرجع اليه و الا فشراح كتب الحديث كثيرون يعسر عد اساميهم و اسامي كتبهم و لكل منهم شان آخر و لكنهم مع ذلك آخذون من اولئك الائمة فان تيسرت لاحد كتب هؤلاء القوم ارتفعت حاجة الطالب عن تشويشات المتأخرين وتكفاتهم البارذة فى الدين وللشيخ ولى الله (٨٥) المحدث رضى‌الله عنه قواعد عجيبة وفوائد

---

(٨٥) كان الشيخ ولى الله الدهلوى من الفقهاء المحدثين كما قال هو بنفسه فى رسالته الجزء اللطيف فى ترجمة العبد الضعيف ما نصه .

"خاض فى بحار المذاهب الاربعة و اصول فقههم خوضا بليغاً و نظر فى الاحاديث التى هى متمسكاتهم فى الاحكام و ارتضى من بينها فى الاحاديث بامداد النور الغيبى طريق الفقهاء المحدثين".

وقال فى كتابه الفوز الكبير فى اصول التفسير (ص ٥٢ كراچى باكستان الغربية ١٣٨٠هـ).

"و قد حصل للفقير بحمد الله و توفيقه فى كل من هذه الفنون مناسبة و ادركت اكثر اصولها و جملة صالحة من فروعها فتحقق لى نوع من الاستقلال و التحقيق فى كل باب بوجه يشبه الاجتهاد فى المذهب و التى فى الخاطر من بحر الفيض الالهى فنان او ثلاثة من فنون التفسير غير الفنون المذكورة و ان سألتنى عن الخبر الصدق فانى تلميذ القرآن العظيم بلا واسطة كما انى اويسى لروح حضرة الرسالة صلى الله عليه وسلم الذى هو منبع الفتوح وانى مستفيد من الكعبة الحسناء بلا واسطة كذلك ، و كذلك متأثر بالصلاة العظمى بلا واسطة" .

و لو ان لى فى كل منبت شعرة لسانا لما استوفيت واجب حمده

و لذا كان يقول شيخه الاجل ابو طاهر محمد عبد السميع الكردى المدنى المتوفى ١١٤٥هـ.

"انه يسند عنى اللفظ و كنت اصحح منه المعنى".

و قال الشيخ الكردى فى اجازته التى اجاز بها ، ما نصه :

"و عند ما تشرفت بلقائه و اشرقت اضواء وفائه فانه طلب منى امرا هو احرى ان يقتبس من مشكاته و سنى شهباته".

و قال الشيخ الكردى :

و احببت ان اكتب ابيات التى كتبها الشيخ عبد الله بن محمد بن ابى‌بكر العباس المغربى و اجازته لسيدى الوالد رحمه الله حيث شافهته بها و هى :

اجزتك لكن مثلك من يجزنى و لم يستفد منى و لكن يفيدنى

و بهذا يثبت ان عداده من الفقهاء المحدثين احق و احرى و من عده فى حفاظ المحدثين فقد اخطأ فيه كما فعل السيد عبد الحى الكتانى الفاسى المتوفى ١٣٨١هـ فى كتابه فهرس الفهارس=

غريبة لفهم معانى الاحاديث و دفع التعارض من بينها و كتاب المغيث فى مختلف الحديث حسن بسن

=و الاثبات (ج ٢ ص ٤٣٨) حيث قال :
"قلت و هو ممن ظهر لى انه (يعد من حفاظ القرن الثانى عشر) لانه ممن رحل و رحل اليه و روى و صنف و اختار و رجح و غرس غرسا بالهند اطعم و اثمر و اكل منه خلق وقد فاتنا ذكره فى برنامجهم السابق فى اول المجلد الاول ص ٩٤ و يكفى فى ترجمة ولى الله المذكور ان ممن تخرج به الحافظ الزبيدى فانه اخذ عنه فى الهند قبل رحلته الى البلاد العربية".

و ما قال الكتانى فيه قال بلا دليل فلا يعتمد عليه و لا يوثق به .

و كذا جاوز الحد من لم يجوز اطلاق لفظ المحدث عليه كالسيد محمد صديق حسن القنوجى حيث قال فى كتابه "سلسلة العسجد فى ذكر مشائخ السند" :

"اقول لا شك ان الاستحقاق لاسم المحدث يقتضى العبور و العثور و الجهد البليغ و كل فقيه و قارى للمشكاة و المشارق لا ينبغى أن يدعى باسم المحدث لكن عامة الناس لا يميزون شيئا عن غيره متى يرون رجلا مشتغلا بكتاب من الحديث ينادونه باسم المحدث و هذا تقصير منهم لا تقصير المشتغلين به و الشيخ عبد الحق الدهلوى الذى كان فقيه المذهب الحنفى و من هذا القبيل عداده فى المحدثين و لا يعلم اذا كان حضرة الشيخ درس كتب الصحاح الستة على وجه المعتبر عند اهل الاثر مع انه حصل اجازته للتبرك بل ان مرتبة شاه ولى الله المحدث الدهلوى و اولاده الامجاد اعلى منه و اجل وان كانوا لم يبلغوا درجة التحديث العليا على معيار اهل الاثر".

و العجب كل العجب ان القنوجى افرط فى ثنائه على شيخ شيخه القاضى الشوكانى و يصفه "بشيخنا الامام العلامة الربانى و السهيل الطالع من القطر اليمانى امام الائمة و مفتى الامة بحر العلوم وشمس الفهوم سند المجتهدين الحفاظ ، فارس المعانى و الالفاظ فريد العصر نادر الدهر شيخ الاسلام قدوة الانام علامة الزمان ترجمان الحديث و القرآن ، علم الزهاد ، اوحد العباد قامع المبتدعين آخر المجتهدين ، رأس الموحدين ، تاج المتبعين، صاحب التصانيف التى لم يسبق الى مثلها قاضى الجماعة شيخ الرواية و السماعة ، عالى الاسناد ، السابق فى ميدان الاجتهاد على الاكابر الامجاد ، المطلع على حقائق الشريعة و مواردها العارف بغوامضها و مقاصدها" (ابجد العلوم ص ٨٧٧).

و لا يرضى باقل منه و حسب انه بكل هذا الاطراء لم يؤد حقه مع ان الشوكانى لم يكن من الفقهاء المحدثين كالطيبى و على القارى و الشيخ عبد الحق و شاه ولى الله الدهلوى و لم يبلغ الشوكانى شأوهم و كان جل نظره القشر دون اللب و الشيخ عبد الحق و شاه ولى الله كانا من الفقهاء المحدثين المتقنين ولهما قدم راسخ من التحديث على شروط المحدثين وكانا صاحبا ثبت حسن=

نموذجاً فی هذا الباب و حصول ملکة التمیز لاخذ ما بین صحیح الحدیث و سقیمه و استقامة الذهن

= متلقا بقبول حسن وهذا ما صدر عن القنوجی بسبب تعصبه ضد الحنفیة والا فاین الثری من الثریا.

و الحق فیه ان منزلة شاه ولی الله کمنزلة الطیبی و یصدق علیه ما نقله العلامة محمد بن عبد الباقی الزرقانی عن السیوطی فی حق الطیبی ما لفظه:

"قال السیوطی و له الهام بالحدیث لکنه لم یبلغ فیه درجة الحفاظ و منتهی نظره الکتب الستة و مسند احمد و الدارمی لا یخرج من غیرها و کثیرا یورد صاحب الکشاف الحدیث المعروف فلا یحسن الطیبی تخریجه و یعدل الی ذکر ما هو فی معناه مما فی هذه الکتب و هو قصور فی التخریج" (شرح الزرقانی علی المواهب اللدنیة ج ٥ ص ٧٧ طبع مصر).

و الشیخ ولی الله کان مثیل السلف فی جمع الفضائل والکمالات الظاهرة والباطنة و الامعان و دقة النظر کما قال هو عن نفسه:

و من نعم الله تعالی علیه ان اولاه خلعة الفاتحیة و الهمه الجمع بین الفقه و الحدیث و اسرار السنن و مصالح الأحکام و سائر ما جاء صلی الله علیه وسلم من ربه عزوجل حتی اثبت عقائد اهل السنة بالادلة و الحجج و طهرها من قذی اهل المعقول و اعطی علم الابداع و الخلق و التدبیر و التدلی مع طول و عرض و علم استعداد النفوس الأنسانیة بجمیعها و افیض علیه الحکمة العلمیة و توفیق تشییدها بالکتاب و السنة و تمییز العلم المنقول من المحرف المدخول و فرق السنة السنیة من البدعة الغیر المرضیة انتهی.

و قال شاه عبد العزیز الدهلوی فی کتابه "بستان المحدثین فی تذکرة کتب الحدیث و المحدثین.

کتب شیخنا و قدوتنا فی کل العلوم و الامور الشیخ ولی الله الدهلوی قدس سره شرحین علی المؤطا و آثاره بروایة یحیی بن یحیی اللیثی و حذف منه اقوال مالك و بعض بلاغاته الاول منها علی نهج المجتهدین سماه المصفی بالفارسیة.

و الآخر مختصر اکتفی فیه علی بیان مذاهب الفقهاء الحنفیة و الشافعیة و علی القدر اللازم من شرح الغریب و ضبط المشکل و سماه بالمسوی من احادیث المؤطا بروایة یحیی بن یحیی بالعربیة.

و اقول کتابه "حجة الله البالغة فی اسرار الحدیث و حکم الشرعیة" و ان کان موضوعه بیان اسرار الشرعیة ومعارفها لکن ماخلا المباحث الخمسة الاولی فهو شرح احادیث المشکاة اتی فیه باسرار و معارف تتحیر فیه العقول و عجز عن ابرازها المتقدمون و المتأخرون و کانت هذه هی الفضیلة التی لا یباریه فیها احد. =

و سلامة الطبع و عدم الميل الى الخطاء و قبول الصواب بقليل التنبيه و الايماء نعمة عظمى و دولة

= كتابه هذا جامع لعلومه منقحة و من احسن تصانيفه قال السيد عبد الحى الحسنى فى كتابه نزهة الخواطر (ج ٦ ص ٤٠٢).

قال ولده عبد العزيز فى كتابه الى امير حيدر البلگرامى :

كتابه حجة الله البالغة التى هى عمدة تصانيفه فى علم اسرار الحديث (لم) يتكلم فى هذا العلم احد قبله على هذا الوجه من تأصيل الاصول و تفريع الفروع و تمهيد المقدمات و المبادى و استنتاج المقاصد منها الى المجلس و النادى و انما يستنشم نفحات قليلة من هذا العلم فى كتاب (احياء العلوم) للغزالى و كتاب "القواعد الكبرى" للشيخ عزالدين عبد السلام المقدسى و ربما يوجد بعض فوائد هذا العلم فى مواضع من "الفتوحات المكية" للشيخ الاكبر و "الكبريت الاحمر" (فى علوم الشيخ الاكبر) للشعرانى وكذا مؤلفات تلميذه الشيخ الكبير الشيخ صدر الدين القونوى قدس سرهما و قد جمعها الشيخ عبد الوهاب الشعرانى فى كتاب الميزان" انتهى.

و ليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم فى واحد

وقال صديق حسن القنوجى فى الجزء الثانى من كتابه ابجد العلوم المسمى بالسحاب المركوم فى بيان انواع الفنون و اقسام العلوم ما نصه :

"علم تبيين المصالح المرعية فى كل باب من الابواب الشرعية"

و فى هذا العلم كتاب حجة الله البالغة للشيخ الاجل ولى الله بن عبد الرحيم العمرى الدهلوى المتوفى ١١٧٦ الهجرية و قل من صنف فيه او خاض فى تاسيس مبانيه او رتب منه الاصول والفروع او اتى بما يسمن او يغنى من جوع كيف و لا تتبين اسراره الا لمن تمكن فى العلوم الشرعية باسرها و استبد بالفنون الالهية عن آخرها و لا يصفو مشربه الا لمن شرح الله صدره لعلم لدنى و ملأ قلبه بسر وهبى و كان مع ذلك وقاد الطبيعة سيال القريحة، حاذقاً فى التقرير و التحرير بارعاً فى التوجيه و التحبير قد عرف كيف يوصل الاصول و يبنى عليها الفروع و كيف يمهد القواعد و يأتى لها بشواهد المعقول و المسموع و لم اعرف احدا آتاه الله منه حظا و جعل له منه نصيباً الا صاحب الحجة فانه قد تفرد بالتاليف فى هذا العلم و هدى الناس الى المحجة و الله اعلم.

ولكن مع جلالة قدره و علو كعبه فى العلوم و المعارف كان له شذوذ و زلات وجب التحرز عنها و قد اومأ اليه المحدث الناقد الشيخ محمد زاهد الكوثرى حيث قال فى كتابه حسن التقاضى فى سيرة الامام ابى يوسف القاضى (ص ٩٦ طبع مصر ١٣٦٨ﻫ) ما نصه :

و لا بأس ان احدث فى الختام عن الحبر الهمام الشيخ احمد بن عبد الرحيم الدهلوى رحمه الله، لكثرة تعرضه لمباحث الاجتهاد و تاريخ الفقه و الحديث فى كتبه باندفاع و جرأة، على كدورة فى تفكيره، و تحكم فى تصويره مع ضيق دائرة اطلاعه على كتب =

كبرى فان العلم و موارده كثيرة فى العالم و انما العزيز هى الملكة المذكورة فانها الكبريت

= المتقدمين و قلة دراسته لاحوال الرجال و تاريخ العلوم و المذاهب مسترسلا فى خيال أدى به الى الشطط فى كثير من بحوثه و تقريراته.

و كتبه لها روعة و فيها فوائد بيد ان له فيها انفردات لا تصح متابعته فيها لما عنده من اضطراب فكرى ينأى به عن الاصابة فى تحقيق الموضوع ، و يشطح به التابع و المتبوع ، و فى كثير من الاحوال تجد عنده عبارات ليكون من لم يدرس حياته على بينة من امره ، و اما التوسع فى بيان ما فى انفراداته من الشطط فيحتاج الى تفرغ خاص.

و له رحمه الله خدمة مشكورة فى انهاض علم الحديث فى الهند ، لكن هذا لا يبيح لنا السكوت عما ينطوى عليه من اعمال تجافى الصواب ، فاقول :

كان رحمه الله نشأ على مذهب الحنفية فى الفروع و المعتقد ، و على مذاق العارف الشيخ احمد بن عبد الأحد السرهندى المعروف بالامام الربانى فى القول بالتوحيد الشهودى ، و الم بالحديث و الفلسفة على عادة اهل بلاده ، ثم رحل الى الحجاز فتلقى الاصول الستة من الشيخ ابى طاهر بن ابراهيم (كلامه فى الأمم فى اعتقاد الشافعى و التنبية بعده يرشدك الى مسلكه فى العقيدة و كتابه "جلاء الفهوم فى رؤية المعدوم" يدلك على مسلكه الفلسفى ، و من تابع مثله لابد من ان تضيع مواهبه : و تضطرب افكاره و مذاهبه ، و ان اعتدل بعض اعتدال فيما بعد فى "قصد السبيل" (ز)) الكورانى الشافعى بالمدينة المنورة و لازمه و عكف على كتب والده التى تحاول الجمع بين الآراء المتراكة للحشوية و الاتحادية و الفلاسفة و المتكلمين فمال الى مذهبه فى الفقه و التصوف فعاد الى الهند منحرفا عن مشرب اهل بيته ، و مذهبه اسرته ، فى التصوف و الفقه و الاعتقاد مرتئيا التوحيد الوجودى و لسان حاله يقول :

عقد الخلائق فى الاله عقائدا و انا اعتقدت جميع ما اعتقدوه

فافترقت الكلمة هناك باندفاعه فى دعوته الى آرائه فى المذهب الفقهى و محاولته الجمع بين آراء الحشوية والفلاسفة و القائلين بوحدة الوجود و اذاعته القول بالتجلى فى الصور (راجع (الجنائز) من حجة الله البالغة (ز)) و الظهور فى المظاهر ، ظناً منه ان ذلك من عقيدة الاكابر ، مع ان هذا و ذاك من باب القول بالحلول ، فيكون منبوذا عند الفحول من ارباب العقول و كم لهذا القول السقيم ، من نظائر فى العهد القديم.

و عبقات جفيده مما زاد فى الطين بلة ، و فرق كلمة الملة ، الى لا مذهبية و حشوية و حنفية متنافرة متنابذة فى الأصول و الفروع حتى دار الزمن فاخذت اللامذهبية تنمو و تترعرع فى تلك البلاد ، و ان رجع الجد فيما بعد الى المذهب بمبشرة يذكرها فى "فيوض الحرمين" و "التفهيمات الالهية" راجع مقدمة فيض البارى (ص ٢٤). =

. . . .

= و كان الجد جيد الاهتمام بمتون احاديث الاصول الستة لكنه كان يكتفى بها من غير نظر فى اسانيدها ، و الواقع ان الاكتفاء بمتون يقصر المسافة الى حد الأقتصار على مجلد واحد فى الحديث ، لكن اهل العلم فى حاجة ماسة الى النظر فى الاسانيد حتى فى الصحيحين فضلا من السنن فى باب الاحتجاج بها على الفروع كما هو طريقة اهل العلم فكيف يستباح ترك النظر فى الاسانيد فى باب الاعتقاد ؟ و اكتفاؤه بمتون الستة من غير نظر الى الاسانيد جراه على التحكم فى مذاهب الفقهاء و مسانيد الائمة بما هو خيال بحت يذوب امام التاريخ و تحقيق اهل الشان .

ومن اغراباته عده انشقاق القمر عبارة عن ترائيه هكذا للانظار و ليس سحر الاعين من شأن رسل الله صلوات الله و سلامه عليهم اجمعين .

و منها حمله لمشكلات الآثار على وجوه مبنية على تخيل عالم يسميه عالم المثال تتجسد فيه المعانى فى زعم بعض المتصوفة اخذا عن المثل افلاطونية وهذا العالم خيال لم يثبت وجوده فى الشرع و لا فى العقل احالة حل المشكلات على هذا العالم احالة على خيال ، بل نفياً لمعانى الآثار بسبب القاءها فى مجاهل عالم المثال ، مع كون حمل الشيء على ما لا يفهمه اهل التخاطب فى الصدر الاول محض خيال و ضلال ، فلا يبقى مجال لحل المشكلات غير النظر فى الاسانيد و رجالها و فى وجوه الدلالة المعتبرة عند الائمة البررة .

ومنها جعله المتقدم القريب من النبع الصافى كدر الروايات ، و المتأخر المستقى من موارد كدرة صافى المرويات ، و عدم تميزه بين رصانة التاصيل المؤدية الى قلة مخالفة المتأخر من اهل المذهب مهما علت منزلته فى العلم رواية و دراية و بين كثرة الاضطراب فى التأصيل المستلزمة لكثرة مخالفة المتأخر الخاضع للمذهب و ان كان قصير الباع ، غير واسع الاطلاع .

و منها تحكمه فى اصول المذهب ، و تقوله انها صنع يد المتأخرين و ذكره الزيادة على النص بخبر الاحاد فى هذا الصف مع ذكره مناظرة الشافعى محمدا فى ذلك مناقضاً نفسه و ناقضاً لما ابرمه قبل لحظة ، وهذا من الدليل على مبلغ وعيه و على ضيق دائرة اطلاعه وعدم خبرته بكتب المتقدمين المبثوث فيها كثير من اصول المذهب بالنقل عن ائمتنا القدماء ، فاين هو من الاطلاع على كتاب الحجج الكبير او الصغير لعيسى بن ابان ؟ و فصول ابى بكر الرازى فى الاصول و شامل الاتقانى ؟ و شروح كتب ظاهر الرواية ؟ التى فيها كثير جدا مما يتعلق باصول المذهب المنقولة عن ائمتنا فلا يصح ان يعول على مثله فى هذا الموضوع .

و منها اختياره لقدم العالم كما حكاه المحقق الكشميرى عن بعض رسائله فى بدء الخلق من فيض البارى ، و هذا داهية الدواهى ، و الاغرب من هذا استدلاله على ذلك بحديث ابى رزين فى العماء عند الترمذى ، رافضا تأويل الراوى مع ان فى سنده حماد بن سلمة و وكيع بن حدس فحماد مختلط =

الاحمر ، شعر :

رسائل اخوان الصفاء كثيرة　　و لكن اخوان الصفاء قليل (٨٦)

و المولى على القارى جمع في كتابه مرقاة المفاتيح جميع الشروح و الحواشي و لذلك اصبح شرحه المذكور اجمع الكتب و انفعها لحصول الملكة و فهم معارف الحديث و لكنه يلزم علينا هنا استعراض ما اختاره العلماء المتأخرون من انتقاء الاحاديث و تبويبها في كتبهم و العمل الجليل الذى قام به البغوى ثم ما اصلحه و استدركه الخطيب العمرى على كتابه مصابيح السنة و سماه مشكاة المصابيح و الكلام على شروحها و ميزة الملا على القارى في شرحه لنبرز بصورة واضحة الخدمات الممتازة التى اداها العلماء المتأخرون بصورة عامة و الملا على القارى بصورة خاصة.

فنقول ان تدوين السنة على المسانيد و ابواب الفقه و جمعها في بطون الكتب تلا عصر ترتيبها و تهذيبها و انقضى معه عصر المتقدمين و بدأ القرن الخامس الذى هو بداية عصر المتأخرين فنهض جماعات من اعلام الفقهاء المحدثين من الشرق و الغرب بتلخيص المتون و حسن تجريدها اما بترتيب بديع او تهذيب زائد او اختصار او استنباط حكم و شرح غريب مما يلائم حاجة عصر دون عصر و مما يناسب الاوضاع الخاصة بفترة من التاريخ و استمر تدوين الحديث على هذا المنوال .

فمن المحدثين البارزين من جمعوا بين كتابى البخارى و مسلم و رتبوا تاليفهم على المسانيد دون الابواب كما فعله ابو مسعود ابراهيم بن محمد الدمشقى المتوفى ٤٠١هـ و ابو عبد الله محمد بن ابى نصر الحميدى المتوفى ٤٨٤هـ .

= دس في كتبه ربيباه ما شاء من الاباطيل في التشبيه ، و تحاماه البخارى مطلقا و مسلم في روايته عن ثابت ، و شيخه يعلى بن عطاء ليس بذاك القوى ، و وكيع بن حدس او عدس على الاختلاف مجهول الصفة ، فبمثله لا يحتج في حيض النساء فانى لمثل هذا الخبر ان يكون حجة ؟ في اثبات المكان له تعالى او اثبات قدم العالم المنافى لكتب الله المنزلة ، و من تكون بضاعته هكذا في الحديث كيف يتحاكم اليه في ادلة الاحكام ؟ على انه جنح فيما بعد عن الجموح و عاد الى الجادة بالآخرة ، في مبشرة رآها في المدينة المنورة ، حيث قال في فيوض الحرمين (٤٨) :

عرفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في المذهب الحنفى طريقة انيقة هي اوفق الطرق بالسنة . . . . .

فخاب امل من يسعى في هدم المذهب بمعادله في (الانصاف) و (عقد الجيد) و (حجة الله البالغة) و غيرها ، و هذه الاشارة العابرة كافية هنا في التنبيه الى شطحاته ، و لعل الله سبحانه يوفقنا لغربلة الآراء في هذا البحث المتشعب في فرصة أخرى ، و ما ذلك على الله بعزيز .

(٨٦) راجع القنوجى ، الحطة في ذكر الصحاح الستة ص ٥٨ ، المطبعة النظامية بكانفور الهند ١٢٨٣هـ .

و منهم من جمع بين اصول الستة اى الصحاح الثلاثة التى هى البخارى و مسلم و الموطأ و السنن الثلاثة وهى سنن ابى داود و الترمذى و النسائى كما فعله ابو الحسن رزين بن معاوية العيدرى الاندلسى المتوفى ٥٣٥ھ فى كتابة التجريد الصحاح و السنن.

و منهم من تصدى لجمع احاديث الآداب و الاخلاق والترغيب و الترهيب كالامام اسماعيل ابن محمد الأصبهانى المتوفى ٥٣٥ھ و الحافظ عبد العظيم المنذرى المتوفى ٦٥٦ھ.

ومنهم من دون الاحاديث على حروف متشابهات فى اوائل الكلمات كما فعله القاضى ابوعبدالله محمد بن سلامة القضاعى الشافعى المتوفى ٤٥٤ھ فى كتابه "شهاب الاخبار فى الحكم و الآداب" و الامام ابو العباس احمد بن معد الاقليشى المتوفى ٥٥٠ھ فى كتابه "النجم من كلام سيد العرب و العجم" حيث رتبه على عشرة ابواب و جعل الباب العاشر مختصا بادعية مأثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم و العلامة حسن بن محمد الصغانى اللاهورى المتوفى ٦٥٠ھ فى كتابه "مشارق الانوار النبوية".

و منهم من اتى بالاحاديث باعتبار الاخلاق و الصفات كما فعله الامام محى الدين ابو زكريا يحيى بن شرف النووى المتوفى ٦٧٦ھ فى كتابه "رياض الصالحين".

ومنهم من اقتصر على جمع أحاديث الاحكام كما فعله الحافظ العلامة عبد الحق بن عبد الرحمن الازدى الاشبيلى المالكى المعروف بابن الخراط المتوفى ٥٨١ھ فى كتابه "الاحكام الصغرى" والشيخ تقى الدين عبد الغنى بن عبد الواحد المقدسى المتوفى ٦٠٠ھ و شيخ الاسلام مجد الدين عبد السلام ابن عبد الله الحرانى المتوفى ٦٧١ھ فى كتابه "المنتقى فى الاحكام الشرعية من كلام خير البرية".

و منهم من اتى بالاحاديث باعتبار الازمنة و الاوقات كما فعله الامام النواوى فى كتابه "الاذكار المنتخبة من كلام سيد الابرار".

و منهم من استخرج الاحاديث من ابواب متفرقة كالعقائد و الاحكام و السير و الآداب و الفتن واشراط الساعة و المناقب كما فعله الامام محى السنة المحدث الفقيه الشيخ حسين بن مسعود الفراء المتوفى ٥١٦ھ فى كتابه "مصابيح السنة".

و من الاسف ان هؤلاء الجهابذة الكرام قصروا جهودهم فى تدوين نوع خاص من الحديث النبوى الشريف حيث بقى تداولها فى نطاق ضيق وان اعتنى بشرحها بعض اعلام النبلاء بخلاف مؤلفات اولئك المحدثين المتقنين الذين القوا على اساس حديث النبوى الشريف بصورة عامة بدون التقيد بنوع دون نوع او صنف دون صنف فقد كان ذلك سببا فى ذيوع صيتهم فى مجال الحديث النبوى الشريف فمن اقدمهم و اشهرهم محى السنة الامام المحدث الفقيه حسين بن مسعود الفراء البغوى حيث انتقى الاحاديث من ابواب متفرقة فى كتابه مصابيح السنة و رتبه على نسق رائق و وضع شائق حيث تبهر الناظرين وتروق بصائر المتوسمين و الكتب التى اشتهرت فيما بعد اشتهرت باختصارها او بوضعها لا تساوى المصابيح و لا تدانيه و فيما يلى ما كتبه محى السنة البغوى فى هذا الصدد:

"هذه الفاظ صدرت عن صدر النبوة ، و سنن سارت عن معدن الرسالة و احاديث جاءت عن

سید المرسلین و خاتم النبیین ، هن مصابیح (٨٧) الدجی خرجت عن مشکاة التقوی ، مما اورده الائمة فی کتبهم ، جمعتها للمنقطعین الی العبادة لتکون لهم بعد کتاب الله تعالی حظاً من السنن ، و عوناً علی ما هم فیه من الطاعة ، و ترکت ذکر اسانیدها حذرا من الاطالة علیهم ، و اعتمادا علی نقل الائمة ، و ربما سمیت فی بعضها الصحابی الذی یرویه عن رسول الله صلی الله علیه وسلم لمعنی دعا الیه ، و تجد احادیث کل باب منها تنقسم الی صحاح وحسان اعنی بالصحاح ما اخرجه الشیخان ، ابو عبد الله محمد بن اسماعیل الجعفی البخاری و ابو الحسین مسلم بن الحجاج القشیری النیسابوری -رحمهما الله- فی "جامعیهما" او احدهما و اعنی بالحسان ما اورده ابوداود و سلیمان بن الاشعث السجستانی و ابو عیسی محمد بن عیسی ابن سورة الترمذی ، و غیرهما من الائمة فی تصانیفهم (٨٨)

---

(٨٧) قال مصطفی بن عبد الله الشهیر بالحاج خلیفه المتوفی ١٠٦٧ھ فی کتابه کشف الظنون عن اسامی الکتب و الفنون ج ٢ ص ١٦٩٨ (طبع استنبول ١٣٦٢ھ)

"قیل المؤلف لم یسم هذا الکتاب بالمصابیح نصا منه و انما صار هذا الاسم علما له بالغلبة من جیث انه ذکر بعد قوله. اما بعد ان احادیث هذا الکتاب مصابیح الخ .

و عدد الاحادیث المذکورة فیه اربعة آلاف و اربعمائة و اربعة و ثمانون حدیثا فمنها ما هو الحسان الفان و خمسون حدیثا "ابن الملك". (١)

(٨٨) و هذا اصطلاح آخر خاص به قال العلامة محمد بن اسماعیل الامیر المتوفی ١١٨٢ھ فی کتابه توضیح الافکار لمعانی تنقیح الانظار ج ١ ص ١١٦ طبع القاهرة ١٣٦٦ھ.

و قد وقع للبغوی فی المصابیح اصطلاح آخر فی الصحیح و الحسن ، فجعل الصحیح ما رواه الشیخان او احدهما فی کتابیهما ، و الحسن ما رواه غیرهما ، اعترضه ابن الصلاح و النووی و غیرهما ان تخصیصه الصحاح بما رواه الشیخان او احدهما فی کتابیهما والحسان بما رواه ابوداود و الترمذی و النسائی و ابن ماجه و الدارمی ، اصطلاح لا یعرف ، بل هو خلاف الصواب اذ الحسن عند اهل الحدیث لیس عبارة عن هذا الذی ذکره ، لما انه وقع فی کتب السنن الصحیح و هو کثیر و الضعیف و هو کثیر.

و قد اجاب التاج التبریزی بان هذا الاعتراض عجیب ، اذ من المشهور المقرر عند ارباب العلوم العقلیة و النقلیة ان لا مشاحة فی الاصطلاح ، و حینئذ فتخطئة المرء فی اصطلاحه بعید عن الصواب و قد اخترع غیره له اصطلاحا آخر کالحاکم و الخطیب ، فانهما اصطلحا علی اطلاق الصحة علی جمیع ما فی سنن ابی داود و النسائی ، و وافقهما فی النسائی جماعة منهم ابو علی النیسابوری و ابو احمد بن عدی ، و الدارقطنی انتهی ملتقطا من فهرسة ابن حجر الهیتمی ، و انما نقلته لئلا یقف الناظر علی تصحیح الترمذی او تحسین البغوی فیظن انه من قسم ماصححه امام من الائمة او تحسین=

---

(١) لکن قال صاحب المرقاة (ص ١٠ ج ١) قیل احادیثه اربعة آلاف و اربع مائة و اربعة و ثلاثون حدیثا -مصحح.

رحمهم الله ـ و اكثرها صحاح بنقل العدل عن العدل ، غير انها لم تبلغ غاية شرط الشيخين فى علو الدرجة من صحة الاسناد ، اذاً كثر الاحكام بثبوتها بطريق الحسن ، و ما كان فيها من ضعيف او غريب اشرت اليه ، و اعرضت عن ذكر ما كان منكرا او موضوعاً (٨٩) ، و الله المستعان و عليه التكلان (٩٠) ".

لهذه الاهداف برز كتابه فى صورة انيقة جذابة مرتبة ترتيباً راقياً عند الملمين بهذا الفن الشريف و قد اثنى على حسن تنسيقه و ترتيبه و تنويع ابوابه و جودة صنيعه الشيخ العلامة الحافظ محمد بن عتيق بن على التجيبى الغرناطى المعروف باللاردى المتوفى ٦٤٠ھ فى مقدمة كتابه انوار المصباح فى الجمع بين الكتب الستة الصحاح حيث قارن كتابه مصابيح السنة بالكتب التى دونت على طرائق مبتكرة و اتبعت نطاقاً ضيقاً فى مجال الحديث البغوى الشريف فقال :

"رتب ابن الاثير على حروف التهجى و الصغانى و القضاعى و الاقليشى رتبوها على الفاظ متشابهات فى اوائل الكلمات والنووى والمدينى و غيرهما رتبوه باعتبار الاخلاق والصفات او الازمنة و الاوقات و المصابيح احسن ترتيبا من هذا الجمع فانه وضع دلائل الاحكام على نهج يستحسنه الفقيه و وضع الترغيب و الترهيب على ما يقتضيه العلم و يرتضيه

= بالمعنى الذى ذكره المصنف وغيره للصحيح، بل لابد من معرفة اصطلاح الامام الذى قال صحيح او حسن قبل ذلك على انه قد تعقب الحافظ ابن حجر كلام التبريزى فى اعتراضه على البغوى و انما اراد ان يعرف ان البغوى اصطلح لنفسه ان يسمى السنن الاربع الحسان ليستغنى بذلك عن ان يقول عقب كل حديث يخرجه منها خرجه اصحاب السنن او بعضهم ، و كلامه يكاد يكون صريحا فى ذلك حيث قال "هذا اصطلاح لا يعرف" فبين انه اصطلاح ، و انه حادث ، ثم قال : و ليس الحسن عند اهل الحديث عبارة عن ذلك حتى لا يظن انه ليس فيها الا الحسن الذى تقدم تعريفه ، ثم قال الحافظ ابن حجر : والحاصل انا لا نسلم ان البغوى اراد الحسن المتقدم تعريفه ، و لا نسلم ان ابن الصلاح اعترض عليه ، انتهى .

(٨٩) قال العلامة ابراهيم بن عمر البقاعى الشافعى المتوفى ٨٨٥ھ .
"ان البغوى لا يبين الصحيح من الحسن فيما اورده من السنن و انما يبين الغريب غالبا و قد يبين الضعيف".

و قال الشيخ احمد محمد شاكر فى تعليقاته على الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير طبع القاهرة ١٣٧٠ھ ص ٤٣ قلت و كذلك قال فى خطبة كتابه : "و ما كان فيها من ضعيف اشرت اليه" انتهى فالايراد باق فى مزجه صحيح ما فى السنن بما فيها الحسن وكأنه سكت عن بيان ذلك لاشتراكها فى الاحتجاج به".

(٩٠) راجع مصابيح السنة ج ١ ص ٢ طبعة بولاق مصر ١٢٩٤ھ .

و لو فكر احد فى تغيير باب عن موضعه لم يجد له موضعه انسب مما اقتضى رأيه (٩١)".

و تغنى بوصفه الرائع الشاعر المفلق الشيخ ابو تراب عبد الحى بن حيدر فقال:

كتاب المصابيح الحسان صحاح مفاتيح خيرات لكل مغلق

منير لاحكام الشريعة كلها منار لمنهاج الهدى بالتحقق

امام لاقوال الانام واسوة به يستبين الحق من كل منطق

به اس ارباب العلوم مشيد به شمل اصحاب الهوى فى التفرق

سعى فى مصابيح الدجى نور قصده بتهذيب احكام لكل موفق (٩٢)

و لا شك لم ير مثله من حيث تنوع ابوابه و جودة ترتيبه و غزارة مادته فى تآليف معاصريه و كان كتاب المصابيح للفراء كالمثل السائر القائل بان كل الصيد فى جوف الفراء فتداولته ايدى النظار و انثال عليه علماء الامصار مطالعة و قراءة و اقراء و تلخيصاً و شرحاً و تعليقاً فاشتهر فى الاقطار كالشمس فى وسط النهار.

فاول من لخصه تلميذه العارف الفقيه الشيخ ابو النجيب عبد القاهر بن عبد الله السهروردى المتوفى ٥٦٣هـ.

و اول من شرحه العلامة امام السنة الشيخ شهاب الدين فضل الله التوربشتى الحنفى و سماه الميسر و اتمه سنة ست و ستين و ست مائة ثم القاضى ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوى المتوفى ٦٨٥هـ و سماه تحفة الابرار و تلميذ فضل الله التوربشتى الشيخ صدر الدين ابو المعالى المظفر العمرى المتوفى ٦٨٨هـ و سماه التلويح فى شرح المصابيح و ابو الفرج محمد بن داود بن يوسف التبريزى فرغ منه ٦٨٠هـ.

و قد اكتفينا على سرد اسماء العلماء الذين اعتنوا بشرحه و تلخيصه فى القرن السادس والسابع من الهجرة و الا استمر حال الاشتغال بشرحه و تعليقه و ترتيبه و تهذيبه و تنقيحه الى القرن الحادى عشر من الهجرة كما يوضحه كشف الظنون عن اسماء الكتب و الفنون للخليفة.

و لذلك طبقت شهرته الآفاق و اتخذت الاعاجم قراءته ديدنها و ظنوا ان من قرأه بامعان فقد وصل الى درجة المحدثين فتعقب عليه تاج الدين عبد الوهاب السبكى المتوفى ٧٧١هـ فى كتابه "معيد النعم و مبيد النقم" حيث قال:

"و منهم (العلماء) فرقة . . . . كان قصاراها النظر فى "مشارق الانوار" للصاغانى فان ترفعت ارتقت الى مصابيح البغوى و ظنت انها بهذا القدر تصل الى درجة المحدثين و ماذاك الا لجهلها بالحديث، فلو حفظ من ذكرناه هذين الكتابين عن ظهر قلب، وختم اليهما من المتون مثليها لم يكن محدثا و لا يصير بذلك محدثا حتى يلج الجمل فى سم

---

(٩١) راجع كشف الظنون ج ٢ ص ١٧٠١.

(٩٢) ايضاً ص ١٦٩٨.

الخياط (٩٣)".

و فى القرن الثامن من الهجرى لما اراد العلامة شرف الدين الطيبى بانتقاء الاحاديث الصحيحة فى كتاب وجد مصابيح السنة للبغوى مختصرا مفيدا للناس مقبولا بقبول حسن و ارتأى فيه نقصا و احس بحاجة لزيادة ذيل عليه فشاور فيه تلميذه الخطيب التبريزى فاتفقا على اصلاحه و تهذيبه و تذييله و اجتهد الخطيب فيه حتى اتمه و عرضه على شيخه الطيبى فاستحسنه و استجاده.

و فى هذا القرن اجتهد معاصره العلامة صدر الدين ابو عبد الله محمد شرف الدين بن ابراهيم السلمى المناوى الشافعى المتوفى ٧٤٨هـ فى اصلاح مصابيح السنة بتخريج احاديثه و نسبة كل حديث الى مخرجه و شرحه كما قال فى كتابه كشف المناهيج و التفاتيح فى شرح احاديث المصابيح ما نصه:

"ان المصابيح هو الذى عكف عليه المتعبدون لكنه لطلب الاختصار لم يذكر كثيرا من الصحابة رواة الآثار و لا تعرض لتخريج تلك الاخبار بل اصطلح على ان جعل الصحاح هو ما فى الصحيحين او احدهما و الحسان ما ليس فى واحد منهما و التزم ان ما كان من ضعيف نبه عليه و ان ما كان منكرا و موضوعاً لم يذكره و لا يشير اليه فوقع له بعد ذلك ان ذكر احاديث من الصحاح و ليست فى واحد من الصحيحين و احاديث من الحسان و هى فى احد الصحيحين و ادخل فى الحسان احاديث و لم ينبه عليها و هى ضعيفة واهية و ربما ذكر احاديث موضوعة فى غاية السقوط متناهية فجعلت موضوع كتابى هذا لتخريج احاديثه و نسبة كل حديث الى مخرجه من اصحاب الكتب الستة فان لم يكن الحديث فى شىء من الكتب الستة خرجته من غيرها كمسند الشافعى و موطأ مالك و غيرهما (٩٤)".

ان الشيخ السلمى لو اصلح المتن و استدرك عليه لعم نفعه و تم كما فعله معاصره الخطيب العمرى و اشتهر لهذا السبب عما قام به الخطيب من اصلاح و تهذيب و اضافة ذيل الى كتاب المصابيح حيث سماه مشكاة المصابيح و قد لخص مقدمته الشيخ ابوبكر زهر شاديش فى مقدمته التى كتبها على المشكاة تلخيصاً حسناً و اليكم نصه:

"حدثنا الخطيب عن المشكاة فى مقدمته التى سوف تقرؤها اول الكتاب، و من اهم ما صنع انه بين ما اغفله صاحب المصابيح، وتركه بلا اسناد فذكر راوى الحديث ومخرجه، و قسم كل باب فى الغالب -على ثلاثة فصول:

الاول: وهو بدل قول البغوى فى المصابيح: (من الصحاح) لمخرجه الشيخان او احدهما و اكتفى بذكرهما فى التخريج و ان اشترك فيه غيرهما من المحدثين و المخرجين لعلو درجتهما فى الرواية كما قلل.

---

(٩٣) راجع معيد النعم و مبيد النقم ص ٨١، القاهرة ١٣٦٧هـ.

(٩٤) راجع كشف الظنون ج ٢ ص ١٧٠٠.

الثانی : و هو یدل قول البغوی فی المصابیح : "من الحسان" ما اورده غیرهما من الائمة المذکورین و هم : ابوداود ، و الترمذی ، و النسائی ، و الدارمی ، و ابن ماجه فان احادیث المصابیح لا تتجاوز کتب الائمة السبعة ،

الثالث : ما اشتمل علی معنی الباب و لم یذکره البغوی فی الکتاب من ملحقات مناسبة ، الحقها لزیادة الفائدة محافظاً علی ما اشترطه من اضافة الحدیث الی الراوی من الصحابة ، ونسبته الی مخرجه من الائمة المتقدمین و غیرهم ، و ان کان لم یلتزم الاحادیث المرفوعة کما فعل البغوی و قد زاد علی احادیث المصابیح کما ذکروا — (١٥١١) حدیثا ، وهذب الکتاب واستدرک علی البغوی بعض ما وقع له من السهو ، إذ ربما جعل من الصحاح ما لم یروه الشیخان او احدهما ، و جعل من الحسان ، ما روياه او رواه احدهما (٩٥) .

و بهذا العمل الشاق الطویل برز الکتاب فی صورة مرتبة مهذبة منقحة مکملة وافیا و کافیا لنیل المقاصد الاخرویة و السعادة الابدیة و قد اثنی علیه الشیخ المحدث الفقیه عبد الحق الدهلوی فی شرحه لمعات التنقیح فی شرح مشکاة المصابیح ثناء یغنی عن مزید الاطراء فی وصفه حیث قال :

"ان کتاب مشکاة المصابیح للشیخ . . . . التبریزی . . . . کتاب طیب مبارک مصون عن الخلل و الذلل حافل شامل للاحادیث و الآثار المتعلقة بالعلم و العمل و لقد سعی رحمه الله فی ترتیبه و تهذیبه و تنقیحه و تصحیحه بما لا یتصور المزید علی ذلک و یکفی للطالب فی حصول المطالب الدینیة و ادراک المقاصد الاخرویة ما یفوز من الفرائد فیما هنالک شکر الله سعیه و جزاه خیراً".

و لذا اصبح متن المشکاة مما یتعلق بحسن التلقی و القبول و اقبل علیه معشر الافاضل و الفحول و اکب علی درسه و حفظه و شرحه اولی المعقول و المنقول فاول من شرحه شیخه الطیبی شرحا حافلا و سماه الکاشف عن حقائق السنن و قد بذل مجهوده فی استخراج محاسن النکت و لطائف المعانی و اجتهد فی بیان معارف الحدیث و حقائقه و فقهه و دقائقه و ما یتعلق بالدرایة حتی اصبح کتابه فذا فی بابه و اشتهر و فیما یلی ما کتبه الطیبی فی شرحه للمشکاة عن الاسباب التی حملته علی وضع الشرح :

"و بعد فانه یقول الراجی الی کرم الله، اللاجی بحرمته الحسین بن عبد الله (بن) محمد الطیبی ختم الله اعماله بالحسنی لما کان من توفیق الله تعالی ایای و حسن عنایته لدی ان وفق للاستسعاد بسعادة الخوض فی الکشف عن قناع الکشاف توسلا به الی تحقیق دقائق کلام الله المجید الذی لا یأتیه الباطل من بین یدیه و لا من خلفه تنزیل من حکیم حمید و یسر بمنه اتمامه کان الخاطر مشغوفاً بان اشفع ذلک بایراد بعض معانی احادیث

(٩٥) راجع مشکاة المصابیح ص ﻫ دمشق ١٣٦١ﻫ.

سید المرسلین و خاتم النبیین و امام المتقین و قائد الغر المحجلین و حبیب رب العالمین ، صلوات الله و سلامه علیه !

و کنت قبل استشرت الاخ فی الدین المساهم فی الیقین بغیة الاکباد قطب الصلحاء شرف الزهاد و العباد ولی الدین محمد بن عبد الله الخطیب دامت برکته بجمع اصل من الاحادیث المصطفویة علی صاحبها افضل التحیة و السلام فاتفق رأینا علی تکملة المصابیح و تهذیبه و تشذیبه و تعیین روایته و نسبة الاحادیث الی الائمة المتقنین فما قصر فیما اشرت الیه من جمعه فبذل وسعه و استفرغ طاقته فیما رمت منه فلما فرغ من اتمامه شمرت عن ساق الجد فی شرح معضله و حل مشکله و تلخیص عویصه و ابراز نکاته و لطفه علی ما یستدعیه غرائب اللغة و النحو و یقتضیه علم المعانی و البیان ، بعد تتبع الکتب المنسوبة الی الائمة رضی الله عنهم و شکر مساعیهم معلما لکل مصنف بعلامة مختصة به فعلامة معالم السنن و اعلامها (خط) و شرح السنة (حس) و شرح صحیح مسلم (مح) و الفائق للزمخشری (فا) و مفردات الراغب (غب) و نهایة الجزری (نه) و الشیخ التوربشتی (تو) و القاضی ناصر الدین (قض) و المظهر (مظ) و الاشرف (شف) سلکت فی النقل منها طریق الاختصار و کان جل اعتمادی و غایة اهتمامی بشرح مسلم للنووی لانه کان اجمعها فوائد و اکثرها عوائد و ما لا تری علیه علامة فاکثرها من نتائج خاطری فان تری فیه خللا فسدده جزاك الله خیرا فان نظرت بعین الانصاف لم تر مصنفا اجمع و لا اوجز منه و لا اشد تحقیقاً فی بیان حقائق السنة و دقائقها ، و سمیته بالکاشف عن حقائق السنن ، و الی الله تعالی ارغب ان یجعل سعیی فیه خالصا لوجهه الکریم و ان یتقبله و یجعله ذخیرة لی عنده یجزینی بها فی الدار الآخرة فهو العالم بمودعات السرائر و خفیات الضمائر علیه اتوکل و الیه انیب".

و قال المیرزا محمد باقر الخوانساری الأصبهانی المتوفی ۱۳۱۳ھ فی کتابه روضات الجنات فی احوال العلماء و السادات:

و من جملة مصنفاته ایضاً شرحه الکبیر المبسوط بغیر طریق المزج علی مصابیح الحسین ابن مسعود البغوی (مشکاة المصابیح للخطیب التبریزی) . . . . سماه الکاشف عن حقائق السنن و اورد فی مقدماته شطرا وافیا من فوائد علوم الحدیث و قسم فیها الحدیث باعتبار السند و المتن الی نحو ثلاثین قسما و اوضح معانیها باحسن بیان و اکمل تبیان .

و قال عنه المحقق المحدث البارع المفضال الشیخ محمد ادریس الکاندهلوی اطال الله بقائه فی کتابه التعلیق الصبیح علی مشکاة المصابیح :

"و لعمری ما تری کتابا اجمع تحقیقا منه فی بیان حقائق السنة و دقائقها و ابراز لطائفها و بعارفها ، و کشف اسرارها و غوامضها ، فیاله من شرح غریب غریز المثال ، لم ینسج ناسج فیما اظن علی هذا المنوال".

اقول كل من اتى بعده وكلم على فقه الحديث و شرح معانيه فقد اغترف من بحره و اقتبس من انواره.

و قد رأينا نسخة خطية صحيحة حسنة من شرح الطيبى فى مكتبة صاحب العلم الرابع (پیر جهنڈو محب الله شاه) بسند و توجد منها نسخة خطية حسنة من المجلد الاول عند العلامة المحدث البارع المحقق المفضال السيد محمد يوسف البنورى اطال الله بقائه بكراتشي و عليه اختام لمشاهير علماء الافغان و توجد منها نسخة خطية فى مكتبة جامعة البنجاب فى لاهور باكستان الغربية.

ثم علق عليه العلامة السيد الشريف على بن محمد الجرجانى المتوفى ٨١٦ﻫ تعليقات حسنة قال الشيخ محمد عبد الحى اللكهنوى:

منها (تصانيفه) حاشية المشكاة و هى خلاصة حاشية الطيبى عليها مع بعض زيادات قليلة، و قد انكر على القارى ان يكون له حاشية على المشكاة حيث قال فى المرقاة شرح المشكاة فى شرح حديث خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على حلقة فقال ما اجلسكم قالوا جلسنا نذكر الله قال آلله و ما اجلسكم الا هذا الحديث قال السيد جمال الدين قوله آلله بالجر لقول المحقق الشريف فى حاشيته همزة الاستفهام وقعت بدلا عن حرف القسم و يجب الجر معها انتهى.

و هو يشعر بان خلاصة الطيبى حاشية المحقق الشريف الجرجانى على المشكاة كما هو مشهور بين الناس و هو بعيد جداً اما اولا فلانه غير مذكور فى اسامى مؤلفاته و اما ثانيا فلانه مع جلالة قدره كيف يختصر كلام الطيبى اختصارا مجردا لا يكون معه تصرف مطلقاً كما لا يخفى انتهى كلام القارى.

قلت فيه نظر فقد نسبها اليه جماعة منهم صاحب كشف الظنون و منهم السخاوى نقلا عن ابن سبط السيد الشريف حيث قال فى الضوء اللامع على بن على بن محمد بن على السيد الزين ابو الحسن الحسينى الجرجانى الحنفى عالم اهل الشرق و يعرف بالسيد الشريف و قال ابن سبطه حين اخذ عنى بمكة سنة ست و ثمانين و ثمانمائة انه على بن على بن حسين و الاول اعرف .... و تصانيف تزيد على الخمسين قلت عين لى ابن سبطه منها تفسير الزهراوين .... و حواشى كل من تفسير البيضاوى و المشكاة و الخلاصة للطيبى فى اصول الحديث.

فهذا ابن سبطه يخبر ان له حاشية على المشكاة فكيف يصح قول القارى انها غير مذكورة فى تصانيفه و قد اخبر ايضاً ان له حاشية على خلاصة الطيبى فى اصول الحديث و الهداية فبطل قول من زعم ان السيد لم يكن له دخل فى الفقه و الحديث و فنونه (٩٦)" و قد رأينا منها نسخة خطية فى مكتبة جامعة البنجاب فى لاهور باكستان الغربية.

ثم شرح المحدث عماد الدين عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز الابهرى المتوفى ٨٤٣ﻫ و سماه منهاج المشكاة على مشكاة المصابيح و هذا تاريخ لتاليفه قال الحاج خليفة.

---

(٩٦) راجع الفوائد البهية مع التعليقات السنية ص ١٣١، مصر ١٣٢٤ﻫ.

(و شرحه) "عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز الابهرى المتوفى (فى حدود) سنة ٨٩٥ خمس و تسعين و ثمانمائة لامير على شير و سماه منهاج المشكاة و هو تاريخ لتاليفه".

و شمس الدين احمد بن سليمان المعروف بابن كمال باشا المتوفى ٩٤٠ھ و الحافظ ابن حجر الهيتمى المكى الشافعى المتوفى ٩٧٣ھ وبذل اقصى جهده فى اثبات مذهبه الشافعى و اعتنى بتصحيح المتن كما قال فى مقدمة كتابه فتح الاله فى شرح المشكاة ما نصه حرفياً.

ان من اجمع ما الف فى الفنون على الابواب و انفع ما ينتحله فى ذلك اولو الالباب كتاب مشكاة الانوار (المصابيح) للعلامة المحقق ولى الله (الدين) محمد بن عبد الله التبريزى الشافعى رحمه الله و شكر الله لجمعه ما فى مصابيح السنة و زيادات و تهذيبه و تخريجه احاديثه . . . . و تتمات ابرزت من كنوز مطالب العلية . . . . و انفردت بكثرة فوائد فرائد . . . . فمن ثم الح على فى موسم سنة اربع و خمسين و تسع مائة بمكة المعظمة بعض فضلاء ماوراء النهر و صلحائهم و عين اعيان محققيهم وعلمائهم فى ان اشرحه شرحاً وسيطاً لا وجيزاً و لا بسيطا ليعم الانتفاع به و يتواصل الخيرات فى الدارين بسببه و لان من كتبوا عليه و على اصله اسهبوا و خرجوا عن مقصود الشراح و اطنبوا مع انهم لم يستوفوا الكلام على فقه الاحاديث و معانيها . . . . و لا عولوا على تحقيق فروعها التى هى احق بالايثار و السباق فاحجمت عن سلوك هذا المقام . . . . اقدم رجلا و اؤخر اخرى و هذا الكتاب لم يستصبح فقيه سراجه و لا استوضح منهاجه و لا اضعه مهونه و لا اقترع ذروته . . . . و لاهيا ظلاله فهو درة لم ينقب و مهرة لم تركب ثم انبعث الباعث الى ذلك و ان لم يتوفر الدواعى الى تسريح البكار الافكار فى وعر تلك المسالك كيف و قد دنى عصر الشباب و تقطعت الاسباب مع دوام الاشتغال سالف كتبنا الفقهية و تحريرها و الكشف عن عويصات الفتاوى الواردة الينا من الآفاق و تحقيقها و تقريرها فشمرت ذيل التفرغ لهذا الشرح ساعة . . . . شوارد الحكم و الاحكام ما تقر به العيون و ترتاح اليه . . . . العقائد و فرائد الفوائد و جواهر النفائس و نفائس . . . . لا سيما لتعرض لتصحيحات المتن و الاسناد اذ لم يعول احد منهم على ذلك مع انه الاحق بالعناية فى جميع الاحوال و المسالك لتوقف الاستدلال بالحديث على العلم لصحته و حسنه الا فى الفضائل فانه يكتفى فيها بالضعف ، غير (شديد) الضعف باجماع من يعتد به فى علمه و فنه و سميته بفتح الاله فى شرح المشكاة و انا اسأل الله و اتوسل اليه بخير خلقه ان يصير لى اكماله و ان يعم النفع به و يمنحنى رضاه و افضاله انه بكل خير كفيل و هى حسبى و نعم الوكيل حسبنى الله لا اله الا هو عليه توكلت و هو رب العرش العظيم و ما توفيقى الا بالله عليه توكلت و اليه انيب فانه الرؤف الرحيم الوهاب الجواد الحليم الكريم و لا حول و لا قوة الا بالله العلى العظيم.

مع الاسف انه شرحه نحو النصف و مات و لم يتمه و لذا لم يشتهر و لم يرزق القبول و قد رأيت منه نسخة خطية عتيقة الى كتاب الجنائز فى مكتبة الكلية الشرقية بپشاور.

و بعد ذلك شرح مشكاة المصابيح المولى على القارى و سماه مرقاة المفاتيح فآن لنا ان تشير الى الخصائص التى التزمها فى شرحه و الاسباب التى حملته الى شرحه فنقول :

لا شك ان العلامة على القارى لا يشق غباره فى شرح الحديث و معانيه و ضبط الأثر ومبانيه و المحدثون من بعده عيال عليه فشروح الصحاح الستة و حواشيها و المؤطا و المشكاة و رياض الصالحين مملوة من المنقول عما كتبه القارى فى المرقاة و شرح المؤطا و شرح مسند ابى حنيفة و غير ذلك من تصانيفه و من اعظم اعماله خدماته الممتازة عرضه المذهب الحنفى على الكتاب و السنة فقد ظهر له ان الحنفية اكثر اتباعاً للسنة من غيرهم حيث قال فى مقدمة "شرح النقاية".

اعلم ان علمائنا رحمهم الله تعالى اكثر اتباعاً لسنة من غيرهم و ذلك انهم اتبعوا فى قبول المرسل معتقدين انه كالمسند فى المعتمد مع الاجماع على قبول مراسيل الصحابة من غير نزاع قال الطبرى : اجمع العلماء على قبول المرسل و لم يأت عن احد منهم انكاره الى رأس المائتين قال الراوى كأنه الشافعى و اشار الى ذلك الحافظ ابو عمر بن عبد البر فى التمهيد فمن نسب اصحابنا الى مخالفة السنة و اعتبار الرأى و المقايسة فقد اخطأ خطأ لان الحديث الموقوف على الصحابة مقدم على القياس عندنا و كذا الحديث الضعيف فمن خالفنا فيما ذكرنا فهو من رأيه الفاسد و قياسه الكاسد .

و الحاصل ان المرسل حجة عند الجمهور و منهم الامام مالك و نقل الحافظ ابو الفرج بن الجوزى فى التحقيق عن احمد و روى الخطيب فى كتابه الجامع انه قال ربما كان المرسل اقوى من المسند و جزم بذلك عيسى بن ابان من اصحابنا و طائفة من اصحاب مالك ان المرسلات اولى من المستدات و وجهه ان من اسند لك فقد احالك البحث عن احوال من سماه لك و من ارسل من الائمة حديثا مع علمه و دينه و ثقته فقد قطع لك على صحته و كفاك بالنظر و قالت طائفة من اصحابنا و اصحاب مالك لسنا نقول ان المرسل اقوى من المسند و لكنهما سواء فى وجوب الحجة و استدلوا بان السلف ارسلوا و وصلوا و اسندوا فلم يعب واحد منهم على صاحبه شيئا من ذلك .

و رد الشافعى المرسل الا ان يجيء من وجه آخر مسندا او مرسلا ارسله واحد من غير رجال الاول او اعتضد بقول الصحابى او بقول اكثر اهل العلم او كان المرسل لا يرسل الا عن عدل هكذا نص عليه الامام فخر الدين و الآمدى قال ابن الحاجب و قد اخذ على الشافعى فقيل ان اسند فالعمل بالمسند و هو وارد و ان لم يسند فقد انضم غير مقبول الى مثله لكن الشق الثانى لم يرد لان الظن قد يحصل او يقوى بالانضمام و الله سبحانه اعلم بحقائق المرام .

ثم اعلم ان المتأخرين اصطلحوا على تقسيم الحديث الى صحيح و حسن و ضعيف و مرسل و منقطع و معضل و غير ذلك من الانواع المعروفة فى اصول الحديث كما حققناه فى شرحنا على شرح النخبة للحافظ ابن حجر العسقلانى ثم ردوا من ذلك المرسل و ما بعده و اما المتقدمون من السلف فلم يردوا شيئا من ذلك كما فعل الامام مالك فى مؤطائه كذلك و ذلك لعدم الفرق عندهم بين المرسل و الصحيح و الحسن و يطلقون المرسل على المنقطع و على المعضل فاذا رأى مخالفنا انا احتججنا باحاديث مرسلة اطلق عليها انها ضعيفة على اصطلاحهم و نسبنا الى العمل بالحديث الضعيف المعارض

للحديث الصحيح او الحسن بزعمه ثم لم يزل اصحابنا المتقدمون يعتنون فى كتبهم بذكر الادلة من السنة و البحث عنها و تبيين الصحيح و الحسن و الضعيف و نحوها كالطحاوى و ابى بكر الرازى و القدورى و غيرهم و انما قصر فى ذلك المتأخرون من اصحابنا لاعتادهم على ما تقرر عند متقدميهم فنسبوا الى هجر السنة و الشريعة و لا يحل لاحد ان ينسب اصحابنا الى هذه الخصلة الشنيعة مع ان المخالفين من الشافعية يعيبون على اصحابنا ما هم واقعون فيه فلقد اكثر الامام ابو اسحاق فى المهذب و امام الحرمين فى النهاية و غيرها من ذكر الاستدلال بالاحاديث الضعيفة و قد بين ذلك البيهقى من متقدميهم ثم النووى و المنذرى من متأخريهم فى عدة مواضع بل صرح امام الحرمين عن حديث ضعيف بانه صحيح و غلطه الشيخ تقى الدين و ابن الصلاح و النووى و غيرهم فهذا الذى وجب علينا ذكر الاحاديث و تبيينها و تعريف المخرجين لها و تعيينها فان صاحب الهداية لما ذكر احاديث مجملة فى تقوية الدراية بالرواية من غير اسناد الى المخرجين صار سبباً بطعن بعض احاديثه للمتأخرين و الله الموفق و المعين (٩٧).

و يسعدنا ان نتبه على مساعيه المشكورة فى سبيل هذا العلم الشريف فله المنة الكبرى على المتأخرين فى ضبط متون الاحاديث و لا سيما احاديث المشكاة و لانريد بالضبط، ضبط المتقدمين و المتوسطين من المحدثين بل الضبط المتعارف بين العلماء المتأخرين فقد قال الشيخ ولى الله الدهلوى ما نصه :

"ان الضبط الذى يوجد فى صحة الحديث كان له فى الامة المرحومة ثلاث احوال :

الاول : انهم كانوا يحفظون الاحاديث فى زمن الصحابة و التابعين عن ظهر غيب و يقتصرون عليها و كان ضبطهم يومئذ فى جودة الحفظ فقط :

الثانى : انهم كانوا يكتبون الاحاديث فى زمن تبع التابعين و اوائل المحدثين الى الطبقة السابعة او الثامنة و كان ضبط ذلك الوقت فى تبيين الخط و الاحتياط فى النقاط و الحركات و السكنات و تصوير الحروف ومقابلتها على اصولها الصحيحة و حفظ الكتاب عن العوارض الطارية عليه و نحوها .

الثالث : انهم اى الحفاظ صنفوا كتباً جمة فى اسماء الرجال و غريب الحديث وضبط الالفاظ المشكلة وصنفوا شروحاً حافلة وتعرضوا بما يليق به التعرض والبحث عن احوالها :

و اما اليوم فالضبط ان ينظر الطالب الراغب فى تصانيف هؤلاء الاعلام و شروحها و يروى الاحاديث بحسبها مع الصحة و الاتقان و من ثم تساهل اهل الحديث و تسامحوا فى هذا الزمان فيما شدد فيه المتقدمون الاعيان كما تساهل المتوسطون فى الحفظ و اكتفوا منه على الخط فقط و لهذا شاعت فيهم الوجادة و المناولة المجردة و نحوها بخلاف

---

(٩٧) راجع شرح النقاية مع حاشيته محمود الرواية ص ١و٢، الهند ١٣٥١هـ.

الطبقات السابقة (٩٨)".

والمولى على القارى بلغ من الضبط الثالث الى اكمل غاية حيث نسخ المشكاة و جد فى جمع النسخ الصحيحة المعتبرة ثم بذل مجهودا جبارا فى تصحيحه و قد ابان عن عمله هذا فى مقدمة كتابه "مرقاة المفاتيح" حيث قال:

"هؤلاء الاكابر (مشائخى الذين قرأت عليهم المشكاة) غير حفاظ للحديث الشريف ولم يكن فى ايديهم اصل صحيح يعتمد عليه العبد الضعيف و الشراح ما اعتنوا الا بضبط الكلمات و كانت البقية عندهم من الواضحات ما اطمأن قلبى و لا انشرح صدرى الا بان جمعت النسخ المصححة المقروأة المسموعة المصرحة التى تصلح للاعتماد و تصح عند الاختلاف للاستناد فمنها:

نسخة هى اصل السيد اصيل الدين و السيد جمال الدين و نجله السعيد ميرك شاه المحدثين المشهورين.

و منها نسخة قرئت على شيخ الاسلام الهروى (٩٩) و غيرها من النسخ المعتمدة

---

(٩٨) راجع الحطة ص ٦٢.

(٩٩) نسخة قرأت على شيخ الاسلام الهروى اظن انه اراد به العلامة الشيخ احمد بن يحيى بن محمد سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى الهروى الشهير بشيخ الاسلام قال الميرزا محمد باقر الموسوى الخوانسارى الاصبهانى المتوفى ١٣١٣ھ فى كتابه روضات الجنات فى احوال العلماء و السادات ما نصه:

"احمد بن يحيى بن سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى الهروى الشهير بشيخ الاسلام و باحمد الحفيد ايضاً باعتبار كونه من احفاد المحقق التفتازانى كما قد عرفت".

كان وحيد زمانه و فريد عصره فى اكثر العلوم و خصوصاً الفقه و الحديث و التفسير من كبار قضاة العامة ومشائخ الاسلام و قد تولى القضاء بهراة المحمية منذ ثلاثين سنة فى دولة السلطان حسين ميرزا البايقرا الى ان توجه اليها عسكر السلطان اسماعيل بن سلطان حيدر الصفوى الموسوى اول ملوك الصفوية . . . . و فتحوها . . . . فى شهور سنة ست عشرة و تسع مائة فصدر امر السلطان المعظم الموصى اليه بقتل هذا الرجل فى جماعة اخرى من علماء هراة . . . . فقتل هذا الشيخ بايدى جلاوزة السلطان المذكور فى شهر رمضان المبارك من شهور سنة الفتح المتقدمة اليها الاشارة . . . . ان لهذا الرجل (الشهيد) من المصنفات مجموعة من الفوائد المتفرقة المتعلقة بحل المشكلات و كشف المعضلات و دفع المنافات المتوهمة بين الاحاديث و الآيات و نوادر كثيرة من الملح و الحكايات و الامور المخفية على غالب الجماعات مشتمل على نحو من ثلاث مائة فائدة يذكر كل واحدة منها فى فصل على حدة كالالوان الاطعمة الموضوعة على اطراف المائدة و حاشية على مختصر شرحى التلخيص منسوبة اليه و شرح على تهذيب المنطق لجده التفتازانى ايضاً كتبه فى اثنتين و ثمانين و ثمانمائة=

الصحيحة التى وجدت عليها آثار الصحة الصريحة فاخذت من مجموع النسخ اصلا اصيلا و لمثوبة الاخروية كفيلا".

و صارت نسخة المشكاة هذه مرجع جميع النسخ لشدة اعتنائه بهذا الكتاب معرفة و ضبطاً واتقاناً حيث اغنى الناس عن بذل مجهود آخرلتصحيح المشكاة وهذا هوالامر الذى فات عن شيخه الحافظ ابن حجر الهيتمى المكى شارح المشكاة وشيخه عبد الله السندى مع انه صحح المشكاة و افنى عمره فيه.

= و تعليقة لطيفة على شرحه المشهور على العقائد النسفية فى الكلام و غير ذلك.

وقد ذكر المولى على القارى قضية شهادة شيخ الاسلام الهروى و ابا شيخه المقرى الشيخ معين الدين فى رسالته سم القوارض فى ذم الروافض ما نصه حرفياً:

"اعلم ان التعصب فى دين الله على وجه التشديد والسلب ممنوع ومحظور لانه يترتب عليه امور فى كل منهما ضرر و محذور قال الله تعالى يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم و لا تقولوا على الله الا الحق و يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق و لا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل و اضلوا كثيراً و ضلوا عن سواء السبيل و قال عزوجل و لا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن الا الذين ظلمو منهم و قولوا آمنا بالذى انزل الينا و انزل اليكم و الهنا و الهكم واحد و نحن له مسلمون و قال سبحانه و لا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم و استدل بهذه الآيات شيخنا المبرور المغفور محمد بن ابى الحسن البكرى فى منع معرف كان بمكة فى مقام الحنفى و يقول بالصوت الجلى لعن الرافضة من الاوباش و طائفة القزلباش و قال هذا يكون تسبيباً لسبهم طائفة اهل السنة و الجماعة كما عليه اهل الهناد فى الضاعة و لقد سبق الصديقى فى مقامه الحقيقى و وافق كلام استاذى المرحوم فى علم القراءة مولانا معين الدين بن حافظ زين الدين من اهل زمالكاه و هو اول من استشهد ايام الرافضة فى سبيل الله وذلك انه لما ظهر سلطانهم المسمى بشاه اسماعيل وفتح ملك العراق بعد القال و القيل اظهر الى خراسان مكتوبا فيه اظهار غلبته فى هذا الشان و كتب فى آخره سب بعض الصحابة من الاعيان و كان الحافظ المذكور خطيبا فى جامع بلد هراة المشهور يأمر بقرائته فوق المنبر باملاء عند حضور العلماء و المشائخ و الامراء و من جملتهم العلامة الولى شيخ الاسلام الهروى سبط المحقق الربانى مولانا سعد التفتازانى فلما وصل الخطيب الى محل السب انتقل عنه على طريق الادب فتعصب كلام الارفاض بهذا السبب و قالوا ترك المقصود الاعظم و المطلوب الافخم قاعد الكلام ليكون على وجه التمام و توقى الخطيب فى ذلك المقام فاشار شيخ الاسلام اليه ان يقرأ ما هو المسطور لديه لان عند الاكراه لا جناح عليه فابى عن السب و صمم على اختيار العزيمة على الرخصة الذميمة فنزلوه و قتلوه و حرقوه ثم لما جاء السلطان الى خراسان و طلب =

الثانى اعتناؤه بشرح الحديث فقد اجتهد غاية الاجتهاد فى تصحيح الكتاب ثم شرح بقدر فهمه شرحاً وافياً للمعانى و ضابطاً لمتون الاحاديث مقتصرا على ما يعرف به ما فى الحديث من الغريب و الاعراب و المعانى و الفقه و التفسير و الاشارات و الكلام و ما يستنبط منه من الأحكام مرجحا من الآراء الفقهيه ما هو اولى بالترجيح و ان المولى على القارى جمع فى شرحه هذا ما فى الشروح

= شيخ الاسلام وسائر اكابر الزمان و امر الشيخ بالسب فى ذلك المكان فامتنع عنه رضى للرحمن فاعترضوا عليه بانك امرت الخطيب سابقاً فكيف تخالف الامر لاحقاً فقال ذالك كان فتوى و هذا كما ترى تقوى . . . . فقتله شهيدا و جعله سعيداً".

و قال الشيخ ابو الحسنات محمد عبد الحى اللكهنوى المتوفى ١٣٠٤ھ فى مقدمة كتابه السعاية ما لفظه :

منهم (اى من شراح الوقاية و محشيها) شيخ الاسلام احمد بن يحيى بن محمد بن سعد الدين عمر بن مسعود التفتازانى الشهير بحفيد التفتازانى طالعت حاشيته من الأول الى الآخر و هو من تلامذة الياس زاده شارح مختصر الوقاية كما افصح عنه فى بحث الوضوء منها و ذكر فى آخرها انه فرغ من تاليفها فى الربيع الاول من شهور سنة تسع مائة و من تصانيفه شرح تهذيب المنطق وحواشى التلويح و شرح السراجية و ذكر فى حبيب السير ما حاصله :

انه كان علامة فى العالم و ملاذ علماء بنى آدم فائقا على اهل عصره فى علوم الحديث و الفقة و سائر العلوم العقلية و النقلية و لما مات والده قطب يحيى يوم الأثنين الرابع و العشرين من ذى الحجة سنة سبع و ثمانين و ثمانمائة و كان ممتازا بمنصب مشيخة الاسلام من اواخر عهد مرزا شاه رخ بن تيمور الى عهد مرزا سلطان حسين تولى مناصبه و اقام بخطة خراسان نحوا من ثلاثين سنة يدرس و يفيد الى ان وصل حكم عزله من السلطان حسين فى سنة ست عشرة بعد تسع مائة و هو مات فى تلك السنة .

و قد بسطت الكلام فى ترجمة ابيه و جده و والد جده السعد التفتازانى فى الفوائد البهية و تعليقاته السنية (ص ١٦) .

اقول و قد طبع بمصر فى ١٣٢٢ھ من كتب العلامة الحفيد كتابه الدر النضيد من مجموعة الحفيد المشتمل على المسائل المهمة من اربعة عشر علما .

و قال فى التعليقات السنية :

"قلت و هو المشهور بحفيد التفتازانى و له تصانيف متداولة منها حواش على التلويح حاشية التوضيح لجده التفتازانى و منها حواش على شرح الوقاية لصدر الشريعة و هى المشهورة بحواشى شيخ الاسلام ذكر فى آخرها انه فرغ منها فى شهور سنة ٩٠٠ھ و قد طالعتها و منها شرح تهذيب المنطق و الكلام على جده و شرح الفرائض السراجية وغير ذلك"

السابقة من الفوائد و العوائد مع استدراك ما تيسر له حيث لم يدع موضع اشكال من الاحاديث اصلا بل ابان ما لها و ما عليها ما استطاع لما اجمل قبله المفسرون ، و سلك فيه احسن المسالك حيث جمع بين المنهجين منهج الرواية و منهج الدراية كالتوربشتي (١٠٠)

(١٠٠) هو شهاب الدين ابو عبد الله فضل الله بن تاج الدين ابي سعيد الحسن بن الحسين ابن يوسف الحنفي ولد بتوربشت و نشأ بها و حصل العلوم من كبار علماء شيراز و جمع من اقسام العلم والفضل والكمال ما لم يجمعه احد في عهده و صرف عمره في نشر العلوم و التدريس و التصنيف و الارشاد .

و كان رحمه الله اماما ، ذكيا ، ثاقب الذهن ، فقيها بارعا و محدثا ماهرا بصيرا بالرجال متبحرا في الكلام و علم السنن و التفسير و البلاغة و الادب اعتنى بفقه الحديث اتم عناية حتى بلغ الغاية و تفرغ لنشر العلوم و فاق الاقران و الف و درس و عم به النفع .

ذكره السبكي في الطبقات الشافعية الكبرى في الطبقة السادسة فيمن توفي بين الست مائة و السبع مائة و افتخر به حيث عده من الشافعية و قال :

"توربشت بضم التاء مثناة من فوق بعدها واو ساكنة ثم راء مكسورة ثم باء موحدة مكسورة ثم شين معجمة ساكنة ثم تاء مثناة من فوق .

رجل محدث فقيه من اهل شيراز ، شرح مصابيح البغوي شرحا حسناً و روى البخاري عن عبد الوهاب بن صالح بن محمد بن المعزام امام الجامع العتيق عن الحافظ ابي جعفر محمد بن علي اخبرنا ابو الخير محمد بن موسى الصفار اخبرنا ابو الهيثم الكشميهني اخبرنا الفربري .

و اظن هذا الشيخ مات في حدود الستين و الستمائة و وقعة التتار اوجبت عدم المعرفة بحاله".

ثم ذكر مقتطفات من كتابه الميسر الفوائد الحسنة في طبقاته الكبرى و قد صرح بكونه حنفيا المؤرخ ابو الخير احمد بن مصطفى المعروف بطاش كبرى زاده المتوفى ٩٦٢هـ في كتابه مفتاح السعادة و مصباح السيادة . و كذا عده المولى علي القاري من كبار الائمة الحنفية حيث قال في كتابه مرقاة المفاتيح (ج ٤ ص ٥٣٨ طبع مصر) ما نصه :

"قال التوربشتي من ائمتنا".

و قال نخبة الدهر و حافظ عصره العلامة السيد انور شاه الكشميري في اماليه على البخاري المسمى بفيض الباري (ج ٢ ص ٣ طبع القاهرة) ما نصه :

قال ابن دقيق العيد (اظن قد سها في ضبطه تلميذه الشيخ محمد بدرعالم الميرتهي و الصحيح مكانه تاج الدين السبكي) رحمة الله عليه لو وجدت تصانيف هذا الفاضل لنفعت الامة جدا و لكنها تلفت في فتنة التتار و زعم الناس انه شافعي رحمه الله تعالى . =

. . . .

= قلت بل هو خلاف الواقع وهو حنفي . . . . و انما توهم من توهم لذكره فى طبقات الشافعية و كونه محدثا .

و قال ايضاً :

(و شرح الطيبى) ايضاً يوجد و هو احسن الشروح باعتبار النكات العربية و ان لم يكن مصنفه حافظاً، اما فضل الله التوربشتى فمن كبار الحفاظ وهو حنفى لا كما زعم (فيض البارى ج ٢ ص ١٦١).

و قال فى كتابه العرف الشذى على جامع الترمذى (طبع هند ص ٤٦٠) ذكر التوربشتى ان المرجئة هم الجبرية و هو الحافظ و فضل الله التوربشتى حاذق فى الكلام .

قال عنه فقير محمد الجهلمى فى كتابه حدائق الحنفية (بالاردية طبع لكهنؤ ١٩٠٦م ص ٢٠٨)

"شهاب الدين فضل الله بن حسين التوربشتى كان اماماً محققاً فى عصره ، مدققاً، محدثا، ثقة ، فقيها ، بارعا له تصانيف كثيرة ، منها شرح مصابيح السنة للبغوى المسمى بالميسر وهو من احسن شروحه وكتاب المسالك فى علم المناسك فى اربعين بابا توفى ٦١٦هـ و يستخرج تاريخ وفاته من لفظ "محدث زيبا".

ذكر المؤرخ محمد القزوينى فى تعليقاته على كتاب شد الازار فى حط اوزار عن زوار المزار ، (طبع طهران ١٣٠٨هـ ص ١٩٠) ما نصه :

صرح فصيح الخوافى ان الشيخ التوربشتى اقام فى اول امره بشيراز و بعد ذلك استوطن كرمان فى سنة ٦٥٥ امتثالا بامر الملكة تتلغ تركان و هى من ملوك قراختائيان بكرمان و توفى بها فى سنة احدى و ستين و ست مائة (و الصحيح بعد ست و ستين و ستائة) و يفهم بما ذكره فصيح الخوافى كان مسقط رأسه توربشت او نواحيها .

و قد درس عليه العلماء الكبار كالشيخ صدر الدين ابى المعالى المظفر بن محمد العمرى العدوى صاحب التلويح فى شرح المصابيح و الامير اصيل الدين عبد الله بن على العلوى المحمدى و غيرها .

كان التوربشتى احد مشائخ عصره فى الطريقة و اخذ الطريقة عن الشيخ شهاب الدين ابى حفص عمر السهروردى المتوفى ٦٣٢هـ صاحب الطريقة العلية و لبس عنه الخرقة و رزق القبول و ممن لبس الخرقة عن التوربشتى و تولى المشيخة بعده ابنه مجد الدين التوربشتى و انتشرت سلسلته و قد ذكرها الحافظ شمس الدين السخاوى الشافعى فى ترجمة العلامة المحدث الشيخ عبد الرحيم بن عبد الكريم البكرى الصديقى الجرهى الشيرازى تلميذ على بن مبارك شاه الساوى من كتابه الضوء اللامع (ج ٤ ص ١٨١) حيث قال :

• "وكذا لبسها من النور محمد بن عبد الله الكرمانى عن المجد بن الشهاب فضل الله التوربشتى =

. . . .

= عن والده عن السهروردى".

فضل الله التوربشتى اظن انه هو اول من شرح مصابيح السنة و اتمه سنة ست و ستين وستمائة (و لم يأت بعد خبر عنه و المظنون انه مات بعد ذلك) و سماه الميسر طابق اسمه معناه فانه الميسر لمن يريد بذلك فهم معانى الحديث و فقهه و معارفه و مغزاه فمن طالعه ايقن مما كان يتمتع به فضل الله التوربشتى من علم راسخ فى التحقيق و دقة النظر و كمال القدرة و التدقيق و قد بذل غاية وسعه فى استخراج فقه الحديث و اسراره و بيان محامله و درك غاياته وشرح المعانى بعبارات وجيزة مع استكمال معانيها اللغوية حتى فاق القدماء و الحق انه اتى فيه بما يدهش العقول و ينعش النفوس قل من يساويه و يدانيه ممن اتوا بعده فقد حذوا حذوه و اعترفوا بانه هو قدوتهم فى هذا الباب .

و كفى لمعرفة سمو مقامه هذا الكتاب الجليل العديم النظير الذى هو اثر خالد يذكرنا بما تمتع به من العظمة فى فقه الحديث و معارفه و قد وصفه العلامة المحقق المفضال الشيخ محمد ادريس الكاندهلوى فى التعليق الصبيح بما يغنى عن مزيد من الاطراء فى تقريظه حيث قال :

"جل اعتمادى فى ذلك على شرح المصابيح للشيخ شهاب الدين فضل الله بن حسين التوربشتى الحنفى رحمه الله تعالى و لعمرى انه لشرح لطيف و تصنيف منيف مشتمل على فوائد حسان ومعان مقصورات فى الخيام لم يطمسها انس قبله و لا جان".

و لم يكن الميسر عند الملا على القارى فلذا ينقل عنه فى شرحه المرقاة بواسطة الطيبى والطيبى اختصر فى النقل ولذا لم يعرف الناس قدره حق قدره و الميسر كان موجودا فى مكتبة الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوى وهو ينقل عنه فى كتابه اللمعات فى شرح المشكاة بالعربية واشعة اللمعات فى شرح المشكاة بالفارسية و المنهج القويم فى الصراط المستقيم للفيروزآبادى بالفارسية و ينتفع به ولذلك امتاز شرحه اللمعات من شرح الملا على القارى المرقات بحسن الاقتباس و جودة الاختصار و ينقل عنه المحقق المحدث البارع الشيخ محمد ادريس الكاندهلوى فى كتابه التعليق الصبيح نقلا تاماً وهذه الاقتباسات تدل على غزارة علم التوربشتى وحسن اسلوبه و دقة نظره و علو كعبه فى الكلام على فقه الحديث واسراره و كلامه فى هذا الباب فهو لب اللباب و هو غاية التحقيق و نهاية القبول عند اهل التحقيق .

و يا ليت لو تولى الشيخ محمد ادريس الكاندهلوى طبع كتاب الميسر بدل نشر التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح لكان خدمة ممتازة للامة لا تنسى وحرى باحدى الدور النشر فى البلاد العربية ان تتولى هذا العمل فسيكون هذا سعيا مشكورا لو انتبهت اليه .

توجد من الميسر نسخة خطية قديمة فى الجزئين فى المكتبة الحكومة الآصفية بحيدر آباد الدكن ، الهند . =

و الطيبى (١٠١) و مزج الشرح بالمتن فى توضيح المعنى و ايضاح المرام و احترز فيه عن الاطناب الممل و الاختصار المخل و قد ابان عن عمله هذا فى المقدمة قائلاً :

قال فضل الله التوربشتى فى اول شرحه الميسر ما نصه :

الحمد لله الذى شرع لنا الحق و اوضح لنا دليله و شرح لنا الهدى و بين لنا سبيله و بعث الينا عبده و رسوله و صفيه و خليله فعرفنا معالم هداه و علمنا وحيه و تنزيله و بين لنا ما نزل الينا الذكر و اوقفنا فيه على جملة من العلم فالهمنا تاويله و الحمد لله الذى بعثه الينا مهيمنا على الكتاب ومبينا وجوه الخطاب و مورد الوحى و الالهام و مصدرا للشرائع و الاحكام و مفصلا للحلال و الحرام و بذرا لطرق الارشاد و حاميا لسدود السداد و ماحيا للشرك و الالحاد و فضلا من الله و رحمة على العباد و البلاد .

و قال فى آخره :

و وقع الفراغ من انشاء هذا الكتاب فى آخر جزء من اجزاءه بالنهار من يوم الجمعة السادس من صفر ٦٦٦ھ ست و ستين و ستمائة و الحمد لله رب العالمين اولا و آخرا و الصلاة و السلام على رسوله محمد ظاهرا و باطنا و على اولاده و اصحابه رضوان الله عليهم .

و قال ناسخه ما نصه :

وقع فراغ كتابة كاتبه العبد الصغر الجانى على بن الحسين بن محمد الكرمانى اصلح الله باله و حقق فى الدارين اماله فى يوم الثلاثاء الرابع و العشرين من شهر رمضان المبارك عمت ميامنه بسنة ثلاث و سبعين و سبعمائة بمدينة كرمان حماها الله تعالى عن طوارق الحدثان و بوابق الملوان .

و من تاليفاته المعتمد و المعتقد قد طبع بالهند .

(١٠١) هو شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبى كان مفسرا محدثا متقناً ضابطاً اديباً نحوياً لغوياً واسع المعرفة كثير العلم غزير الفضل حسن السيرة مرضى الطريقة عزيز النفس سخياً بما يملكه مكرماً للطلبة و الغرباء ، يعرف القرآت و الحديث و الأدب معرفة حسنة و كانت اوقاته عامرة بالتدريس و الافادة و التاليف .

و له يد طولى فى فقه الحديث و ابراز كنوزه و خفاياه و لم يكن له نظير فى هذا الشان مع الحظ الاوفر من علم اللسان و كان صارما مسلولا على الشذاذ قائما بالدفاع عن السنة دفاع الابطال و منصفا فى البحث على قدم من الصلاح و العفاف .

قال عنه تلميذه ولى الدين الخطيب فى الاكمال فى اسماء الرجال :

"سلطان المفسرين امام المحققين شرف الملة و الدين حجة الله على المسلمين الحسين ابن عبد الله بن محمد الطيبى متعهم الله بطول بقائه". =

"فلما حصلت . . . . النسخة . . . . رأيت ان اضبطها تحت شرح لطيف على منهج شريف يضبط الفاظه مع مبانيه و يبحث عن رواياته و معانيه فان همم اخوان الزمان قد قصرت و مجاهدتهم فى تحصيل العلوم لاسيما فى هذا الفن الشريف ضعفت وهو مقتضى الوقت الذى تجاوز عن الالف".

و قد اثنى عليه مصطفى بن عبد الله الشهير بالحاج خليفة المتوفى ١٠٦٧ھ فى كتابه كشف الظنون حيث قال :

"للشيخ نور الدين على بن سلطان محمد الهروى المعروف بالقارى (المتوفى ١٠١٤ھ) شرح عظيم ممزوج على المشكاة مسمى بالمرقاة فى اربعة مجلدات جمع فيه جميع الشروح و الحواشى".

و قد رزق هذ الشرح من الله القبول و تداولته الايدى فقلما ترى محدثا الا و هو يرجع اليه و يستفيد منه .

= و قال ابن حجر العسقلانى المتوفى ٨٥٢ھ فى كتابه "الدرر الكامنة فى اعيان المائة الثامنة" ما نصه :

كان ذا ثروة من الارث و التجارة فلم يزل ينفق ذالك فى وجوه الخيرات الى ان كان فى آخر عمره فقيراً .

كان كريما متواضعاً حسن المعتقد ، شديد الرد على الفلاسفة و المبتدعة مظهرا فضائحهم مع استيلائهم فى بلاد المسلمين حينئذ شديدا لحب الله و رسوله كثير الحياء ملازماً للجماعة ليلا و نهارا شتاء و صيفاً مع ضعف بصره بآخره ملازما لاشغال الطلبة فى العلوم الأسلامية بغير طمع بل يحدثهم و يعينهم و يعير الكتب النفيسة لاهل بلده و غيرهم من اهل البلدان من يعرف و من لا يعرف محباً لمن عرفت منه تعظيم الشريعة مقبلا على نشر العلم آية فى استخراج الدقائق من القرآن و السنن ، شرح الكشاف شرحاً كبيراً واجاب عما خالف مذهب السنة احسن جواب يعرف فضله من طالعه و امر بعض تلامذته باختصار المصابيح على طريقة نهجها له و سماه المشكاة و شرحها شرحاً حافلا ثم شرع فى جمع كتاب فى التفسير و عقد مجلسا عظيما لقراءة كتاب البخارى فكان يشتغل فى التفسير من بكرة الى الظهر و من ثم الى العصر لاسماع البخارى الى ان كان يوم مات فانه فرغ من وظيفة التفسير و توجه الى الاقامة للفريضة فقضى نحبه متوجهاً الى القبلة و ذلك يوم الثلثاء ثالث عشرى شعبان ٧٤٣ھ.

و قال السيوطى المتوفى ٩١١ھ فى بغية الرعاة فى طبقات اللغويين و النحاة :

"الحسن (الحسين) بن محمد بن عبد الله الطيبى بكسر الطاء الامام المشهور العلامة فى =

الثالث قيامه بالذب عن المذهب الحنفي و اثباته من الحديث والسنة فان الشيخ ولى الدين الخطيب العمرى التبريزى مؤلف مشكاة المصابيح رحمه الله كان شافعيا فاورد فى كل باب من الاحاديث و الآثار ما يستدل به الشافعية و اعرض عما يستدل به الحنفية و لاقى كتابه رواجاً فسبق الى شرحه جماعة من اهل العلم معظمهم من الشافعية و فى مقدمتهم شيخه الطيبى و آخرهم ابن حجر الهيتمى المكى شيخ على القارى فخدموا بذلك مذهبهم و لم يعتنوا بسرد ادلة الحنفية كما ينبغى.

و لما رأى ذلك المولى على القارى فشمر عن ساق الجد فى توضيح ادلة المذهب و سردها على اتم وجه و احسن طريق حيث يقول:

و ايضاً من البواعث ان غالب الشراح كانوا شافعية فى مطلبهم و ذكروا المسائل المتعلقة بالكتاب على منهاج مذهبهم و استدلوا بظواهر الاحاديث على مقتضى مشربهم و سموا الحنفية

= المعقول و العربية و المعانى و البيان،
قلت ذكر فى شرحه على الكشاف انه اخذ على (عن) ابى حفص السهروردى".
و قال عنه المحدث محمد بن عبد الباقى الزرقانى فى شرحه على المواهب اللدنية:
العلامة شرف الدين الحسن (الحسين) بن محمد بن عبد الله الطيبى بكسر الطاء نسبة الى الطيب بلد بين واسط و كور الاهواز".

قال السيوطى و له المام بالحديث لكنه لم يبلغ درجة الحفاظ و منتهى نظره الكتب الستة و مسند احمد و الدارمى لا يخرج من غيرها كثيراً يورد صاحب الكشاف الحديث المعروف فلا يحسن الطيبى تخرجه و يعدل الى ذكر ما هو فى معناه مما فى هذه الكتب و هو قصور فى التخريج".

ونقل الشيخ عبد الوهاب الشعرانى المتوفى ٩٧٣ﻫ عن شيخه شيخ الاسلام زكريا الانصارى المتوفى ٩٢٦ﻫ فى كتابه لواقح الانوار القدسية فى بيان عهود المحمدية (طبع مصر ١٣٨١ﻫ ص ٦٣٢) ما نصه:

سمعت شيخنا شيخ الاسلام زكريا الانصارى رحمه الله يقول:

قل ان يجتمع فى شخص فى عصر من الاعصار علم الفقه و الحديث و التصوف قال و لم يبلغنا انها اجتمعت فى احد بعد الطيبى صاحب حاشية الكشاف الى وقتنا هذا و من اجتمعت فيه هذه العلوم الثلاثة فهو الذى ينبغى ان يلقب بشيخ اهل السنة و الجماعة فى عصره و من لم يلقبه بذلك فقد ظلمه.

و قال الشعرانى فى لطائف المنن و الاخلاق فى بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الاطلاق (طبع مصر ص ٤٠):

كان محدثاً صوفياً، نحوياً، فقيهاً، اصولياً، و قل ان تجمع هذه الصفات فى عالم.

(و قد اجتمعت هذه الصفات بعد الطيبى فى المولى على القارى والشيخ عبد الحق الدهلوى و شاه ولى الله الدهلوى و لذا ذكرنا هم فى زمرته).

اصحاب (١٠٢) الراى على ظن انهم ما يعملون بالحديث بل و لا يعلمون الرواية و التحديث لا فى

(١٠٢) والعجب ان الشافعية يطعنون على الحنفية بالراى والحنفية ابعد عن الرأى من الشافعية و قد الف فى هذا الموضوع الخاص الأصولى النظار القاضى محب الله العثمانى الصديقى الحنفى البهارى المتوفى سنة رسالة و قد لخصها المؤرخ الكبير السيد عبد الحى بن فخر الدين الحسنى فى ترجمته من كتابه نزهة الخواطر و بهجة المسامع و النواظر (ج ٦ ص ٢٠١) حيث قال:

(و له) رسالة فى اثبات ان مذهب الحنفية ابعد عن الرأى من مذهب الشافعية على خلاف ما اشتهر و استدل عليه بوجوه:

منها ان الحنفية قائلون بان العام من الكتاب و السنة قطعى فلا يصح بخلافه القياس بخلاف الشافعية فانهم يجوزون القياس بخلافه فالحنفية لا يخصصون العام بالرأى بل يقولون ببطلان الرأى هنالك.

و منها ان الشافعية حملوا المطلق على المقيد بالقياس و الحنفية لا يحملون المطلق على المقيد بالقياس.

و منها ان المراسيل من الأحاديث مقبولة عند الحنفية فانهم يقدمونها على الرأى بخلاف الشافعى فانه يقول بتقديم الرأى عليها الا ان يكون مع المرسل عاضد من اسناد او ارسال آخر او قول صحابى او اكثر العلماء او عرف انه لا يرسل الا عن ثقة.

و منها ان قول الصحابى ان كان فيما لا يدرك بالرأى فعند الحنفية كلهم حجة ملحق بالسنة فيقدم على القياس، و الشافعى لا يرى قوله حجة مقدمة على الرأى بل يقدم رأيه على قوله.

و منها ان زيادة جزء او شرط فى عبارة ثبت اطلاقها بالكتاب يجوز عند الشافعى بالرأى لانه تخصيص و تقييد و عند ابى‌حنيفة لا يجوز ذلك لانه نسخ لأطلاق الكتاب.

و منها ان الحنفية احتاطوا فى اثبات صحة الرأى فقالوا ان العلة و هو الوصف الجامع بين الاصل و الفرع يجب ان يكون مؤثرة اى ظهر تأثيره بنص او اجماع، و الشافعية اكتفوا بمجرد الاحالة و الملائمة العلية و ان لم يظهر تأثيره شرعاً بل صححوا و ان لم تظهر المناسبة بين الوصف و الحكم.

و منها ان الشافعية يثبتون الحدود و الكفارات بالرأى و الحنفية لا يصححون الرأى فى الحدود لاشتمالها على تحديدات حديدات لا يعقل (تحديدات) انتهى.

و قد الف فقيه الهند و بسندها الشيخ العلامة شاه عبد العزيز بن ولى الله الفاروقى الحنفى الدهلوى المتوفى ١٢٣٩هـ رسالتين احداها فى بيان ماخذ مذاهب الأئمة الاربعة و الثانية فى اصول مذهب ابى‌حنيفة و لا بأس ان نوردها هنا برمتها فالاولى:

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده و نصلى على نبيه الكريم و على آله و صحبه ذوى الفضل الجسيم، =

القديم و لا فى الحديث مع ان مذهبهم القوى تقديم الحديث الضعيف على القياس المجرد الذى يحتمل

= اعلم رحمك الله ان المجتهدين الباحثين عن دلائل الاحكام الشرعية و مآخدها لما رأوا احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم متعارضة و آثار الصحابة و التابعين مختلفة و هى اعم المآخذ و اكثرها فى الاحكام تحيروا و اختلف رأيهم فى وجه التقصى عن هذا التعارض و الاختلاف ،

فالذى اختار مالك رحمه الله تحكيم عمل اهل المدينة لان المدينة بيت الرسول و موطن خلفائه و مسكن اولاد الصحابة و اهل البيت و مهبط الوحى و اهلها اعرف بمعانى الوحى فكل حديث او اثر يخالف عملهم لابد ان يكون منسوخاً او مأولا او مخصصاً او محذوف القصة فلا يعتنى به .

و الذى اختاره الشافعى رحمه الله تحكيم اهل الحجاز و اشتغل بالدراية مع ذلك و حمل بعض الروايات على حالة و بعضها على حالة آخرى و سلك مسلك التطبيق مها امكن ثم لما ارتحل الى مصر و العراق و سمع روايات كثيرة عن ثقات تلك البلاد ترجح عنده بعض تلك الروايات على عمل اهل الحجاز فحدث فى مذهبه قولان القديم و الجديد .

و الذى اختاره احمد بن حنبل رحمه الله اجراء كل حديث على ظاهره لكنه خصص بمواردها مع اتحاد العلة و جاء مذهبه على خلاف القياس و اختلاف الحكم مع عدم الفارق و لذلك نسب مذهبه الى الظاهرية .

و اما الذى اختاره ابوحنيفة رحمه الله و تابعوه و هو امر مبين جدا و بيان ذلك انا اذا تتبعنا فوجدنا فى الشريعة صنفين من الاحكام .

صنف هى القواعد الكلية المطردة المنعكسة كقولنا لا تزر وازرة وزر آخرى و قولنا الغنم بالغرم و قولنا الخراج بالضمان و قولنا العتاق لا يحتمل الفسخ و قولنا البيع يتم بالايجاب و القبول و قولنا البينة للمدعى و اليمين على من انكر و نحو ذلك مما لا يحصى .

و صنف وردت فى حوادث جزئية و اسباب مختصة كأنها بمنزلة الاستثناء من تلك الكليات فالواجب على المجتهد ان يحافظ على تلك الكليات و يترك ما وراءها لان الشرائع فى الحقيقة عبارة عن تلك الكليات و اما الأحكام المخالفة لتلك الكليات لا ندرى اسبابها و مخصصاتها على اليقين فلا يلتفت اليها مثال ذلك ان البيع يبطل بالشروط الفاسدة قاعدة كلية و ما ورد فى قصة جابر رضى الله عنه انه اشترط الحملان الى المدينة فى بيع الجمل قصة شخصية جزئية فلا يكون معارضة لتلك الكلية و كذا حديث المصراة تعارض القاعدة الكلية التى ثبتت فى الشرع قطعاً و هى قولنا الغنم بالغرم و نحو ذلك من المسائل و لزم من هذا ترك العمل باحاديث كثيرة وردت على هذا النسق الجزئى لكنهم لا يبالون بها بل يعدون الاجتهاد و المحافظة على الكليات و درج الجزئيات فى تلك الكليات مها امكن و هذا الكلام الأجمالى له تفصيل طويل لا يسع الوقت له و الله الهادى (الفتاوى العزيزية فى المسائل المشكلة طبع دهلى ص ٧٦) . =

التزييف ، نعم من رأى ثاقبهم الذى هو معظم مناقبهم انهم ما تشبثوا بالظواهر بل وقفوا النظر

= و الثانية فى اصول مذاهب ابىحنيفة :

من اللطائف التى قلما ظفر جدلى لحفظ مذهبه ما اخترعته المتأخرون لحفظ مذهب ابىحنيفة و هى عدة قواعد يردون بها جميع ما يحتج به عليهم من الاحاديث الصحيحة :

القاعدة الاولى : الخاص مبين فلا يلحقه البيان ردوا بها فرضية قراءة الفاتحة فى الصلاة و فرضية الاطمينان و غير ذلك قالوا لفظ اسجدوا و اقرؤا خاص مبين فلو لحقه البيان لكان الخاص يلحقه البيان .

القاعدة الثانية : الزيادة على الكتاب نسخ فلا يكون الا بآية ناصة او بحديث ناص .

الثالثة : المرسل كالمسند .

الرابعة : لا ترجيح بكثرة الرواة و انما هو بفقه الراوى .

الخامسة : لا يقبل الجرح حتى يكون مفسرا وذلك لان الجرح و التعديل انما هما فى الاكثر اجماليان .

السادسة : قول ابن الهمام فى بعض كتبه ما صححه البخارى و مسلم و نظراهما لا يجب علينا قبوله كيف و كم من راو يختلف فيه الناس باجتهادهم فمن جارح و معدل فعسى ان يكون الذى عدلوه مجروحاً عند امامنا و كذلك ما ضعفوه او وضعوه لا يجب علينا ان نقول به كيف و عسى ان يكون الذى جرحوه عدلا موثوقا به فاذن لا اعتماد لنا الا على ما ذكروا اصحابنا .

السابعة : قال بعض اصحاب الفتاوى اذا كان فى المسئلة قول لابىحنيفة و صاحبيه و حديث يحكمون بصحته وجب اتباع قولهم دون الحديث لانا نظن بابىحنيفة و صاحبيه انهم عارضوا الحديث مع صحته و صحة الاستنباط منه و لا نظن بهم انهم لم يبلغهم الحديث لقرب زمانهم و سعة علمهم .

الثامنة : كل حديث لم يروه الا من ليس فقيهاً فان انسد فيه باب الرأى لا يجب قبوله .

التاسعة : العام قطعى كالخاص فلا يخصص عام بخاص حتى يكون قطعياً فيكون تخصيصه نسخاً الا اذا كان العام قد خص منه بعضه عن عثمان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات و هو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة رواه مسلم هذا الحديث ظاهر فى ان الايمان هو التصديق فقط كما هو مذهب ابىحنيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوضوء من كل دم سائل رواه الدارقطنى و استدلت الحنفية بهذا الحديث على انتقاض الوضوء بخروج النجس من غير السبيلين .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة و لا تستدبروها ولكن شرقوا او غربوا متفق عليه هذا الحديث ايضاً موافق لمذهب ابىحنيفة رحمه الله .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل بعض ازواجه ثم يصلى و لا يتوضأ رواه الترمذى قال ابوحنيفة مس النساء لا يبطل الوضوء بدليل هذا الحديث . =

فيها بالبحث من السرائر و كشفوا عن وجوه المسائل نقاب الستائر و لذا قال الامام الشافعي الخلق

= سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مس الرجل ذكره بعد ما يتوضأ قال و هل هو الا بضعة منك رواه النسائى و الترمذى و ابوداود و هذا الحديث دليل لابىحنيفة على ان مس الذكر غير ناقض للوضوء .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسفروا بالفجر فانه اعظم للاجر رواه الترمذى ، هذا الحديث بظاهره مؤيد لمذهب ابىحنيفة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الامام ضامن و المؤذن مؤتمن اللهم ارشد الائمة و اغفر للمؤذنين رواه احمد و ابوداود و الترمذى هذا بظاهره يؤيد مذهب ابىحنيفة على ان صلاة المقتدى موقوفة على صلاة الامام .

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى المغرب بسورة الأعراف فى ركعتين رواه النسائى ، هذا الحديث يدل على ان وقت المغرب ليس بضيق و هذا موافق لمذهب ابىحنيفة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما جعل الامام ليؤتم به فاذا كبر فكبروا و اذا قرأ فانصتوا رواه ابوداود و النسائى ، هذا الحديث مؤيد لمذهب ابىحنيفة .

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعتمد الرجل على يديه اذا نهض فى الصلاة رواه ابوداود و هذا الحديث دليل لمذهب ابىحنيفة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان منكم مصليا بعد الجمعة فليصل اربعاً رواه مسلم يعلم من هذا الحديث ان السنة بعد الجمعة اربع ركعات كما هو مذهب ابىحنيفة رحمه الله .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نام عن وتره فليصل اذا اصبح رواه الترمذى احتج ابوحنيفة بهذا الحديث على وجوب الوتر .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا احدث احدكم وقد جلس فى آخر صلاته قبل ان يسلم فقد جازت صلاته رواه الترمذى ، هذا مذهب ابىحنيفة لان التسليم عنده ليس بفرض .

عن علقمة قال قال لنا ابن مسعود الا اصلى بكم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى و لم يرفع يديه الا مرة واحدة مع تكبيره الافتتاح رواه الترمذى و النسائى ، هذا الحديث مؤيد لمذهب ابىحنيفة على ان لا رفع الا فى تكبيره الافتتاح .

ان النبى صلى الله عليه وسلم و ابابكر و عمر رضى الله عنهما كانوا يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين رواه مسلم ، هذا الحديث يؤيد مذهب الحنفية ان البسملة ليست من الفاتحة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرأ فيها بام القرآن فهى خداج ثلاثا غير تام رواه الترمذى ، هذا الحديث يؤيد مذهب ابىحنيفة لان النبى صلى الله عليه وسلم قال لصلاة لم يقرأ فيها الفاتحة خداجاً و الخداج معناه ناقص فاتضح بهذا ان قراءة الفاتحة فى الصلاة ليست=

كلهم عيال ابيحنيفة فى الفقه و هذا الاعتراف يدل على الاغتراف و كمال الانصاف منه رضى الله تعالى عنها ونفعنا بعلومها و مددها فاحببت ان اذكر ادلتهم وابين مسائلهم و ادفع عنهم مخالفتهم لئلا يتوهم

=فرضاً ولوكانت فريضة لاستعمل النبى صلى الله عليهوسلم لفظاً آخر مثل فسدت او لم تجز فعلم ان قراءة الفاتحة فى الصلاة واجبة و ليست فرضاً لان فرضيتها ليست موجبة لنقصانها بل هى موجبة لعدم جوازها .

عن ابيهريرة انه كان يقول من ادرك الركعة فقد ادرك السجدة و من فاتته ام القرآن فقد فاته خير كثير رواه مالك و فيه دليل على ان الفاتحة ليست فرضاً كما هو مذهب ابيحنيفة .

قال رسول صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لم يقرأ بام القرآن فصاعدا رواه مسلم هذا الحديث ايضاً بظاهره يؤيد مذهب ابيحنيفة لان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة ان كان المراد به نفى الاصل فقوله فصاعدا ليس بصحيح وليس احد من الائمة بقائل لفرضية زيادة القراءة على الفاتحة بالاجماع فيلزم ان المراد بالنفى نفى الكمال .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من افطر فى تطوعه فليقضه رواه احمد هذا دليل على مذهب ابيحنيفة بان النفل يلزم بالشروع الفتاوى العزيزية ص ٦٦ المطبعة المجتبائية بالهند .

و قال العلامة الشيخ محمد عبد الحى اللكهنوى فى فتاواه :

قال الحافظ ابن حجر العسقلانى فى كتابه المجمع المؤسس فى المعجم المفهرس :

"ان الاصول كما توجد مضبوطة فى كتب المذهب الحنفى لا توجد مثلها عندنا اى الشافعية (مجموعة الفتاوى ج ٢ ص ٢٨٦ طبع لكهنؤ بالهند ١٩٢٦ م)".

وقال الشيخ المحدث الفقيه عبد الحق الدهلوى فى كتابه تحصيل التعرف فى الفقه والتصوف ما نصه حرفياً :

"قال ابو يوسف ما خالفته (اباحنيفة) فى شىء الا رأيت الذى ذهب اليه أنجى فى الآخرة و ربما كنت ملت الى الحديث و كان هو ابصر بالحديث منى و قال ما رأيت اعلم بشرح الحديث من ابيحنيفة رضى الله تعالى عنه و مما يدل على كثرة اعتناء ابيحنيفة رضى الله عنه بالحديث انه جوز نسخ الكتاب بالمشهور و انه عمل بالمراسيل و الضعيف و قول الصحابى و قدم هذه كلها على القياس" . . . . (الورقة ٦٩-٧٠) .

و قال مشائخنا لما تمسك الشافعى ببعض الاحاديث و لم يتمسك ابوحنيفة بها ظن الناس ان مذهبه مخالف للاحاديث و الحال ان ههنا احاديث اصح و اقوى من تلك الاحاديث التى تمسك بها الشافعى تركها ابوحنيفة لاجلها . . . . و لقد تكفل نظام هذا الامر و اتمامه شرح الشيخ ابن الهمام رحمه الله تعالى ثم ان ما ذكره الشافعية من الطعن فى بعض الاحاديث التى تمسك بها الحنفية او هو فى بعض المتأخرين من الرواة جاؤا بعد زمان ابيحنيفة رضى الله تعالى عنه والحكم بضعفه الحديث=

العوام الذين ليس لهم معرفة بالادلة الفقهية ان المسائل الحنفية تخالف الدلائل الحنيفية (و سميته مرقاة المفاتيح لمشكاة المصابيح) .

=من جهة الراوى المتأخر لا يستلزم الحكم بضعفه فى الزمان المتقدم الذى لم يكن هذا الراوى موجودا فيه فيجوز ان يكون الحديث صحيحاً فى الزمان السابق بسبب اجتماع شرائط صحته و قبوله فيه فالحديث الذى تمسك به ابوحنيفة رضى الله تعالى عنه مثلا كان صحيحاً لقلة الوسائط واحدا على القول بثبوت استماعه من الصحابى او اثنين بسماعه من التابعين ثم فى الزمان اللاحق كثرت الوسائط و الرواة و وجد فيهم من الضعف و الوهن فلا يلزم من جرح الراوى المتأخر الحكم بضعف ذلك الحديث لكونه سالماً فى ذلك الزمان من الطعن فى روايته و هذه نكتة ظاهرة وقعت فى ذهن الكاتب و لم ار من ذكره و الظاهر انهم ما ذكروه لكونها فى غاية الظهور و هذا كما ذكره بعض المحققين ان الحكم بالتواتر و الشهرة و الوحدة انما يعتبر فى الصدر الاول و الا فكم من حديث كان فى ذلك الزمان من الاحاد و صار بعد ذلك بوجود كثرة الطرق بحدوث كثرة الرواة و الطالبين مشهورا و لهذا اشترطوا فى التواتر استواء ادلة اوله و آخره و وسطه و مما يدل على ان مذهب ابىحنيفة رضى الله تعالى عنه موافق للاحاديث و مبنى عليها موافقته مذهب الامام احمد بن حنبل رحمه الله تعالى فى الاكثر فانه لا خلاف بينهما غالباً و ان كان ظاهر المذهب مخالفا فلا اقل من ان يكون ههنا رواية توافقه كما يظهر من تتبع كتاب الخرق و هو كتاب جليل جامع فى مذهبه و شرحه للزركشى كذلك مملو بالاحاديث اثبتوا المسائل بها ونقلوا الروايات من ائمة مذهبه ومشائخه و ذكره بعضهم ان احمد وافق اباحنيفة رضى الله تعالى عنه فى خمس و عشرين و مائة مسئلة و خالف الشافعى و كان الشافعى اذ كان مقيما بالبغداد (ببغداد) خالف اباحنيفة فى المذهب كله لما قدم مصر رجع فى الاكثر و من ههنا جاء من الشافعى قولان القديم و الجديد .

و مما يستانس بالموافقة التى اوعيناه بين مذهب ابىحنيفة و احمد رضى الله تعالى عنهما عدم كنايه و من الخلاف معه فى كنز الدقائق اشهر كتاب فى مذهبنا فان مصنفه اثبت رموزا للمخالفين فيها كالفاء للشافعى و الكاف لمالك و العين لابى يوسف و الميم لمحمد و غيرها لم يرمز لاحمد و ما هو الالقلة الخلاف و ندرته .

و اما قولهم ان سلوك طريق الاتباع و الاقتداء فى مذهب الشافعى اكثر و اوفر ففيه ان اباحنيفة رضى الله تعالى عنه يوجب تقليد الصحابى و يقدم اكثر اقسام الحديث على القياس بخلاف الشافعى رحمه الله تعالى .

اما الاول فقد ثبت فى اصول الفقه ان اباحنيفة رضى الله تعالى عنه يقول بان تقليد الصحابى واجب و ان كان بالقياس و الاجتهاد و الشافعى رحمه الله تعالى يقول هم رجال و نحن رجال يعنى هم و نحن سواء فى الاجتهاد و لا يسع للمجتهد تقليد مجتهد آخر و نقل عن الامام ابىحنيفة=

واذا احس المولى على القارى بالاعتراض على المذهب من كلام الطيبى وابن حجر الهيتمى يتعقب عليه و يفصح عما لديه (١٠٣).

=رضى الله تعالى عنه انه كان يقول عجباً من الناس يقولون انى افتى برای و انا لا افتى الا بما هو المروى و الماثور . . . . .

و قال الحافظ محمد بن حزم الظاهرى ان اصحاب ابى‌حنيفة رضى الله تعالى عنهم متفقون على ان الحديث و ان ضعف اسناده اقدم و اولى من القياس و الاجتهاد انتهى و يظهر ذلك فى حديث القهقهة فى الصلاة فانه ضعيف . . . . و هو رضى الله تعالى عنه لا يعمل بالقياس ما لم يصل الى حد الضرورة و الاضطرار و لا يعمل بالقياس الا ما كانت علته مؤثرة، لا بالقياس تناسب شبه و طرد فانها متروكة و مردودة عنده و عند الشافعى رحمه الله تعالى مقبولة .

و ايضاً رضى الله تعالى عنه يرى المراسيل و يقدمها على القياس عندنا كما ذكر بخلاف الشافعى رحمه الله تعالى يقدم القياس على اقسام من الحديث و تفصيل الكلام فى تقدم الحديث على القياس عندنا كما ذكر فى اصول الفقه ان الراوى اما ان يكون معروفاً بالرواية او مجهولا بان لا يعرف الا بحديث او حديثين و المعروف بالرواية اما ان يكون معروفا بالفقه و الاجتهاد كالخلفاء الاربعة و العبادلة الثلاثة و هم عبد الله بن مسعود و عبد الله بن عباس و عبد الله بن عمر و امثالهم رضى الله تعالى عنهم اجمعين فاحاديث هؤلاء مقبولة و ان كان مخالفة للقياس مطلقة و مقدمة عليه و ان لم يكن معروفاً بالفقه و الاجتهاد بل كان معروفاً بالرواية و العدالة كابى‌هريرة و انس رضى الله تعالى عنهما فان كان حديثه موافقا للقياس قبل و ان كان مخالفا لقياس موافقاً آخر و ان كان مخالفاً لجميع القياسات لم يقبل لاستلزامه انسداد باب الرأى و هو ثابت بالكتاب و السنة و لهذا اوردوا حديث المصراة .

و اما الراوى المجهول بالرواية ان روى عنه السلف و شهدوا لصحة حديثه فهو فى حكم المعروف و ان سكتوا عن الطعن فهو ايضاً مقبول وان قبل بعض و رد بعض مع نقل الثقات عنه قبل ان وافق قياساً من الاقيسة و اما الذى لم يظهر حديثه فى السلف فان كان من القرون الثلاثة قبل ايضاً لغلبة الصدق فيهم و الا رد . . . . و الحاصل ان قبول الحديث و تقديمه على القياس عند الحنفية على هذا التفصيل و يعلم منه ان الاكثر و الاغلب عندهم ان الحديث مقدم على القياس الورقة ١٤ .

(١٠٣) و انموذجه ما قال الطيبى فى شرح قوله صلى الله عليه وسلم "لا يمنعن رجل اهله ان يأتوا المساجد فقال ابن لعبد الله بن عمر فانا نمنعهن فقال عبد الله احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم و تقول هذا قال فما كلمه عبد الله حتى مات".

عجبت ممن يتسمى بالسنى اذا سمع من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم و له رأى رجح=

و لهذه الاهداف الجليلة عد شرحه هذا من الكتب الممتعة التى لابد للمحدث الحنفى ان يطالع بالأمعان و دقة النظر .

قال المحدث الشيخ عبد البارى بن عبد الوهاب الانصارى اللكهنوى فى مقدمة كتابه التعليق المختار على كتاب الآ ثار ما نصه :

هذه جملة ما لابد للمحدث الحنفى ان يطالع و يدرس :-

١- مؤطا الأمام مالك برواية الامام محمد بن الحسن الشيبانى و هو اصح الكتب بعد كتاب الله عند الامام الشافعى رحمة الله عليه و كفى بنا قدوة .

٢- مسند الإمام ابىحنيفة برواية الامام محمد بن الحسن الشيبانى المشهور بكتاب الآ ثار ذكر فيه الأحاديث المروية عن الامام اكثرها برواية اصح الاسانيد عن حماد عن ابراهيم عن اصحاب عبد الله ابن مسعود عن ابن مسعود و غيره من الصحابة رضى الله عنهم فانه لا ينحط درجته عن درجة الصحاح الست عند التحقيق .

٣- كتاب الحجج للامام محمد بن الحسن الشيبانى رحمة الله عليه حاكم فيه بين اهل المدينة و اساتذة الامام مالك و بين اهل العراق و اساتذة الامام ابىحنيفة رحمهم الله .

٤- جامع المسانيد جمعه الأمام المحدث الفقيه قاضى القضاة ابو المؤيد محمد بن محمود بن محمد الخوارزمى رحمة الله عليه .

٥- معانى الآ ثار للامام الحافظ النقاد الاعلام شيخ الحديث ابى جعفر احمد بن محمد بن سلامة ابن عبد الملك بن سلمة بن سليمان بن خباب الازدى الحجرى المصرى الطحاوى .

٦- مشكل الآ ثار للامام الطحاوى و لكن لم يطبع الى الآن (قلت ثم طبع منه اربعة اجزاء وهى نحو نصف الكتاب) وقد طبع المعتصر مختصر مشكل الآ ثار فيغتنم لمن لا يحصل له مشكل الآ ثار .

=رأيه عليها و أى فرق بينه و بين المبتدع اما سمع لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به و ها هو ابن عمر و هو من اكابر الصحابة و فقهائها كيف غضب لله و رسوله و هجر فلذة كبده لتلك الهنة عبرة لاولى الالباب .

فقال القارى متعقباً :

يشم من كلام الطيبى رائحة الكناية الاعتراضية على العلماء الحنفية ظناً منه انهم يقدمون الرأى على الحديث و لذا يسمون اصحاب الرأى و لم يدر انهم انما سموا بذلك لدقة رأيهم و حذاقة عقلهم و لذا قال الشافعى كل الناس عيال على ابىحنيفة فى الفقه و قد قال ابن حزم ان جميع الحنفية على ان مذهب امامهم ان ضعيف الحديث اولى عنده من الرأى و القياس ذكره السخاوى و قال ابن حجر فى المناقب الحسان :

اعلم انه يتعين عليك ان تفهم من قول بعض العلماء عن ابىحنيفة و أصحابه انهم اصحاب=

ثم لا بد له ان يطالع و يسرد الصحيحين و الجامع الترمذى و السنن الاربع سنن ابن ماجه و سنن النسائى و سنن الدارمى و سنن ابى داود السجستانى و سنن ابى داود الطيالسى و الدارقطنى و ان وجد مصنف ابن ابى شيبة و مسند عبد الرزاق و كتب الطبرانى و جامع الاصول اما مطالعة كنز العمال فانه يغنى عن هذه الكتب فى اكثر الابواب انشاء الله تعالى ، و ينفع مطالعة فتح المنان للشيخ عبد الحق الدهلوى و عقود الجواهر المنيفة و مسند الامام برواية السندى و شرح البخارى للعينى و شرح القارى و الدهلوى للمشكاة (١٠٤) .

و لم يكتف المولى على القارى على الاهداف المذكررة بل يتحدث فى اثناء شرحه للشؤن الدينية و الاجتماعية و الحياة العادية اليومية بمكة المكرمة حيث قال :

"و قد حدث فى زماننا اذان رابع و هو الاذان لاعلام دخول الخطيب فى المسجد" (١٠٥) .

و قال فى شرح حديث النبى صلى الله عليه وسلم مهلا فوالذى نفسى بيده لقد تاب توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له .

"العجب كل العجب من علماء زماننا و مشائخ اواننا انهم يقبلون منهم.

هذا المال و يصرفونه فى تحصيل المنال و لا يتأملون فى المآل نسأل الله تعالى العافية والرزق الحلال و حسن الاعمال" (١٠٦) .

= الرأى ان مرادهم بذلك تنقيصهم و لا نسبتهم الى انهم يقدمون رأيهم على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم و لا على قول اصحابه لانهم برآء من ذلك فقد جاء عن ابى حنيفة من طرق كثيرة انه اولاً يأخذ بما فى القرآن فان لم يجد فبالسنة فان لم يجد فبقول الصحابة فان اختلفوا اخذ بما كان اقرب الى القرآن او السنة من اقوالهم فان لم يجد لاحد منهم قولا لم يأخذ بقول احد من التابعين بل يجتهد كما اجتهدوا و قال ابن المبارك عنه اذا جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس و العين و اذا جاء عن الصحابة اخترنا و اذا جاء عن التابعين زاحمناهم و عنه ايضاً و عجباً للناس يقولون افتى بالرأى ما افتى الا بالاثر و عنه ايضاً ليس لاحد ان يقول برأيه مع كتاب الله و لا مع سنة رسوله و لا مع ما اجتمع عليه اصحابه و اما ما اختلفوا فيه فنتخير من اقاويلهم اقربه الى كتاب الله تعالى و الى السنة و نجتهد و ما جاوز ذلك فالاجتهاد بالرأى لمن عرف الاختلاف و لدقة قياسات مذهبه كان المزنى يكثر النظر فى كلامهم حتى حمل ابن اخته الامام الطحاوى على ان انتقل من مذهب الشافعى الى مذهب ابى حنيفة كما صرح به الطحاوى نفسه اه .

(١٠٤) راجع محمد عبد البارى الانصارى، مقدمة التعليق المختار على كتاب الآثار ص ١٠٠، لكهنو ١٣٣٣هـ .

(١٠٥) راجع مرقاة المفاتيح ج ٢ ص ٢٥٢ .

(١٠٦) راجع مرقاة المفاتيح ج ٤ ص ٧١ .

و قال ايضاً فى شرح حديث اما ابل الشياطين فقد رأيتها يخرج احدكم بنجيبات معه قد اسمنها فلا يعلو بعيرا منها و يمر باخيه قد انقطع به فلا يحمله.

"قد حدث فى زماننا اعظم منه و هو ان يكون مع الاكابر ابل كثيرة و يأخذوا ابل الضعفاء سخرة و ربما تكون مستأجرة فى طريق الحج فيرموا الحمول عنها و يأخذوها و لا حول و لا قوة الا بالله" (١٠٧).

و جملة القول ان المولى على القارى اتى فيه ببيان شاف فى مسائل الخلاف و انصف غاية الا نصاف ليسهل معه فهم معانى الحديث بقدر الامكان و اجاد فيه كل الاجادة و بلغ غاية فى الاحسان و الافادة و نهاية فى التحقيق و الاستدلال بحثا و نقداً و قد وصفه العلامة المحقق المحدث البارع الشيخ محمد ادريس الكاندهلوى فى مقدمة كتابه "التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح" ما نصه:

"انه شرح لطيف على منهج شريف كافل لضبط الالفاظ مع المبانى و البحث عن الروايات مع المعانى جمع فيه جميع الشروح و الحواشى و استقصاها فلم يغادر صغيرة و لا كبيرة الا احصاها و ها انا معترف بانى اغترفت فى هذا التعليق".

و عندى هو انفع و امتع كتاب فى شرح الحديث وكتاب ضخم ليس فى كتب الشروح لمشكاة المصابيح المطبوعة ما يساويه بحثا و استدلالا و تحقيقاً و تنقيحا جمع فيه و اوعى و اتى بالمقاصد و وفى.

و هذا الكتاب وحده يكفل لك ملكة حسنة فى فهم الحديث ان كنت شديد الالمام به فلاغنى للمحدث و الفقيه عنه و لذلك شاع الانتفاع به فى العالم الاسلامى.

كان رحمه الله محظوظا من العلم، مرزوقاً من التصنيف و حسن التاليف وقد اشتهرت مؤلفاته شرقاً و غرباً و لا تكاد تجد خزانة فى الدنيا عربية كانت ام عجمية تخلو عن عدد منها بخلاف مؤلفات اقرانه فانها اعز من بيض الاونق قال المحبى.

"واشتهر ذكره و طار صيته و الف التاليف الكثير اللطيفة التادية المحتوية على الفوائد الجليلة".

و قد شاعت عند المتأخرين رواية تصانيف على القارى حيث استجاز عنه المحدثون تاليفاته و الذين اجازهم بروايتها عنه كثيرون فذكروا سلسلة روايتهم عنه فى اثباتهم و معاجمهم فقال حكيم الامة و محدث الهند العلامة الشيخ قطب الدين احمد ولى الله بن عبد الرحيم العمرى الدهلوى المتوفى ١١٧٦هـ فى كتابه الانتباه فى سلاسل اولياء الله و اسانيد وارثى رسول الله ما نصه:

"منهم ملا على القارى له شرح على المشكاة و كتب كثيرة شهيرة وجدتها عند الشيخ اسعد العتاق المكى عن ابيه عن جده و هو الذى وصى اليه الشيخ على القارى بجميع

(١٠٧) راجع مرقاة المفاتيح ج ٤ ص ٢١٩.

كتبه فكانت مسوداته بخطه موجودة عنده" (١٠٨).

و قال العلامة المحدث الفقيه الشيخ محمد امين بن عمر الحسيني المدعو بابن عابدين في ثبته عقود اللآلى فى الاسانيد العوالى تصانيف المنلا على القارى.

بالسند الى المنلا ابراهيم الكورانى عن المنلا محمد شريف بن منلا يوسف الكورانى الصديقى عن السيد معظم الحسينى البلخى عن مؤلفها المنلا على بن سلطان محمد القارى (١٠٩).

و قد آن لنا ان نشير الى تراثه العلمى فمن مؤلفاته التى قد طبع.

الاحاديث القدسية و الكلمات الانسية.

الثمار الجنية فى اسماء الحنفية.

جمع الوسائل فى شرح الشمائل.

الحرز الثمين للحصن الحصين.

الحزب الاعظم و الورد الافخم لا تتسابه و استناده الى الرسول الاكرم.

شرح الشفاء (للقاضى عياض).

شرح (على القارى) على نبذة فى زيارة المصطفى.

الضابطية للشاطبية و هو شرح على الشاطبية.

عين العلم و زين الحلم.

فتح الرحمان بفضائل شعبان.

المبين المعين لفهم الاربعين.

مرقاة المفاتيح لمشكاة المصابيح.

المشرب الوردى فى حقيقة (مذهب) المهدى.

مصطلحات اهل الاثر على نخبة الفكر.

منح الروض الازهر فى شرح الفقه الاكبر.

المنح الفكرية بشرح المقدمة الجزرية.

الموضوعات.

نزهة الخاطر الفاتر فى ترجمة سيدى الشريف عبد القادر.

---

(١٠٨) راجع كتاب الانتباه فى سلاسل اولياء الله و اسانيد وارثى رسول الله بالفارسية لشاه ولى الله، ونسخته الخطية المنقولة عن نسخة ابن حفيده الشيخ عمر بن محمد اسماعيل بن عبدالغنى الدهلوى محفوظة عند شقيقى الاكبر الشيخ المحدث البارع المحقق المفضال محمد عبد الرشيد النعمانى اطال الله بقائه.

(١٠٩) عقود اللالى فى الاسانيد العوالى ص ١٤٢، مطبعة المعارف بولاية سوريه ١٣٠٢ھ.

و مؤلفاته التى لم تطبع

اتحاف الناس بفضل و ج و ابن عباس .
الاجوبة المحررة فى البيضة الخبيثة المنكرة .
الادب فى فضائل رجب اربع مقالات
الازهار المنثورة فى الاحاديث المشهورة .
الاستئناس بفضائل ابن عباس .
الاستدعاء فى الاستسقاء اربع ورقات
الاسرار المرفوعة فى الأخبار الموضوعة .
الاصطناع فى الاضطباع .
الاصول المهمة فى حصول المتمة .
اعراب القارى على اول بأب البخارى ورقتان
الاعلام لفضائل بيت الله الحرام .
الأعتناء بالفناء فى الغناء .
الانباء بان العصا من سنن الانبياء ورقتان
انوار الحجج فى اسرار الحج .
انوار القرآن و اسرار الفرقان .
الاهتداء فى الاقتداء .
بداية السالك فى نهاية المسالك فى شرح المناسك .
البرة فى حب الهرة .
البرهان الجلى على من تسمى من غير مسمى بالولى .
بهجة الانسان و مهجة الحيوان .
بيان فعل الخير اذا دخل مكة من حج عن الغير .
البينات فى بيان تباين بعض الآيات .
التائبية فى شرح التائية لابن المقرى .
التبيان فى بيان ما فى ليلة النصف من شعبان و ليلة القدر من رمضان .
تبعيد العلماء عن تقريب الامراء .
التجريد فى اعراب كلمة التوحيد .
تحفة الحبيب فى موعظة الخطيب .
تحقيق الاحتساب فى تدقيق الانتساب .
تزيين العبارة فى تحسين الاشارة اربع ورقات
تسلية الاعمى عن بلية العمى .

تشييع فقهاء الحنفية فى تشنيع سفهاء الشافعية .
التصريح فى شرح التسريح خمس ورقات
تطهير الطوية فى تحسين النية تسع ورقات
تعليقات القارى على ثلاثيات البخارى .
توضيح المبانى و تنقيح المعانى و هو شرح مختصر المنار لزين الحلبى .
التهدين ذيل التزيين على وجه التبيين .هى رسالة فى الأشارة بالمسبحة فى التشهد كالمتقدمة.
الجمالين على تفسير الجلالين .
جمع الاربعين فى فضل القرآن المبين .
حاشية على فتح القدير .
حاشية على المواهب اللدنية .
حاشية على شرح رسالة الوضع للسمرقندى .
حدود الاحكام .
الحظ الاوفر فى الحج الاكبر .
دامغة المبتدعين و ناصرة المهتدين .
الدرة المضية فى الزيارة المصطفوية .
دفع الجناح و خفض الجناح فى فضائل النكاح .
الذخيرة الكثيرة فى رجاء المغفرة للكبيرة
ذيل الرسالة الوجودية فى نيل مسئلة الشهودية .
ذيل الشمائل للترمذى .
رد الفصوص .
رسالة فى الابوين الشريفين .
رسالة فى افراد الصلاة عن السلام .
الرسالة العطائية فى الفرق بين صفد و اصفد .
رسالة فى بيان التمتع فى اشهر الحج .
رسالة فى كرامات الاولياء .
رسالة فى الرد على من نسبه الى تنقيص الامام الشافعى .
رسالة فى مناقشة البيضاوى فى الحديث الذى ذكره فى رفع العذاب عن اهل القبور .
الرهص و الوقص لمستحل الرقص .
زبدة الشمائل و عمدة الوسائل .

الزبدة فى شرح قصيدة البردة .
سلاسة الرسالة فى ذم الروافض من اهل الضلالة .
شرح الجامع الصغير للسيوطى .
شرح حزب البحر .
شرح رسالة بدر الرشيد فى الفاظ المكفر
شرح الرسالة القشيرية
شرح صحيح مسلم
شرح مسند الامام الاعظم
شرح الوقاية فى مسائل الهداية
شفاء السالك فى ارسال مالك
شم العوارض فى ذم الروافض
الصلات و الجوائز فى صلاة الجنائز
صنعة الله فى صبغة الله
الضيعة الشريفة فى تحقيق البقعة المنيفة
الطواف بالبيت و لو بعد الهدم
العفاف عن وضع اليد فى الطواف اى وضع اليد على الصدر
العلامات البينات فى فضائل بعض الآيات
عمدة الشمائل

غاية التحقيق فى نهاية التدقيق و هى رسالة فى مسائل ابتلى بها اهل الحرمين فى الاقتداء بالمخالف للمذهب و تكرار الجماعة فى المسجد و وقت العصر و القراءة خلف الامام و الاربع بعد الجمعة .

فتح ابواب الدين فى شرح آداب المريدين
فتح الاسماع فى شرح السماع
فتح باب الاستسعاد فى شرح قصيدة بانت سعاد
فتح باب العناية شرح كتاب النقاية
فتح المغطا بشرح المؤطا للامام (۱۱۰)

---

(۱۱۰) قال الشيخ محمد عبد الحى اللكهنوى فى التعليق الممجد :
"له شرح على مؤطا محمد فى مجلدين مشتمل على نفائس لطيفة و غرائب شريفة الا ان فيه فى تنقيد الرجال مسامحات كثيرة كما ستطلع عليها ان شاء الله تعالى فى مواضعها".

فرائد القلائد على احاديث شرح العقائد
فر العون ممن يدعى ايمان فرعون
الفصل المعول فى الصف الاول
الفصول المهمة فى حصول المتمة
رسالة فى اتمام الركوع
فيض الفائض فى شرح الروض الرائض فى الفرائض
القول الجائز فى صلاة الجنائز
قوام الصوام للقيام بالصيام
القول الحقيق فى موقف الصديق
القول السديد فى خلف الوعيد
كشف الخدر عن حال الخضر
كنز الاخبار فى الادعية و ما جاء من الآثار
لب لباب المناسك فى نهاية المسالك
لسان الاهتداء فى بيان الا قتداء
المختصر الاوفى فى شرح الاسماء الحسنى
المرتبة الشهودية فى منزلة الوجودية
المسلك الاول فيما تضمنه الكشف للسيوطى
المسلك المتقسط فى المنسك المتوسط
المسئلة فى شرح البسملة
معرفة النساك فى معرفة المسواك
المقالة العذبة فى العمامة و العذبة
المقدمة السالمة فى خوف الخاتمة
ملخص البيان فى ليلة النصف من شعبان
الملمع فى شرح لغت المرصع
المعدن العدنى فى فضل اويس القرنى
المنح على حزب الفتح لابى الحسن البكرى
الناموس فى تلخيص القاموس
النسبة المرتبة فى المعرفة و المحبة (المسئلة المشكلة فى المعرفة و المحبة و الخلة)
النعت المرصع فى المجنس المسجع فى مشكلات الصلاة
المورد الروى فى المولد النبوى
الوقوف بالتحقيق على موقف الصديق فى ان وقوف الصديق و عمر رضى الله عنهما ما كان الا فى عرفة

الهيئة السنيات فى تبيين احاديث الموضوعات
الهبة السنية العلية على ابيات الشاطبية الرائية
قال الشيخ محمد طاهر بن عبد القادر الكردى المكى فى تاريخ الخط العربى و آدابه (ص ۲۹۳)
"و يوجد فى كتب خانة على باشا بالآستانة جميع مصنفاته"
و توفى رحمه الله بمكة المكرمة فى شوال سنة اربع عشرة و الف من الهجرة و دفن بالمعلاة
قال المؤرخ الشهير المولى محمد المحبى المتوفى ۱۱۱۱ھ فى كتابه خلاصة الاثر فى اعيان القرن الحادى عشر:
"و لما بلغ خبر وفاته علماء مصر صلوا عليه بجامع الازهر صلاة الغيبة فى مجمع حافل يجمع اربعة آلاف نسمة فاكثر".
قال الشيخ عبد الحى اللكهنوى فى مقدمة السعاية:
"وزرت قبره فى المعلى و لله الحمد على ذلك"

محمد عبد الحليم بن محمد عبد الرحيم الچشتى
۱۳۸٦-۷-۱۷ھ





للمحدث الشهير والفقيه النبيل

علي بن سلطان محمد القاري رحمه الباري

المتوفى ١٠١٤ هـ

الجزء الأول

الناشر
دار الكتاب الإسلامي
القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى فتح قلوب العلماء بمفاتيح الايمان و شرح صدور العرفاء بمصابيح الايقان و أفضل الصلوات و أكمل التحيات على صدر الموجودات و بدر المخلوقات أحمد العالمين و أمجد العالمين محمد المحمود فى أقواله و أفعاله و أحواله المنور مشكاة صدره بأنوار جماله و اسرار كماله و على آله و أصحابه حملة علومه و نقلة آدابه (أما بعد) فيقول أفقر عباد الله الغنى البارى على بن سلطان محمد الهروى القارى عاملهما الله بلطفه الخفى و تجاوز عنهما بكرمه الوفى لما كان كتاب مشكاة المصابيح الذى ألفه مولانا الحبر العلامة و البحر الفهامة مظهر الحقائق و موضح الدقائق الشيخ التقى النقى ولى الدين محمد بن عبد الله الخطيب التبريزى أجمع كتاب فى الاحاديث النبوية و أنفع لباب من الاسرار المصطفوية ولله در من قال من أرباب الحال

لئن كان فى المشكاة يوضح مصباح * فذالك مشكاة و فيها مصابيح
و فيها من الانوار ما شاع نفعها * لهذا على كتب الانام تراجيح
ففيه أصول الدين و الفقه و الهدى * حوائج أهل الصدق منه مناجيح

تعلق الخاطر الفاتر بقراءته و تصحيح لفظه و روايته و الاهتمام ببعض معانيه و درايته رجاء أن أكون عاملا بما فيه من العلوم فى الدنيا و داخلا فى زمرة العلماء العاملين فى العقبى فقرأت هذا الكتاب المعظم على مشايخ الحرم المحترم نفعنا الله بهم و ببركات علومهم منهم فريد عصره و وحيد دهره مولانا العلامة الشيخ عطية السلمى تلميذ شيخ الاسلام و مرشد الانام مولانا الشيخ أبى الحسن البكرى و منهم زبدة الفضلاء و عمدة العلماء مولانا السيد زكريا تلميذ العالم الربانى مولانا اسمعيل الشروانى من أصحاب قطب العارفين و غوث السالكين خواجه عبيد الله السمرقندى أحد أتباع خواجه بهاء الدين النقشبندى روح الله روحهما ورزقنا فتوحهما و منهم العالم العامل و الفاضل الكامل العارف بالله الولى مولانا الشيخ على المتقى أفاض الله علينا من مدده العلى لكن لكون هؤلاء الاكابر غير حفاظ للحديث الشريف و لم يكن فى أيديهم أصل صحيح يعتمد عليه العبد الضعيف و الشراح ما اعتنوا الا بضبط بعض الكلمات و كانت البقية عندهم من الواضحات ما اطمأن قلبى و لا انشرح صدرى الا بأن جمعت النسخ المصححة المقروأة المسموعة المصرحة التى تصلح للاعتماد و تصح عند الاختلاف للاستناد فمنها نسخة هى أصل السيد أصيل الدين و السيد جمال الدين و نجله السعيد مير كشاه المحدثين المشهورين و منها نسخة قرئت على شيخ مشايخنا فى القراءة و الحديث النبوى مولانا الشيخ شمس الدين محمد بن الجزرى و منها نسخة قرئت على شيخ الاسلام الهروى و غيرها من النسخ المعتمدة الصحيحة التى وجدت عليها آثار الصحة الصريحة فأخذت من مجموع النسخ أصلا أصيلا و لمثوبة الاخروية كفيلا و قد حصل لى اجازة عامة و رخصة تامة من الشيخ العلامة على بن أحمد الجنانى الازهرى الشافعى الاشعرى الانصارى و قد قال قرأت على شيخ الاسلام و امام أئمة الاعلام الشيخ جلال الدين السيوطى كتبا من الحديث و غيره من العلوم كالبخارى و مسلم و غيرهما من الكتب الستة و غيرها البعض قراءة و البعض سماعا و قد اجازنى بجميع مروياته و بما قرئ به و بما أجازه به خاتمة المحدثين مولانا الشيخ ابن حجر العسقلانى قراءة و سماعا و رواية و اجازة و على الشيخ القسطلانى صاحب المواهب و شارح البخارى من أجلاء تلامذة العسقلانى و أجازنى بمروياته و مؤلفاته و هذا على ما يوجد من السند المعتمد فى هذا الزمان المكدر المنكد ثم انى قرأت أيضا بعض أحاديث المشكاة على منبع بحر العرفان مولانا الشهير بمير كيلان و هو قرأ على زبدة المحققين و عمدة المدققين مير كشاه و هو على والده السيد السند

* بسم الله الرحمن الرحيم *

مولانا جمال الدين المحدث صاحب روضة الاحباب و هو على عمه السيد أصيل الدين الشيرازى روى انه أدرك من أكابر العلماء احدا و ثمانين منهم مولانا الشيخ محمد بن محمد بن محمد الجزرى و الشيخ مجد الدين الفيروزابادى صاحب القاموس و العلامة السيد الشريف الجرجانى و سمع منه مولانا نورالدين عبدالرحمن الجامى قدس سره السامى و غيره توفى سنة أربع و ثمانين و ثمانمائة قال اروى كتاب المشكاة عن مولانا شرف الدين الجرمى و هو يروى عن خواجه امام الملة و الدين على بن مباركشاه الصديقى و هو يروى عن المؤلف و هذا الاسناد لا يوجد اعلى منه للاعتماد فلما حصلت هذه النسخة المذكورة و صححتها من النسخ المسطورة رأيت أن أضبطها تحت شرح لطيف على منهج شريف يضبط ألفاظه مع مبانيه و يبحث عن رواياته و معانيه فان همم اخوان الزمان قد قصرت و مجاهدتهم فى تحصيل العلوم لاسيما فى هذا الفن الشريف ضعفت و هو مقتضى الوقت الذى تجاوز عن الالف و بقى ضعف العلم و العمل بل ضعف الايمان على ضعف و الله ولى دينه و ناصر نبيه و هو بكل جميل كفيل و حسبنا الله و نعم الوكيل و أيضا من البواعث أن غالب الشراح كانوا شافعية فى مطلبهم و ذكروا المسائل المتعلقة بالكتاب على منهاج مذهبهم و استدلوا بظواهر الاحاديث على مقتضى مشربهم و سموا الحنفية أصحاب الرأى على ظن أنهم ما يعملون بالحديث بل و لا يعلمون الرواية و التحديث لا فى القديم و لا فى الحديث مع أن مذهبهم القوى تقديم الحديث الضعيف على القياس المجرد الذى يحتمل التزييف نعم من رأى ثاقبهم الذى هو معظم مناقبهم أنهم ما تشبثوا بالظواهر بل دققوا النظر فيها بالبحث عن السرائر و كشفوا عن وجوه المسائل نقاب الستائر و لذا قال الامام الشافعى الخلق كلهم عيال أبى حنيفة فى الفقه و هذا الاعتراف يدل على الاغتراف و كمال الانصاف منه رضى الله تعالى عنهما و نفعنا بعلومهما و مددهما فأحببت أن أذكر أدلتهم و أبين مسائلهم و أدفع عنهم مخالفتهم لئلا يتوهم العوام الذين ليس لهم معرفة بالادلة الفقهية ان المسائل الحنفية تخالف الدلائل الحنيفية (و سميته مرقاة المفاتيح لمشكاة المصابيح) و الله تعالى أسأل أن يجعله خالصا لوجهه من فضله و ان ينفع المسلمين به كما ينفعهم بأصله و فصله فأقول و بالله التوفيق و بيده أزمة التحقيق قال الشيخ رحمه الله * (بسم الله الرحمن الرحيم) * اقتداء بالقرآن العظيم و تخلقا بأخلاق العزيز العليم و اقتفاء للنبى الكريم حيث قال كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر أى قليل البركة أو معدومها و قيل انه من البتر وهو القطع قبل التمام و الكمال و المراد بذى البال ذوالشان فى الحال أو المآل رواه الخطيب بهذا اللفظ فى كتاب الجامع و اختلف السلف الابرار فى كتابة البسملة فى أول كتب الاشعار فمنعه الشعبى و الزهرى و أجازه سعيد بن المسيب و اختاره الخطيب البغدادى و الاحسن التفصيل بل هو الصحيح فان الشعر حسنه حسن و قبيحه قبيح فيصان ايراد البسملة فى الهجويات و الهذيان و مدائح الظلمة و نحوها كما تصان فى حال أكل الحرام و شرب الخمر و مواضع القاذورات و حالة المجامعة و أمثالها و الاظهر انه لا يكتب فى أول كتب المنطق على القول بتحريم مسائلها و كذا فى القصص الكاذبة بجميع أنواعها و الكل مستفاد من قوله ذى بال و الله أعلم بحقيقة الحال ثم انه ورد الحديث بلفظ كل كلام ذى بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم رواه أبو داؤد و النسائى فى عمل اليوم و الليلة و بلفظ كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع رواه ابن ماجه و التوفيق بينهما أن المراد منهما الابتداء بذكر الله سواء يكون فى ضمن البسملة أو الحمدلة بدليل أنه جاء فى حديث رواه الرهاوى فى أربعينه و حسنه ابن الصلاح و لفظه كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بذكر الله فهو أقطع أو يحمل حديث البسملة على الابتداء الحقيقى بحيث لا يسبقه شئ و حديث

الحمد لة على الابتداء الاضافى و هو ما بعد البسملة قيل ولم يعكس لان حديث البسملة أقوى فى المنهال بكتاب الله الوارد على هذا المنوال و يخطر بالبال والله أعلم بالحال ان توفيق الافتتاح بالبسملة لما كان من النعم الجزيلة ناسب أن تكون الحمد لة متأخرة عنها لتكون متضمنة للشكر على هذه المنحة الجميلة هذا و قد يقال ان المراد بالابتداء افتتاح عرفى موسع ممدود يطلق على ما قبل الشروع فى المقصود كما يقال أول الليل و أول النهار وأول الوقت و أول الديار و حينئذ لايرد على المصنف أنه جاء فى رواية كل أمرذى بال لم يبدأ فيه بذكر الله ثم بالصلاة على فهو اقطع ممحوق من كل بركة أخرجه الرهاوى عن أبى هريرة مرفوعا و ان قيل بضعفه و جاء فى رواية الترمذى و حسنه عن أبى هريرة مرفوعا كل خطبة ليس فيها تشهد فهى كاليد الجذماء على رواية ضم الخاء و هو الظاهر من صنيع الترمذى حيث أورده فى باب خطبة النكاح و كذا يفهم من اعتراض الشيخ ابن حجر العسقلانى على البخارى فى تركه الشهادة أول كتابه مع انه قد يجاب عنه بعدم صحة الحديث عنده أو بأن روايته كسر الخاء لاضمه و الله أعلم ثم الباء جاء لاربعة عشر معنى و المناسب ههنا منها الالصاق و الاستعانة و هى متعلقة بمقدر و أخر على المختار تحقيقا لحقيقة الابتداء و تعظيما للاسم الخاص عن الانتهاء و افادة للاهتمام و ارادة لمقام الاختصاص الذى هو المرام و ردا لدأب المشركين حيث كانوا يبتدؤن بالاصنام و يفتتحون بذكر الله فى بعض الكلام لكن قال العارف الجامى حقيقة الابتداء باسمه سبحانه عند العارفين أن لايذكر باللسان و لا يخطر بالجنان فى الابتداء غير اسمه سبحانه لا اثباتا و لا نفيا فان صورة نفى الغير ملاحظة للغير فهو أيضا ملحوظ فى الابتداء فليس الابتداء مختصا باسمه سبحانه فلا حاجة الى تقدير المحذوف مؤخرا الا أن يكون اسم الله سبحانه فى التقدير أيضا مقدما كما أنه فى الذكر مقدم اه و المعنى باسم الله أبدأ تصنيفى أو ابتدائى فى جميع أمورى متبركا باسمه و مستعينا برسمه و الاسم من الاسماء التى بنى أوائلها على السكون فعند الابتداء بها يزيدون همزة الوصل و الاصح انه من الاسماء المحذوفة العجز كيد و دم بدليل تصاريفه من سميت و نحوه و اشتقاقه من السمو وهو العلو لان التسمية تنويه بالمسمى و رفع لقدره و عند الكوفية أصله وسم و هو العلامة لانه علامة دالة على المسمى فحذف حرف العلة تخفيفا ثم أدخلت عليه همزة الوصل و سقطت كتابتها فى البسملة المختصة بالجلالة على خلاف رسم الخط لكثرة الاستعمال الكتبى و طولت الباء دلالة عليها قيل ذكر الاسم فرقا بين اليمين و التيمن و قيل الاسم صلة و هو ان أريد به اللفظ فلا يصح القول بانه عين المسمى و ان أريد به ذات الحق و الوجود المطلق اذا اعتبر مع صفة معينة كالرحمن مثلا هو الذات الالهية مع صفة الرحمة و القهار مع صفة القهر فهو عين المسمى بحسب التحقيق والوجود و ان كان غيره بحسب التعقل و الاسماء الملفوظة هى أسماء هذه الاسماء و الاضافة لامية و المراد بعض افراده التى من جملتها الله و الرحمن و الرحيم أو يراد به هذه الاسماء بخصوصها بقرينة التصريح بها و يمكن أن تكون الاضافة بيانية بناء على ما تقدم هكذا قاله بعض المحققين و اعلم أن هذه المسئلة قد اختلف فيها على مذاهب أحدها أن الاسم عين المسمى و التسمية و ثانيها و هو المنقول عن الجهمية و الكرامية و المعتزلة غيرهما قال العلامة العز بن جماعة هو الحق و ثالثها عين المسمى و غير التسمية و هو المصحح عند بعض الحنفية و هو المراد بقول القائل و ليس الاسم غير المسمى و رابعها لاعين و لا غير و الثالث هو المنقول عن الاشعرى لكن فى اسم الله تعالى أعنى كلمة الجلالة خاصة لان مدلول هذا الاسم الذات من حيث هى بخلاف غيره كالعالم فمدلوله الذات باعتبار الصفة و قد نبه الامام الرازى و الآمدى على أنه لايظهر فى هذه المسئلة ما يصلح محلا لنزاع العلماء و الله أعلم و فى التعرف أجمعوا أن الصفات ليست هى هو و لا غيره و أجمعوا أنها لا تتغاير و ليس علمه قدرته و لا غير قدرته

ولاقدرته علمه ولا غير علمه وكذلك جميع صفاته من السمع والبصر وغيرهما واختلفوا فى الاسماء فقال بعضهم أسماء الله تعالى ليست هى الله ولا غير الله كما قالوا فى الصفات وقال بعضهم أسماء الله هى الله والله أعلم ثم اعلم أنه تحير العلماء فى تدقيق اسم الله كما تحير العرفاء فى تحقيق مسماه سبحان من تحير فى ذاته سواه فقيل انه عبرى لان أهل الكتاب كانوا يقولون الاها فحذفت العرب الالف الاخيرة للتخفيف كما فعلوا فى النور والروح واليوم فانها فى اللغة العبرانية كانت نوراوروحا ويوما وهذا وجه من قال انه معرب والحق أنه عربى لان ماذكروه من توافق اللغتين لا يدل على كون احداهما متأخرة عن الاخرى مأخوذة عنها ثم اختلفوا أاسم هو أم صفة مشتق وعليه الاكثر أو غير مشتق علم أو غير علم وما أصله على تقدير اشتقاقه ومختار صاحب الكشاف انه كان فى الاصل اسم جنس ثم صار علما وان أصله الاله وانه مشتق من اله بمعنى تحير فالله متحير فيه لانهم لا يحيطون به علما وحكى سيبويه والمبرد عن الخليل ان الله اسم خاص علم لله غير مشتق من شئ وليس بصفة فعلى هذا يكون جامعا الاسمائه ونعوته وصفاته وقيل انه مأخوذ من الهت الى فلان اذا فزعت اليه عند الشدائد قال * ألهت اليكم فى بلايا تنوبنى * فألفيتكم فيها كريما ممجدا

فان الخلق يفزعون اليه عند الشدائد أو من اله الفصيل اذا ولع بأمه لان العباد يولهون به وبذكره وقيل من تألهت أى تضرعت فالاله هو الذى يتضرع اليه وقيل من قولهم لاه يلوه لوها ولاها اذا احتجب وارتفع قال

لاه ربى عن الخلائق طرا * فهو الله لا يرى ويرى هو

وقيل من ألهت بالمكان اذا اقمت به ومعناه الذى لا يتغير عن صفته كما أن المقيم لا يتحول عن بقعته ومنه قول الشاعر

الهنا بدار لا تبين رسومها * كأن بقاياها وشام على الايدى

وقيل الاله أصله ولاه فهو من الوله كما قيل فى اسادة واشاح واجوه وسادة ووشاح ووجوه ومعناه ان العباد يولهون عند ذكر الاله أى يطربون منه ومنه قول الكميت

ولهت نفسى الطروب اليكم * ولها حال دون طعم الطعام

وقيل الوله المحبة الشديدة وقيل مشتق من اله بمعنى عبد فالاله فعال بمعنى المعبود كالكتاب بمعنى المكتوب ويدل عليه قراءة ابن عباس ويذرك والاهتك أى عبادتك ثم قال سيبويه الاصل فى قولنا الله اله فلما حذفت همزته عوضت فى أوله الالف واللام عوضا لازما فقيل الله وقال المبرد الاصل فى لاه لوه على وزن دور فقلبوا الواو ألفا لتحركها وانفتاح ماقبلها فصار لاه على وزن دار ثم أدخلوا عليه لام التعريف وقال أبو الهيثم الرازى الاصل فى الله هو الاله خففت الهمزة بالقاء حركتها على اللام الساكنة قبلها وحذفت فصارت اللاه ثم أجريت الحركة العارضة مجرى الاصلية وأدغمت اللام الاولى فى الثانية قيل ههنا اشكال صرفى وهو أنه ان نقلت حركة الهمزة الى ما قبلها أولا على ماهو القياس ثم حذفت فيلزم أن يكون وجوب الادغام غير قياسى لما تقرر فى محله من أن المثلين المتحركين لا يجب فيهما الادغام اذا كانا من كلمتين نحو ما سلككم ومناسككم وان حذفت الهمزة مع حركتها فيلزم مخالفة القياس فى تخفيفها وان كان لزوم الادغام على القياس ومن ثم قيل هذا الاسم خارج عن مقتضى القياس كما أن مسماه خارج عن دائرة قياس الناس وأجيب باختيار الاول ومنع كون الادغام فى كلمتين بانه لما جعل اللام عوضا عن الهمزة وصار بمنزلتها صار كانه فى كلمة واحدة على أنه يجوز أن يكون وجوب الادغام بعد العلمية فيكون الاجتماع فى كلمة واحدة قطعا قلت التحقيق انه كما أن النقل فيه قياس غير مطرد فكذلك الادغام فى كلمتين ويكفى جوازه ولا يحتاج الى وجوبه مع ان الادغام فى كلمتين اتفق عليه القراء فى قوله لاتأمنا والحق انه نظير قوله تعالى لكنا هو الله ربى فان الاصل لكن أنا فحولوا الفتحة الى ماقبلها من النون فاجتمعت نونان متحركتان فاسكنوا الاولى وأدغموها فى الثانية وهذا القول محكى عن الفراء وقيل الاصل فيه هاء الكناية عن الغائب وذلك أنهم اثبتوا موجودا فى نظر عقولهم وأشاروا اليه بحرف الكناية ثم زادوا فيه لام الملك لما علموا أنه خالق الاشياء ومالكها فصار له ثم

قصروا الهاء واشبعوا فتحة اللام فصار لاه وخرج عن معنى الاضافة الى الاسم المفرد فزيدت فيه الالف واللام للتعريف تعظيما و فخموه تاكيدا لهذا المعنى فصار الله كما ترى و هذا أقرب باشارات الصوفية من تحقيق اللغة العربية و قيل ليس هو بمشتق بل هو علم ابتداء لذاته المخصوصة من غير ملاحظة معنى من المعانى المذكورة و يلائم هذا المذهب ماذكره بعض العارفين من أنه اسم للذات الالهية من حيث هى على الاطلاق لا باعتبار اتصافها بالصفات ولا باعتبار لا اتصافها بها ولذا قال الجمهور انه الاسم الاعظم قال القطب الربانى الشيخ عبد القادر الجيلانى الاسم الاعظم هو الله لكن بشرط أن تقول الله وليس فى قلبك سواه وقد خص هذا الاسم بخواص لاتوجد فى غيره كما ذكره أهل العربية منها انه تنسب سائر الاسماء اليه ولا ينسب هو الى شئ منها ومنها انه لم يسم به أحد من الخلق بخلاف سائر الاسماء ومنها انهم حذفوا لفظة ياء من أوله وزادوا ميما فى آخره فقالوا اللهم ولم يفعل ذلك لغيره ومنها انهم ألزموه الالف واللام عوضا لازما عن همزته ولم يفعل ذلك فى غيره ومنها انهم قالوا يا ألله فقطعوا همزته ومنها انهم جمعوا بين يا التى للنداء وبين الالف واللام ولم يفعل ذلك فى غيره حال سعة الكلام ومنها تخصيصهم اياه فى القسم بادخال التاء وايمن وأيم فى قولهم تالله وايمن الله وأيم الله ومنها تفخيم لامه اذا انفتح ماقبله أوانضم سنة ورثتها العرب كابرا عن كابر وتواتر نقل عن القراء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذف ألفه لحن تفسد به الصلاة و (الرحمن) فعلان من رحم كغضبان من غضب على أنه صفة مشبهة بجعل الفعل المتعدى لازما فينقل الى فعل بضم العين فيشتق منه الصفة المشبهة وأما (الرحيم) فان جعل صيغة مبالغة كما نص عليه سيبويه فى قولهم هو رحيم فلا اشكال وان جعل من الصفات المشبهة كما يشعر به كلام الكشاف فالوجه ماذكر فى الرحمن ثم فى الرحمن زيادة مبالغة من الرحيم لان زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى وهى اما بحسب شموله للدارين و اختصاص الرحيم بالدنيا كما وقع فى بعض الاثار يارحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا واما بحسب كثرة أفراد المرحومين و قلتها كما ورد يارحمن الدنيا ورحيم الآخرة واما بحسب جلالة النعم ودقتها وبالجملة ففى الرحمن مبالغة فى معنى الرحمة ليست فى الرحيم فيقصد به رحمة زائدة بوجه ما فلاينا فى مايروى من قولهم يارحمن الدنيا والاخرة ورحيمهما لجواز حملهما على الجلائل والدقائق وقيل رحمة الرحمن تتعلق بالمؤمن والكافر فى الدنيا ورحمة الرحيم تختص بالمؤمنين فى العقبى ولا يجوز اطلاق الرحمن على غيره تعالى بخلاف الرحيم قال تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم ولهذا قيل الرحمن خاص اللفظ عام المعنى والرحيم عام اللفظ خاص المعنى ثم الرحمة فى اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضى التفضل والاحسان وهى من الكيفيات التابعة للمزاج والله سبحانه منزه عنها فاطلاقها عليه سبحانه انما هو باعتبار الغايات التى هى أفعال دون المبادى التى هى من الانفعالات فهى عبارة عن الانعام فتكون من صفات الافعال اوعن ارادة الاحسان فتكون من صفات الذات فان كل واحد منهما مسبب عن رقة القلب والانعطاف فتكون مجازا مرسلا من باب اطلاق السبب على المسبب وقدم الرحمن على الرحيم مع أن القياس الترقى فى الصفات من الادنى الى الاعلى بناء على أن الرحيم كالتتمة والرديف للرحمن أولزيادة شبهه بالله حيث اختص به سبحانه حتى قيل انه علم له أولتقدم رحمة الدنيا و فى الاكتفاء بهاتين الصفتين من صفات الجمال و عدم ذكر صفة من صفات الجلال اشعار بقوله تعالى فى الحديث القدسى غلبت رحمتى غضبى و فى الختم بالرحيم ايماء بحسن خاتمة المؤمنين وان العاقبة للمتقين بعد حصول رحمته لعموم الخلق أجمعين (الحمد لله) قيل الحمد والمدح والشكر

نحمده و نستعينه و نستغفره و نعوذبالله من شرور أنفسنا و من سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له و من يضلل فلا هادى له و أشهد أن لا اله

ألفاظ مترادفة والمحققون بينهما يفرقون ويقولون ان الحمد هوالثناء باللسان على الجميل الاختيارى من نعمة و غيرها والمدح يعم الاختيارى و غيره ولذا يقال مدحته على حسنه ولا يقال حمدته عليه و الشكر فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بمقابلة النعمة سواء يكون باللسان أوالجنان أوالاركان فمورد الحمد خاص ومتعلقه عام و الشكر بخلافه وحقيقة الشكر ماروى عن الجنيد انه صرف العبد جميع ماأنعم الله به عليه الى ماخلق لاجله ورفعه بالابتداء وخبره لله وأصله النصب وقرئ به وانما عدل به الى الرفع دلالة على الدوام والثبات وقرئ باتباع الدال اللام وبالعكس تنزيلا لهما لكثرة استعمالهما معا منزلة كلمة واحدة ثم الجملة خبرية لفظا انشائية معنى لتسمية قائلها بهاحامدا ولو كانت خبرية معنى لم يسم الا مخبرا ومعلوم أنه لا يشتق للمخبر اسم فاعل من ذلک الشئ اذ لا يقال لمن قال الضرب مؤلم ضارب فان قيل جاز أن يعد الشرع المخبر بثبوت الحمد له تعالى حامدا أجيب بانه خلاف الاصل والاصل عدمه واللام للاستغراق أى كل حمد صدر من كل حامد فهو ثابت لله أوللجنس ويستفاد العموم من لام الاختصاص وعلى التقديرين فجميع أفراد الحمد مختص له تعالى حقيقة وان كان قد يوجد بعضها لغيره صورة أوالحمد مصدر بمعنى الفاعل أوالمفعول أى الحامدية والمحمودية ثابتان له تعالى فهوالحامد وهوالمحمود أوللعهد فان حمده لائق له ولذا أظهر العجز أحمد الخلق عن حمده وقال لاأحصى ثناء عليک أنت كما أثنيت على نفسک (نحمده) استئناف فاولا أثبت الحمد له بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت والدوام سواء حمد أولم يحمد فهواخبار متضمن للانشاء وثانيا أخبر عن حمده وحمد غيره معه بالجملة الفعلية التى للتجدد والحدوث بحسب تجدد النعماء وتعدد الآلاء وحدوثها فى الاناء أو المراد نشكره امامطلقا أوعلى توفيق الحمد سابقا (ونستعينه) أى فى الحمد وغيره من الامورالدنيوية أو الاخروية فيكون تبريا من الحول والقوة النفسية وفيه اشارة الى رد القدرية كماأن فيماقبله رداعلى الجبرية ولم يقل واياه نستعين لان مقام الاختصاص لايدركه الاالخواص ولذا قال ابن دينار لولا وجوب قراءة الفاتحة لما قرأتها لعدم صدقى فيها (ونستغفره) أى من السيئات والتقصيرات ولو فى الحمد والاستعانة وسائر العبادات (ونعوذبالله) اى نلتجئ ونعتصم بعونه وحفظه (من شرورأنفسنا) أى من ظهور السيئات الباطنية التى جبلت الانفس عليها قيل منها الحمد مع الرياء والسمعة وكذا مع اثبات الحول والقوة (ومن سيئات أعمالنا) أى من مباشرة الاعمال السيئة الظاهرة التى تنشأ عنها وفيه اعتراف بان البواطن والظواهر مملوأة من العيوب ومحشوة من الذنوب ولذا قيل وجودک ذنب لا يقاس به ذنب قيل منها التصنيف بلا اخلاص وعدم رؤية التوفيق والاختصاص ولولا حفظه تعالى مع توفيقه لما استقام أحد على طريقه لولا الله مااهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا (من يهده الله) أى من يرد الله هدايته الموصلة اليه وعنايته المقربة لديه (فلا مضل له) أى فلا أحد يقدر على اضلاله من المضلين من شياطين الانس والجن أجمعين (ومن يضلل) أى من يرد الله جهالته وعن الوصول الى الحق ضلالته (فلا هادى له) أى فلا أحد يقدر على هدايته من الهادين من الانبياء والمرسلين قال الله تعالى انک لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين وفيه ايذان بان الامر كله لله وليس لماسواه الا ماقدرله وقضاه من الكسب والاختيار وربک يخلق مايشاء ويختار ولظهور قصور عقولنا الفانية عن ادراك أسرار الحكم البالغة الباقية قال على كرم الله وجهه لا يظهر سر القضاء والقدر الايوم القيامة ثم اعلم ان الضمير البارز ثابت فى يهده وأ مافى يضلل فغير موجود فى أكثر النسخ وهو عمل بالجائزين والاول أصل وفيه وصل والثانى فرع وفيه فصل وفيه نكتة أخرى لاتخفى على أرباب الصفا (وأشهد) أى أعلم وأبين (أن لااله) أى لامعبود أولا مقصود أولا موجود

الاالله شهادة تكون للنجاة وسيلة ولرفع الدرجات كفيلة واشهد أن محمداعبده ورسوله الذى بعثه وطرق الايمان قد عفت آثارها وخبت أنوارها ووهنت أركانها وجهل مكانها فشيد صلوات الله عليه وسلامه

فى نظر أرباب الشهود (الاالله) أى الذات الواجب الوجود صاحب الكرم والجود قال الطيبى أفرد الضمير فى مقام التوحيد لانه اسقاط الحدوث واثبات القدم فأشار أولا الى التفرقة وثانيا الى الجمع اه وقد يقال ان الافعال المتقدمة أمور ظاهرية يحكم بوجودها على الغير أيضا بخلاف الشهادة فانه أمر قلبى غيبى لا يعلم بحقيقته الاهو (شهادة) مفعول مطلق موصوف بقوله (تكون) أى بخلوصها (للنجاة) أى الخلاص من العذاب فى الدارين على تقدير الاكتفاء بها (وسيلة) أى سببا لا علة (ولرفع الدرجات) أى العاليات فى الجنات الباقيات (كفيلة) أى متضمنة ملتزمة والمعنى ان الشهادة اذا تكررت وانتجت ارتكاب الاعمال الصالحة واجتناب الافعال الطالحة صارت سببا لعلو الدرجات وكانت مانعة عن الوقوع فى الدركات وبما قررناه اندفع ما يرد على المصنف من أن دخول الجنة بالايمان ورفع الدرجات بالاعمال ولكون التوفيق على هذا السبب من فضله لاينافى قوله عليه الصلاة والسلام لن ينجى منكم أحد بعمله (وأشهد أن محمدا) هو فى الاصل اسم مفعول من حمد مبالغة حمد نقل من الوصفية الى الاسمية سمى به والأسماء تنزل من السماء لوصوله الى المقام المحمود الذى يحمده الاولون والآخرون (عبده) اضافة تشريف وتخصيص اشارة الى كمال مرتبته فى مقام العبودية بالقيام فى اداء حق الربوبية وقدمه لانه أشرف أوصافه وأعلاها وأفضلها وأغلاها ولذا ذكره الله تعالى بهذا الوصف فى كثير من المواضع فقال سبحان الذى أسرى بعبده - تبارك الذى نزل الفرقان على عبده - فاوحى الى عبده ما أوحى - ولله در القائل

لاتدعنى الا بيا عبدها * فانه أشرف أسمائيا

وما احسن قول القاضى عياض

ومما زادنى عجبا وتيها * وكدت بأخمصى أطا الثريا
دخولى تحت قولك ياعبادى * وأن صيرت أحمد لى نبيا

(ورسوله) اشارة الى أعلى مراتب القرب وأولى منازل الحب وهو الفرد الاكمل والواصل الى المقام الافضل وفى الجمع بين الوصفين تعريض للنصارى حيث غلوا فى دينهم وأطروا فى مدح نبيهم ثم قيل النبى والرسول مترادفان والاصح أن النبى انسان ذكر حر من بنى آدم أوحى اليه بشرع وان لم يؤمر بتبليغه فان أمر به فرسول أيضا فالاول أعم من الثانى فكل رسول نبى ولا عكس وذكر الاخص فى هذا المقام أنص على معنى المرام (الذى بعثه) أى الله كما فى نسخة أى أرسله الى الثقلين وقيل الى الملائكة أيضا وقيل الى سائر الحيوانات وقيل الى جميع المخلوقات كما يدل عليه خبر مسلم وأرسلت الى الخلق كافة (وطرق الايمان) من الانبياء والكتب والعلماء (قد عفت آثارها) أى اندرست أخبارها والجملة حالية والمعنى ان الله تعالى أرسله وأظهره فى حال كمال احتياج الناس اليه عليه الصلاة والسلام فانهم كانوا فى غاية من الضلالة ونهاية من الجهالة اذ لم يكن حينئذ على وجه الارض من يعرفها الا أفراد من أتباع عيسى عليه الصلاة والسلام استوطنوا زوايا الخمول ورؤس الجبال وآثروا الوحدة والافول عن الخلق بالاعتزال (وخبت أنوارها) أى خفيت وانطفأت بحيث لا يمكن اقتباس العلم المشبه بالنور فى كمال الظهور (ووهنت) أى ضعفت حتى انعدمت (أركانها) من أساس التوحيد والنبوة والايمان بالبعث والقيامة وقيل المراد الصلوات والزكوات وسائر العبادات (وجهل) بصيغة المجهول (مكانها) مبالغة فى ظهور ظلمة الجهل وغلبة الفسق وكثرة الظلم وقلة العدل (فشيد) أى رفع واعلى وأظهر وقوى بما أعطيه من العلوم والمعارف التى لم يؤتها أحد مثله فيما مضى (صلوات الله) أى أنواع رحمته وأصناف عنايته نازلة (عليه) وفائضة لديه ومتوجهة اليه وفى نسخة منسوبة الى السيد عفيف الدين زيادة (وسلامه) يعنى جنس السلامة من كل آفة فى الدارين وهى جملة

من معالمها ما عفا وشفى من العليل فى تأييد كلمة التوحيد من كان على شفا وأوضح سبيل الهداية لمن أرادأن يسلكها وأظهر كنوز السعادة لمن قصد أن يملكها (أما بعد) فان التمسك بهديه لا يستتب الا بالاقتفاء لما صدر من مشكاته

معترضة اخبارية أودعائية وهى الاظهر (من معالمها) جمع المعلم وهو العلامة (ماعفا) ماموصولة أوموصوفة مفعول شيد ومن بيانية متقدمة والمعنى أظهر وبين مااندرس وخفى من آثار طرق الايمان وعلامات أسباب العرفان والايقان (وشفى) عطف على شيد (من العليل) بيان مقدم لمن رعاية للسجع (فى تأييد كلمة التوحيد) أى تأكيده وتقويته ونصرته واعانته متعلق بشفى ومفعوله قوله (من كان على شفا) أى وخلص من كان قريبا من الوقوع فى حفرة الجحيم والسقوط فى بئر الحميم اشارة الى قوله تعالى وكنتم على شفا أى طرف حفرة من النار فانقذكم منها وقيل من للتبعيض أى ابرأ من جملة المعلولين من كان على اشراف من الهلاك ايماء الى أنه طبيب العيوب وحبيب القلوب وفى الكلام صنعة جناس وهو تشابه الكلمتين لفظا وصنعة طباق وهو الجمع بين الضدين فى الجملة وأغرب السيد جمال الدين حيث قال والعليل بعين مهملة فى أصل سماعنا وجميع النسخ الحاضرة ويجوز أن يقرأ بغين معجمة ويكون من الغل بمعنى الحقد ووجه غرابته أما لفظا فلفوت المناسبة بين الشفاء والعلة واما معنى فلذهاب عموم العلل المستفاد من جنس العليل واقتصاره على علة الحقد فقط مع عدم ملائمته للمقام (وأوضح سبيل الهداية) أى بين وعين طريق الاهتداء الى المطلوب وسبيل الوصول الى المحبوب (لمن أرادأن يسلكها) والسبيل يذكر ويؤنث أى لمن طلب وشاء من نفسه أن يدخل فيها وارادة العبد تابعة لارادة الله تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله (وأظهر كنوز السعادة) أى المعنوية وهى المعارف والعلوم والاعمال العلية والاخلاق والشمائل والاحوال البهية المؤدية الى الكنوز الابدية والخزائن السرمدية (لمن قصد أن يملكها) أى بملكة يتوصل بها الى ملكها ويتوسل بها الى ملكها قال تعالى واذا رأيت ثم رأيت نعيما أى كثيرا وملكا كبيرا وفى قوله أرادو قصد اشارة الى ما قال بعض المشائخ لابد من السعى ولا يحصل بالسعى ووجه التخصيص أنهم المنتفعون بالايضاح والاظهار كقوله تعالى هدى للمتقين ثم قيل يرد عليه بناء على النسخة المشهورة فى الاكتفاء بالصلاة دون السلام ما نقله النووى عن العلماء من كراهة افراد أحدهما عن الآخر لكن يحتمل أن محل الكراهة فيمن اتخذه عادة وهو ظاهر أو يحمل على انه جمع بينهما بلسانه واقتصر على كتابة أحدهما وهذا بعيد أو الكراهة بمعنى خلاف الاولى لا طلاقها عليه كثيرا وهو الاولى (أما بعد) أتى به اقتداء به عليه الصلاة والسلام وبأصحابه فانهم كانوا يأتون به فى خطبهم للانتقال من اسلوب الى آخر ويسمى فصل الخطاب قيل أول من قال به داود عليه الصلاة والسلام وأما لتفصيل المجمل وهو كلمة شرط محذوف فعله وجوبا وبعد من الظروف الزمانية متعلق بالشرط المحذوف وهو مبنى على الضم لقطعه عن الاضافة والمضاف اليه منوى والتقدير مهما يذكر شئ من الاشياء بعدما ذكر من البسملة والحمدلة والصلاة والثناء (فان التمسك بهديه) أى التشبث والتعلق بطريقه عليه الصلاة والسلام (لا يستتب) بتشديد الموحدة أى لا يستقيم ولا يستمر أولا يتهيأ ولا يتأتى (الابالاقتفاء) أى بالاتباع التام (لماصدر) أى ظهر (من مشكاته) أى صدره أوقلبه أوفمه والاول أظهر فان المشكاة لغة هى الكوة فى الجدار الغير النافذ يوضع فيها المصباح استعيرت لصدره عليه الصلاة والسلام لانه كالكوة ذو جهتين فمن جهة يقتبس النور من القلب المستنير ومن أخرى يفيض ذلك النور المقتبس على الخلق وشبهت اللطيفة القدسية التى هى القلب بالمصباح المضىء ثم الكل مأخوذ من قوله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره قيل نور محمد كمشكوة فيها مصباح هذا ويحتمل ان يرجع الضمير فى هديه الى الله تعالى والمراد بهديه توحيده ويؤيده عطف قوله الآتى والاعتصام بحبل الله عليه غايته أنه وضع الظاهر موضع الضمير دفعا للتوهم وتبعا للوارد فى قوله تعالى

والاعتصام بحبل الله لايتم الابيان كشفه وكان كتاب المصابيح الـذى صنفه الامام محيى السنة قامع البدعة أبو محمد

واعتصموا بحبل الله وعكس فى الاول لظهوره ودلالة المقام عليه فلو بين الضمير بالتصريح لـكان أولى سيما مع وجود الفصل بفصل الخطاب والله أعلم بالصواب (والاعتصام) بالنصب ويجوز رفعه أى التمسك (بحبل الله) وهـو القرآن لما ورد القرآن حبل الله الممدود من السماء الى الارض شبه به لانه يتوسـل به الى المقصود ويحصل به الصعود الى مراتب السعود وفيـه اشارة الى انه قابل للتعلى والتدلى ولذا ورد فى الحديث القرآن حجة لك أو عليك فهو كالنيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين قال تعالى يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وننزل من القرآن ما هوشفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الاخسارا (لايتم) أى لايكمل الاعتصام بالكتاب (الابيان كشفه) أى من السنة النبوية والاضافة بيانية قال تعالى لتبين للناس مانزل اليهم ولاخفاء فى الاجمالات القرآنية والتبيينات الحديثية فان الصلاة مجملة لم يبين أوقاتها واعدادها وأركانها وشرائطها وواجباتها وسننها ومكروهاتها ومفسداتها الا السنة وكذا الزكاة لم يعلم مقدارها وتفاصيل نصابها ومصارفها الا بالحديث وكذا الصوم والحج وسائر الامور الشرعية والقضايا والاحكام الدينية وتمييز الحلال والحرام وتفاصيل الاحوال الاخروية فعليك بالكتاب والسنة واجماع الامة وبالاجتناب عن طريق أرباب الهوى وأصحاب البدعة لتكون من الفرقة الناجية السالكة طريق المتابعة على وجه الاستقامة ولله در القائل

كل العلوم سوى القرآن مشغلة * الا الحديث والا الفقه فى الدين

العلم متبع ما فيـه حـدثنا * وما سوى ذاك وسواس الشياطين

ومـا قـاله بعض الصوفية مـن ان حـدثنا باب من ابواب الدنيا مراده انه اذالم يرد به مرضاة المولى ولذا قال بعض العلماء المحدثين طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون الالله وقيل لاحمد بن حنبل الى متى العلم فاين العمل قال علمنا هذا هو العمل وقد روى ابن عباس عن على كرم الله وجهه أنه عليه الصـلاة والسـلام خرج يوما من الحجرة الشريفة وقال اللهـم ارحم خلفائى قلنا من خلفاؤك يا رسول الله قال خلفائى الذين يروون أحاديثى وسننى ويعلمونها الناس وفى صحيح البخارى أن جابر بن عبـدالله الانصارى ارتحـل من المدينة مسافة شهر لتحصيل حديث واحد (وكان كتاب المصابيح) قيل أحاديثه اربعة آلاف واربع مائة وأربعة وثلاثون حديثا وزاد صاحب المشكاة ألفا وخمسمائة وأحد عشر حديثا فالمجموع خمسة آلاف وتسعمائة وخمسة وأربعون وينضبط بستة آلاف الا كسر خمس وخمسين (الذى صنفه) أى ألفه وجمعه (الامام) أى المقتدى به فى جميع الاحكام فانه كان مفسرا محدثا فقيها من أصحاب الوجوه قال بعض مشايخنا ليس لـه قـول ساقط وكان ماهرا فى علم القراءة عابدا زاهدا جامعـا بين العلم والعمل على طريقـة السلف الصالحين كان يأكل الخبز وحده بلاادام فعدل عن ذلك لكبره وعجزه فصار يأكله بالزيت وقيل بالزبيب وقد روى عنه الحديث جماعة من الاكابر كالحافظ أبى موسى المدينى والشيخ أبى النجيب السهروردى عم صـاحب العوارف وله غير المصابيح تصانيف مشهورة كشرح السنة فى الحديث وكتاب التهذيب فى الفقه ومعالم التنزيل فى التفسير (محيى السنة) أى الادلة الحديثية من أقواله وافعاله وتقريره وأحواله عليه الصـلاة والسلام روى أنه لما جمع كتابه المسمى بشرح السنة رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال له أحياك الله كما أحييت سنتى فصار هذااللقب علما له بطريق الغلبة توفى سـنة ست عشرة وخمسمائة بمروودفن عند شيخه واستاذه القاضى حسين المروزى فقيه خراسان (قامع البدعة) أى قاطعها ودافع أهلها أومبطلها ومميتها (أبومحمد)

الحسين ابن مسعود الفراء البغوى رفع الله درجته أجمع كتاب صنف فى بابه وأضبط لشوارد الاحاديث وأوابدها ولما سلک رضى الله عنه طريق الاختصار وحذف الاسانيد تكلم فيه بعض النقاد وان كان نقله وانه من الثقات

كنيته (الحسين) اسمه وهو مرفوع على أنه بدل أو عطف بيان (ابن مسعود) نعته (الفراء) بالجرنعت لابيه وهو الذى يشتغل الفرو أو يبيعه وهو غير الفراء النحوى المشهور على ماتوهم بعضهم فانه ينقل عنه فى تفسيره (البغوى) بالرفع ويجوز جره منسوب الى بغ وقيل الى بغشور قرية بين مرووهراة فى حدود خراسان والاسم المركب تركيبامزجيا ينسب الى جزئه الاول كمعدى فى معدى كرب وبعلى فى بعلبک وانما جاءت الواو فى النسبة اجراء للفظة بغ مجرى محذوف العجز كالدموى ولئلا يلتبس بالبغى بمعنى الزانى وقيل انه منسوب على خلاف القياس (رفع الله درجته) وأسبغ عليه رحمته والجملة دعائية ايماء الى قوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات (اجمع كتاب) خبركان (صنف) أى ذلک الكتاب (فى بابه) أى فى باب الحديث فانه جمع الاحاديث المهمة التى لا يستغنى عنها سالک طريق الآخرة ولو كان من الائمة على ترتيب أبواب الكتب الفقهية ليسهل الكشف ويفسر بعض الاحاديث بعضها الاجمالية وتتبين المسائل الخلافية بمقتضى الدلالات الحديثية (وأضبط) عطف على أجمع لانه لما جرد عن الاسانيد وعن اختلاف الالفاظ وتكرارها فى المسانيد صار أقرب الى الحفظ والضبط وأبعد من الغلط والخبط (لشوارد الاحاديث) جمع شاردة وهى النافرة والذاهبة عن الدرک من باب اضافة الصفة الى الموصوف (وأوابدها) عطف تفسيرى وحشياتها شبهت الاحاديث بالوحوش لسرعة تنفرها وتبعدها عن الضبط والحفظ ولذا قيل العلم صيد والكتابة قيد (ولما سلک) أى البغوى (رضى الله عنه) جملة معترضة دعائية أى ذهب فى مسلک تصنيفه هذا (طريق الاختصار) أى بالاكتفاء على متون الاحاديث على وجه الاقتصار (حذف الاسانيد) عطف على سلک وقيل مصدر مضاف عطف على طريق وهو على الوجهين عطف تفسير والمراد بالاسناد اما حذف الصحابى وترک المخرج فى كل حديث وهو مجاز من باب اطلاق الكل على البعض أى طرق الاسناد وهو مراد المصنف ظاهرا من قوله لكن ليس مافيه أعلام كالاغفال واما معناه الحقيقى على مصطلح أهل الحديث وهو حكاية طريق متن الحديث بحيث يعلم رواته ثم انه انما حذفها لعدم الفائدة فى ذكرها لان المقصود منها أن يعلم عند التعارض راجح الحديث من مرجوحه وناسخه من منسوخه بسبب زيادة عدالة الرواة وتقدم بعضهم على بعض ونحو ذالک من الامور التى لابد للمجتهد منها ولما عدم المجتهدون فى هذه الاعصار وندر وجودهم فى الامصار ووضع هذا الكتاب للصلحاء الابرار لم يكن فى ذكرها نفع كثير فاقتصر على بيان الصحة والحسن اجمالا بقوله من الصحاح والحسان اكمالا (تكلم فيه) جواب لما أى طعن فى بعض أحاديث كتابه (بعض النقاد) بضم النون وتشديد القاف أى العلماء الناقدين المميزين بين الصحيح والضعيف كذا ذكره بعض الشراح وهو غير صحيح لان الطعن فى رجال الحديث لا يكون الا باسناده وهو لا يختلف بذكره وعدم ذكره اللهم الا أن يقال هذا يتصور فى بعض افراد الحديث وهو أن يكون له اسنادان فلو ذكر اسناده الثابت لما وجد الطاعن فيه مطعنا ويؤيده قوله وان كان نقله الخ وحينئذ يكون معنى الكلام وان كان اعتراض ذلک البعض مدفوعا عنه لكونه ثقة واذ انسب الحديث الى الائمة المخرجين الموردين للحديث مع الاسناد بقوله الصحاح ما فيه حديث الشيخين أو أحدهما والحسان ما فيه أحاديث سائر السنن فهو فى حكم الاسناد وقال السيد جمال الدين أى تكلم فى حقه واعترض عليه بعض المبصرين بان صحة الحديث وسقمه متوقفة على معرفة الاسناد فاذا لم يذكر لم يعرف الصحيح من الضعيف فيكون نقصا (وان كان نقله) أى نقل البغوى بلا اسناد والواو وصلية (وانه من الثقات) أى المعتمدين فى نقل الحديث وبيان صحته وحسنه

كالاسناد لكن ليس مافيه أعلام كالاغفال. فاستخرت الله تعالى واستوفقت منه فأودعت كل حديث منه في مقره فأعلمت ما أغفله

وضعفه (كالاسناد) أي كذكره روى بكسر الهمزة في انه على انه حال من المضاف اليه في نقله وروى بفتحها للعطف على اسم كان يعني نقله بتأويل المصدر أي وان كان نقله وكونه من الثقات كالاسناد لان هذا شأن من اشتهرت أمانته وعلمت عدالته وعينا نه فيعول على نقله وان تجرد عن اسناد الشئ لمحله (لكن ليس ما فيه أعلام) أعلام الشئ بفتح الهمزة آثاره التي يستدل بها (كالاغفال) بالفتح وهي الاراضي المجهولة ليس فيها اثر تعرف به وفي بعض النسخ بكسر الهمزة فيهما فهما مصدران لفظا وضدان معنى وأراد بالاول كتابه المشكاة وبالثاني المصابيح وكان حقه أن يقول لكن ليس مافيه اغفال كالاعلام ولعله قلب الكلام تواضعا مع الامام وهضما لنفسه عن بلوغ ذلك المرام والحاصل انه ادعى أن في صنيع البغوي قصورا في الجملة وهو عدم ذكر الصحابة أولا وعدم ذكر المخرج في كل حديث آخرا فان ذكرهما مشتمل على فوائد أما ذكر الصحابي ففائدته أن الحديث قد يتعدد رواته وطرقه وبعضها صحيح وبعضها ضعيف فيذكر الصحابي ليعلم ضعيف المروى من صحيحه ومنها رجحان الخبر بحال الراوى من زيادة فقهه وورعه ومعرفة ناسخه ومنسوخه بتقدم اسلام الراوى وتأخره وأما ذكر المخرج ففائدته تعيين لفظ الحديث وتبيين رجال اسناده في الجملة ومعرفة كثرة المخرجين وقلتهم في ذلك الحديث لافادة الترجيح وزيادة التصحيح ومنها المراجعة الى الاصول عند الاختلاف في الفصول وغيرها من المنافع عند أرباب الوصول هذا وقال شيخنا العلامة ابن حجر المكي في شرحه للمشكاة عند قوله تكلم فيه بعض النقاد أي تكلم فيه باعتبار ذلك الحذف الذي استلزم عنده أن يعبر عنه بما اصطلح عليه من عند نفسه بعض النقاد كالنووى وابن الصلاح وغيرهما فقالوا ما جنح اليه في مصابيحه من تقسيم أحاديثه الى صحاح وحسان مع صيرورته الى أن الصحاح مارواه الشيخان في صحيحيهما أو أحدهما والحسان مارواه أبوداود والترمذي وغيرهما من الائمة كالنسائي والدارمي وابن ماجه اصطلاح لا يعرف بل هو خلاف الصواب اذ الحسن عند أهل الحديث ليس عبارة عن ذلك لانه وقع في كتب السنن المشار اليها غير الحسن من الصحيح والضعيف لكن انتصر له المؤلف فقال لامشاحة في الاصطلاح بل تخطئة المرء في اصطلاحه بعيدة عن الصواب والبغوى قد صرح في كتابه بقوله أعنى بالصحاح كذا وبالحسان كذا وما قال أراد المحدثون بهما كذا فلا يرد عليه شئ مما ذكر خصوصا وقد قال وما كان فيها من ضعيف أو غريب أشير اليه وأعرضت عما كان منكرا أو موضوعا اه ولا يخفى أن حمل التكلم على هذا المعنى لايناسبه قوله وان كان نقله الخ ولا يلائمه قوله لكن ليس ما فيه اعلام اذ لا يصلح الاول منهما جوابا ولا الثاني استدراكا صوابا (فاستخرت الله تعالى) أي لقوله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة ولما ورد من حديث أنس رواه الطبراني مرفوعا ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ولا عال من اقتصد ولان العبد لا يعلم خيره من شره قال تعالى وعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لاتعلمون والخير أجمع فيما اختار خالقنا (واستوفقت منه) بتقديم الفاء على القاف في أكثر النسخ المصححة أي طلبت من الله التوفيق وعلى الاستقامة طريق التوثيق وفي نسخة بالعكس والمعنى طلبت الوقوف على انكار المنكر ومعرفة المعروف وفي نسخة بالمثلثة والقاف أي طلبت الوثوق والثبوت على التمييز بين المردود والمثبوت وقال ابن حجر أي أخذت من المصابيح ما هو الوثيقة المقصودة بالذات وهو الاحاديث عرية عن وسمها بصحاح وحسان (فأودعت كل حديث منه) أي من المصابيح (في مقره) كذا في بعض النسخ هذه الفقرة موجودة والمعنى وضعت كل حديث من الكتاب في محله الموضوع في أصله من كل كتاب وباب من غير تقديم وتأخير وزيادة ونقصان وتغيير (فأعملت) أي فبينت (ما أغفله) أي تركه بلا اسناد

كما رواه الائمة المتقنون والثقات الراسخون مثل أبي عبدالله محمد بن اسمعيل البخاري

عمدا من ذكرالصحابي أولا وبيان المخرج آخرا بخصوص كل حديث التزاما (كمارواه الائمة) جمع امام واصله أئممة على وزن أفعلة فاعل بالنقل والادغام ويجوز تحقيق الهمزة الثانية وتسهيلها وابدالها والمراد منهم ههنا أئمة الحديث الذين يقتدى بهم في كل زمان من القديم والحديث (المتقنون) أى الضابطون الحافظون الحاذقون لمروياتهم من أتقن الامر اذا أحكمه ومنه قوله تعالى صنع الله الذى أتقن كل شئ (والثقات) بكسرالمثلثة جمع ثقة وهم العدول والثبات (الراسخون) أى الثابتون بمحافظة هذا العلم الشريف والقائمون بمراعاة طرق هذا الفن المنيف (مثل أبي عبدالله محمد بن اسمعيل) قال ابن حجر أبوه كان من العلماء العاملين روى عن حماد بن زيد ومالك وصحب ابن المبارك وروى عنه العراقيون قال لاأعلم في جميع مالى درهما من شبهة (البخاري) نسبة الى بخارى بلدة عظيمة من بلاد ماوراء النهر لتولده فيها وصار بمنزلة العلم له ولكتابه قال السيد جمال الدين المحدث يقال له أمير المؤمنين في الحديث وناصر الاحاديث النبوية وناشر المواريث المحمدية قيل لم ير في زمانه مثله من جهة حفظ الحديث واتقانه وفهم معانى كتاب الله وسنة رسوله ومن حيثية حدة ذهنه ودقة نظره ووفور فقهه وكمال زهده وغاية ورعه وكثرة اطلاعه على طرق الحديث وعلله وقوة اجتهاده واستنباطه وكانت أمه مستجابة الدعوة توفى أبوه وهو صغير فنشأ في حجر والدته ثم عمى وقد عجز الاطباء عن معالجته فرأت ابراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام قائلا لها قد رد الله على ابنك بصره بكثرة دعائك له فأصبح وقد رد الله عليه بصره فنشأ متربيا في حجر العلم مرتضعا من ثدى الفضل ثم الهم طلب الحديث وله عشر سنين بعد خروجه من المكتب ولمابلغ احدى عشرة سنة رد على بعض مشايخه ببخارى غلطا وقع له في سند حتى أصلح كتابه من حفظ البخاري وبيانه أن شيخا من مشايخه في مجلس من مجالس حديثه قال في اسناد حديث حدثنا سفيان عن أبي الزبير عن ابراهيم فقال له البخاري أبو الزبير ليس له رواية عن ابراهيم فهيب عليه الشيخ فقال له البخاري ارجع الى الاصل ان كان عندك فقام الشيخ من المجلس ودخل بيته وطالع في أصله وتأمل فيه حتى تأمله ثم رجع الى مجلسه فقال للبخاري فكيف الرواية فقال ليس أبو الزهير[ع] بالهاء انما هو الزبير بالباء وهو الزبير بن عدى فقال صدقت وأخذ القلم وأصلح كتابه ولمابلغ ست عشرة سنة حفظ كتب ابن المبارك ووكيع وعرف كلام أصحاب أبي حنيفة ثم خرج مع أمه وأخيه أحمد بن اسمعيل الى مكة فرجع أخوه وأقام هو لطلب الحديث فلما طعن في ثماني عشرة سنة صنف قضايا الصحابة والتابعين واقاويلهم وصنف في المدينة المنورة عند التربة المطهرة تاريخه الكبير في الليالى المقمرة وكتبواعنه وسنه ثمانى عشرة سنة روى عنه انه قال قل اسم من أسماء رجال التاريخ الكبير أن لايكون عندى منه حكاية وقصة الا أنى تركتها خوفا من الاطناب ولما رجع من مكة ارتحل الى سائر مشائخ الحديث في أكثر المدن والاقاليم روى عنه أنه قال ارتحلت في استفادة الحديث الى مصر والشام مرتين والى البصرة أربع مرات ولا أحصى مادخلت مع المحدثين في بغداد والكوفة وأقمت في الحجاز ست سنين طالبا لعلم الحديث قال البخاري والحامل لى على تأليفه انى رأيتنى واقفابين يدى النبى صلى الله عليه وسلم وبيدى مروحة أذب عنه فعبرلى بأنى أذب عنه الكذب وما وضعت فيه حديثا الا بعدالغسل وصلاة ركعتين وأخرجته من زهاء ستمائة ألف حديث وصنفته في ستة عشر سنة وجعلته حجة فيمابينى وبين الله وما أدخلت فيه الاصحيحا وما تركت من الصحيح أكثر لئلا يطول وصنفته بالمسجد الحرام وماأدخلت فيه حديثا حتى استخرت الله وصليت

ع هكذا في النسخة القديمة للمرقات التى كانت امامنا عندالطبع لكن الصواب ان شيخ البخاري قال سفيان عن ابى الزبير عن ابراهيم فقال له البخاري ان ابا الزبير لم يرو عن ابراهيم و الصحيح الزبير عن ابراهيم - كما هو في ارشاد السارى ج ١ ص ٣٢ - و مقدمة لامع الدرارى ص ٦ - ناشر

ركعتين وتيقنت صحته اه وهذا باعتبار الابتداء وترتيب الابواب ثم كان يخرج الاحاديث بعد فى بلده وغيرها وهو محمل رواية أنه كان يصنفه فى البلاد اذ مدة تصنيفه ست عشرة سنة وهو لم يجاور هذه المدة بمكة وقد روى عنه أنه صنف الصحيح فى البصرة وروى أنه صنفه فى بخارى و روى عن الوراق البخارى انه قال قلت للبخارى جميع الاحاديث التى أوردتها فى مصنفاتك هل تحفظها فقال لايخفى على شئ منها فانى قد صنفت كتبى ثلاث مرات وكأنه أراد بالتكرار التبييض والتنقيح ولعل كثرة نسخ البخارى من هذه الجهة ورواية أنه جعل تراجمه فى الروضة الشريفة محمولة على نقلها من المسودة الى المبيضة كذا قيل ويمكن حمله على حقيقته ونقل عن أبى جمرة عمن لقيه من العارفين انه ماقرئ فى شدة الا وفرجت وما ركب به فى مركب فغرق وانه كان مجاب الدعوة ولقد دعالقارئه قال الحافظ ابن كثير وكان يستسقى بقراءته الغيث قيل ويسمى الترياق المجرب ونقل السيد جمال الدين عن عمه السيد أصيل الدين انه قال قرأت البخارى مائة وعشرين مرة للوقائع والمهمات لى ولغيرى فحصل المرادات وقضى الحاجات وهذا كله ببركة سيدالسادات ومنبع السعادات عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات قيل وكان ورده فى رمضان ختمة فى كل يوم وثلثها فى سحر كل ليلة ولسعه زنبور وهو فى الصلاة ستة عشر أوسبعة عشر موضعا فقيل له لم لم تخرج من الصلاة أول ما لسعك قال كنت فى سورة فأحببت أن أتمها وكان يقول أرجوالله أن لايحاسبنى انى ما اغتبت أحدا فقيل له ان بعض الناس ينقم عليك التاريخ فانه غيبة فقال انما روينا ذلك رواية ولم نقله من عند انفسنا وقال عليه الصلاة والسلام بئس أخوالعشيرة قال واحفظ مائة ألف حديث صحيح ومائتى ألف غير صحيح أى باعتبار كثرة طرقها مع عدالمكرر والموقوف وآثار الصحابة والتابعين وغيرهم وفتاويهم مما كان السلف يطلقون على كله حديثا وقيل كان يحفظ وهو صبى سبعين ألف حديث سردا وينظر فى الكتاب نظرة واحدة فيحفظ ما فيه وكان يقول دخلت بلخ فسألنى أهلها أن أملى عليهم من كل من كتبت عنه فامليت ألف حديث عن ألف شيخ ولبلوغ نهايته فى معرفة علل الحديث كان مسلم بن الحجاج يقول له دعنى أقبل رجليك ياأستاذ الاستاذين وسيد المحدثين وياطبيب الحديث فى علله وقال الترمذى لم أر أحدا بالعراق ولا بخراسان فى ذلك أعلم منه وكان بسمرقند أربعمائة محدث اجتمعواتسعة أيام لمغالطته فخلطوا الاسانيد بعضها فى بعض اسناد الشاميين فى العراقيين واسناد العراقيين فى الشاميين واسناد أهل الحرم فى اليمانيين وعكسه وعرضوها عليه فما استطاعوا مع ذلك أن يتغلبوا عليه بسقطةلا فى اسناد ولا فى متن ولما قدم بغداد فعلوا معه نظير ذلك فعمدوا الى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها ودفعوا لكل واحد عشرة ليلقيها عليه فى مجلسه الغاص بالناس امتحانا فقام أحدهم وسأله عن حديث من تلك العشرة فقال لاأعرفه ثم سأله عن الثانى فقال مثل ذلك وهكذا الى العاشر ثم قام الثانى فكان كالاول ثم الثالث وهكذا الى أن فرغوا فالعلماء الذين كانوا مطلعين على أصل القضية وحفظه قالوا فهم الرجل والذين ما كان لهم وقوف على القضية توهموا عجزه وحملوا على قصور ضبطه وسوء حفظه فالتفت الى الاول فقال أما حديثك الاول بذلك الاسناد فخطأ وصوابه كذا وكذا ولا زال على ذلك الى أن أكمل المائة فبهر الناس وأذعنواله فان عند الامتحان يكرم الرجل أو يهان وعندالمبصرين بهذ الفن ليس من العجيب رد خطئهم الى الصواب لأنه كان حافظ الاحاديث مع الاسانيد بل كان الغريب عند هم حفظه أسانيد هم الباطلة بمجرد سماعه مرة واعادتها مرتبة وهذا كاد أن يكون خرق العادة ومحض الكرامة فانه لايتصور بدون الالهامات الالهية والعنايات الرحمانية ولما قدم البصرة نادى مناديعلمهم بقدومه فاحدقوا به وسألوه أن يعقدلهم مجلس الاملاء فاجابهم فنادى المنادى يعلمهم أنه

أجاب فلما كان من الغد اجتمع كذا وكذا ألفا من المحدثين والفقهاء فاول ما جلس قال ياأهل البصرة اناشاب وقد سألتمونى أن أحدثكم و سأحدثكم أحاديث عن أهل بلدكم تستفيدونها يعنى ليست عندكم وأملى عليهم من أحاديث أهل بلدهم مماليس عندهم حتى بهرهم و من ثم كثرثناءالائمة عليه حتى صح عن أحمد بن حنبل انه قال ماأخرجت خراسان مثله وقال غيرواحد هو فقيه هذه الامة وقال اسحق بن راهويه يامعشر أصحاب الحديث انظروا الى هذاالشاب واكتبواعنه فانه لو كان فى زمن الحسن البصرى لاحتاج اليه لمعرفته بالحديث وفقهه وقد فضله بعضهم فى الفقه والحديث على أحمد واسحق وقال ابن خزيمة ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث منه وورث من أبيه مالا كثيرا فكان يتصدق به وكان قليل الأكل جدا قيل كان يقتع كل يوم بلوزتين أوثلاث لوزات وقيل لم يأكل الادام أربعين سنة قيل كان يدخل عليه كل شهر من مستغلاته خمسمائة درهم فكان يصر فها فى الفقراء وطلبة العلم وكان يرغبهم فى تحصيل الحديث كثيرالاحسان الى الطلبة مفرطافي الكرم وأعطى خمسة آلاف درهم ربح بضاعة له فأخر فأعطاه آخرون عشرة آلاف فقال انى نويت بيعها للاولين ولا أحب أن أغير نيتى و عثرت جاريته بمحبرة بين يديه فقال لها كيف تمشين فقالت اذالم يكن طريق كيف أمشى فقال اذهبى فأنت حرة لله فقيل له يا أبا عبدالله أغضبتك فأعتقتها فقال أرضيت نفسي بما فعلت ولما بنى رباطا مما يلى بخارى اجتمع اليه خلق كثير يعينونه فكان ينقل معهم اللبن فيقال قد كفيت فقال هذا هوالذى ينفعنى ولما رجع الى بخارى نصبت له القباب على فرسخ منها واستقبله عامة أهلها ونثر عليه الدراهم والدنانير وبقى مدة يحدثهم وأرسل اليه أمير البلد خالد بن محمد الذهلى نائب الخلافة العباسية يتلطف معه ويسأله أن يأتيه بالصحيح ويحدثهم به فى قصره فامتنع وقال لرسوله قل له انى لا أذل العلم ولا أحمله الى أبواب السلاطين فان احتاج الى شئ منه فليحضر فى مسجدى أودارى فان لم يعجبك هذا فأنت سلطان فامنعنى من المجلس ليكون لى عذر عندالله يوم القيامة فانى لا أكتم العلم وروى أنه قال العلم يؤتى ولا يأتى فراسله أن يعقد مجلسا لاولاده ولا يحضر غيرهم فامتنع عن ذلك أيضا وقال لايسعنى أن أخص بالسماع قوما دون قوم وروى انه قال العلم لا يحل منعه فحصلت بينهما وحشة فاستعان الامير بعلماء بخارى عليه حتى تكلموا فى مذهبه فأمره بالخروج من البلد فدعا عليهم بقوله اللهم أرهم ماقصدونى به فى أنفسهم وأولادهم وأهاليهم فكان مجاب الدعوة فلم يأت شهر حتى ورد أمر الخلافة بان ينادى على الامير فاركب حمارا فنودى عليه فيها وحبس الى أن مات ولم يبق أحد ممن ساعده الا وابتلى ببلية شديدة ولما خرج من بخارى كتب اليه أهل سمرقند يخطبونه لبلد هم فسارأليهم فلما كان بخرتنك بمعجمة مفتوحة فى الاشهر أومكسورة فراء ساكنة ففوقية مفتوحة فنون ساكنة فكاف موضع قريب بسمرقند على فرسخين وقيل نحو ثلاثة أيام بلغه انه وقع بينهم بسببه فتنة فقوم يريدون دخوله وآخرون يكرهونه وكان له أقرباء بها فنزل بها حتى يتجلى الامر فأقام أياما فمرض حتى وجه اليه رسول من أهل سمرقند يلتمسون خروجه اليهم فأجاب وتهيأ للركوب ولبس خفيه وتعمم فلما مشى قدر عشرين خطوة الى الدابة ليركبها قال أرسلونى فقد ضعفت فارسلوه فدعا بدعوات ثم اضطجع فقضى فسال منه عرق كثير لا يوصف وماسكن العرق حتى أدرج فى أكفانه و قيل ضجر ليلة فدعا بعد أن فرغ من صلاة الليل اللهم قد ضاقت على الارض بما رحبت فاقبضنى اليك فمات عن غير ولد ذكرليلة عيدالفطر سنة ست و خمسين ومائتين عن اثنتين وستين سنة وكانت ولادته يوم الجمعة بعد صلاة العصر فى شهر شوال سنة اربع و تسعين ومائة ولما صلى عليه ووضع فى حفرته فاح من تراب قبره رائحة طيبة كالمسك و جعل الناس يختلفون الى قبره مدة يأخذون

من تراب قبره ويتعجبون من ذالك قال بعضهم رأيت النبى صلى الله عليه وسلم ومعه جماعة من أصحابه وهوواقف فسلمت عليه فرد على السلام فقلت ماوتوقفك هنا يارسول الله قال أنتظر محمد بن اسمعيل قال فلما كان بعد أيام بلغني موته فنظرت فاذا هو قد مات فى الساعة التى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فيهاو بعد نحو سنتين من موته استسقى أهل سمرقند مرارا فلم يسقوا فقال بعض الصالحين لقاضيهاأرى أن تخرج بالناس الى قبرالبخاري ولستسقى عنده فعسى الله أن يسقينا ففعل وبكى الناس عندالقبر وتشفعوا بصاحبه فأرسل الله تعالى عليه السماء بماء غزير أقام الناس من أجله نحو سبعة أيام لايستطيع أحد الوصول الى سمرقند من كثرة المطر ثم اعلم أن فى زمن الصحابة وكبار التابعين لم تكن الاحاديث مدولة لنهيه عليه الصلاة والسلام أصحابه عن كتابة الحديث مخافة خلطه بالكلام القديم وأيضادائرة حفظهم كانت واسعة ببركة صحبته وقرب مدته وأيضا أكثرهم لم يكونوا عارفين بصنعة الكتابة فظهر فى آخر عصر التابعين تدوين الاحاديث والاخبار وتصنيف السنن والآثار وتصدوا لهذا الامر الشريف كالزهرى و ربيع بن صبيح وسعيد بن أبي عروبة وغيرهم وكان دأبهم تصنيف كل باب على حدة الى عهد كبار أهل الطبقة الثالثة فالفوا الحديث على ترتيب أبواب الفقه فصنف الامام مالك مقدم أهل المدينة موطاء وجمع فيه أحاديث أهل الحجاز مماثبت وصح عنده وأدرج فيه أقوال الصحابة وفتاوى التابعين ومن بعدهم وصنف من أهل مكة أبو حامد عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج ومن أهل الشام أبو عمروعبدالرحمن بن عمروالاوزاعي ومن أهل الكوفة سفيان الثورى ومن البصريين أبوسلمة حماد بن سلمة و بعدهم كل واحد من أعيان العلماء المجتهدين ألف كتابا وكتب أحمد بن حنبل واسحق ابن راهو يه وعثمان بن أبي شيبة وغير هم من كبراء المحدثين مسانيدهم و بعضهم على ترتيب أبواب الفقه لكن في الكتب المذكورة لم يميز الصحيح والضعيف ولمااطلع البخارى على تصانيفهم حصل له العزم بطريق الجزم لتحصيل الحزم على تأليف كتاب يكون جميع أحادثيه صحيحة وقد روى عنه أنه قال كنت عند شيخي اسحق بن راهويه يوما فقال لو جمعتم كتابا مختصرا بصحيح سنة النبى صلى الله عليه وسلم فوقع في قلبى تصنيف كتاب فى هذا الباب و تقدم رؤياه أيضا فشرع فيه فلما كمله عرضه على مشايخه مثل اسحق بن راهو يه وعلي بن المدينى وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهم استحسنوه وشهدوا بصحة كتابه وأنه لا نظير له فى بابه واستثنوا أربعة أحاديث وتوقفوا فى صحتها قال العقيلي والحق مع البخارى فيها أيضا فانها صحيحة ثم اختلف علماء الحديث و شراح البخارى فى عدد أحاديثه بالمكرر وباسقاط المكرر والذى حققه الحافظ ابن حجرفى شرح البخارى أن جملة أحاديثه مع التعاليق والمتابعات والشواهد ومع المكررات تسعة آلاف واثنان وثمانون حديثا وباسقاط المكرر أحاديثه المرفوعة ألفان وستمائة وثلاث وعشرون حديثا وأعلى أسانيد أحاديثه وأقربه اليه عليه الصلوة والسلام مايكون الواسطة ثلاثة ووجدفيه من هذا القبيل فى صحيحه مع المكرر اثنان وعشرون حديثا و باسقاط المكرر ستة عشرحديثا وقد أفرده بعض العلماء ثم اتفقت العلماء على تلقى الصحيحين بالقبول وانهما أصح الكتب المؤلفة ثم الجمهور على أن صحيح البخارى أرجحهما وأصحهما قيل ولم يوجد عن أحد التصريح بنقيضه لان قول أبي على النيسا بوري ما تحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم ليس فيه تصريح باصحيته على كتاب البخارى لان نفى الاصحية لا ينفى المساواة وتفضيل بعض المغاربة لصحيح مسلم محمول على ما يرجع لحسن السياق وجودة الوضع والترتيب اذلم يفصح أحد منهم بان ذلك راجع الى الاصحية ولو صرحوابه لرد عليهم شاهد الوجود لان ما يدور عليه الصحة من الصفات الموجودة فى صحيح مسلم موجودة فى صحيح البخارى على وجه أكمل وأسد فان شرطه فيها

أقوى وأشد وأما رجحانه من حيث الاتصال فلاشتراطه أن يكون الراوى قد ثبت له الاجتماع بمن يروى عنه ولو مرة واكتفى مسلم بمجرد المعاصرة نظرا لامكان اللقى واما رجحانه من حيث العدالة والضبط فلأن الرجال الذين تكلم فيهم من رجال مسلم أكثر عددا ممن تكلم فيهم من رجال البخارى مع انه لم يكثر من اخراج حديثهم بل غالبهم من شيوخه الذين أخذ عنهم ومارس حديثهم وميز جيدها من غيره بخلاف مسلم فان أكثر من تفرد بتخريج أحاديثه ممن تكلم فيه هو ممن تقدم عصره من التابعين وتابعيهم ولا شك أن المحدث أعرف بحديث شيوخه ممن تقدم عنهم وأما رجحانه من حيث عدم الشذوذ والاعلال فلان ما انتقد على البخارى من الاحاديث أقل عددا مما انتقد على مسلم ولا يقدح فيهما اخراجهما لمن طعن فيه لان تخريج صاحب الصحيح لاى راو كان مقتض لعدالته عنده وصحة ضبطه وعدم غفلته ان خرج له فى الاصول فان خرج فى المتابعات والشواهد والتعاليق كانت درجاته متقاربة فى الضبط وغيره لكن مع حصول وصف الصدق له فالطعن فيمن خرج له أحدهما مقابل لتعديله فلا يقبل الجرح الا مفسرا بما يقدح فى عدالته أوفى ضبطه مطلقا أوفى ضبطه لخبر بعينه لتفاوت الاسباب الحاملة للائمة على الجرح اذ منها مالا يقدح ومنها ما يقدح وقد كان أبو الحسن المقدسى يقول فيمن خرج له أحدهما فى الصحيح هذا جازالقنطرة يعنى لا يلتفت لما قيل فيه لانهما مقدمان على أئمة عصرهما ومن بعدهما فى معرفة الصحيح والعلل فهو أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز ويؤيده ما نقل عن الحاكم أبى أحمد شيخ الحاكم أبى عبدالله النيسابورى ان البخارى امام المحدثين وكل من أتى بعده وصنف كتابا فى الحديث وأفرده ففى الحقيقة انما أخذه عنه فالفضل للمتقدم حتى ان مسلما أتى بأحاديثه مفرقا فى كتابه وتجلد غاية التجلد حيث لم يسندها الى جنابه وقال الدارقطنى لولا البخارى لما راح مسلم ولا جاء أخذ كتابه وزاد عليه أبوابه وللبخارى مصنفات غير الصحيح كادب المفرد ورفع اليدين فى الصلاة والقراءة خلف الامام وبرالوالدين والتاريخ الكبير والاوسط والصغير وخلق أفعال العباد وكتاب الضعفاء والجامع الكبير والمسند الكبير والتفسير الكبير وكتاب الاشربة وكتاب الهبة وأسامى الصحابة وكتاب الوجدان وكتاب العلل وكتاب الكنى وكتاب المبسوط وكتاب الفوائد روى عنه أنه قال رويت الحديث عن ألف وثمانمائة محدث روى عنه خلق كثير كمسلم فى غير صحيحه والترمذى وابن خزيمة وأبى زرعة وأبى حاتم وكذا النسائى فى قول وغيرهم وبالجملة قيل روى عنه مائة ألف محدث روى عن يحيى بن جعفر بن أعين المروى أنه قال لو قدرت على أن أزيد من عمرى فى عمر البخارى لفعلت لان موتى موت واحد من الناس وموت البخارى ذهاب العلم وموت العالم ونعم ما قيل   اذاما مات ذو علم وفتوى * فقد وقعت من الاسلام ثلمة

قال محمد بن أحمد المروزى كنت نائما بين الركن والمقام فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى يا أبا زيد الى متى تدرس كتاب الشافعى ولا تدرس كتابى فقلت يا رسول الله وما كتابك قال جامع محمد بن اسمعيل البخارى (وأبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى) بالتصغير نسبة الى بنى قشير قبيلة من العرب وهو نيسابورى أحد أئمة علماء هذا الشان سمع من مشائخ البخارى وغيرهم كاحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وقتيبة بن سعيد والقعنبى وروى عنه جماعة من كبار أئمة عصره وحفاظ دهره كأبى حاتم الرازى وابن خزيمة وخلائق وله المصنفات الجليلة غير جامعه الصحيح كالمسند الكبير صنفه على ترتيب أسماء الرجال لا على تبويب الفقه

وكالجامع الكبير على ترتيب الابواب وكتاب العلل وكتاب أوهام المحدثين وكتاب التفييز وكتاب من ليس له الا راو واحد وكتاب طبقات التابعين وكتاب المخضرمين قال صنفت الصحيح من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة وهو أربعة آلاف باسقاط المكرر وأعلى أسانيده ما يكون بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم أربعة وسائط وله بضع وثمانون حديثا بهذا الطريق ولد عام وفاة الشافعي سنة أربع ومائتين وتوفى فى رجب سنة احدى وستين ومائتين وقد رحل الى العراق والحجاز والشام ومصر وقدم بغداد غير مرة وحدث بها وكان آخر قدومه بغداد سنة سبع وخمسين ومائتين وكان عقد له مجلس بنيسابور للمذاكرة فذكر له حديث فلم يعرفه فانصرف الى منزله وقدمت له سلة فيها تمر فكان يطلب الحديث ويأخذ تمرة تمرة فأصبح وقد فنى التمر ووجد الحديث ويقال ان ذلك كان سبب موته ولذا قال ابن الصلاح كانت وفاته بسبب غريب نشأ من غمرة فكرة علمية وسنه قيل خمس وخمسون وبه جزم ابن الصلاح وتوقف فيه الذهبي وقال انه قارب الستين وهو أشبه من الجزم ببلوغه الستين قال شيخ مشايخنا علامة العلماء المتبحرين شمس الدين محمد الجزرى فى مقدمة شرحه للمصابيح المسمى بتصحيح المصابيح انى زرت قبره بنيسابور وقرأت بعض صحيحه على سبيل التيمن والتبرك عند قبره ورأيت آثار البركة ورجاء الا جابة فى تربته (وأبي عبدالله مالك بن أنس) وهو غير أنس بن مالك كما توهم (الاصبحى) نسبة الى ذى أصبح ملك من ملوك اليمن أحد أجداد الامام مالك بن أنس صاحب المذهب واخر عن البخارى ومسلم ذكرا وان كان مقدما عليهما وجودا ورتبة واسنادا لتقدم كتابيهما على كتابه ترجيحا لعدم التزامه تصحيحا وهو من تابعى التابعين وقيل من التابعين اذروى انه روى عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص وصحبتها ثابتة قال الحافظ ابن حجر كتاب مالك صحيح عنده وعند من تقلده على ما اقتضاه نظره من الاحتجاج بالمرسل والمنقطع وغيرهما وقال السيوطى ما فيه من المراسيل فانها مع كونها حجة عنده بلا شرط وعند من وافقه من الائمة على الاحتجاج بالمرسل حجة أيضا عندنا اذا اعتضد وما من مرسل فى الموطا الا وله عاضد اوعواضد فالصواب اطلاق أن الموطأ صحيح لا يستثنى منه شيء وقد صنف ابن عبدالبر كتابا فى وصل ما فى الموطا من المرسل والمنقطع والمعضل قال ابن عبدالبر مذهب مالك أن مرسل الثقة تجب به الحجة ويلزم به العمل كما تجب بالمسند سواء قال البخارى امام الصنعة أصح الاسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر و فى المسئلة خلاف منتشر مشتهر وعلى هذا المذهب قالوا أصح الاسانيد عن مالك الشافعى اذهو أجل أصحابه على الاطلاق باجماع أصحاب الحديث ومن ثم قال أحمد سمعت الموطأ من سبعة عشر رجلا من حفاظ أصحاب مالك ثم من الشافعى فوجدته أقومهم به وأصحها عن الشافعى أحمد ولاجتماع الائمة الثلاثة فى هذا السند قيل لها سلسلة الذهب قيل ولا ينافى ذلك اكثار أحمد فى مسنده اخراج حديث مالك من غير طريق الشافعى وعدم اخراج أصحاب الاصول حديث مالك من جهة الشافعى اما الاول فلعل جمعه المسند كان قبل سماعه من الشافعى وأما الثانى فلطلبهم العلو المقدم عندالمحدثين على ما عداه من الاغراض قال بكر بن عبدالله أتينا مالكا فجعل يحدثنا عن ربيعة بن أبي عبدالرحمن وكنا نستزيده من حديثه فقال لنا يوما ما تصنعون بربيعة هو نائم فى ذلك الطاق فأتينا ربيعة فنبهناه وقلنا له أنت ربيعة فقال نعم قلنا الذى يحدث عنك مالك قال نعم قلنا كيف حظى بك مالك ولم تحظ أنت بنفسك قال أما علمتم أن مثقال دولة خير من حمل علم وكأنه أراد بالدولة اللطف الربانى والتوفيق الالهى قال ابن مهدى

الثورى امام فى الحديث والاوزاعى امام فى السنة ومالك امام فيهما وكان اذا أتاه أحد من أهل الاهواء قال له اما أنا فعلى بينة من دينى وأما أنت فشاك اذهب الى شاك مثلك فخاصمه وقال الشافعى رأيت على باب مالك كراعا من أفراس خراسان وبغال مصر ما رأيت أحسن منه فقلت ما أحسنه فقال هو هدية منى اليك يا أباعبدالله فقلت دع لنفسك دابة تركبها فقال أنا أستحى من الله أن أطأ تربة فيها رسول الله بحافر دابة وكان مبالغا فى تعظيم حديثه صلى الله عليه وسلم حتى كان اذا أراد أن يحدث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته و تطيب وتمكن من الجلوس على وقار وهيبة ثم حدث فقيل له فى ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم و من كلامه اذا لم يكن للانسان فى نفسه خير لم يكن للناس فيه خير وقال ليس العلم بكثرة الرواية وانما هو نور يضعه الله فى القلب قال مالك قال لى هرون الرشيد يا أبا عبدالله ينبغى أن تختلف الينا حتى يسمع صبياننا منك الموطأ يعنى الامين والمأمون فقلت أعز الله أميرالمؤمنين ان هذا العلم منكم خرج فان أنتم أعززتموه عز وان أنتم أذللتموه ذل و فى رواية منه يا أميرالمؤمنين لا تضع عز شئ رفعه الله و العلم يؤتى ولا يأتى قال صدقت و فى رواية صدقت أيها الشيخ كان هذا هفوة منى استرها على أخرجوا الى المسجد حتى تسمعوا مع الناس وسأله الرشيد ألك دار قال لا فأعطاه ثلاثة آلاف دينار و قال اشتر بها دارا فأخذها و لم ينفقها و لما أراد الرشيد الشخوص قال لمالك ينبغى أن تخرج معى فانى عزمت أن أحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان الناس على القرآن فقال أما حمل الناس على الموطأ فلا سبيل اليه لان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم افترقوا بعده فى الامصار فحدثوا فعند أهل كل مصر علم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلاف أمتى رحمة و أما الخروج معك فلا سبيل اليه لانه صلى الله عليه وسلم قال المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون و هذه دنانيركم كماهى ان شئتم فخذوها و ان شئتم فدعوها يعنى انك انما كلفتنى مفارقة المدينة لما صنعت الى فلا أوثر الدنيا على مدينة رسول الله عـه وصح عن الشافعى أنه قال ما فى الارض كتاب من العلم أكثر صوابا من موطأ مالك و فى رواية ماتحت اديم السماء أصح من موطأ مالك قال العلماء انما قال الشافعى هذا قبل وجود الصحيحين و الا فهما أصح منه اتفاقا و جاءه رجل من مسيرة ستة أشهر فى مسئلة أرسله بها أهل بلده فقص عليه خبره فقال لا أحسن قال فماذا أقول لهم قال قل لهم قال مالك لا أحسن أخذ عن ثلثمائة تابعى وأربعمائة من تابعيهم توفى فى ربيع الاول سنة تسع أوثمان وسبعين ومائة على الاصح و دفن بالبقيع و قبره مشهور به و ولد فى ربيع الاول سنة ثلاث ومائة على الاشهر قيل مكث حملا فى بطن أمه ثلاث سنين و قيل أكثر و قيل سنتين قال الواقدى مات وله تسعون سنة و قيل مالك أثبت أصحاب الزهرى و ابن المنكدر و نافع و يحيى بن سعيد و هشام بن عروة و ربيعة و جمع كثير وروى الزهرى عنه مع أنه من شيوخه و من أجلاء التابعين فهو من قبيل رواية الاكابر عن الاصاغر و قدروى عن مالك ابن جريج و ابن عيينة والثورى والاوزاعى و شعبة والليث ابن سعد و ابن المبارك والشافعى و ابن وهب و خلائق لايحصون قال مالك قل من أخذت عنه الحديث انه ماجاء نى و لم يأ خذ منى الفتوى (وأبى عبدالله محمد بن ادريس الشافعى) نسبة الى شافع أحد أجداده قيل شافع كان صاحب راية بنى هاشم يوم بدر فأسر و فدى نفسه فأسلم و قيل لقى شافع النبى صلى الله عليه وسلم و هو مترعرع وأسلم أبوه السائب يوم بدر و كان السائب صاحب راية بنى هاشم

عـه صلى الله عليه وسلم

يوم بدر فأسر وفدى نفسه ثم أسلم و على القولين يظهر وجه تخصيص النسبة اليه ثم نسبة أهل مذهبه أيضا شافعي و قول العامة شافعوى خطأ و هو المطلبي الحجازى المكى ابن عم النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم يلتقي معه في عبد مناف و ورد خبر عالم قريش يملأ طباق‌الارض علما طرقه متماسكة و ليس بموضوع خلافا لمن وهم فيه كما بينه أئمة الحديث كاحمد وأبى نعيم والبيهقى والنووى و قال انه حديث مشهور و ممن حمله على الشافعي أحمد وتبعه العلماء على ذلك ولد بغزة على الاصح و قيل بعسقلان و قيل باليمن و قيل بمنى و قيل بالبحر سنة خمسين و مائة اتفاقا وهى سنة وفاة أبى حنيفة و قيل ولد يوم موته قال البيهقى هذا التقييد لم أجده الافى بعض الروايات اما بالعام فهو مشهور بين أهل التواريخ و نشأيتيما فى حجر أمه فى ضيق عيش بحيث كانت لا تجد أجرة المعلم و كان يقصر فى تعليمه و كان الشافعي يتلقف ما يعلمه لغيره فاذا ذهب غلمهم اياه فكفى المعلم أمر هم أكثر مما لو أعطاه أجرة فتركها واستمر حتى تعلم القرآن لسبع سنين ثم حبب اليه مجالسة العلماء و كان يكتب ما يستفيده منهم فى العظام و نحوها لعجزه عن الورق وكان يؤثر الشعر والادب الى أن تمثل ببيت و عنده كاتب أستاذه مسلم بن خالد الزنجى مفتى مكة فقرعه بسوط ثم قال له مثلك يذهب بمروأته فى مثل هذا أين أنت من‌الفقه فهزه ذلك الى مجالسة مسلم و من أشعاره

يا أهل بيت رسول‌الله حبكم * فرض من‌الله فى القرآن أنزله

كفا كم من عظيم القدر أنكم * من لم يصل عليكم لا صلاة له

ثم قدم المدينة و عمره ثلاث عشرة سنة فلازم مالكا فأكرمه و عامله لنسبه و علمه و فهمه و أدبه و عقله بما هو اللائق بهما و كان حفظ الموطأ بمكة لما أراد الرحلة الى مالك حين سمع أنه امام‌المسلمين و كان مالك يستزيده من قراءته لاعجابه بها حتى قرأه عليه فى أيام يسيرة و قال له مرة لما تفرس فيه النجابة والامامة اتق الله انه سيكون لك شان و أخرى ان‌الله قد ألقى عليك نورا فلا تطفئه بالمعصية قال فما ارتكبت كبيرة قط ثم بعد وفاة مالك رحل عن المدينة الى اليمن و ولى بها القضاء ثم رحل الى العراق وجد فى‌التحصيل و ناظر محمد بن الحسن وغيره و نشر علم الحديث و شاع ذكره و فضله الى ان ملأ البقاع والاسماع قال محمد بن‌الحسن فى مدح الشافعي انه استعار منى كتاب الاوسط لابى‌حنيفة و حفظه فى يوم و ليلة ولما صنف كتاب‌الرسالة أعجب به أهل عصره وأجمعوا على استحسانه و انه من الخوارق حتى قال المزنى قرأته خمسمائة مرة ما من مرة‌الاوقد استفدت منه شيألم أكن عرفته و كان أحمد يدعوله فى صلاته لما رأى اهتمامه بنصر السنة و صنف فى العراق كتابه القديم المسمى بالحجة ثم رحل الى مصر سنة تسع و تسعين و مائة و صنف كتبه الجديدة بها ورجع عن تلك و بمجموعها يبلغ مائة و ثلاثة عشر مصنفا و سار ذكرها فى‌البلدان و قصده الناس من‌الاقطار للاخذ عنه و كذا أصحابه من بعده لسماع كتبه حتى اجتمع فى يوم على باب‌الربيع تسعمائة راحلة وابتكر أصول الفقه و كتاب القسامة و كتاب الجزية و قتال‌أهل‌البغى و كان حجة فى اللغة والنحو وأذن له مسلم بن خالد مفتى مكة فى‌الافتاء بها و عمره خمس عشرة سنة وربما أوقد له المصباح فى الليلة ثلاثين مرة و لم يبقه دائم‌الوقود قال ابن أخته من أمه لان الظلمة‌أجلى للقلوب و كان يقول اذا صح الحديث فهو مذهبى واضربوا بقولى الحائط وانفرد بالاعراض عن التمسك بالحديث‌الضعيف فى غير‌الفضائل و من كلامه الدال على اخلاصه وددت أن كل ما تعلمه الناس أوجر عليه ولا يحمدونى قط ووددت اذاما ناظرت أحدا أن يظهر الحق على يديه و من حكمه البالغة طلب العلم أفضل من صلاة النافلة و من أراد الدنيا والآخرة فعليه بالعلم أى مع‌العمل ما أفلح فى العلم الا من طلبه فى

الذلة ولقد كنت أطلب القرطاس فيعز على لا يتعلم أحد هذا العلم بالملک و عزةالنفس فيفلح ولكن من طلبه بذلة النفس وضيق العيش أفلح تفقه قبل أن ترأس فاذا ترأست فلا سبيل الى التفقه زينةالعلم الورع والحلم لا عيب فى العلماء أقبح من رغبتهم فيما زهد هم الله فيه و زهد هم فيما رغبهم الله فيه فقرالعلماء فقر اختيار و فقرالجهال فقراضطرار الناس فى غفلة من سورة والعصر انالانسان لفى خسر من لم تعزهالتقوى فلا تقوى له ما فرغت من العلم قط طلب فضول الدنيا عقوبة عاقب الله بها أهل التوحيد من غلبته شدة الشهوة للدنيا لزمتهالعبودية لاهلها و من رضى بالقنوع زال عنه الخضوع لا يعرف الرياء الاالمخلصون لو اجتهدت كل الجهد على أن ترضى الناس كلهم فلا سبيل لذلک فاخلص عملک ونيتک لله لو أوصى رجل بشئ لاعقل الناس صرف للزهاد سياسةالناس أشد من سياسة الدواب العاقل من عقله عقله عن كل مذموم و من لم لک لم يک من وعظ أخاه سرا فقد نصحه و من وعظه علانية فقد فضحه التواضع من أخلاقالكرام والتكبر من شيماللئام أرفع الناس قدرا من لايرى قدره الشفاعات زكاة المروآت من ولى القضاء فلم يفتقر فهولص لاباس للفقيه أن يكون معه سفية يسافه به مداراة الاحمق غاية لا تدرک الانبساط الى الناس مجلبة لقرناء السوء والانفراد عنهم مكسبة للعداوة فكن بينالمنقبض والمنبسط لان يبتلى المرء بكل ذنب ماعدا الشرک خير من أن ينظر فى الكلام فالى والله اطلعت من اهل الكلام على شئ ماظننته قط و كان يكتب ثلثالليل ثم يصلى ثلثه ثم ينام ثلثه و يختم كل يوم ختمة أتول لعله فى أيام رمضان و قال ما كذبت قط ولاحلفت بالله صادقا ولا كاذبا وما تركت غسل الجمعة قط وما شبعت منذ ست عشرة سنة الا شبعة طرحتها من ساعتى قال الكرابيسى سمعته يقول يكره للرجل أن يقول قال الرسول لكن يقول قال رسولالله و كان له اليدالطولى فىالسخاء قدم من صنعاء الى مكة بعشرة آلاف دينار فما برح من مجلس سلام الناس عليه حتى فرقها كلها و سقط سوطه فناوله انسان فأمر غلامه باعطائه مامعه منالدنانير فكانت سبعة أوتسعة وانقطع شسع نعله فأصلحه له رجل فقال يا ربيع أمعک من نفقتنا شئ قلت سبعة دنانير قال ادفعها اليه و قالالمزنى مارأيت أكرم منه خرجت معه ليلةالعيد من المسجد وأنا أذاكره فى مسئلة حتى أتيت باب داره فأتاه غلام بكيس و قال مولاى يقرئکالسلام و يقول لک خذ هذا الكيس فانه لک هدية وعلينا المنة فأخذه منه فأتاه رجل فقال يا أباعبدالله ولدت امرأتىالساعة وليس عندى شئ فدفع اليه الكيس وصعد وليس معه شئ وكان يأكل شهوة أصحابه وركب حماره و أحمد يمشى بجانبه و يذاكره فبلغ ذلک يحيى بن معين فعتب أحمد فأرسل له لو كنت بالجانب الآخر من حماره لكان خيرا لک و كانت له المعرفة التامة بالرمى حتى يصيب عشرة من عشرة و بالفروسية حتى يأخذ باذنه و أذنالفرس فى شدة عدوه وروى أنه سمع قارئا يقرأ هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فتغيرالشافعى وارتعد و خر مغشيا عليه فلما أفاق قال اللهم انى أعوذبک من مقامالكذابين و من اعراض الجاهلين هب لى من رحمتک و جللنى بسترک واعف عنى بكرمک ولا تكلنى الى غيرک ولا تقنطنى من خيرک و من كلامه لو لم يكن العلماء أولياء فليسلله ولى ما اتخذالله وليا جاهلا قال المزنى دخلت عليه فى مرض موته فقلت له كيف أصبحت فقال أصبحت منالدنيا راحلا ولاخوانى مفارقا ولكأس المنية شاربا ولسوء أعمالى ملاقيا و على الله واردا فلا أدرى روحى تصير الى الجنة فأهنيها أوالى النار فأعزيها ثم بكى وأنشأ يقول

ولما قسا قلبى وضاقت مذاهبى * جعلت رجائى نحو عفوک سلما
تعاظمنى ذنبى فلما قرنته * بعفوک ربى كان عفوک أعظما

توفى آخر يوم من رجب ليلة الخميس أوليلة الجمعة و كان قد صلى المغرب سنة أربع ومائتين وقبره

بقرافة مصر و عاش أربعا و خمسين سنة (وأبى عبدالله أحمد بن حنبل) و فى نسخة صحيحة أحمد بن محمد بن حنبل فالنسبة الاولى مجازية (الشيبانى) نسبة الى قبيلة و هو المروزى ثم البغدادى و لد ببغداد سنة أربع وستين ومائة ومات بها سنة احدى و أربعين و مائتين وله سبع و سبعون سنة كان اماما فى الفقه و الحديث والزهد والورع والعبادة و به عرف الصحيح و السقيم والمجروح من المعدل نشأ ببغداد و طلب العلم و سمع الحديث من شيوخها ثم رحل الى مكة والكوفة والبصرة والمدينة واليمن والشام والجزيرة و سمع من يزيد بن هرون و يحيى بن سعيد القطان و سفيان بن عيينة و محمد بن ادريس الشافعي و عبدالرزاق بن همام و غيرهم وروى عنه ابناه صالح و عبدالله و ابن عمه حنبل بن إسحق و محمد بن اسمعيل البخارى ومسلم بن الحجاج النيسابورى وأبوزرعة و أبوداود السجستانى و خلق كثير الا ان البخارى لم يذكر فى صحيحه عنه الاحديثا واحدا فى آخر كتاب الصدقات تعليقا وروى عن أحمد بن الحسن عنه فضائله كثيرة و مناقبه شهيرة و هو أحد المجتهدين المعمول بقوله و رأيه و مذهبه في كثير من البلاد قال أبوزرعة كان أحمد يحفظ ألف ألف حديث فقيل له ما يدريك قال ذاكرته فأخذت عليه الابواب و قال أيضا حزرت كتبه اثنى عشر حملا أو عدلا كل ذلک كان يحفظه عن ظهر قلبه و قال أبوداود السجستانى كأن مجالسة أحمد بن حنبل مجالسة الآخرة لايذكر فيها شئى من أمر الدنيا و قال محمد بن موسى حمل الى الحسن بن عبدالعزيز ميراثه من مصر مائة ألف دينار فحمل الى أحمد بن حنبل ثلاثة أكياس في كل كيس ألف دينار فقال يا أبا عبدالله هذا من ميراث حلال فخذ ها واستعن بها على عائلتک قال لا حاجة لى فيها أنا فى كفاية فردها و لم يقبل منها شيأ و قال عبدالله بن أحمد كنت أسمع أبى كثيرا يقول فى دبر صلاته اللهم كما صنت وجهى عن السجود لغيرک فصن وجهى عن المسئلة لغيرک و قال ميمون بن الاصبغ كنت ببغداد فسمعت ضجة فقلت ما هذا فقالوا أحمد بن حنبل يمتحن فدخلت فلما ضرب سوطا قال بسم الله فلما ضرب الثانى قال لاحول ولاقوة الا بالله فلما ضرب الثالث قال القرآن كلام الله غير مخلوق فلما ضرب الرابع قال لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا فضرب تسعة و عشرين سوطا وكانت تكة أحمد حاشية ثوب فانقطعت فنزل السروال الى عانته فرمى أحمد طرفه الى السماء فحرك شفتيه فما كان بأسرع من ارتقاء السروال ولم ينزل فدخلت عليه بعد سبعة أيام فقلت يا أبا عبدالله رأيتک تحرك شفتيک فأى شئى قلت قال قلت اللهم انى أسألک باسمک الذى ملأت به العرش ان كنت تعلم أنى على الصواب فلا تهتک لى سترا وقال احمد بن محمد الكندى رأيت أحمد بن حنبل فى النوم فقلت ما صنع الله بک قال غفرلى ثم قال يااحمد ضربت فى قال قلت نعم يا رب قال ياأحمد هذا وجهى فانظر اليه فقد أبحتک النظر اليه روى أنه أرسل الشافعي الى بغداد يطلب قميصه الذى ضرب فيه فأرسله اليه فغسله الشافعي وشرب ماءه وهذا من أجل مناقبه قال ولده صالح انه حج خمس حجج ثلاثا منها راجلا وكثيرا ما كان يأتدم بالخل قال أبوزرعة بلغنى أن المتوكل أمر أن يمسح الموضع الذى وقف الناس فيه للصلاة عليه فبلغ مقام ألفى ألف وخمسمائة ألف وأسلم يوم وفاته عشرون ألفا وقبره ظاهر ببغداد يزار ويتبرك به وكشف لما دفن بجنبه بعض الاشراف بعد موته بمأتين وثلاثين سنة فوجد كفنه صحيحا لم يبل وجثته لم تتغير * (تنبيه) * اعترض على ابن الصلاح تفضيل كتب السنن على مسند أحمد فانه أكبر المسانيد وأحسنها فانه لم يدخل فيه الا ما يحتج به مع كونه اختصره من أكثر من سبعمائة ألف حديث وستين ألفا وقال ما اختلف المسلمون فيه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فارجعوا فيه الى

المسند فان وجدتموه فحسن والا فليس بحجة ومن ثم بالغ بعضهم فأطلق الصحة على كل ما فيه والحق أن فيه أحاديث كثيرة ضعيفة وبعضها أشد فى الضعف من بعض حتى ان ابن الجوزى قد أدخل كثيرا منها فى موضوعاته لكن تعقبه فى بعضها بعضهم وفى سائرها شيخ الاسلام ابن حجر العسقلانى وحقق نفى الوضع عن جميع أحاديثه وأنه أحسن انتقاء وتحريرا من الكتب التى لم يلتزم مؤلفوها الصحة فى جميعها كالسنن الاربعة قال وليست الاحاديث الزائدة فيه على ما فى الصحيحين بأكثر ضعفا من الاحاديث الزائدة فى سنن أبى داود والترمذى عليهما وبالجملة فالسبيل واحد لمن أراد الاحتجاج بحديث من السنن لاسيما سنن ابن ماجه ومصنف ابن أبى شيبة وعبدالرزاق مما الامر فيه أشد أو بحديث من المسانيد لان هذه كلها لم يشترط جامعوها الصحة والحسن وتلك السبيل أن المحتج ان كان أهلا للنقل والتصحيح فليس له أن يحتج بشئ من القسمين حتى يحيط به وان لم يكن أهلا لذلك فان وجد أهلا لتصحيح أو تحسين قلده والا فلايقدم على الاحتجاج فيكون كحاطب ليل فلعله يحتج بالباطل و هو لا يشعر (وأبى عيسى) قيل يكره هذه التكنية (محمد بن عيسى الترمذى) بكسر التاء و الميم و بضمهما و بفتح التاء و كسر الميم مع الذال المعجمة نسبة لمدينة قديمة على طرف جيحون نهر بلخ الامام الحجة الاوحد الثقة الحافظ المتقن أخذ عن البخارى و قتيبة بن سعيد و محمود بن غيلان و محمد بن بشار و أحمد بن منيع و محمد بن المثنى و سفيان بن وكيع و غير هم و أخذ عنه خلق كثير وله تصانيف كثيرة فى علم الحديث منها الشمائل و هذا كتابه الصحيح أحسن الكتب و أحسنها ترتيبا و أقلها تكرارا فيه ماليس فى غيره من ذكر المذاهب ووجوه الاستدلال وتبيين أنواع من الصحيح والحسن والغريب و فيه جرح و تعديل و فى آخره كتاب العلل و قد جمع فيه فوائد حسنة لا يخفى قدرها على من وقف عليها و لذا قيل هو كاف للمجتهد و مغن للمقلد بل قال أبو اسمعيل الهروى هو عندى انفع من الصحيحين لان كل أحد يصل للفائدة منه و هما لايصل اليها منهما الا العالم المتبحر و قول ابن حزم انه مجهول كذب منه قال عرضت هذا الكتاب يعنى سننه على علماء الحجاز و العراق و خراسان فرضوابه و من كان فى بيته فانما فى بيته نبى يتكلم نعم عنده نوع تساهل فى التصحيح ولايضره فقد حكم بالحسن مع وجودالانقطاع فى أحاديث من سننه و حسن فيها بعض ما انفرد رواته به كماصرح هو به فانه يورد الحديث ثم يقول عقبه انه حسن غريب أو حسن صحيح غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه لكن أجيب عنه بان هذا اصطلاح جديد ولا مشاحة فى الاصطلاح و قد أطلق الحاكم و الخطيب الصحة على جميع ما فى سنن الترمذى توفى بترمذ سنة تسع و سبعين و مائتين وأعلى أسانيده ما يكون واسطتان بينه و بين النبى صلى الله عليه وسلم وله حديث واحد فى سننه بهذا الطريق و هو يأتى على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر فاسناده أقرب من اسناد البخارى و مسلم وأبى داود فان لهم ثلاثيات و ذكر فى جامعه بسنده هذا الحديث و هو يا على لايحل لاحد أن يجنب فى هذا المسجد غيرى و غيرك ثم قال و هذا حديث غريب و قد سمعه منى البخارى (وأبى داود سليمان بن الاشعث السجستانى) بكسر السين الاولى و بفتح و بكسر الجيم و سكون السين الثانية معرب سيستان من نواحى هراة من بلاد خراسان ولد سنة ثنتين و مائتين و توفى بالبصرة سنة خمس و سبعين و مائتين و هوالامام الحافظ الحجة سكن البصرة وقدم بغداد مرارا فروى سننه بها ونقله أهلها عنه و عرضه على أحمد فاستجاده و استحسنه سمع أحمد و يحيى بن معين و القعنبى و سليمان

ابن حرب و قتيبة و خلائق لا يحصون وروى عنه النسائي وغيره قال جمع ألين الحديث لابي‌داود كما ألين الحديد لداود وكان يقول كتبت عن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم خمسمائة ألف حديث انتخبت منها ما ضمنته كتاب السنن جمعت فيه أربعة آلاف حديث و ثمانمائة حديث ذكرت الصحيح وما يشبهه و يقاربه و يكفي الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث أحدها قوله عليه الصلاة والسلام انما الاعمال بالنيات و الثاني قوله عليه الصلاة والسلام من حسن اسلام المرء تركه ما لايعنيه و الثالث قوله عليه الصلاة والسلام لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يرضى لاخيه ما يرضى لنفسه والرابع ان الحلال بين و الحرام بين الحديث و من أشعار الشافعي

عمدة الدين عندنا كلمات * أربع قالهن خيرالبرية

اتق السيئات و ازهد ودع ما * ليس يعنيك و اعمل بنية

فكأنه أراد بقوله ازهد حديث الاربعين ازهد في‌الدنيا يحبك‌الله و ازهد فيما عندالناس يحبك‌الناس قال الخطابي شارحه لم يصنف في علم الدين مثله و هو أحسن وضعا وأكثر فقها من‌الصحيحين و قال أبوداود ما ذكرت فيه حديثا أجمع الناس على تركه و قال ابن‌الاعرابي من عنده القرآن و كتاب ابي‌داود لم يحتج معهما الى شئ من العلم ألبتة و قال الناجي كتاب‌الله أصل الاسلام و كتاب أبي‌داود عهدالاسلام و من ثم صرح حجةالاسلام الغزالي باكتفاء المجتهد به في الاحاديث و تبعه أئمة الشافعية على ذلك و قال النووي ينبغي للمشتغل بالفقه و لغيره الاعتناء به فان معظم أحاديث‌الاحكام التي يحتج بها فيه مع سهولة تناوله وكان له كم واسع و كم ضيق فقيل له ما هذا فقال أما الواسع فللكتب و أما الضيق فللاحتياج اليه و فضائله و مناقبه كثيرة و كان في أعلى درجة من‌النسك و العفاف و الصلاح و الورع قال المنذري ما سكت عليه لاينزل عن درجة الحسن و قال النووي ما رواه في سننه و لم يذكر ضعفه هو عنده صحيح أو حسن و قال ابن عبدالبر ما سكت عليه صحيح عنده سيما ان لم يكن في الباب غيره و أطلق ابن منده و ابن السكن الصحة على جميع ما في سنن أبي‌داود ووافقهما الحاكم (وأبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي) بفتح النون و المد كما في جامع الاصول و اقتصر عليه المصنف و بالقصر كما في طبقات الفقهاء نسبة الى بلد بخراسان قريب مرو و أما ماذكره ابن حجر أنه من كور نيسا بور أو من أرض فارس فغير صحيح أحد الائمة الحفاظ سمع من اسحق ابن راهويه و سليمان بن أشعث و محمود بن غيلان و قتيبة بن سعيد و محمد بن بشار و علي بن حجر و أبي‌داود و آخرين ببلاد كثيرة و أقاليم متعددة و أخذ عنه خلق كثيرون كالطبراني و الطحاوي و ابن السني و دخل دمشق فسئل عن معاوية ففضل عليه عليا فأخرج من‌المسجد و حمل الى الرملة و مات بها و قيل الى مكة و دفن بها بين‌الصفا و المروة و جرى عليه بعض الحفاظ فقال مات ضربا بالارجل من أهل الشام حين أجابهم لما سألوه عن فضائل معاوية ليرجحوه بها على علي بقوله ألايرضى معاوية رأسابرأس حتى يفضل و في رواية ما أعرفه الا أشبع‌الله بطنه وما زالوا يضربونه بأرجلهم حتى أخرج من المسجد ثم حمل الى مكة فمات مقتولا شهيدا و قال الدارقطني ان ذلك كان بالرملة و كذا قال العبدري انه مات بالرملة بمدينة فلسطين و دفن بالبيت المقدس و سنه ثمان و ثمانون سنة فيما قاله الذهبي ومن تبعه و جزم المصنف بأنه مات بمكة سنة ثلاث و ثلثمائة و هو مدفون بها و نقل التاج السبكي عن شيخه الحافظ الذهبي ووالده الشيخ الامام السبكي أن النسائي أحفظ من مسلم صاحب .

و أبی عبدالله محمد بن یزید ابن ماجه القزوینی و أبی محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمی و أبی الحسن علی بن عمر الدار قطنی .

الصبیح وان سننه أقل السنن بعد الصحیحین حدیثا ضعیفا بل قال بعض الشیوخ انه أشرف المصنفات کلهاوماوضع فی الاسلام مثله وقد قال ابن منده و ابن السکن وأبو علی النیسا بوری وابو أحمد بن عدی والخطیب والدارقطنی کل مافیه صحیح لکن فیه تساهل صریح وشذ بعض المغاربة ففضله علی کتاب البخاری ولعله لبعض الحیثیات الخارجة عن کمال الصحة والله تعالی أعلم قال السید جمال‌الدین صنف فی أول الامر کتابا یقال‌له السنن الکبیر للنسائی وهوکتاب جلیل لم یکتب مثله فی جمع طرق الحدیث و بیان مخرجه و بعده اختصره وسماه بالمجتنی بالنون وسبب اختصاره أن أحدا من أمراء زمانه سأله ان جمیع أحادیث کتابک صحیح فقال فی جوابه لا فامره الامیر بتجرید الصحاح و کتابة صحیح مجرد فانتخب منه المجتنی وکل حدیث تکلم فی اسناده أسقطه منه فاذا أطلق المحدثون بقولهم رواه‌النسائی فمرادهم هذا المختصر المسمی بالمجتنی لا الکتاب الکبیر وکذا اذاقالوا الکتب الخمسة أو اصول الخمسة فهی البخاری ومسلم وسنن أبی داود و جامع الترمذی ومجتنی النسائی (وأبی عبدالله محمد بن یزید ابن ماجه) باثبات ألف ابن خطا (۱) فانه بدل من ابن یزید ففی القاموس ماجه لقب والد محمد بن یزید صاحب السنن لا جده وفی شرح الاربعین ان ماجه اسم أمه (القزوینی) بفتح القاف نسبة الی بلد معروف وهوالامام الحافظ صاحب السنن التی کمل به الکتب الستة والسنن الاربعة بعد الصحیحین قال الحافظ ابن حجر واول من أضاف ابن ماجه الی الخمسة الفضل بن طاهر حیث أدرجه معها فی أطرافه وکذا فی شروط الائمة الستة ثم الحافظ عبدالغنی فی کتاب الاکمال فی أسماء الرجال الدی هذبه الحافظ المزی وقدموه علی الموطأ لکثرة زوائده علی الخمسة بخلاف الموطأ وهو کما قاله ابن الاثیر کتاب مفید قوی التبویب فی الفقه لکن فیه أحادیث ضعیفة جدا بل منکرة بل نقل عن الحافظ المزی أن الغالب فیما انفرد به الضعف ولذا لم یضفه غیر واحد الی الخمسة بل جعلوا السادس الموطأ منهم رزین والمجد بن الاثیر وقال العسقلانی ینبغی أن یجعل مسند الدارمی سادسا للخمسة بدله فانه قلیل الرجال الضعفاء نادر الاحادیث المنکرة والشاذة وان کان فیه أحادیث مرسلة وموقوفة فهو مع ذلک أولی منه توفی فی رمضان سنة ثلاث وسبعین ومائتین وله من العمر أربع و ستون سنة سمع أصحاب مالک و اللیث وروی عنه أبوالحسن القطان و خلق سواه و له ثلاثیات من طریق جبارة بن‌المغلس و له حدیث فی فضل قزوین أورده فی سننه و هو منکر بل موضوع ولذا طعن فیه و فی کتابه (و أبی محمد عبدالله بن عبدالرحمن) السمرقندی التمیمی (الدارمی) بکسر الراء نسبة الی دارم بن مالک بطن کبیر من تمیم و هو الامام الحافظ عالم سمرقند صنف‌التفسیر و الجامع و مسنده المشهور و هو علی الابواب لاالصحابة خلافا لمن وهم فیه روی عن البخاری و یزید ابن هرون والنضر بن شمیل و غیر هم و قال رأیت العلماء بالحرمین و الحجاز و الشام و العراق فما رأیت فیهم أجمع من محمد بن اسمعیل البخاری وروی عنه مسلم و أبوداود والترمذی و غیر هم قال أبو حاتم هو امام أهل زمانه توفی یوم الترویة و دفن یوم عرفة سنة خمس و خمسین و مائتین و ولد سنة احدی و ثمانین و مائة وله من‌العمر أربع و سبعون سنة وله خمسة عشر حدیثا هی ثلاثیات (و أبی الحسن علی بن عمر الدار قطنی) بفتح الراء و یسکن وبضم القاف وسکون الطاء بعده نون نسبة لدار القطن وکانت محلة کبیرة ببغداد و هو امام عصره و حافظ دهره صاحب السنن

(۱) ای کتابة وله نظائر منها عبدالله بن عمرو ابن ام مکتوم و عبدالله بن أبی ابن سلول و عبدالله بن مالک ابن بحینة و محمد بن علی ابن الحنفیة و اسماعیل بن ابراهیم ابن علیة و اسحاق بن ابراهیم ابن راهویه کذا قال النووی رحمه الله فی شرح المسلم ج ۱ ص ۶۸ باب تحریم قتل الکافر بعد قوله لا اله الا الله "ف" (مرقاة ج ۱)

و أبي بكر أحمد بن حسين البيهقي و أبي الحسن رزين بن معاوية العبدري و غير هم و قليل ما هو

و العلل و غيرهما انتهى اليه علم الاثر و المعرفة بعلل الحديث و أسماء الرجال و أحوال الرواة مع الصدق و الامانة و الثقة و العدالة و صحة الاعتقاد و التضلع بعلوم شتى كالقراءة و له فيها كتاب لم يسبق الى مثله أخذ عنه الائمة كأبي نعيم و الحاكم أبي عبدالله النيسابوري و البرقاني و الشيخ أبي حامد الاسفرايني و القاضي أبي الطيب الطبري و الجوهري و غيرهم ولد سنة خمس و ثلثمائة ومات ببغداد سنة خمس و ثمانين و ثلثمائة (و أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي) نسبة لبيهق على وزن صيقل بلد قرب نيسابور و هو الامام الجليل الحافظ الفقيه الاصولي الزاهد الورع و هو أكبر أصحاب الحاكم أبي عبدالله وقد أخذ عن ابن فورك و أبي عبدالرحمن السلمي روى انه اجتمع جمع كثير من العلماء في مجلس الحاكم أبي عبدالله و قد ترك الحاكم راويا من اسناد حديث فنبه عليه البيهقي فتغير الحاكم فقال البيهقي لابد من الرجوع الى الاصل فحضر الاصل فكان كما قال البيهقي رحل الى الحجاز و العراق ثم اشتغل بالتصنيف بعد أن صار واحد زمانه و فارس ميدانه و ألف كتابه السنن الكبير و كتاب المبسوط في نصوص الشافعي و كتاب معرفة السنن والآثار و قيل وصل تصانيفه الى ألف جزء و من تصانيفه دلائل النبوة وكتاب البعث و النشور و كتاب الآداب و كتاب فضائل الصحابة و فضائل الاوقات و كتاب شعب الايمان و كتاب الخلافيات و كان له غاية الانصاف في المناظرة و المباحثة و كان على سيرة العلماء قانعا من الدنيا باليسير متجملا في زهده و ورعه صائم الدهر قبل موته بثلاثين سنة قال امام الحرمين ما من شافعي الا وللشافعي في عنقه منة الا البيهقي فانه له على الشافعي منة لتصانيفه في نصرة مذهبه و أقاويله توفي بنيسابور سنة ثمان و خمسين و أربعمائة و حمل تابوته الى قرية من ناحية بيهق و له من العمر أربع و سبعون سنة قيل مولده سنة أربع و ثمانين و ثلاثمائة (و أبي الحسن رزين) بفتح الراء و كسر الزاى (بن معاوية العبدري) بفتح العين المهملة و سكون الموحدة و فتح الدال المهملة و بالراء المخففة منسوب الى عبدالدار بن قصي بطن من قريش و هو الحافظ الجليل صاحب كتاب التجريد في الجمع بين الصحاح مات بعد العشرين و خمسمائة (و غير هم) بالجر عطفا على أبي عبدالله و قيل بالرفع عطفا على مثل (و قليل ما) ما زائدة ابهامية تزيد الشيوع و المبالغة في القلة (هو) أي غير هم و الافراد للفظ غيرهم و هو مبتدأ خبره قليل و نظيره الا الذين آمنوا و عملوا الصالحات و قليل ما هم فلما انتهى الكلام على آخر الرجال المذكورين والائمة المشهورين سنح بالخاطر الفاتر ماذكره السادات الصوفية أرباب الهداية ان النهاية هي الرجوع الى البداية فأنتج ان أختم ذكر هم بمناقب الامام الاعظم و الهمام الاقدم ليكون كمسك الختام وقد ذكره المؤلف أيضا في أسماء رجاله راجيا حصول بركة كماله لكن بعد ذكر الامام مالك و أورد اعتذارا عن ذلك بقوله و قد بدأنا بذكره لانه المقدم زمانا و قدرا و معرفة و علما قلت كل ذلك بالنسبة الى امامنا غير صحيح أما تقدم زمان أبي حنيفة عليه فصريح اذ ولد مالك سنة خمس و تسعين و ولد أبو حنيفة سنة ثمانين و أما تقدم قدره على أبي حنيفة فمردود لانه من اتباع التابعين و امامنا من التابعين كما ذكره السيوطي وغيره وقد ورد في الحديث النبوي خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وأما معرفته فمعروفة لانها عمت الخلق شرقا و غربا سيما في بلاد ما وراء النهر و ولاية الهند و الروم فانهم لايعرفون اماما غيره ولايعلمون مذهبا سوى مذهبه و بالجملة فاتباعه أكثر من اتباع

جميع الائمة من علماء الامة كما أن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من أتباع سائر الانبياء و قدورد أنهم ثلثا أهل الجنة و الحنفية أيضا تجئى ثلثي المؤمنين والله أعلم و أما علمه فيكفي ما قال الشافعي في حقه الخلق كلهم عيال أبي حنيفة في الفقه والعذر في كثرة اشتغاله بالامور الفقهية من المسائل الفرعية و الدلائل الاصولية أنه رأى أنه الاهم و احتياج الناس اليه أتم و هو في الحقيقة اشتغال بالمعنى المعبر عنه بالدراية و هو مفضل على التعلق بالمبنى الذى يقال له الرواية و بهذا فاق على أقرانه من المحدثين و غير هم وقد سأله الاوزاعي عن مسائل و أراد البحث معه بوسائل فأجاب على وجه الصواب فقال له الاوزاعي من أين هذا الجواب فقال من الاحاديث التي رويتموها ومن الاخبار والآثار التي نقلتموها و بين له وجه دلالاتها وطريق استنباطاتها فانصف الاوزاعي ولم يتعسف فقال نحن العطارون وأنتم الاطباء أى العارفون بالداء والدواء وأيضا كان عنده أن نقل الحديث الشريف لايجوز الاباللفظ دون المعنى فبهذا الاعتبار يقل التحديث بالمبنى مع أن له مسانيد متعددة وأسانيد معتمدة يعرفها أهل الخبرة و يحكمون عليه بأنه من أهل النصرة ثم يدل على علو سنده أنه روى الشافعي في مسنده عن محمد بن الحسن عن أبي يوسف عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الولاء لحمة كلحمة النسب لايباع و لايوهب كذا ذكره الشمنى شارح النقاية في فصل الولاء و ذكر الامام النووي في تهذيب الاسماء نقلا عن الخطيب البغدادى أن الامام الشافعي روى عن محمد بن الحسن و قال الفاضل تلميذ الامام ابن الهمام في شرح التحرير ذكر أصحاب الشافعي و غير هم أنه قال الشافعي حملت عن محمد بن الحسن و قرى بختي كتبا و قال أبو اسحق في الطبقات روى الربيع قال كتب الشافعي الى محمد بن الحسن و قد طلب منه كتبا ينسخها فأخرها عنه

قل للذى لم ترعينا من رآه مثله * و من كان من رآه قد رأى من قبله
العلم ينهى أهله أن يمنعوه أهله * لعلــه يبذلــه لاهلــه لعلــه

و في الحقائق شرح المنظومة قال الشافعي الحمدلله الذى أعانني على الفقه بمحمد بن الحسن . انتهى محمد له الرواية عن أبي حنيفة و مالک كما يدل عليه موطأ الامام محمد ولما ذكر شيخنا العالم العلامة و البحر الفهامة شيخ الاسلام و مفتي الانام صاحب التصانيف الكثيرة والتآليف الشهيرة مولانا وسيدنا و سندنا الشيخ شهاب الدين بن حجر المكي مناقب الامام مالک و أحمد بن حنبل و الشافعي في شرح المشكاة قال تعين علينا اذ ذكرنا تراجم هؤلاء الائمة الثلاثة أن نختم برابعهم المقدم عليهم تبركابه لعلو مرتبته و وفور علمه و ورعه وزهده و تجليته بالعلوم الباطنة فضلا عن الظاهرة بمافاق فيه أهل عصره و فاز بحسن الثناء عليه و اذاعة ذكره وهو الامام الاعظم فقيه أهل العراق و من أكابر التابعين أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى بضم الزاى و فتح الطاء ابن ماه مولى تيم الله بن ثعلبة الكوفي وروى الخطيب باسناده عن حفيده عمر بن حماد بن أبي حنيفة أن ثابتا ولد على السلام و زوطى كان مملوكا لبني تيم فاعتقوه فصار ولاؤه لهم و أنكر اسمعيل اخو عمر المذكور حفيده أيضا ابن حماد بن أبي حنيفة ذلک و قال ان والد ثابت من أبناء فارس وأنهم أحرار و الله ما وقع علينا رق قط ولد جدى سنة ثمانين و ذهب بثابت أبيه الى على بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه و هو صغير فدعاله بالبركة فيه و في ذريته و نحن نرجو من الله أن يكون ذلک قد استجيب من على فينا اه و هو كما رجا فقد بارک الله في أبي حنيفة بركة لانهاية لاقصاها و لا غاية لمنتهاها و بارک في اتباعه فكثروا في سائر الاقطار و ظهر عليهم من بركة صدقه و اخلاصه ما اشتهر به

فى سائرالامصار أخذ الفقه عن حماد بن أبى سليمان و أدرك أربعة من الصحابة بل ثمانية منهم أنس و عبدالله بن أبى أوفى و سهل بن سعد و أبوالطفيل قيل و لم يلق أحدا منهم قلت لكن من حفظ حجة على من لم يحفظ و المثبت مقدم على النافى و سمع من عطاء و أهل طبقته روى عنه عبدالله ابن المبارك و وكيع بن الجراح و خلائق لايحصون و هو من أهل الكوفة و كان يزيد بن هبيرة واليا على العراق لبنى أمية فكلمه فى أن يلى له قضاء الكوفة فابى عليه فضربه مائة سوط فى كل يوم عشرة أسواط و هو مصمم على الامتناع فلما رأى ذلك منه خلى سبيله و كان الامام أحمد اذا ذكر ضربه على القضاء و إمتناعه منه بكى و ترحم عليه قلت و كأنه اقتدى به فى تحمل ضربه فى مسئلة خلق القرآن و استدعاه المنصور أبو جعفر أميرالمؤمنين من الكوفة الى بغداد ليوليه القضاء فابى فحلف عليه ليفعلن فحلف أبو حنيفة أنه لا يفعل و تكرر هذا منهما فقال الربيع الحاجب ألاترى أميرالمؤمنين يحلف قال أبو حنيفة أميرالمؤمنين على كفارة أيمانه أقدر منى على كفارة ايمانى فأمر به الى السجن فى الوقت و فى رواية دعاه أبو جعفر الى القضاء فابى فحبسه ثم دعابه فقال أترغب عما نحن فيه فقال أصلح الله أميرالمؤمنين لا أصلح للقضاء فقال له كذبت ثم عرض عليه فقال أبو حنيفة قد حكم على أميرالمؤمنين انى لا أصلح للقضاء لانه نسبنى الى الكذب فان كنت كا ذبا فلا أصلح و ان كنت صادقا فقد أخبرت انى لا أصلح فرده الى السجن فقال الربيع بن يونس رأيت المنصور يحاوله فى أمر القضاء و هو يقول اتق الله و لا تشرك فى أمانتك إلا من يخاف الله والله ما أنا مأمون الرضا فكيف أكون مأمون الغضب فلا أصلح لذلك فقال له كذبت أنت تصلح فقال قد حكمت على نفسك كيف يحل لك أن تولى قاضيا على أمانتك و هو كذاب و ذكر أبو حنيفة عند ابن المبارك فقال أتذكرون رجلا عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ففر منها و كان حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح يعرف بريح الطيب اذا أقبل كثيرالكرم حسن المواساة لاخوانه ربعة أحسن الناس منطقا و أحلاهم نغمة قال قدمت البصرة فظننت أنى لا أسأل عن شئ الا أجبت عنه فسألونى عن أشياء لم يكن عندى فيها جواب فجعلت على نفسى أن لا أفارق حمادا حتى يموت فصحبته ثمانى عشرة سنة ثم ما صليت صلاة منذ مات الا استغفرت له قبل أبوى أو قال مع والدى وانى لاستغفر لمن تعلمت منه علما أو تعلم منى علما قال دخلت على المنصور فقال عمن أخذت العلم فقلت عن حماد عن ابراهيم النخعى عن عمر وعلى و ابن مسعود و ابن عباس فقال المنصور بخ بخ استوثقت يا أبا حنيفة و رأى أبو حنيفة فى النوم كأنه نبش قبر النبى صلى الله عليه وسلم فبعث من سأل محمد بن سيرين فقال من صاحب هذه الرؤيا ولم يجب عنها ثم سأله الثانية فقال مثل ذلك ثم سأله الثالثة فقال صاحب هذه الرؤيا يبرز علما لم يسبقه أحد اليه ممن قبله و قال ابن المبارك كان أبو حنيفة آية فقيل له فى الخير أم فى الشر قال اسكت يا هذا فانه يقال انه آية فى الخير وغاية فى الشر ثم تلا و جعلنا ابن مريم و أمه آية و قال كان يو ما فى الجامع فوقعت حية فسقطت فى حجره فهرب الناس و هو لم يزد على لفضها و جلس مكانه و كان خزازا يبيع الخز ودكانه معروف فى دار عمرو بن حريث و مات أخو سفيان الثورى فاجتمع اليه الناس لعزائه فجاء أبو حنيفة فقام اليه سفيان و أكرمه و أقعده فى مكانه و قعد بين يديه و لما تفرق الناس قال أصحاب سفيان رأيناك فعلت شيأ عجيبا قال هذا رجل من العلم بمكان فان لم أقم لعلمه قمت لسنه و ان لم أقم لسنه قمت لفقهه وان لم أقم لفقهه قمت لورعه و قال النضر بن شميل كان الناس نياما عن الفقه حتى أيقظهم أبو حنيفة بما فتقه و بينه و قال الشافعى الناس عيال أبى حنيفة فى الفقه و فى رواية من أراد أن يتبحر فى الفقه فليلزم أبا حنيفة و أصحابه و قال جعفر بن الربيع أقمت على أبى حنيفة خمس سنين فما رأيت أطول

صمتامنه فاذا سئل عن شئ من الفقه سال كالوادى و قال ابن عيينة ما قدم مكة فى وقتنا رجل أكثر صلاة منه و قال يحيى بن أيوب الزاهد كان أبو حنيفة لا ينام فى الليل و قال أبو عاصم كان يسمى الوتد لكثرة صلاته و قال زفر كان يحيى الليل كله بركعة يقرأ فيها القرآن و قال أسد بن عمرو صلى أبو حنيفة صلاة الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة وكان عامة الليل يقرأ القرآن فى ركعة وكان يسمع بكاؤه حتى يرحم عليه جيرانه و حفظ عليه أنه ختم القرآن فى الموضع الذى توفى فيه سبعة آلاف ختمة و لما غسله الحسين بن عمارة قال له غفرالله لك لم تفطر منذ ثلاثين سنة و لم تتوسد يمينك فى الليل منذ أربعين سنة و لقد اتعبت من بعدك و قال ابن المبارك اله صلى الخمس بوضوء واحد خمسا و أربعين سنة وكان يجمع القرآن فى ركعتين و قال زائدة صليت معه فى مسجده العشاء و خرج الناس ولم يعلم انى فى المسجد فاردت أن أسأله مسئلة فقام وافتتح الصلاة فقرأ حتى بلغ هذه الآية فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم فلم يزل يردد ها حتى أذن المؤذن للصبح وأنا أنتظره و قال القاسم ابن معن قام أبو حنيفة ليلة بهذه الآية بل الساعة موعدهم و الساعة أدهى و أمر يرددها و يبكى و يتضرع و قال وكيع كان أبوحنيفة قد جعل على نفسه أن لا يحلف بالله فى عرض كلامه الا تصدق بدرهم فحلف فتصدق به ثم جعل ان حلف أن يتصدق بدينار فكان اذا حلف صادقا فى عرض كلامه تصدق بدينار وكان اذا أنفق على عياله نفقة تصدق بمثلها وكان اذا اكتسى ثوبا جديدا كسى بقدرثمنه الشيوخ من العلماء وكان اذا وضع بين يديه الطعام أخذ منه ضعف ما يأكله فيجعله على الخبز ثم يعطيه الفقيرو وهب لمعلم ابنه حماد خمسمائة درهم لما ختم وجاءته امرأة تشترى منه ثوب خز فأخرج لها ثوبا فقالت انها ضعيفة و انها أمانة فبعنيه بما يقوم عليك فقال خذيه باربعة دراهم فقالت لاتسخر بى وأنا عجوز كبيرة فقال انى اشتريت ثوبين فبعت أحدهما برأس المال الا أربعة دراهم فبقى هذا بأربعة دراهم و قال ابن المبارك للثورى ما ابعد أبا حنيفة عن الغيبة ما سمعته يغتاب عدوا له قط قال والله انه أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهب بها و قال اسمعيل حفيده كان عندنا رافضى له بغلان سمى أحد هما أبا بكر والآخر عمر فرمحه أحد هما فقتله فقيل لجدى فقال ما قتله الاالمسمى بعمر فكان كذلك قلت لانه مظهر الجلال و أبوبكر مظهر الجمال وكان بعض جماعة المنصور يبغضه فلما رآه عندالمنصور قال اليوم أقتله ثم قال له ان أميرالمؤمنين يأمرنا بضرب عنق الرجل ماندرى ما هو فهل لنا قتله قال أميرالمؤمنين يأمر بالحق أو بالباطل قال بالحق قال الزم الحق حيث قال ولا تسأل عنه ثم قال لمن قرب منه ان هذا أراد أن يوبقنى فربطته ولد سنة ثمانين من الهجرة و توفى ببغداد و قيل فى السجن على أن يلى القضاء سنة خمسين على المشهور أواحدى أو ثلاث و خمسين و مائة فى رجب ببغداد و قبره بها يزار ويتبرك به و من ورعه أنه أراد شراء أمة يتسرى بها فاستمر عشرين سنة يفتش السبايا و يسأل عنهن حتى اطمأنت نفسه بشراء واحدة و من كراماته أن أبا يوسف هرب صغيرا اليه من أمه ليتمه و فقره فجاءت أمه للامام وقالت له أنت الذى أفسدت ولدى فأعطاه لها ثم هرب اليه و تكرر منه ذلك فقال له الامام و هو على تلك الحالة الضيقة كيف بك و أنت تأكل الفالوذج فى صحن الفيروزج فلما توفى و وصل أبو يوسف عندالرشيد ما وصل دعاه الرشيد يوما و أخرج له فالوذجا كذلك فضحك أبو يوسف فعجب منه الرشيد فسأله فقال رحم الله أبا حنيفة و قص عليه القصة اھ كلام الشيخ ابن حجر ملخصا واكتفينا بكلامه فانه على المخالفين حجة و فيما نقله للموافقين كفاية لان المطنب فى نعته مقصر و المسهب فى منقبته مختصر و قد حكى أن الشافعى سمع رجلا يقع فى أبى حنيفة فدعاه و قال يا هذا اتقع فى رجل سلم له جميع الناس ثلاثة أرباع الفقه و هو لا يسلم لهم

وانى اذا نسبت الحديث اليهم كأنى أسندت الى النبى صلى الله عليه وسلم لانهم قد فرغوا منه وأغنونا عنه

الربع قال و كيف ذلك قال الفقه سؤال و جواب و هو الذى تفرد بوضع الاسئلة فسلم له نصف العلم ثم أجاب عن الكل و خصومه لا يقولون انه أخطأ فى الكل فاذا جعل ما وافقوا فيه مقابلا بما خالفوا فيه سلم له ثلاثة أرباع العلم و بقى الربع مشتركا بين الناس و مما ذكره ابن حجر فى مناقبه المسمى بالخيرات الحسان ان الشافعى قال قلت لمالك رأيت أبا حنيفة فقال رأيته رجلا لو كلمك فى السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته ولما دخل الشافعى بغداد زار قبره وصلى عنده ركعتين فلم يرفع يديه فى التكبير و فى رواية أن الركعتين كانتا الصبح و انه لم يقنت فقيل له فى ذلك فقال أدبنا مع هذا الامام أكثر من أن نظهر خلافه بحضرته قال ابن حجر و تلمذ له كبار من الائمة المجتهدين و العلماء الراسخين عبدالله ابن المبارك و الليث بن سعد و الامام مالك بن أنس اه و منهم داود الطائى و ابراهيم بن أدهم و فضيل بن عياض و غير هم من أكابر السادة الصوفية رضى الله عنهم أجمعين و ما استظل بحائط المديون حين أتاه متقاضيا و تصدق بجميع مال أتى به وكيله اليه لما خلط ثمن ثوب معيب بيع مخفيا قيل و كان المال ثلاثين ألفا و ترك لحم الغنم لما فقدت شاة فى الكوفة سبع سنين لما قيل الها أكثر ما تعيش فيه ثم اعلم أن المؤلف لما قال فيما قدمه فاغامت ما أغفله استشعر اعتراضا بان الاعلام الحقيقى انما هو بايراد الاسناد الكلى ليترتب عليه معرفة رجاله التى يتوقف عليها الحكم بصحة الحديث و حسنه و ضعفه و سائر أحواله فاعتذر عن الاشكال فقال (و انى اذا نسبت الحديث) أى كل حديث (اليهم) أى الى بعض الائمة المذكورين المعروفة كتبهم باسانيد هم بين العلماء المشهورين (كانى أسندت) أى الحديث برجاله (الى النبى صلى الله عليه وسلم) أى فيما اذا كان الحديث مرفوعا و هو الغالب و الى أصحابه اذا كان موقوفا و هو المرفوع حكما (لانهم) أى الائمة (قد فرغوا منه) أى من الاسناد الكامل بذكر هم قال ابن حجر أى من الاسناد المفهوم من أسندت على حد وان تعفوا أقرب للتقوى اه ولايخفى أن قوله و ان تعفوا بتاويل المصدر مبتدأ خبره أقرب للتقوى و التقدير و عفوكم أقرب للتقوى نحو و أن تصوموا خيرلكم فالصواب أنه على حد اعدلوا هو أقرب للتقوى ثم فى أصله على حد وأن تعفوا هو أقرب وهو اما سهو من الكتاب أو وهم من مصنف الكتاب و الله أعلم بالصواب (وأغنونا) بهمزة قطع أى و جعلونا فى غنى و كفاية (عنه) أى عن تحقيق الاسناد من وصله و قطعه و وقفه و رفعه و ضعفه و حسنه و صحته و وضعه و من ثم لزم الاخذ بنص أحد هم على صحة السند أو الحديث أو على حسنه أوضعفه أو وضعه فعلم من كلام المصنف أنه يجوز نقل الحديث من الكتب المؤلفة المعتمدة التى اشتهرت أو صحت نسبتها لمؤلفيها كالكتب الستة و غير ها من الكتب المؤلفة و سواء فى جواز نقله مما ذكر أكان نقله للعمل بمضمونه ولو فى الاحكام أو للاحتجاج و لا يشترط تعدد الاصل المنقول منه و ما اقتضاه كلام ابن الصلاح من اشتراطه حملوه على الاستحباب و الاستظهار و لكن يشترط فى ذلك الاصل أن يكون قد قوبل على أصل معتمد مقابلة صحيحة لانه حينئذ يحصل به الثقة التى مدار الاعتماد عليها صحة و احتجاجا نعم نسخ الترمذى مختلفة كثيرا فى الحكم على الحديث بل و سنن أبى داود أيضا فلابد من المقابلة على أصول معتمدة منهما و علم من كلام المصنف أيضا أنه لا يشترط فى النقل من الكتب المعتمدة للعمل و الاحتجاج أن يكون له به رواية الى مؤلفيها و من ثم قال ابن برهان ذهب الفقهاء كافة الى أنه لايتوقف العمل بالحديث على سماعه بل اذا صحت عنده النسخة من السنن جازله العمل بها وان لم يسمع و شذ بعض المالكية

و سردت الكتب و الابواب كما سردها و اقتفيت أثره فيها و قسمت كل باب غالبا على فصول ثلاثة أولها ما أخرجه الشيخان أو أحدهما و اكتفيت بهما و ان اشترك فيه الغير لعلو درجتهما فى الرواية

فقال اتفق العلماء على انه لايصح لمسلم أن يقول قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم كذا حتى يكون عنده ذلك القول مرويا ولو على أقل وجوه الروايات لقوله عليه الصلاة والسلام من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار و فى رواية بحذف متعمدا و تبعه الحافظ الزين‌العراقى فانه بعد أن قرر أنه يقبح للطالب أن لايحفظ باسناده عدة أحاديث يتخلص بها عن كذا و عن كذا قال و يتخلص به من الجرح بنقل ما ليست له به رواية فانه غير سائغ باجماع أهل الدراية و انتصر جماعة للاول و قد يجمع بين الاجماعين المتعارضين بحمل الاول على ما اذا نظر فى الاصل المعتمد و أخذ منه الحديث للعمل أو الاحتجاج و الثانى على ما اذا حدث باحاديثها موهما نسبتها اليه قراءة و اسنادا فهذا لايجوز لما فيه من مزيدالتغرير و بهذا اندفع ما أورد على الثانى من انه يلزم عليه منع ايراد ما فى الصحيحين أو أحد هما لمن لا رواية له به و جواز نقل ما له به رواية و ان كان ضعيفا (و سردت الكتب و الابواب) أى أوردتها و وضعتها متتابعة متوالية (كما سردها) أى رتبها و عينها الامام البغوى فى المصابيح (واقتفيت) أى اتبعت (اثره) بفتحتين و قيل بكسر الهمزة و سكون المثلثة أى طريقه (فيها) أى الكتب و الابواب من غير تقديم و تأخير و زيادة عنوان و تغيير فان ترتيبه على وجه الكمال و تبويبه فى غاية من الحسن و الجمال و يحتمل أن يكون تأكيدا لكمال المتابعة و تبرئة عما قد يرد على ايراده بعض الكتب و الابواب من وجوه المناسبة (و قسمت) بالتخفيف (كل باب) و كذا كل كتاب أى جعلته مقسوما (غالبا) أى فى غالب الحال (على فصول ثلاثة) و قيد الغالبية بمعنى الاكثرية لانه قد لايوجد الفصل الثانى أو الثالث أو كلاهما فى بعض الابواب من الكتاب (أولها) أى أول الفصول فى هذا الكتاب بدل قول البغوى فى المصابيح من‌الصحاح (ما أخرجه) أى أورده أو أخرجه من بين‌الاحاديث (الشيخان) أى بزعم صاحب المصابيح لما سيأتى من قوله و ان عثرت على اختلاف الفصلين أو المراد فى الغالب والنادر كالمعدوم (أو أحد هما) أى أحد الشيخين بزعمه أيضا و هما البخارى و مسلم فى اصطلاح المحدثين و أبو يوسف و محمد عند فقهاء الحنفية و الرافعى والنووى عندالشافعية (و اكتفيت) و فى نسخة و اكتفى و هو يحتمل المعلوم التفاتا و المجهول من‌الماضى و المضارع المتكلم المعروف و هو الاظهر (بهما) أى بذكرهما فى التخريج (و ان اشترك) و صلية لا تطلب جزاء و لا جوابا (فيه) أى فى تخريجه (الغير) أى غير هما من المحدثين و المخرجين كبقية الكتب الستة و نحو ها (لعلو درجتهما) أى على سائر المخرجين مع‌الفرق بينهما (فى الرواية) متعلق بالعلو أى فى شرائط اسناد ها و التزام صحتها ما لم يلتزمه غير هما من المحدثين و ان كان غيرهما أعلى مرتبة منهما فى علو الاسناد فان البخارى أخذ عن أحمد بن حنبل و هو أخذ عن الشافعى و هو عن مالك ولذا قال بشر الحافى ان من زينةالدنيا أن يقول الرجل حدثنا مالك كذا و هذا يحتمل أن يكون مدحاللاسناد بمقتضى العلم الظاهر و يحتمل ذما بناء على التصوف الذى مبناه على علم الباطن كما قال بعضهم حدثنا باب من ابواب الدنيا و لكنه محمول على ما اذا كان قصده السمعة و غرضه الرياء ثم اعلم أن الائمة قد اختلفوا فى شرطهما الذى التزماه فانه لم يصرح واحد منهما به فى كتابه و الاظهر ما قاله أبو عبدالله الحاكم و صاحبه البيهقى ان شرطهما أن يكون للصحابى المشهور بالرواية عن النبى صلى الله عليه وسلم راويان فاكثر ثم

و ثانيها ما أورده غير هما من الائمة المذكورين و ثالثها ما اشتمل على معنى الباب من ملحقات مناسبة مع محافظة على الشريطة و ان كان مأثورا عن السلف و الخلف

يكون للتابعى المشهور راويان ثقتان ثم يرويه عنه من أتباع التابعين الحافظ المتقن المشهور وله رواة ثقات من الطبقة الرابعة ثم يكون شيخ البخارى أو مسلم حافظا متقنا مشهورا بالعدالة فى روايته وله رواة ثم يتداوله أهل الحديث بالقبول الى وقتنا هذا كالشهادة على الشهادة و قال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر العسقلانى و هو و ان انتقض فى بعض الصحابة الذين أخرجا لهم فهو معتبر فيمن بعد هم فليس فى كتابيهما حديث أصلا من رواية من ليس له الا راو واحد فقط اه قيل و الحاكم موافق على استثناء الصحابة فكانه رجع عن الاول ثم المراد بقوله فى مستدركه على شرطهما أو شرط أحد هما عندالنووى و ابن دقيق العيد و الذهبى كابن الصلاح أن يكون رجال ذلك الاسناد باعيانهم فى كتابيهما أو كتاب أحد هما والا قال صحيح فحسب و مخالفته لذلك فى بعض المواضع تحمل على الذهول هذا و قال السيد جمال الدين لو لم يكتف المصنف بهما و ذكر فى كل حديث غير هما ممن رواه كان أولى و أنسب و أحرى و أصوب لان الحديث و ان كان فى أصل الصحة لايحتاج الى غير هما لكن فى الترجيح لا يستغنى عن ذكر غير هما لان الحديث الذى رواه الستة مثلا لاشك فى ترجيحه على الذى رواه الشيخان أو أحد هما و لم يخرجه غير هما (و ثانيها) أى ثانى الفصول و هو المعبر عنه فى المصابيح بقوله من الحسان (ما أورده غير هما من الائمة المذكورين) و هم أبو داود و الترمذى و النسائى و الدارمى و ابن ماجه فان أحاديث المصابيح لا تتجاوز عن كتب الائمة السبعة و أكثرها صحاح (و ثالثها) و هو المعبر عنه بالفصل الثالث (ما اشتمل على معنى الباب) أى على معنى عقد له الباب و لم يذكره البغوى فى الكتاب (من ملحقات) بفتح الحاء و من بيانية لما اشتمل (مناسبة) بكسر السين أى مشاكلة و هى صفة ملحقات و المراد بها زيادات ألحقها صاحب المشكاة على وجه المناسبة بكل كتاب و باب غالبا لزيادة الفائدة و عموم العائدة (مع محافظة على الشريطة) أى من اضافة الحديث الى الراوى من الصحابة و التابعين و نسبته الى مخرجه من الائمة المذكورين و لما كان صاحب المصابيح ملتزما للاحاديث المرفوعة فى كتابه فى الفصلين و لم يلتزم المصنف ذلك نبه عليه بقوله (و ان كان) أى المشتمل (مأثورا) أى منقولا و مرويا (عن السلف) أى المتقدمين و هم الصحابة (و الخلف) أى المتأخرين و هم التابعون و اعلم أن تقديم السلف على الخلف ثابت فى جميع النسخ المصححة و كأنه وقع فى أصل ابن حجر سهو من تقديم الخلف على السلف و اعتمد عليه و لتوجيهه تكلف و قال الخلف هم من بعد القرون الثلاثة الاول التى أشار صلى الله عليه وسلم اليها بقوله خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم و قدمهم مع أن رتبتهم التأخير كما صرح به هذا الحديث لان تقديمهم أنسب بالغاية المذكورة لانه اذا أتى بالمأثور عنهم فما عن السلف أولى اه و لا يخفى ان هذا لا يصلح أن يكون سببا لتقديم الخلف على السلف نعم لو اقتصر على ذكر الخلف و نقل فى كتابه عن السلف لكان يوجه بهذا التوجيه ثم قال و السلف و هم أهل القرون الثلاثة الذين هم خير الامة بشهادة نبيهم صلى الله عليه وسلم و زعم ابن عبدالبر انه قد يكون فى الخلف من هو أفضل من الصحابة مما تفرد به و الاحاديث التى استدل بها ضعيفة أو محمولة على ان لهم مزية من حيث قوة الايمان بالغيب والصبر على مر الحق فى زمن الجور الصرف و المفضول قد توجد فيه مزية بل مزايا لا توجد فى الفاضل و من ثمة قيل لابن المبارك أيما أفضل معاوية أو عمر بن عبدالعزيز فقال الغبار الذى دخل فى أنف

ثم انک ان فقدت حدیثا فی باب فذلک عن تکریر أسقطه و ان وجدت آخر بعضه متروکا علی اختصاره
أو مضموما الیه تمامه فمن داعی اهتمام أترکه و ألحقه و ان عثرت علی اختلاف فی الفصلین

فرس معاویة مع النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم خیر من مثل عمر بن عبدالعزیز کذا و کذا مرة اه و لا یخفی أن ابن عبدالبر ما أراد الا هذا المعنی بهذه الحیثیة بعینها و هی ان الخلف قد یوجد فیهم الکمالات العلمیة و الریاضات العملیة و الحقائق الانسیة و الدقائق القدسیة و حالات من الکرامات و خوارق العادات بحیث انهم یکونون أفضل من بعض السلف ممن لیس له ذلک کاعرابی رأی النبی صلی‌الله‌علیه وسلم من بعد فانه لا یقال فی حقه انه من جمیع الوجوه أفضل من جمیع الخلف من الائمة المجتهدین و المشایخ المعتبرین و أما فضیلة نسبة الصحبة فلا ینکر مؤمن شرفها فانه بمنزلة الاکسیر فی عظم التأثیر ثم تفسیر السلف و الخلف علی ماشرحه و ان کان صحیحا فی نفس الامر و لکن لا یلائم کلام المصنف فانه ما یروی فی کتابه الا عن الصحابة و التابعین و یدل علیه أسماء رجاله المحصورین فی ذکر الصحابة و التابعین فاذا فسر السلف بهم فلا یبقی لذکر الخلف معنی و هذا خلف (ثم) أی بعد ما ذکرت لک انی التزمت متابعة صاحب المصابیح فی کل باب (انک) أی أیها الناظر فی کتابی هذا (ان فقدت) أی من محله (حدیثا) أی من أصله الذی هو المصابیح (فی باب) مثلا أو فی کتاب أیضا و المعنی ما وجدته بالکلیة لئلا یشکل بنقله من باب الی باب کما فعله فی مواضع من الکتاب (فذلک) أی الفقد و عدم الوجد لیس صادرا عن طعن أو سهو بل صدر (عن تکریر) أی عن وقوع تکرار وقع فی المصابیح (أسقطه) أی أحذف ذلک الحدیث لتکریره و أذکره فی موضع آخر بعینه من غیر تغییره اذ لاداعی الی اتیانه بعد ظهوره و بیانه (وان وجدت آخر) أی صادفت حدیثا آخر (بعضه) بالنصب بدل بعض من کل أی حال کونه (متروکا) أی بعضه حال کونه جاریا أو بناء (علی اختصاره) یعنی اختصار محیی السنة و یؤیده قوله فیما بعد أترکه و ألحقه و یحتمل عود الضمیر الی الحدیث و یؤیده قوله (أو مضموما الیه تمامه) کذا ذکره شیخ مشایخنا میرکشاه و اقتصر الطیبی علی الاول و تبعه ابن حجر و الاظهر الثانی کما أفاده السید جمال الدین بأنه حینئذ یکون الکلام علی نسق واحد و أما علی الاول فیحصل تفکیک الضمیر و هو غیر ملائم ثم المعنی أو وجدت حدیثا آخر مضموما الیه تمامه الذی أسقطه البغوی أو أتی به فی محل آخر (فمن داعی اهتمام) الفاء جزائیة أی فذلک الترک و الضم لم یقع اتفاقا و انما صدر و نشأ عن موجب اهتمام و قیل عن بمعنی اللام أی فهو لاجل باعث اهتمام اقتضی انی (أترکه) أی علی اختصاره فی الاول (و ألحقه) الواو بمعنی أو کما فی نسخة أی و ألحقه فی الثانی لفوات الداعی و السبب الی اختصاره فهو نشر مرتب قال الفاضل الطیبی و ذلک بان تلک الروایة کانت مختصرة عن حدیث طویل جدا فأترکه اختصارا أو کان حدیثا یشتمل علی معان جمة یقتضی کل باب معنی من معانیه و أورد الشیخ کلا فی بابه فاقتفینا اثره فی الایراد و ما لم یکن علی هذین الوضعین أتممناه غالبا اه قال السید جمال الدین کذا قرره الشارح و حرره و أسند الاختصار و الاتمام بصیغة المتکلم مع الغیر من غیر أن ینقل هذا الکلام من المؤلف و هذا الامر من الشارح یحتمل أن یحمل علی سماعه من المصنف و یحتمل أن یکون مراد الشارح أن هذا مقصود الماتن و الله أعلم (و ان عثرت) بتثلیث المثلثة و الفتح أولی أی اطلعت أیها الناظر فی کتابی هذا (علی اختلاف) أی بینی و بین صاحب المصابیح (فی الفصلین) أی الاولین و بیان

من ذكر غير الشيخين فى الاول و ذكرهما فى الثانى فاعلم انى بعد تتبعى كتابى الجمع بين الصحيحين للحميدى و جامع الاصول اعتمدت على صحيحى الشيخين و متنيهما و ان رأيت اختلافا فى نفس الحديث فذلك من تشعب طرق الاحاديث و لعلى ما اطلعت على تلك الرواية التى سلكها الشيخ رضى الله عنه و قليلاما تجد أقول ما وجدت هذه الرواية فى كتب الاصول أو وجدت خلافها فيها فاذا وقفت عليه فانسب القصور الى لقلة الدراية لا الى جناب الشيخ

الاختلاف قوله (من ذكر غير الشيخين) أى من المخرجين (فى الاول) أى فى الحديث المذكور فى الفصل الاول (و ذكر هما) أى أو من ذكر الشيخين (فى الثانى) أى من الفصلين بان يسند بعض الاحاديث فيه اليهما أو الى أحدهما (فاعلم) جزاء الشرط أى ان اطلعت على ما ذكر فاعلم أنه ما صدر عنى سهوا أو غفلة فلا تظن هذا واعلم (انى بعد تتبعى) أى تفحصى و تجسسى (كتابى الجمع) تثنية مضاف أى كتابين أحدهما الجمع (بين الصحيحين) أى بين كتابى البخارى و مسلم المسميين بالصحيحين (للحميدى) متعلق بالجمع و هو بالتصغير نسبة لجده الاعلى حميد الحافظ أبى عبدالله محمد ابن أبى نصر الاندلسى القرطبى و هو امام عالم كبير مشهور ورد بغداد و سمع أصحاب الدارقطنى و غيرهم ومات بها سنة ثمانين و أربعمائة (و جامع الاصول) بالجر عطفا على الجمع أى و الآخر جامع الاصول أى الكتب الستة للامام مجدالدين أبى السعادات المبارك بن محمد الجزرى الشهير بابن الاثير و له أيضا مناقب الاخيار و كتاب النهاية فى غريب الحديث كان عالما محدثا لغويا و كان بالجزيرة و انتقل الى الموصل ومات بها عام ست و ستمائة (اعتمدت على صحيحى الشيخين و متنيهما) عطف بيان و انما لم يكتف بهما لانه ربما يحتمل أن يتوهم أن تتبعه و استقراءه غير تام فاذا وافق الحميدى و صاحب جامع الاصول يصير الظن قويا بصحة استقرائه للموافقة و لو اكتفى بتتبع الجمع بين الصحيحين و جامع الاصول لاحتمل وقوع القصور فى استقرائهما فبعد اتفاق الاربعة يمكن الحكم بالجزم على سهو البغوى (و ان رأيت) أى أبصرت أو عرفت أيها الناظر فى المشكاة أصلها مع أصولهما (اختلافا فى نفس الحديث) أى فى متنه لا اسناده بان يكون لفظ الحديث فى المشكاة مخالفا للفظ المصابيح (فذلك) أى الاختلاف ناشئى (من تشعب طرق الاحاديث) أى من اختلاف أسانيدها و رواتها حتى عندالمؤلف الواحد اذ كثيرا ما يقع للشيخين أو أحدهما أو لغيرهما سوق الحديث الواحد من عدة طرق بالفاظ متباينة مختلفة المعانى تارة و مؤتلفتها اخرى (و لعلى) للاشفاق أى اذا وجدتنى آثرت لفظ حديث على الذى رواه البغوى فى المصابيح لعلى (ما اطلعت) أى ما وقفت (على تلك الرواية التى سلكها الشيخ) أى اطلقها و أوردها فى مصابيحه (رضى الله عنه) اذ هو امام كبير و اطلاعه كثير فأخذتها و آتى باللفظ الذى اطلعت عليه (و قليلا ما تجد) زيادة ما لتأكيد القلة و نصب قليلا على المصدرية لقوله (أقول) أى وتجدنى أقول قولا قليلا ما أى فى غاية من القلة و المقول قوله (ما وجدت هذه الرواية) أى مثلا (فى كتب الاصول) أى أصول الحديث من الكتب المبسوطة التى هى أصول السبعة عند الشيخ أو مطلق الاصول و لا يبعد أن ينصب قليلا على الظرفية (أو وجدت) من جملة المقول و أو للتنويع (خلافها فيها) أى خلاف هذه الرواية فى الاصول (فاذا وقفت عليه) الضمير راجع الى المصدر المفهوم من قوله أقول أى اذا اطلعت على قولى بمعنى مقولى (هذا فانسب) بضم السين أى مع هذا (القصور) أى التقصير فى التتبع (الى لقلة الدراية) أى درايتى و تتبع روايتى (لا) أى لا تنسب القصور (الى جناب الشيخ) أى الى جانبه و ساحة بابه لانه كان من الائمة الحفاظ المتقنين

رفع الله قدره فى الدارين حاشالله من ذلک رحم‌الله من اذا وقف على ذلک نبهنا عليه و أرشدنا طريق الصواب و لم آل جهدا

و العلماء الكاملين الراسخين هذا ما ظهر لى من معنى الكلام فى هذا المقام و قال ابن حجر فاذا وقفت أى فاذا حذفت لفظا و أتيت بغيره حسبما اطلعت عليه و وقفت أنت عليه أى على ذلک اللفظ فى الاصول فانسب الى آخره و أنا أقول أيضا فانسب القصور الى لا الى الشيخ (رفع الله قدره) جملة دعائية (فى الدارين) أى فى الدنيا بالهام الناس الترضى والترحم عليه وفى العقبى باعطائه معالم القرب لديه (حاشا) باثبات الالف (لله) أى تنزيها له (من ذلک) أى من نسبة القصور الى الشيخ و هذا غاية من المؤلف فى تعظيمه و نهاية أدب منه فى تكريمه و هو حقيق بذلک و زيادة فان له حق الافادة و نسبة السبق قال ابن حجر حاشا حرف جر وضعت موضع التنزيه و البراءة و فى مغنى اللبيب الصحيح ان حاشا اسم مرادف للتنزيه من كذا و زعم بعضهم انه اسم فعل معناه التبرى و البراءة و قال الشيخ ابن حجر العسقلانى هو تنزيه و استثناء و قيل معناه معاذالله و قيل انه فعل قال السيد جمال الدين قيل الصحيح أنه اسم مرادف للتنزيه بدليل أنه قرئ حاش لله فى سورة يوسف بالتنوين و هو لا يدخل على الفعل و الحرف و قرئ أيضا حاش الله بالاضافة وهى من علامات الاسم و حينئذ قوله لله لبيان المنزه و المبرأ كانه قال براءة و تنزيه ثم قال لله بيانا للمبرأ والمنزه فلامه كاللام فى سقيالک فعلى هذا يقال معنى عبارة المشكاة ان الشيخ مبرأ و منزه عن قلة الدراية ثم أتى لبيان المنزه و المبرأ بقوله لله وكان الظاهر أن يقول الله بلا لام وكأنها لافادة معنى الاختصاص فكانه يقول تنزيهه مختص لله تعالى وله أن ينزهه و ليس لغيره ذلک و فيه غاية التعظيم لما هنالک و يحتمل أن يكون التقدير و أقول فى حقه التنزيه لله لالامر آخر و قيل حاشا فعل و فسر الآية بان معنا ها جانب يوسف الفاحشة لاجل الله و على هذا يرجع عبارة المشكاة بانه جانب الشيخ ذلک القصور لاجل الله لا لغرض آخر أو قولنا فى حقه حاشا انماهو لله لالامر آخر وقيل انه اسم فعل بمعنى أنزه أو تبرأت واللام علة وقيل انه حرف وهو فى هذا المقام ضعيف لان كونه حرفا بمعنى الاستثناء و هو غير مستقيم هنا ولام لله أيضا يأبى عن الحرفية لان الحرف لايدخل على الحرف و الله أعلم (رحم الله) جملة دعائية كقول عمر رضى‌الله‌عنه رحم‌الله امرأ أهدى الى بعيوب نفسى أى اللهم ارحم (من اذا وقف على ذلک) أى على ما ذكر من الرواية التى أوردها الشيخ ولم أجد ها فى الاصول (نبهنا عليه و أرشدنا) فيه تجريد و المعنى هدانا (طريق الصواب) أى اليه بنسبة الرواية و تصحيحها الى الباب و الكتاب و هو اما محمول على الحقيقة بالمشافهة حال الحياة أو على المجاز بكتابة حاشية أو شرح بعد الممات اذ التصنيف لا يغير و الا لم يوجد كتاب يعتبر (و لم آل) بمد الهمزة و ضم اللام من ألا فى الامر اذا قصر أى لم أترک (جهدا) أى سعيا و اجتهادا و هو بضم الجيم و فتحه أى المشقة و الطاقة و قيل بالضم الطاقة و بالفتح المشقة قال بعض الشراح معناه لم أمنعک جهدا وكانه حمله عليه ما وجد فى كلام العرب لا آلوک نصحا و قرر تركيب العبارة على حذف المفعول الاول و استعمل آلو بمعنى أمنع اما تجوزا و اما تضمينا و يلزم منه التقصير و الحال أن المعنى على اللزوم صحيح بان جهدا يكون تميزا أو حالا بمعنى مجتهدا أو منصوبا بنزع الخافض أى فى الاجتهاد و على تقدير ان يكون متعديا الى مفعولين يمكن أن يضمن الترک فيكون متعديا الى مفعول واحد هذا حاصل كلام السيد جمال‌الدين و قال البيضاوى فى قوله تعالى لا يألونكم خبالا أى لا يقصرون لكم فى الفساد و الالو التقصير و أصله ان يعدى بالحرف ثم عدى الى مفعولين كقولهم

فى التنقير و التفتيش بقدرالوسع و الطاقة و نقلت ذلك الاختلاف كما وجدت وما أشار اليه رضى الله عنه من غريب أو ضعيف أو غيرهما بينت وجهه غالبا

لاآلوك نصحا على تضمين معنى المنع و النقص و قال أبو البقاء يألو يتعدى الى مفعول واحد و خبالا تمييز أو منصوب بنزع الخافض و يجوز أن يكون مصدرا فى موضع الحال و الاظهر ما حققه القاضى أنه فى أصله لازم ففى عبارة المشكاة اما يضمن معنى الترك فيكون جهدا مفعولا به أو يبقى على معناه الاصلى و ينصب جهدا على أحد الاحتمالات الثلاث و المعنى لم أقصر لكم أو لله (فى التنقير) أى فى البحث و التجسس عن طرق الاحاديث و اختلاف ألفاظها (و التفتيش) عطف بيان لما قبله (بقدر الوسع و الطاقة) أى بمقدار وسعى و طاقتى فى التفحص و لا يكلف الله نفسا الا وسعها و الطاقة عطف بيان و ايراد الالفاظ المترادفة فى الديباجات و الخطب متعارف عندالفصحاء غير معايب عندالبلغاء (و نقلت ذلك الاختلاف) أى المختلف فيه (كما وجدت) أى كما رأيته فى الاصول ولا اكتفيت بتقليد الشيخ و لو كان هو من أجلاء أرباب النقول و قال ابن حجر أى و من ثمة نقلت ذلك الاختلاف كما وجدته فى الاصول من غير ان أتصرف فيه بتغيير أو بتبديل حتى أنسب كلا الى مخرجه باللفظ و المعنى لا المعنى فحسب لوقوع الخلاف المشهور فى جواز رواية الحديث بالمعنى و هو و ان جاز على الاصح للعارف بمدلولات الالفاظ و معانيها لكن التنزه عنها أولى خروجا من الخلاف اه فتد بر يتبين لك الاظهر فى حمل العبارة عليه و ان كان فى أصل الكلام منه لامناقشة لنا لديه مع ان التجويز المذكور و الاختلاف المسطور انما هو فى نقل الراوى الحديث من شيخه اما مطلقا أو حال كونه ناسيا على المعتمد و اما نقل حديث من كتاب كالبخارى و غيره و اسناده اليه من غير أن يبين انه نقل بالمعنى فلا يجوز اجماعا والله أعلم (وما أشار اليه) أى الشيخ محيى السنة صريحا أو كناية (رضى الله عنه) جملة دعائية معترضة بين المبين و المبين و هو قوله (من غريب) أى حديث غريب و هو ما تفرد به الراوى عن سائر رواته و لم يشرك معه أحدا فى روايته عن الراوى عنه (أو ضعيف) و هو ما لم يجتمع فيه صفات الصحيح و الحسن بأن يكون فى أحد رواته قدح أو تهمة (أو غيرهما) اعتبارالاحقيقة اذ ماعدا الصحيح و الحسن داخل تحت أنواع الضعيف و المراد بغيرهما نحو منكر وهو ما رده قطعى أو رواه ضعيف مخالف لثقة أو شاذ و هو ما خالف الثقة من هو أوثق منه أو معلل و هو ما فيه علة خفية غامضة قادحة لم يدركها الا الحذاق و اعلم أن معرفة أنواع الحديث و بيان حدودها و ما يتعلق بها من قيودها يحتاج الى بسط فى الكلام ليس هذا موضع ايرادها و قد أوردنا فى شرح النخبة ما يستفيد بذكره المبتدى و لا يستغنى عن تذكره المنتهى (بينت وجهه) أى وجه غرابته أو ضعفه أو لكارته (غالبا) أى فى أكثر المواضع و لعل ترك التبيين فى بعض مواضعه لعدم العلم به أو لاختلاف فيه أو لغيره هذا و قد قال السيد جمال الدين المتبادر الى الفهم من هذه العبارة ان أحاديث الحسان من المصابيح المعبر عنه فى المشكاة بالفصل الثانى كل حديث ذكر الشيخ فيه انه غريب أو ضعيف أو منكر بين المصنف وجهه بأن يقول أى الراوى تفرد به أو غير ثقة أو مخالف لما هو أوثق و نحوه بذكر منشئه و الحال انه لم يفعل ذلك بل فى كل حديث ذكر محيى السنة انه ضعيف أو غريب ذكر المصنف قائله الذى هو الترمذى فى غالب الاحوال من أرباب الاصول و عينه و غاية ما فى الباب يشير الترمذى أحيانا الى وجه الغرابة و بيان الضعف و هذا الصنيع من المصنف يقتضى انه لم يجعل محيى السنة أهلا للحكم بالضعف و الصحة فى الحديث فلا جرم نسبته الى من له أهلية ذلك انتهى فيكون المعنى بينت وجهه بنسبة الحكم عليه

وما لم يشر اليه مما فى الاصول فقد قفيته فى تركه الا فى مواضع لغرض و ربما تجد مواضع مهملة و ذلك حيث لم أطلع على راويه فتركت البياض فان عثرت عليه فألحقه به أحسن الله جزاءک

بذلک الى أهله المرجوع اليهم فيه و هذا يحتمل على أن يكون تقوية للشيخ لا سلب الاهلية عنه فالعلمان خير من علم واحد بل فى هذا هضم لنفس المصنف أن يكون له أهلية لذلک (و ما لم يشر اليه) أى الشيخ (مما فى الاصول) أى مما أشير اليه من المنقطع و الموقوف و المرسل فى جامع الترمذى و سنن أبى داود و البيهقى و هو كثير (فقد قفيته) بالتشديد أى تبعته تأسيا به كذا قاله الطيبى و تبعه ابن حجر و كتب ميرک فى هامش الكتاب قفوته بالوا و ورقم عليه ظ اشارة الى أنه الظاهر و كتب عمه السيد جمال‌الدين فى أول شرح المشكاة ان أصل سماعنا و جميع النسخ المعتمدة الحاضرة صححت بتشديد الفاء من التقفية وهى تستعمل فى كلام العرب بعلى و الباء وقد جاء فى التنزيل و قفينا على آثار هم بعيسى بن مريم و تستعمل أيضا بمن و الباء قال تعالى و قفينا من بعده بالرسل و المعنى ههنا على التتبع فكان المناسب أن يكون بتخفيف الفاء و بالوا و من القفو انتهى و حاصل المناقشة أنه بالتشديد متعد الى مفعولين بأحد الاستعمالين المذكورين و بالتخفيف و الباء غير وارد و كلاهما مدفوع فانه ذكر فى مختصر النهاية قفيته و أقفيته تبعته و اقتديت به و فى القاموس قفوته تبعته كتقفيته و اقتفيته و قفيته زيدا أى أتبعته اياه اه و الظاهر من الآيات القرآنية ان قفى بالتشديد متعد بنفسه الى واحد و بالباء الى اثنين و لذا قال البيضاوى فى قوله تعالى و قفينا من بعده بالرسل أى أرسلنا على أثره الرسل كقوله تعالى ثم أرسلنا رسلنا تترى يقال قفاه اذا اتبعه و قفاه به أتبعه اياه من القفا نحو ذنبه من الذنب انتهى و على تقدير تسليم أنه متعد بنفسه الى مفعولين فأمره سهل بأن يكون المعنى أتبعت نفسى اياه (فى تركه) و هو يحتمل أن يكون من اضافة المصدر الى فاعله أو مفعوله أى فى ترک الشيخ الحكم على الحديث بشئ أو فى ترک المشاراليه بالموافقة معه فى السكوت عليه (الا فى مواضع) أى قليلة أبينها (لغرض) قال الفاضل الطيبى و ذلک ان بعض الطاعنين أفرزوا أحاديث من المصابيح و نسبوها الى الوضع و وجدت الترمذى صححها أو حسنها و غير الترمذى أيضا فبينته لرفع التهمة كحديث أبى هريرة المرء على دين خليله فانهم صرحوا بوضعه و قال الترمذى فى جامعه انه حسن و قال النووى فى الرياض انه صحيح الاسناد و من الغرض ان الشيخ شرط فى الخطبة أنه أعرض عن ذكر المنكر و قد أتى فى كتابه بكثير منه و بين فى بعضها كونه منكرا و ترک فى بعضها فبينت انه منكر اه قال السيد جمال‌الدين و الجواب من قبل صاحب المصابيح أن يقال مراده أنه أعرض عن المنكر المجمع على نكارته و الذى أورده هو من قبيل المختلف فيه و صرح بانكار البعض لئلا يحمل على ذهوله و أعرض عن بيان البعض لان الحكم بنكارته كان غير معتبر عنده (و ربما) بالتشديد أشهر و للتقليل أظهر و ما كافة (تجد) أى أيها الناظر فى المشكاة (مواضع مهملة) أى غير مبين فيها ذكر مخرجيها (و ذلک) أى الاهمال و عدم التبيين (حيث لم أطلع على راويه) أى مخرجه (فتركت البياض) أى عقب الحديث دلالة على ذلک (فان عثرت عليه) أى اطلعت أيها الناظر على مخرجه (فألحقه) أى ذكر المخرج (به) أى بذلک الحديث و اكتبه فى موضع البياض و قال ابن حجر ألحقه بذلک البياض و فيه مسامحة لا تخفى (أحسن الله جزاءک) أى على هذا العمل و الجزاء ممدود بمعنى الثواب و فيه اشارة لما ورد عن أسامة مرفوعا من صنع اليه معروف فقال لفاعله جزاک الله خيرا فقد أبلغ فى الثناء رواه الترمذى و النسائى و ابن حبان هذا و قد بين بعض العلماء المواضع المهملة فى حاشية

وسميت الكتاب بمشكاة المصابيح و أسأل الله التوفيق والاعانة والهداية والصيانة و تيسير ما أقصده وان ينفعني في الحياة و بعد الممات و جميع المسلمين و المسلمات حسبي الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العزيز الحكيم

الكتاب تكملة و ترك البياض في أصل المصنف ليدل على ان التبيين من غير المؤلف (و سميت الكتاب بمشكاة المصابيح) قال الطيبي روعي المناسبة بين الاسم و المعنى فان المشكاة يجتمع فيها الضوء فيكون أشد تقويا بخلاف المكان الواسع و الاحاديث اذا كانت غفلا عن سمة الرواة انتشرت و اذا قيدت بالراوى انضبطت و استقرت في مكانها اه و تبعه ابن حجر و قال ميرك الاظهر في وجه المطابقة ان كتابه محيط و مشتمل على ما في المصابيح من الاحاديث كما أن المشكاة محيطة و مشتملة على المصباح اه و يمكن أن يقال مراده بالمصابيح الاحاديث الواردة في كتابه مما في المصابيح و غيره مشبها بها لانها آيات نورانية و دلالات برهانية صدرت من مشكاة صدر الانبياء ليقتدى بها أمته من العلماء والاولياء في بيداء الضلالة و صحراء الجهالة وبهذا المعنى ورد أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وشبه كتابه من حيث انه جامع لها ومانع من تفرقها بالمشكاة وهي الكوة الغير النافذة و يحتمل أن يقال فيه معنى التورية وهي أن يؤتى بكلمة لها معنيان أحدهما قريب والآخر بعيد ويكون المراد البعيد (و أسأل الله التوفيق) أى جعل أمور المريد على وفق المراد وهو في عرف العلماء خلق قدرة العبد في الطاعة والعبادة (والاعانة) أى في الدين والدنيا والآخرة أو على ماقصدت (والهداية) أى الدلالة على ما أردت أو ثبات الهداية من البداية الى النهاية (والصيانة) أى الحفظ والحماية من العقائد الدنية والاحوال الردية أو العصمة عن الخطل و الزلل أو عما يمنع اتمام الكتاب من الموانع والعلل (وتيسير ما أقصده) بكسر الصاد أى تسهيل ما أريده من التحرير والتفتيش والتنقير (و أن ينفعني) أى الله بهذا الكتاب وغيره و في نسخة به أى علما و عملا و تعليما و جوز أن يرجع ضمير ينفع الى الكتاب على سبيل المجاز (في الحياة) أى بالمباشرة (و بعد الممات) بالسببية أو في الحياة بأن يجعله سببا لزيادة الاعمال و باعثا للترقي الى علو الاحوال و بعد الممات بوصول أعلى الدرجات و حصول أعلى المقامات (و جميع المسلمين و المسلمات) عطف على الضمير المنصوب في ينفعني أى وأن ينفع بقراءته و كتابته و وقفه و نقله الى البلدان و نحو ذلك (حسبي الله) و في نسخة بواو العطف أى الله كاف في جميع أموري (ونعم الوكيل) أى الموكول اليه يعني هو المفوض اليه و المعتمد عليه و المخصوص بالمدح محذوف هو هو (ولا حول) أى عن معصية الله (ولا قوة) أى على طاعته (الا بالله) أى بعصمته و معونته (العزيز) أى الغالب على ما يريد أو البديع الذي ليس كمثله شئ (الحكيم) أى صاحب الحكم و الحكمة على وجه الاتقان والاحكام قال ابن حجر ذكر هذين الاسمين لانهما الواردان في ختم هذه الكلمة دون ما اشتهر من ختمها بالعلي العظيم على أن في بعض نسخ الحصن الحصين للحافظ الجزرى رواية ختمها بالعلي العظيم فلعله رواية أخرى اه اعلم أن الرواية الصحيحة هي العزيز الحكيم على ما في مسلم كما نقله صاحب المصابيح و تبعه صاحب المشكاة و كذا هو في أصل الحصن الحصين و كتب على حاشيته العلي العظيم و نسب الى البزار والله أعلم ولما كان ينبغي لكل مصنف كما صرح به جمع من الائمة أن يبدأ كتابه بالحديث الآتي المسمى بطليعة كتب الحديث تنبيها على تصحيح النية والاخلاص لكل من العالم والمتعلم وانه الاساس الذي يبنى عليه جميع الاحوال من العقائد والاعمال وعلى أن

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات

أول الواجبات قصد المقصد بالنظر الموصل الى معرفة الصمد فالقصد سابق وما بقى لاحق وان طالب الحديث فى حكم المهاجر الى النبى صلى الله عليه وسلم فعليه أن يراعى الاخلاص ليصل الى مقام الاختصاص بدأ به المصنف اقتداء بالبغوى لا تبعا للبخارى كما قاله ابن حجر فقال (عن عمر بن الخطاب) وهو الناطق بالصواب المسمى بالفاروق على ما دل عليه الكتاب و أول من سمى باميرالمؤمنين فيما بين الاصحاب (رضى الله عنه) وهو عدوى قرشى يجتمع مع النبى صلى الله عليه وسلم فى كعب ابن لؤى كناه النبى صلى الله عليه وسلم بأبى حفص وهو لغة الاسد ولقبه بالفاروق لفرقانه بين الحق والباطل قال القاضى فى تفسيره عند قوله تعالى يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت عن ابن عباس رضى الله عنهما أن منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودى الى النبى صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودى فلم يرض المنافق و قال نتحاكم الى عمر فقال اليهودى لعمر قضى لى رسول الله فلم يرض بقضائه و خاصم اليك فقال عمر للمنافق أكذلك قال نعم فقال مكانكما حتى أخرج اليكما فدخل فأخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد و قال هكذا أقضى لمن لم يرض بقضاءالله و رسوله فنزلت و قال جبريل ان عمر فرق بين الحق و الباطل فسمى الفاروق وقيل باسلامه اذ أمر المسلمين قبله كان فى غاية من الخفاء و بعده على غاية من الظهور والجلاء أسلم بعد أربعين رجلا وعشرة امرأة سنة ست من النبوة وقيل أسلم مع النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة و ثلاثون رجلا و ست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين بويع له بالخلافة بعد موت الصديق بعهده اليه ونصه عليه سنة ثلاث عشرة من الهجرة ففتح البلاد الكثيرة والفتوح الشهيرة واستشهد على يد نصرانى اسمه أبو لؤلؤة غلام مغيرة بن شعبة بالمدينة فى صلاة الصبح من يوم الاربعاء لاربع بقين من ذى الحجة عام ثلاث وعشرين من الهجرة وهو ابن ثلاث وستين على الاصح وكانت خلافته عشر سنين ونصفا وصلى عليه صهيب روى عنه أبوبكر و باقى العشرة و خلق كثير من الصحابة و التابعين أحاديثه المرفوعة خمسمائة و سبعة و ثلاثون له فى الصحيحين احد و ثمانون انفرد البخارى منها بأربعة و ثلاثين و مسلم باحد و عشرين نقش خاتمه كفى بالموت واعظا كان شديدا فى أمر الله عاقلا مجتهدا صابرا محتسبا جعل الحق على لسانه و أعزالدين به واستبشر أهل السماء باسلامه وله فضائل لا تحد و شمائل لا تعد (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات) قيل كلمة انما بسيطة و قيل مركبة من ان وما الكافة أوالزائدة للتأكيد وقيل مركبة من ان وما النافية فهى عاملة بركنيها ايجابا و نفيا فبحرف التحقيق يثبت الشئ و بحرف النفى ينفى ما عداه و ما اعترض عليه من لزوم اجتماع الضدين على شئ واحد و من أن ان وما كلاهما يقتضى الصدارة مدفوع بأن هذا انما هو قبل التركيب و أما بعده فقد صار علما مفردا على افادة الحصر و تضاعيفه يفيدالقصر لانه ليس الا تأكيدالحكم على تأكيد واتفق أهل العربية و الاصول على انها موضوعة للحصر خلافا لما نقل عن أكثر النحاة لصحة انما قام زيد فى جواب هل قام عمرو كما يجاب بما قام الا زيد و لورود قوله تعالى انما على رسولنا البلاغ المبين و ما على الرسول الاالبلاغ و اذا تقرر أنها للحصر فتثبيت المذكور و تنفى الحكم عن غيره فى نحو انما قام زيد أى لا عمرو أو غير الحكم عن المذكور فى نحو انما زيد قائم أى لا قاعد و مما يدل له حديث انما الماء من الماء فان الصحابة الآخذين بقضيته لم يعارضهم جمهورهم

القائلون بوجوب الغسل و ان لم ينزل بأن انما لا تفيده و انما عارضوهم بأدلة أخرى كحديث اذا التقى الختانان و جب الغسل و قد استدل ابن عباس لما تفرد به قيل و رجع عنه لما اشتد انكار أبي سعيد الخدرى عليه بخبر انما الربا فى النسيئة و لم تنازعه الصحابة فيه بل عارضوه فى الحكم بأدلة أخرى فدل على اتفاقهم على انها للحصر فالتقدير ان الاعمال تعتبر اذا كانت بنية و لا تعتبر اذا كانت بلانية فتصير انما بمعنى ما و الا و قيل الحصر مستفاد من الجمع المحلى باللام فانه مفيد للاستغراق و هو مستلزم للحصر فالمعنى ليست الاعمال حاصلة الا بالنية و لا يمكن هنا نفى نفس الاعمال لثبوتها حسا و صورة من غير اقتران النية بها فلا بد من اضمار شئ يتوجه اليه النفى و يتعلق به الجار فقيل التقدير صحيحة أو تصح كما هو رأى الشافعي و أتباعه و قيل كاملة أو تكمل على رأى أبي حنيفة و أصحابه و الاظهر أن المقدر معتبرة أو تعتبر ليشمل الاعمال كلها سواء كانت عبادات مستقلات كالصلاة و الزكاة فان النية تعتبر لصحتها اجماعا أو شروطا فى الطاعات كالطهارة و ستر العورة فانها تعتبر لحصول ثوابها اتفاقا لعدم توقف الشروط على النية فى الصحة خلافا للشافعي فى الطهارة فعليه بيان الفرق أو أمورا مباحة فانها قد تنقلب بالنيات حسنات كما أنها قد تنقلب سيآت بلا خلاف غاية ما فى الباب ان متعلق الصحة و الكمال يعرف من الخارج و لا محذور فيه و يدل على ما قلنا ان الاعمال جمع محلى باللام فيستغرق كل عمل سواء أكان من العبادات أو غيرها و يشمل المتروكات أيضا فانه لا ثواب فى ترك الزنا و الغصب و نحو هما الا بالنية و ان كانت صحيحة بدونها و كان هذا ملحظ من قال المراد أعمال المكلفين و يؤيده ما قال ابن دقيق العيد و لا تردد عندى أن الحديث يشمل الاقوال ثم الباء للاستعانة و قيل للمصاحبة ليعلم منه وجوب المقارنة لكنها تشعر بوجوب استصحابها الى آخر العمل لانه الظاهر من المعية و لا قائل به نعم يشترط اتفاقا استصحابها مع العمل حكما بأن لا ينشئ منافيا و أيضا تشير الى عدم جواز تقدمها على العمل و هو منقوض بنية الزكاة فانها جائزة عند افراد مال الزكاة و بنية الصوم فى الليل فانها أفضل بلا خلاف فالاولى هى الاولى و أوقات النيات فى العبادات مختلفة محل بسطها الكتب الفقهيات و النية بتشديد الياء و قد تخفف لغة القصد و شرعا توجه القلب نحو الفعل ابتغاء لوجه الله و القصد بها تمييز العبادة عن العادة فان قيل النية عمل من أعمال القلب فيحتاج الى النية و يتسلسل أجيب بان المراد أعمال الجوارح بدلالة العقل و بدليل الخبر المعتبر نية المؤمن خير من عمله و بدليل ان فى العرف لا يطلق العمل على فعل الناوى اه و فيه ان سائر أعمال القلوب لا تعتبر شرعا الا بالنية و ان معنى الحديث عمل النية خير من عمل الجارحة لوجوه ذكرها الحجة فى الاحياء و أنه لا عبرة بالعرف مع أنه يختلف فالاظهر فى الجواب استثناء النية وكذا الامور الاعتقادية للدلالة العقلية ثم لا يخفى أن النية باللسان مع غفلة الجنان غير معتبرة لما ورد من ان الله لا ينظر الى صوركم و لا الى أموالكم و لكن ينظر الى قلوبكم و أعمالكم و فى رواية و لكن ينظر الى قلوبكم و نياتكم فلو نوى الظهر بقلبه فى وقته و تلفظ بنية العصر لا يضره بخلاف العكس و هذا معنى قولهم و لا معتبر باللسان و اختلفوا فى التلفظ بما يدل على النية بعد اتفاقهم أن الجهر بالنية غير مشروع سواء يكون اماما أو مأموما أو منفردا فالاكثرون على أن الجمع بينهما مستحب ليسهل لعقل معنى النية و استحضارها قال صاحب الهداية و يحسن لاجتماع عزيمته قال المحقق الامام ابن الهمام قال بعض الحفاظ لم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق صحيح و لا ضعيف أنه كان عليه الصلاة والسلام يقول عند الافتتاح أصلى كذا و لا عن أحد من الصحابة و التابعين بل المنقول انه كان عليه الصلاة والسلام اذا قام الى الصلاة كبر و هذه بدعة اه قال و قد يفهم من قول المصنف لاجتماع عزيمته أنه لا يحسن لغير هذا القصد و هذا لان الانسان قد يغلب عليه تفرق خاطره فاذا

ذكربلسانه كان عونا على جمعه ثم رأيته فى التجنيس قال و النية بالقلب لانه عمله و التكلم لا معتبر به و من اختاره اختاره لتجتمع عزيمته اه كلامه و قيل لا يجوز التلفظ بالنية فانه بدعة و المتابعة كما تكون فى الفعل تكون فى الترك أيضا فمن و اظب على فعل لم يفعله الشارع فهو مبتدع و قد يقال نسلم أنها بدعة لكنها مستحسنة استحبها المشائخ للاستعانة على استحضار النية لمن احتاج اليها و هو عليه الصلاةوالسلام و أصحابه لما كانوا فى مقام الجمع و الحضور لم يكونوا محتاجين الى الاستحضار المذكور و قيل التلفظ شرط لصحة الصلاة و نسبوه الى الغلط و الخطأ و مخالفة الاجماع لكن له محمل عندنا مختص بمن ابتلى بالوسوسة فى تحصيل النية و عجز عن أدائها فانه قيل فى حقه اذا تلفظ بالنية سقط عنه الشرط دفعا للحرج و أغرب ابن حجر و قال انه عليهالصلاة والسلام نطق بالنية فى الحج فقسنا عليه سائرالعبادات قلنا له ثبتالعرش ثم انقش من جملة الواردات فانه ما ورد نويتالحج و انما ورد اللهم انىأريد الحج الخ و هو دعاء و اخبار لا يقوم مقامالنية الابجعله انشاء و هو يتوقف على العقد و القصد الانشائى غير معلوم فمع الاحتمال لايصح الاستدلال و مع عدم صحته جعله مقيسا عليه محال ثم قال وعدم وروده لا يدل على عدم وقوعه قلنا هذا مردود بانالاصل عدم وقوعه حتى يوجد دليل وروده و قد ثبت أنه عليه الصلاةوالسلام قام الى الصلاة فكبر فلونطق بشئى آخر لنقلوه و ورد فى حديث المسئى صلاته انه قال له اذا قمت الى الصلاة فكبرفدل على عدم وجود التلفظ و ذكر أبو داود أنه قال قلت للبخارى هل تقول شيأ قبل التكبير فقال لا انتهى و بما ذكرناه يتبين فساد بقية كلام ابن حجر من قوله و أيضا فهو عليه الصلاةوالسلام لا يأتى الا بالاكمل و هو أفضل من تركه اجماعا و النقل الضرورى حاصل بانه لم يواظب على ترك الافضل طول عمره فثبت انه أتى فى نحو الوضوء و الصلاة بالنية مع النطق و لم يثبت انه تركه و الشك لا يعارض اليقين اه و قد علمت أن الافضل المكمل عدم النطق بالنية مع أن دعوى الاجماع غير صحيحة فان المالكية قالوا بكراهته و الحنبلية نصوا على أنه بدعة غير مستحب و ان أراد به الاتفاق بين الشافعية و الحنفية فليس على الاطلاق بل محله ان احتاج اليه بالاستعانة عليه وقد ثبت تركه عندالحفاظ المحدثين بلاريب فقوله و الشك لا يعارض اليقين مجازفة عظيمة من أعجب العجائب الذى يتحير فيه أولوالالباب حيث جعل الوهم يقينا و ثبوت الحفاظ ريبا لايقال المثبت مقدم على النافى لانا نقول محله اذا تعارض دليلان أحدهما على النفى و الآخر على الاثبات والخصم هنا سواء جعلناه مثبتا أو نافيا ليس معه دليل و دليلنا على النفى ثابت بنقل المحدثين المؤيد بالاصل الذى هو عدم الوقوع فتأمل فانه موضع زلل و محل خطل ثم رأيت ابن القيم ذكر فى زادالمعاد فى هدى خير العباد و هذا لفظه كان عليه الصلاة والسلام اذا قام الى الصلاة قالالله أكبر ولم يقل شيأ قبلها ولا تلفظ بالنية ولا قال أصلىلله صلاة كذا مستقبل القبلة أربع ركعات اماما أوماموما ولا قال اداء ولا قضاء ولا فرض الوقت و هذه عشر بدع لم ينقل عنه عليه الصلاة والسلام أحد قط باسناد صحيح ولا ضعيف ولا مسند ولا مرسل لفظة واحدة منها ألبتة بل ولا عن أحد من الصحابة ولا استحبه أحد من التابعين ولا الائمة الاربعة و انما غر بعض المتأخرين قول الشافعى فى الصلاة انها ليست كالصيام لا يدخل فيها أحد الا بذكر فظن أن الذكر تلفظ المصلى بالنية وأن مرادالشافعى بالذكر تكبيرة الاحرام ليس الا وكيف يستحب الشافعى أمرا لم يفعله رسولالله صلىاللهعليهوسلم فى صلاة واحدة ولا أحد من خلفائه و أصحابه و هذا هديهم و سيرتهم فان أوجدنا أحد حرفا واحدا عنهم فى ذلك تبلناه و قابلناه بالقبول و التسليم ولا هدى أكمل من هديهم ولا سنة الا ما تلقوه عن صاحب الشرع صلىاللهعليهوسلم اه و صرح السيد جمال الدين المحدث بنفى رواية التلفظ بالنية عن المحدثين

وكذا ذكره الفيروزابادى صاحب القاموس فى كتابه المسمى بالصراط المستقيم و قال القسطلانى فى المواهب و بالجملة فلم ينقل أحد أنه عليه الصلاة والسلام تلفظ بالنية ولا أعلم أحدا من اصحابه التلفظ بها ولا أقره على ذلك بل المنقول عنه فى السنن انه قال مفتاح الصلاة الطهور و تحريمها التكبير و تحليلها التسليم نعم اختلف العلماء فى التلفظ بها فقال قائلون هو بدعة لانه لم ينقل فعله و قال آخرون هو مستحب لانه عون على استحضار النية القلبية و عبادة للسان كما أنها عبودية للقلب والافعال المنوية عبادة الجوارح و بنحو ذلك أجاب الشيخ تقى الدين السبكى و الحافظ عماد الدين ابن كثير و اطنب ابن القيم فى الهدى فى ردالاستحباب و أكثر من الاستدلال بما فى ذكره طول يخرجنا عن المقصود لاسيما و الذى استقر عليه أصحابنا استحباب النطق بها و قاسه بعضهم على ما فى الصحيحين من حديث أنس أنه سمع النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم يلبى بالحج والعمرة جميعا يقول لبيك عمرة و حجة و هذا تصريح باللفظ و الحكم كما يثبت بالنص يثبت بالقياس لكنه تعقب هذا بانه عليه الصلاة و السلام قال ذلك فى ابتداء احرامه تعليما للصحابة ما يهلون به و يقصدونه من النسك ولقد صلى عليه الصلاة و السلام ثلاثين ألف صلاة فلم ينقل عنه انه قال نويت أصلى صلاة كذا وكذا و تركه سنة كما أن فعله سنة فليس لنا أن نسوى بين ما فعله و تركه فنأتى من القول فى الموضع الذى تركه بنظير ما أتى به فى الموضع الذي فعله و الفرق بين الحج والصلاة أظهر من أن يقاس أحدهما بالاخر ثم اللام فى النيات عوض عن المضاف اليه أى انما الاعمال بنياتها أو الحديث من باب مقابلة الجمع بالجمع على حد ركب القوم دوابهم قال ابن الهمام هذا حديث مشهور متفق على صحته و أما ألفاظه فانما الاعمال بالنيات و بالنية والاعمال بالنية والعمل بالنية كلها فى الصحيح وأما الاعمال بالنيات كما فى الكتاب يعنى الهداية فقال النووى فى كتابه بستان العارفين ولم يكمله نقلا عن الحافظ أبى موسى الاصفهانى انه لايصح اسناده و اقره و نظر بعضهم فيه اذ قد رواه كذلك ابن حبان فى صحيحه و الحاكم فى أربعينه ثم حكم بصحته قلت وهو رواية عن امام المذهب فى مسند أبى حنيفة رحمه‌الله رواه عن يحيى بن سعيد عن محمد بن ابراهيم التيمى عن علقمة عن أبى و قاص الليثى عن عمر بن الخطاب قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم الاعمال بالنيات الحديث ورواه ابن الجارود فى المنتقى ان الاعمال بالنيات وان لكل امرئ ما نوى اه وروى عن الشافعى فى فضل هذا الحديث أنه يدخل فيه نصف العلم و وجهه أن النية عبودية القلب و العمل عبودية القالب أو ان الدين اما ظاهر وهو العمل أو باطن وهو النية فهو كقوله عليه الصلاة و السلام تعلموا الفرائض فانها نصف العلم لتعلقها بالموت المقابل للحياة وروى عنه ما يدل على انه ربع العلم كما قال

عمدة الخير عندنا كلمات * أربع قالهن خير البرية

اتق الشبهات وازهد ودع ما * ليس يعنيك و اعمل بنية

إشارة الى الاحاديث الاربعة فكأنه اعتبر اتقاء السيئات و الزهد فى المباحات و ترك الفضولات و العمل بالنيات فى جميع الحالات وروى عنه و عن أحمد انه ثلث الاسلام أو ثلث العلم و وجهه البيهقى بان كسب العبد اما بقلبه كالنية أو بلسانه أو ببقية جوارحه والاول أحد الثلاثة بل أرجحها لانه عبادة بانفرادها و هذا وجه خبر نية المؤمن خير من عمله و فى رواية أبلغ و فى أخرى زيادة ان الله عزوجل ليعطى العبد على نيته مالا يعطيه على عمله و ذلك ان النية لارياء فيها و العمل يخالطه الرياء وله طرق ضعيفة يتقوى بمجموعها ولا يعارضه حديث من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له واحدة و من عملها كتبت له عشرة الموهم أن العمل خير منها لان كتابة العشر ليست على العمل وحده بل معها لانها

شرط لصحته وهو ليس شرطا لصحتها و لهذا يثاب على النية المجردة فانقلب هذا الحديث دليلا على خيريتها و ظهر فساد ما قيل المراد ان النية خير من العمل بلانية لامعها لئلا يلزم أن الشئ خير من نفسه مع غيره و العجب من ابن حجر حيث ذكر هذا القيل و قرره با لتعليل و أما قوله و من خيريتها على العمل أنها تقتضى التخليد فى الجنة أو النار اذ المؤمن ناو الايمان دائما والكافر ناو الكفر دائما فقوبل التأبيد بالتأبيد ولو نظر للعمل لكان الثواب أو العقاب بقدر مدته فمدخول و معلول فانه لا يقال نية الكافر خير من عمله بل مفهوم الحديث ان عمل الكافر خير من نيته نعم ذكروا فى جانب الجنة ان دخولها بالايمان و درجاتها بالاعمال و خلودها بالنية أو من باب الافضال فلا اشكال و أما دخول الكفار فى النار فلكفرهم و دركاتها على قدر أعمالهم السيئة فكان مقتضى العقل فى ظاهر العدل أن الكافر الذى عاش فى الدنيا مائة سنة مثلا ان يعذب قدرها فقالوا التخليد فى مقابلة نيته من التأبيد فانه لو فرض أنه عاش أبدالآباد لاستمر على كفره المعتاد ثم قيل ضمير عمله لكافر معهود وهو السابق كبناء قنطرة عزم مسلم على بنائها و القول بان خير ليست بمعنى أفعل التفضيل و المعنى النية خير من جملة الخيرات ساقط عن الاعتبار من جميع الجهات قال ابن حجر واختلفوا فى نية السيئة والحق أنه لا عقاب عليها الاان انضم اليها عزم أو تصميم أى عزم على الفعل بالفعل أو تصميم على أنه سيفعل و فيه أن النية لا تكون الا مع العزيمة والا فمع التردد تسمى خطرة وهى مرفوعة بالاجماع قال فى المدارك عند قوله تعالى وان تبدوا ما فى أنفسكم الآية ولا تدخل الوساوس و حديث النفس فيما يخفيه الانسان لان ذلك مما ليس فى وسعه الخلو عنه ولا يكلف الله نفسا الا وسعها ولكن ما اعتقده و عزم عليه والحاصل أن عزم الكفر كفر و خطرة الذنوب من غير عزم معفو عنها و عزم الذنب اذا ندم عليه ورجع عنه معفو عنه بل يثاب فاما اذا هم بسيئة وهو ثابت على ذلك الا أنه منع عنه بما نع لا باختياره فانه لا يعاقب على ذلك عقوبة فعله أى بالعزم على الزنا لا يعاقب عقوبة الزنا وهل يعاقب عقوبة عزم الزنا قيل لا لقوله عليه الصلاة والسلام ان الله عفا عن أمتى ما حدثت به أنفسهم ما لم تعمل أو تتكلم به والجمهور على أن الحديث فى الخطرة دون العزم وان المؤاخذة فى العزم ثابتة واليه مال الشيخ أبو منصور و شمس الائمة الحلوانى و الدليل عليه قوله تعالى ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة الآية ثم قال ابن حجر فان قلت ونية الحسنة كذلك قلت فرق بان ناوى الحسنة يثاب عليها و على نيتها و ناوى السيئة انما يعاقب على نيتها فقط قلت لاحاجة الى الفرق فان لكل امرئ ما نوى ثم ما ذكره من الفرق غير صحيح لانه أن أراد التعدد الحقيقى فهو غير ثابت وان اراد التعدد الحكمى وهو الزيادة فى الكيفية دون الكمية كما أشار اليه بقوله و معنى ثوابه على الاولين انه يكتب له حسنة عظيمة لكن باعتبارين فهذا جار فى السيئة أيضا ومن جملة الفروع المتعلقة بهذا الحديث أن من سبق لسانه بمكفر يدين خلافا لبعض المالكية اذ لانية له و يؤيدنا خبر مسلم فى الذى ضلت راحلته ثم وجدها فقال من شدة الفرح اللهم أنت عبدى وأنا ربك قال عليه الصلاة و السلام أخطأ من شدة الفرح قال ابن حجر فان قلت ظاهر كلام بعضهم قبول دعواه سبق اللسان هنا ولو من غير قرينة فينا فيه مامر فى نحو الطلاق انه لابد من قرينة فما الفرق قلت أما بالنسبة الى الباطن فهما على حد سواء فلا شئ عليه باطنا فيهما حيث سبق لسانه وأما ظاهرا فلا بد من قرينة فى الطلاق و كذا الكفر كما هوظاهر و يحتمل قبوله فيه ظاهرا مطلقا و يفرق بانه يغتفر فى حق الله ما لا يغتفر فى حق غيره لبناء حقه تعالى على المسامحة وحق الآدمى على المشاحة و منها أن من وطئ أوشرب أو قتل يظن الحليلة و نحو الماء و غيرالمعصوم فبان محرما لاإثم و فى عكسه يأثم اعتبارا بالنية فيهما و قال بعض العلماء استثنى بعض الاعمال من هذا

العموم كصريح الطلاق و العتاق لان تعيين الشارع هذه الالفاظ لاجل هذه المعانى بمنزلة النية و لا يخفى ان هذا انما هو بالنسبة الى الصحة و الجواز و اما بالنسبة الى الثواب فلا بد من تصحيح النية والله أعلم (و انما لامرئ) أى الشخص و فى رواية و انما لكل امرئ (مانوى) أى جزاء الذى نواه من خير أو شر أو جزاء عمل نواه أو نيته دون مالم ينوه أو نواه غيره له ففيه بيان لما تثمره النية من القبول و الرد و الثواب و العقاب و غير ذلك كاسقاط القضاء و عدمه اذ لا يلزم من صحة العمل قبوله و وجود ثوابه لقوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين ففهم من الجملة الاولى أن الاعمال لا تكون محسوبة الا بالنية و من هذه انها انما تكون مقبولة بالاخلاص و حاصل الفرق أن النية فى الاول متعلقة بنفس العمل و فى الثانى متوجهة الى ما لاجله العمل من الامل و قيل هذه مؤكدة للاولى تنبيها على سر الاخلاص و نوقش بأن تنبيهها على ذلك يمنع اطلاق كونها مؤكدة و قيل المراد بالاعمال العبادات و بالثانى الامور المباحات فانها لا تفيد المثوبات الا اذا نوى بها فاعلها القربات كالأكل و المشارب و المناكح و سائر اللذات اذا نوى بها القوة على الطاعات لا استيفاء الشهوات و كالتطيب اذا قصد اقامة السنة و دفع الرائحة المؤذية عن عباد الله تعالى ففى الجملة كل عمل صدر عنه لداعى الحق فهو الحق و كذا المتروكات لا يترتب عليها المثوبات الا بالنيات روى ان رجلا من بنى اسرائيل مر بكثبان رمل فى مجاعة فقال فى نفسه لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس فأوحى الله الى نبيهم قل ان الله قد صدقك و شكر حسن صنيعك و أعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت به و قال الخطابى فى اعلام الحديث و اختاره النووى ان هذه اشارة الى ايجاب تعيين المنوى فلا بد أن ينوى فى الفائتة من كونها ظهرا أو عصرا و لولاه لدل انما الاعمال على الصحة بلا تعيين أو أوهم ذلك اه و كذلك اذا عمل عملا ذاوجهين أو وجوه من القربات كالتصدق على القريب الذى يكون جارا له و فقيرا أو غير ذلك من الاوصاف التى يستحق بها الاحسان و لم ينو الاوجها واحدا لم يحصل له ذلك بخلاف ما اذا نوى جميع الجهات فعلم سر تأخير هذه الجملة و انهما متغايرتان قيل المفهوم منه ان نية الخاص فى ضمن نية العام غير معتبرة كما قال به بعض و قال بعضهم انها معتبرة و يدل عليه حديث الخيل لثلاثة الخ والله أعلم و قيل النية فى الحديث محمولة على معناها اللغوى ليحسن تطبيقه على ما بعده و تقسيمه بقوله (فمن كانت هجرته الى الله و) الى (رسوله) فانه تفصيل ما أجمله و استنباط المقصود عما أصله و تحريره ان قوله انما لامرئ مانوى دل على أن الاعمال تحسب بحسب النية ان كانت خالصة لله فهى له تعالى و ان كانت للدنيا فهى لها و ان كانت لنظر الخلق فهى لذلك فالتقدير اذا تقرر ان لكل انسان منويه من طاعة أو مباح أو غيرهما فمن كانت هجرته من الهجر و هو الترك الذى هو ضد الوصل و المراد هنا ترك الوطن الذى بدار الكفر الى دار الاسلام كهجرة الصحابة لما اشتد بهم أذى أهل مكة منها الى الحبشة و الى المدينة قبل هجرته عليه الصلاة والسلام و بعدها و لما احتاجوا الى تعلم العلوم من أوطانهم الى المدينة و قد تطلق كما فى أحاديث على هجرة مانهى الله عنه و فى معناها هجر المسلم أخاه و هجر المرأة مضجع زوجها و عكسه و منها الهجرة من ديار البدعة الى بلاد السنة و الهجرة لطلب العلم و ترك الوطن لتحصيل الحج و فى معناه الاعتزال عن الناس و أما قوله عليه الصلاة والسلام لا هجرة بعد الفتح فمحمول على خصوص الهجرة من مكة الى المدينة لان عموم الانتقال من دار الكفر الى دار الايمان باق على حاله و كذا الهجرة من المعاصى ثابتة لقوله عليه الصلاة والسلام المهاجر من هجر مانهى الله عنه و المراد

المهاجر الكامل و هذا معنى حديث لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة قيل المراد منها ههنا الى المدينة لذكر المرأة و حكاية أم قيس لكن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب و المعنى من قصد بهجرته وجه الله و التقرب الى رضاه لا يخلطها بشئ من الاغراض الدنيوية فهو كناية عن تخليص النية أو ذكر الله توطئة لذكر الرسول تخصيصا له بالله و تعظيما للهجرة اليه أو ذكر الله للتزيين و الايماء الى ان الهجرة اليه عليه الصلاة والسلام كالهجرة الى الله تعالى كقوله و من يطع الرسول فقد أطاع الله ثم الثابت فى النسخ المصححة اعادة الجار فى الشرط و الجزاء وهى تفيد الاستقلال فى الحكم بمعنى ان كلا من الهجرتين يقوم مقام الاخرى فى مرتبة القبول (فهجرته الى الله و) الى (رسوله) لم يقل اليهما استلذاذا بتكرير اسمهما و الى متعلقة بهجرته ان قدرت كانت تامة و بمحذوف هو خبرها ان كانت ناقصة أى منتسبة اليهما و المراد أصل الكون لا بالنظر الى زمن مخصوص أو وضعه الاصلى من المضى أو هنا من الاستقبال لوقوعها فى حيز الشرط لفظا أو معنى للاجماع على استواء الازمنة فى الاحكام الشرعية الالمانع ثم من القواعد المقررة أنه لا بد من المغايرة بين الشرط و الجزاء لحصول الفائدة فقيل التقدير فمن كانت هجرته الى الله و رسوله قصدا و نية فهجرته الى الله و رسوله ثمرة و منفعة فهو تمييز للنسبة و يجوز حذفه للقرينة و قيل فمن كانت هجرته الى الله و رسوله فى الدنيا فهجرته الى الله و رسوله فى العقبى و قيل الجملة الجزائية كناية عن قوله فهجرته مقبولة أو صحيحة فأقيم السبب مقام المسبب و قيل خبره مقدر من طرف الجزاء أى فهجرته الى الله و رسوله مقبولة أى فهى كما نواها و قد وقع أجره على الله سواء مات فى الطريق أو وصل الى الفريق كقوله تعالى و من يخرج من بيته مهاجرا الى الله و رسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله و قيل اتحاد الشرط و الجزاء لقصد التعظيم و لارادة التحقير فيما سيأتى فيكون التغاير معنى بدليل قرائن السياق بأن يراد بالاول ما وجد خارجا و بالثانى ما عهد ذهنا على حد أنت أنت أى الصديق الخالص و هم هم أى الذين لا يعرف قدرهم و منه أنا أبو النجم و شعرى شعرى أى شعرى الآن هو شعرى الذى كان و الكبر ما غير اللسان و الحاصل أن يقال فهجرته عظيمة و لنتيجتها جسيمة (و من كانت هجرته الى دنيا) بضم الدال و يكسر وهى فعلى من الدنو وهو القرب لدنوها الى الزوال أو لقربها من الآخرة منا و لا تنون لان ألفها مقصورة للتأنيث أوهى تأنيث أدنى وهى كافية فى منع الصرف و تنوينها فى لغة شاذ و لاجرائها مجرى الاسماء و خلعها عن الوصفية نكرت كرجعى و لو بقيت على و صفيتها لعرفت كالحسنى و اختلفوا فى حقيقتها مع انه لا حقيقة لها فقيل وهى اسم مجموع هذا العالم المتناهى ففى القاموس الدنيا نقيض الآخرة و لو قال ضدها لكان أولى ايماء الى انهما لا يجتمعان مع جواز انهما يرتفعان و قيل هى ما على الارض من الجو و الهواء أوهى كل المخلوقات من الجواهر و الاعراض الموجودة قبل الآخرة قال النووى و هذا هو الاظهر و يطلق على كل جزء منها مجازا و أريد ههنا شئ من الحظوظ النفسانية كمال أوجاه و قد تكون اشارة الى العاجل و المرأة ايماء الى الآجل و هو الآخرة لانضمام الروحانية الى الجسمانية فى كل منهما فيفيد حينئذ أن قصد ماسوى الله تعالى فيه انحطاط تام عمن لم يقصد غير وجهه تعالى و قليل ما هم و عند محققى القوم ما تعلق دركه بالحس فهو دنيا و ما تعلق دركه بالعقل فهو أخرى و فى رواية و من كانت هجرته لدنيا أى لاجل عرضها وغرضها فاللام للتعليل أو بمعنى الى لتقابل المقابل (يصيبها) أى يحصلها لكن لسرعة مبادرة النفس اليها بالجبلة الاصلية شبه حصولها باصابة السهم للغرض و الاظهر أنه حال مقدرة أى يقصد اصابتها

أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه متفق عليه

وفيه ايماء الى أنه لو طلب الدنيا لان يستعين بها على الاخرى فلا يذم مع أن تركها أولى لقول عيسى عليه الصلاة والسلام يا طالب الدنيا لتبر تركك الدنيا أبر (أو امرأة يتزوجها) خصت بالذكر تنبيها على سبب الحديث وان كانت العبرة بعموم اللفظ كما رواه الطبرانى بسند رجاله ثقات عن ابن مسعود كان فينا رجل خطب امرأة يقال لها أم قيس فأبت أن تتزوجه حتى يهاجر فهاجر فتزوجها قال فكنا نسميه مهاجر أم قيس وفيه اشارة الى أنه مع كونه قصد فى ضمن الهجرة سنة عظيمة أبطل ثواب هجرته فكيف يكون غيره أو دلالة على أعظم فتن الدنيا لقوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء ولقوله عليه السلام ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء لكن المرأة اذا كانت صالحة تكون خير متاعها ولقوله عليه الصلاة والسلام الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة (فهجرته الى ماهاجراليه) أى منصرفة الى الغرض الذى هاجر اليه فلا ثواب له لقوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب. أو المعنى فهجرته مردودة أو قبيحة قيل انما ذم لانه طلب الدنيا فى صورة الهجرة فاظهر العبادة للعقبى ومقصوده الحقيقى ما كان الا الدنيا فاستحق الذم لمشابهته أهل النفاق ولذا قال الحسن البصرى لما رأى بهلوانا يلعب على الحبل هذا أحسن من أصحابنا فانه يأكل الدنيا بالدنيا وأصحابنا يأكلون الدنيا بالدين وقال ابن عبدالسلام متى اجتمع باعث الدنيا والآخرة فلا ثواب مطلقا للخبر الصحيح أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه غيرى فانا منه برىء هو للذى أشرك وقال الغزالى يعتبر الباعث فان غلب باعث الآخرة أثيب أو باعث الدنيا أو استويا لم يثب قال ابن حجر يؤخذ من قول الشافعى وأصحابه من حج بنية التجارة كان ثوابه دون ثواب المتخلى عنها أن القصد المصاحب للعبادة ان كان محرما كالرياء أسقطها مطلقا وهو محمل الحديث المذكور كما يصرح به لفظه أو غير محرم أثيب بقدر قصده الآخرة أخذا بعموم قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره اه وهو تفصيل حسن وتعليل مستحسن هذا بلسان العلماء أرباب العبارة وأما بلسان العرفاء أصحاب الاشارة فمعناه مجملا أن أعمال ظاهر القالب متعلق بما يقع فى القلوب من أنوار الغيوب والنية جمع الهم فى تنفيذ العمل للمعمول له وأن لا يسنح فى السر ذكر غيره وللناس فيما يعشقون مذاهب ثم نية العوام فى طلب الاغراض مع نسيان الفضل والاعواض ونية الجاهل التحصين عن سوء القضاء ونزول البلاء ونية أهل النفاق التزين عندالناس مع اضمار الشقاق ونية العلماء اقامة الطاعات ونية أهل التصوف ترك الاعتماد على ما يظهر منهم من العبادات ونية أهل الحقيقة ربوبية تولت عبودية وانما لكل امرىء مانوى من مطالب السعداء وهى الخلاص عن الدركات السفلى من الكفر والشرك والجهل والمعاصى والسمعة والرياء والاخلاق الذميمة وحجب الاوصاف والفوز بالدرجات العلى وهى المعرفة والتوحيد والعلم والطاعات والاخلاق المحمودة وجذبات الحق والفناء عن انانيته والبقاء بهويته أو من مقاصد الاشقياء وهى اجمالا ما يبعد عن الحق فمن كانت هجرته أى خروجه من مقامه الذى هو فيه سواء كان استعداده الذى جبل عليه أو منزلا من منازل النفس أو مقاما من مقامات القلب الى الله لتحصيل مراضيه وتحسين الاخلاق والتوجه الى توحيد الذات ورسوله باتباع أعماله واقتفاء أخلاقه والتوجه الى طلب الاستقامة فى توحيد الصفات فهجرته الى الله ورسوله فتخرجه العناية الالهية من ظلمات الحدوث والفناء الى أنوار الشهود والبقاء وتجذبه من حضيض

العبودية الى ذروة العندية و يفنى فى عالم اللاهوت و يبقى بالحى الذى لا يموت و رجع اليه الانس و نزل محلة القدس بدار القرار فى جوارالملک الغفار وأشرقت عليه سبحات الوجه الكريم وحل بقلبه روح الرضا العميم ووجد فيها الروح المحمدى و أحبابا و عرف أن له مثوى ومآب و من كانت هجرته لدنيا أى لتحصيل شهوة الحرص على المال و الجاه أو تحصيل لذة شهوة الفرج فيبقى مهجورا عن الحق فى أوطانٔ الغربة و ديار الظلمة له نار الفرقة و القطيعة نارالله الموقدة التى تطلع على الا فئدة و أنشد بعض المخلصين لبعض المخلطين

يا غافل القلب عن ذكر المنيات * عما قليل ستثوى بين أموات
ان الحمام له وقت الى أجل * فاذكر مصائب أيام و ساعات
لا تطمئن الى الدنيا و زينتها * قدحان للموت ياذا اللب أن ياتى
وكن حريصا على الاخلاص فى عمل * فانما العمل الزاكى بنيات

و قد ورد فى مسند أبى يعلى الموصلى مرفوعا ان الله تعالى يقول للحفظة يوم القيامه اكتبوا لعبدى كذا و كذا من الاجر فيقولون ربنا لم نحفظ ذلک عنه ولا هو فى صحيفتا فيقول انه نواه و نقل الاستاذ أبوالقاسم القشيرى قدس الله سره العلى أن زبيدة رؤيت فى المنام فقيل لها مافعل‌الله بک فقالت غفرلى فقيل لها بكثرة عمارتک الآبار و البرك و المصانع فى طريق مكة و انفاقک فيها فقالت هيهات هيهات ذهب ذلک كله الى أربابه و انما نفعنا منه النيات فغفرلى بها اللهم فأحسن نياتنا ولاتؤاخذنا بدنياتنا و اختم بالخير منياتنا (متفق عليه) أى اتفق البخارى و مسلم على روايته. ويعبر عن هذا القسم بالمتفق عليه أى بما اتفق عليه الشيخان لا بما اتفق عليه الامة لكن اتفاقها عليه لازم ذلک لاتفاقها على تلقى ما اتفقا عليه بالقبول و كذلک أخرجه الاربعة بقية الستة و قيل لم يبق من أصحاب الكتب المعتمد عليها من لم يخرجه سوى مالک ففى الجملة حديث مشهور مجمع على صحته وما ذكره ابن ماكولا وغيره من التكلم فيه لا يلتفت اليه وما قيل انه متواتر غير صحيح فانه لم يروه من طريق صحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم الا عمر ولم يروه عن عمر الا علقمة ولم يروه عن علقمة الا محمد بن ابراهيم التيمى ولم يروه عنه الا يحيى بن سعيد الا نصارى ثم تواتر عنه بحيث رواه عنه أكثر من مائة انسان اكثرهم أئمة و قال جماعة من الحفاظ انه رواه عنه سبعمائة انسان من أعيانهم مالک والثورى والاوزاعى و ابن المبارك و الليث بن سعد و حماد بن زيد و سعيد و ابن عيينة و قد روى هذا الحديث عن عمر تسعة غير علقمة و عن علقمة اثنان غير التيمى و عن التيمى خمسة غير يحيى فالحديث مشهور بالنسبة الى آخره غريب بالنسبة الى أوله ثم اعلم ان جمعا من المحدثين و غيرهم ذهبوا الى أن جميع ما وقع مسندا فى الصحيحين أو أحدهما من الاحاديث يقطع بصحته لتلقى الامة له بالقبول من حيث الصحة وكذا العمل مالم يمنع منه نحو نسخ أو تخصيص و اجماع هذه الامة معصوم عن الخطأ كما قال عليه الصلاة و السلام فقبولها للخبر الغير المتواتر يوجب العلم النظرى و عبارة الاستاذ أبى اسحق الاسفراينى أهل الصنعة مجمعون على أن الاخبار التى اشتمل عليها الصحيحان مقطوع بصحة أصولها و متونها ولا يحصل الخلاف فيها بحال وان حصل اختلاف فذلک اختلاف فى طرقها ورواتها فمن خالف حكمه خبرا منهما و ليس له تأويل سائغ لقضنا حكمه و قال امام الحرمين أجمع علماء المسلمين على صحتهما و قد قال عطاء الاجماع أقوى من الاسناد فاذن أفاد العلم و قال الاكثرون و المحققون صحتهما ظنية لان أخبار هما آحاد و هى لا تفيد الا الظن وان تلقتها الائمة بالقبول لانهم تلقوا بالقبول ما ظنت صحته من غيرهما ولان تصحيح الائمة للخبر المستجمع لشروط الصحة انما هو باعتبار الظاهر. ولان فيهما

نحو مائتى حديث مسند طعن فى صحتها فلم تتلق الامة كلها ما فيهما بالقبول لكن بعض القائلين بالاول استثنوا هذه قال شيخ الاسلام ابن حجر العسقلانى و التحقيق أن الخلاف لفظى لان من أطلق عليهما العلم بالصحة جعله نظريا وهو الناشئ عن الاستدلال و من أبى هذا الاطلاق خص لفظ العلم بالمتواتر وما عداه عنده ظنى و اختلفوا هل يمكن التصحيح و التحسين و التضعيف فى الاعصار المتأخرة واختار ابن الصلاح انه لا يمكن بل يقتصر على ما نص عليه الائمة فى تصانيفهم المعتمدة ورده النووى و تبعوه و أطالوا فى بيان رده و من ثم صحح جماعة من معاصريه كالقطان و الضياء المقدسى ثم المنذرى و الدمياطى طبقة بعد طبقة قيل و لعله انما إختار حسم المادة لئلا يتطفل على ذلك بعض الجهلة قلت و من هذا القبيل اختلافهم هل يمكن لاحد الاجتهاد المطلق فى الازمنة المتأخرة فقيل يمكن وقيل لا والخلاف لفظى لان الامكان أمر عقلى و منعه أمر عادى والله تعالى أعلم

* (كتاب الايمان) *

الكتاب اما مأخوذ من الكتب بمعنى الجمع أو الكتابة و المعنى هذا مجموع أو مكتوب فى الاحاديث الواردة فى الايمان و انما عنون به مع ذكره الاسلام أيضا لا نهما بمعنى واحد فى الشرع و على اعتبار المعنى اللغوى من الفرق يكون فيه اشارة الى أنه الاصل و عليه مدار الفصل وقدمه لزيادة شرفه فى الفضل و لكونه شرطا لصحة العبادات المتقدمة على المعاملات وهو التصديق الذى معه أمن و طمأنينة لغة و فى الشرع تصديق القلب بما جاء من عند الرب فكأن المؤمن يجعل به نفسه آمنة من العذاب فى الدارين أو من التكذيب و المخالفة وهو افعال من الامن يقال أمنت و آمنت غيرى ثم يقال أمنه اذا صدقه و قيل معنى أمنت صرت ذا أمن ثم نقل الى التصديق و يعدى باللام نحو وما أنت بمؤمن لنا وقال فرعون آمنتم له وقد يضمن معنى اعترف فيعدى بالباء نحو يؤمنون بالغيب و اختلف العلماء فيه على أقوال أولها عليه الاكثرون و الاشعرى و المحققون انه مجرد تصديق النبى عليه الصلاة والسلام فيما علم مجيئه به بالضرورة تفصيلا فى الامور التفصيلية واجمالا فى الاجمالية تصديقا جازما و لو لغير دليل حتى يدخل ايمان المقلد فهو صحيح على الاصح و ما نقل عن الاشعرى من عدم صحته رد بانه كذب عليه و الحاصل أن من أعتقد أركان الدين من التوحيد و النبوة و نحو الصلاة فان جوز ورود شبهة تفسد اعتقاده فهو كافر و ان لم يجوز ذلك فهو مؤمن لكنه فاسق بتركه النظر و هذا مذهب الائمة الاربعة و الاكثرين لانه عليه الصلاة والسلام قبل الايمان من غير تفحص عن الادلة العقلية كذا ذكره ابن حجر لكن فى كونه فاسقا بتركه النظر نظر ظاهر فتدبر ثم فهم من قيد مجرد التصديق أنه لا يعتبر معه أعمال الجوارح و من الضرورة أن ما ليس كذلك ككونه تعالى عالما بذاته أو بالعلم الذى هو صفة زائدة على الذات أو مرئيا لا يكفر منكره اجماعا و من الجزم أن التصديق الظنى لا يكفى فى حصول مسمى الايمان و ثانيها انه عمل القلب و اللسان معا فقيل الاقرار شرط لاجراء الاحكام لا لصحة الايمان فيما بين العبد و ربه قال حافظ الدين النسفى و هذا هو المروى عن أبى حنيفة و اليه ذهب أبو منصور الماتريدى و الاشعرى فى أصح الروايتين عنه و قيل هو ركن لكنه غير أصلى بل زائد و من ثم يسقط عند الاكراه و العجز و لهذا من صدق و مات فجأة على الفور فانه مؤمن اجماعا قال بعضهم و الاول مذهب المتكلمين و الثانى مذهب الفقهاء و الحق انه ركن عند المطالبة به و شرط لاجراء الاحكام عند عدم المطالبة و يدل عليه قوله تعالى انك لا تهدى من احببت

الآية حيثه أجمع المفسرون على انها نزلت فى أبي طالب و الله أعلم بالمطالب و بهذا يلتئم القولان و الخلافان لفظيان و أما ما نقل عن الغزالى من ان الامتناع عن النطق كالمعاصى التى تجامع الايمان فهو بظاهره خلاف الاجماع فيحمل على الأمتناع عند عدم المطالبة غاية ما فى الباب أنه جعل الاقرار من الواجبات لا شرطا و لا شطرا و ثالثها أنه فعل القلب و اللسان مع سائر الاركان و نقل عن أصحاب الحديث و مالك و الشافعى و أحمد والاوزاعى و عن المعتزلة و الخوارج لكن المعتزلة على أن صاحب الكبيرة بين الايمان و الكفر بمعنى انه لا يقال له مؤمن و لا كافر بل يقال له فاسق مخلد فى النار و الخوارج على أنه كافر و أهل السنة على أنه مؤمن فاسق داخل تحت المشيئة لقوله تعالى ان الله لايغفر أن يشرك به و يغفر مادون ذلک لمن يشاء قالوا و لاتظهر المغايرة بين قول أصحاب الحديث و بين سائر أهل السنة لان امتثال الاوامر و اجتناب الزواجر من كمال الايمان اتفاقا لا من ماهيته فالنزاع لفظى لا على حقيقته و كذلک اختلافهم فى نقصان الايمان و زيادته و كذا اقتران الايمان بالمشيئة و كذا الاختلاف فى أن الايمان مخلوق أو غير مخلوق و كذا التفضيل بين الملک و البشر و محل بسط هذا المرام كتب الكلام

* (الفصل الاول) * (عن عمر بن الخطاب رضى‌الله‌تعالى‌عنه قال بينما نحن عند رسول‌الله صلى‌الله‌عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل) أصله بين فأشبعت الفتحة فقيل بينا و زيدت ما فقيل بينما و هماظرفا زمان بمعنى المفاجأة و يضافان الى الجملة الاسمية تارة و الى الفعلية أخرى و يكون العامل معنى المفاجأة فى اذ فمعنى الحديث وقت حضورنا فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجأنا وقت طلوع ذلک الرجل فبينا ظرف لهذا المقدر و اذ مفعول به بمعنى الوقت كما قال صاحب الكشاف فى قوله تعالى و اذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون أى وقت ذكر الذين من دونه فاجاؤا وقت الاستبشار فنحن مبتدأ و عند ظرف مكان و ذات يوم ظرف لقوله عند باعتبار أن فيه معنى الاستقرار أى بين أوقات نحن حاضرون عنده فنحن مخبر عنه بجملة ظرفية و المجموع صفة المضاف اليه المحذوف و زيادة ذات لدفع توهم التجوز بان يراد باليوم مطلق الزمان لا النهار كما فى قولک رأيت ذات زيد و قيل ذات مقحم و قيل بمعنى الساعة و قيل بين يضاف الى متعدد لفظا كقولک جلست بين القوم أو معنى كقولک جئت بين العشاءين و اذا قصد اضافته الى جملة يزاد ألف أو ما عوضا عن الاوقات التى تقتضيها بين و قيل فائدة المزيدتين انما هي التهيؤ لدخول الجملتين و يجوز دخول اذ فى جوابه كما فى الحديث الصحيح و يجوز تركه كما فى الشعر الفصيح * و بينا نحن نرقبه أتانا * وجاء فى طريق بينما نحن عند رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فى آخر عمره و الحكمة فى تأخير مجيئه الى ما بعد انزال جميع الاحكام تقرير أمور الدين التى بلغها متفرقة فى مجلس واحد لتنضبط و تضبط و قيل مجيئه كان فى السنة العاشرة قبيل حجة الوداع و سبب الحديث ما فى مسلم انه صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال سلونى فهابوا أن يسألوه فجاء جبريل و وقع فى رواية ابن مندة بينا رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يخطب أى يعظ اذ جاء رجل و فى رواية للبخاري كان عليه الصلاة و السلام يوما بارزا للناس و فى أخرى لابى داود كان عليه الصلاة‌والسلام يجلس بين أصحابه فيجئ الغريب فلا يدرى أيهم هو حتى يسأل فطلبنا الى رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أن يجعل لنا مجلسا يعرفه الغريب اذا أتاه قال فبنينا له دكانا أى دكة من طين يجلس عليه و كنا نجلس بجنبه

شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لايرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم .

واستنبط منه القرطبي أنه يسن للعالم الجلوس بمحل مرتفع مختص به اذا احتاج اليه للتعظيم و نحوه ثم الطلوع بمعنى الظهور من كمال النور مستعار من طلعت الشمس و فيه ايماء الى كمال عظمته و علو مرتبته و التنوين فى رجل للتعظيم و يحتمل التنكير لان الراوى حين روايته و ان كان عارفا بانه جبريل لكنه حكى الحال الماضية كما يعلم من قوله لا يعرفه منا أحد و فيه دليل على ان الملك له أن يقتدر بقدرة الله تعالى على التشكل بما شاء قال الله تعالى فتمثل لها بشرا سويا و الحكمة فى اختيار شكل البشر الاستئناس لأن الجنسية علة الضم فالمعنى رجل فى الصورة اذ هو جبريل كما عبر به فى رواية و ما وقع فى رواية النسائى من ان جبريل نزل فى صورة دحية الكلبى معلول بانه وهم من راويه لقول عمر الآتى و لا يعرفه منا أحد نعم كان غالبا يتمثل بصورة دحية لكمال جماله (شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر) باضافة شديد الى ما بعده اضافة لفظية مفيدة للتخفيف فقط صفة رجل و اللام فى الموضعين عوض عن المضاف اليه العائد الى الرجل أى شديد بياض ثيابه شديد سواد شعره و فى نسخة بالتنوين فى الصفتين المشبهتين و رفع ما بعدهما على الفاعلية و فيه استحباب البياض و النظافة فى الثياب و ان زمان طلب العلم أوان الشباب لقوته على تحمل اعبائه و قدرته على تعمل أدائه و قدم البياض على السواد لانه خيرالالوان و محيط بالابدان و لئلا يفتتح بغتة بلون متوحش و جمع الثياب دون الشعر اشعارا بان جميعها كذلك و فى رواية ابن حبان شديد سواد اللحية و بها يتبين محل الشعر المذكور فى الحديث المشهور و الشعر بفتحتين أفصح من سكون الثانى و يضم معه مراعاة للسجع فى قوله (لايرى عليه أثر السفر) روى بصيغةالمجهول الغائب و رفع الاثر و هو روايةالأكثر و الاشهر و روى بصيغة المتكلم المعلوم و نصب الاثر و الجملة حال من رجل أو صفة له و المراد بالآثار ظهور التعب و التغير و الغبار و السفر مأخوذ من السفر و هو الكشف لانه يكشف أحوال الرجال و اخلاقهم عند مباشرةالاعمال (و لايعرفه) عطف على ما قبله (منا) أى من الحاضرين فى المجلس قدم للاهتمام على قوله (أحد) و قال أبو الفضائل على بن عبدالله بن أحمد المصرى المشتهر بزين العرب فى شرحه للمصابيح أى من الصحابة و الا فالرسول صلىاللهعليهوسلم قد عرفه و قال السيد جمال الدين قد جاء صريحا فى بعض الروايات ان النبى صلىاللهعليهوسلم لم يعرفه حتى غاب جبريل كما أفاده الشيخ ابن حجر العسقلانى فى شرحه للبخارى و [illegible] تعجبنا من كيفية اتيانه و ترددنا فى أنه من الملك أو الجن اذ لو كان بشرا من المدينة لعرفه أو كان غريبا لكان عليه أثر السفر فان قيل كيف علم عمر أنه لم يعرفه أحد منهم أجيب بانه يحتملها ثم استند فى ذلك الى ظنه أو الى صريح قول الحاضرين و الثانى أولى فقد جاء كذلك فى رواية [illegible] غياث فنظر القوم بعضهم الى بعض فقالوا ما نعرف هذا كذا قاله الشيخ ابن حجر العسقلانى (حتى جلس) غاية لمحذوف دل عليه طلع أوله لانه بمعنى أتى أى أقبل و استأذن و فى مسندالامامالاعظم عن حماد عن علقمة عن ابن مسعود قال جاء جبريل الى النبى صلىاللهعليهوسلم فى صورة شاب عليه ثياب بياض فقال السلام عليك يا رسول الله فقال رسول الله صلىاللهعليهوسلم و عليكالسلام فقال يا رسول الله أدنو فقال أدن فالتقدير دنا حتى جلس متوجها أى مائلا (الى النبىصلىاللهعليهوسلم) و الجلوس و القعود مترادفان و ما ذكره التوربشتى وغيره أن القعود استعماله مع القيام و الجلوس مع الاضطجاع محمول على انه الاصل أو الغالب و فى رواية حتى برك بين يدى النبى صلىاللهعليهوسلم كما يجلس أحدنا للصلاة

فأسند ركبتيه الى ركبتيه و وضع كفيه على فخذيه و قال يا محمد اخبرني عن الاسلام

وقول زين العرب أى جلس الى جانبه أو معه لايلائمه قوله (فاسند ركبتيه الى ركبتيه) أى ركبتي رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لان الجلوس على الركبة أقرب الى التواضع والادب وايصال الركبة بالركبة أبلغ فى الاصغاء و أتم فى حصول حضور القلب و أكمل فى الاستئناس و ألزم لمسارعة الجواب و لان الجلوس على هذه الهيئة يدل على شدة حاجة السائل واذا عرف المسؤل حاجته و حرصه اعتنى و بادر اليه (ووضع كفيه) أى كفى الرجل (على فخذيه) بفتح فكسر وفى القاموس الفخذ ككتف ما بين الساق والورك مؤنث كالفخذ ويكسر أى فخذى الرجل وهو المناسب لهيئة المتعلم بين يدى المعلم أو على فخذى النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم كما فى رواية النسائى وغيره ثم وضع يديه على ركبتى النبى صلى‌الله عليه‌وسلم على ما بينه الشيخ ابن حجر العسقلانى وهو الملائم للتقرب لديه والاصغاء اليه وقصر النظر عليه (وقال يا محمد) قيل ناداه باسمه اذالحرمة تختص بالامة فى زمانه أو مطلقا وهو ملك معلم و يؤيده قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا اذالخطاب للآدميين فلا يشمل الملائكة الا بدليل أو قصدبه المعنى الوصفى دون المعنى العلمى ولم أر من ذكره و أما ما ورد فى الصحاح من نداء بعض الصحابة باسمه فذاك قبل التحريم وقيل آثره زيادة فى التعمية اذ كانوا يعتقدون انه لا يناديه به الا العربى الجلف و يحتمل أن يكون هذا قبل تحريم ندائه صلى‌الله‌عليه‌وسلم باسمه قيل ولم يسلم مبالغة فى التعمية أو بيانا انه غير واجب أو سلم ولم ينقله الراوى وهو الصحيح لما سبق من رواية الامام ومن حفظ حجة على من لم يحفظ ومن ذكره مقدم على من سكت عنه لان معه زيادة علم نعم فى رواية قال السلام عليك يا محمد والجمع بانه جمع بين اللفظين فقال السلام عليك يا محمد السلام عليك يا رسول‌الله ووقع عندالقرطبى أنه قال السلام عليكم يا محمد وأخذ منه أنه يسن للداخل أن يعم بالسلام ثم يخص من شاء بالكلام قال شيخ الاسلام فى فتح البارى والذى وقفت عليه فى الرواية انما فيه الافراد وهو السلام عليك يا محمد أقول وعلى تقدير ثبوته الظاهر من ايراد الجمع ارادة التعظيم لا قصد التعميم فكان القرطبى جعله نظيرا لقوله تعالى يا أيها النبى اذا طلقتم النساء فى كون الخطاب خاصا و الحكم عاما (أخبرنى) أى أعلمنى و صيغة الامر للاستدعاء لما تقرر أن الرسول أفضل من الملائكة العلوية (عن الاسلام) و هو لغة الانقياد مطلقا و شرعا انقياد الظاهر بشرط انقياد الباطن المعبرعنه بالايمان لقوله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا و لكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم و اللام فيه للحقيقة الشرعية ولذلك أجاب عنه بالاركان الخمسة الاسلامية ثم اعلم ان السؤال عن الاسلام و جوابه مقدم على الايمان و جوابه فى صحيح مسلم وكتاب الحميدى و جامع الاصول و رياض الصالحين و شرح السنة بخلاف المصابيح فانه قدم فيه الايمان و التصديق و ان كان مقدما لانه أساس قاعدة الاسلام لكن المقام يقتضى تقديم الاسلام لانه دليل على التصديق وما جاء جبريل عليه السلام الا لتعليم الشريعة وهو عليه‌الصلاة‌والسلام كان يحكم بالظاهر على مقتضى الحكم التدريجية فيبدأ بما هو الاهم و يترقى من الادنى الى الاعلى فيكون الاسلام مقدما على الايمان و الايمان على الاخلاص المعبرعنه بالاحسان و جاء فى رواية للبخارى بتأخير الاسلام عن الايمان لكن عن أبى هريرة لا عن عمر ففى ايراد الحديث بهذا اللفظ اعتراض فعلى من صاحب المشكاة على البغوى فى المصابيح و فى رواية بتوسط الاحسان بينهما فقيل اشارة الى ان محله القلب فذكر فى القلب والا ظهران وجه التوسط أن له تعلقا بكل من الطرفين و قال جماعة من المحققين

قال الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله و تقيم الصلاة و تؤتى الزكاة و تصوم رمضان و تحج البيت ان استطعت اليه سبيلا

ان هذا التقديم و التأخير من الرواة لان القضية واحدة فكان الواقع أمرا واحدا عبر الرواة عنه باساليب مختلفة (قال الاسلام) اعاده و وضعه موضع ضميره ارادة لوضوحه (أن تشهد) أى أيها المخاطب خطابا عاما ولم يقل تعلم لان الشهادة أبلغ فى الانكشاف من مطلق العلم و من ثم لم يكف أعلم عن أشهد فى أداء الشهادة و أن مصدرية و التقدير الاسلام شهادة (أن) وهى مخففة من المثقلة أى انه و الضمير للشان (لااله) لا هى النافية للجنس على سبيل التنصيص على نفى كل فرد من افراده (الاالله) قيل خبر لا و الحق انه محذوف والاحسن فيه لااله معبود بالحق فى الوجود الاالله و لكون الجلالة اسما للذات المستجمع لكمال الصفات و علما للمعبود بالحق قيل لو بدل بالرحمن لايصح به التوحيد المطلق ثم قيل التوحيد هوالحكم بوحدانية الشئ والعلم بها واصطلاحا اثبات ذات الله بوحدانيته منعوتا بالتنزه عما يشابهه اعتقادا فقولا و عملا فيقينا وعرفانا فمشاهدة وعيانا فثبوتا ودواما قال الغزالى للتوحيد لبان و قشران كاللوز فالقشرة العليا القول باللسان المجرد و الثانية الاعتقاد بالقلب جازما واللب أن ينكشف بنور الله سرالتوحيد بان يرى الأشياء الكثيرة صادرة عن فاعل واحد و يعرف سلسلة الاسباب مرتبطة بمسبباتها و لب اللب أن لا يرى فى الوجود الا واحدا و يستغرق فى الواحد الحق غير ملتفت الى غيره (وأن محمدا رسول الله) ايماء الى النبوة وهما أصلان متلازمان فى اقامة الدين ضرورة توقف الاسلام على الشهادتين و ظاهر الحديث يؤيد من قال الاقرار شرط لاجراء الاحكام عليه و فى رواية البخارى أن تعبد الله أى توحده ولا تشرك به شيأ أى من الاشياء أو الاشراك قال المحققون مجرد التوحيد هو الاحتجاب بالجمع عن التفصيل وهو محض الجبر المؤدى الى الاباحة و مجرد اسناد القول و الفعل الى الرسول صلى الله عليه وسلم وسائر الخلق احتجاب بالتفصيل عن الجمع الذى هو صرف القدرة المؤدى الى التعطيل أو الثنوية و الجمع بينهما هوالحق المحض قال فى العوارف الجمع اتصال لا يشاهد صاحبه الا الحق فمن شاهد غيره فما ثم جمع و التفرقة شهود لما شاهد بالمباينة فقوله آمنا بالله جمع وما أنزل الينا تفرقة اه وكذا قوله اياك نعبد تفرقة و اياك نستعين جمع والاول رد على الجبرية و الثانى حط على القدرية و قال الجنيد القرب بالوجد جمع و غيبته فى البشرية تفرقة وكل جمع بلا تفرقة زندقة وكل تفرقة بلا جمع تعطيل و حسبنا الله و نعم الوكيل (و تقيم) أى و أن تقيم (الصلاة) أى المعهودة شرعا و فى رواية لمسلم المكتوبة تنبيها على ان النافلة وان كانت من الاسلام لكنها ليست من أركانه يعنى بان تؤديها و تحفظ شروطها و تعدل أركانها و تداوم عليها ولذا لم يقل و تصلى (و تؤتى الزكاة) أى و أن تعطيها و فيه اشارة الى أنه لابد فيها من التمليك وهى مأخوذة من زكى بمعنى طهر ونما و هو اسم للقدر المخرج من النصاب لانه يطهر المخرج أو المخرج عنه ويزيد البركة و فى رواية للبخارى و مسلم تقييدها بالمفروضة و الظاهر انها للتاكيد (و تصوم) بالنصب (رمضان) أى فى شهره و فيه جواز ذكره بلا كراهة من غير ذكر شهر وهو المعتمد و هو من رمض اذا احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر و سمى به لارتماضهم من حرالجوع أو من حرارة الزمان الذى وقع فيه أو لانه يحترق به الذنوب و تنمحى به العيوب أولانه يزول معه حرارة الشهوات و الصوم لغة الامساك و شرعا امساك مخصوص بوصف مخصوص (و تحج البيت) أى الحرام فأل فيه للعهد أو هو اسم جنس غلب على الكعبة علما و اللام فيه جزء كما فى النجم و الحج لغة القصد

أو تكراره مطلقا او الى معظم و شرعا قصد بيت الله فى وقت معين بشرائط مخصوصة (ان استطعت اليه) أى الى البيت أو الى الحج أى ان أمكن لك الوصول اليه بان وجدت زادا و راحلة كما فى حديث صححه غير واحد (سبيلا) تمييز عن نسبة الاستطاعة فاخر عن الجار ليكون أوقع وهى الطريق الذى فيه سهولة و تستعمل فى كل ما يتوصل به الى شئ و تنكيره للعموم اذ النكرة فى الاثبات قد تفيد العموم كما ذكره الزمخشرى فى قوله تعالى علمت نفس لكنه مجاز و تقديم اليه عليه للاختصاص أى سبيلا ما على أى وجه كان قريبا أو بعيدا و نحوهما بشرط اختصاص انتهائه اليه لاالى غيره و قيل سبيلا مفعول بمعنى موصل أو مبلغ قال الشافعى انه بالمال و أوجب الاستنابة على الزمن الغنى و قال مالك انه بالبدن فيجب على من قدر على المشى والكسب فى الطريق و قال أبو حنيفة انه بمجموع الامرين ثم الاستطاعة هى القدرة من طاع لك اذا سهل يطلق على سلامة الاسباب و صحة الآلات وهى قد تتقدم على الفعل و على عرض فى الحيوان يفعل به الافعال الاختيارية ولا يكون الا مع الفعل وهى كما فسرت استطاعة خاصة بالمعنى الاول فلا يرد ما قيل ان الاستطاعة التى بها يتمكن المكلف من فعل العبادة مشروطة فى الكل فكيف خص الحج بها قال الطيبى فان قلت كيف خص الحج بالاستطاعة دون سائرالاركان الاسلامية مع أن الاستطاعة التى بها يتمكن المكلفون من فعل الطاعة مشروطة فى الكل أجيب بان المعنى بهذه الاستطاعة الزادوالراحلة وكان طائفة لا يعدونها منها و يثقلون على الحاج فنهوا عن ذلك أو علم الله تعالى ان ناسا فى آخر الزمان يفعلون ذلك فصرح تسهيلا على العباد و مع ذلك ترى كثيرا من الناس لا يرفعون لهذا النص الجلى رأسا و يلقون أنفسهم بأيديهم الى التهلكة أقول و لعل فى هذا حكمة وهى أن تكون حجة على الأغنياء التاركين للحج رأسا مع ان الله تعالى أعطاهم مالا و أثاثا و ايراد الافعال المضارعية لافادة الاستمرار التجددى لكل من الاركان الاسلامية ففى التوحيد المطلوب الاستمرار الدائم مدةالحياة و فى الصلاة دونه ثم فى الصوم و الزكاة دونها و قدم الصوم لتعلقه بجميع المكلفين و أخر ما وجب فى العمر مرة و فى فتح البارى فان قيل السؤال عام لانه سئل عن ماهيةالاسلام و الجواب خاص بقوله أن تعبد و تشهد و كذا قال فى الايمان أن تؤمن و فى الاحسان أن تعبد فالجواب أن ذلك لنكتة الفرق بين المصدر وان والفعل لان أن والفعل يدل على الاستقبال و المصدر لا يدل على الزمان على ان فى رواية قال شهادة أن لااله الاالله اه و قيل الاولى فى الجواب أن يقال القصد التعليم و هو انما يتعلق بالامور المستقبلة فلذلك عدل عن المصدر المناسب للسؤال الى ما يدل على الاستقبال و يسنح بالبال و الله أعلم بحقيقة الحال أن العدول عن المصدر المفيد للعلم الى المضارع المقتضى للعمل ايماء الى أنه لا يكفى مجرد المعرفة من غير أن يخرج من القوة الى الفعل و بنحو هذا العدول يعلم بلوغ بلاغته الى أعلى الغايات و أعلى النهايات و وقع فى رواية حذف الحج و فى أخرى حذف الصوم و فى أخرى الاقتصار على الشهادتين و فى أخرى على الصلاة و الزكاة و لا تخالف لان بعض الرواة ضبط ما لم يضبطه غيره ذهولا أو نسيانا كذا قيل أو يقال لكل وجهة فحذف الحج لان وجوبه نادر و فى العمرمرة و حذف الصوم اكتفاء بذكر الصلاة فان كلامنهما عبادة بدنية و الاقتصار على الشهادتين لانهما أساس الاسلام و على الصلاة و الزكاة لانهما عمدة العبادة البدنية و المالية و المقصود ظاهر الطاعة و الانقياد و العبادة لا استيفاء أفرادها و ان كانت الخمسة هى معظم أركانها فالمراد بذكر بعضها مثلا هو التنبيه على بقيتها و لذا ورد فى رواية و تعتمر و تغتسل من الجنابة و تتم الوضوء فيحمل الاختلاف اللفظى على التحديث المعنوى ثم اعلم أن لكل من تلك الاركان ظاهرا تبين أحكامه فى الكتب الفقهية

و باطنا من حقائق و اسرار ذكرها أرباب القلوب الامناء لاسرار الغيوب فنحن نذكر نبذة منها أما التوحيد فهو ظهور فناء الخلق بتشعشع أنوارالحق و له مراتب كما ذكره ذووا لمناقب (الاولى) التوحيد النظرى ان علم بالاستدلال أو التقليدى ان اعتقد بمجرد تصديق المخبر الصادق و سلم القلب من الشبهة و الحيرة و الريب و هو أن يعتقد أن الله متفرد بوصف الالوهية متوحد باستحقاق العبودية يحقن الدماء و الاموال و يتخلص من الشرك الجلى فى الاحوال (الثانية) التوحيد العلمى و هو ان يصير العبد بخروجه من غشاوة صفاته و خلاصه من سجن ظلمات ذاته و انسلاخه عن لباس الاختيار حيران فى أنوار عظمة الجبار ولهان تحت سبحات سطوات الانوار فيعرف أن الموجد المحقق و المؤثر المطلق هو الله تعالى و ان كل ذات فرع من نور ذاته و كل صفة من علم و قدرة و ارادة و سمع و بصر عكس من أنوار صفاته و أثر من آثار أفعاله و منشؤه نورالمراقبة و هو دون المرتبة الحالية لكن مزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون و عند ذلك ينفى من الظلمة الوجودية و يرتفع بعض من الشرك الخفى (الثالثة) التوحيد الحالى و هو أن يصير التوحيد وصفا لازما لذات الموحد يتلاشى ظلمات رسوم وجود الغير الا قليلا فى غلبة اشراق نور التوحيد و استتارنور حاله فى نور علم التوحيد كاستتار نور الكواكب فى نور الشمس فلما استتار الصبح أدرج ضوءه نور الكواكب و استغراقه فى مشاهدة جمال وجود الواحد بحيث لا يظهر عند شهوده الا ذات الواحد و يرى التوحيد صفة الواحد لا صفته بل لايرى ذلك قال الجنيد التوحيد معنى يضمحل فيه الرسوم و يندرج فيه العلوم و يكون الله كما لم يزل (الرابعة) التوحيد الالهى و هو أن الله تعالى كان فى الازل موصوفا بالواحدانية فى الذات و الاحدية فى الصفات كان و لم يكن معه شئ و الآن كما كان كل شئ هالك الا وجهه و لم يقل يهلك لان عزة وحدانيته لم تدع لغيره وجودا و فى هذا المعنى أنشد العارف الانصارى لنفسه شعرا

ما وحد الواحد من واحد * اذ كل من وحده جاحد

توحيد من ينطق عن نعته * عارية أبطلها الواحد

توحيده اياه توحيده * و نعت من ينعته لاحد

و أما الصلاة فقد قيل كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم معراجان معراج فى عالم الحس من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثم الى عالم الملكوت و محل الملأ الاعلى و معراج فى عالم الارواح من الشهادة الى الغيب و من الغيب الى غيب الغيب فلما أراد أن يرجع قال الرب تبارك و تعالى المسافر اذا عاد الى وطنه أتحف أصحابه و ان تحفة أمتك الصلاة الجامعة بين المعراجين الجسمانى بالآداب و الافعال و الروحانى بالاذكار و الاحوال و لهذا و رد الصلاة معراج المؤمن و أما الصوم فصوم الشريعة منافعه أكثر من أن تحصى و لو لم يكن الا التشبه بالملأ الاعلى لكفى به فضلا و صوم الطريقة فهو الامساك عن الاكوان و الافطار بمشاهدة الرحمن

صمت عن غيره. فلما تجلى * كان لى شاغل عن الافطار

و أما الزكاة فهى اشارة الى تزكية أحوال الظاهر و الباطن بترك الاموال و صرفها الى أسباب الوصول الى الاحوال و تخلية القلب عن الاغيار و تخلية الروح لظهور تجليات الانوار و أما الحج فهو اشارة الى وجوب زيارة بيت الجليل على الخليل ان استطاع اليه السبيل بان وجد شرائط السلوك و امكانه و آداب السفر و أركانه وهى الاحرام بالخروج عن الرسوم و العادات و التجرد عن المألوفات و التوجه الى الله تعالى بصفاء الطويات و الوقوف بعرفات المعرفة و العكوف على عتبة جبل الرحمة و الطواف بالخروج عن الاطوار السبعية بالاطواف السبعية حول كعبة الربوبية و السعى بين صفا الصفات و مروة المروات

قال صدقت فعجبنا له يسأله و يصدقه قال فأخبرنى عن الايمان قال أن تؤمن با لله و ملا ئكته

و الحلق بمحو آثار العبودية بموسى الانوار الالهية وقس عليه سائر المناسک ولله درالقائل الناسک

يا من الى وجهه حجى و معتمرى * ان حج قوم الى ترب و أحجار

لبيک لبيک من قرب و من بعد * سرا بسر و اضمارا با ضمار

(قال صدقت) دفعا لتوهم أن السائل ما عده من الصواب و حملا للسامعين على حفظ الجواب (فعجبنا له) أى للسائل (يسأله و يصدقه) التعجب حالة للقلب تعرض عند الجهل بسبب الشئى فوجه التعجب ان السؤال يقتضى الجهل غالبا بالمسؤل عنه و التصديق يقتضى علم السائل به لان صدقت انما يقال اذا عرف السائل ان المسؤل طابق ما عنده جملة و تفصيلا و هذا خلاف عادة السائل و مما يزيد التعجب أن ما أجابه صلى‌الله‌عليه‌وسلم لا يعرف الا من جهته و ليس هذا الرجل ممن عرف بلقائه صلى‌الله‌عليه‌وسلم فضلا عن سماعه منه و فى رواية لما سمعنا قول الرجل صدقت أنكرناه و فى رواية أخرى أنظروا هو يسأله و يصدقه كأنه أعلم منه و فى أخرى ما رأينا رجلا مثل هذا كأنه يعلم رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول له صدقت صدقت قيل هو من صنيع الشيخ اذا امتحن المعيد عند حضور الطلبة ليزيدوا طمأنينة و ثقة فى انه يعيد الدرس و يلقى المسئلة من الشيخ بلا زيادة و نقصان و فيه نسخة من قوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هوالاوحى يوحى علمه شديد القوى (قال فاخبرنى عن الايمان) و فى رواية ما الايمان واستشكلت بان ما للسؤال عن الماهية فالجواب غير مطابق و رد بانه عليه الصلاةوالسلام علم منه أنه انما سأل عن متعلقات الايمان لانها الاحق بالتعليم ولان التصديق فى ضمنها والاظهر أنه لا فرق بين الروايتين والمطابقة حاصلة فى الجهتين لان الايمان فى (قال أن تؤمن) أريد به المعنى اللغوى و قيل المعنى الشرعى حتى لا يكون تفسير الشئى بنفسه ولا يكون الدور فى تعريفه و قول الطيبى أى تعترف ولذا عدى بالباء فيه أن الاعتراف من أجزاء الاسلام فالتحقيق أن الايمان هنا بمعنى التصديق وهو يتعدى بالباء ففى القاموس آمن به ايمانا أى صدقه نعم لو ضمن معنى الاعتراف لكان حسنا و يكون التقدير أن تصدق معترفا أو تعترف مصدقا فيفيدكون الاقرار شطرا أو شرطا قيل و الحديث يدل على مغايرة العمل للايمان فانه أجاب عن الاسلام ثم عن الايمان و جعله تصديقا (بالله) أى بتوحيد ذاته و تفريد صفاته و بوجوب وجوده و بثبوت كرمه و جوده و سائر صفات كماله من مقتضيات جلاله و جماله قيل الصفة اما حقيقية لا يتوقف تصورها على شئى كالحياة أو اضافية يتوقف على ذلک كالوجوب و القدم أو وجودية وهى صفات الاكرام أو سلبية وهى صفات الجلال و تنحصر الوجودية فى ثمانية نظمها الشاعر فى قوله

حياة و علم قدرة و ارادة * كلام و ابصار وسمع مع البقا

قال ابن الصلاح هذا الحديث بيان أصل الايمان وهو التصديق والاسلام وهو الانقياد وحكم الاسلام يثبت بالشهادتين و انما أضاف اليهما الاعمال المذكورة لانها أظهر شعائره ثم قيل الايمان قد يطلق على الاسلام كما فى حديث عبد قيس و اسم الاسلام يتناول أصل الايمان وهو التصديق و الطاعات فان كل ذلک استسلام فعلم ألنهما يجتمعان و يفترقان و ان كل مؤمن مسلم من غير عكس و هذا التحقيق موافق لمذهب جماهير العلماء اه و المشهور انهما مترادفان فى الشرع لقله ابن عبدالبر عن الاكثرين لان انقياد الظاهر لا ينفع بدون انقياد الباطن وكذا العكس و الحق أن الخلاف لفظى لان مبنى الاول على الحكم الدنيوى و مدار الثانى على الامر الاخروى أوالاول بناؤه على اللغة و الثانى مداره على

الشريعة وصنف فى المسئلة امامان كبيران وأكثرا من الادلة على أنهما متغايران أومترادفان وتكافأ فى ذلك وقيل التحقيق انهما مختلفان باعتبار المفهوم متحدان فى المصداق والله أعلم ثم التصديق اذعان النفس وقبولها بما يجب قبوله وهو تقليدى وتحقيقى والتحقيقى اما استدلالى أو ذوقى والذوق اما كشفى واقف على حد العلم أو الغيبى أو غيبى غير واقف عليه و الغيبى اما مشاهدة أو شهود والاول هوالاعتقاد الجازم المطابق الممتنع الزوال و الثانى الاعتقاد الجازم الثابت بالبرهان و الثالث الممتنع الزوال الثابت بالوجدان والثلاثة مراتب الايمان بالغيب والاخيران علم اليقين والرابع هوالمشاهدة الروحانية مع بقاء الاثنينية ويسمى عين اليقين و الخامس هوالشهود الحقانى عند تجلى الوحدة الذاتية و زوال الاثنينية و يسمى حق اليقين هذا و ان للايمان وجوداغيبيا ووجودا ذهنياو وجود الفظيا أما الاول فهو ما أشار اليه الشيخ الكبير أبوعبدالله الشيرازى فى معتقده من أنه نوريقذف فى القلب من نور الذات و معناه ان أصله نور يقذفه الحق من ملكوته الى قلوب عباده فيباشر أسرارهم وهو متصل بالحضرة ثابت فى قلوبهم فاذا انكشف جمال الحق له ازداد ذلك النور فيتقوى الى أن ينبسط و ينشرح الصدر و يطلع العبد على حقائق الاشياء و يتجلى له الغيب و غيب الغيب و يظهر له صدق الانبياء . و ينبعث من قلبه داعية الاتباع فينضاف الى نور معرفته أنوار الاعمال والاخلاق نور على نور يهدالله لنوره من يشاء و ذلك القذف والكشف يتعلق بمراد الله فى أحايين نسيم الصفات لا يقدر على كسبه نعم شرائطه مكتسبة وأما الوجود الذهنى فملاحظة ذلك النور و مطالعته بالتصديق و أما الوجود اللفظى فهو الشهادتان و كما أن ايمان العوام هوالتصديق بالجنان والاقرار باللسان و العمل بالاركان فايمان الخواص عزوب النفس من الدنيا وسلوكه طريق العقبى و شهود القلب مع المولى و ايمان خواص الخواص ملازمة الظاهر و الباطن فى طاعة الله و انابة الخلق الى الفناء فى الله و اخلاص السر للبقاء بالله ذوقناالله (و ملائكته) جمع ملأك وأصله مألك بتقديم الهمزة من الالوكة وهى الرسالة قدمت اللام على الهمزة و حذفت الهمزة بعد نقل حركتها الى ما قبلها فصار ملك ولما جمعت ردت الهمزة وقيل قلبت ألفا و قدمت اللام و جمع على فعائل كشمأل و شمائل ثم تركت همزة المفرد لكثرة الاستعمال و ألقيت حركتها الى اللام و التاء لتأنيث الجمع أو مزيدة لتأكيد معناه أطلقت بالغلبة على الجواهر العلوية النورانية المبرأة عن الكدورات الجسمانية وهى وسائط بين الله و بين أنبيائه و خاصة أصفيائه و قال بعضهم هى أجسام لطيفة نورانية مقتدرة على تشكلات مختلفة يجوز عليهم الصعود و النزول والتسبيح لهم بمنزلة النفس متنافسة التكليف منتفية والمعنى لعتقد بوجودهم تفصيلا فيما علم اسمه منهم ضرورة كجبريل و ميكائيل و اسرافيل و عزرائيل و اجمالا فى غيرهم و انهم عباد مكرمون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وان منهم كراما كاتبين و حملة العرش المقربين وان لهم أجنحة مثنى و ثلاث و رباع و انهم منزهون عن وصف الانوثة والذكورة وأما كون الرسل أفضل منهم أوهم فلا يجب اعتقاد أحدهمافان المسئلة ظنية فان قلت ما الموجب لدخول الايمان بها فى مفهوم الايمان الصحيح مع أن المقصود بالذات معرفة المبدأ والمعاد فأجيب بأن الناس ينقسم الى فطن يرى المعقول كالمحسوس و يدرك الغائب كالمشاهد وهم الانبياء والى من الغالب عليهم متابعة الحس و متابعة الوهم فقط وهم أكثر الخلائق فلا بد لهم من معلم يدعوهم الى الحق و يذودهم عن الزيغ المطلق و يكشف لهم المغيبات ويحل عن عقولهم الشبهات وما هوالا النبى المبعوث لهذا الامر وهو وان كان مشتعل القريحة يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار يحتاج الى نور يظهر له الغائب وهو الوحى والكتاب ولذلك سمى القرآن نورا ولا بد له من حامل و موصل وهو الملك المتوسط واليه الاشارة بقوله الا من ارتضى من

رسول فانه يسلک من بين يديه و من خلفه رصدا فالمراد لا يصير مؤمنا الا اذا تعلم من النبى ما يحققه بارشاد الكتاب الواصل اليه بتوسط الملک ان له الها واجب الوجود فائض الجود الى غير ذلک مما يثبت بالشرع (وكتبه) أى و نعتقد بوجود كتبه المنزلة على رسله تفصيلا فيما علم يقينا كالقرآن و التوراة و الزبور و الانجيل و اجمالا فيما عداه و أنها منسوخة بالقران و أنه لا يجوز عليه نسخ ولا تحريف الى قيام الساعة لقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر و انا له لحافظون و أما كون كلام الله تعالى غير مخلوق ففيه اختلاف بين المعتزلة و أهل السنة قيل الكتب المنزلة مائة و أربعة كتب منها عشر صحائف نزلت على آدم و خمسون على شيث و ثلاثون على ادريس و عشرة على ابراهيم والاربعة السابقة و أفضلها القرآن (ورسله) بان تعرف انهم بلغوا ما أنزل الله اليهم و انهم معصومون و تؤمن بوجودهم فيمن علم بنص أو تواتر تفصيلا و فى غيرهم اجمالا وهذا الحديث يدل على ترادف الرسول و النبى فانه كما يجب الايمان بالرسل يجب بالانبياء وعن الامام أحمد عن أبى أمامة قال أبو ذر قلت يارسول الله كم وفاء عدة الانبياء قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل من ذلک ثلاثمائة و خمسة عشر جما غفيرا اه وهو ظاهر فى التغاير و عليه الجمهور فى الفرق بينهما بأن النبى انسان بعثه الله ولو لم يؤمر بالتبليغ والرسول من أمر به فكل رسول نبى ولا عكس فلعل وجه التخصيص ان الرسول هوالمقصود بالذات فى الايمان من حيث انه مبلغ وان الايمان بالانبياء انما يعرف من جهة تبليغ الرسل فانه لا تبليغ للانبياء والله أعلم و هذا لاينافى قوله تعالى ولقد أرسلنا رسلا من قبلک منهم من قصصنا عليک و منهم من لم نقصص عليک لان المنفى هوالتفصيل والثابت هو الاجمال أو النفى مقيد بالوحى الجلى والثبوت متحقق بالوحى الخفى فان قلت ما فائدة ذكر ما بعد الرسل وما قبلهم مع أن الايمان بهم المستلزم للايمان بجميع ما جاؤا به يستلزم الايمان بجميع ذلک قلت التنبيه على الترتيب الواقع فان الله تعالى أرسل الملک بالكتاب الى الرسول لمعرفة المبدأ و المعاد و ان الخير و الشر يجريان على العباد بمقتضى ما قدره و قضاه و أراده ولهذا قدم الملائكة لا لكونهم أفضل من الرسل لانه مختلف ولا من الكتب اذ لم يقل به أحد و هذا الترتيب مما يقتضيه حكمة عالم التكليف و الوسائط والا فمقام لى مع الله وقت لا يسعنى فيه ملک مقرب ولا نبى مرسل معلوم لنبينا صلى الله عليه وسلم اذ فيه اشارة الى تمكينه فى وقت كشوف المشاهدة واستغراقه فى بحر الوحدة حيث لا يبقى فيه أثر البشرية و الكونين و هذا محل استقامته فى مشهد التمكين الذى أخبر الله عنه بقوله فكان قاب قوسين أو أدنى و ليس هناك مقام جبريل و جميع الكروبيين ولا مقام الصفى و الخليل و من دونهم من الانبياء و كان أكثر أوقاته كذلک لكن يرده الله الى تأديب أمته فى بعض الاوقات ليجرى عليهم أحكام التلوين و لا يذوب فى أنوار كبرياء الازل (و اليوم الآخر) أى يوم القيامة لانه آخر أيام الدنيا و هو الاحسن ليشمل أحوال البرزخ فانه آخر يوم من أيام الدنيا و أول يوم من أيام الآخرة و لانه مقدمته أو لانه أخر عنه الحساب و الجزاء و قيل هو الابد الدائم الذى لا ينقطع لتأخره عن الاوقات المحدودة و ذلک بأن تؤمن بوجوده و بما فيه من البعث الجسمانى و الحساب و الجنة و النار و غير ذلک مما جاءت به النصوص و فى رواية البخارى و البعث الآخر فهو تأكيد كأمس الذاهب أو لافادة تعدده فان الاول هو الاخراج من العدم الى الوجود أو من بطون الامهات الى الدنيا و الثانى البعث من بطون القبور الى محل الحشر و النشور و فى أخرى له و بلقائه و تؤمن بالبعث فاللقاء الانتقال الى دار الجزاء

و البعث بعث الموتى من قبور هم و ما بعده من حساب و ميزان و جنة و نار و قد صرح بهذه الاربعة في رواية و قيل اللقاء الحساب و قيل رؤية الله تعالى و قيل المراد بالبعث بعثة الانبياء (و تؤمن) أي و أن تؤمن (بالقدر) بفتح الدال ويسكن ما قدره الله وقضاه واعادة العامل اما لبعد العهد كقول الشاعر

لقد علم الحي اليماني انني * اذا قلت أما بعد انى خطيبها

أو لشرف قدره و تعاظم أمره وقع فيه الاهتمام لانه محار الافهام و مزال الاقدام و قد علم عليه الصلاة و السلام أن الامة سيخوضون فيه و بعضهم يتفوهه فاهتم بشأنه ثم قرره بالابدال بقوله (خيره و شره) أي نفعه و ضره و زيد في رواية و حلوه و مره فان البدل توضيح مع التوكيد المفيد للتعميم لتكرير العامل و عندي أن اعادة العامل هنا أفادت ان هذا المؤمن به دون ما سبق فان من أنكر شيأ مما تقدم كفر بخلاف من أنكر هذا فانه لا يخرجه عن دائرة الاسلام فيكون بمنزلة التذييل و التكميل و أما قول ابن الملك خيره و شره بدل بعض فغير ظاهر الا أن يقال باعتبار كل من المعطوف و المعطوف عليه و الاظهر أنه بدل الكل و الرابطة بعد العطف و المعنى تعتقد أن الله قدر الخير و الشر قبل خلق الخلائق و ان جميع الكائنات متعلق بقضاء الله مرتبط بقدره قال تعالى قل كل من عند الله و هو مريد لها لقوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام و من يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء فالطاعات يحبها و يرضاها بخلاف الكفر و المعاصي قال تعالى ولا يرضى لعباده الكفر و الارادة لا تستلزم الرضا ثم القضاء هو الحكم بنظام جميع الموجودات على ترتيب خاص في أم الكتاب أولا ثم في اللوح المحفوظ ثانيا على سبيل الاجمال و القدر تعلق الارادة بالاشياء في أوقاتها و هو تفصيل قضائه السابق بايجادها في المواد الجزئية المسماة بلوح المحو والاثبات كما يسمى الكتاب بلوح القضاء و اللوح المحفوظ بلوح القدر في وجه هذا تحقيق كلام القاضي و لما كان الايمان بالقدر مستلزما للايمان بالقضاء لم يتعرض له و ذكر الراغب ان القدر هو التقدير و القضاء هو التفصيل فهو أخص و مثل هذا بأن القدر ما أعد للبس و القضاء بمنزلة اللبس و يؤيده ما ذكره الحكيم الترمذي كان في البدء علم ثم ذكر ثم مشيئة ثم تدبير ثم مقادير ثم اثبات في اللوح ثم ارادة ثم قضاء فاذا قال كن فكان على الهيئة التي علم فذكر ثم شاء فدبر ثم قدر ثم أثبت ثم قضى فعلم منه أنه ما من شئ من حيث استقام في العلم الازلي الى أن استقام في اللوح ثم استبان الايتعلق به أمور من الله تعالى قال بعض العارفين ان القدر كتقدير النقاش الصورة في ذهنه و القضاء كرسمه تلك الصورة للتلميذ بالاسرب و وضع التلميذ الصبغ عليها متبعا لرسم الاستاذ هو الكسب و الاختيار و هو في اختياره لا يخرج عن رسم الاستاذ كذلك العبد في اختياره لا يمكنه الخروج عن القضاء و القدر و لكنه متردد بينهما هذا و القدرية فسروا القضاء بعلمه بنظام الموجودات و أنكروا تأثير قدرة الله تعالى في أفعال المخلوقات و معتقد أهل السنة و الجماعة أن أفعال العباد خيرها و شرها مخلوقة لله تعالى مرادة له و مع ذلك هي مكتسبة للعباد لان لهم نوع اختيار في كسبها و ان رجع ذلك في الحقيقة الى ارادته و خلقه و لا يسئل عما يفعل و هم يسئلون و هذا أوسط المذاهب و أعدلها و أوفقها للنصوص فهو الحق و الصواب خلافا للجبرية القائلين بأن العباد مجبورون على أفعالهم اذ يلزمهم أن لا تكليف و من اعترف منهم بهذا اللازم فهو كافر بخلاف من زعم أن سلب قدرة العبد من أصلها انما هو تعظيم لقدرة الله تعالى عن أن يشركه فيها أحد بوجه فانه مبتدع و خلافا للقدرية النافين للقدر و هم المعتزلة القائلون بأن العبد يخلق أفعال نفسه و ان قدرة الله تعالى لا تؤثر فيها و أن ارادته لا تتعلق بها لاستقلال قدرة العبد بالايجاد و التأثير في أفعاله اذ يلزمهم ان له تعالى شركاء في ملكه سبحانه فمن اعتقد حقيقة الشركة قصدا فقد كفر أو تنزيه

الله تعالى عن الفعل القبيح فهو مبتدع روى انه كتب الحسن البصرى الى الحسن بن على رضى الله عنهم يسأله عن القضاء و القدر فكتب اليه الحسن بن على من لم يؤمن بقضاء الله و قدره خيره و شره فقد كفر و من حمل ذنبه على ربه فقد فجر و ان الله تعالى لا يطاع استكراها و لا يعصى بغلبة لانه تعالى مالک لما ملكهم و قادر على ما أقدرهم فان عملوا بالطاعة لم يحل بينهم و بين ما عملوا و ان عملوا بالمعصية فلوشاء لحال بينهم و بين ما عملوا فان لم يفعل فليس هو الذى جبرهم على ذلک و لو جبرالله الخلق على الطاعة لاسقط عنهم الثواب و لو جبرهم على المعصية لاسقط عنهم العقاب و لو أهملهم كان ذلک عجزا فى القدرة و لكن له فيهم المشيئة التى غيبها عنهم فان عملوا بالطاعة فله المنة عليهم و ان عملوا بالمعصية فله الحجة عليهم و السلام فهذه رسالة يظهر عليها أنوار مشكاة النبوة و الرسالة ثم اعلم أن الايمان بالقدر يستلزم العلم بتوحيد ذات الحق لان اتيان المقدورات و احكامها على ما هو حقها فى أزمنة و أمكنة مخصوصة تدل على توحد الحكم بتقديرها المقتضى لتوحد المقدر و العلم بصفاته كسعة علمه و رحمته على العالمين و آثار قدرته وحكمته للمخلوقين و نفوذ قضائه فيهم و العلم بكمال صنعه و أفعاله و ان الحوادث مستندة الى الاسباب الالهية فيعلم أن الحذر لا يقطع القدر و لا ينازع أحدا فى طلب شئى من اللذات و لا يأس بها اذا وجدها و لا يغضب بسبب فوت شئى من المطالب و لا بوقوع شئى من المهارب قال الله تعالى لكيلا تحزنوا على ما فاتكم و لا تفرحوا بما آتاكم و ورد فى الحديث ما أصابک لم يكن ليخطئک و ما أخطاک لم يكن ليصيبک فيكون مستسلما للحق فيما أراده من القضاء المطلق و حسن الخلق مع سائر الخلق قال بعض العارفين ان الله قدر وجود مخلوقاته لمظاهر تجلى أسمائه و صفاته فلكل منها مقدار مقدر لمظاهر تجلى ما علمه الله له من الاسماء و الصفات مما يليق به و هو مستعد له و بذلک يسبح له كما قال و ان من شئى الا يسبح بحمده و لكل ذرة لسان ملكوتى ناطق بالتسبيح و التحميد تنزيها لصانعه و حمدا له على ما أولاه من مظهر يتها للصفات الجمالية و الجلالية فالاشياء كلها مقادير لاسماء الله تعالى و صفاته دون ذاته فانه لا يسعها الا قلب المؤمن لايسعنى أرضى و لاسمائى و لكن يسعنى قلب عبدى المؤمن و لذا قيل قلب المؤمن عرش الله و قال أبو يزيد قدس سره لو وقع العالم الف ألف مرة فى زاوية من زوايا قلب العارف ما أحس به (قال صدقت قال فاخبرنى عن الاحسان) قيل أى المعهود ذهنا فى الآيات القرآنية من قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى و هل جزاء الاحسان الاالاحسان و أحسنوا ان الله يحب المحسنين و الاظهر ان المراد به فى الآيات ما اشتمل على الايمان و الاسلام و غيرهما من الاعمال و الاخلاق و الاحوال و المراد فى الحديث المعنى الاخص فقيل أراد به الاخلاص فانه شرط فى صحة الايمان و الاسلام معالان من تلفظ بالكلمة و جاء بالعمل من غير نية الاخلاص لم يكن ايمانه صحيحا قاله فى النهاية فكان المخلص فى الطاعة يوصل الفعل الحسن الى نفسه و المرائى يبطل عمل نفسه و الاخلاص تصفية العمل من طلب عوض و غرض عرض و رؤية رياء و الاظهر أن المراد به احسان العمل و هو احكامه و اتقانه و هو يشمل الاخلاص و ما فوقه من مرتبة الحضور مع الله و نفى الشعور عما سواه و يدل عليه الجواب (قال أن تعبد الله) أى توحده و تطيعه فى اوامره و زواجره و فى رواية أن تخشى الله و مآلهما واحد لان العبادة أثر الخشية وهى منتجة للعبادة و هى الطاعة مع الخضوع و المذلة قال الراغب العبادة فعل اختيارى مناف للشهوات البدنية تصدر عن نية يراد بها التقرب الى الله تعالى طاعة للشريعة و قال بعض

المحققين و هي الغاية القصوى من ابداع الخلق و ارسال الرسل و كلما ازداد العبد معرفة ازداد عبودية و لذا خص الانبياء و أولو العزم بخصائص في العبادة و لا ينفك العبد عنها ما دام حيا بل في البرزخ عليه عبودية أخرى لما سأله الملكان عن ربه و دينه و نبيه و في القيامة يوم يكشف عن ساق و يدعون الى السجود و اذا دخل الجنة كانت عبوديته سبحانك اللهم مقرونا بانفاسه و في كلام الصوفية ان العبادة حفظ الحدود و الوفاء بالعهود و قطع العلائق و الشركاء عن شرك و الفناء عن مشاهدتك في مشاهدة الحق وله ثلاث مراتب لانه اما أن يعبده رهبة من العقاب و رغبة في الثواب وهو المسمى بالعبادة و هذه لمن له علم اليقين أو يعبده تشوقا بعبادته وقبول تكاليفه وتسمى بالعبودية وهذه لمن له عين اليقين أو يعبده لكونه الهاو كونه عبداوالالهية توجب العبودية و تسمى بالعبودة و هذه لمن له حق اليقين و الشرك رؤية ضرا ونفع مما سواه و اثبات و جود غيرالله ذاتا أو صفة أو فعلا (كأنك تراه) مفعول مطلق أى عبادة شبيهة بعبادتك حين تراه أو حال من الفاعل أى حال كونك مشبها بمن ينظر الى الله خوفا منه و حياء و خضوعا و خشوعا و أدبا و صفاء و وفاء و هذا من جوامع الكلم فان العبد اذا قام بين يدى مولاه لم يترك شيأ مما قدر عليه من احسان العمل ولايلتفت الى ما سواه و هذا المعنى موجود في عبادة العبد مع عدم رؤيته فينبغى أن يعمل بمقتضاه اذ لا يخفى أن من يرى من يعمل له العمل يعمل له أحسن ما يمكن عمله ولاشك أن ذلك التحسين لرؤية المعمول له العامل حتى لوكان العامل يعلم أن المعمول له ينظر اليه من حيث لا يراه يجتهد في احسانه العمل أيضا ولذا قال (فان لم تكن تراه) أى تعامله معاملة من تراه (فانه يراك) أى فعامل معاملة من يراك أو فأحسن في عملك فانه يراك و في رواية فان لم تره أى بأن غفلت عن تلك المشاهدة المحصلة لغاية الكمال فلا تغفل عما يجعل لك أصل الكمال فان مالا يدرك كله لا يترك كله بل استمر على احسان العبادة مهما أمكن فانه يراك أى دائما فاستحضر ذلك لتستحيى منه حتى لا تغفل عن مراقبته ولا تقصر في احسان طاعته و حاصل الكلام فان لم تكن تراه مثل الرؤية المعنوية فلا تغفل فانه يراك فالفاء دليل الجواب و تعليل الجزاء لان ما بعدها لا يصلح للجواب لان رؤيةالله للعبد حاصلة سواء رآه العبد أم لا بل الجواب محذوف استغناء عنه بالمذكور لانه لازمه و قيل التقدير فكن بحيث انه يراك وهو موهم قال السيد جمال الدين و ليس معناه فان لم تكن تعبدالله كأنك تراه فاعبده كأنه يراك كما ظن فانه خطأبين اه و أراد به الرد على الطيبى و بيانه ان روية الله تعالى لنا متحققة دائما حالة العبادة و غيرها فالتعبير بكأنه يراك خطأ و الصواب فانه يراك و وهم بعضهم أيضا فقال بعد قوله كأنك تراه أى كأنك تراه و يراك فحذف الثانى لدلالة الاول عليه وهو غلط قبيح لما تقدم فالصواب أن يقال وهو يراك و حاصل جميع الاقوال الحث على الاخلاص في الاعمال و مراقبة العبد ربه في جميع الاحوال قال بعض العارفين الاول اشارة الى مقام المكاشفة و معناه اخلاص العبودية و رؤية الغير بنعت أدراك القلب عيان جلال ذات الحق و فنائه عن الرسوم فيه و الثانى الى مقام المراقبة في الاجلال و حصول الحياء من العلم باطلاع ذى الجلال قيل المعنى فان لم تكن بأن تكون فانيا تراه باقيا فانه يراك في كل حال من غير نقصان و زوال وما قيل من أنه لا يساعده الرسم بالالف فمدفوع بحمله على لغة أو على اشباع حركة أو على حذف مبتدأ وهو أنت و جازحذف الفاء من الجملة الاسمية الواقعة موقع الجزاء و المعنى أن تعبدالله في حال شعورك بوجودك لقوله تعالى و اعبد ربك

حتى يأتيک اليقين أى الموت باجماع المفسرين فاذا فنيت و مت موتا حقيقيا تراه رؤية حقيقية و ترتفع العبادات التكليفية و التكلفية و اذا مت موتا مجازيا ودخلت فى حال الفناء و بقيت فى مقام البقاء تراه رؤية مشاهدة غيبية تسقط عنک ثقل العبادات البدنية أو نفس الاعمال الظاهرية عند غلبات الجذبات الباطنية و قوله فانه يراك متعلق بالكلام السابق وان كان له تعلق ما أيضا باللاحق و انما أطنبت فى المقام لتخطئة بعض الشراح فى ذلک الكلام ولا ينافيه ما ورد فى بعض الروايات فانک ان لا تراه فانه يراك و فى بعضها فان لم تره فانه يراك فان القائل بما تقدم ما ادعى المراد من الحديث المؤدى بالعبارة بل ذكر معنى يؤخذ من فحوى الكلام بطريق الاشارة قيل و فى قوله كأنک تراه دليل لما هوالحق من أن رؤية الله تعالى فى الدنيا لا تقع لحديث مسلم و اعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا قال الامام مالک لان البصر فى الدنيا خلق للفناء فلم يقدر على رؤية الباقى بخلافه فى الآخرة فانه لما خلق للبقاء الابدى قوى و قدر على نظر الباقى سبحانه فرؤيته صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء بعين رأسه على القول به اما على أنه مستثنى و اما لكونه فى الملكوت الاعلى الذى لا يصدق عليه الدنيا و نزاع المعتزلة معروف فى هذه المسئلة هذا و قد جاء فى كثير من الروايات أن جبريل هنا أيضا قال صدقت و لعل بعض الرواة لم يذكره نسيانا أو اختصارا أو اعتمادا على المذكور و فى بعض روايات صحيح مسلم و شرح السنة مسطور و قيل انما لم يقل ههنا صدقت لان الاحسان هو الاخلاص و هو سر من أسرار الله تعالى لا يطلع عليه ملک مقرب ولا نبى مرسل كما جاء فى الحديث المسلسل الربانى الاخلاص سر من أسرارى أودعته قلب من أحببت من عبادى اه وما ذكر أولا هوالاولى (قال فاخبرنى عن الساعة) أى عن وقت قيامها لما فى رواية متى الساعة لا وجودها لانه مقطوع به و قيل لانه علم من قوله السابق و اليوم الآخر وهى جزء من أجزاء الزمان عبر بها عنها وان طال زمنها اعتبارا بأول زمانها فانها تقع بغتة أو لسرعة حسابها أو على العكس لطولها أو تفاؤلا كالمفازة للمهلكة أولانها عندالله كساعة عندالخلق كذا فى الكشاف و الساعة لغة مقدار غير معين من الزمان و عرفا جزء من أربعة و عشرين جزأ من أوقات الليل والنهار قيل و الساعة كما تطلق على القيامة وهى الساعة الكبرى تطلق على موت أهل القرن الواحد وهى الساعة الوسطى كما فى قوله عليه الصلاة والسلام حين سألوه عن الساعة فأشار الى أصغرهم ان يعش هذا لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم اذ المراد انقضاء عصرهم ولذا أضاف اليهم و على الموت وهى الساعة الصغرى و ورد من مات فقد قامت قيامته (قال ما المسؤل عنها) أى عن وقتها قيل حق الظاهر أن يقول ما المسؤل عنه ليرجع الضمير الى اللام أجيب بأنه كما يقال سألت عن زيد المسئلة يقال سألته عنها وهو الاستعمال الاكثر فالضمير المرفوع راجع الى اللام و المجرور الى الساعة وما نافية أى ليس الذى سئل عنها (باعلم من السائل) نفى أن يكون صالحا لان يسئل عنه فى أمر الساعة لانها من مفاتيح الغيب لا يعلمها الاهو وقد قال تعالى أكاد أخفيها قيل أى عن ذاتى مبالغة على سبيل الكناية لما عرف أن المسؤل عنه يجب فى الجملة أن يكون أعلم من السائل فلا يقال لا يلزم من نفى الاعلمية نفى أصل العلم عنها مع أنهما متساويان فى انتفاء العلم بذلک و مساق الكلام يقتضى أن يقول لست أعلم بعلم الساعة منک لكنه عدل ليفيد العموم لان المعنى كل سائل و مسؤل سيان فى ذلک و فى رواية فنكس فلم يجبه ثم أعاد فلم يجبه شيأ ثم رفع رأسه و قال ما المسؤل عنها باعلم من السائل والباء مزيدة لتأكيد النفى قيل وما أفهمه من أنهما

مستويان فى العلم به غير مراد فانهما مستويا ن فى نفى العلم به أو فى العلم بأن الله استأثر به فتعين أن المراد استواؤهما فى القدر الذى يعلمانه منه وهو نفس وجودها و هذا وقع بين عيسى و جبريل أيضا الا ان عيسى كان سائلا و جبريل مسؤلا فانتفض باجنحته فقال ما المسؤل عنها باعلم من السائل رواه الحميدى عن سفيان عن مالك بن مغول عن اسمعيل بن رجاء عن الشعبى فان قلت فلم سأل جبريل عن الساعة مع علمه بأنه لا يعلمها الاهو وما التوفيق بين الآية و بين ما اشتهر عن العرفاء من الأخبار الغيبية كما قال الشيخ الكبير أبو عبدالله فى معتقده و نعتقد أن العبد ينقل فى الاحوال حتى يصير الى نعت الروحانية فيعلم الغيب و تطوى له الارض و يمشى على الماء و يغيب عن الابصار فالجواب أما عن الاول فلتنبيههم بذلك على انه ليس له الجواب عما لا علم له به ولا الاستنكاف من قول لا أدرى الذى هو نصف العلم كما نبههم بما له الجواب عنه مما قد سلف بحسن السؤال الذى هو نصف العلم فتم العلم بذلك و أما عن الثانى فلان للغيب مبادى و لواحق فمباديه لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبى مرسل و أما اللواحق فهو ما أظهره الله على بعض أحبائه لوحة عمله و خرج ذلك عن الغيب المطلق و صار غيبا اضافيا و ذلك اذا تنور الروح القدسية و ازداد نوريتها و اشراقها بالاعراض عن ظلمة عالم الحس و تجلية مرآة القلب عن صدأ الطبيعة و المواظبة على العلم و العمل و فيضان الانوار الالهية حتى يقوى النور و ينبسط فى فضاء قلبه فتنعكس فيه النقوش المرتسمة فى اللوح المحفوظ و يطلع على المغيبات و يتصرف فى أجسام العالم السفلى بل يتجلى حينئذ الفياض الاقدس بمعرفته التى هى أشرف العطايا فكيف بغيرها (قال فاخبرنى عن أماراتها) بفتح الهمزة جمع أمارة أى علامة و فى رواية عن اشراطها و هو جمع شرط بالفتح بمعنى العلامة و المراد شئ من علاماتها الدالة على قربها و لذا قيل أى مقدماتها و قيل صغار أمورها و فى رواية و سأخبرك و فى أخرى و سأحدثك عن أشراطها و جمع بانه ابتدأه بقوله و سأخبرك فقال السائل فاخبرنى و يدل عليه ما فى رواية و لكن ان شئت نبأتك عن أشراطها قال أجل و فى رواية فحدثنى (قال أن تلدالامة ربتها) اى من جملة علاماتها أو احدى أماراتها ولادةالامة مالكها و مولاها و قيل التقدير علاماتها ولادةالامة و رؤية الحفاة فاحتاج الى أن يقول أخبر عن الجمع باثنين لانهما أقله كما عليه جمع و تأنيثها فى هذه الرواية و ان ذكر فى روايات أخر باعتبار التسمية ليشمل الذكور و الاناث أو فرارا من شركة لفظ رب العباد و ان جوز اطلاقه على غيره تعالى بالاضافة دون التعريف لانه من ألفاظ الجاهلية أو أراد البنت فيعرف الابن بالاولى و الاضافة اما لاجل أنه سبب عتقها أو لانه ولد ربها أو مولاها بعد الاب و فسر هذا القول كثير من الناس بان السبى يكثر بعد اتساع رقعة الاسلام فيستولد الناس اماء هم فيكون الولد كالسيد لامه لان ملكها راجع اليه فى التقدير و ذلك اشارة الى قوة الدين و استيلاء المسلمين وهى من الامارات لان بلوغ الغاية منذر بالتراجع و الانحطاط المؤذن بقيام الساعة أو الى أن الاعزة تصير أذلة لان الام مربية للولد مدبرة أمره فاذا صارالولد ربها سيما اذا كان بنتا ينقلب الامر كما ان القرينة الثانية على عكس ذلك وهى أن الاذلة ينقلبون أعزة ملوك الارض ليتلاءم المعطوفان و هذا اخبار بتغير الزمان و انقلاب أحوال الناس بحيث لا يشاهد قبله و يؤيده ما ورد من حديث انه اذا ضيعت الامانة و وسد الامر الى غير أهله فانتظر الساعة و قيل سمى ولدها سيدها لان له ولاءها بارثه له عن أبيه اذا مات أو أنه كسيدها لصيرورة

و ان ترى الحفاة العراة العالة رعاءالشاء يتطاولون فى البنيان

مال أبيه اليه غالبا فتصير أمه كانها أمته و قيل معناه ان الاماء تلدن الملوك فتكون أمه من جملة رعيته و أيد بان الرؤساء فى الصدر الاول كانوا يستنكفون غالبا من وطأ الاماء و يتنافسون فى الحرائر ثم انعكس الامر سيما من أثناء دولة بنى العباس و يقرب منه القول بان السبى اذا كثر قد يسبى الولد صغيرا ثم يعتق و يصير رئيسا بل ملكا ثم يسبى أمه فيشتريها عالما أو جاهلا بها ثم يستخدمها و قد يطؤها أو يعتقها و يتزوجها و قيل معناه فساد الاحوال بكثرة بيع أمهات الاولاد فتردد فى أيدى المشترين حتى يشتريها ابنها أو يطأها و هو لا يعلم و يؤيده رواية بعلها و ان فسر بسيدها و قيل معناه الاشارة الى كثرة عقوق الاولاد فيعامل الولد أمه معاملة السيد أمته من الخدمة وغيرها و خص بولدالامة لان العقوق فيه أغلب و عبر فى رواية البخارى باذا بدل أن المفتوحة اشارة الى تحقق الوقوع و لذلك قالوا يقال اذا قامت القيامة و لا يقال ان بالكسر لانه كفر لاشعاره بالشك قال ابن حجر و فى جزمهم بان ذلك كفر نظر و يتعين حمله على من عرف هذا المعنى و اعتقده و الا فكثيرا ما يستعمل ان موضع اذا و بالعكس لاغراض بينت فى علم المعانى (و ان ترى) خطاب عام ليدل على بلوغ الخطب فى العلم مبلغا لا يختص به رؤية راء (الحفاة) بضم الحاء جمع الحافى و هو من لا نعل له (العراة) جمع العارى و هو صادق على من يكون بعض بدنه مكشوفا مما يحسن و ينبغى أن يكون ملبوسا (العالة) جمع عائل و هو الفقير من عال يعيل اذا افتقر أو من عال يعول اذا افتقر و كثر عياله (رعاء الشاء) بكسر الراء و المد جمع راع كتاجر و تجار و الشاء جمع شاة و الاظهر انه اسم جنس و فى رواية الابل البهم بضم الباء أى السود و هو بجر الميم و رفعها وصفا للرعاة جمع بهيم فيكون كناية عن جهلهم و انه لا يعرف لهم أصل من أبهم الامر اذا لم يعرف حقيقته و قال القرطبى الاولى حمله على سواد اللون لان الادمة غالب ألوان العرب أو للابل جمع بهماء اذ السود شرها عند هم و خيرها عند هم الحمر و من ثم ورد خير من حمر النعم و فى رواية البهم بفتح الباء و لا وجه له مع ذكر الابل بل مع حذفه الذى هو رواية مسلم اذ هو جمع بهمة وهى صغار الضأن و المعز و رجحت هذه على تلك لان رعاء الغنم أضعف أهل البادية بخلاف رعاء الابل فانهم أهل فخر و خيلاء (يتطاولون فى البنيان) أى يتفاضلون فى ارتفاعه و كثرته و يتفاخرون فى حسنه و زينته و هو مفعول ثان ان جعلت الرؤية فعل البصيرة أو حال ان جعلتها فعل الباصرة و معناه ان أهل البادية و أشباههم من أهل الفاقة تبسط لهم الدنيا ملكا أو ملكا فيتوطنون البلاد و يبنون القصور المرتفعة و يتباهون فيها فهو اشارة الى تغلب الاراذل و تذلل الاشراف و تولى الرياسة من لا يستحقها و تعاطى السياسة من لا يستحسنها كما أن قوله أن تلدالامة ربتها اشارة الى عكس ذلك و قيل كلاهما اشارة الى اتساع دين الاسلام فيتناسب المتعاطفان فى الكلام و لعل تخصيصهما لجلالة خطبهما و نباهة شأنهما و قرب و قوعهما و يحتمل أن تكون الاولى ايماء الى كثرة الظلم و الفسق و الجهل و بلوغها مبلغ العليا و الثانية الى غلبة محبة الدنيا و نسيان منازل العقبى و يقال تطاول الرجل اذا تكبر فلا يرد ما ذكره ابن حجر من قوله التفاعل فيه بين افراد العراة الموصوفين بما ذكر لا بينهم و بين غيرهم ممن كان عزيزا فذل خلافا لمن وهم فيه و قال المعنى أن أهل البادية العارين عن القيام بالديانة يسكنون البلاد و يتخذون القصور الرفيعة و يتكبرون على العباد و الزهاد و حاصل الكلام أن انقلاب الدنيا من النظام يؤذن بان لا يناسب فيها المقام فلا عيش الا عيش الآخرة عند العقلاء الكرام كما أنشدت الملكة حرقة بنت النعمان لما سبيت

قال ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال لى ياعمر أتدرى من السائل قلت الله و رسوله أعلم قال فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم

و أحضرت عند سعد بن أبى و قاص

فبينا لسوس الناس و الامر أمرنا * اذا نحن فيهم سوقة نتنصف
فأف لدنيا لا يدوم نعيمها * تقلب تارات بنا و تصرف

فهنيئا لمن جعل الدنيا كساعة و اشتغل فيها بالطاعة قياما بأمر الحبيب فان كل ما هو آت قريب قال تعالى اقترب للناس حسابهم و هم فى غفلة معرضون مايأتيهم من ذكر من ربهم محدث الااستمعوه و هم يلعبون (قال) أى عمر (ثم انطلق) أى السائل (فلبثت) أى أنا و فى رواية فلبث أى هو (مليا) بفتح الميم و تشديد الياء من الملاوة اذا لمهموز بمعنى الغنى أى زمانا أو مكثا طويلا و بينته رواية أبى داود و النسائى و الترمذى قال عمر فلبثت ثلاثا و فى رواية للترمذى فلقينى النبى صلى الله عليه وسلم بعد ثلاث و فى أخرى فلبثت ليالى فلقينى النبى صلى الله عليه وسلم بعد ثلاث و فى أخرى لا بن حبان بعد ثالثة و فى أخرى لا بن منده بعد ثلاثة أيام و فى ورود هذه الروايات رد على من وهم أن رواية ثلاثا مصحفة من رواية مليا و المعنى انى لم أستخبر منه عليه الصلاة والسلام مهاية و فى شرح مسلم و هذا مخالف لرواية أبى هريرة من انه عليه الصلاة والسلام ذكره فى المجلس اللهم الا أن يقال ان عمر لم يحضر فى الحال بل قام فأخبر الصحابة ثم أخبر عمر بعد ثلاثة أيام (ثم قال لى يا عمر أتدرى) أى أتعلم و فى العدول نكتة لا تخفى (من السائل) أى ما يقال فى جواب هذا السؤال (قلت الله و رسوله أعلم) لان الامارات السابقة و التعجب أوقعهم فى التردد أ هو بشر أم ملك و هذا القدر يكفى فى الشركة على أن اسم التفضيل كثيرا يرادبه أصل الفعل من غير شركة (قال فانه جبريل) أى اذا فوضتم العلم الى الله ورسوله فانه جبريل على تأويل الاخبار أى تفويضكم ذاك سبب للاخبار به و قرينة المحذوف قوله الله و رسوله أعلم فالفاء فصيحة لانها تفصح عن شرط محذوف و أكد الكلام لان السائل طالب متردد و فى رواية ردوه فأخذوا ليردوه فما رأوا شيأ قال القاضى و جبريل ملك متوسط بين الله و رسله و من خواص الملك أن يتمثل للبشر فيراه جسما اه قيل و السر فى التوسط ان المكالمة تقتضى مناسبة بين المتخاطبين فاقتضت الحكمة توسط جبريل ليتلقف الوحى بوجهه الذى فى عالم القدرة من الله سبحانه تلقفا روحانيا أو من اللوح و يلقيه بوجهه الذى فى عالم الحكمة الى النبى صلى الله عليه وسلم فربما ينزل الملك الى صورة البشر و ربما يرتقى النبى صلى الله عليه وسلم و قد يرتقى الى المرتبة الملكية و يتعرى عن الكسوة البشرية فيرد الوحى على القلب فى لبسة الجلال و أبهة الكبرياء و الكمال و يأخذ بمجامعه فا ذا سرى عنه وجد المنزل ملقى فى الروع كما فى المسموع و هذا معنى قوله أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عنى و قد وعيت ما قال و أحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فاعى ما يقول ثم جبريل بكسر الجيم و فتحها مع كسر الراء بعدها ياء و بفتحها و همزة مكسورة مع ياء و تركها أربع لغات متواترات والاول أشهر و أكثر (أتاكم) استئناف بيان أو خبر لجبريل على أنه ضمير الشان (يعلمكم دينكم) جملة حالية من الضمير المرفوع فى أتاكم أى عازما تعليمكم فهو حال مقدرة لانه لم يكن وقت الاتيان معلما أو مفعول له بتقدير اللام كما فى رواية و المراد تثبيتهم على علمهم و تقريره بطريق السؤال و الجواب ليتمكن غاية التمكن فى نفوسهم لان المحصول بعد الطلب أعز من المنساق بلا تعب و اسناد التعليم اليه مجاز

رواه مسلم ورواه أبو هريرة مع اختلاف وفيه واذا رأيت الحفاة العراة الصم البكم ملوك الارض فى خمس

لانه السبب و أضاف الدين اليهم لانهم المختصون بالدين القيم دون سائر الناس أو الخطاب مخصوص بالصحابة خصوصا أو عموما فان سائر الناس يأخذون دينهم منهم رضى‌الله‌عنهم و فيه ايماء الى ان الايمان والاسلام والاحسان يسمى دينا فقوله تعالى ان الدين عند الله‌الاسلام المراد به الكامل و كذا قوله عزوجل و من يبتغ غيرالاسلام دينا فلن يقبل منه و فى رواية أراد أن تعلموا اذا لم تسألوا و فى أخرى و الذى بعث محمدا بالحق ما كنت باعلم به من رجل منكم و انه لجبريل و فى أخرى ثم ولى فلما لم ير طريقه قال النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم سبحان‌الله هذا جبريل أتاكم ليعلمكم دينكم خذوا عنه فوالذى نفسى بيده ما شبه على منذ أتانى قبل مرتى هذه و ما عرفته حتى ولى (رواه مسلم) أى عن عمر ورواه البخارى فى كتاب الزكاة مع تغيير كذا قاله بعض شراح الاربعين و قال ابن حجر ولم يخرجه البخارى عن عمر لاختلاف فيه على بعض رواته و قال السيد جمال الدين و قد رواه البزار فى مسنده من طريق أنس بن مالك و أبو عوانة الاسفراينى فى صحيحه من طريق جرير بن عبدالله البجلى و النسائى فى سننه من طريق أبى ذر الغفارى و أحمد بن حنبل فى مسنده من طريق ابن عباس و كل واحد من الطرق مشتمل على فوائد غزيرة و فرائد كثيرة لم توجد فى طريق عمر و أبى هريرة و هذا حديث جليل سمى حديث جبريل و أم الاحاديث و أم الجوامع لانه متضمن للشريعة و الطريقة و الحقيقة بيانا اجماليا على الوجه الاتم الذى علم تفاصيلها من السنن النبوية و الشرائع المصطفوية على صاحبها ألوف التحية كما أن فاتحة الكتاب تسمى أم القرآن و أم الكتاب لاشتمالها على المعانى القرآنية و الحكم الفرقانية بالدلالات الاجمالية فحديث انما الاعمال بالنيات بمنزلة البسملة و هذا الحديث بمنزلة الفاتحة المصدرة بالحمدلة و هذا وجه وجيه و تنبيه نبيه لاختيارهما فى صدرالكتاب و مفتتح الابواب (ورواه أبو هريرة) أى هذا الحديث أيضا (مع اختلاف) أى بين بعض ألفاظهما (و فيه) أى فى مروى أبى هريرة ردوا على الرجل فأخذوا يرادونه فلم يروا شيأ فأخبرهم انه جبريل ذكره ابن حجر و تقدم الجمع عن النووى مع أن كون هذا الاخبار فى المجلس غير صريح فلا ينافى ما تقدم من اعلام عمر بعد ثلاثة أيام فى الصحيح و فيه أيضا (واذا رأيت الحفاة العراة الصم) أى عن قبول الحق (البكم) أى عن النطق بالصدق جعلوا لبلادتهم و حماقتهم و عدم تمييزهم كانه أصيبت مشاعرهم مع كونها سليمة تدرك ما ينتفعون به (ملوك الارض) منصوب على انه مفعول ثان لرأيت أو على أنه حال و المراد بأولئك أهل البادية لما فى رواية قال ما الحفاة العراة قال العريب مصغرالعرب (فى خمس) هو فى موضع النصب على الحال أى تراهم ملوك الارض متفكرين فى خمس كلمات اذ من شأن الملوك الجهال التفكر فى أشياء لا تعنيهم ولا تغنيهم أو متعلق بأعلم أى ما المسؤل عنها بأعلم من السائل فى علم خمس فان العلم بها مختص به تعالى و فيه اشارة ظاهرة الى ابطال الكهانة و التنجيم و نحوهما من كل ما فيه تسور على علم شئى كلى أو جزئى من هذه الخمس و ارشاد للامة و تحذير لهم عن اتيان من يدعى علم الغيب لقوله تعالى قل لا يعلم من فى السموات و الارض الغيب الاالله فان قلت قد أخبر الانبياء والاولياء بشئى كثير من ذلك فكيف الحصر قلت الحصر باعتبار كلياتها دون جزئياتها قال تعالى فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول بناء على اتصال الاستثناء الذى هوالاصل و أخرج أحمد عن ابن مسعود أوتى نبيكم علم كل شئى سوى هذه الخمس و أخرجه عن ابن عمر بنحوه مرفوعا و قال القرطبى من ادعى علم شئى منها غير مستند اليه عليه‌الصلاة‌والسلام كان كاذبا فى دعواه قال

لا يعلمهن الا الله ثم قرأ ان الله عنده علم الساعة و ينزل الغيث الآية متفق عليه

و أما ظن الغيب فقد يجوز من المنجم و غيره اذا كان عن أمر عادى و ليس ذلك بعلم و قد نقل ابن‌عبدالبر الاجماع على تحريم أخذ الاجرة و الجعل و اعطائها فى ذلك اه و يؤيده ما أخرجه حميد بن زنجويه أن بعض الصحابة ذكر العلم بوقت الكسوف قبل ظهوره فانكر عليه فقال انما الغيب خمس وتلا هذه الآية و ماعدا ذلك غيب يعلمه قوم و يجهله قوم اه و ماذكره بعض الاولياء من باب الكرامة باخبار بعض الجزئيات من مضمون كليات الآية فلعله بطريق المكاشفة أو الالهام أو المنام التى هى ظنيات لا تسمى علوما يقينيات و قيل الجار متعلق بمقدر أى ذكرالله ذلك فى خمس أوتجد ذلك فى خمس و قيل فى بمعنى مع و قيل بمعنى من أى من جملة خمس و قيل هو مرفوع المحل على الخبرية أى الساعة ثابتة أو معدودة فى خمس و يؤيده رواية هى فى خمس من الغيب أى علم وقت الساعة مندرج فى جملة خمس كلمات (لا يعلمهن الا الله) كما افاده تقديم عنده فى الآية الآتية اذ الظرف خبر مقدم لافادة الحصر لان تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر و عطف ينزل و ما بعده بتقدير أن المصدرية على الساعة و جملة وما تدرى المقصود منهما اثبات ذلك المنفى عن الغير فيهما لله تعالى و هذا كله انما يحتاج اليه ان لم يفسر الخمس بمفاتيح الغيب فى قوله تعالى و عنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو و أما اذا فسرت بها فالحصر جلى لا يحتاج الى الاستدلال عليه و اعلم ان الجواب تضمن زيادة على السوال اهتماما بذلك و ارشادا للامة لما يترتب على ذلك من المصلحة الكثيرة الفوائد العظيمة العوائد (ثم قرأ) أى النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم (ان الله عنده علم الساعة) أى آية تلك الخمس بكمالها كما دل عليه السياق بيانا لها و يحتمل أن يكون فاعل قرأ أباهريرة فتكون الآية استشهادا و مصداقا للحديث (و ينزل الغيث) قرئ بالتشديد و التخفيف أى وهو ينزل المطر الذى يغيث الناس فى أمكنته و أزمنته لا يعلمها الا هو (الآية) من قول احد الرواة بالنصب على تقدير أعنى أو يعنى أو اقرأ أو قرأ أو على أنه بدل مما قبله و بالرفع أى الآية معلومة مشهورة اذا قرأها و قيل بالجر و التقدير قرأ أو اقرأ الى الآية أى آخرها و فى رواية لمسلم الى خبير و أخرى للبخارى الى الارحام والاولى أولى لان فيها زيادة ثقة و افادة و الروايتان تدلان على أن لفظة الآية ليست من قول المصنف كما ظن بعضهم و تمامها و يعلم ما فى الارحام أى و هو يعلم تفصيل ما فى أرحام الاناث من ذكر أو أنثى و واحد و متعدد وكامل و ناقص و مؤمن وكافر و طويل و قصير و غير ذلك قال‌الله‌تعالى الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام أى تنقص وما تزداد أى من مدة الحمل و الجثة و العدد وكل شئى عنده بمقدار أى بقدر وحد لا يتجاوزه و عدل عن العلم فى قوله وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت لان الدراية اكتساب علم الشئى بحيلة فاذا انتفى ذلك عن كل نفس مع كونه مختصابها ولم يقع منه على علم كان عدم اطلاعها على غير ذلك من باب أولى و المراد بالنفس ذات النفس أو ذات الروح و بهذين المعنيين لا يجوز اطلاق النفس على الله‌تعالى ولذا قيل بالمشاكلة فى قوله تعالى تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك و أما اذا أريد بها الذات المطلق فيصح اطلاقه على الله‌تعالى كما ورد سبحانك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ان الله عليم أى بهذه الاشياء من جزئياتها وكلياتها خصوصا و بغيرها عموما خبير أى بباطنها كما أنه عالم بظاهرها أو معناه يخبر ببعضها من جزئياتها لبعض عباده المخصوصين و قد أخبر فى مواضع كتابه أن علم الساعة مما استأثر الله‌تعالى به و فى رواية ثم أدبر فقال ردوه فلم يروا شيأ (متفق عليه) أى اتفق الشيخان على مروى أبى هريرة

الذی فیه هذه الزیادة لکن استدرکه میرک و قال الا أن البخاری لم یقل الصم البکم ملوک الارض بل قال فی کتاب الایمان و اذا تطاول رعاة الابل البهم فی البنیان و فی کتاب التفسیر واذا کان الحفاة العراة رؤس الناس فذلک من اشراطها و أخرجه أبو داود و النسائی بمعناه (و عن) أی وروی عن (ابن عمر رضی‌اللہ‌عنہما) أسلم مع أبیه بمکة وهو صغیر و أول مشاهده الخندق علی الصحیح وکان من أهل الورع و العلم و الزهد قال جابر ما من أحد الا مالت به الدنیا و مال بها ما خلا عمر و ابنه عبداللہ وقال نافع مامات ابن عمر حتی أعتق ألف انسان أو زاد ولد قبل الوحی بسنة ومات سنة ثلاث وسبعین بعد قتل ابن‌الزبیر بثلاثة أشهر وکان أوصی ان یدفن فی الحل فلم یقدر علی ذلک من أجل الحجاج و دفن بذی طوی فی مقبرة المهاجرین وکان الحجاج قد أمر رجلا فسم زج رمحه و زاحمه فی الطریق و وضع الزج فی ظهر قدمه و ذلک أن الحجاج خطب یوما و أخر الصلاة فقال ابن عمر ان الشمس لاتنتظرک فقال له الحجاج لقد هممت ان أضرب الذی فی عینک قال لا تفعل فانک سفیه مسلط و قیل انه أخفی قوله ذلک عن الحجاج و لم یسمعه وکان یتقدمه فی المواقف بعرفة و غیرها الی المواضع التی کان النبی صلی‌اللہ‌علیہ‌وسلم وقف فیها وکان ذلک یعز علی الحجاج و الحاصل أنه کان یخاف علیه ان یدعی الخلافة فحصل له الشهادة وله أربع و ثمانون سنة روی عنه خلق کثیر (قال قال رسول‌اللہ صلی‌اللہ علیہ‌وسلم بنی الاسلام) هو اسم للشریعة دون الایمان و قد یطلق علی الاذعان بالقلب و الاستسلام بجمیع القوی و الجوارح فی جمیع الاحوال و هو الذی أمر به ابراهیم علیه الصلاة‌والسلام حیث قال له أسلم و هذا أخص من الاول و المراد به الاسلام الکامل لان حقیقته مبنیة علی الشهادتین فقط و انما اقتصر علی بیان ارکانه مع ایماء الی بقیة شعب ایمانه فلا یتوجه ما قیل انما یصح الحدیث علی مذهب الشافعی و غیره من أن الاسلام عبارة عن مجموع الثلاث (علی خمس) أی خمس دعائم کما فی روایة أو خصال أو قواعد و فی روایة لمسلم بالتاء أی خمسة أشیاء أو أرکان أو أصول و انما جازهنا لحذف المعدود شبهت حالة الاسلام مع أرکانه الخمس علی وجه الدوام بحال خباء أقیم علی خمسة أعمدة و قطبها الذی تدور علیه الارکان هی الشهادة الناشئة عن صمیم القلب الشاهد علیه لفظ الشهادة المشبهة بالعمود الوسط للخیمة و بقیة شعب الایمان بمنزلة الاوتاد للخباء قال الحسن رضی‌اللہ‌عنہ فی مجمع شهود جنازة للفرزدق ما اعددت لهذا المقام فقال شهادة أن لااله‌الااللہ منذ کذا سنة فقال الحسن هذا العمود فاین الاطناب و هو تمثیل شبه‌الاسلام بخیمة عمودها کلمة التوحید و الاطناب الاعمال الصالحة (شهادة أن لااله‌الااللہ) بالجر و هو الاشهر علی أنه عطف بیان أو بدل من خمس بدل کل و هو مجموع المجرورات المتعاطفة من کل و یصح أن یکون بدل بعض مع ملاحظة الربط قبل العطف لعدم الرابط و بالنصب علی تقدیر أعنی و بالرفع علی أنه خبر مبتدأ محذوف و هو هی أو احداها أو علی أنه مبتدأ خبره محذوف أی منها شهادة أن لااله‌الااللہ و أن مخففة و لا نافیة للجنس و اله اسمها رکب معها ترکیب خمسة عشر ففتحته فتحة بناء لا اعراب خلافا للزجاج حیث زعم أنه نصب بها لفظا و خبرها محذوف اتفاقا تقدیره موجود ان أرید بالاله المعبود بحق و الا فتقدیره معبود بحق و الا حرف استثناء وقیل بمعنی غیر وهی مع ما بعدها صفة اله و خبره محذوف و جوز نصب الجلالة نعتا لاله علی أن الا بمعنی غیر و قیل علی الاستثناء و اللہ مرفوع علی البدلیة من ضمیر الخبر المستتر فیه و قیل بدل من اسم لا باعتبار محله قبلها و قیل علی أنه خبر لا

(و أن محمدا عبده) أى الكامل (و رسوله) أى المكمل و لتلازم الشهادتين شرعا جعلتا خصلة واحدة و اقتصر فى رواية على احدى الشهادتين اكتفاء أو نسيانا قيل و أخذ من جمعهما كذلك فى أكثر الروايات انه لا بد فى صحة الاسلام من الاتيان بهما على التوالى و الترتيب (و اقام الصلاة) أى المفروضة و حذفت تاء الاقامة المعوضة عن عين الفعل المحذوفة عند الاضافة لطول العبارة هذا هو التحقيق على ما قاله الزجاج وقيل هما مصدران (و ايتاء الزكاة) أى اعطائها و تمليكها لمصارفها و المراد بها الصدقة المكتوبة (و الحج) بفتح الحاء و كسرها مصدران و فى رواية و حج البيت أى قصده لاداء النسك فاللام عوض عن المضاف اليه و قيل اللام للعهد الذهنى و الواو لمطلق الجمع فلا يرد أن الصوم فرض قبل الزكاة وهى قبل الحج و لعل النكتة فى التقديم الذكرى هى الاشارة الى ان العبادة اما بدنية فقط أو مالية فقط أو مركبة منهما أو ايماء الى ان الطاعة المثلثة اما يومية أو سنوية أو عمرية و لم يذكر الاستطاعة لشهرتها أو لاعتبارها فى كل طاعة (و صوم رمضان) أى أيامه بشرائط و أركان معلومة قيل فيه حذف شهر و فيه ان رمضان اسم للشهر و قوله تعالى شهر رمضان اضافته بيانية و قد ورد فى بعض الروايات تقديمه على الحج و كلاهما صحيح لما تقدم و لذا قدم البخارى كتاب الحج على الصوم و الجمهور أخروه عن جميع العبادات لكون وجوبه يتعلق بآخر العمر قال النووى ذكر البخارى هذا الحديث فى مفتتح كتاب الايمان ليبين أن الاسلام يطلق على الافعال و ان الاسلام و الايمان قد يكونان بمعنى واحد و قال ابن حجر وجه ذكر الاربعة الاخيرة مع الشهادتين و ان توقف الدخول فى الاسلام عليهما فقط التنبيه على تعظيم شانها و أنها أظهر شعائر الاسلام اذ بها يتم الاستسلام و بترك بعضها ينحل قيد الانقياد و ان لم يؤد الى كفر حيث لا انكار اجماعا الاماجاء عن أحمد و غيره فى ترك الصلاة فانه لدليل خاص كقوله عليه الصلاة والسلام من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر و لم يذكر الجهاد لانه فرض كفاية الا فى بعض الاحوال و الكلام فى فروض العين التى هى أعظم شعائر الاسلام و لهذا زيد فى آخره فى رواية و أن الجهاد من العمل الحسن قيل وجه الحصر فى تلك الخمسة أن العبادة اما فعل أو ترك الثانى الصوم و الاول أما لسانى و هو الشهادتان أو بدنى و هو الصلاة أو مالى وهو الزكاة أو مالى و بدنى و هو الحج و قدمت الشهادتان لانهما الاصل ثم الصلاة لانها العماد الاعظم و من ثم جاء فى حديث و عمودها الصلاة و فى حديث الصلاة عماد الدين و قال تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر و لذا سميت أم العبادات كما سميت الخمر أم الخبائث ثم الزكاة لانها قرينتها فى مواضع من القرآن و للمناسبة البدنية و المالية فى القرآن ثم الحج لكونه مجمعا للعبادتين و محلا للمشقتين و لان تاركه من غير عذر على مدرجة خاتمة السوء كما يدل عليه الحديث الذى اختلف فى ضعفه و صحته من استطاع الحج فلم يحج فليمت ان شاء يهوديا و ان شاء نصرانيا و يدل على أصالة الحديث قوله تعالى و من كفر فان الله غنى عن العالمين حيث وضع من كفر موضع من لم يحج مع افادة مبالغة التهديد فى قوله عن العالمين حيث عدل عن عنه و أما تأخيره عن الصوم كما فى رواية صحيحة فرعاية للترتيب فان الصوم فرض فى السنة الثانية و الحج فرض سنة خمس أوست أوثمان أوتسع (متفق عليه) ورواه أحمد و أبو داود و الترمذى و النسائى أيضا و الاحاديث الثلاثة المتقدمة من جملة الاحاديث الاربعينية النووية (و عن أبى هريرة رضى الله عنه) تصغير هرة قال المؤلف قد اختلف الناس فى اسم أبى هريرة و نسبه اختلافا كثيرا و أشهر ما قيل فيه أنه كان فى الجاهلية عبد شمس أو عبد عمرو و فى الاسلام

عبدالله أو عبدالرحمن و هو دوسى قال الحاكم أبو أحمد أصح شئ عندنا فى اسم أبى هريرة عبدالرحمن ابن صخر و غلبت عليه كنيته فهو كمن لا اسم له أسلم عام خيبر و شهدها مع النبى صلى الله عليه وسلم ثم لزمه و واظب عليه راغبا فى العلم راضيا بشبع بطنه و كان يدور معه حيثما دار و كان من أحفظ الصحابة قال البخارى روى عنه أكثر من ثمانمائة رجل ما بين صحابى و تابعى فمنهم ابن عباس و ابن عمر و جابر و أنس قيل سبب تلقيبه بذلک ما رواه ابن عبد البرعنه انه قال كنت أحمل يوما هرة فى كمى فرآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه فقلت هرة فقال يا أبا هريرة و فى رواية ابن اسحق وجدت هرة و حملتها فى كمى فقيل لى ما هذه فقلت هرة فقيل لى أنت أبو هريرة و رجح بعضهم الاول و قيل و كان يلعب بها و هو صغير و قيل كان يحسن اليها و قيل المكنى له بذلک والده ثم جرهريرة هو الاصل وصوبه جماعة لانه جزء علم و اختار آخرون منع صرفه كما هو الشائع على ألسنة العلماء من المحدثين و غيرهم لان الكل صار كالكلمة الواحدة و اعترض بانه يلزم عليه رعاية الاصل و الحال معا فى كلمة واحدة بل فى لفظة لان أبا هريرة اذا وقعت فاعلا مثلا فانها تعرب اعراب المضاف اليه نظرا للحال و نظيره خفى وأجيب بان الممتنع رعايتهما من جهة واحدة لا من جهتين كما هنا و كان الحامل عليه الخفة و اشتهار الكنية حتى نسى الاسم الاصلى بحيث اختلف فيه اختلافا كثيرا حتى قال النووى اسمه عبدالرحمن بن صخر على الاصح من خمسة و ثلاثين قولا و بلغ ما رواه خمسة آلاف حديث و ثلثمائة و أربعة وستين و الصحيح أنه توفى بالمدينة سنة تسع و خمسين و هو ابن ثمان و سبعين و دفن بالبقيع وما قيل ان قبره بقرب عسفان لا أصل له كما ذكره السخاوى و غيره (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان) أى ثمراته و فروعه فاطلق الايمان وهو التصديق و الاقرار عليها مجازا لانها من حقوقه ولوازمه (بضع و سبعون) و فى رواية بضعة و الباء مكسورة فيهما و قد تفتح وهى القطعة ثم استعملا فى العدد لما بين الثلاثة و العشرة و فى القاموس هو ما بين الثلاث الى التسع أو الى الخمس أو ما بين الواحد الى الاربعة أو من أربع الى تسع أو هو سبع اه ويؤيده انه جاء فى بعض الروايات سبع و سبعون و الذى فى الاصل هو رواية مسلم جرى عليها أبو داود و الترمذى و النسائى و رواية البخارى بضع و ستون و رجحت بانها المتيقن و صوب القاضى عياض الاولى بانها التى فى سائر الاحاديث و رجحها جماعة منهم النووى بان فيها زيادة ثقات و اعترضه الكرمانى بأن زيادة الثقة ان يزاد لفظ فى الرواية و انما هذا من اختلاف الروايتين مع عدم تناف بينهما فى المعنى اذ ذكر الاقل لا ينفى الاكثر و انه صلى الله عليه وسلم أخبر أولا بالستين ثم أعلم بزيادة فأخبر بها و يجاب بان هذا متضمن للزيادة كما اعترف به الكرمانى فصح ما قاله النووى والاظهر والله أعلم أن المراد به التكثير لا التحديد و يحمل الاختلاف على تعدد القضية ولو من جهة راو واحد و قوله (شعبة) هى فى الاصل غصن الشجر و فرع كل أصل و أريد بها هنا الخصلة الحميدة أى الايمان ذوخصال متعددة و فى رواية صحيحة بضع و سبعون بابا و فى أخرى أربع و ستون بابا أى نوعا من خصال الكمال و فى أخرى ثلاث و ثلاثون شريعة من وافى الله بشريعة منها دخل الجنة وروى ابن شاهين أن الله تعالى مائة خلق من أتى بخلق منها دخل الجنة و فسرت بنحو الحياء و الرحمة و السخاء و التسامح و غيرها من اخلاقه تعالى المذكورة فى أسمائه الحسنى و صفاته العليا (فافضلها) الفاء تفصيلية أو تفريعية و قيل انها جزائية يقال لها الفصيحة أى اذا كان الايمان ذاشعب فافضلها (قول لااله الاالله) أى هذا الذكر فوضع القول موضعه و يؤيده ما ورد بلفظ

أفضل الذكر لا اله الا الله لا موضع الشهادة لانها من أصله لا من شعبه و التصديق القلبى خارج عنها بالاجماع كذا قيل و هو مبنى على جعل الاقرار شطر الايمان و أما على القول بانه شرط فلا مانع من أن يكون المراد بالقول الشهادة لانبائه عن التوحيد المتعين على كل مكلف الذى لا يصح غيره الا بعد صحته فهو الاصل الذى يبنى عليه سائر الشعب أو لتضمنه شرعا معنى التوحيد الذى هو التصديق و التزامه عرفا سائر العبادات على التحقيق ويجوز أن يكون المراد أنه أفضلها من وجه و هو انه يوجب عصمة الدم و المال لا أنه أفضل من كل الوجوه والا يلزم أن يكون أفضل من الصوم و الصلاة و ليس كذلك ويجوز ان يقصد الزيادة المطلقة لا على ما أضيف اليه أى المشهور من بينها بالفضل فى الاديان قوله لا اله الا الله (و أدناها) أى أقربها منزلة و ادونها مقدارا و مرتبة بمعنى أقربها تناولا و أسهلها تواصلا من الدنو بمعنى القرب فهو ضد فلان بعيد المنزلة أى رفيعها و من ثم رواه ابن ماجه مكان أفضلها بلفظ فارفعها و فى رواية فاقصاها أو من الدناءة أى أقلها فائدة لانها دفع أدنى ضرر (اماطة الاذى) أى ازالته و هو مصدر بمعنى المؤذى أو مبالغة. أو اسم لما يؤذى به كشوكة أو حجر أو قذر قال الحسن البصرى فى تفسير الا برار هم الذين لا يؤذون الذر ولا يرضون الضر و فى رواية اماطة العظم أى مثلا (عن الطريق) و فى طريق أهل التحقيق أريد بالاذى النفس التى هى منبع الاذى لصاحبها و غيره فالشعبة الاولى من العبادات القولية و الثانية من الطاعات الفعلية أو الا ولى فعلية و الثانية تركية أو الاولى من المعاملة مع الحق و الثانية من المجاملة مع الخلق أو الاولى من التعظيم لامر الله و الثانية من الشفقة على خلق الله أو الا ولى من القيام بحق الله و الثانية من القيام بحق العباد فمن قام بهما صدقا كان من الصالحين حقا (و الحياء) بالمد (شعبة) أى عظيمة (من الايمان) أى من شعبه و المراد به الحياء الايمانى و هو خلق يمنع الشخص من الفعل القبيح بسبب الايمان كالحياء عن كشف العورة و الجماع بين الناس لا النفسانى الذى جلقه الله فى النفوس و هو تغير و انكسار يعترى المرء من خوف ما يلام و يعاب عليه و انما أفرد من سائر الشعب لانه الداعى الى الكل فان الحيى يخاف فضيحة الدنيا و فظاعة العقبى فينزجر عن المناهى و يرتدع عن الملاهى ولذا قيل حقيقة الحياء ان مولاك لا يراك حيث نهاك و هذا مقام الاحسان المسمى بالمشاهدة الناشئ عن حال المحاسبة و المراقبة فهذا الحديث الجليل مجمل حديث جبريل فافضلها مشير الى الايمان و أدناها مشعر الى الاسلام و الحياء موم الى الاحسان و من ثم قال عليه الصلاة والسلام استحيوا من الله حق الحياء قالوا انا لنستحيى من الله حق الحياء يارسول الله والحمد لله قال ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء ان يحفظ الرأس وما حوى و البطن وما وعى و يذكر الموت و البلى و من أراد الآخرة ترك زينة الدنيا و آثر الآخرة على الاولى فمن يعمل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء رواه الترمذى وصح الحياء خير كله قال ابن حبان تتبعت معنى هذا الحديث مدة و عددت الطاعات فاذا هى تزيد على البضع و السبعين شيأ كثيرا فرجعت الى السنة فعددت كل طاعة عدها رسول الله صلى الله عليه وسلم من الايمان فاذا هى تنقص فضممت ما فى الكتاب و السنة فاذا هى سبع و سبعون فعلمت أنه المراد قال السيوطى قد تكلف جماعة عدها بطريق الاجتهاد يعنى البيضاوى و الكرمانى و غيرهما و أقربهم عدا ابن حبان حيث ذكر كل خصلة سميت فى الكتاب أو السنة ايمانا و قد تبعه شيخ الاسلام أبو الفضل ابن حجر فى شرح البخارى و تبعناهما و ذلك الايمان بالله و صفاته و حدوث ما دونه و بملائكته و كتبه و رسله و القدر و باليوم

الآخر و محبةالله و الحب فی‌الله و البغض فیه و محبة النبی‌صلی‌اللہ‌علیه‌وسلم و اعتقاد تعظیمه و فیه الصلاة علیه و اتباع سنته والاخلاص و فیه ترک الریاء و النفاق و التوبة و الخوف و الرجاء و الشکر و الوفاء و الصبر و الرضا بالقضاء و الحیاء و التوکل و الرحمة و التواضع و فیه توقیر الکبیر و رحمة الصغیر و ترک الکبر و العجب و ترک الحسد و الحقد و ترک الغضب و النطق بالتوحید و تلاوة القرآن و تعلم العلم و تعلیمه و الدعاء و الذکر و فیه الاستغفار و اجتناب اللغو و التطهرحسا و حکما و فیه اجتناب النجاسات وستر العورة و الصلاة فرضا و نفلا و الزکاة کذلک و فک الرقاب و الجود و فیه الا طعام و الضیافة و الصیام فرضا و نفلا و الاعتکاف و التماس لیلة القدر و الحج و العمرة و الطواف و الفرار بالدین و فیه الهجرة و الوفاء بالنذر و التحری فی الایمان و اداء الکفارات و التعفف بالنکاح و القیام بحقوق العیال و برا لوالدین و تربیة الاولاد وصلة الرحم و طاعة السادة و الرفق بالعبید و القیام بالامرة مع العدل و متابعة الجماعة و طاعة أولی الامر والاصلاح بین الناس و فیه قتال الخوارج و البغاة و المعاونة علی البر وفیه الامر بالمعروف و النهی عن المنکر و اقامة الحدود و الجهاد و فیه المرابطة و اداء الامانة و منها الخمس و القرض مع وفائه و اکرام الجار و حسن المعاملة و فیه جمع المال من حله و انفاق المال فی حقه و فیه ترک التبذیر و السرف وردالسلام و تشمیت العاطس و کف الضرر عن لناس و اجتناب اللهو و اماطة الاذی عن الطریق اه ماذکره السیوطی فی کتابه النقایة و أدلتها مذکورة فی شرحها اتمام الدرایة و تجیء فی هذا الکتاب متفرقة ولکن ذکرتها لک بجملة لتتأمل فیها مفصلة فما رأیت نفسک متصفة بها فاشکرالله علی ذلک وما رأیت علی خلافها فاطلب من‌الله التوفیق علی تحصیل ما هنالک لان من وجدت فیه هذه الشعب فهو مؤمن کامل و من نقص منه بعضها فهو مؤمن ناقص و أغرب النووی حیث قال الحدیث نص فی اطلاق اسم الایمان الشرعی علی الاعمال و تعقبه ابن حجر و قال تمسک به القائلون بان الایمان فعل جمیع الطاعات و القائلون بانه مرکب من الاقرار و التصدیق و العمل و لیس کما زعموا لان الکلام فی شعب الایمان لا فی ذاته اذ التقدیر شعب الایمان حتی یصح الاخبار عنه بسبعون شعبة اذ یرجع حاصله فی الحقیقة الی أن شعب الایمان کذا و شعب الشیء غیره اه و فی الحدیث تشبیه الایمان بشجرة ذات أغصان و شعب کما أن فی القرآن تشبیه الکلمة الدالة علی حقیقة الایمان بشجرة طیبة أصلها ثابت و فرعها فی السماء أی أصلها ثابت فی القلب و فرعها أی شعبها مرفوعة فی السماء (متفق علیه) قال میرک و فیه نظرلان قوله بضع و سبعون شعبة من افراد مسلم و فی البخاری بضع و ستون شعبة و کذا قوله فافضلها الی قوله عن الطریق من أفراد مسلم فلا یکون متفقا علیه و رواه الاربعة أیضا الا أن الترمذی أسقط قوله و الحیاء شعبة من الایمان اه و ذکر العینی ان قوله بضع و سبعون من طریق أبی ذرالهروی و قال السیوطی بضع و ستون أو بضع و سبعون شعبة رواه البخاری هکذا علی الشک من حدیث أبی هریرة ورواه أصحاب السنن الثلاثة بلفظ بضع و سبعون بلاشک و أبوعوانة فی صحیحه بلفظ ست و سبعون أو سبع و سبعون و الترمذی بلفظ أربع و ستون اه فیؤول کلام المصنف بأن أصله من روایتهما دون زیادة فأ فضلها الخ (و عن عبدالله بن عمرو) و کتب بالواو لیتمیز عن عمر و من ثمة لم یکتب حالة النصب لتمیزه عنه بالالف و هو ابن العاص القرشی. (رضی‌اللہ‌عنهما) أسلم قبل أبیه و توفی بمکة أو الطائف أو مصر سنة خمس وستین أو ثلاث و سبعین و بینه و بین أبیه فی السن احدی عشرة سنة

قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ویده و المهاجر من هجر مانهی الله عنه هذا لفظ البخاری و لمسلم قال ان رجلا سأل النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم أی المسلمین خیر قال من سلم المسلمون من لسانه ویده

کما جزم به بعضهم قیل و هذا من خواصه کذا ذکره ابن حجر و قال المصنف کان أبوه أکبر منه بثلاث عشرة سنة و قیل باثنتی عشرة سنة و کان غزیر العلم کثیرالاجتهاد فی العبادة عمی آخر عمره و کان أکثر حدیثا من أبی هریرة لانه کان یکتب لکن ماروی عنه و هو سبعمائة حدیث قلیل بالنسبة لماروی عن أبی هریرة قال المصنف کان ممن قرأ الکتب و استأذن النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم فی أن یکتب حدیثه فأذن له (قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم المسلم) أی الکامل لما تقدم من معنی الاسلام أو المسلم الحقیقی المتصف بمعناه اللغوی (من سلم المسلمون) أی و المسلمات اما تغلیبا و اما تبعا و یلحق بهم أهل الذمة حکما و فی روایة ابن حبان من سلم الناس (من لسانه) أی بالشتم و اللعن و الغیبة و البهتان و النمیمة و السعی الی السلطان و غیر ذلک حتی قیل أول بدعة ظهرت قول الناس الطریق الطریق (ویده) بالضرب و القتل و الهدم و الدفع و الکتابة بالباطل و نحوها وخصالان أکثر الاذی بهما أو أرید بهما مثلا و قدم اللسان لان الایذاء به أکثر و أسهل و لانه أشد نکایة کما قال

جراحات السنان لها التئام * ولا یلتام ما جرح اللسان

ولانه یعم الاحیاء و الاموات و ابتلی به الخاص و العام خصوصا فی هذه الایام وعبر به دون القول لیشمل اخراجه استهزاء بغیره و قیل کنی بالید عن سائر الجوارح لان سلطنة الافعال انما تظهر بها اذ بها البطش و القطع و الوصل و المنع و الاخذ فقیل فی کل عمل هذا مما عملته أیدیهم و ان لم یکن وقوعه بها و فیه ان الایدی و الیدین توضعان موضع الانفس و النفس لان أکثر الافعال یزاول بهما و لا یعرف استعمال الید المفردة بهذا المعنی ثم الحد و التعزیر و تأدیب الاطفال و الدفع لنحو الصیال و نحوها فهی استصلاح و طلب للسلامة أو مستثنی شرعا أو لایطلق علیه الاذی عرفا (و المهاجر) أی الکامل أو حقیقة لشموله أنواع الهجرة لانً فضله علی اندوام (من هجر) أی ترك (مانهی الله عنه) أی فی الکتاب أو السنة و فی روایة ما حرم الله علیه و أرید بالمفاعلة المبالغة حیث لم تصح المغالبة (هذا لفظ البخاری) ورواه أبوداود و النسائی (و لمسلم) أی فی صحیحه بعضه فانه أخرج شطره الاول عن جابر مرفوعا بلفظه و بمعناه عن عبدالله بن عمرو (قال ان رجلا سأل النبی) و فی نسخة رسول‌الله (صلی‌الله‌علیه‌وسلم أی المسلمین) أی أی افراد هذا الجنس أو أی قسمی هذا النوع (خیر) أی أفضل و أکمل (قال من سلم المسلمون من لسانه و یده) ورواه البخاری بلفظ أی الاسلام أفضل قال من سلم الخ أی اسلام من سلم و قیل لکون أی لا تدخل الاعلی متعدد کان فیه حذف تقدیره أی أصحاب الاسلام و قیل أی خصال الاسلام و قیل الاسلام بمعنی المسلم کعدل بمعنی عادل مبالغة و فرق بین خیر و أفضل مع ان کلاهما أفعل تفضیل بان الاول من الکیفیة اذ هو النفع فی مقابلة الشر و المضرة و الثانی من الکمیة اذ هو کثرة الثواب فی مقابلة القلة و فی الروایتین جمیعا دلالة علی ان المسلم فی الروایة السابقة المراد بها الکامل و من ثم قال الخطابی ان هذا علی حد قولهم الناس العرب أی هم أفضل الناس فههنا المراد أفضل المسلمین من جمع الی أداء حقوق الحق أداء حقوق الخلق و الاقتصار علی الثانی اما لان الاول مفهوم بالطریق الاولی أو لان ترکه أقرب الی العفو أو لان الثانی یتعلق به الحقان فخص للاهتمام و الاعتناء به و لحصول السلامة الدنیویة و الاخرویة بوجوده

و عن أنس رضي‌الله‌عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده و ولده و الناس أجمعين

أو اشارة الى أن علامة الاسلام هي السلامة من ايذاء الخلائق كما ان الكذب و الخيانة و خلف الوعد علامة المنافق (و عن أنس رضي‌الله‌عنه) أى ابن مالك بن النضر الانصارى الخزرجي النجارى بنون مفتوحة قبل جيم مشددة خادم رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم عشر سنين بعد ما قدم رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وسلم المدينة و هو ابن عشر سنين وقالت أمه يا رسول‌الله خويدمك ادع الله له فقال اللهم بارك فى ماله و ولده و أطل عمره و اغفر ذنبه فقال لقد دفنت من صلبى مائة الاثنين و ان ثمرتى لتحمل فى السنة مرتين و لقد بقيت حتى سئمت الحياة و أنا أرجو الرابعة أى المغفرة قيل عمر مائة سنة و زيادة و هو آخر من مات من الصحابة بالبصرة سنة ثلاث و تسعين انتقل الى البصرة فى خلافة عمر ليفقه الناس روى عنه خلق كثير و كنيته أبو حمزة و هى اسم بقلة حِرّيفية و منه حديث أنس كنانى رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وسلم ببقلة كنت أجتنيها (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لا يؤمن أحدكم) و فى رواية الرجل و فى أخرى أحد وهى أشمل منهما و الاولى أخص أى ايمانا كاملا (حتى أكون) بالنصب بان مضمرة و حتى جارة (أحب اليه) أفعل التفضيل بمعنى المفعول و التوسع فى الظرف قدم الجار على معمول أفعل و هو قوله (من والده) أى أبيه و خص عن الام لانه أشرف فمحبته أعظم أو المراد به ما يشملهما و هو ذو ولد (و ولده) أى الذكر و الانثى و قدم الوالد لانه أشرف و أسبق فى الوجود و تقديم الولد فى رواية النسائى لان محبته أكثر و خصا لانهما أعز من غيرهما غالبا و أبدلا فى رواية بالمال و الاهل تعميما لكل ما تحبه النفس فذكرهما انما هو على سبيل التمثيل و كأنه قال حتى أكون أحب اليه من جميع أعزته و من ثم أكد ذلك تأكيدا و استغراقا بقوله (و الناس أجمعين) عطفا للعام على الخاص ثم النفس داخلة فى هذا العموم لغة و ان كانت خارجة عرفا لما سيأتى فى الحديث الآتى الموافق لقوله تعالى النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم و قوله تعالى قل ان كان آباؤكم الآية و ليس المراد الحب الطبيعى لانه لا يدخل تحت الاختيار و لا يكلف الله نفسا الا وسعها بل المراد الحب العقلى الذى يوجب ايثار ما يقتضى العقل رجحانه و يستدعى اختياره و ان كان على خلاف الهوى كحب المريض الدواء فانه يميل اليه باختياره و يتناول بمقتضى عقله لما علم و ظن ان صلاحه فيه و ان نفرعنه طبعه مثلا لو أمره صلى‌الله‌عليه‌وسلم بقتل أبويه و أولاده الكافرين أو بأن يقاتل الكفار حتى يكون شهيدا لاحب أن يختار ذلك لعلمه ان السلامة فى امتثال أمره صلى‌الله‌عليه‌وسلم أو المراد الحب الايمانى الناشئ عن الاجلال و التوقير و الاحسان و الرحمة و هو ايثار جميع أغراض المحبوب على جميع أغراض غيره حتى القريب و النفس و لما كان صلى‌الله‌عليه‌وسلم جامعا لموجبات المحبة من حسن الصورة و السيرة و كمال الفضل و الاحسان ما لم يبلغه غيره استحق أن يكون أحب الى المؤمن من نفسه فضلا عن غيره سيما و هو الرسول من عند المحبوب الحقيقى الهادى اليه و الدال عليه و المكرم لديه قال القاضى و من محبته نصر سنته و الذب عن شريعته و تمنى ادراكه فى حياته ليبذل نفسه و ماله دونه اه. و ممن ارتقى الى غاية هذه المرتبة و نهاية هذه المزية سيدنا عمر رضي‌الله‌عنه فانه لما سمع هذا الحديث أخبر بالصدق حتى وصل ببركة صدقه الى كمال ذلك فقال بمقتضى الامر الطبيعى لانت يا رسول‌الله أحب الى من كل شئ الا من نفسى فقال لا و الذى نفسى بيده حتى أكون أحب اليك من نفسك فقال عمر فانك الآن والله أحب الى من نفسى فقال الآن يا عمر تم ايمانك رواه البخارى و هو يحتمل احتمالين أحدهما

متفق عليه و عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان

أنه فهم أولا ان المراد به الحب الطبيعي ثم علم أن المراد الحب الايماني و العقلي فاظهر بما أضمر و ثانيهما انه أوصله الله تعالى الى مقام الاتم ببركة توجهه عليه الصلاة والسلام فطبع في قلبه حبه حتى صار كأنه حياته ولبه ولهذا قيل فهذه المحبة منه رضي الله عنه ليست اعتقاد الاعظمية فحسب لانها كانت حاصلة لعمر قبل ذلك قطعا بل أمر يترتب على ذلك به يفنى المتحلي به عن حظ نفسه و تصير خالية عن غير محبوبه قال القرطبي و كل من صح ايماله به عليه الصلاة والسلام لا يخلو عن وجدان شئ من تلك المحبة الراجحة و ان استغرق بالشهوات و حجب بالغفلات في اكثر الاوقات بدليل انا نرى أكثرهم اذا ذكر صلى الله عليه وسلم اشتاق الى رؤيته وآثرها على أهله و ماله وولده و والده و أوقع نفسه في المهالك و المخاوف مع وجدانه من نفسه الطمأنينة بذلك وجدانا لا تردد فيه و شاهد ذلك في الخارج ايثار كثيرين لزيارة قبره الشريف و رؤية مواضع آثاره على جميع ما ذكر لما وقر في قلوبهم من محبته غير ان قلوبهم لما توالت غفلاتها و كثرت شهواتها كانت في أكثر أوقاتها مشتغلة بلهوها ذاهلة عما ينفعها و مع ذلك هم في بركة ذلك النوع من المحبة فيرجى لهم كل خير انشاءالله تعالى ولا شك ان حظ الصحابة رضي الله عنهم من هذا المعنى أتم لانه ثمرة المعرفة وهم بقدره و منزلته أعلم و قال النووي في الحديث تلميح الى صفة النفس المطمئنة والامارة فمن رجح جانب نفسه المطمئنة كان حبه عليه الصلاة والسلام راجحا و من رجح جانب نفسه الامارة كان بالعكس اه و اللوامة حالة بينهما مترتبة عليهما ولذا لم يذكرها معهما (متفق عليه) و رواه أحمد و النسائي و ابن ماجه قال النووي مذهب أهل الحق من السلف و الخلف أن من مات موحدا دخل الجنة قطعا على كل حال فان كان سالما عن المعاصي كالصغير و المجنون الذى اتصل جنونه بالبلوغ و التائب توبة صحيحة من الشرك أو غيره من المعاصي اذا لم يحدث بعد توبته و الموفق الذى ما لم بمعصية قط فكل هذا الصنف يدخلون الجنة ولا يدخلون النار أصلا لكنهم يردونها على الخلاف في الورود و الصحيح ان المراد به المرور على الصراط و هو جسر منصوب على ظهر جهنم نعوذبالله منها و أما من كانت له معصية كبيرة و مات من غير توبة فهو في مشيئة الله تعالى ان شاء عفا عنه و أدخله الجنة و ان شاء عذبه بالقدر الذى يريده سبحانه ثم يدخل الجنة فلا يخلد في النار أحد مات على التوحيد ولو عمل من المعاصي ما عمل كما لا يدخل الجنة من مات على الكفر ولو عمل ما عمل من أعمال البر و هذا هو المذهب الذى تظاهرت عليه أدلة الكتاب و السنة و اجماع من يعتد به بحيث حصل العلم القطعي فان خالفه ظاهر حديث وجب تأويله جمعا بين الادلة .(و عنه) أى عن أنس (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه) مبتدأ و الشرطية خبر و جاز مع انه نكرة لان التقدير خصال ثلاث قال ابن مالك مثال الابتداء بنكرة هي وصف قول العرب ضعيف عاذ بحرملة أى انسان ضعيف التجأ الى ضعيف و الحرملة شجرة ضعيفة أو ثلاث خصال و التنوين عوض عن المضاف اليه على ما قاله ابن حجر وفيه أنه لم يعرف هذا في غير كل و بعض أو تنوينه للتعظيم فساغ الابتداء به و يجوز أن تكون الشرطية صفة لثلاث و يكون الخبر من كان و المعنى ثلاث من وجدن و اجتمعن فيه (وجد) أى أدرك و صادف و ذاق (بهن) أى بسبب و جودهن في نفسه (حلاوة الايمان) أى لذته و رغبته زاد النسائي و طعمه و أوثرت الحلاوة لانها أظهر اللذات الحسية وقد ورد ان حلاوة الايمان اذا دخلت قلبا لا تخرج منه أبدا ففيه اشارة الى بشارة حسن الخاتمة له و قيل معنى حلاوة الايمان استلذاذ الطاعات و ايثارها على جميع الشهوات و المستلذات و تحمل المشاق في مرضاة الله و رسوله و تجرع

من كان الله و رسوله أحب اليه مما سواهما و من أحب عبدا لايحبه الا لله و من يكره أن يعود فى الكفر بعد ان أنقذه الله منه

المرارات فى المصيبات و الرضا بالقضاء فى جميع الحالات و فيه تلميح الى الصحيح الذى يدرك الطعوم على ما هى عليه و المريض الصفراوى الذى بضده اذ يجد طعم العسل من نقص ذوقه بقدر نقص صحته فالقلب السليم من أمراض الغفلة و الهوى يذوق طعمه و يتلذذ منه و يتنعم به كما يذوق الفم طعم العسل و غيره من لذيذ الاطعمة و يتنعم بها بل تلك اللذة الايمانية أعلى فان فى جنبها يترك لذات الدنيا بل جميع نعيم الاخرى (من كان) لابد من تقدير مضاف قبله لانه على الوجه الاول اما بدل أو بيان أو خبر لمبتدأ محذوف هو هى أوهن أو احداها و على الثانى خبر أى محبة من كان (الله ورسوله أحب اليه) بالنصب على أنه خبر و افراده لانه وصل بمن و المراد الحب الاختيارى المذكور (مما سواهما) يعم ذوى العقول و غيرهم من المال و الجاه و سائر الشهوات و المرادات و قد جمع النبى صلى الله عليه وسلم بين الله و نفسه بلفظ الضمير فى ما سواهما مع نهيه عنه قائلا و من عصاهما فقد غوى لانه قد يجوز له مالايجوز لغيره ولذا قال عليه الصلاة والسلام فى خطبة النكاح من يطع الله ورسوله فقد رشد و من يعصهما فلا يضر الا نفسه و وجه التخصيص أنه لا يتطرق اليه ايهام التسوية بخلاف غيره لو جمع و اليه مال ابن عبدالسلام ولذا قيل العمل بخبر المنع أولى لان الخبر الآخر يحتمل الخصوص ولانه قول و الثانى فعل وقيل تثنية الضمير هنا للايماء الى أن المعتبر هوالمجموع المركب من المحبتين لا كل واحدة فانها وحدها ضائعة لاغية و اليه الاشارة بقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله والامر بالافراد هنالك للاشعار بان كلا من العصيانين مستقل باستلزام الغواية فان العطف يفيد تكرير العامل و استقلاله بالحكم فهو فى قوة التكرار فكأنه قال من عصى الله فقد غوى و من عصى رسوله فقد غوى لايقال عصيان احدهما عصيان للآخر فلا يتصور الانفراد لانا نقول كذلك لكن المراد تفظيع المعصية بانه لوفرض وجودها من رسوله وحده لكانت مستقلة بالاغواء فكيف وهى لا توجد الا منهما وهو معنى دقيق فى غاية التحقيق و فيه ايماء لطيف و انهاء شريف الى ان المحبة مادة الاجتماع على وجه الكمال بحيث انه لا يحتمل المغايرة ولذا قيل * انا من أهوى و من أهوى أنا * و المخالفة موجبة للافتراق ولذا قال هذا فراق بينى و بينك ولتلك المحبة علامات من أظهرها ما أشار اليه يحيى بن معاذ الرازى بقوله حقيقة المحبة أن لا تزيد بالعطاء ولا تنقص بالجفاء ولا يتم هذا الا لصديق جذبته أزمة العناية حتى أوقفته على عتبة الولاية و أحلته فى رياض الشهود المطلق فرأى ان محبوبه هوالحق وما سواه باطل محقق (و من أحب) أى و ثانيتها محبة من أحب (عبدا) أى موسوما بالعبودية لله حرا كان أو مملوكا (لا يحبه) أى لشئ (الا لله) والا ستثناء مفرغ أى لا يحبه لغرض و عرض و عوض ولا يشوب محبته حظ دنيوى ولا أمر بشرى بل محبته تكون خالصة لله تعالى فيكون متصفا بالحب فى الله و داخلا فى المتحابين لله و الجملة حال من الفاعل أو المفعول أو منهما (و من يكره) أى و ثالثتها كراهة من يكره (أن يعود) أى يرجع أو يتحول (فى الكفر) و قيل أن يصير بدليل تعديته بفى على حد أو لتعودن فى ملتنا فيشمل من لم يسبق له كفر أيضا ولا ينافيه قوله (بعد أن أنقذه الله منه) أى أخلصه و نجاه من الكفر لان أنقذ بمعنى حفظ بالعصمة ابتداء بأن يولد على الاسلام و يستمر بهذا الوصف على الدوام أو بالاخراج من ظلمة الكفر الى نور الايمان أو لا يشمله ولكنه مفهوم من طريق المساواة بل الاولى و فيه ايماء الى قوله تعالى الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور أى بهدايته و

كما يكره ان يلقى فى النار متفق عليه و عن العباس بن عبدالمطلب قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ذاق طعم الايمان من رضى بالله رباو بالأسلام دينا و بمحمد رسولا رواه مسلم

توفيقه فهو يعم الابتداء والانتهاء (كما يكره أن يلقى فى النار) أى و كراهة من يكره الصيرورة فى الكفر مثل كراهة الرمى و الطرح فى النار و فى رواية البخارى حتى أن يقذف فى النار أحب اليه من أن يرجع فى الكفر بعد ان أنقذه‌الله منه و فى أخرى لهما من كان يكره أن يلقى فى النار أحب اليه من أن يرجع اليه يهوديا أو نصرانيا و فى رواية النسائى و أن توقد نار عظيمة فيقع فيها أحب اليه من أن يشرك بالله شيأ يعنى أن الوقوع فى نار الدنيا أولى بالايثار من العود فى الكفر و فيه ايماء الى قول السادة الصوفية الحجاب أشد العذاب ثم اعلم ان الخصلتين الاولين من أبواب التحلى بالفواضل و الفضائل و الخصلة الاخيرة من أنواع التخلى من الرذائل ففيها تحثيث و تحريض و ترغيب و تحريص على تحصيل بقية الشمائل و ايماء الى ان المذكورات أمهات لغير المسطورات (متفق عليه) و رواه أحمد و النسائى و الترمذى و ابن ماجه بلفظ ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان أن يكون‌الله و رسوله أحب اليه مما سواهما و أن يحب المرء لا يحبه‌الالله و أن يكره أن يعود فى الكفر بعد اذ أنقذه‌الله منه كما يكره أن يلقى فى النار كذا فى الجامع الصغير للسيوطى (و عن العباس بن عبدالمطلب) أى عم النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم وكان أسن من النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم بسنتين و من لطافة فهمه و متانة علمه أنه لماسئل أنت أكبر أم النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال هو أكبر و أنا أسن و أمه أول امرأة كست الكعبة الحرير و الديباج و أصناف الكسوة و ذلك ان العباس ضل و هو صبى فنذرت ان وجدته أن تكسو البيت الحرام فوجدته ففعلت ذلك وكان العباس رئيسا فى الجاهلية و اليه كانت عمارة المسجد الحرام و السقاية أما السقاية فهى معروفة بسقاية الحاج و أما العمارة فانه كان يحمل قريشا على عمارته و بالخير و ترك السباب فيه و قول الهجر قال مجاهد اعتق العباس عند موته سبعين مملوكا ولد قبل سنة الفيل و مات يوم الجمعة لاثنتى عشرة خلت من رجب سنة اثنتين و ثلاثين و هو ابن ثمان و ثمانين و دفن بالبقيع وكان أسلم قديما وكتم اسلامه و خرج مع المشركين يوم بدر مكرها فقال النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم من لقى العباس فلا يقتله فانه خرج مكرها فأسره أبواليسر كعب ابن عمر ففادى نفسه و رجع الى مكة ثم أقبل الى المدينة مهاجرا وروى عنه جماعة (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ذاق طعم الايمان) أى نال و أدرك و أصاب و وجد حلاوته ولذته و أصل الذوق وجود أدنى طعم فى الفم والمراد به الذوق المعنوى و أغرب ابن حجر حيث قال ذوقا حسيا أو معنويا (من رضى) أى قنع نفسه و طاب قلبه و انشرح صدره و اكتفى (بالله ربا) أى مالكا و سيدا و متصرفا و نصبه على التمييز وكذا أخواته (و بالاسلام) أى الشامل للايمان (دينا) عطف عام على خاص (و بمحمد صلى الله عليه وسلم) و الظاهرانه ملحق و ليس لفظ النبوة (رسولا) عطف خاص على عام و المقصود من الرضا الانقياد الباطنى و الظاهرى و الكمال أن يكون صابرا على بلائه و شاكرا على نعمائه و راضيا بقدره و قضائه و منعه و اعطائه و ان يعمل بجميع شرائع الاسلام بامتثال الاوامر واجتناب الزواجر و ان يتبع الحبيب حق متابعته فى سنته و آدابه و اخلاقه و معاشرته و الزهد فى الدنيا و التوجه الكلى الى العقبى (رواه مسلم) وكذا أحمد و الترمذى و أخرج الديلمى فى مسند الفردوس عن ابن عمر مرفوعا ألظوا ألسنتكم قول لا اله الاالله محمد رسول‌الله و ان الله ربنا و الاسلام ديننا و محمد نبينا فانكم تسئلون عنها فى قبوركم قال

و عن أبي هريرة رضي‌الله‌عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم و الذى نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الامة يهودى و لا نصرانى ثم يموت و لم يؤمن بالذى أرسلت به الا كان من أصحاب النار

السيوطى فى سنده عثمان بن مطر (و عن أبي هريرة رضي‌الله‌عنه) مر ذكره (قال قال رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وسلم و الذى) أي والله الذى (نفس محمد) أي روحه و ذاته و صفاته و حالاته و اراداته و حركاته و سكناته (بيده) أى كائنة بنعمته و حاصلة بقدرته و ثابتة بارادته و وجه استعارة اليد للقدرة ان أكثر ما يظهر سلطانها فى أيدينا وهى من المتشابهات و مذهب السلف فيها تفويض علمه الى الله تعالى مع التنزيه عن ظاهره و هو أسلم حذرا من أن يعين له غير مراد له تعالى و يؤيده وقف الجمهور على الجلالة فى قوله تعالى و ما يعلم تأويله الا الله وعدوه وقفا لازما و هو ما فى وصله ايهام معنى فاسد و من ثم قال ابو حنيفة رحمه‌الله تأويل اليد بالقدرة يؤدى الى تعطيل ما أثبته تعالى لنفسه و انما الذى ينبغى الايمان بما ذكره الله تعالى من ذلك و نحوه على ما أراده و لا يشتغل بتأويله فنقول له يد على ما أراده لا كيد المخلوقين و مذهب الخلف فيها تأويله بما يليق بجلال الله تعالى و تنزيهه عن الجسم و الجهة و لوازمها بناء على ان الوقف على الراسخون فى العلم و كان ابن عباس يقول أنا أعلم تأويله و أنا من الراسخين فى العلم قيل و هذا أعلم و أحكم أى يحتاج الى مزيد علم و حكمة حتى يطابق التأويل سياق ذلك النص و ليس المعنى ان مذهب الخلف أكثر علما فالمذهبان متفقان على التنزيه و انما الخلاف فى أن الاولى ما ذا أهو التفويض أم التاويل و يمكن حمل الخلاف على اختلاف الزمان فكان التفويض فى زمان السلف أولى لسلامة صدورهم و عدم ظهور البدع فى زمانهم و التأويل فى زمان الخلف أولى لكثرة العوام و أخذهم بما يتبادر الى الافهام و غلو المبتدعة بين الانام و الله أعلم بالمرام ثم هو قسم جوابه (لا يسمع بي) و كان الاصل أن يقول و الذى نفسى لكنه جرد من نفسه النفيسة بن اسمه محمد وهو هو ليكون أبلغ و أوقع فى النفس ثم التفت من الغيبة الى التكلم تنزيلا من مقام الجمع الى التفرقة و من الكون مع الحق الى الاشتغال بدعوة الخلق و الانتقال من خزانة الكمال الى منصة التكميل قال العارف السهروردى الجمع اتصال لا يشاهد صاحبه الا الحق فمتى شاهد غيره فما ثم جمع فقوله آمنا بالله جمع و ما أنزل الينا تفرقة و قال الجنيدى قدس‌الله‌سره و يسمى سيد الطائفة لانه لم ينطق قط بما لا يطابق الكتاب و السنة القرب بالوجد جمع و غيبته فى البشرية تفرقة و كل جمع بلا تفرقة زندقة و كل تفرقة بلا جمع تعطيل ثم قيل الباء زائدة أو بمعنى من و الاظهر أنها لتأكيد التعدية كما فى قوله تعالى ما سمعنا بهذا أو ضمن معنى الاخبار أى ما يسمع مخبرا ببعثى و حاصل المعنى لا يعلم رسالتى (أحد) أى ممن هو موجود أو سيوجد (من هذه الامة) أى أمة الدعوة و من تبعيضية و قيل بيانية (يهودى و لا نصرانى) صفتان لاحد و حكم المعطلة و عبدة الاوثان يعلم بالطريق الاولى أو بدلان عنه بدل البعض من الكل و خصا لان كفرهما اقبح و على كل لا زائدة لتأكيد الحكم (ثم يموت) فيه اشارة الى انه ولو تراخى ايمانه و وقع قبل الغرغرة لنفعه (و لم يؤمن بالذى أرسلت به) أى من الدين المرضى و الجملة حال أو عطف (الا كان) أى فى علم الله أو بمعنى يكون و تعبيره بالمضى لتحقق وقوعه و هو استثناء مفرغ من أعم الاحوال (من أصحاب النار) أى ملازميها بالخلود فيها و أما الذى سمع و آمن فحكمه على العكس و أما الذى لم يسمع و لم يؤمن فهو خارج عن هذا الوعيد ثم اعلم أن لا فى لا يسمع بمعنى ليس و ثم يموت عطف على يسمع المثبت و لم يؤمن عطف على يموت أو حال من فاعله و ليس لنفى هذا المجموع و تقديره

رواه مسلم و عن أبي موسى الاشعرى رضي‌الله‌عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه

ليس أحد يسمع بي ثم يموت و لم يؤمن أو غير مؤمن كائنا من أصحاب شئ الا من أصحاب النار (رواه مسلم و عن أبي موسى الاشعرى رضي‌الله‌عنه) أسلم بمكة و هاجر الى أرض الحبشة ثم قدم مع أهل السفينة و رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم بخيبر ولاه عمر بن الخطاب البصرة سنة عشرين فافتتح أبو موسى الاهواز و لم يزل على البصرة الى صدر من خلافة عثمان ثم عزل عنها فانتقل الى الكوفة فأقام بها و كان واليا على أهل الكوفة الى ان قتل عثمان ثم انتقل أبو موسى الى مكة بعد التحكيم فلم يزل بها الى أن مات سنة اثنين و خمسين (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ثلاثة) أى أشخاص ثلاثة مبتدأ خبره - (لهم أجران) أى لكل واحد أجران عظيمان مختصان به لا مشاركة لغيره فيهما (رجل) بدل من المبتدأ بدل بعض و العطف بعد الربط أو بدل كل و الربط بعد العطف أو خبر مبتدأ محذوف أى أحد هم أو مبتدأ موصوف محذوف الخبر أى منهم أو هو خبر المبتدأ و لهم أجران صفته و المرأة فى حكم الرجل (من أهل الكتاب آمن بنبيه) خبر بعد خبر و اختلف الشراح أن المراد هو النصرانى أو اليهودى أيضا و الى الاول جنح صاحب الازهار و أيده بالدلائل العقلية و النقلية و مال غيره الى الثانى و أيده بمؤيدات نقلية و الخلاف مبنى على ان النصرانية هل هى ناسخة لليهودية أم لا و على كل فمن كذبه منهم و استمر على يهوديته لم يكن مؤمنا بنبيه فان قلت يؤيد ارادة الانجيل وحده رواية البخارى فاذا آمن بعيسى ثم آمن بي فله أجران قلت لا يؤيده لان النص على عيسى انما هو لحكمة هى بعد بقاء مؤمن بموسى دون عيسى مع صحة ايمانه بان لم يبلغه دعوة عيسى الى بعثة نبينا فآمن به و هذا وان استبعد وجوده لكن فى حمل أهل الكتاب على ما يشمله فائدة هى ان اليهود من بنى اسرائيل و من دخل فى اليهودية من غير هم و لم يبلغه دعوة عيسى يصدق عليه أنه يهودى مؤمن بنبيه موسى و لم يكذب نبيا آخر بعده فاذا أدرك بعثة نبينا و آمن به تناوله الخبر المذكور و الاجر المسطور و من هؤلاء عرب نحو اليمن متهودون و لم تبلغهم دعوة عيسى لاختصاص رسالته ببنى اسرائيل اجماعا دون غير هم فاتضح بهذا ان المراد التوراة و الانجيل كما هو المعهود ذهنا فى نصوص الكتاب و السنة و مما يصرح بالعموم الآية النازلة فى عبدالله بن سلام و اشباهه وهى الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون الى قوله أولئك يؤتون أجر هم مرتين روى الطبرانى من حديث رفاعة القرظى قال نزلت هذه الآية فىّ وفيمن آمن بي وروى الطبرانى انها نزلت فى سلمان و ابن سلام و لاتنافى لان الاول كان نصرانيا و الثانى كان يهوديا فان قلت يهود المدينة لم يؤمنوا بعيسى فكيف استحقوا الاجرين قلت لا نسلم عدم ايمانهم به و حاشا مثل ابن سلام و اضرابه مع سعة علومهم و كمال عقولهم أن يكفروا بعيسى كذا حققه ابن حجر و المراد من آمن بنبيه ايمانا صحيحا بان يؤمن اليهودى بموسى عليه الصلاةوالسلام قبل العلم بنسخ شرعه بالانجيل بناء على أنه ناسخ و الا فقبل نسخه بشريعتنا و اليهودى و النصرانى بعيسى عليه الصلاةوالسلام بالنسبة لمن علم رسالته اليه قبل نسخ شرعه بشريعتنا و انما قيدوا بما قبل النسخ لان المؤمن بنبى بعد أن بلغته دعوة غيره الناسخة له لا أجر له على ايمانه به لانه لا يصدق عليه حينئذ أنه آمن بنبيه قيل و يحتمل أنه لا يحتاج الى هذا التقييد اذ لا يبعد أن يكون طرو الايمان بنبينا عليه الصلاةوالسلام سببا لثوابه على الايمان السابق كما أن الكافر اذا أسلم يثاب على حسناته السابقة فى الكفر اه و يؤيده عموم قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من

و آمن بمحمد و العبد المملوک اذا أدى حق الله و حق مواليه و رجل كانت عنده أمة يطؤها فادبها
فاحسن تأديبها و علمها فاحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران

رحمته و كذا كتابه عليه الصلاةوالسلام الى هرقل أسلم يؤتک الله أجرك مرتين و قومه لم يكونوا من بنى اسرائيل و انما دخلوا فى النصرانية بعد التبديل كما صرح به شيخ الاسلام البلقيني و غيره و هذا هو الظاهر و قيل يحتمل أن يكون تضعيف الاجر له من جهة اسلامه و من جهة أن يكون اسلامه سببالاسلام اتباعه (و آمن بمحمد) أى ايمانا صحيحا أيضا و انما لم يقل و بمحمد مع أنه أخصر للاشعار بتخصيص كل من النبيين بالايمان على سبيل الاستقلال دون التبعية ثم الايمان به متضمن للايمان بجميع الانبياء فالمقصود ان ايمانه السابق مثاب عليه فانه كان حقا (و العبد المملوك) وصف به لانه المراد لا مطلق العبد اذ جميع الناس عباد الله (اذا أدى حق الله) من صلاة و صوم و نحوهما (و حق مواليه) أى أسياده و ملاكه و متولى أمره من خدمتهم الجائزة جهده و طاقته و جمع الموالى لان أل فى العبد للجنس فلكل عبد مولى عند التوزيع أو للاشارة الى أنه لو كان مشتركا بين جماعة فلابد أن يؤدى حقوق جميعهم فيعلم المنفرد بالاولى أو للايماء الى أنه اذا تعدد مواليه بالمناوبة على جرى العادة الغالبة فيقوم بحق كل منهم (و رجل كانت عنده أمة يطؤها) أى يجامعها و فائدة هذا القيد أنه مع هذا أيضا يحصل له الثواب فى تربيتها و قيل ليس المراد وقوع الوطء بالفعل بل بالقوة و يؤيده اسقاطه من رواية البخارى وهى اذا أدب الرجل أمته فاحسن تأديبها ثم أعتقها فتزوجها كان له أجران (فادبها) أى علمها الخصال الحميدة مما يتعلق بآداب الخدمة اذ الادب هو حسن الاحوال من القيام و القعود و حسن الاخلاق (فاحسن تأديبها) بان يكون بلطف من غير عنف (و علمها) ما لابد من أحكام الشريعة لها (فاحسن تعليمها) بتقديم الاهم فالاهم (ثم أعتقها) أى بعد ذلک كله ابتغاء لمرضاة الله (فتزوجها) تحصينا لها و رحمة عليها (فله) أى فللرجل الاخير (اجران) أجر على عتقه و أجر على تزوجه كذا قالوه و قيل أجر على تأديبه و ما بعده و أجر على عتقه و ما بعده و يكون هذا هو فائدة العطف بثم اشارة الى بعد ما بين المرتبتين قيل و فى تكرير الحكم اهتمام بشأن الامة و تزوجها و قيل يجوز أن يعود الضمير فى فله الى كل واحد من الثلاثة فيكون التكرير للتأكيد أو لطول الكلام فيكون كالفذلكة كقوله تعالى و لما جاء هم كتاب من عند الله مصدق لما معهم الآية و يمكن أن يكون من باب اختصار الراوى أو نسيانه و قيل انما ذكر فى الامة فله أجران دون ما سبق تأكيدا لحالها فان ما يوجب الاجرين فيها مستحب جائز الترك و هو الاعتاق و التزوج فاحتيج الى التاكيد لئلا يترك بخلاف ماسبق فانه واجب لا يجوز تركه أو اشعارا بان ما يوجب الاجرين مختصا بالأمة من جملة ما ذكر فيها من الامور الاربعة هو الاعتاق و التزوج فلذا ذكرعقيبهما فله أجران بخلاف التأديب و التعليم فانهما موجبان للاجر فى الاجنبى و الاولاد وجميع الناس فلا يكون مختصا بالاماء و من ثمة اتجه سياق الشعبى لهذا الحديث ردا على من قال ان المتزوج لعتيقته كالراكب لبدنته أى فلا أجر له و كان هذا هو الحامل لهم على ما مر من تفسير هم الاجرين بواحد على العتق و آخر على التزوج لانه يصير محسنا اليها احسانا أعظم بعد احسان أعظم بالعتق لان الاول فيه تخليص من قهر الرق و أسره و الثانى فيه الترقى الى الحاق المقهور بقاهره قال تعالى فى الزوجات و لهن مثل الذى عليهن بالمعروف قال الكرمانى فان قلت ما العلة فى تخصيص هؤلاء الثلاثة و الحال أن غير هم أيضا كذ لک مثل من صام و صلى فان للصلاة أجرا و للصوم أجرا و كذا مثل الولد اذا أدى حق الله

متفق عليه و عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله و أن محمدا رسول الله

و حق والده قلت الفرق بين هذه الثلاثة و غيرهم أن الفاعل من كل منهم جامع بين أمرين بينهما مخالفة عظيمة كان الفاعل لهما فاعل للضدين اه و فيه أن هذه الضدية بعينها موجودة في حق الله تعالى و حق الوالد فالاحسن أن يقال المراد هذه الاشياء و أمثالها و ليس المقصود بذكرها نفي ماعداها عن ما عليه الجمهور و لذا قال المهلب في الحديث دليل على أن من أحسن في معنيين من أي فعل كان من أفعال البر كان له أجره مرتين و قال السيد جمال الدين يمكن أن يقال ان هذه الطوائف الثلاثة لكل منها أجران بسبب عمل واحد بشرط مقارنة عمل آخر فالذي آمن من أهل الكتاب و آمن بمحمد له أجران بسبب الايمان بنبينا لكن بشرط الايمان بنبيه و العبد المملوك له أجران بسبب اداء حق الله لكن بشرط اداء حق مولاه تأمل اه و أنت اذا تأملت ظهر لك ان المقارنة ليست بشرط أصلا و ان الاجرين انما هو في مقابلة الايمانين و اداء الحقين فالوجه ما قدمناه و يمكن أن يقال لما كان يتوهم من نسخ الاديان المتقدمة ان لا ثواب لاصحابها مطلقا دفعه بهذا القول و كذا المشهور عند العامة ان ثواب عبادة المملوك للمالك فلذا خصه بالذكر و ربما كان يقال ان اعتاق الجارية و تزوجها لغرض نفسه و هو طبعه فلا يكون فيهما أجر فرفعه و بالغ فيه و قال له أجران أو يقال لما كان كل واحد من هؤلاء المذكورين في زمان الجاهلية ممتنعا من العمل الثاني فخصهم بالذكر وحضهم على الفعل بقوله لهم أجران و الله أعلم قيل و انما لم يضم مع هؤلاء الثلاث أمهات المؤمنين مع أن لهن الاجر مرتين لان ذلك خاص بهن و ماهنا عام (متفق عليه) قال السيوطي في الجامع الصغير رواه الشيخان و أحمد و الترمذي و النسائي و ابن ماجه بلفظ ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه و أدرك النبي صلى الله عليه وسلم فآمن به و اتبعه و صدقه فله أجران و عبد مملوك أدى حق الله و حق سيده فله أجران و رجل كانت له أمة فغذاها فأحسن غذاءها ثم أدبها فأحسن تاديبها و علمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها و تزوجها فله أجران (و عن ابن عمر رضي الله عنهما) مر ذكره (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت) لم يذكر الآمر للعلم به أي أمرني ربي بالوحي الجلي أو الخفي (أن أقاتل الناس) أي بان أجاهدهم و أحاربهم فان مصدرية أو مفسرة لما في الامر من معنى القول (حتى يشهدوا) و في رواية حتى يقولوا (أن لا اله الا الله و أن محمدا رسول الله) أكثر الشراح على أن المراد بالناس عبدة الاوثان دون أهل الكتاب لانهم يقولون لا اله الا الله و لا يرفع عنهم السيف الا بالاقرار بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام أو اعطاء الجزية و يؤيده رواية النسائي أمرت أن أقاتل المشركين و لا يتم هذا الا على رواية لم يوجد فيها و ان محمدا رسول الله و قال الطيبي المراد الاعم لكن خص منه أهل الكتاب بالآية قيل و هو الاولى لان الامر بالقتال نزل بالمدينة مع كل من يخالف الاسلام قال ابن الصباغ في الشامل لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم فرض عليه التوحيد و التبليغ و قراءة القرآن بقوله اقرأ باسم ربك الذي خلق ثم فرض الصلاة بمكة و فرض الصوم بعد سنتين من الهجرة و الحج في السنة السادسة أو الخامسة و أما الزكاة فقيل بعد الصيام و قيل قبله و أما الجهاد فلم يؤذن له بمكة و أذن له بالمدينة لمن ابتدأ به ثم ابتداؤهم به دون الحرم و الاشهر الحرم ثم نسخ ذلك و أبيح ابتداؤهم في الاشهر الحرم و الحرم و قال ابن حجر حتى غاية لامرت أو أقاتل و هو أولى أي الى أن يأتوا بأربعة أشياء ما لم يعطوا الجزية ان كانوا من أهلها أو يعقد لهم أمان أو هدنة ان كانوا من غير أهلها

و يقيموا الصلاة و يؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلک عصموا منّی دماءهم و أموالهم الا بحق الاسلام و حسابهم علی الله

كما استفيد من أدلة أخرى اه و قوله و هو أولى خلاف الاولى لان الغاية تتعين للمقاتلة القابلة للاستمرار ولايصح أن يكون غاية للامر لعدم الاستقرار (و يقيموا الصلاة) أى المفروضة بان يأتوا بشرائطها و أركانها المجمع عليها قيل فيه دليل لمذهب الشافعي ان تارك الصلاة يقتل بشرطه المقرر فى الفقه و فيه ان الكلام فى المقاتلة لا فى القتل و مقاتلة الامام لتاركى الصلاة الى أن يأتوابها محل وفاق مع انه منقوض بترك الزكاة فانه لم يقل به أحد (و يؤتوا الزكاة) وهى لا تكون الامفروضة و فيه دليل لقتال مانعيها و لانزاع فيه و من ثم قاتلهم الصديق و أجمع عليه الصحابة رضى الله عنهم و قيل معناه حتى يقبلوا فرضيتهما ثم قيل أراد الخمسة التى بنى الاسلام عليها و انما خصتا بالذكر لانهما أم العبادات البدنية و المالية و أساسهما و العنوان على غيرهما و لذا سمى الصلاة عماد الدين و الزكاة قنطرة الاسلام و قرن بينهما فى القرآن كثيرا أو لكبر شأنهما على النفوس لتكررهما أو لم يكن الصوم و الحج مفروضين حينئذ و المراد حتى يسلموا و يدل عليه رواية البخارى حتى يشهدوا أن لااله الاالله و يؤمنوا بى و بما جئت به و لهذا حذفتا فى رواية استغناء عنهما بالشهادتين لانهما الاصل و التحقيق أن يقال الشهادة اشارة الى تخلية لوح القلب عن الشرك الجلى و الخفى و سائر النقوش الفاسدة الردية ثم تحليته بالمعارف اليقينية و الحكم الالهية و الاعتقادات الحقية و أحوال المعاد و ما يتعلق بالامور الغيبية و الاحوال الاخروية لان من أثبت ذات الله بجميع أسمائه و صفاته التى دل عليها اسم الله و نفى غيره و صدق رسالة النبى بنعت الصدق و الامانة فقد وفى بعهدة عهده و بذل نهاية جهده فى بداية جهده و آمن بجميع ما وجب من الكتب و الرسل و المعاد و لذا لم يتعرض لاعداد سائر الاعداد و اقامة الصلاة ارشاد الى ترک الراحات البدنية و اتعاب الآلات الجسدية وهى أم العبادات التى اذا وجدت لم يتأخر عنها البواقى و لذا استغنى عن عدها و ترک السيآت فان الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر و ايتاء الزكاة هو الاعراض عن الفضول المالية بل عن كل موجود وهمى بالموجود الحقيقى و بذل المال الذى هو شقيق الروح لاستفتاح أبواب الفتوح و اللام فيهما للعهد أو للجنس فينصرف الى الكامل كقولهم هو الرجل كأن ما عدا صلاة المسلمين و زكاتهم ليس صلاة ولا زكاة (فاذا فعلوا ذلک) أى المذكور من الشهادتين و الصلاة و الزكاة و يسمى القول فعلا لانه عمل اللسان أو تغليبا (عصموا) بفتح الصاد أى حفظو او منعوا (منّى) أى من اتباعى أو من قبلى و جهة دينى (دماءهم و أموالهم) أى استباحتهم بالسفک و النهب المفهوم من المقاتلة (الا بحق الاسلام) أى دينه والاضافة لامية والاستثناء مفرغ من أعم عام الجار و المجرور أى اذا فعلوا ذلک لا يجوز اهدار دمائهم و استباحة أموالهم بسبب من الاسباب الا بحق الاسلام من استيفاء قصاص نفس أو طرف اذا قتل أو قطع و من أخذ مال اذا غصب الى غير ذلک من الحقوق الاسلامية كقتل لنحو زنًا محصن و قطع لنحو سرقة و تغريم مال لنحو اتلاف مال الغير المحترم و قال ابن مالک الاستثناء من الدماء والاموال بحذف موصوف أى الادماء أو أموالا ملتبسة بحق (و حسابهم) أى فيما يسترون من الكفر و المعاصى بعد ذلک (على الله) و الجملة مستأنفة أو معطوفة على جزاء الشرط و المعنى انا نحكم بظاهر الحال و الايمان القولى و نرفع عنهم ما على الكفار و نؤاخذهم بحقوق الاسلام بحسب ما يقتضيه ظاهر حالهم لا انهم مخلصون والله يتولى حسابهم فيثيب المخلص و يعاقب المنافق و يجازى المصر بفسقه أو يعفو عنه و فيه دليل على أن من أظهر الاسلام

متفق عليه الا أن مسلما لم يذكر الا بحق الاسلام و عن أنس انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاتنا و استقبل قبلتنا و أكل ذبيحتنا

و أبطن الكفر يقبل اسلامه في الظاهر و ذهب مالك الى أنه لا تقبل توبة الزنديق و هو من يظهر الاسلام و يخفى الكفر و يعلم ذلك بان يقر أو يطلع منه على كفر كان يخفيه فقيل لا تقبل و يتحتم قتله لكنه ان صدق في توبته نفعه في الآخرة و قيل يقبل منه مرة فقط و قيل ما لم يكن تحت السيف وقيل مالم يكن داعية للضلال و قيل معنى الحديث أن القتال و العصمة انما هما في الاحكام الدنيوية و أما الامور الاخروية من الثواب و العقاب وكميتها وكيفيتها فهو مفوض الى الله تعالى لا دخل لنا فيه اه و قد يرجع الى المعنى الاول فتأمل و قيل معناه أن الحساب كالواجب في تحقق الوقوع و قيل هو واجب شرعا بحسب وعده تعالى به فيجب أن يقع لا أنه تعالى يجب عليه شئ فلا حجة فيه للمعتزلة في زعمهم و جوبه على الله تعالى عقلا ثم الحساب مصدر كالمحاسبة وهو العد قيل ومعنى حسابهم على الله أنه يعلمهم ما لهم و ما عليهم بان يخلق العلم الضروري في قلوبهم بمقادير أعمالهم و بما لهم من الثواب و العقاب عن ابن عباس انه قال لا حساب على الخلق بل يقفون بين يدى الله و يعطون كتبهم بايمانهم فيقال قد تجاوزت عنها ثم يعطون حسناتهم فيقال قد ضعفتها لكم فيكون مجازا من باب اطلاق السبب على المسبب لان الحساب سبب لحصول علم الانسان بماله أو عليه أو أنه يجازيهم اذ الحساب سبب للاخذ و الاعطاء قال تعالى والله سريع الحساب و معنى سرعته ان قدرته تعالى متعلقة بجميع الممكنات من غير أن يفتقر في احداث شئ الى فكر و روية و مدة و عدة ولذا ورد انه يحاسب الخلق في مقدار حلبة شاة أو في لمحة (متفق عليه) أى اتفق البخارى و مسلم على رواية جميع الحديث المذكور (الا أن مسلما لم يذكر الا بحق الاسلام) لكنه مراد و رواه النسائى و ابن ماجه من حديث جابر و هذا الحديث موافق لقوله تعالى فان تابوا أى عن الكفر باتيان الشهادتين و أقاموا الصلاة و آتوا الزكاة فخلوا سبيلهم و في الجامع الصغير رواه الجماعة عن أبي هريرة و هو متواتر أى معنوى بلفظ أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله و انى رسول الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم و أموالهم الا بحقها و حسابهم على الله و في الجامع الكبير روى ابن جرير و الطبرانى في الاوسط عن أنس و حسنه بلفظ أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم و أموالهم الا بحقها قيل وما حقها قال زنا بعد احصان أو كفر بعد اسلام أو قتل نفس فيقتل بها اه ففي هذا الحديث دلالة ظاهرة على أن الاقرار شرط لصحة الاسلام و ترتب الاحكام و رد بليغ على المرجئة في قولهم ان الايمان غير مفتقر الى الاعمال و دليل على عدم تكفير أهل البدع من أهل القبلة المقرين بالتوحيد الملتزمين للشرائع (و عن أنس) مر ذكره (انه) هو ثابت في النسخ المصححة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاتنا) أى كما نصلى ولا توجد الا من موحد معترف بنبوته و من اعترف به فقد اعترف بجميع ما جاء به فلذا جعل الصلاة علما لاسلامه ولم يذكر الشهادتين لدخولهما في الصلاة حقيقة أو حكما (و استقبل قبلتنا) انما ذكره مع اندراجه في الصلاة لان القبلة أعرف اذ كل أحد يعرف قبلته وان لم يعرف صلاته ولان في صلاتنا ما يوجد في صلاة غيره و استقبال قبلتنا مخصوص بنا ولم يتعرض للزكاة و غيرها من الاركان اكتفاء بالصلاة التى هى عماد الدين أو لتأخر وجوب تلك الفرائض عن زمن صدور هذا القول ثم لما ميز المسلم عن غيره عبادة ذكر ما يميزه عبادة و عادة بقوله (و أكل ذبيحتنا) فان التوقف عن أكل الذبائح كما هو من العبادات فكذلك من العادات الثابتة في الملل المتقدمات و الذبيحة فعيلة بمعنى مفعولة و التاء للجنس كما في الشاة

فذلک المسلم الذی له ذمةالله و ذمة رسوله فلا تخفروا الله فی ذمته رواه البخاری و عن أبی هريرة قال أتی اعرابی النبی صلی‌الله‌عليه‌وسلم فقال دلنی علی عمل اذا عملته دخلت الجنة قال تعبدالله ولا تشرک به شيأ و تقيم الصلاة المکتوبة و تؤدی الزکاة المفروضة و تصوم رمضان قال والذی نفسی بيده لا أزيد علی هذا شيأ ولا أنقص منه

(فذلک) أی من جمع هذه الاوصاف الثلاثة مبتدأ خبره (المسلم) أو هو صفته و خبره (الذی له ذمةالله و ذمة رسوله) أی أمانهما و عهدهما من وبال الکفار و ما شرع لهم من القتل والقتال و غيرهما أی يرتفع عنه هذا و کرر لفظة ذمة اشعارا بأن کلا منهما مقصود و ان الاصل هو الاول و انهما متلازمان ولذا اقتصر عليه فی قوله (فلا تخفروا الله فی ذمته) من الاخفار أی لا تخونوا الله فی عهده ولا تتعرضوا فی حقه من ماله و دمه و عرضه أو الضمير للمسلم أی فلا تنقضوا عهدالله بحذف المضاف و اقامة المضاف اليه مقامه فی ذمته أی ما دام هو فی أمانه (رواه البخاری) و أبو داود و الترمذی و النسائی بمعناه (و عن أبی هريرة) مر ذکره (قال أتی اعرابی) أی بدوی منسوب الی الاعراب وهم سکان البادية کما أن العرب سکان البلاد (النبی) أی جاءه و فی نسخة الی النبی (صلی‌الله‌عليه‌وسلم فقال دلنی) بضم الدال و فتح اللام المشددة أی أرشدنی بالدلالة (علی عمل) صفته أنه (اذا عملته دخلت الجنة) أی دخولا أوليا غير مسبوق بنوع من العذاب (قال تعبدالله) خبر بمعنی الامر أو فی تأويل المصدر بتقدير ان ولما حذفت رفع الفعل و قيل مع بقاء أثره من النصب أو تنزيلا منزلة المصدر بذکر الفعل و ارادة الحدث کما فی تسمع بالمعيدی خير من أن تراه و کقوله تعالی و من آياته يريکم البرق و هو فی الحديث مرفوع المحل بالخبرية لمبتدأ محذوف أی هو يعنی العمل الذی اذا عملته دخلت الجنة هو عبادة الله الخ ثم قيل المراد بالعبادة التوحيد للعطف و الاصل المغايرة و هو شامل للنبوة لانه لايعتبر بدونها فذکره مغن عن ذکرها و قيل السائل کان مؤمنا فذکره لشرفه و کونه أصلا و قيل انه من باب عطف الخاص علی العام (ولا تشرک به شيأ) أی من الاشياء أو من الشرک جليا أو خفيا و الجملة حالية أی غير مشرک و هو يؤيد ان المراد بالعبادة التوحيد و هذه الجملة تفيد التأکيد و علی الثانی قيل انما ذکره ردا علی الکفار حيث قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الی الله زلفی و بيانا لان العبادة لا تکمل الا اذا سلمت من طرق الرياء قال تعالی فمن کان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرک بعبادة ربه أحدا قال العارفون التعبد اما لنيل الثواب أو التخلص من العقاب و هی أنزل الدرجات و تسمی عبادة لان معبوده فی الحقيقة ذلک المطلوب بل نقل الفخر الرازی اجماع المتکلمين علی عدم صحة عبادته أو للتشرف بخدمته تعالی و الانتساب اليه و تسمی عبودية و هی أرفع من الاولی ولکنها ليست خالصة له أو لوجهه تعالی وحده من غير ملاحظة شئ آخر و تسمی عبودة و هی أعلی المقامات و أرفع الحالات (و تقيم الصلاة المکتوبة) أی المفروضة علی الاعيان بشرائطها و أرکانها المعلومة (و تؤدی) أی تعطی (الزکاة المفروضة) و التغاير بينهما للتفنن و هی هنا للتأکيد لئلا يتوهم المعنی اللغوی و هو مطلق الصدقة بخلاف الاولی فانها احترازية و المعنی أداء مقدارها المعينة لمصارفها المقررة (و تصوم رمضان) ولا يکون الا مفروضا و لذا لم يقيده و من ثم صح صومه بنية مطلقة (قال) أی الاعرابی (و الذی نفسی بيده) فيه جواز اليمين لغير ضرورة (لا أزيد علی هذا) أی ما ذکر (شيأ) أی من عندی (ولا أنقص منه) و قيل لا أزيد علی هذا السؤال ولا أنقص فی العمل مما سمعته أو کان الرجل وافدا فالمعنی لا أزيد علی ما سمعت فی تبليغه

فلما ولى قال النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم من سره أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا متفق عليه
و عن سفيان بن عبدالله الثقفى قال قلت يا رسول‌الله قل لى فى الاسلام قولا لا أ ، عنه أحدا بعدك
و فى رواية غيرك قال قل آمنت بالله ثم استقم رواه مسلم

ولا أنقص منه ولما كانت العبادة شاملة لفعل الواجبات و ترك المنكرات أو أن الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر صح اثبات النجات له بمجرد ذلك و يؤيده رواية البخارى فأخبره رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم بشرائع الاسلام فأدبر الرجل و هو يقول والله لا أزيد ولا أنقص مما فرض الله‌تعالى على شيأ و قيل قصد به المبالغة فى التصديق و القبول أى قبلت قولك فيما سألتك عنه قبولا لامزيد عليه من جهة السوال ولا نقص فيه من طريق القبول قيل و هذا قبل مشروعية النوافل ولا حاجة الى هذا فانها متممات ومكملات للفرائض لا زيادة عليها مع أنه قد يقال مراده انه لا يزيد على الاجناس المذكورة ولم يذكر هنا الحج ولا الصوم فى رواية ولا الزكاة فى أخرى ولا الايمان فى أخرى و ذكر فى بعضها صلة الرحم و فى بعضها أداء الخمس و أجاب ابن الصلاح كالقاضى عياض بان سبب ذلك تفاوت الرواة حفظا و اتقانا (فلما ولى) أى أدبر الاعرابى و ذهب (قال النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم من سره) أى أوقعه فى السرور و أعجبه و الفاعل هو (أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر) جواب الشرط أو خبر متضمنه (الى هذا) أى هذا الرجل لعزمه على فعل المأمورات وترك المحذورات فعلى من أراد اللحوق به فى ذلك أن يصمم على ما صمم عليه ليكون من الناجين وليحشر مع السابقين فيحتمل أن تكون الاشارة الى الفرد الجنسى و هو ظاهر أو الى الفرد الشخصى و هو الاظهر و يكون العلم اما بالوحى أو بغلبة الظن (متفق عليه و عن سفيان) بتثليث السين و الضم هو المشهور (بن عبدالله) أى ابن ربيعة (الثقفى) بفتحتين نسبة الى قبيلة ثقيف يكنى أبا عمرو وقيل أبا عمرة يعد فى أهل الطائف له صحبة وكان عاملا لعمر بن الخطاب على الطائف مروياته خمسة أحاديث (قال قلت يا رسول‌الله قل لى فى الاسلام) أى فيما يكمل به الاسلام و يراعى به حقوقه و يستدل به على توابعه و قيل التقدير فى مبادى الاسلام و غاياته (قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك) أى قولا جامعا لا أحتاج فيه الى سؤال أحد بعد سؤالك هذا كقوله تعالى وما يمسك فلا مرسل له من بعده اى من بعد امساكه (و فى رواية غيرك) أى لا أسأل عنه أحدا غيرك و الاول مستلزم لهذا لانه اذا لم يسأل أحدا بعد سؤاله لم يسأل غيره و بهذا يظهر وجه أولوية الاول بجعله أصلا و الثانى رواية خلافا لما فعل النووى فى أربعينه (قال قل آمنت بالله) أى بجميع ما يجب الايمان به (ثم استقم) هذا مقتبس من قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا يعنى على امتثال الاوامر و اجتناب الزواجر فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون و فى آية أخرى تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا و لا تحزنوا و أبشروا بالجنة التى كنتم توعدون الآيات روى عن على رضى‌الله‌عنه أنه قال قلت يا رسول‌الله اوصنى فقال قل ربى‌الله ثم استقم قال قلت ربى‌الله وما توفيقى الابالله عليه توكلت و اليه أنيب فقال ليهنك العلم أبا الحسن و هذا الحديث من جوامع الكلم الشامل لاصول الاسلام التى هى التوحيد و الطاعة فالتوحيد حاصل بقوله آمنت بالله و الطاعة بأنواعها مندرجة تحت قوله ثم استقم لان الاستقامة امتثال كل مأمور و اجتناب كل محذور فيدخل فيه أعمال القلوب و الابدان من الايمان والاسلام والاحسان اذ لا تحصل الاستقامة مع شئ من الاعوجاج ولذا قالت الصوفية الاستقامة خير من ألف كرامة أو لقول آمنت بالله شامل للاتيان بكل الطاعات و الاجتناب عن كل المنهيات و قوله ثم استقم محمول على الثبات فيهما ولعظمة أمر الاستقامة قال عليه السلام شيبتنى سورة هود لانه نزل

فيها فاستقم كما أمرت و هي جامعة لجميع أنواع التكاليف و قالت الصوفية لان الدعوة الى الله مع كون المدعو على الصراط المستقيم أمر صعب لايمكن الا اذا كان الداعي على بصيرة يرى أنه يدعوه من اسم الى اسم قال ابن عباس فى قوله تعالى فاستقم كما أمرت ما نزل على رسول الله فى جميع القرآن آية كانت أشد ولا أشق عليه من هذه الآية ولذا قال عليه الصلاة والسلام لما قالوا له قد أسرع اليك الشيب شيبتنى هود وأخواتها و قال الفخر الرازى الاستقامة أمر صعب شديد لشمولها العقائد بان يجتنب التشبيه و التعطيل و الاعمال بان يحترز عن التغيير و التبديل و الاخلاق بان يبعد عن طرفى الافراط و التفريط و قال الغزالى الاستقامة على الصراط فى الدنيا صعب كالمرور على صراط جهنم و كل واحد منهما أدق من الشعر و أحد من السيف اه و مما يؤيد صعوبة هذا المرق خبر استقيموا ولن تحصوا أى ولن تطيقوا أن تستقيموا حق الاستقامة و لكن اجتهدوا فى الطاعة حق الاطاعة فان ما لا يدرك كله لا يترك كله و فيه تنبيه نبيه على ان أحدا لا يظن بنفسه الاستقامة ولا يتوهم أنه خرج بالكلية من صفة النفس اللوامة فيقع فى العجب و الغرور الذين هما أقبح من كل ما يترتب عليه الملامة نسأل الله السلامة و قد يقال السين لطلب القيام و الثبات على الحالات و المقامات فى جميع الساعات الى الممات ثم قد يقال الحكمة فى عدم الاطاقة على دوام الاطاعة ان تراب الانسان عجن بماء النسيان الناشئ عنه العصيان ولذا قال عليه الصلاة والسلام كلكم خطاؤن و خير الخطائين التوابون فجنس الانسان كنوع النسوان التى خلقن من الضلع الاعوج فلا يتصور منهن الاستقامة على صفة الادامة و كل ميسر لما خلق له ولا يزول طبع عما جبل عليه كما ورد فى حديث الاشارة اليه هذا ولفظة ثم مستعارة للتراخى الرتبى لان الاستقامة أفضل من قوله آمنت بالله لشمولها العقائد والاعمال والاخلاق ذكره الزمخشرى والامام و هى لغة ضد الاعوجاج أى الاستواء فى جهة الانتصاب و تنقسم الى استقامة العمل و هو الاقتصاد فيه غير متعد من منهج السنة ولا متجاوز عن حد الاخلاص الى الرياء و السمعة أو رجاء العوض أو طلب الغرض و استقامة القلب و هى الثبات على الصواب و عند المحققين هى استواء القصد فى السير الى الله و ثبات القوى على حدودها بالامر و النهى و هى دون الاستقامة فى السير فى الله لان هذه فى الطريق و السلوك اليه بأحدية الطريق المستقيم و أما السير فى الله فهو الاتصاف بصفاته والاستقامة فى الله دون الاستقامة فى السير فى الله المأمور بها نبينا محمد عليه الصلاة والسلام فى قوله فاستقم كما أمرت لان تلك فى مقام جمع الجمع و البقاء بعد الفناء و الاولى للمريدين و الثانية للمتوسطين و استقامة الروح و هى الثبات على الحق و السر و هى الثبات على الحقيقة قال القشيرى الاستقامة درجة بها كمال الامور و تمامها وبوجودها حصول الخيرات و نظامها و من لم يكن مستقيما ضاع سعيه و خاب جهده و أنشد

اذا أفشيت سرك ضيق صدر * أصابتك الملامة و الندامة
و ان أخلصت يوما فى فعال * تنال جزاءه بالاستقامة

و قال بعض العارفين معنى الحديث انه اذا وقفت بالتوحيد و رؤية جلال قدمه قدر مع الحق حيث دار أما قضاء وأما رضاء ولا تنزل عن مقام الرضا الى فترة النفس و الهوى و قال الغزالى لعزة الاستقامة والاحتياج اليها فى كل حالة أمر الله تعالى عباده بقراءة الفاتحة المتضمنة للدعاء بالاستقامة أمر وجوب فى الاوقات الخمسة لنسأل الله تعالى الاستقامة الشاملة بحسن الخاتمة (رواه مسلم) و رواه النسائى و ابن ماجه و الترمذى و زاد قلت يارسول الله ما أخوف ما أخاف على فأخذ بلسانه ثم قال هذا و قال الترمذى حسن صحيح و زاد فى الاحياء قلت ما اتقى فأومأ بيده الى لسانه (و عن طلحة بن عبيدالله) يكنى أبا محمد القرشى أحد العشرة المبشرة بالجنة أسلم قديما وشهد المشاهد كلها غير بدر و ضرب له

و عن طلحة بن عبيدالله قال جاء رجل الى رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من أهل نجد ثائر الرأس نسمع دوى صوته و لانفقه ما يقول حتى دنا من رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم فاذا هو يسأل عن الاسلام فقال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم خمس صلوات فى اليوم و الليلة فقال هل على غيرهن فقال لا

صلى‌الله‌عليه‌وسلم سهمه لان النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم كان بعثه مع سعيد بن زيد يتعرفان خبرالعير التى كانت لقريش مع أبى سفيان بن حرب فعادا يوم اللقاء ببدرووق النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم يوم أحد بيده فشلت أصبعه و جرح يومئذ أربعة و عشرين جراحة و قيل كانت فيه خمس و سبعون بين طعنة و ضربة و رمية و سماه النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم طلحة الخير و طلحة الجود قتل فى وقعة الجمل سنة ست و ثلاثين و دفن بالبصرة وله أربع و ستون سنة روى عنه جماعة (قال جاء رجل) قيل هو ضِمام بن ثَعلبة وافد بنى سعد بن بكر (الى رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم) متعلق بجاء (من أهل نجد) صفة رجل و النجد فى الاصل ما ارتفع من الارض ضد التهامة و هو الغور سميت به الارض الواقعة بين تهامة أى مكة و بين العراق (ثائر الرأس) بالثاء المثلثة من ثار الغبار اذا ارتفع و انتشر أى منتشر شعر الرأس غير مرجله بحذف المضاف أو سمى الشعر رأسا مجازا تسمية للحال باسم المحل أو مبالغة بجعل الرأس كانه المنتشر و هو مرفوع على أنه صفة عندالاكثر و قيل انه منصوب على الحالية من رجل لوصفه وقيل انه الرواية (نسمع دوى صوته) أى شدته و بعده فى الهواء فلا يفهم منه شئ كدوى النحل و الذباب و هو بفتح الدال و ضمه رواية ضعيفة و بكسر الواو وتشديد الياء و هو منصوب على المفعولية و نسمع بصيغة المتكلم المعلوم على الصحيح و فى بعض النسخ بالياء مجهولا و رفع دوى على النيابة وكذا الوجهان فى قوله (ولانفقه) أى لا نفهم من جهة البعد (ما يقول) لضعف صوته (حتى دنا) أى (من رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم) كما فى نسخة صحيحة أى الى أن قرب فهمنا (فاذا) للمفاجأة (هو) أى الرجل (يسأل عن الاسلام) أى عن فرائضه التى فرضت على من وحد الله و صدق رسوله لا عن حقيقته و لذا لم يذكر الشهادتين و لكون السائل متصفابه فلا حاجة الى ذكره و يؤيده رواية البخارى أيضا أخبرنى ماذا فرض الله على و يمكن أنه سأل عن ماهية الاسلام و قد ذكر الشهادة و لم يسمعها الراوى أو نسيها أو اختصرها لكونها معلومة عند كل أحد و قيل لم يذكر الحج لان الحديث حكاية حال الرجل خاصة لقوله على فأجابه عليه‌الصلاةوالسلام بما عرف من حاله و لعله لم يكن ممن يجب الحج عليه أو لانه لم يفرض حينئذ أو أسقط من بعض الرواة و يؤيده رواية البخارى فأخبره النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم بشرائع الاسلام (فقال رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه وسلم خمس صلوات فى اليوم و الليلة) بالرفع على الصحيح و هو خبر مبتدأ محذوف أى الاسلام والمراد فرضه اقامة خمس صلوات أو مبتدأ محذوف الخبر أى من شرائعه أداء خمس صلوات و يجوز نصبه بتقدير خذ أواعمل أو صل و هو أحسن و أغرب ابن حجر فأعرب بقوله بالجر بدلا من الاسلام أو بقسيميه أى هو أو خذ اه و الذى اختاره من الجر لا يصح رواية و دراية أما الاول فيظهر لك من تتبع النسخ المصححة و أما الثانى فلان البدل و المبدل لا يكونان الا فى كلام شخص واحد و أن المقول لا يكون الا جملة فأحد جزأيه الموجود يتعين أن يكون مرفوعا و انه اذا جعل بدلا لا يبقى للسؤال جوابا فلا يتفرع عليه قوله (فقال) أى الرجل (هل على) أى يجب من الصلاة (غيرهن) أى فى اليوم و الليلة أو الجارخبر مقدم و غيرهن مبتدأ مؤخر (فقال) صلى‌الله‌عليه‌وسلم (لا) أى لا شئ عليك غيرها و هذا قبل وجوب الوتر أو أنه تابع للعشاء و صلاة العيد ليست من الفرائض

الا أن تطوع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم و صيام شهر رمضان فقال هل على غيره قال لا الا أن تطوع قال و ذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة فقال هل على غيرها فقال لا الا أن تطوع قال فأدبر الرجل و هو يقول و الله لا أزيد على هذا و لا أنقص منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلح الرجل

اليومية بل هى من الواجبات السنوية (الا أن) بفتح الهمزة (تطوع) بتشديد الطاء و الواو و اصله تتطوع بتاءين فأبدلت و أدغمت وروى بحذف احداهما و تخفيف الطاء و المعنى الا أن تشرع فى التطوع فانه يجب عليك اتمامه لقوله تعالى ولا تبطلوا أعمالكم ولاجماع الصحابة على وجوب الاتمام و قول ابن حجر هذا مجرد دعوى بلا سند مردود لان ذكر السند ليس بشرط لصحة الاجماع مع أن الآية المذكورة سند معتمد لصحة الاجماع المسطور و قول ابن حجر ان النهى فيه للتنزيه مخالف للاصل الذى عليه الجمهور و قوله على أنه يلزم الحنفية حيث استدلوا به أن يقولوا ان الاتمام فرض و هم انما يقولون بوجوبه مدفوع بأن الآية قطعية و الدلالة ظنية و قوله و استثناء الواجب من الفرض منقطع ممنوع فان الواجب عندنا فرض عملى لا اعتقادى و بهذا الاعتبار يطلق عليه أنه فرض فالمراد بالفرض فى الحديث المعنى الاعم والله أعلم مع أنه لا محذور فى جعل الاستثناء منقطعا لصحة الكلام كما اختاره فى هذا المقام و قوله على أنه من النفى لا يفيد الاثبات بل الحكم مسكوت عنه عندهم مدخول فان هذا انما يرد عليهم لو استدلوا بهذا الحديث و تقدم أن دليلهم الآية و الاجماع و انما حملوا لفظ الحديث على المعنى المستفاد منهما ثم هذا مطرد فى جميع العبادات عندنا حيث يلزم النفل بالشروع و وافقنا الشافعى فى الحج و العمرة فعليه الفرق و الا فيكفينا قياس سائرالعبادات عليهما أيضا او المعنى الا أن توجب على نفسك بالنذر و الاصل فى الاستثناء أن يكون متصلا وعدل عنه ابن حجر فقال لكن التطوع مستحب فهو استثناء من مدخول لا منقطع و حينئذ فلا يدل على ايجاب اتمام التطوع بالشروع فيه أقول يحتمل أن يكون الاستثناء منقطعا و المعنى لكن التطوع باختيارك أى ابتداء كما هو مذهبنا أو انتهاء أيضا كما هو مذهب الشافعى و فيه حث على الخيرات و ترك الوقوف على مجرد الواجبات (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم و صيام شهر رمضان) عطف على خمس و جملة السؤال و الجواب معترضة (قال هل على غيره) أى هل على صوم فرض سوى صوم رمضان (قال) بحذف الفاء فى الاصول الحاضرة (لا) فلا يجب صوم عاشوراء سواء كان واجبا قبل رمضان أم لا (الا أن تطوع قال) أى طلحة (و ذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة) هذا قول الراوى فانه نسى ما نص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو التبس عليه فقال ذكر الزكاة و هذا يؤذن بأن مراعاة الالفاظ معتبرة فى الرواية فاذا التبس عليه بعضها يشير فى ألفاظه الى ما ينبئ عنه كما فعل راوى هذا الحديث (فقال هل على غيرها فقال لا) قيل يعلم منه أنه ليس فى المال حق سوى الزكاة بشروطها و هو ظاهر ان أريد به الحقوق الاصلية المتكررة تكررها و الا فحقوق المال كثيرة كصدقة الفطر و نفقة ذوى الارحام و الاضحية (الا أن تطوع قال) أى طلحة (فادبر الرجل و هو) أى و الحال أن ذلك الرجل (يقول والله لا أزيد على هذا) أى فى الا بلاغ أو فى نفس الفرضية (و لا أنقص منه) أى شيأ و فى رواية البخارى لا أتطوع شيأ و لا أنقص مما فرض الله على شيأ (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلح الرجل) أى دخل فى الفلاح و المعنى فاز و ظفر و أدرك بغيته وهى ضربان دنيوى و هو الظفر بما يطيب معه الحياة و الاسباب و أخروى و هو ما يحصل به النجاة من العذاب و الفوز بالثواب قالوا و لا كلمة أجمع للخيرات منه و من ثم فسر بانه بقاء بلا فناء و غنى بلا فقر و عز بلا ذل و علم بلا

ا ن صد ق متفق عليه و عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان وفد عبد القيس لما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من القوم أو من الوفد قالوا ربيعة قال مرحبا بالقوم أو بالوفد

جهل و في رواية أفلح و الله و في أخرى صحيحة بلا شك و في رواية أفلح و أبيه و فيه اشكال لانه ورد من حلف بغير الله فقد أشرك فقيل انه قبل النهي و قيل فيه حذف مضاف أي و رب أبيه و قيل انه و الله و أن الكاتب قصر اللامين و قيل ان الكراهة في غير الشارع كما نقله البيهقي عن بعض مشايخه و أغرب ابن حجر فضعف الاقوال المذكورة جميعها و حمل على أن هذا وقع من غير قصد و هو في غاية من البعد (ان صدق) بكسر الهمزة على الصحيح و في نسخة بفتحها أي لصدقه و لا اشكال فيه و على الاول قيل انما حكم عليه الصلاة والسلام بكونه من أهل الجنة مطلقا في رواية أبي هريرة و هنا علق الفلاح بصدقه والحال أنه روى أن الحديثين واحد لانه يحتمل أنه قال بحضور الاعرابي لئلا يغتر فيشكل عليه فلما ذهب قال من سره الخ و قيل يحتمل أن يكون قبل أن يطلعه الله على صدقه ثم أطلعه الله عليه و يمكن أن يقال لا يلزم من كون الرجل من أهل الجنة أن يكون مفلحا لان المفلح هو الناجي من السخط و العذاب فكل مؤمن من أهل الجنة و ليس كل مؤمن مفلحا و لذا قال تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الآيات و قال هدى للمتقين الآيات ثم قال و أولئك هم المفلحون (متفق عليه) ورواه أبو داؤد و النسائي (و عن ابن عباس) هو عبد الله بن عباس ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم و أمه لبابة بنت الحرث أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ولد قبل الهجرة بثلاث سنين و توفي النبي صلى الله عليه وسلم و هو ابن ثلاث عشرة سنة و قيل خمس عشرة سنة و قيل عشر كان حبر هذه الامة و عالمها و دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بالحكمة و الفقه و التأويل و رأى جبريل عليه السلام مرتين و كان عمر بن الخطاب يقربه و يشاوره بين أجلة الصحابة و كف بصره في آخر عمره و مات بالطائف سنة ثمان وستين في أيام ابن الزبير و هو ابن احدى و سبعين سنة وروى عنه خلق كثير من الصحابة و التابعين (قال ان وفد عبد القيس) الوفد جمع وافد و هو الذي أتى الى الامير برسالة من قوم و قيل رهط كرام و عبد القيس أبو قبيلة عظيمة تنتهي الى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان و ربيعة قبيلة عظيمة في مقابلة مضر و كان قبيلة عبد القيس ينزلون البحرين و حوالى القطيف و ما بين هجر الى الديار المضرية و كانت وفادتهم سنة ثمان و سببها أن منقذ بن حبان منهم كان يتجر الى المدينة فمر به النبي صلى الله عليه وسلم فقام اليه فسأله عن أشراف قومه مسميا له بأسمائهم فأسلم و تعلم الفاتحة و اقرأ باسم ربك ثم رحل الى هجر و معه كتابه عليه الصلاة والسلام فكتمه أياما لكن أنكرت زوجته صلاته و مقدماتها فذكرت ذلك لابيها المنذر رئيسهم فتجاذبا فوقع الاسلام في قلبه ثم ذهب بالكتاب الى قومه وقرأه عليهم فأسلموا و أجمعوا على المسير اليه عليه الصلاة والسلام فتوجه منهم أربعة عشر راكبا فحين قربوا من المدينة قال عليه الصلاة والسلام لجلسائه أتاكم وفد عبد القيس خير أهل المشرق و فيهم الأشج أي المنذر سماه عليه الصلاة والسلام بذلك لاثر بوجهه وروى أنهم أربعون و جمع بأن لهم وفادتين أو بأن أشرافهم أربعة عشر (لما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم) أي حضروه (قال) أي رسول الله كما في نسخة (صلى الله عليه وسلم من القوم) بفتح الميم (أو من الوفد) شك من الراوي و الظاهر أنه ابن عباس و السؤال انما هو للاستئناس (قالوا ربيعة) أي قال بعض الوفد نحن ربيعة أو وفد ربيعة أو قال بعض الصحابة هم ربيعة أو وفد ربيعة على حذف مضاف و في نسخة بالنصب أي تسمى ربيعة أو يسمون ربيعة (قال مرحبا بالقوم أو بالوفد) أي أصاب الوفد رحبا وسعة أو أتى القوم

غير خزايا و لا ندامى قالوا يا رسول‌الله انا لا نستطيع أن نأتيک الا فی الشهر الحرام و بيننا و بينک هذا الحی من کفار مضر فمرنا بامر فصل نخبر به من وراءنا و ندخل به

موضعاو اسعافالباء زائدة فی الفاعل و مرحبا مفعول به لمقدر أو أتی الله بالقوم مرحبا فالباء للتعدية و مرحبا مفعول مطلق و قيل هو من المفاعيل المنصوبة بمضمر وجوبا لکثرة دورانه علی الالسنة و يقال هذا للتأنيس و ازالة الحزن و الاستحياء عن نفس من أتاهم من وافد أو باغی خير أو قاصد حاجة و تقدير ابن حجر صادفتم أو أصبتم غير ظاهر مع وجود القوم (غير خزايا) بفتح الخاء جمع خزيان من الخزی و هو الذل و الاهانة و نصبه علی الحال من الوفد و العامل فيه الفعل المقدر فی مرحبا و فی رواية للبخاری بالوفد الذين جاؤا غير خزايا و جوز جره علی أنه بدل من القوم و أغرب ابن حجر فقال وروی بالکسر صفة و وجه غرابته أن المحققين علی أن غير متوغلة فی النکرة بحيث انها لا تصير معرفة بالاضافة و لو الی المعرفة (ولا ندامی) جمع ندمان بمعنی نادم أو جمع نادم علی غير قياس اذ قياسه نادمين ازدواجا للخزايا و المعنی ما کانوا بالاتيان الينا خاسرين خائبين لانهم ما تأخروا عن الاسلام و لا أصابهم قتال و لاسبی فيوجب استحياء أو افتضاحا أو ذلا أو ندما (قالوا يا رسول‌الله انا لا نستطيع أن نأتيک) أی فی جميع الازمنة (الا فی الشهر) من الشهرة و الظهور (الحرام) و المراد به الجنس لان الاشهر الحرم أربعة ذوالقعدة و ذوالحجة و محرم متوالية و رجب فرد قال تعالی ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فی کتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم و انما قالوا ذلک اعتذارا عن عدم الاتيان اليه عليه‌الصلاة‌والسلام فی غير هذا الوقت لان الجاهلية کانوا يحاربون بعضهم بعضا و يکفون فی الاشهر الحرم تعظيما لها و تسهيلا علی زوار البيت الحرام من الحروب و الغارات الواقعة منهم فی غيرها فلا يأمن بعضهم بعضا فی المسالک و المراحل الا فيها و من ثم کان يمکن مجئی هؤلاء اليه عليه‌الصلاة‌والسلام فيها دون ما عداها لامنهم فيها من کفار مضر الحاجزين بين منازلهم و بين المدينة و کان هذا التعظيم فی أول الاسلام ثم نسخ بقوله تعالی اقتلوا المشرکين حيث وجدتموهم (و بيننا و بينک هذا الحی) الجملة حال من فاعل نأتيک أو بيان لوجه عدم الاستطاعة و أصل الحی منزل القبيلة سميت به اتساعا لان بعضهم يحيا ببعض أو يحيی بعضهم بعضا (من کفار مضر) تبعيضية أو بيانية و هو الاظهر و مضر غير منصرف علی الاصح و هو ابن نزار بن معد بن عدنان فهو أخو ربيعة أبی عبدالقيس (فمرنا بامر) الاظهر أن الامر بمعنی الشأن واحد الامور و الباء صلة و التنکير للتعظيم و المراد به معنی اللفظ و مورده و قيل الامر واحد الاوامر أی القول الطالب للفعل و التنکير للتقليل و الباء للاستعانة و المراد به اللفظ و المأمور به محذوف أی مرنا نعمل بقولک آمنوا أو قولوا آمنا و أغرب ابن حجر فی قوله و من ثم قال الراوی أمرهم بالايمان اه فانه يدل علی أن الامر بمعنی الشأن لانه لو کان کما قال لقال الراوی قال عليه الصلاة‌والسلام لهم آمنوا أو قولوا آمنا (فصل) بمعنی فاصل بين الحق و الباطل وهو صفة لامر أی أمر قاطع أو بمعنی مفصل لتفصيله صلی‌الله‌عليه‌وسلم الايمان بارکانه الخمسة أو مفصول أی مبين واضح يفصل به المراد من غيره و حکی الاضافة (نخبر) بالرفع علی أنه صفة ثانية لامر أو استئناف و بالجزم علی جواب الامر (به) بسببه کذا قيل و الظاهر أنها للتعدية (من وراءنا) بفتح الميم و الهمزة أی من خلفنا من قومنا أو من بعدنا ممن يدرکنا قال ابن حجر و فی رواية أخری بکسر هما اه و هو غير موجود فی النسخ المصححة و يحتاج الی تقدير المفعول (وندخل) عطف علی نخبر بصيغة الفاعل و فی نسخة بصيغة المفعول (به) أی بسبب قبول أمرک

الجنة وسألوه عن الاشربة فأمرهم باربع و نهاهم عن أربع أمرهم بالإيمان بالله وحده قال أتدرون ما الايمان بالله وحده قالوا الله و رسوله أعلم قال شهادة أن لا اله الا الله و أن محمدا رسول الله و اقام الصلاة و ايتاء الزكاة و صيام رمضان و أن تعطوا من المغنم الخمس

و العمل به أو بالاخبار به المفهوم من نخبر (الجنة) أى مع الفائزين و قال ابن حجر مع الناجين اه و فيه مناقشة لا تخفى و دخول الجنة انما هو بفضل الله لكن العمل الصالح سببه كما أن الاكل سبب الشبع و المشبع هو الله تعالى بفضله اذ لا يجب على الله سبحانه أو المضاف مقدر أى درجاتها فانها فى مقابلة الاعمال و دخول الجنة بالافضال قال ابن حجر و هذا على حد و تلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون أى بعملكم و لاينافيه خبر لن يدخل الجنة أحد منكم بعمله لان المراد نفى كون العمل سببا مستقلا فى الدخول بدليل قالوا و لا أنت يا رسول الله قال و لا أنا الا أن يتغمدنى الله برحمته و هذا أولى من الجواب بأن الباء فى الآية للملابسة أى أورثتموها ملابسة لاعمالكم أى لثوابها أو للمقابلة كبعته بدرهم أو المراد الجنة العالية أو بأن درجاتها بالعمل و دخولها بالفضل و قال النووى الدخول بسبب العمل والعمل من رحمته تعالى أى فلم يقع الدخول الا برحمة الله و اعترض بأن المقدمة الاولى خلاف صريح الحديث و يدفع بأن المراد به ما تقرر من انتفاء كونه سببا مستقلا مع قطع النظر عن كونه من الرحمة اذ القصد به الرد على من يرى عمله متكفلا بدخولها من غير ملاحظة لكونه من جملة رحمة الله اه و التحقيق أن المراد بالحديث انتفاء دخولها بالعمل على وجه العدل و اثباته على طريق الفضل فما بينهما تناف يقبل الفصل (وسألوه) أى الوفد (عن الاشربة) جمع شراب و هو ما يشرب أى عن حكم ظروفها بحذف المضاف أو عن الاشربة التى تكون فى الاوانى المختلفة بحذف الصفة و المراد عن حكمها (فأمرهم بأربع) أى بأربع خصال تنبيها على انها الاهم بالسوال و الاتم فى تحصيل الكمال (ونهاهم عن أربع) أى أربع خصال وهى أنواع الشرب باعتبار أصناف الظروف الآتية (أمرهم بالايمان بالله وحده) نصب على الحال أى واحدا فى الذات منفردا فى الصفات لا شريك له فى الافعال وهذا الامر توطئة فان الامر والنهى من فروع التكاليف وهى موقوفة على الايمان فانه شرط صحتها و مبدأ ثبوتها (قال أتدرون ما الايمان بالله وحده) ذكره تنبيها لهم على تفريغ أذهانهم لضبط ما يلقى اليهم فيكون أوقع فى نفوسهم (قالوا الله و رسوله أعلم) تأدبا و طلبا للسماع منه صلى الله عليه وسلم لان القوم كانوا مؤمنين فلا وجه لقول ابن حجر هو بمعنى عالم على حد الله أعلم حيث يجعل رسالته ثم أغرب فى قوله و يؤخذ منه الرد على من نازع فى قول الفقهاء عقب نحو فتاويهم و أبحاثهم و الله أعلم و على من فصل فقال يقول المجيب فى العقائد و بالله التوفيق و فى الفروع و الله أعلم اه فانه تناقض بين تأويله وأخذه (قال) قيل أى الايمان بالله وحده الذى هو بمعنى الاسلام اذ كل يطلق بمعنى الآخر و من ثم فسره عليه الصلاة والسلام فى بعض الاحاديث بما فسر به الايمان هنا كذا قاله ابن حجر و هو تأويل حسن لولا قوله بالله وحده قال (شهادة أن لا اله الا الله و أن محمدا رسول الله) برفع شهادة لا غير على أنها خبر مبتدأ محذوف هو هو (و اقام الصلاة و ايتاء الزكاة و صيام رمضان) بجر الثلاثة و هو الاظهر أو برفعها على ما سيأتى بيانها قال القاضى عياض و العالم يذكر الحج لان وفادة عبد القيس كانت عام الفتح و نزلت فريضة الحج سنة تسع بعدها على الاشهر (و أن تعطوا من المغنم) بفتح الميم و النون أى الغنيمة (الخمس) بضم الميم و سكونها قال ابن الصلاح و أن تعطوا عطف على قوله بأربع فلا يكون واحدا منها وان كان واحدا من مطلق شعب الايمان اه فيكون هذا من باب زيادة الافادة قال الطيبى فى الحديث اشكالان أولهما

أن المأموربه واحد و الاركان تفسير للايمان بدلالة قوله أتدرون ما الايمان و ثانيهما أن الاركان أى المذكورة خمسة و قد ذكر أربعة أى أولا و أجيب عن الاول بأنه جعل الايمان أربعا نظرا الى أجزائه المفصلة و عن الثانى بأن عادة البلغاء اذا كان الكلام منصبا لغرض من الاغراض جعلوا سياقه له و كأن ما سواه مطروح فههنا ذكر الشهادتين ليس مقصودا لان القوم كانوا مؤمنين مقرين بكلمتى الشهادة بدليل قولهم الله و رسوله أعلم اه و يدل عليه ما جاء فى رواية للبخارى أمرهم بأربع و نهاهم عن أربع أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة و صوموا رمضان و اعطوا خمس ما غنمتم و لا تشربوا فى الدباء و الحنتم و النقير و المزفت اه و بهذه الرواية تندفع الاشكالات و يرجع اليها التأويلات لكنى ما أقول ما قاله الطيبى من أن ذكر الشهادتين ليس مقصودا بل أقول هو المقصود بالذات وانما المذكورات بيان شعبها المعظمة و أركانها المفخمة و محمل كلام الطيبى أنه ليس مقصودا من الاربع بل هو جملة معترضة بين الاربع وبين مبينها وقال السيد جمال الدين قيل هذا الحديث لا يخلو عن اشكال لانه ان قرئ و اقام الصلاة الخ بالرفع على أنها معطوفة على شهادة ليكون المجموع من الايمان فأين الثلاثة الباقية و ان قرئت بالجر على انها معطوفة على قوله بالايمان يكون المذكور خمسة لا أربعة و أجيب على التقدير الاول بأن الثلاثة الباقية حذفها الراوى اختصارا أو نسيانا و على التقدير الثانى بأنه عد الاربع التى وعدهم ثم زادهم خامسة و هى أداء الخمس لانهم كانوا مجاورين لكفار مضر و كانوا أهل جهاد و غنائم اه و الاظهر اختيار الجر والمجرورات الاربعة بالعطف هى المأمورات و يكون ذكر الايمان لشرفه و فضله و بيان أساسه و أصله سواء كانوا مؤمنين أو مرتدين و يكون قوله أمرهم بالايمان إلى آخر الشهادتين كجملة معترضة و يكون التقدير أمرهم بالايمان أيضا بدليل اتفاق أهل السنة على ان الاركان ليست من أجزاء الايمان و للرواية السابقة عن البخارى (ونهاهم عن أربع) أى خصال و هى الانتباذ فى الظروف الاربعة و الشرب منها (عن الحنتم) بدل باعادة الجار و هو بفتح الحاء الجرة مطلقا أو خضراء أو حمراء أعناقها فى جنوبها يجلب فيها الخمر من مضر اوافواهها فى جنوبها يجلب فيها الخمر من الطائف أو جرار تعمل من طين و أدم و شعر أقوال للصحابة و غيرهم ولعلهم كانوا ينتبذون فى ذلك كله (و الدباء) بضم الدال و تشديد الباء و يمد و يقصر وعاء القرع و هو اليقطين اليابس (والنقير) بفتح فكسر جذع ينقر وسطه و ينبذ فيه (والمزفت) بتشديد الفاء المفتوحة المطلى بالزفت و يقال له القار والقير و ربما قال ابن عباس المقير بدل المزفت و المراد بالنهى ليس استعمالها مطلقا بل النقيع فيها و الشرب منها ما يسكر و اضافة الحكم اليها خصوصا اما لاعتيادهم استعمالها فى المسكرات أو لانها أوعية تسرع بالاشتداد فيما يستنقع لانها غليظة لا يترشح منها الماء ولا ينفذ فيه الهواء فلعلها تغير النقيع فى زمان قليل و يتناوله صاحبه على غفلة بخلاف السقاء فان التغير فيه يحدث على مهل و الدليل على ذلك ما روى أنه قال نهيتكم عن النبيذ الا فى سقاء فاشربوا فى الاسقية كلها ولاتشربوا مسكرا و قيل هذه الظروف كانت مختصة بالخمر فلما حرمت الخمر حرم النبى صلى الله عليه وسلم استعمال هذه الظروف اما لان فى استعمالها تشبيها بشرب الخمر و اما لان هذه الظروف كانت فيها أثر الخمر فلما مضت مدة أباح النبى صلى الله عليه وسلم استعمال هذه الظروف فان أثر الخمر زال عنها و أيضا فى ابتداء تحريم شئ يبالغ و يشدد ليتركه الناس مرة فاذا تركه الناس و استقر الامر يزول التشديد بعد حصول المقصود هذا و ذهب مالک و أحمد الى أن تحريم الانتباذ فى هذه الظروف باق لم ينسخ لان ابن عباس استفتى عن الانتباذ فذكره فلو نسخ لم يذكره ويرد بانه لم يبلغه النسخ فلا يكون ايراده له حجة على من بلغه

و قال احفظوهن و اخبروا بهن من وراءكم متفق عليه و لفظه للبخاری و عن عبادة بن الصامت قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم و حوله عصابة من أصحابه بایعونی علی ان لا تشرکوا بالله شیأ ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا اولادکم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بین أیدیکم و أرجلکم ولاتعصوا فی معروف فمن و فی منکم فاجره علی الله و من اصاب من ذلک شیأ فعوقب

(و قال) أی النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم (احفظوهن) أی الکلمات المذکورات من المأمورات والمنهیات و اعملوا بهن (و أخبروا بهن) أی أعلموهن (من وراءکم) أی الذین خلفکم من القوم لتکونوا عالمین معلمین و کاملین مکملین و فی بعض النسخ بکسر المیم و جرما بعده و هو غیر ظاهر لاحتیاجه الی تقدیر المفعول (متفق علیه) ورواه أبو داود و الترمذی و النسائی (ولفظه) أی لفظ الحدیث (للبخاری) یعنی و لمسلم معناه فبهذا المعنی صار الحدیث متفقا علیه (و عن عبادة بن الصامت) رضی‌الله‌عنه بضم العین و تخفیف الموحدة یکنی أبا الولید الانصاری کان نقیبا وشهد العقبة الاولی والثانیة و الثالثة وشهد بدرا و المشاهد کلها ثم وجهه عمر الی الشام قاضیا و معلما فأقام بحمص ثم انتقل الی فلسطین و مات بها فی الرملة و قیل ببیت المقدس سنة أربع و ثلاثین و هو ابن ثنتین و سبعین روی عنه جماعة من الصحابة و التابعین رضی الله‌عنه (قال قال‌رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم و حوله) نصبه علی الظرف و هو خبر لقوله (عصابة) بالکسر اسم جمع کالعصبة لما بین العشرة الی الاربعین من العصب و هو الشد کأن‌بعضهم یشد بعضا أو من العصب لانه یشد الاعضاء و الجملة حالیة (من أصحابه) صفة لعصابة (بایعونی) أی عاقدونی و عاهدونی تشبیها لنیل الثواب فی مقابلة الطاعة بعقد البیع الذی هو مقابلة مال بمال و وجه المفاعلة ان کلا من المتبایعین یصیر کأنه باع ما عنده من صاحبه و أعطاه خالصة نفسه و طاعته قال الله‌تعالی ان‌الله اشتری من المؤمنین أنفسهم الآیة (علی أن لا تشرکوا بالله شیأ) مفعول به أو مفعول مطلق قیل الصحیح أن المرادبه الریاء (ولا تسرقوا) و هو اخذ مال الغیر محرزا بخفیة (ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادکم) بدفنهم احیاء فصبیانکم خشیة املاق و افتقار و بناتکم خوف لحوق عار و عیب (ولا تأتوا ببهتان) الباء للتعدیة و هو الکذب الذی یبهت سامعه قیل المراد به القذف (تفترونه) أی تختلقونه و تخترعونه صفة ببهتان (بین أیدیکم و أرجلکم) أی من عند أنفسکم و عبر بهما عن الذات و النفس لان معظم الافعال تزاول و تعالج بالید و الرجل و قیل معناه لا تبهتوا الناس بالعیوب کفاحا و شفاها کیلا یشاجر بعضکم بعضا کما یقال فعلت هذا بین یدیک أی بحضرتک و هذا النوع أشد البهت أو لا تنسبوه مبنیا علی ظن فاسد و غش مبطن من ضمائرکم و قلوبکم التی هی بین أیدیکم و أرجلکم و قیل معناه ولا تلحقوا بالرجال الاولاد من غیر أصلابهم فان احداهن فی الجاهلیة کانت تلتقط المولود و تقول لزوجها هو ولدی منک فعبر بالبهتان المفتری بین یدیها و رجلیها عن الولد الذی تلحقه بزوجها کذبا لان بطنها الذی یحمله بین یدیها و فرجها الذی تلد منه بین رجلیها (ولا تعصوا) بضم الصاد تعمیم بعد تخصیص (فی معروف) ما عرف فی الشرع حسنه أو قبحه (فمن وفی منکم) بالتخفیف و یشدد (فأجره علی الله) قال الطیبی لفظ وفی دل علی أن الاجر انما ینال بالوفاء بالجمیع لان الوفاء هو الاتیان بجمیع ما التزمه من العهود و الحقوق و أما العقاب فانه ینال بترک أی واحد کان اه و فیه انه ان کان المراد بالاجر کماله فالامر کذلک والا فلا یتوقف أجر امتثال طاعة أو اجتناب معصیة علی الآخر و یدل علیه المذهب الصحیح ان التوبة عن بعض الذنوب صحیحة خلافا للخوارج (و من أصاب من ذلک) أی المذکور (شیأ فعوقب) أی

يه فی الدنیا فهو کفارة له و من أصاب من ذلک شیأ ثم ستره الله علیه فهو الی الله ان شاء عفا عنه وان شاء عاقبه فبایعناه علی ذلک متفق علیه و عن أبی سعید الخدری قال خرج رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم فی أضحی أو فطر الی المصلی فمر علی النساء فقال یامعشر النساء تصدقن فانی أریتکن أکثر أهل النار فقلن و بم یا رسول‌الله قال تکثرن اللعن

(به) کما فی نسخة صحیحة یعنی أقیم علیه الحد (فی الدنیا فهو) أی الحد أو العقاب (کفارة له) زاد فی نسخة و طهور بفتح الطاء أی یکفر اثم ذلک ولم یعاقب به فی الآخرة و هذا خاص بغیر الشرک و أخذ أکثر العلماء من هذا ان الحدود کفارات و خبر لا أدری الحدود کفارات أم لا أجابوا عنه بأنه قبل هذا الحدیث لانه فیه نفی العلم و فی هذا اثباته و المعنی لا یعاقب علیه فی الآخرة بل علی عدم التوبة منه ان مات قبلها لان ترکها ذنب آخر غیر ما وقع العقاب علیه لقوله تعالی و من لم یتب فأولئک هم الظالمون و یمکن أن یجعل الخلاف لفظیا والله أعلم (و من أصاب من ذلک شیأ ثم ستره‌الله) أی ذلک الشئ المصاب أی (علیه) کما فی نسخة و علی غیرها أی ستر الله ذلک المصیب أی ذنبه بأن لم یقم الحد علیه (فهو) أی المستور (الی الله) أی أمره و حکمه من العفو و العقاب مفوض الیه فلا یجب علیه سبحانه عقاب عاص کمالایجب علیه ثواب مطیع علی المذهب الحق (ان شاء عفاعنه) قدم لسبق رحمته (وان شاء عاقبه) ردعلی المعتزلة (فبایعناه علی ذلک) وتسمی بیعة النساء کما فی سورة الممتحنة ولذا قیل علیکم بدین العجائز (متفق علیه) ورواه الترمذی و النسائی (و عن أبی سعید الخدری) منسوب الی خدرة بضم الخاء و سکون الدال المهملة حی من الانصار هو سعد بن مالک الانصاری اشتهر بکنیته کان من الحفاظ المکثرین روی عنه جماعة من الصحابة و التابعین مات سنة أربع وستین و دفن بالبقیع و له أربع و ثمانون سنة رضی‌الله‌عنه (قال خرج رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم فی أضحی) بفتح الهمزة و التنوین واحده أضحاة لغة فی الاضحیة أی فی عید أضحی علی حذف المضاف بل غلب علی عید النحر فحینئذ مغن عن التقدیر کالفطر و فی بعض النسخ بترک التنوین سمی بذلک لانه یفعل وقت الضحی و هو ارتفاع النهار (أو فطر) شک من الراوی (الی المصلی) أی المسجد الذی یصلی فیه صلاة العید و هو الموجود الی الیوم خارج السور فی المدینة المشرفة (فمر علی النساء) مر یتعدی بعلی کالباء و یحتمل أنه قصدهن للوعظ أو لمأمر بهن وعظهن (فقال یامعشر النساء) أی جماعتهن و الخطاب عام غلبت الحاضرات علی الغیب (تصدقن) أمر لهن أی اعطین الصدقة (فانی أریتکن) علی طریق الکشف أو علی سبیل الوحی (أکثر أهل النار) علی صیغة المجهول من أری اذا أعلم و له ثلاثة مفاعیل أحدها التاء القائمة مقام الفاعل و الثانی کن و الثالث أکثر أی اعلمت بأنکن أکثر دخولا فی النار من الرجال و الصدقة تقی منها کل امرئ فی ظل صدقته حتی یقضی بین الناس اتقوا النار و لو بشق تمرة و لان علة کون لهن أکثر أهل النار محبتهن للدنیا و بالتصدق یزول أو ینقص رذیلة البخل الناشئ عن محبتها المذمومة و لهذه النکتة ورد الید العلیا خیر من الید السفلی (فقلن و بم یا رسول‌الله) أصله بما حذفت ألف ما الاستفهامیة بدخول حرف الجر علیها تخفیفا و الباء للسببیة متعلقة بمقدر بعدها و الواو اما للعطف علی مقدر قبله و التقدیر فقلن کیف یکون ذلک و بأی شئ نکن أکثر أهل النار أو زائدة لیدل علی انه متصل بما قبله لا سؤال مستقل بنفسه منقطع عما قبله (قال تکثرن اللعن) أصله ابعاد الله تعالی العبد من رحمته بسخطه و من الانسان الدعاء بالسخط و الابعاد علی نفسه أو غیره و فیه مصادرة لسعة رحمته التی سبقت غضبه و من ثم اتفق العلماء علی

و تكفرن العشير ما رأيت من ناقصات عقل ود ين ا ذهب للب الرجل الحازم من احدا كن قلن و ما نقصان د يننا وعقلنايا رسول الله قال أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل قلن بلى قا ل فذ لك من نقصان عقلها قا ل

تحريمه لمعين و لو كافرا لم يعلم موته على الكفر يقينا اذ كيف يبعد من رحمة الله من لا يعرف خاتمة أمره و ان كان كافرا فى الحالة الراهنة لاحتمال أن يموت مسلما بخلاف من علم من الشارع موته كافرا كابى جهل أو أنه سيموت كذلك كابليس فانه لا حرج فى لعنه و بخلاف اللعن لا لمعين بل يوصف كلعن الله الواصلة و آكل الربا و الكاذب لانه يتصرف الى الجنس و لعل وجه التقييد بالا كثار ان اللعن يجرى على ألسنتهن لاعتياد هن من غير قصد لمعناه السابق فخفف الشارع عنهن و لم يتوعد هن بذلك الا عند ا كثاره و نظيره ما قاله بعض الائمة ان الغيبة صغيرة و وجهوه بأن الناس ابتلوابها فلو كانت كبيرة على الاطلاق كما جرى عليه كثيرون بل حكى عليه الاجماع للزم تفسيق الناس كلهم أو غالبهم و فى ذلك حرج أى حرج وقد يستعمل فى الشتم والكلام القبيح يعنى عادتكن ا كثار اللعن و الشتم و الايذاء باللسان (و تكفرن) بضم الفاء (العشير) أى المعا شر الملا زم و هو الزوج ههنا و كفرانه جحد نعمته و انكارها أو سترها بترك شكرها و فى الحد يث و من لم يشكر الناس لم يشكر الله يعنى شكرا كاملا فانه شكر المسبب و لم يشكر السبب و استعمال الكفران فى النعمة و الكفر فى الد ين أكثر (ما رأيت من ناقصات عقل و دين) من مزيد ة للاستغراق صفة لمفعوله المحذ وف أى ما رأيت أحدا من ناقصات و قيل يحتمل أن يكون بيانا لاحدا كن على المبالغة أو بالعكس و قوله (أذ هب) صفة لمحذ وف أى احدا و على الاول صفة أخرى له ان كان بمعنى أبصرت و مفعول ثان لرأيت ان كان بمعنى علمت و المفضل عليه مفروض مقد ر و هو افعل التفضيل من الا ذ هاب لمكان اللام فى قوله (للب الرجل) فمعناه أكثر اذهابا للب و هذا جائز على رأى سيبويه كهو أعطاهم للد رهم ثم العقل غريزة يد رك بها المعنى و يمنع عن القبائح و هو نور الله فى قلب المؤمن و اللب العقل الخالص من شوب الهوى (الحازم) صفة الرجل أى الضابط أمره و فى ذ كره مع ذ كر اللب اشعاربان فتنتهن عظيمة تذ هب بعقول الحازمين فما ظنك بغيرهم (من احدا كن) متعلق با ذ هب و انما لم يقل منكن لان الواحد ة اذا كانت على هذه الصفة الذ ميمة فكونهن عليها أولى من غير عكس وماأحسن قول جرير فى وصف عيوبهن .

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به * و هن أضعف خلق الله أركانا

(قلن و ما نقصان د يننا و عقلنا يا رسول الله) مع أن د يننا و د ين الرجل واحد و كلنا معدودون من ذوى العقول و لعلهن خالفن الترتيب السابق الموافق للاحق اشارة الى الاهتمام بامر الد ين ليتداركن ان كان مما يمكنه التدارك أو ايماء الى نقصان عقلهن حيث ماراعين كلام النبوة و ما فهمن وجه الترتيب من أن نقصان العقل أمر جبلى مقد م فى الوجود و نقصان الد ين أمر حادث أو لان الغالب انما ينشأ نقصان الد ين من نقصان العقل ثم هذا السؤال من حذاقة اولئك الحاضرات و من ثمة مد حهن صلى الله عليه وسلم بقوله نعم النساء نساء الانصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الد ين و فى هذا و ما قبله حث للمتعلم على مراجعة العالم فيما لم يظهر له معناه (قال أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل) لقوله تعالى فان لم يكونا رجلين فرجل و امرأتان (قلن بلى قال فذلك) اشارة الى الحكم السابق والكاف لخطاب العام و يحتمل الكسر و لذا لم يقل ذ لكن مع كون الخطاب للنساء و قال العسقلانى بكسر ا لكاف خطاب للواحدة التى تولت الخطاب و يجوز فتحها على انه خطاب للعام (من نقصان عقلها) و لذا قال تعالى ان تضل احدا هما فتذ كر احدا هما الاخرى (قال) لعل اعادة قال ليدل على انه قول مستقل راجع الى نظيره

أليس اذا حاضت لم تصل و لم تصم قلن بلى قال فذلک من نقصان دينها متفق عليه و عن أبي هريرة قال قال رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال الله تعالى كذبني ابن‌آدم و لم يكن له ذلک و شتمني و لم يكن له ذلک فاما تكذيبه اياى فقوله لن يعيدنى كما بدأنى و ليس أول الخلق بأهون على من اعادته

السابق و ليس من تتمة هذا القول القريب و هو موجود فى أكثر النسخ و اما فى أصل السيد جمال‌الدين و متن صحيح البخارى فغير موجود و الله أعلم (أليس) اسمها ضمير الشان و خبرها قوله (اذا حاضت لم تصل و لم تصم قلن بلى‌قال فذلک) أى كونها غير مصلية و لاصائمة (من نقصان دينها) يعنى فى الجملة لانها حرمت من ثواب الصلاة فانها لا تقضى و من كمال ثواب الصوم حيث لم يقع فى وقت الفضيلة مع مشاركة المؤمنين فى الطاعة و لعل هذا وجه ايراده فى هذا الباب و الله أعلم بالصواب (متفق عليه) ورواه النسائى و ابن ماجه (و عن أبي هريرة) مر ذكره رضى‌الله‌عنه (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال الله تعالى) هذا حديث قدسى و الفرق بينه و بين القرآن أن الاول يكون بالهام أو منام أو بواسطة ملک بالمعنى فيعبره بلفظه و ينسبه الى ربه و الثانى لايكون الابانزال جبريل باللفظ المعين و هو أيضا متواتر بخلاف الاول فلا يكون حكمه حكمه‌فى الفروع (كذبنى) بسكون الياء و يجوز فتحها أى نسبنى الى الكذاب (ابن آدم) أى هذا الجنس و التكذيب هوالاخبار عن كون خبر متكلم غير مطابق للواقع (ولم يكن له ذلک) أى ما صح و ما استقام و ما كان ينبغى التكذيب له (و شتمنى) الشتم توصيف الشئ بما هو ازراء و نقص فيه و اثبات الولد له كذلک لانه قول بمماثلة الولد فى تمام حقيقته وهى مستلزمة للامكان المتداعى الى الحدوث (و لم يكن) لا لقا و حقا (له ذلک) الشتم (فاما تكذيبه اياى) تفصيل لما أجمله (فقوله لن يعيدنى) الاعادة هى الايجاد بعد العدم المسبوق بالوجود فالمعنى لن يحيينى بعد موتى (كما بدأنى) أى أوجدنى عن عدم و خلقنى ابتداء أى كالحالة التى كنت عليها حين بدأنى أو اعادة مثل بدله اياى أو لن يعيدنى مماثلا لما بدأنى عليه أو لبدله لى من تراب أى لا يقدر على ذلک أو لا يريد الاعادة من أصلها أو اعادة الاجسام و كل ذلک كفر و تكذيب بالآيات القرآنية الدالة على الاعادة الجسمانية خلافا لما ذهب اليه حمقى كالانعام بل هم أضل و لذا رد عليهم بقوله (و ليس أول الخلق) يجوز أن يكون من قبيل اضافة الصفة الى الموصوف أى ليس الخلق الاول للمخلوقات أو من قبيل حذف المضاف و اقامة المضاف اليه مقامه أى ليس اول خلق الخلق و الخلق بمعنى المخلوق أو اللام عوض عن المضاف اليه أى أول خلق الشئ (بأهون) الباء زائدة للتأكيد من هان الامر يهون اذا سهل أى ليس أسهل (على من اعادته) أى المخلوق أو الشئ بل هما يستويان فى قدرتى بل الاعادة أسهل عادة لوجود أصل البنية و أثرها أو أهون على زعمكم و بالنسبة اليكم أو أسهل على المخلوق فان العود يكون آنيا بخلاف الايجاد فانه يكون تدريجيا و فيه اقتباس من الآية و هو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده و هو أهون عليه و قيل فيه تنبيه على مثال يرشد النبيه الى فهم الحق و تقريره عنده و هو ما يشاهده ان من اخترع صنعة لم‌يرمثلها و لم يجد لها أصلا و لا مددا صعبت عليه و تعب فيها غاية التعب و افتقر الى مكابدة أعمال و معاونة أعوان و مرور ازمان و مع ذلک فكثيرا لايتم له مقصوده و لا يظفر منه بطائل و شاهد ذلک ما وقع و استقرئ لاكثرطالبى صنعة الكيمياء حتى أن بعضهم لما توهم بعد فناء عمره و ماله فى معرفتها أنها صحت معه أزعجه الفرح بها الى أن وقع من علو كان فيه فاندقت عنقه و أما من أراد اصلاح منكسر و اعادة منهدم و عنده عدد ذلک و أصوله فيهون عليه ذلک و يتم له مقصوده فى أسرع وقت

و أما شتمه اياى فقوله اتخذ الله ولدا و أنا الاحد الصمد الذى لم ألد و لم أولد و لم يكن لى كفوا أحد و فى رواية ابن عباس و أماشتمه اياى فقوله لى ولد و سبحانى أن أتخذ صاحبة أو ولدا رواه البخارى
و عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يؤذينى ابن آدم

فمن تدبر ذلك علم أن الاعادة أسهل من البداءة بالنسبة الينا و الحاصل ان انكارهم الاعادة بعد ان اقروا بالبداية تكذيب منهم له تعالى و الجملة حالية و عاملها قوله فى فقوله و صاحبها الضمير المضاف اليه فى قوله (و أماشتمه اياى فقوله اتخذ الله ولدا) أى اختاره سبحانه قالت اليهود عزيز ابن الله و قالت النصارى المسيح ابن الله و قالت العرب الملائكة بنات الله (و أنا الاحد الصمد) الذى غ محتاج الى أحد و الجملة حالية كما مر و اتخاذ الولد نقص لاستدعائه محالين أحدهما مماثلته للوبه و تمام حقيقته فيلزم امكانه و حدوثه و ثانيهما استخلافه لخلف يقوم بامره من بعده اذ الغرض من التوالد بقاء النوع فيلزم زواله و فناؤه سبحانه و لذا قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه الآية و الاحد المنفرد المطلق ذاتا و صفاتا و فرق بين الاحد و الواحد بان الواحد لنفى مفتتح العدد و الاحد لنفى كل عدد فالواحد ينبئ عن تفرد الذات عن المثل و النظير و الاحد ينبئ عن تفردها عن كل نقص و اتصافها بكل كمال فكيف مع ذلك يحتاج الى الولد و الصمد هو الذى يحتاج اليه كل أحد و هو غنى عنهم (الذى لم ألد) من قبيل * أنا الذى سمتنى أمى حيدره * أى لم أكن والدا لاحد لان القديم لا يكون محل الحادث (و لم أولد) أى و لم أكن ولدا لاحد لانه أول قديم بلا ابتداء كما أنه آ. بلا انتهاء (و لم يكن لى كفوا) بضم الكاف و الفاء و سكونها مع الهمزة و بضمهما مع الواو ثلاث لغات متواترات يعنى مثلا و هو خبر كان و قوله (أحد) اسمها و نفى الكفء يعم الوالدية و الولدية و الزوجية و غيرها (و فى رواية ابن عباس) أى فى هذا الحديث بعد قوله اتخذالله ولدا (و أما شتمه اياى فقوله لى ولد) و هو اسم جنس يشمل الذكر و الانثى (و سبحانى) و فى نسخة صحيحة بالفاء أى نزهت ذاتى (أن أتخذ) أى من أن أتخذ (صاحبة) أى زوجة لعدم الاحتياج و نفى الجنسية (أو ولدا) قال ابن الملك شك من الراوى و الظاهر أن أو للنوع و يدل عليه ما فى جامع الحميدى و لا ولدا قال الطيبى زيد لا لما فى سبحانى من معنى التنزيه أى المرادف للنفى المقتضى للعطف فى خبره بلا و فى الحديث من سعة حلمه تعالى ما يبهر العقل اذ لو وقع مثل ذلك لادنى خلقه من غيره لحمله غضبه فيه على استئصاله من أصله مع ضعفه و عجزه و لم يفعل تعالى شأنه بمن قال ذلك شيأ بل أرشده للحق و دل عليه بابلغ دليل و أوضحه (رواه البخارى) اعلم أن رواية البخارى عن أبى هريرة بلفظ قال الله تعالى شتمنى ابن آدم و ما ينبغى له أن يشتمنى و كذبنى و ما ينبغى له أن يكذبنى أما شتمه اياى فقوله ان لى ولدا و أنا الله الاحد الصمد الذى لم ألد و لم أولد و لم يكن لى كفوا أحد و أما تكذيبه اياى فقوله ليس يعيدنى كما بدأنى و ليس أول الخلق باهون على من اعادته و كذا رواه أحمد و النسائى و أما رواية البخارى عن ابن عباس فلفظه قال الله تعالى كذبنى ابن آدم و لم يكن له ذلك و شتمنى و لم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياى فزعم انى لا أقدر أن أعيده كما كان و أما شتمه اياى فقوله لى ولد و سبحانى أن اتخذ صاحبة أو ولدا كذا فى الجامع الصغير فتأمل يظهر لك حقيقة الروايتين (و عن أبى هريرة) و انما لم يقل و عنه لئلا يتوهم مرجعه الى ابن عباس فانه أقرب مذكور و ان كان أبو هريرة هو المعنون فى العنوان (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يؤذينى) بالهمزة و يبدل أى يقول فى حقى (ابن آدم) ما أكره و ينسب

يسب الدهر و أنا الدهر بيدى الامر أقلب الليل و النهار متفق عليه وعن أبى موسى الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحد أصبر على أذى يسمعه من الله يدعون له الولد ثم يعافيهم و يرزقهم متفق عليه و عن معاذ

الى مالا يليق بى أو ما يتاذى به من يصح فى حقه التاذى و لذا قيل هذا الحديث من المتشابه لان تأذى الله تعالى محال فاما أن يفوض و اما أن يؤول كما تقدم و قد يطلق الايذاء على إيصال المكروه للغير بقول أو فعل و ان لم يتأثر به فايذاء الله تعالى فعل ما يكرهه وكذا ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم و منه قوله تعالى ان الذين يؤذون الله و رسوله لعنهم الله فى الدنيا و الآخرة (يسب الدهر) بصيغة المضارع استئناف بيان وروى بحرف الجر و فتح السين و جر الدهر يعنى ظنا انه الدهر يعطى و ويمنع و يضر و ينفع (و أنا الدهر) يروى برفع الراء قيل هو الصواب و هو مضاف اليه أقيم مقام المضاف أى أنا خالق الدهر أو مصرف الدهر أو مقلبه أو مدبر الامور التى نسبوها اليه فمن سبه بكونه فاعلها عاد سبه الى لانى أنا الفاعل لها و انما الدهر زمان جعل ظرفا لمواقع الامور و أتى باداة الدهر مبالغة فى الرد على من يسبه و هم صنفان دهرية لا يعرفون للدهر خالقا و يقولون ما يهلكنا الاالدهر أو معترفون بالله تعالى لكنهم ينزهونه عن نسبة المكاره اليه فيقولون تبا له و بؤسا و خيبة و نحو ذلك و قد يقع من بعض عوام المؤمنين جهالة و غفلة و يروى بنصب الدهر على الظرفية أى أنا الفاعل أو المتصرف فى الدهر و قيل الدهر الثانى غير الاول فانه بمعنى زمان مدة العالم من مبدأ التكوين الى أن ينقرض أو الزمن الطويل المشتمل على تعاقب الليالى و الايام بل هو مصدر بمعنى الفاعل و معناه أنا الداهر المتصرف المدبر المفيض لما يحدث و قال الراغب الاظهر أن معناه أنا فاعل مايضاف الى الدهر من الخير و الشر و المسرة و المساءة فاذا سببتم الذى تعتقدون انه فاعل ذلك فقد سببتمونى (بيدى الامر) بالافراد و فتح الياء و تسكن و جوز التثنية و فتح الياء المشددة للتأكيد و المبالغة أى الامور كلها خيرها و شرها حلوها و مرها تحت تصرفى (أقلب الليل و النهار) كما أشاء بان أنقص فيهما أو أزيد و أقلب قلوب أهلهما كما أريد (متفق عليه) ورواه أحمد و أبو داود و رواه مسلم عنه أيضا بلفظ قال الله تعالى يؤذينى ابن آدم يقول يا خيبة الدهر فلا يقولن أحدكم ياخيبة الدهر فانى أنا الدهر أقلب ليله و نهاره فاذا شئت قبضتهما (و عن أبى موسى الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحد أصبر) أى ليس أحد أشد صبرا و الصبر حبس النفس عما تشتهيه أو على ما تكره و هو فى صفة البارى تأخير العذاب عن مستحقه (على أذى) قيل انه اسم مصدر آذى يؤذى بمعنى المؤذى صفة محذوف أى كلام موذ قبيح صادر من الكفار و قوله (يسمعه) صفة أذى و هو تتميم لان المؤذى اذا كان بمسمع من المؤذى كان تأثير الاذى أشد و هذا بالنسبة الينا و الا فالمسموع و غيره معلوم عنده تعالى (من الله) متعلق بقوله أصبر لا بيسمعه (يدعون) بسكون الدال و قيل بتشديدها (له الولد) و الجملة استئناف بيان للاذى (ثم يعافيهم) بدفع المضرة عنهم (و يرزقهم) بايصال المنفعة اليهم انظر فضله و انعامه فى معاملته مع من يؤذيه فما ظنك بمن يحتمل الاذى عمن يعصيه و يمتثل ارتكاب طاعاته و اجتناب مناهيه و فيه ارشاد لنا الى تحمل الاذى و عدم المكافاة و التخلق باخلاق الله تعالى (متفق عليه) ورواه النسائى (و عن معاذ) أى ابن جبل يكنى ابا عبد الله الانصارى الخزرجى و هو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الانصار و شهد بدرا و ما بعدها من المشاهد و بعثه الى اليمن قاضيا و معلما روى عنه عمر و ابن عمر و ابن عباس و خلق سواهم مات و له ثمان و ثلاثون سنة

قال كنت ردف النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم على حمار ليس بيني و بينه الا مؤخرة الرحل فقال يا معاذ هل تدرى ما حق الله على عباده و ما حق العباد على الله قلت الله و رسوله أعلم قال فان حق الله على العباد أن يعبدوه و لا يشركوا به شيأ و حق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيأ قلت يا رسول‌الله أفلا أبشربه الناس قال لا تبشرهم فيتكلوا

(قال كنت ردف النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم) و هو بكسر الراء وسكون الدال الذى يركب خلف الراكب من الردف و هو العجز أى كنت رديفه (على حمار) اشارة الى كمال التذكر بالقصة و اشعار بتواضعه عليه الصلاة‌والسلام (ليس بيني وبينه) أراد شدة القرب فيكون الضبط أكثر (الا مؤخرة الرحل) استثناء مفرغ و هو العود الذى يكون خلف الراكب بضم الميم بعدها همزة ساكنة و قد تبدل ثم خاء مكسورة هذا هو الصحيح و فيه لغة أخرى بفتح الهمزة و الخاء المشددة المكسورة و قد تفتح (فقال يا معاذ هل تدرى) اى أتعرف (ما حق الله على عباده) قال الزمخشرى الدراية معرفة تحصل بضرب من الخداع و لذا لا يوصف البارى بها أى و لا بالمعرفة لاستدعائها سبق جهل بخلاف العلم اولتعلق المعرفة بالجزئيات و الله تعالى يعلم الجزئيات و الكليات (و ما حق العباد على الله) حق الله بمعنى الواجب و اللازم و حق العباد بمعنى الجدير و اللائق لان الاحسان الى من لا يتخذ ربا سواه جدير فى الحكمة أن يفعله و لا يجب على الله شئ خلافا للمعتزلة و قيل حق العباد ما وعدهم به و من صفة وعده أن يكون واجب الانجاز فهو حق بوعده الحق و قال النووى حق العباد على جهة المشاكلة و المقابلة لحقه عليهم و يجوز أن يكون من قول الرجل حقك واجب على أى قيامى به متأكد و منه قول النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم حق على كل مسلم أن يغتسل فى كل سبعة أيام (قلت الله و رسوله أعلم قال فان) أى اذا فوضت فاعلم ان (حق الله على العباد أن يعبدوه) أى يوحدوه أو يقوموا بعبادته و عبوديته بمقتضى الهيته و ربوبيته (و لا يشركوا به شيأ) الواو لمطلق الجمع و هو تأكيد أو تخصيص (وحق العباد) بالنصب و يجوز رفعه (على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيأ) من الاشياء أو الاشراك أى عذابا مخلدا فلا ينافى دخول جماعة النار من عصاة هذه الامة كما ثبت به الاحاديث الصحيحة بل المتواترة و من ثمة أوجبوا الايمان به فان قلت كيف هذا مع قول البيضاوى و ليس بحتم عندنا أن يدخل النار أحد من الامة بل العفو عن الجميع بموجب وعده و يغفرما دون ذلك لمن يشاء يغفر الذنوب جميعا مرجو قلت البيضاوى لم ينف الدخول و انما نفى تحتمه و جوز العفو عن الجميع من حيث عموم الوعد و أما من حيث اخباره عليه‌الصلاة‌والسلام بانه لا بد من دخول جمع من العصاة النار فلم يتعرض له البيضاوى على أنه قال اللازم على الوعد المذكور عموم العفو و هو لا يستلزم عدم الدخول لجواز العفو عن البعض بعد الدخول و قبل استيفاء العقاب اه و فيه مع ذلك نظر لان النصوص دلت على دخول جمع النار و تعذيبهم بها و قد اسودت أبدانهم حتى صارت كالفحم فيجب الايمان بذلك (فقلت يارسول‌الله أفلا أبشر به الناس) أى عمومهم و الفاء فى جواب الشرط المقدر أي اذا كان كذلك أفلا أبشرهم بما ذكرت من حق العباد و البشارة ايصال خبر الى أحد يظهر أثر السرور منه على بشرته و أما قوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم فتهكم أو تجريد (قال لا تبشرهم) قال بعض النهى مخصوص ببعض الناس و به احتج البخارى على أن للعالم أن يخص بالعلم قوما دون قوم كراهة أن لا يفهموا و قد يتخذ أمثال هذه الاحاديث البطلة و المباحية ذريعة الى ترك التكاليف ورفع الاحكام و ذلك يفضى الى خراب الدنيا بعد خراب العقبى (فيتكلوا) منصوب فى جواب النهى بتقدير أن بعد الفاء أى يعتمدوا و يتركوا الاجتهاد فى حق الله‌تعالى

متفق عليه و عن أنس أن النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم و معاذ رديفه على الرحل قال يا معاذ قال لبيک يارسول‌الله و سعديک قال يامعاذ قال لبيک يارسول‌الله وسعديک قال يامعاذ قال لبيک يارسول‌الله وسعديک ثلاثا قال ما من أحد يشهد أن لااله‌الاالله‌وأن‌محمدارسول‌الله صدقا من قلبه الا حرمه الله على النار قال يارسول‌الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا قال اذا يتكلوا

فالنهي منصب على السبب و المسبب معا أي لا يكن منک تبشير فاتكال منهم و انما رواه معاذ مع كونه منهيا عنه لانه علم منه ان هذا الاخبار يتغير بتغير الزمان و الاحوال و القوم يومئذ كانوا حديثي العهد بالاسلام لم يعتادوا بتكاليفه فلما تثبتوا و استقاموا أخبرهم أو رواه بعد ورود الامر بالتبليغ و الوعيد على الكتمان ثم ان معاذا مع جلالة قدره لا يخفى عليه ثواب نشر العلم و وبال كتمه فرأى التحدث واجبا في الجملة و يؤيده ما روى في الحديث الذى يتلوه فأخبر معاذ عند موته تأثما و قيل انما نهى النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم معاذا عن التبشير و أخبر به معاذ بعد تبشير النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم المؤمنين فلا يلزم ارتكاب المنهى لان النهى عن التبشير لاعن الاخبار (متفق عليه) و رواه أبو داود و الترمذى و النسائى (و عن أنس) مرذكره (أن النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم و معاذ رديفه على الرحل) الجملة حالية معترضة بين اسم ان و خبرها (قال يا معاذ قال) أى معاذ (لبيک) مثنى مضاف بنى للتكرير من غير حصر من لب أجاب أو أقام أى أجبت لک اجابة بعد اجابة أو أقمت على طاعتک اقامة بعد اقامة (رسول‌الله) بحذف حرف النداء لكمال القرب (وسعديک) عطف على لبيک أى ساعدت طاعتک مساعدة بعد مساعدة (قال يا معاذ قال لبيک رسول‌الله و سعديک) تكرير النداء لتأكيد الاهتمام بما يخبر و ليكمل تنبيه معاذ فيما يسمعه فيكون أوقع في النفس و أشد في الضبط و الحفظ (قال يا معاذ قال لبيک رسول‌الله و سعديک ثلاثا) أى وقع هذا النداء و الجواب ثلاث مرات و في النسخ المصححة كلها بحذف حرف النداء في رسول‌الله و وقع في نسخة ابن حجر وجودها في الثالثة فاطنب في توجيهه (قال) و في نسخة قال مكررا أى قال أنس (قال) صلى‌الله‌عليه‌وسلم (ما من أحد) من زائدة لاستغراق النفي واحد مبتدأ و صفته (يشهد أن لااله‌الاالله‌وان‌محمدارسول‌الله صدقا) مصدر فعل محذوف أى يصدق صدقا و قوله (من قلبه) صفة صدقا لان الصدق قد لا يكون من قلب أى اعتقاد كقول المنافق انک لرسول‌الله أو يكون بمعنى صادقا حال من فاعل يشهد و خبر المبتدأ قوله (الا حرمه‌الله على النار) و هو استثناء مفرغ أى ما من أحد يشهد محرم على شئ الا محرما على النار و التحريم بمعنى المنع حكى عن جماعة من السلف منهم ابن المسيب أن هذا كان قبل نزول الفرائض و الامر و النهى و قال بعضهم معناه من قال الكلمة و أدى حقها و فريضتها فيكون الامتثال و الانتهاء مندرجين تحت الشهادتين و هذا قول الحسن البصرى و قيل ان ذلک لمن قالها عند الندم و التوبة و مات على ذلک قبل أن يتمكن من الاتيان بفرض آخر و هذا قول البخارى و الاقرب أن يراد تحريم الخلود (قال يارسول‌الله أفلا أخبر به الناس) في وضع أخبر موضع أبشر تجريد أو رجوع الى أصل اللغة أو اكتفاء بقوله (فيستبشروا) أى يفرحوا بحيث يظهر أثر السرور على بشرتهم لما فيه من عظيم العفو اذ لم يسمعوابه قبل ذلک (قال اذا يتكلوا) اذن حرف جواب و جزاء و قد يستعمل لمحض الجواب كماهنا أى لا تخبرهم بذلک لانک ان أخبرتهم و بهذه البشارة بشرتهم يعتمدوا على ألطاف الربوبية و يتركوا حق العبودية فينجروا الى نقصان درجاتهم و تنزل حالاتهم و هذا حكم الاغلب من العوام والا فالخواص كلما بشروا زادوا في العبادة كما وقع للعشرة المبشرة و غيرهم ولذا قال صلى‌الله‌عليه‌وسلم في جواب من قال له

فاخبر بها معاذ عند موته تأثما متفق عليه و عن أبي ذر قال أتيت النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم و عليه ثوب أبيض و هو نائم ثم أتيته و قد استيقظ فقال ما من عبد قال لااله‌الاالله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة قلت و ان زنى وان سرق قال و ان زنى و ان سرق قلت و ان زنى و ان سرق قال و ان زنى و ان سرق قلت و ان زنى و ان سرق قال و ان زنى و ان سرق على رغم انف أبي ذر و كان أبو ذر اذا حدث بهذا قال و ان رغم أنف أبي ذر

أتقوم فى الليل حتى تتورم قدماك و قد غفرالله لك ما تقدم من ذنبك و ما تأخر أفلا أكون عبدا شكورا (فاخبر بها) أى بهذه الجملة أو القصة أو البشارة (معاذ عند موته) لبعض أصحابه و الظاهران ضمير موته الى معاذ و قال الكرمانى يحتمل أن يعود الى النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم (تأثما) مفعول له أى تجنبا و تحرزا عن اثم كتم العلم اذ فى الحديث من كتم علما ألجم بلجام من نار (متفق عليه و عن أبى ذر) هو جندب بن جنادة الغفارى و هو من أعلام الصحابة و زهادهم أسلم قديما بمكة يقال كان خامسا فى الاسلام ثم انصرف الى قومه فاقام عندهم الى ان قدم المدينة على النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم بعد الخندق ثم سكن ربذة الى ان مات بها سنة اثنتين و ثلاثين فى خلافة عثمان و كان يتعبد قبل أن يبعث النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم روى عنه خلق كثير من الصحابة و التابعين (قال أتيت النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم و عليه ثوب أبيض) حال من النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال الشراح هذا ليس من الزوائد التى لا طائل تحتها بل قصد الراوى بذلك أن يقرر التثبت و الاتقان فيما يرويه ليتمكن فى قلوب السامعين قلت أو أراد التذكر باحضار طلعته الشريفة و استحضار خلعته اللطيفة فيكون كانه حاضر لديه و واقف بين يديه (و هو نائم) عطف على الحال و هو بضم الهاء و يسكن أى فرجعت (ثم أتيته) بعد زمان (و قد استيقظ) حال من الضمير المنصوب و المعنى فوجدته منتبها من النوم (فقال ما من عبد قال لااله‌الاالله) و انما لم يذكر محمد رسول‌الله لانه معلوم أنه بدونه لا ينفع (ثم مات على ذلك) اى الاعتقاد و ثم للتراخى فى الرتبة لان العبرة بالخواتيم (الا دخل الجنة) استثناء مفرغ أى لا يكون له حال من الاحوال الا حال استحقاق دخول الجنة ففيه بشارة الى أن عاقبته دخول الجنة وان كان له ذنوب جمة لكن أمره الى الله ان شاء عفا عنه و أدخله الجنة وان شاء عذبه بقدر ذنبه ثم أدخله الجنة (قلت و ان زنى) قال ابن مالك حرف الاستفهام فى قوله و ان زنى مقدر ولابد من تقديره أى أدخل الجنة و ان زنى (وان سرق) أو التقدير أو ان زنى و ان سرق دخل الجنة و تسمى هذه الواو واو المبالغة و ان بعدها تسمى وصلية و جزاؤها محذوف لدلالة ما قبلها عليه (قال و ان زنى وان سرق) و تخصيصهما لان الذنب اما حق الله و هو الزنا أو حق العباد و هو أخذ مالهم بغير حق و فى ذكرهما معنى الاستيعاب كما فى قوله تعالى و لهم رزقهم فيها بكرة و عشيا أى دائما (قلت و ان زنى و ان سرق قال و ان زنى و ان سرق) أما تكرير أبى ذر فلا ستعظام شان دخول الجنة مع مباشرة الكبائر و قيل لظنه أنه لو كرر لاجابه بجواب آخر فيجد فائدة أخرى و أما تكرير رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فانكار لاستعظامه أى أتبخل برحمةالله فرحمةالله واسعة على خلقه و ان كرهت ذلك (قلت و ان زنى و ان سرق قال و ان زنى و ان سرق) فيه دلالة على ان أهل الكبائر لا يسلب عنهم اسم الايمان فان من ليس بمؤمن لا يدخل الجنة وفاقا و على أنها لا تحبط الطاعات لتعميمه عليه‌الصلاة‌والسلام الحكم و عدم تفصيله (على رغم انف أبى ذر) الرغم بالفتح أشهر من الضم و حكى الكسر أى الكره ففرح بذلك أبوذر (و كان أبوذر اذا حدث) أى بهذا كما فى نسخة صحيحة (قال) تفاخرا (و ان رغم) بكسر الغين و قيل بالضم و الفتح (انف أبى ذر) أى لصق بالرغام بالفتح و هو التراب و يستعمل مجازا بمعنى كره أو دل اطلاقا لاسم

متفق عليه و عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده و رسوله و ان عيسى عبدالله و رسوله و ابن أمته و كلمته ألقاها الى مريم و روح منه والجنة و النار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل

السبب على المسبب (متفق عليه و عن عبادة بن الصامت) مر ذكره (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد أن لا اله الا الله وحده) حال أى ينفرد منفردا (لا شريك له) تأكيد بعد تأكيد (وان محمدا عبده) الاجل (ورسوله) الاكمل (وان عيسى عبدالله) لم يضمر ليكون أصرح فى المقصود و هو تعريض بالنصارى و تقرير لعبديته و اشعار الى ابطال ما يقولون به من اتخاذ أمه صاحبة (ورسوله) تعريض باليهود (وابن أمته) كذا فى نسخة صحيحة و الاضافة فى أمته للتشريف ردا على اليهود فى القذف (و كلمته) سمى عيسى بالكلمة لانه حجة الله على عباده أبدعه من غير أب و أنطقه فى غير أوانه . و الاضافة للتشريف و قيل لكونه موجدا بكن و قيل لما انتفع بكلامه سمى به كما يقال فلان سيف الله و أسد الله و قيل لما خصه به فى صغره حيث قال انى عبدالله (ألقاها الى مريم) استئناف بيان أى أوصلها الله تعالى اليها و حصلها فيها (و روح منه) أى مبتدأ من محض ارادته فان سائر الارواح البشرية هى كالمتولدة عن أرواح آبائهم لا سيما على مذهب من زعم ان الارواح أجسام سارية فى البدن سريان ماء الورد و قيل سمى بالروح لما كان له من احياء الموتى باذن الله فكان كالروح أو لانه ذو روح وجسد من غير جزء من ذى روح كالنطفة المنفصلة عن حى و انما اخترع اختراعا من عند الله تعالى أو لانه أحدث فى نفخ الروح بارساله جبريل الى أمه فنفخ فى درعها مشقوقا الى قد امها فوصل النفخ اليها فحملت به مقدسا عن لوث النطفة و التقلب فى أطوار الخلقة من العلقة و المضغة و وصفه بقوله منه اشارة الى أنه مقربه و حبيبه تعريضا باليهود روى ان عظيما من النصارى سمع قارئا يقرأ و روح منه قال أفغير هذا دين النصارى يعنى ان هذا دين النصارى يعنى ان هذا يدل على ان عيسى بعض منه فاجاب على بن الحسين بن واقد ان الله تعالى قال و سخر لكم ما فى السموات و ما فى الارض جميعا منه فلو أريد بقوله و روح منه انه بعضه أو جزء منه لكان معنى جميعا منه أن الجميع بعض منه أو جزء منه فاسلم النصرانى ومعنى الآية أن تسخير هذه الاشياء كائن منه و حاصل من عنده يعنى انه مكونها و موجدها (والجنة) منصوب و يرفع (و النار حق) مبالغة كزيد عدل أو صفة مشبهة أى ثابت و أفرد لانه مصدر أو لارادة كل واحدة منهما و فى كلام أهل التحقيق أن الجنة جنة الوصول الى معرفة ذات الله و صفاته و أفعاله والملائكة الكروبية و الروحانية و طبقات الارواح و عالم السموات بحيث يصير روح السالك كالمرآة المحاذية لعالم القدس و أشجارها الملكات الحميدة والاخلاق السعيدة و نحوها من المكاسب و اثمارها المكاشفات و المشاهدات و الاشارات و غيرها من المواهب و من رضى بالجنة الحسية فهو أبله و من أعرض عن الحق و انتقل من روح المحبة و القرب الى سياسة القهر و البعد و انحط عن الجهة العلوية الى عالم النار يعذب بنار روحانية نشأت من استيلاء صفة القهر الالهى فيكون أشد و أدوم ايلاما من النار الجسمانية لان حرارتها تابعة لنار روحانية ملكوتية هى شرر من نار غضب الله بعد تنزلها فى مراتب كثيرة كتنزلها فى مرتبة النفس بصورة الغضب و هى غير متناهية و هذا معنى ما يقال ان نار جهنم غسلت بالماء سبعين مرة ثم أنزلت الى الدنيا ليمكن الانتفاع بها (أدخله الله الجنة) ابتداء و انتهاء و الجملة جواب الشرط أو خبر المبتدأ (على ما كان) حال من ضمير المفعول من قوله أدخله الله أى كائنا على ما كان عليه موصوفا به (من العمل) حسنا أو شيئا قليلا أو كثيرا صغيرا أو كبيرا و فيه رد

متفق عليه و عن عمرو بن العاص قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت ابسط يمينك فلأبايعك فبسط يمينه فقبضت يدى فقال ما لك ياعمرو قلت أردت ان‌اشترط قال تشترط ماذا قلت أن يغفرلى قال أما علمت ياعمرو ان الاسلام يهدم ما كان قبله و ان الهجرة تهدم ما كان قبلها و ان الحج يهدم ما كان قبله

على المعتزلة و الخوارج (متفق عليه) ورواه النسائى (و عن عمرو بن العاص) الاصح عدم ثبوت الياء اما تخفيفا أو بناء على أنه أجوف و يدل عليه ما فى القاموس الاعياص من قريش أولاد أمية بن عبد شمس الاكبر وهم العاص و أبو العاص و العيص و أبو العيص فعلى هذا لا يجوز كتابة العاص بالياء ولا قراءته بها لا وقفا ولا وصلا فانه معتل العين بخلاف ما يتوهم بعض الناس أنه إسم فاعل من عصى فحينئذ يجوز اثبات الياء و حذفه وقفا و وصلا بناء على أنه معتل اللام (رضى الله عنه قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت) أى له كما فى نسخة (أبسط يمينك) أى افتحها و مدها لاضع يمينى عليها كما هو العادة فى البيعة (فلأبايعك) بكسر اللام و فتح العين على الصحيح و التقدير لابايعك تعليلا للامر و الفاء مقحمة و قيل بضم العين و التقدير فانا أبايعك و أقحم اللام توكيدا و يحتمل أن تكون لام الامر فيجزم و يحتمل ان تكون اللام مفتوحة و العين مضمومة و التقدير فانى لابايعك و الفاء للجزاء كقولك ائتنى فانى أكرمك أو اللام للقسم و قيل التقدير فلاجل أن أبايعك طلبت بسط يمينك (فبسط يمينه) أى الكريمة (فقبضت يدى) بسكون الياء و تفتح أى الى جهتى و قال ابن ملك أى نفسى و هو غير ظاهر (فقال) أى عليه الصلاة والسلام (مالك ياعمرو) أى اى شئ خطرلك حتى امتنعت من البيعة (قلت أردت أن أشترط) مفعوله محذوف أى شرطا أو شيأ و المعنى أردت بذلك الامتناع ان أشترط لنفسى ما يحصل لها من الانتفاع (قال تشترط ماذا) قيل حق ماذا أن يكون مقدما على تشترط لانه يتضمن معنى الاستفهام و هو يقتضى الصدارة فحذف ماذا وأعيد بعد تشترط تفسيرا للمحذوف و قيل كأنه عليه الصلاة والسلام لم يستحسن منه الاشتراط فى الايمان فقال أتشترط انكارا فحذف الهمزة ثم ابتدأ فقال ماذا أى با الذى تشترط أو أى شئ تشترط و قال المالكى فى قول عائشة أقول ماذا شاهد على ان ما الاستفهامية اذا ركبت مع ذا تفارق وجوب التصدير فيعمل فيها ما قبلها رفعا و نصبا فالرفع كقولك كان ماذا و النصب كما فى الحديث و يؤيده قول بعض العلماء يجوز وقوعها تمييزا كقولك لمن قال عندى عشرون عشرون ماذا (قلت ان يغفر) بالبناء للمفعول و قيل للفاعل أى الله كما فى نسخة (لى) أى اشترط غفران ذنوبى ان أسلمت (قال أما علمت ياعمرو) أى من حقك مع رزانة عقلك و جودة رأيك و كمال حذقك الذى لم يلحقك فيه أحد من العرب أن لا يكون خفى عن علمك (ان الاسلام) أى اسلام الحربى لان اسلام الذمى لا يسقط عنه شيأ من حقوق العباد (يهدم) بكسر الدال أى يمحو (ما كان قبله) أى من السيئات (و ان الهجرة) أى الى فى حياتى و بعد وفاتى من دارالحرب الى دارالاسلام و أما خبر لاهجرة بعد الفتح فمعناه لاهجرة من مكة لان أهلها صاروامسلمين (تهدم ما كان قبلها) أى ما وقع قبلها و بعد الاسلام ما عدا المظالم أى من الخطيئات (وان الحج يهدم ما كان قبله) أى من التقصيرات سقط لفظ كان من أصل ابن حجر فتكلف له وجها و هو موجود فى جميع النسخ الحاضرة المصححة المقروأة على المشايخ قال الشيخ التوربشتى من أئمتنا رحمهم الله الاسلام يهدم ما كان قبله مطلقا مظلمة كانت أو غيرها صغيرة أو كبيرة و أما الهجرة و الحج فانهما لا يكفران المظالم ولا يقطع فيهما بغفران الكبائر التى بين العبد و مولاه فيحمل الحديث على هدمهما الصغيرة المتقدمة و يحتمل هدمهما الكبائر التى تتعلق بحقوق العباد بشرط التوبة عرفنا ذلك من

رواه مسلم و الحديثان المرويان عن أبي هريرة قال قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك والآخر الكبرياء ردائي سنذكرهما في بابي الرياء و الكبران شاء الله تعالى * (الفصل الثاني) * عن معاذ قال قلت يارسول الله اخبرني بعمل يدخلني الجنة

أصول الدين فرددنا المجمل الى المفصل و عليه اتفاق الشارحين و قال بعض علمائنا يمحو الاسلام ماكان قبله من كفر و عصيان و ما ترتب عليهما من العقوبات التي هي حقوق الله و أما حقوق العباد فلا تسقط بالحج و الهجرة اجماعا ولا بالاسلام لو كان المسلم ذميا سواء كان الحق عليه ماليا أو غير مالي كالقصاص أو كان المسلم حربيا و كان الحق ماليا بالاستقراض أو الشراء و كان المال غير الخمر. و قال ابن حجر الحج يهدم ما قبله مما وقع قبله و بعد الاسلام ما عدا المظالم لكن بشرط ماذكر في حديث من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه مع ذلك فالذي عليه أهل السنة كما نقله غير واحد من الائمة كالنووي و عياض أن محل ذلك في غير التبعات بل الكبائر اذ لا يكفرها الا التوبة و عبارة بعض الشارحين حقوق المالية لا تنهدم بالهجرة و الحج و في الاسلام خلاف و أما حقوق العباد فلا تسقط بالهجرة و الحج اجماعا اه نعم يجوز بل يقع كما دل عليه بعض الاحاديث ان الله تعالى اذا أراد لعاص أن يعفو عنه و عليه تبعات عوض صاحبها من جزيل ثوابه ما يكون سببا لعفوه ورضاه و أما قول جماعة من الشافعية و غيرهم ان الحج يكفر التبعات و استدلوا بخبر ابن ماجه انه عليه الصلاة والسلام دعا لامته عشية عرفة بالمغفرة فاستجيب له ما خلا المظالم فلم يجب لمغفرتها فدعا صبيحة مزدلفة بذلك فضحك عليه الصلاة والسلام لما رأى من جزع ابليس لما شاهده من عموم تلك المغفرة فيرده ان الحديث سنده ضعيف اه و على تقدير صحته يمكن حمل المظالم على ما لا يمكن تداركه أو يقيد بالتوبة أو التخصيص بمن كان معه عليه الصلاة والسلام من أمته في حجته فانه لا يعرف أحد منهم أن يكون مصرا على معصية ولذا قال الجمهور ان الصحابة كلهم عدول و الله تعالى أعلم (رواه مسلم و الحديثان المرويان) أي المذكوران هنا في المصابيح (عن أبي هريرة) أولهما (قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك) الخ (والآخر الكبرياء ردائي) الخ (سنذكرهما في بابي الريا و الكبر ان شاء الله تعالى) لف و نشر مرتب يعني الحديث الاول نذكره في باب الرياء و الثاني نذكره في باب الكبر فان الحديثين أنسب بالبابين من هذا الباب و الله أعلم بالصواب *(الفصل الثاني)* أي المعبر به عن قوله من الحسان في المصابيح (عن معاذ) أي ابن جبل (رضي الله عنه قال قلت) و في رواية قال بينما نحن نخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك و قد أصابنا الحر فتفرق القوم فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم أقربهم مني فدنوت منه و قلت (يارسول الله أخبرني بعمل) التنوين للتعظيم أو للنوع أي عمل عظيم أو معتبر في الشرع فلا يرد ما ذكره المظهر من انه اذا جعل يدخلني جواب الامر يبقى بعمل نكرة غير موصوفة و هي لا تفيد (يدخلني الجنة) بالرفع على انه صفة عمل اما مخصصة أو مادحة أو كاشفة فان العمل اذا لم يكن بهذه الحيثية كأنه لا عمل و بالجزم جزاء شرط محذوف هو صفته أي أخبرني بعمل ان أعمله يدخلني الجنة و قيل جزم باعتبار انه جواب الامر أي أخبرني بعمل ان تخبرني يدخلني الجنة يعني أن الخبر وسيلة الى العمل و العمل الى الادخال و اسناد الادخال الى العمل اسناد الى السبب أو شبه العمل لكونه سببا للمطلوب بالفاعل الحقيقي أو المعنى يدخلني لا لذاته بل لفضل الله بجعله سببا لدخولها و قيل الجزم غير صحيح رواية و دراية أقول فكأنه نظر في عدم صحته دراية ان الاخبار ليس سببا لدخول الجنة بل العمل و فيه نظر لان اخباره عليه الصلاة والسلام وسيلة الى فعل ذلك العمل الذي هو

و يباعدنى من النار قال لقد سألت عن أمر عظيم و انه ليسير على من يسره الله تعالى عليه تعبدالله ولاتشرك به شيأ وتقيم الصلاة و تؤتى الزكاة و تصوم رمضان و تحج البيت ثم قال ألا أدلك على ابواب الخير

ذريعة الى دخول الجنة فالاخبار سبب بوجه ما لادخال الجنة و من ثم جعل ابن الحاجب يقيموا فى قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة و غيره يغفرلكم فى هل أدلكم على تجارة تنجيكم الآية هو الجزاء لان المؤمن الكامل لما كان مظنة للامتثال نزل منزلة المحقق منه ذلك (و يباعدنى من النار) عطف على يدخلنى بالوجهين و قول ابن ملك هنا بالرفع فقط مع تجويزه الوجهين أولا فى غاية من السقوط ثم العطف يفيد ان مراده دخول الجنة من غير سابقة عذاب و يؤيده أنه أخرج على صيغة المغالبة للمبالغة (قال) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم (لقدسألت) أى منى (عن عظيم) أى شئ عظيم اوسؤال عظيم متعسر الجواب لان الدخول و التباعد أمر عظيم فسببه الذى هو اجتناب كل محظور و امتثال كل مأمور أيضا كذلك أو لان معرفة العمل المدخل من علم الغيب والاولى ان يقال عن عمل عظيم فعله على النفوس ليطابق السابق و اللاحق و العظيم ضد الحقير كالكبير نقيض الصغير و كما أن الحقير دون الصغير فكذلك العظيم فوق الكبير و يستعملان فى الصور و المعانى تقول رجل عظيم و كبير أى جثته أو قدره (وانه) أى جوابه أو فعله (ليسير) أى هين و سهل (على من يسره الله) و فى نسخة (تعالى) أى جعله سهلا (عليه تعبدالله) اما بمعنى الامر و كذا ما بعده و اما خبر مبتدأ محذوف تعويلا على أقوى الدليلين أى هو أن تعبد أى العمل الذى يدخلك الجنة عبادتك الله بحذف ان أو تنزيل الفعل منزلة المصدر و عدل عن صيغة الامر تنبيها على ان المأمور كأنه متسارع الى الامتثال و هو يخبر عنه اظهارا لرغبته فى وقوعه و فصله عن الجملة الاولى لكونه بيانا أو استئنافا و فيه براعة الاستهلال لدلالته على مضمون الكلام بطريق الاجمال كما أن قوله كف عليك يدل على حسن القطع و العبادة أقصى غاية الخضوع و المراد به التوحيد لقوله (ولا تشرك به شيأ) أو الاعم منه ليعم امتثال كل مأمور و اجتناب كل محظور و الضمير فى به اماان يعود الى الله أو الى العبادة و الثانى هو الاولى لانه اذا لم يشرك فى العبادة فلأن لايشرك بالله أولى و التنوين فى شيأ للافراد شخصا كما أن فى قوله عظيم للتعظيم و فى يسير للتقليل (و تقيم الصلاة) من باب عطف الخاص على العام تنبيها على انا فته ان عمم العبادة و المراد بها المكتوبة وهذا الحكم ليس مخصوصا بمعاذ بل يعم كل مؤمن اذا لعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ثم توقف دخول الجنة على الاعمال انما هو بقيد الدخول الاولى كما سبقت الاشارة اليه فلا مستمسك للمعتزلة و الخوارج لديه (و تؤتى الزكاة) أى المفروضة (و تصوم رمضان) أى الايام المعدودة (و تحج البيت) أى بالافعال المعلومة على شرط الاستطاعة فى العمر مرة (ثم قال) أى عليه الصلاة والسلام زيادة على الافادة بالحث على النوافل لتحصيل الدرجات العالية أو لتكميل العبادات البدنية و المالية (ألا أدلك) الهمزة للاستفهام الانكارى ولا للنفى و هو لتحقيق ما بعدها ولعل قوله قلت بلى كان موجوداهنا أيضا كما فى الموضعين بعده فنسى الراوى كذا قيل و قيل المعنى لا ينبغى لى أن لا أدلك مع انى المرشد الكامل والاظهرانه للتنبيه لئلا ينسب الرواة الى النسيان مع ان الجواب ليس بلازم لانه أمر ظاهر معلوم مطلوبية دلالته أو يقال و انما لم يتوقف عليه الصلاة والسلام حتى يقول معاذ بلى هنا تنبيها على أنه لا ينبغى ان ينتظر تصديقه اهتماما بمضمونه (على أبواب الخير) أى طرق الموصلة به شبه الخير بدار فيها كل ما يتمناه النفس و اللام فيه للجنس جعل الامور الآتية أبواب الخير لان الصوم شديد على النفس و كذا اخراج المال فى الصدقة لاسيما الزيادة على الزكاة و كذا الصلاة فى جوف الليل الذى

الصوم جنة و الصدقة تطفئى الخطيئة كما يطفئى الماء النار و صلاة الرجل فى جوف الليل ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعملون ثم قال ألا أدلك برأس الامر و عموده و ذروة سنامه قلت بلى يارسول‌الله قال رأس الامر الاسلام و عموده الصلاة

محل راحة النفس و البعد من الرياء فمن اعتادها يسهل عليه كل خير لان المشقة فى دخول الدار تكون بفتح الباب (الصوم جنة) أى ستر و انما جعل الصوم جنة من النار أو من الشيطان لان فى الجوع سد مجارى الشيطان فاذا سد مجاريه لم يدخل فلم يكن سببا للعصيان الذى هو سبب لدخول النار قيل التقدير صوم النفل فاللام تدل على المضاف اليه قال بعض المحققين من شراح الاربعين ولعل قائله كوفى قال فى الكشاف فى قوله تعالى فان الجحيم هى المأوى أى مأواه فان اللام ليس يدل على المضاف اليه بل للتعريف العهدى لانه لما علم أن الطاغى صاحب المأوى تركت الاضافة فكذا ههنا لانه لما ذكر الفرائض أولا علم ان المذكور بعدها من النوافل فاللام للعهد الخارجى ولا يجب فيه تقديم المعهود كما ظن بل قد يستغنى عنه لعلم المخاطب بالقرائن كقولك لمن دخل البيت أغلق الباب وكم مثلها و قوله جنة اى وقاية من سورة الشهوة فى الدنيا و النار فى العقبى كالجنة ففيه تشبيه المعقول بالمحسوس عند المتكلمين و اختار بعض الافاضل ان مثله استعارة فمن كان الصوم جنته سد طرق الشياطين عن قلبه فيكشف بعد ازالة ظلمتهم يرى بنور الغيب خزائن لطائف حكم الصفات فيستتر بأنوارها عن جميع المخالفات والآفات (و الصدقة تطفئى الخطيئة) أى التى تجر الى النار يعنى تذهبها و تمحو أثرها أى اذا كانت متعلقة بحق الله تعالى و اذا كانت من حقوق العباد فتدفع تلك الحسنة الى خصمه عوضا عن مظلمته (كما يطفئى الماء النار) لتنافى آثارهما بايجاد الله تعالى سبحانه اذ الاشياء لا تعمل بطبعها فلا الماء يروى ولا الخبز يشبع ولا النار تحرق (وصلاة الرجل) مبتدأ خبره محذوف أى وصلاة الرجل (فى جوف الليل) كذلك أى تطفئى الخطيئة أو هى من أبواب الخير و الاول أظهر قال القاضى و قيل الاظهر أن يقدر الخبر شعار الصالحين كما فى جامع الاصول (ثم تلا) أى قرأ عليه الصلاة والسلام (تتجافى جنوبهم) أى تتباعد وفى النسبة مبالغة لا تخفى (عن المضاجع) أى المفارش و المراقد و الجمهور على أن المراد صلاة التهجد و قال بعضهم المراد احياء ما بين العشاءين (يدعون ربهم) بالصلاة و الذكر و القراءة و الدعاء (خوفا) من سخطه (و طمعا) فى رحمته (و مما رزقناهم) و بعض ما أعطيناهم (ينفقون) يصرفون فى وجوه الخير أى أنهم جامعون بين العبادات البدنية و المالية عابدون زاهدون (فلا تعلم نفس) أى لا ملك ولا نبى (ما أخفى لهم) جمهور القراء على أنه ماض مجهول و قرأ حمزة على المتكلم المعلوم (من قرة أعين) من اللذات التى تقر أعينهم و تشتهيه أنفسهم و فى الحديث القدسى أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (حتى بلغ يعملون) و هو قوله تعالى جزاء بما كانوا يعملون أى جوزوا جزاء بسبب أعمالهم و بمقابلة أفعالهم و موافقة لاحوالهم (ثم قال) أى عليه الصلاة والسلام (ألا أدلك برأس الامر) أى مخبرا بأصل كل أمر (و عموده) بفتح أوله أى ما يقوم به و يعتمد عليه (و ذروة سنامه) الذروة بكسر الذال و هو الاشهر و بضمها و حكى فتحها أعلى الشئى و السنام بالفتح ما ارتفع من ظهر الجمل قريب عنقه (قلت بلى يارسول‌الله قال رأس الامر) أى أمر الدين (الاسلام) يعنى الشهادتين و هو من باب التشبيه المقلوب اذ المقصود تشبيه الاسلام برأس الامر ليشعر بأنه من سائر الاعمال بمنزلة الرأس من الجسد فى احتياجه اليه و عدم بقائه دونه (و عموده الصلاة) يعنى الاسلام هو أصل الدين الا أنه ليس له قوة و كمال كالبيت الذى ليس له عمود فاذا صلى و داوم قوى

و ذروة سنامه الجهاد ثم قال ألا أخبرک بملاک ذلک کله قلت بلى يا نبى الله فاخذ بلسانه فقال كف عليک هذا فقلت يا نبى‌الله و انا لمؤاخذون بما نتكلم به قال ثكلتک أمک يا معاذ و هل يكب الناس فى النار على وجوههم أو على مناخرهم

دينه ولم يكن له رفعة فاذا جاهد حصل لدينه رفعة و هو معنى قوله (و ذروة سنامه الجهاد) و فيه اشعار الى صعوبة الجهاد و علو أمره و تفوقه على سائر الاعمال و الجهاد من الجهد بالفتح و هو المشقة أو بالضم و هو الطاقة لانه يبذل الطاقة فى قتال العدو عند فعل العدو مثل ذلک أو يضم جهده الى جهد أخيه فى نصرة دين‌الله كالمساعدة و هى ضم ساعده الى ساعد أخيه لتحصيل القوة و له أنواع من جهاد الاعداء ليكون الدين كله لله و جهاد النفس بحملها على اتباع الاحكام و ترک الحظوظ و تكليف الخصلة المذمومة المفرطة خلاف مقتضاها و العمل بنقيض موجبها حتى اعتدلت و تناسقت قوة العلم و الغضب و الشهوة و العدل و هو أشد من الاول ولذا ورد رجعنا من الجهاد الاصغر الى الاكبر لان النفس كالملک فى داخل الانسان و عسكره الروح الحيوانية و الطبيعية و الهوى و الشهوة وهى فى نفسها عمياء لا تبصر المهالک و لا تميز الخير من الشر الى أن ينور الله بلطيف حكمته بصيرتها فتبصر الاعداء و المعارف و تجد البنيان الانسانى مملوأ من خنازير الحرص و تكالب الكلب و نمر الغضب و الشهوة الحمارية وحية الشيطان فكنستها من الرذائل و زينتها بالفضائل و أما جهاد القلب فتصفيته و قطع تعلقه عن الاغيار و جهاد الروح بافناء الوجود فى وجود الواحد القهار (ثم قال) أى عليه‌الصلاة‌والسلام (ألا أخبرک بملاک ذلک كله) الملاک ما به احكام الشئ أو تقويته من ملک العجين اذا أحسن عجنه و بالغ فيه و أهل اللغة يكسرون الميم و يفتحونها و الرواية بالكسر و ذلک اشارة الى ما ذكر من أول الحديث الى هنا من العبادات و أكده بقوله كله لئلايظن خلاف الشمول أى بما تقوم به تلک العبادات جميعها (قلت بلى يا نبى الله) لا يخفى مناسبة نبى الله بالاخبار كمناسبة الرسالة بالدلالة (فأخذ) أى النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم (بلسانه) الباء زائدة و الضمير راجع الى النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم و قيل الباء لتضمين معنى التعلق (و قال كف) الرواية بفتح الفاء المشددة أى امنع (عليک هذا) اشارة الى اللسان أى لسانک المشافه له و تقديم المجرور على المنصوب للاهتمام به و تعديته بعلى للتضمين أو بمعنى عن و ايراد اسم الاشارة لمزيد التعيين أو للتحقير و هو مفعول كف و انما أخذ عليه‌الصلاة‌والسلام بلسانه و أشار اليه من غير اكتفاء بالقول تنبيها على أن أمر اللسان صعب و المعنى لا تتكلم بما لا يعنيک فان من كثر كلامه كثر سقطه و من كثر سقطه كثرت ذنوبه و لكثرة الكلام مفاسد لا تحصى و من أراد الاستقصاء فعليه بالاحياء و لذا قال الصديق ليتنى كنت أخرس الا عن ذكر الله (فقلت يا نبى الله) أتقول هذا (و انا لمؤاخذون) بالهمزة و يبدل أى هل يؤاخذنا و يعاقبنا أو يحاسبنا ربنا (بما نتكلم به) يعنى بجميعه اذ لا يخفى على معاذ المؤاخذة ببعض الكلام (قال) أى عليه‌الصلاة‌والسلام (ثكلتک أمک) بكسر العين (يا معاذ) أى فقدتک و هو دعاء عليه بالموت على ظاهره ولا يراد وقوعه بل هو تأديب و تنبيه من الغفلة و تعجيب و تعظيم للامر (و هل يكب) بفتح الياء و ضم الكاف من كبه اذا صرعه على وجهه بخلاف أكب فان معناه سقط على وجهه و هو من النوادر و هو عطف على مقدر أى هل تظن غير ما قلت و هل يكب (الناس) أى يلقيهم و يسقطهم و يصرعهم (فى النار على وجوههم أو على مناخرهم) شک من الراوى و المنخر بفتح الميم و كسر الخاء و فتحها ثقب الانف و المراد هنا الانف و الاستفهام للنفى خصهما بالكب لانهما أول

الاحصائد ألسنتهم رواه أحمد و الترمذى و ابن ماجه و عن أبى أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب لله و أبغض لله و أعطى لله و منع لله فقد استكمل الايمان رواه أبوداؤد و رواه الترمذى عن معاذ بن أنس مع تقديم و تأخير و فيه

الاعضاء سقوطا (الا حصائد ألسنتهم) أى محصوداتها شبه ما يتكلم به الانسان بالزرع المحصود بالمنجل و هو من بلاغة النبوة فكما أن المنجل يقطع و لا يميز بين الرطب و اليابس و الجيد و الردىء فكذلك لسان بعض الناس يتكلم بكل نوع من الكلام حسنا و قبيحا و المعنى لا يكب الناس فى النار الا حصائد ألسنتهم من الكفر و القذف و الشتم و الغيبة و النميمة و البهتان و نحوها و الاستثناء مفرغ و هذا الحكم وارد على الاغلب أى على الاكثر لانك اذا جربت لم تجد أحدا حفظ لسانه عن السوء ولا يصدر عنه شئ يوجب دخول النار الا نادرا و لعمرك ان هذه الخاتمة فاتحة السعادة الكبرى فاتحة منها لسائم الكرامة العظمى لانه اذا نظر الى الشريعة فكف اللسان نعم العون على حفظها و اذا نظر الى الطريقة فهو الركن المشار اليه و القطب المدار عليه لانه اذا سكت اللسان نطق القلب و يحصل له المسامرة مع الرب و يمطر عليه سحائب الرحمة بقطرات النور و يمتلئ من الخيور و الحبور و لو نظر الى الحقيقة فهو نهاية مراتب السالكين و غاية منازل السائرين و لذا ورد من عرف الله كل لسانه أى عن ذكر غير الله و هو فى مقام المراقبة و كل لسانه عن مقام الدعوى و هو فى مقام الهيبة و كل لسانه عن نشر حاله و بيان مقامه و هو مقام صولة المحبة و عن وصف الله و ثنائه و هو مقام الحيرة فى المعرفة كما قال عليه الصلاة والسلام فى أقصى الدنو لما رأى الحق بالحق و فنى عن الصفات فى الذات و وجد معنى من معانى البقاء لا أحصى ثناء عليك لان ثناءه يصدر عن الحدوثية و ثناء الخليقة لا يليق الا بهم ثم قطع لسان الثناء بمقراض التنزيه عجزا فى جلال الابد و أضاف ثناءه تعالى اليه لانه لا يعرف الله الا هو فقال أنت كما أثنيت على نفسك و فى معنى الحديث أنشد الشافعى

احفظ لسانك أيها الانسان * لا يلدغنك انه ثعبان
كم فى المقابر من قتيل لسانه * كانت تهاب لقاءه الشجعان

(رواه أحمد و الترمذى و ابن ماجه) ورواه النسائى و قال الترمذى حسن صحيح (و عن أبى أمامة رضى الله عنه) بضم الهمزة و تفخيم الميم باهلى سكن بمصر ثم انتقل الى حمص و مات بها و كان من المكثرين فى الرواية و أكثر حديثه عن الشاميين روى عنه خلق كثير مات سنة ست و ثمانين و له احدى و سبعون و هو آخر من مات من الصحابة بالشام (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب) أى شيأ أو شخصا فحذف المفعول ليذهب الوهم كل مذهب (لله) لا لغرض سواه و لا لشهوة طبعه و هواه (و أبغض لله) كذلك (و أعطى لله و منع لله) و كذلك سائر الاعمال فتكلم لله و سكت لله و اختلط بالناس لله و اعتزل عن الخلق لله كقوله تعالى حاكيا ان صلاتى و نسكى و محياى و مماتى لله و انما خص الافعال الاربعة لانها حظوظ نفسانية اذ قلما يمحضها الانسان لله فاذا محضها مع صعوبة تمحيضها كان تمحيض غيرها بالطريق الاولى و لذا أشار الى استكمال الدين بتمحيضها بقوله (فقد استكمل الايمان) بالنصب أى أكمله وعدى اليه للمبالغة لزيادة السين المستدعية لتجريده من نفسه شخصا آخر يطلب منه اكمال الايمان و نظيره وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا اى يطلبون من أنفسهم الفتح عليهم و قيل بالرفع أى تكمل ايمانه (رواه أبوداود) و سكت عليه و صححه الحاكم و حسنه الترمذى (و رواه الترمذى) لا عن أبى أمامة بل (عن معاذ بن أنس مع تقديم و تأخير و فيه)

فقد استكمل ايمانه و عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الاعمال الحب فى الله و البغض فى الله رواه أبو داود و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده و المؤمن من أمنه الناس على دمائهم و أموالهم رواه الترمذى و النسائى و زاد البيهقى فى شعب الايمان برواية فضالة و المجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله و المهاجر من هجر الخطايا و الذنوب و عن أنس قال قلما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قال لا ايمان لمن لا أمانة له

أى فى حديث الترمذى أو فى مروى معاذ (فقد استكمل ايمانه) بالاضافة (و عن أبي ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الاعمال) أى الباطنية التى يتوصل بها الى حقائق المعرفة و الشهود فأل للعهد الذهنى و قيل التقدير من أفضل الاعمال اذ الصلاة أفضل الاعمال مطلقا بعد أداء الشهادتين (الحب فى الله) أى لوجهه و فى سبيله (و البغض فى الله) أى لاجله و فى حقه و العطاء و المنع متفرعان على الحب و البغض و لذا اكتفى فى هذا الحديث بالاصلين (رواه أبو داود) عن مجاهد عن رجل عن أبي ذر و هذا الرجل المجهول هو و الله أعلم عبد الله بن عباس كما رواه الطبرانى باسناد جيد من رواية عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى ذر أى عرا الايمان أشرف بل أوثق قال الله و رسوله أعلم قال الموالاة فى الله و المعاداة فى الله و الحب فى الله و البغض فى الله اه و الفرق بين الموالاة و الحب أنها تكون بين اثنين و الحب أعم (و عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) تقدم الكلام عليه (و المؤمن) أى الكامل (من أمنه الناس) كعلمه أى ائتمنه يعنى جعلوه أمينا و صاروا منه على أمن (على دمائهم و أموالهم) لكمال أمانته و ديانته و عدم خيانته و حاصل الفقرتين انما هو التنبيه على تصحيح اشتقاق الاسمين فمن زعم أنه متصف به ينبغى أن يطالب نفسه بما هو مشتق منه فان لم يوجد فيه فهو كمن زعم أنه كريم و لا كرم له (رواه الترمذى و النسائى) قال فى التصحيح هذا الحديث لم يكن بهذا السياق فى واحد من الكتب الستة بل هو مقطع فيها فتقدم فى الصحيحين منه من حديث عبد الله بن عمر و المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده و المهاجر من هجر مانهى الله عنه و باقيه جاء مقطعا فى السنن من حديث فضالة و أبي هريرة و عبد الله بن عمرو بن العاص لكن الحديث بجملته رواه الحاكم فى مستدركه باسناد على شرط مسلم عن فضالة بن عبيد و ساقه بلفظه الا أنه قدم المؤمن فى روايته على المسلم و هو حديث جليل اشتمل على أصول كثيرة فى الدين يطول ذكرها (و زاد البيهقى فى شعب الايمان برواية فضالة) بفتح الفاء هو فضالة بن عبيد الانصارى الاوسى أول مشاهده أحد ثم شهد ما بعدها و بايع تحت الشجرة ثم خرج الى الشام مجاهدا ثم انتقل الى الشام فسكن دمشق و قضى بها لمعاوية زمن خروجه بصفين و مات بها فى عهد معاوية سنة ثلاث و خمسين روى عنه ميسرة مولاه وغيره (و المجاهد) أى الحقيقى (من جاهد نفسه فى طاعة الله) اذ هو الجهاد الاكبر و ينشأ منه الجهاد الاصغر (و المهاجر) أى الكامل (من هجر الخطايا و الذنوب) أى ترك الصغائر و الكبائر و قيل الذنب أعم من الخطيئة لانه يكون عن عمد بخلاف الخطيئة لان الحكمة من الهجرة التمكن من الطاعة بلا مانع و التبرى عن صحبة الاشرار المؤثرة فى اكتساب الخطايا فالهجرة التحرز عنها فالمهاجر الحقيقى هو المتجانب عنها (و عن أنس) رضى الله عنه (قال قلما خطبنا) ما مصدرية أى قل خطبة خطبنا (رسول الله صلى الله عليه وسلم) و يجوز أن تكون كافة و هو يستعمل فى النفى و يدل عليه الاستثناء أى ما وعظنا (الاقال) أى فيها و لعل الحصر غالبى (لا ايمان) أى على وجه الكمال (لمن لا أمانة له)

و لا دين لمن لا عهد له رواه البيهقى فى شعب الايمان * (الفصل الثالث) * عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول‌اللّٰه‌صلى‌اللّٰه‌عليه‌وسلم يقول من شهد أن لااله‌الااللّٰه و أن محمدارسول‌اللّٰه حرم اللّٰه عليه النار رواه مسلم و عن عثمان رضى‌اللّٰه‌عنه

فى النفس و الاهل و المال و قيل فيما استؤمن عليه من حقوق اللّٰه و حقوق العباد التى كلف بها و قد قال تعالى انا عرضنا الامانة على السموات الآية و الانسان فيها هو آدم ثم ذريته و مع كونه ظلوما أى ظلم نفسه بالتزامه بحمل ما فيه كلفةعظيمة عليها المؤدى الى عدم قيامها به لا سيما على الوجه الاكمل جهولا لانه جهل خطر تلك الامانة و مشقة رعايتها عند تحمله لها و انما انتفى كمال الدين بانتفائها لانه يؤدى الى استباحةالاموال و الاعراض و الابضاع و النفوس و هذه فواحش تنقص الايمان و تقهقره الى أن لا يبقى منه الا أقله بل ربما أدت الى الكفر و من ثم قيل المعاصى بريد الكفر (و لا دين) على طريق اليقين (لمن لا عهد له) بأن غدر فى العهد و اليمين قيل هذا الكلام و أمثاله وعيد لا يراد به الانقلاع بل الزجر و نفى الفضيلة دون الحقيقة و قيل يحتمل أن يراد به الحقيقة فان من اعتاد هذه الامور لم يؤمن عليه أن يقع ثانى الحال فى الكفر كما فى الحديث من يرتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه (رواه البيهقى فى شعب الايمان و كذا رواه محيى السنة أى صاحب المصابيح باسناده فى شرح السنة و رواه الطبرانى فى معجمه الكبير من حديث ابن مسعود بزيادات لا بأس بذكرها و لفظه قال قال رسول‌اللّٰه‌صلى‌اللّٰه‌عليه‌وسلم لا ايمان لمن لا أمانة له و لا دين لمن لا عهد له و الذى نفس محمد بيده لايستقيم دين عبد حتى يستقيم لسانه و لا يستقيم له حتى يستقيم قلبه و لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه فقيل ما البوائق يارسول‌اللّٰه قال غشمه و ظلمه و أيما رجل أصاب مالا من حرام و أنفق منه لم يبارك له فيه و ان تصدق منه لم يقبل منه و ما بقى فزاده الى النار ألا ان الخبيث لا يكفر الخبيث و لكن الطيب يكفر * (الفصل الثالث) * المراد به الاحاديث الملحقة بالباب ألحقها صاحب الكتاب غير مقيدة بأن تكون مما أخرجها الشيخان أو غيرهما من أصحاب السنن و لا بأن تكون عن صحابى أو تابعى (عن عبادة بن الصامت) رضى‌اللّٰه‌عنه (قال سمعت رسول‌اللّٰه‌صلى‌اللّٰه‌عليه‌وسلم يقول) هذا مما يتكرر كثيرا و قد اختلف فى المنصوبين بعد سمعت فالجمهور على أن الاول مفعول و جملة يقول حال اى سمعت كلامه لان السمع لا يقع على الذوات ثم بين هذا المحذوف بالحال المذكورة فهى حال مبينة لا يجوز حذفها و اختار الفارسى ان ما بعد سمعت ان كان مما يسمع كسمعت القرآن تعدت الى مفعول واحد و الا كما هنا تعدت الى مفعولين فجملة يقول على هذا مفعول ثان و قيل ينبغى جواز حذف يقول هذه خطا كما يجوز حذف قال خطا فى نحو حدثنا مفعول قال أى قال حدثنا ورد بأن حذف يقول ملبس لانه لا يدرى حينئذ أهو يقول أم قال بخلاف حذف قال مما ذكر فانه اشتهر فلا يلبس و من ثم جوز حذفها حتى فى القراءة كما صححه ابن الصلاح فى فتاويه و النووى (من شهد) أى بلسانه مطابقا لجنانه (أن لااله‌الااللّٰه) و التزم جميع ما جاء من عند اللّٰه (و أن محمدارسول‌اللّٰه) و قبل ماثبت عن رسول‌اللّٰه (حرم اللّٰه عليه النار) أى الخلود فيها كالكفار بل مآله الى الجنة مع الابرار و لو عمل ما عمل من أعمال الفجار و كذا دخولها ان مات مطيعا و أما اذا مات فاسقا فهو تحت المشيئة و فى الحديث دلالة على أن من ترك التلفظ بالشهادتين على القدرة عليه يخلد فى النار على ما فيه من خلاف حكى عن جمع من متأخرى المذاهب الاربعة كانهم لم يروا حكاية [illegible] الاجماع على الاول ذكره ابن حجر و فيه نظر يعلم مما تقدم فى اول الباب و [illegible] (رواه مسلم و عن عثمان رضى‌اللّٰه‌عنه)

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات و هو يعلم أنه لااله الا الله دخل الجنة رواه مسلم و عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثنتان موجبتان قال رجل يا رسول الله ما الموجبتان قال من مات يشرك بالله شيأ دخل النار و من مات لا يشرك بالله شيأ دخل الجنة رواه مسلم و عن أبي هريرة قال كنا قعودا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم و معنا أبو بكر و عمر رضي الله عنهما في نفر فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم

هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان و يكنى أبا عبد الله الاموى القرشي و كان اسلامه في أول الاسلام على يدى أبي بكر قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الارقم و هاجر الى أرض الحبشة الهجرتين و لم يشهد بدرا لانه تخلف بمرض رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم و ضرب له النبي صلى الله عليه وسلم فيها بسهم و لم يشهد الحديبية بيعة الرضوان لان النبي صلى الله عليه وسلم كان بعثه الى مكة في أمر الصلح فلما كانت البيعة ضرب النبي صلى الله عليه وسلم يده على يده و قال هذه لعثمان و سمى ذا النورين لجمعه بين بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم رقية و أم كلثوم كان أبيض ربعة حسن الوجه استخلف أول يوم من المحرم سنة أربع و عشرين و قتله الاسود التجيبي من أهل مصر و قيل غيره و دفن ليلة السبت بالبقيع و له يومئذ من العمر اثنتان و ثمانون سنة و كانت خلافته اثنتي عشرة سنة الا أياما وروى عنه خلق كثير (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات و هو يعلم) أي علما يقينا سواء قدر على الاقرار اللساني و أقر أو لم يقدر عليه و اكتفى بالقلب أو جهل وجوبه أو لم يطالب به أو أتى به اذ ليس فيه ما ينفى تلفظه به (أنه لااله الا الله) و هذه الكلمة علم لكلمتي الشهادة و لذا اقتصر عليها (دخل الجنة) اما دخولا أوليا ان لم يصدر عنه ذنب بعد الايمان أو أذنب و تاب أو عفا الله عنه أو دخولا أخرويا فان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا أو معناه استحق دخول الجنة قال الشيخ أبو حامد في الاحياء من يوجد منه التصديق بالقلب فقبل أن ينطق باللسان أو يشتغل بالعبادة مات فهل هو مؤمن بينه و بين الله تعالى ففيه اختلاف لمن شرط القول لتمام الايمان يقول هذا مات قبل الايمان و هذا فاسد اذ قال عليه الصلاة والسلام يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان و هذا قلبه طافح بالايمان. و من صدق بالقلب و ساعده الوقت للنطق بكلمتي الشهادة و علم وجوبهما و لكنه لم ينطق بهما فيحتمل أن يجعل امتناعه عن النطق بمنزلة امتناعه عن الصلاة و يقال هو مؤمن غير مخلد في النار اه و فيه أنه قياس مع الفارق فان الاقرار اما شرط للايمان أو شطر و ليس كذلك الصلاة للايمان و الله أعلم و كأنه عند الامام من واجبات الاسلام و فيه انه لو كان كذلك لما قيل بكفر أبي طالب فلو عبر بتركه بدل امتناعه كان له وجه وجيه (رواه مسلم و عن جابر رضي الله عنه) هو جابر بن عبد الله كنيته أبو عبد الله الانصاري السلمي من مشاهير الصحابة و أحد المكثرين من الرواية شهد بدرا و ما بعدها مع النبي صلى الله عليه وسلم ثماني عشرة غزوة و قدم الشام و مصر و كف بصره آخر عمره روى عنه خلق كثير مات بالمدينة سنة أربع و سبعين و له أربع و تسعون سنة و هو آخر من مات بالمدينة من الصحابة في قول (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثنتان) صفة مبتدأ محذوف أي خصلتان (موجبتان) يقال أوجب الرجل اذا عمل ما يجب به الجنة أو النار و يقال للحسنة و السيئة موجبة فالوجوب عند أهل السنة بالوعد و الوعيد و عند المعتزلة بالعمل (قال رجل يا رسول الله ما الموجبتان) أي السببان فان الموجب الحقيقي هو الله تعالى (قال من مات يشرك بالله شيأ دخل النار) فالموت على الشرك الاكبر سبب لدخول النار و خلودها (و من مات لا يشرك بالله شيأ دخل الجنة) فالموت على التوحيد سبب لدخول الجنة (رواه مسلم و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كنا قعودا) أي ذوي قعود

من بين أظهرنا فأبطأ علينا و خشينا أن يقتطع دوننا و فزعنا فقمنا فكنت أول من فزع فخرجت أبتغى رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم حتى أتيت حائطا للانصار لبنى النجار فدرت به هل أجد له بابا فلم أجد فاذا ربيع يدخل فى جوف حائط من بئر خارجة و الربيع الجدول قال فاحتفزت فدخلت على رسول‌الله صلى‌الله‌عليه وسلم فقال أبو هريرة فقلت نعم يارسول‌الله قال ما شأنك قلت كنت بين أظهرنا فقمت فأبطأت علينا

أوقاعدين (حول رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم و معنا أبو بكر و عمر) بالرفع (فى نفر) أى مع جماعة أو فى جملة نفر من الصحابة رضى‌الله‌عنهم (فقام رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم من بين أظهرنا) أظهر زائد للتأكيد أى من بيننا (فأبطأ) بالهمزة (علينا) أى مكث و توقف عنا كثيرا (و خشينا) الخشية خوف مع تعظيم (أن يقتطع) على البناء للمفعول أى من ان يقتطع و قوله (دوننا) حال من الضمير المستتر فى يقتطع أى خشينا أن يصاب بمكروه من عدو أو غيره متجاوزًا عنا و بعيدا منا و فى الكشاف معنى دون أدنى مكان الشئ و منه الشئ الدون و استعير للتفاوت فى الاحوال و الرتب يقال زيد دون عمرو فى الشرف و العلم ثم اتسع فيه و استعمل فى كل تجاوز حد الى حد (و فزعنا) أى اضطربنا قال الطيبى عطف أحد المترادفين على الآخر لارادة الاستمرار كما فى قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا أى كذبوه تكذيبا عقب تكذيب اه و يمكن أن يغاير بينهما بحمل الخشية على خوف الباطن و الفزع على اضطراب الظاهر و هو الظاهر لان التأسيس أولى من التأكيد سيما مع تغاير اللفظين و هو بكسر الزاى و فى نسخة ففزعنا و وجه العطف بالفاء ان الثانى مترتب على الاول فهو سبب له (فقمنا) أى للتجسس و التفحص (فكنت) أى لكثرة خشيتى عليه (أول من فزع) و قام للطلب (فخرجت) أى من المجلس (أبتغى) أى أطلب (رسول‌الله) أتتبع أثره و خبره لأعلم حقيقة ابطائه (صلى‌الله‌عليه‌وسلمَ حتى أتيت حائطا) أى بستانا له حيطان أى جدران (للانصار لبنى النجار) تخصيص بعد عام أو بدل بعض أى و ظننت انه عليه‌الصلاة‌والسلام فيه (فدرت به) أى بحول الحائط قائلا فى نفسى (هل أجدله بابا) أدخل منه (فلم أجد) له بابا (فاذا) اذا للمفاجاة أى فاجأ عدم وجودى للباب رؤية (ربيع) نهر صغير (يدخل فى جوف حائط) أى بستان آخر الى ذلك الحائط أو فى جوف جدار من جدران ذلك الحائط مبتدأ أو مستمد ذلك النهر (من بئر) بالهمز و يبدل (خارجة) ضبطناه بالتنوين فى بئر و خارجة على أن خارجة صفة لبئر هكذا نقله الشيخ أبو عمرو بن الصلاح و ذكر الحافظ أبوموسى الاصفهانى و غيره انه روى على ثلاثة أوجه الاول ما ذكرناه و الثانى بتنوين فى بئر و بهاء مضمومة فى خارجه و هى هاء ضمير للحائط أى البئر فى موضع خارج عن الحائط و الثالث باضافة بئر الى خارجة آخره تاء التأنيث و هو اسم رجل و الوجه الاول هو المشهور الظاهر كذا ذكره الشيخ محيى‌الدين النووى وقيل البئرهنا البستان سمى بما فيها من الآبار يقولون بئر بضاعة و بئر خارجة و هما بستانان و الحائط هنا البستان من النخيل اذا كان عليه جدار (و الربيع الجدول) هذا تفسير من بعض الرواة (قال) أبو هريرة (فاحتفزت) قال النووى روى بالزاء المعجمة و الراء المهملة و الصواب الاول و معناه تضاممت ليسعنى المدخل (فدخلت على رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فقال أبو هريرة) اى فقال النبى صلى‌الله عليه‌وسلم أأنت أبو هريرة والاستفهام اما على حقيقته لانه عليه‌الصلاة‌والسلام كان غائبا عن بشريته بسبب ايحاء هذه البشارة فلم يشعر بانه هو و اما للتقرير و هو ظاهر و اما للتعجب لاستغرابه أنه من أين دخل عليه و الطرق مسدودة (فقلت نعم يارسول‌الله) أنا أبو هريرة (قال ما شأنك) بالهمز و يبدل أى أى شئ حالك و ما سبب مأتاك و اضطرابك (قلت كنت) أى أنت (بين أظهرنا) أى كان

فخشينا أن تقتطع دوننا ففزعنا فكنت أول من فزع فأتيت هذا الحائط فاحتفزت كما يحتفز الثعلب و هؤلاء الناس ورائى فقال ياأبا هريرة و أعطانى نعليه فقال إذهب بنعلى هاتين فمن لقيك من وراء هذا الحائط يشهد أن لااله الا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة فكان أول من لقيت عمر فقال ما هاتان النعلان ياأبا هريرة قلت هاتان نعلا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنى بهما من لقيت يشهد أن لااله الا الله مستيقنا بها قلبه بشرته بالجنة فضرب عمر بين ثديي فخررت لاستى فقال ارجع ياأبا هريرة فرجعت الى رسول الله

ظهورنا مستندة اليك و قلوبنا معتمدة عليك و صدورنا منشرحة لديك (فقمت) أى عنا (فابطأت علينا) و فتحت باب الاضطراب لدينا (فخشينا) عليك أولا و علينا ثانيا (أن تقتطع) أى يقطعك أعداؤك عن أحبابك و تهلك (دوننا) أى من غير اطلاعنا أو دون أن نهلك بين يديك لاجلك (ففزعنا) أى لذلك و تسارعنا الى تعرف خبرك (فكنت أول من فزع) من المشتاقين و أول من قام من الخائفين (فأتيت هذا الحائط) بناء على ظنى انك فيه (فاحتفزت) لما لم أجدله بابا (كما يحتفز الثعلب) فى تحصيل المطلب (و هؤلاء الناس ورائى) أى ينتظرون علم ما وقع لك و هو اقتباس من قوله تعالى حكاية عن موسى هؤلاء على أثرى و عجلت اليك رب لترضى (فقال يا ابا هريرة) يقرأ بالهمز ولا يكتب (وأعطانى نعليه) الجملة حال و هو اشارة الى البشارة للمحبين (فقال) تأكيد للاول (اذهب بنعلى) الباء للتعدية (هاتين) تأكيد للتنبيه و لعله عليه الصلاة والسلام حصل له التجلى الطورى فى ذلك المقام النورى فخلع النعلين و أعطى لاصحابه الكونين أو ايماء الى ثباتهم على دينهم و بذلهم الجهد فى السعى اليه باقدامهم و قال الطيبى لعل فائدة بعثة النعلين الدلالة على صدقه و ان كان خبره مقبولا بدون ذلك و تخصيصهما بالارسال اما لانه لم يكن عنده غيرهما و اما للاشارة الى ان بعثته و قدومه لم يكن الا تبشيرا و تسهيلا على الامة و رفعا للآصار التى كانت فى الامم السابقة و اما للاشارة الى ثبات القدم و الاستقامة بعد الاقرار كقوله عليه الصلاة والسلام قل آمنت بالله ثم استقم والله أعلم باسراره و أسرار أبراره (فمن لقيك) أى رآك أو رأيته (من وراء هذا الحائط) قيد واقعى أو المراد ايمان غيبى يتميز به المخلص عن المنافق (يشهد) أى حال كونه (أن لااله الا الله) و يلزم منه شهادة أن محمدا رسول الله (مستيقنا بها) أى بمضمون هذه الكلمة (قلبه) أى منشرحا بها صدره غير شاك و متردد فى التوحيد و النبوة اللذين هما الايمان الاجمالى (فبشره بالجنة) معناه أخبر أن من كان هذه صفته فهو من أهل الجنة والا فأبو هريرة لا يعلم استيقانهم و فى هذا دلالة ظاهرة لمذهب أهل الحق أن اعتقاد التوحيد لا ينفع دون النطق عند القدرة أو عند الطلب ولا النطق دون الاعتقاد بالاجماع بل لابد منهما غايته ان النطق فيه خلاف انه شرط أو شطر و قد يسقط بعذر و ذكر القلب هنا للتأكيد و نفى توهم المجاز و الا فالاستيقان لا يكون الا بالقلب كقوله رأيت بعينى (فكان أول من لقيت) أى من الناس (عمر) منصوب على انه خبر كان و قيل مرفوع على الاسمية و أول بالعكس قيل و هو أولى لانه وصف و هو بالخبرية أحرى (فقال) مبادرا (ماهاتان النعلان) أي شأنهما و خبرهما (يا أبا هريرة قلت هاتان نعلا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنى بهما) حال كونى قائلا أو مبلغا أو مامورا بأن (من لقيت) أى أنا (يشهد أن لااله الا الله مستيقنا بها قلبه بشرته بالجنة فضرب عمر) لابد هنا من تقدير يدل عليه السياق من السباق واللحاق يعنى فقال عمر ارجع قصدا للمراجعة بناء على رأيه الموافق للكتاب و لطفه المطابق للصواب فأبيت و امتنعت عن حكمه امتثالا لظاهر أمره عليه الصلاة والسلام المقدم على كل أمر آمر فضرب عمر بيده (بين ثديي) بالتثنية أى فى صدرى فانه يبعد كل البعد ضربه ابتداء من غير باعث (فخررت) بفتح الراء

صلى‌اللّه‌عليه‌وسلم فاجهشت بالبكاء و ركبنى عمر و اذا هو على اثرى فقال رسول‌اللّه صلى‌اللّه‌عليه‌وسلم مالک يا أبا هريرة قلت لقيت عمر فأخبرته بالذى بعثتنى به فضرب بين ثديى ضربة خررت لاستى فقال ارجع فقال رسول‌اللّه صلى‌اللّه‌عليه‌وسلم ياعمر ما حملک على ما فعلت قال يارسول‌اللّه بأبى أنت و أمى أ بعثت أبا هريرة بنعليک

(لاستى) بهمزة وصل أى سقطت على مقعدى من شدة ضربه لى (فقال ارجع يا أبا هريرة) تأكيدا قال الطيبى ليس فعل عمر و مراجعته النبى صلى‌اللّه‌عليه‌وسلم اعتراضا عليه و ردا لامره اذ ليس ما بعث به أبا هريرة الا لتطييب قلوب الامة و بشراهم فرأى عمر رضى‌اللّه‌عنه ان كتمه هذا أصلح لئلا يتكلوا اه و الحاصل انه عليه الصلاة‌والسلام لكونه رحمة للعالمين و رحيما بالمؤمنين و مظهرا للجمال على وجه الكمال و طبيبا لامته على كل حال لما بلغه خوفهم و فزعهم‌واضطرابهم أراد معالجتهم باشارة البشارة لازالة الخوف و النذارة فان المعالجة بالاضداد ولما كان عمر مظهرا للجلال و علم ان الغالب على الخلق التكاسل و الاتكال فرأى أن الاصلح لاكثر الخلق المعجون المركب بل غلبة الخوف بالنسبة اليهم أنسب فوافقه صلى‌اللّه‌عليه‌وسلم و هذه مرتبة علية و مزية جلية لعمر رضى‌اللّه‌عنه و أما قول ابن حجر و كان وجه استباحة عمر لذلک أنه لابى هريرة بمنزلة الشيخ و المعلم و للشيخ و المعلم أن يؤدب المتعلم بمثل ذلک اذا رأى منه خلاف الادب و هو هنا المبادرة الى اشاعة هذا الخبر قبل تفهم المراد من النبى صلى‌اللّه‌عليه‌وسلم مع اشكاله و ما يترتب عليه من اتكال الناس و اعراضهم عن الاعمال و كان حقه اذا أمر بتبليغه أن يتفهم المراد به ليورده فى موارده دون غيرها فاقتضى اجتهاد عمر ان اخلاله بذلک مقتض لتأديبه فأدبه بذلک فتطويل لاطائل تحته فانه مع تسليم ما ذكر كله لا يعقل ضربه ابتداء من الشيخ الحقيقى فضلا عن غيره ثم قوله أيضا و يحتمل ان عمر استبعد صدور هذا العموم منه عليه‌الصلاة‌والسلام بدليل قوله الآتى أبعثت الخ و نسبه الى تصرف أبى هريرة فأدبه لذلک مستبعد غاية البعد فانه يؤدى الى سوء الظن و عدم قبول خبر الواحد فى الديانات و مع هذا كيف يتصور ضربه على ذلک ثم من الغريب انه فرع عليه أيضا بأن للافاضل من الاتباع تأديب من دونهم اذا كانوا لهم بمنزلة التلامذة و ان للشيخ أن يؤدب تلميذه ولو بالضرب و نقل جواز ذلک عن بعض أئمته اه ولا ريب أن الضرب على عدم فهم المراد أو على سوء الظن من غير بيان مخالف للاجماع و اللّه أعلم (فرجعت الى رسول‌اللّه صلى‌اللّه‌عليه‌وسلم فاجهشت بالبكاء) و الباء للمصاحبة و البكاء اما لشدة الايلام أو لقلة الاحترام و يروى جهشت بكسر الهاء و غير همز و هما صحيحان و كلاهما بصيغة الفاعل و الجهش كالاجهاش أن يفزع الانسان الى انسان و يلجأ اليه و مع ذلک يريد البكاء كما يفزع الصبى الى أمه (وركبنى عمر) أى أثقلنى عدو عمر من بعيد خوفا و استشعارا منه كما يقال ركبته الديون أى أثقلته يعنى تبعنى عمر (واذا هو) أى عمر و اذا للمفاجأة و فى نسخة بالفاء بيان لوصوله اليه أى فنظرت فاذا هو (على أثرى) فيه لغتان فصيحتان فتحهما و هو الاصح و كسر الهمزة و سكون الثاء أى عقبى (فقال رسول‌اللّه صلى‌اللّه‌عليه‌وسلم مالک) رجعت و أى شئ رجع بک على هذه الحالة المنكرة (يا أبا هريرة قلت) و فى نسخة فقلت (لقيت عمر فاخبرته بالذى بعثتنى به فضرب بين ثديى ضربة خررت لاستى فقال) أى عمر (ارجع قال) و فى نسخة فقال بالفاء (رسول‌اللّه صلى‌اللّه‌عليه‌وسلم يا عمر ما حملک على ما فعلت) أى من الامر بالرجوع و المنع من التبليغ (قال) و فى نسخة فقال (يارسول‌اللّه بابى أنت و أمى) الباء متعلقة بمحذوف قيل هو اسم تقديره أنت مفدى بابى و قيل فعل أى فديتک بأبى و حذف هذا التقدر تخفيفا لكثرة الاستعمال و علم المخاطب به (أبعثت أبا هريرة بنعليک)

من لقى يشهد أن لااله الاالله مستيقنابها قلبه بشره بالجنة قال نعم قال فلا تفعل فانى أخشى أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فخلهم رواه مسلم وعن معاذ بن جبل قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاتيح الجنة شهادة أن لااله الاالله رواه أحمد وعن عثمان رضى الله عنه قال ان رجالا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم حين توفى حزنوا عليه حتى كاد بعضهم يوسوس قال عثمان و كنت منهم

والاستفهام للتقرير و التحقيق (من لقى يشهد أن لااله الاالله مستيقنا بها قلبه بشره) بصيغة الماضى أى من لقيه بشره (بالجنة قال نعم قال) أى عمر (فلا تفعل فانى أخشى أن يتكل الناس عليها) أى على هذه البشارة الاجمالية و يعتمد العامة على هذه الرحمة الجمالية و يتركوا القيام بوظائف العبودية التى تقتضى الصفات الربوبية وحينئذ ينخرم نظام الدنيا و العقبى حيث أكثرهم يقعون فى الملة الاباحية كما هو مذهب بعض الجهلة من الصوفية (فخلهم) من غير البشارة (يعملون) حال فان العوام اذا بشروا يتركون العمل بخلاف الخواص فانهم اذا بشروا يزيدون فى العمل كما تقدم (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فخلهم رواه مسلم) كان المناسب لدأبه أن يقول روى الاحاديث الاربعة مسلم قال النووى فى الحديث اهتمام الاتباع بحال متبوعهم والاعتناء بتحصيل مصالحه ورفع مفاسده و فيه جواز دخول الانسان ملك غيره بغير اذنه اذا علم أنه يرضى بذلك لمودة بينهما أو غيرها فان أبا هريرة دخل الحائط و أقره النبى صلى الله عليه وسلم على ذلك ولم ينقل أنه أنكر عليه و هذا غير مختص بدخول الارض بل له انتفاع بادواته و أكل طعامه و الحمل من طعامه الى بيته و ركوب دابته و نحو ذلك من التصرف الذى يعلم أنه لا يشق عليه اتفق على ذلك السلف و الخلف قال ابن عبدالبر و أجمعوا أنه لا يتجاوز الطعام و نحوه الى الدراهم و الدنانير و أشباهها و لعل هذا انما يكون فى الدراهم الكثيرة التى يشك فى رضاه بها و فيه جواز قول الرجل للآخر بأبى أنت و أمى سواء كان المفدى به مسلما أو كافرا أو حيا أو ميتا (و عن معاذ بن جبل) رضى الله عنه (قال قال لى) فى قوله لى اشارة الى أنه كان معه وحده أو كان هو المقصود بالخطاب (رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاتيح الجنة شهادة أن لااله الاالله) قال الطيبى مفاتيح الجنة مبتدأ و شهادة خبره و ليس بينهما مطابقة من حيث الجمع والافراد فهو من قبيل قول الشاعر * و معى جياعا * جعل الناقة الضامرة من الجوع كأن كل جزء من معاها معى واحد من شدة الجوع و كذا جعلت الشهادة المستتبعة للاعمال الصالحة التى هى كاسنان المفاتيح كل جزء منها بمنزلة مفتاح واحد اه والاظهر أن المراد بالشهادة الجنس فشهادة كل أحد مفتاح لدخوله الجنة اما ابتداء أو انتهاء و الاعمال انما هى لرفع الدرجات و مراتب اللذات فى الوصال أولان الشهادة لما كانت مفتاح أبواب الجنة فكأنها مفاتيح أولان الشهادة مصدر فهو لشموله القليل و الكثير يخبر به عن الجمع و غيره و شبه الشهادة بالمفاتيح بجامع ان كلا سبب للدخول ثم حذف أداة التشبيه و قلبه زيادة فى تحقيق معنى المشبه و المبالغة فيه و فيه الاستغناء بأحد المتلازمين عن الآخر اذ لا يعتد باحدى الشهادتين الا مع الاخرى (رواه أحمد و عن عثمان رضى الله عنه ان رجالا) بفتح الهمزة و فى نسخة صحيحة قال ان رجالا بكسر الهمزة (من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم حين توفى) بضم التاء و الواو ماض مجهول (حزنوا) بكسر الزاى (عليه) أى على موته و غيبة طلعته و فقدان حضرته و عدم وجدان افادته العلوم الظاهرية و افاضته المعارف الباطنية (حتى كاد) أى قارب (بعضهم يوسوس) أى يقع فى الوسوسة بأن يقع فى نفسه انقضاء هذا الدين و انطفاء نور الشريعة الغراء بموته عليه الصلاة والسلام و خطور هذا بالنفوس الكاملة مهلك لها حتى يتغير حاله و يختلط كلامه و يدهش فى أمره و يختل عقله

فبينا أنا جالس مر على عمر وسلم فلم أشعر به فاشتكى عمر الى أبي بكر رضي الله عنهما ثم أقبلا حتى سلما على جميعا فقال أبوبكر ما حملك أن لا ترد على أخيك عمر سلامه قلت ما فعلت فقال عمر بلى و الله لقد فعلت قال قلت و الله ما شعرت انك مررت ولا سلمت قال أبوبكر صدق عثمان قد شغلك عن ذلك أمر فقلت أجل قال ما هو قلت توفى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم قبل ان نسأله عن نجاة هذا الامر قال أبو بكر قد سألته عن ذلك فقمت اليه و قلت له بأبي أنت و أمي أنت أحق بها قال أبوبكر قلت يارسول الله ما نجاة هذا الامر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل مني الكلمة التي عرضت على عمي فردها فهي له نجاة

و يجيء أحوال بقيتهم في آخر الكتاب من أن بعضهم أقعد و أسكت و بعضهم أنكر موته عليه الصلاة و السلام و أظهر الله فضل الصديق بثبات قدم صدقه قال الطيبي الوسوسة حديث النفس و هو لازم قال الجوهري يقال يوسوس بالكسر و الفتح لحن (قال عثمان و كنت منهم) أي من ذلك البعض الذى اشتد حزنه حتى كاد ان يوسوس و يذهل عن الحس (فبينا) أي بين أو قات (أنا جالس) أي متفكر متحير (مر على عمر وسلم فلم أشعر) أي لشدة ما أصابني من الذهول لذلك الهول (به) أي بمروره أو سلامه أو بهما و هو الاظهر (فاشتكى عمر) معاتبة (الى أبي بكر رضي الله عنهما ثم أقبلا) كلاهما (حتى سلما على جميعا) أي فرددت عليهما (فقال أبوبكر ما حملك على أن لا ترد على أخيك عمر سلامه) أي قبل ذلك (فقلت ما فعلت) أي ما وقع مني هذا الفعل و هو ترك رد السلام و هذا بناء على عدم شعوره بسلامه (فقال عمر بلى والله لقد فعلت) بناء على حقيقة الحال (قال) أي عثمان و هو متروك في بعض النسخ (قلت والله ما شعرت) بفتح العين و يضم أي ما علمت ولا فطنت (انك مررت) أي بي كما في نسخة (ولا سلمت) كان يكفيه أن يقول ما شعرت انك مررت و لكن جيء به توكيدا أي ما نظرت اليك ولا سمعت كلامك كذا قاله الطيبي و فيه نظر اذ يمكن الشعور بأحدهما دون الآخر مع انه لا يلزم من النظر الشعور (قال أبوبكر) أي لعمر (صدق عثمان) أي في اعتذاره بعدم شعوره و قال لي على وجه الالتفات (قد شغلك عن ذلك) أي عن الشعور (أمر) أي عظيم (فقلت أجل) أي نعم الامر كذلك (قال ما هو) أي ذلك الامر العظيم (قلت توفى الله تعالى نبيه) أي قبض روحه (صلى الله عليه وسلم قبل أن نسأله عن نجاة هذا الامر) يجوز أن يراد بالامر ما عليه المؤمنون أي عما نتخلص به من النار و هو مختص بهذا الدين و أن يراد ما عليه الناس من غرور الشيطان و حب الدنيا و التهالك فيها و الركون الى شهواتها و ركوب المعاصي و تبعاتها أي نسأله عن نجاة هذا الامر الهائل ولعمري كلمة التقوى تؤثر في النفس اليقظة و في القلب جلاء الصدأ و الرين و في السر محو الاثر و العين ولا يعقل ذلك الا السائرون الى الله تعالى و العارفون به و من ثم ألزموها و كانوا أحق بها و أهلها (قال أبوبكر قد سألته عن ذلك) أي و أجابني (فقمت) أي من كمال الفرح متوجها (اليه) و متمثلا بين يديه (و قلت له بأبي أنت وأمي أنت أحق بها) أي بالمسئلة و السبق بها و البحث عنها فانك الى كل خير أسبق (قال أبوبكر قلت يارسول الله ما نجاة هذا الامر فقال) أي رسول الله كما في نسخة (صلى الله عليه وسلم من قبل مني) أي بطوع و رغبة من غير نفاق و ريبة (الكلمة التي عرضت) و في نسخة عرضتها (على عمي) أي أبي طالب (فردها) و نزل فيه انك لا تهدى من أحببت و لكن الله يهدى من يشاء (فهي) أي هذه الكلمة و هي كلمة الشهادة المعبر عنها بالكلمة الطيبة (له) أي لمن قبلها (نجاة) و أي نجاة فانها هداية لا تحصل الا بعناية اما في بداية أو نهاية سيما اذا كانت مقرونة بحسن رعاية فكأنه عليه الصلاة والسلام يقول النجاة في الكلمة التي عرضتها على مثل أبي طالب

رواه أحمد و عن المقداد أنه سمع رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول لا يبقى على ظهر الارض بيت مدر ولا وبر الا أدخله الله كلمة الاسلام بعز عزيز و ذل ذليل اما يعزهم الله فيجعلهم من أهلها أو يذلهم فيدينون لها قلت فيكون الدين كله لله رواه أحمد و عن وهب بن منبه قيل له أليس لااله‌الاالله مفتاح الجنة قال بلى و لكن

وقد زاد على السبعين فى الكفر ولو قالها مرة كانت له حجة عندالله لاستخلاصه ونجاة له من عذابه فكيف بالمؤمن المسلم وهى مخلوطة بلحمه ودمه فلو صرح بها فى كلامه لم يفخم هذا التفخيم و هذا الحديث رواه الصحابى عن الصحابى يعنى عثمان عن أبى بكر رضى‌الله‌عنهما (رواه أحمد و عن المقداد رضى‌الله‌عنه) هو المقداد بن عمرو الكندى و ذلك ان أباه حالف كندة فنسب اليها و انما سمى ابن الاسود لانه كان حليفه أو لانه كان فى حجره وقيل بل كان عبدا فتبناه وكان سادسا فى الاسلام روى عنه على وطارق بن شهاب و غيرهما و مات بالجرف على ثلاثة أميال من المدينة فحمل على رقاب الناس و دفن بالبقيع سنة ثلاث وسبعين و هو ابن تسعين سنة (انه سمع رسول‌الله) أى كلامه (صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول) حال و قيل مفعول ثان (لايبقى على ظهر الارض) أى وجهها من جزيرة العرب و ما قرب منها فلاينافى ما قيل ان وراء الصين قوما لم‌تبلغهم الى الآن بعثته عليه‌الصلاة‌والسلام (بيت مدر ولا وبر) أى المدن و القرى و البوادى وهو من وبر الابل أى شعرها لانهم كانوا يتخذون منه و من نحوه خيامهم غالبا و المدر جمع مدرة و هى اللبنة (الا أدخله) فاعل أدخل هو الله‌تعالى وان لم يجر له ذكر بدليل تفصيله بقوله اما يعزهم الله و فى بعض النسخ أدخله الله (كلمة الاسلام) مفعوله والضمير المنصوب ظرف و قوله (بعز عزيز) حال أى أدخل الله‌تعالى كلمة الاسلام فى البيت ملتبسة بعز شخص عزيز أى يعزه‌الله بها حيث قبلها من‌غير‌سبى وقتال (وذل ذليل) أى أو يذله الله بها حيث أباها وهو يشمل الحربى‌والذمى والمعنى يذله الله بسبب اباءتها بذل سبى أو قتال حتى ينقاد اليها كرها أو طوعا أو يذعن لها ببذل الجزية والحديث مقتبس من قوله تعالى هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ثم فسر العز و الذل بقوله (اما يعزهم الله) أى قوما أعزوا الكلمة بالقبول (فيجعلهم من أهلها) بالثبات الى الممات (أو يذلهم) أى قوما آخرين لم يلتفتوا الى الكلمة وما قبلوها فكأنهم أذلوها فجوزوا بالاذلال جزاء وفاقا (فيدينون لها) بفتح الياء أى يطيعون و ينقادون لها و من المعلوم أن اسلام الحربى مكرها خشية السيف صحيح و فيه اشارة الى قوله تعالى حتى يعطوا الجزية عن يد أى من غير ارسال أو مع ضرب كف فى عنق أو لطم يد فى وجه وهم صاغرون أى اذلاء مهانون و محتقرون (قلت) القائل المقداد و الظاهر انه قال فى غير حضرته عليه‌الصلاة‌والسلام بل عند روايته فلهذا ما ذكر له جواب (فيكون الدين كله لله) أى اذا كان الامر كذلك فتكون الغلبة لدين الله طوعا أو كرها و قيل ان فى آخر الزمان لم يبق على وجه الارض محل الكفر بل جميع الخلائق يصيرون مسلمين اما بالطوع و الرغبة ظاهرا وباطنا واما بالاكراه و الجبر و اذا كان كذلك فيكون الدين كله لله (رواه أحمد) كان الظاهر أن يقول روى الاحاديث الثلاثة أحمد (و عن وهب بن منبه) بكسر الموحدة المشددة يكنى أبا عبدالله الصنعانى من أبناء فارس سمع جابر بن عبدالله و ابن عباس مات سنة أربع عشرة و مائة ذكره المصنف فى التابعين (قيل له أليس لااله‌الاالله) أى المقرون بمحمد رسول الله و محله الرفع على انه اسم ليس و خبرها (مفتاح الجنة) و قيل بالعكس و قدم لشرفه (قال بلى و لكن) أى أقول بموجب ذلك

ليس مفتاح الا و له أسنان فان جئت بمفتاح له أسنان فتح لك و الا لم يفتح لک رواه البخاری فی ترجمة باب و عن أبی هريرة قال قال رسول‌الله‌صلی‌الله‌عليه‌وسلم اذا أحسن أحد کم اسلامه فکل حسنة يعملها تکتب له بعشر أمثالها الی سبعمائة ضعف و کل سيئة يعملها تکتب بمثلها حتی لقی الله متفق عليه و عن أبی أمامة ان رجلا سأل رسول الله صلی الله عليه وسلم ما الايمان قال اذا سرتک حسنتک و ساءتک سيئتک

و انها مفتاحها كما تقدم فی الحديث السابق و لكن لا يغتر أحد بذلک و يظن انه بمجرد تلفظه بتلک الكلمة التی هی المفتاح يفتح له الجنة حتی يدخلها مع الناجين و ان لم يعمل عملهم لانه و ان أتی بالمفتاح غير نافع له لانه (ليس مفتاح) أی من خشب أو حديد . (الا و له أسنان) أی غالبا أو عادة هی الفاتحة فی الحقيقة (فان جئت بمفتاح له أسنان) قال الطيبی المعنی بها الاركان الاربعة أی الصلاة والصوم و الزكاة و الحج وقيل مطلق الاعمال الصالحة المتضمنة لترک الاعمال السيئة (فتح لک) أی أولا (و الا) أی و ان لم تجئی بمفتاح له أسنان مما ذکر و لو فقدت منه سن واحدة (لم يفتح لک) أی ابتداء و لا بد من هذا التأويل ليستقيم علی مذهب أهل السنة و الجماعة هذا و لا يخفی عليک ان التشبيه ظاهره يأبی عن القيد الاولی فالاولی أن يقال المراد بالاسنان انما هو تصديق القلب من غير ترديد بالوفاق و الاقرار باللسان من غير نفاق و انقياد لاحكام الاسلام من غير كره و شقاق فالكلمة حينئذ بهذه الاوصاف المشبهة بالاسنان يكون مفتاحا اما أولا أو آخرا علی وفق الاذن من الفتاح العليم (رواه البخاری فی ترجمة باب) بفتح الجيم أی من عادته أن يذكر بعد الباب حديثا معلقا بغير اسناد فيه بيان ما يشتمل عليه أحاديث الباب و يضيف اليه الباب و اختلف فی صحة تعليقاته و الاصح ما ذكره بصيغة التمريض كروی و ذكر و قيل فهو ضعيف و ما لا فلا (وعن أبی هريرة) رضی‌الله‌عنه (قال قال رسول‌الله‌صلی‌الله‌عليه‌وسلم اذا أحسن أحدكم اسلامه) أی أجاد و أخلص كقوله تعالی بلی من أسلم وجهه لله و هو محسن (فكل حسنة يعملها تكتب) أی له كما فی نسخة (بعشر أمثالها) فضلا من الله و نعمة (الی سبعمائة ضعف) الی لانتهاء الغاية فيكون ما بين العشرة الی سبعمائة درجات بحسب الاعمال و الاشخاص و الاحوال أو لمجرد الافضال و الله يضاعف لمن يشاء حكی الماوردی ان الضعف لا يتجاوز عن سبعمائة قال النووی هذا غلط لما فی مسلم الی سبعمائة ضعف الی أضعاف كثيرة اه فالمراد بسبعمائة الكثرة و فيه الاشارة الی قوله تعالی مثل الذين ينفقون أموالهم فی سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فی كل سنبلة مائة حبة و المراد هنا بالضعف المثل و خص حسنات الحرم بمائة ألف قال ابن حجر و صح صلاة واحدة فی المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة فی مسجد رسول‌الله‌صلی‌الله‌عليه‌وسلم و أخذت من هذا كأحاديث أخر أنها فی مكة بمائة ألف ألف ألف صلاة كما يأتی فالعشرة لا ينقص عنها و الزيادة لا منتهی لها و ما بين العشرة الی سبعمائة فأكثر درجات بحسب كمال الاعمال و ما يصحبها من الاخلاص و غيره اه و لا يخفی ان الحسنات تختلف كيفياتها أيضا (و كل سيئة يعملها تكتب بمثلها) أی كمية فضلا منه تعالی و منة و رحمة و ان كانت السيئات تتفاوت كيفية باختلاف الزمان و المكان و أشخاص الانسان و مراتب العصيان (حتی لقی الله) أی الی أن يلقی الله يوم القيامة فيجازيه أو يعفو عنه و العدول الی الماضی لتحقق وقوعه كقوله تعالی أتی أمر الله ولايبعد تعلق حتی بالجملتين و إرادة اللقی بمعنی الموت (متفق عليه و عن أبی أمامة أن رجلا سأل رسول‌الله‌صلی‌الله‌عليه‌وسلم ما الايمان) أی علامته (قال اذا سرتک حسنتک و ساءتک سيئتک)

فأنت مؤمن قال يا رسول‌الله فما الاثم قال اذا حاك في نفسك شئ فدعه رواه أحمد و عن عمرو ابن عبسة قال أتيت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فقلت يا رسول‌الله من معك على هذا الامر قال حر و عبد قلت ما الاسلام قال طيب الكلام و اطعام الطعام قلت ما الايمان قال الصبر و السماحة قال قلت أى الاسلام أفضل قال من سلم المسلمون من لسانه و يده قال قلت أى الايمان أفضل قال خلق حسن

أي اذا عملت حسنة و حصل لك فرح و مسرة بتوفيق الطاعة و اذا فعلت سيئة و وقع في قلبك حزن و مساءة خوفا من العقوبة (فأنت مؤمن) فان المؤمن الكامل يميز بين الطاعة و المعصية و يعتقد المجازاة عليهما يوم القيامة بخلاف الكافر فانه لا يفرق بينهما و لا يبالى بفعلهما (قال يا رسول‌الله فما الاثم) أى ما علامته اذا لم يكن نص صريح أو نقل صحيح و اشتبه أمره و التبس حكمه (قال اذا حاك) أى تردد (في نفسك شئ) و لم يطمئن به قلبك و أثر فيه تأثيرا يديم تنفيرا (فدعه) أى اتركه و هو كقوله عليه‌الصلاة‌والسلام دع ما يريبك الى ما لا يريبك و هذا بالنسبة الى أرباب البواطن الصافية و القلوب الزاكية أو المعنى اتركه احتياطا اذا كان الاحوط تركه و اذا كان الفعل أولى فاترك ضده لئلا تقع في الاثم و قيل الجوابان من أسلوب الحكيم و قد تصحف على السيد السند فقرأ حاك جاك بصيغة الماضي من المجئ (رواه أحمد و عن عمرو بن عبسة) بفتحات كنيته أبو نجيح السلمي أسلم قديما في أول الاسلام قيل كان رابع أربعة في الاسلام ثم رجع الى قومه بني سليم و قال له النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا سمعت أني خرجت فاتبعني فلم يزل مقيما بقومه حتى انقضت خيبر فقدم بعد ذلك على النبي عليه‌الصلاة‌والسلام و أقام بالمدينة و عداده في الشاميين روى عنه جماعة (رضى‌الله عنه قال أتيت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم) أى جئته لطلب العلم (فقلت يا رسول‌الله من معك على هذا الامر) أي من يوافقك على ما أنت عليه من أمر الدين (قال حر و عبد) أى كل حر و عبد يعني مأمور بالموافقة و قيل أبو بكر و زيد أو أبو بكر و بلال و يؤيده ما في احدى روايات مسلم و معه يومئذ أبو بكر و بلال و لعل عليا رضى‌الله عنه لم يذكر لصغره و كذا خديجة لسترها و عدم ظهورها (قلت ما الاسلام) أى علامته أو شعبه أو كماله (قال طيب الكلام و اطعام الطعام) فيهما اشارة الى الحث على مكارم الاخلاق و اظهار الاحسان لافراد الانسان و لو بحلاوة اللسان (قلت ما الايمان) أى ثمرته و نتيجته (قال الصبر) أى على الطاعة و عن المعصية و في المصيبة (و السماحة) أى السخاوة بالزهد في الدنيا و الاحسان و الكرم للفقراء و قيل الصبر على المفقود و السماحة بالموجود (قال قلت أى الاسلام) أى خصاله أو أهله و هو أولى (أفضل قال من سلم المسلمون من لسانه و يده قال قلت أى الايمان أفضل) أى أى أخلاقه أو خصاله (قال خلق حسن) بضم اللام و تسكن و هو صفة جامعة للخصال السنية و الشمائل البهية قال تعالى و انك لعلى خلق عظيم و لذا قالت الصديقة رضى‌الله‌عنها كان خلقه القرآن أى يأتمر بما أمر الله تعالى فيه و ينتهي عما نهى الله عنه و ذكر شيخ مشايخنا خاتمة المحدثين و آخر المجتهدين جلال الدين السيوطي انه حديث حسن رواه الحسن عن الحسن عن أبي الحسن عن جد الحسن ان أحسن الحسن الخلق الحسن و قال بعض المحققين الخلق الحسن هو بسط الوجه المسمى بالمحيا و بذل الندى و العطاء و كف الاذى و ان لا يخاصم لشدة معرفته بالله تعالى و لذا قيل الصوفي لا يخاصم و لا يخاصم أو ارضاء الخلق في السراء و الضراء و قال سهل أدناه الاحتمال و ترك المكافأة و الرحمة للظالم و الاستغفار له و الشفقة عليه و التحقيق انه قد لاح و بان عند أرباب العرفان بطوالع الوحي و لوائح الوجدان أن الانسان جوهر لطيف نوراني من عالم

قال قلت أى الصلاة أفضل قال طول القنوت قال قلت أى الهجرة أفضل قال أن تهجر ما كره ربك قال فقلت فأى الجهاد أفضل قال من عقر جواده واهريق دمه قال قلت أى الساعات أفضل قال جوف الليل الآخر رواه أحمد و عن معاذ بن جبل قال سمعت رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول من لقى الله لا يشرك به شيأ و يصلى الخمس و يصوم رمضان غفر له قلت أفلا أبشرهم يارسول‌الله قال دعهم يعملوا

الامر شبيه بالجواهر القدسية الملكوتية و له قوتان يحظى بكمالهما و يشقى بسبب اختلالهما قوة عاقلة تدرك حقائق الموجودات باجناسها و أنواعها و تنتقل منها الى معرفة من اشتغل بابداعها و عاملة تدرك النافع نافعا فتميل اليه و الضار مضرا فتنفرعنه و ذلك أمور معاشية تتعلق بحفظ النوع و كمال البدن ولذا ورد خالق الناس بخلق حسن أو ملكات فاضلة و أحوال باطنة هي الخلق الحسن وهو اما تزكية النفس عن الرذائل و أصولها عشرة الطعام و الكلام و الغضب و الحسد و البخل و حب المال و الجاه و الكبر والعجب و الرياء أو تحليتها بالفضائل و أمهاتها عشرة التوبة و الخوف و الزهد و الصبر و الشكر و الاخلاص و التوكل و المحبة و الرضا بالقضاء و ذكر الموت و الخلق ملكة تصدر بها الافعال عن النفس بسهولة من غير سبق روية و تنقسم الى فضيلة هي الوسط و رذيلة و هي الاطراف و لذا قال تعالى و انك لعلى خلق عظيم (قال قلت أى الصلاة) أى أى أركانها أو كيفياتها (أفضل) أى أكثر ثوابا و فضلا (قال طول القنوت) أى القيام أو القراءة أو الخشوع (قال قلت أى الهجرة) أى أفرادها (أفضل) فان الهجرة أنواع الى الحبشة عند ايذاء الكفار للصحابة و من مكة الى المدينة و فى معناه الهجرة من دارالكفر الى دارالاسلام و هجرة القبائل لتعلم المسائل من النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم و الهجرة عما نهى الله عنه (قال أن تهجر ما كره ربك) كراهة تحريم أو تنزيه و هذا النوع هو الافضل لانه الاعم الاشمل (قال فقلت) و فى نسخة قلت (فأى الجهاد) أى أنواعه أو أهله (أفضل قال من عقر) بالبناء للمفعول (جواده) أى قتل فرسه (و أهريق دمه) بضم الهمزة و سكون الهاء وقيل بفتحها و هو وهم أى صب و سكب يقال أراق يريق و هراق يهريق بقلب الهمزة هاء واهراق يهريق بزيادتها كما زيدت السين فى استطاع و الهاء فى مضارع الاول محركة و فى مضارع الثانى مسكنة كذا قاله صاحب الفائق و قال الحجازى فى حاشية الشفاء لا تفتح الهاء مع الهمزة و انما كان هذا الجهاد أفضل لاشتماله على الجهادين جهاد فارس و جهاد راجل أو لجمعه بين الانفاق فى سبيل الله و الشهادة فى مرضاة مولاه (قال قلت أى الساعات) أى لتحصيل الطاعات (أفضل قال جوف الليل) أى وسطه لانه أقرب الى الصفاء و أبعد عن الرياء (الآخر) صفة جوف أى النصف الاخير من الليل فانه أشق على النفس و أخلى من الخلق و أقرب الى تنزل رحمة الحق (رواه أحمد وعن معاذ بن جبل رضى‌الله‌عنه قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول من لقى الله) يعنى من مات (لا يشرك به شيأ) أى جليا أو خفيا أى حال كونه غير مشرك يعنى يكون موحدا مؤمنا (و يصلى الخمس) أى خمس صلوات كل يوم و ليلة فى خمسة أوقات بركعات معدودات مقرونة بشرائط و أركان معلومات (و يصوم رمضان) أى شهره فى كل سنة أياما معدودات و لعل ترك الزكاة و الحج لانهما مختصان بالاغنياء أو كان قبل فرضيتهما (غفرله) أى غفرالله له ذنوبه الصغائر التى بين كل صلاة و صلاة و كل صوم و صوم أو الكبائر التى بينه و بين الله‌تعالى ان شاء و أما حقوق العباد فيمكن أن يرضيهم الله تعالى من فضله (قلت) ذكرت ذلك (أفلا أبشرهم) أى عموم الناس (يارسول‌الله) حتى يفرحوا بهذه البشارة (قال دعهم) أى اتركهم بلا بشارة (يعملوا) مجزوم على جواب الامر أى يجتهدوا فى زيادة العبادة ولايتكلوا على هذا الاجمال

رواه أحمد وعنه أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أفضل الايمان قال أن تحب لله و تبغض لله و تعمل لسانك فى ذكرالله قال و ماذا يارسول الله قال و ان تحب للناس ما تحب لنفسك و تكره لهم ما تكره لنفسك رواه أحمد *(باب الكبائر)* و علامات النفاق *(الفصل الأول)* عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رجل يارسول الله أى الذنب أكبر عندالله

ولايرتكبوا من قبائح الأفعال فان هذا دأب العوام فى غالب الاحوال بخلاف الخواص و أصحاب الاختصاص إذ لو فرض و قدر أن ليس هناك جنة ولا نار ماعصوا الله تعالى ساعة فى ليل ولا نهار و قد ورد فى الحديث رحم الله صهيبا لولم يخف الله لم يعصه بل يزيدون فى العبادة بعد البشارة شكرا لهذه الاشارة ويخافون أن البشارة تكون مقيدة بقيد مطوى تحت العبارة امتحانا من رب العباد و الله رؤف بالعباد (رواه أحمد و عنه) أى عن معاذ رضى الله عنه (أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن أفضل الايمان) أى عن شعبه و مراتبه و أحواله أو خصال أهله (قال أن تحب) أى كل ما تحبه (لله) لا لغرض سواه (و تبغض) أى مبغوضك (لله) لا لطبع و هوى (و تعمل) من الاعمال بمعنى الاستعمال و الاشغال (لسانك) ليصل بركته الى جنانك (فى ذكرالله) بأن لا يزال رطبا به بشرط الحضور فيكون نورا على نور والا فاشتغال عضو بالعبادة نوع من العناية و من شكر هذه النعمة حصل له مزيد الرعاية (قال و ما ذا يارسول الله) أى و ماذا أصنع بعد ذلك و ماذا اما منصوب باصنع أو مرفوع أى أى شئ أصنعه فعلى الاول مقول (قال و أن تحب) يكون منصوبا و على الثانى مرفوعا و الواو للعطف على مقدر و التقدير أن تستقيم على ما قلنا و أن تحب (للناس) يحتمل التعميم و يحتمل التخصيص بالمؤمنين (ما تحب لنفسك) أى مثله (و تكره لهم ما تكره لنفسك رواه أحمد) *(باب الكبائر)* جمع كبيرة و هى السيئة العظيمة التى خطيئتها فى نفسها كبيرة و عقوبة فاعلها عظيمة بالنسبة الى معصية ليست بكبيرة و قيل الكبيرة ما أوعد عليه الشارع بخصوصه و قيل ما عين له حد و قيل النسبة اضافية فقد يكون الذنب كبيرة بالنسبة لمادونه صغيرة بالنسبة الى مافوقه و قد يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال كما قيل حسنات الابرار سيآت المقربين و قد يتفاوت باعتبار المفعول فان اهانة السادات و العلماء ليست كاهانة السوقة و الجهلاء و للشيخ ابن حجر كتاب نفيس فى هذا الباب يسمى الزواجر عن الكبائر و قيل كل معصية كبيرة نظرا الى عظمة الله تعالى و قيل لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار و قيل بابهام الكبيرة من بين الذنوب لئلا يرتفع الخوف من القلوب (و علامات النفاق) تخصيص بعد تعميم أو بينهما عموم و خصوص من وجه

(الفصل الاول) (عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه) يكنى أبا عبدالرحمن الهذلى كان اسلامه قديما فى أول الاسلام قبل دخول النبى صلى الله عليه وسلم فى دار الارقم و قبل عمر بزمان و قيل كان سادسا فى الاسلام ثم ضم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سواكه و نعليه و طهوره فى السفر هاجر الى الحبشة و شهد بدرا و ما بعدها من المشاهد و شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رضيت لامتى ما رضى لها ابن أم عبد و سخطت لها ما سخطلها ابن أم عبد يعنى ابن مسعود و كان يشبه بالنبى صلى الله عليه وسلم فى سمته ودله و هديه و كان خفيف اللحم قصيرا شديد الادمة نحيفا طوال الرجال توازيه جالسا ولى القضاء بالكوفة و بيت مالها لعمر و صدرا من خلافة عثمان ثم صار الى المدينة فمات بها سنة اثنتين و ثلاثين و دفن بالبقيع و له بضع و ستون سنة روى عنه أبوبكر و عمر و عثمان و على و من بعدهم من الصحابة و التابعين و هو عندنا أفقه الصحابة بعد الخلفاء الاربعة (قال قال رجل يارسول الله

قال أن تدعو لله ندا و هو خلقك قال ثم أى قال أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قال ثم أى قال أن تزانى حليلة جارك فأنزل الله تصديقها

أى الذنب أكبر عندالله) الذنب ما يذم به الآتى به شرعا و هو أربعة أقسام قسم لا يغفر بلا توبة وهو الكفر و قسم يرجى أن يغفر بالاستغفار و سائر الحسنات و هو الصغائر وقسم يغفربالتوبة و بدونها تحت المشيئة و هو الكبائر من حق الله تعالى و قسم يحتاج الى التراد و هو حق الآدمى و التراد اما فى الدنيا بالاستحلال أو رد العين أو بدله و اما فى الآخرة برد ثواب الظالم للمظلوم أو ايقاع سيئة المظلوم على الظالم أو انه تعالى يرضيه بفضله و كرمه (قال أن تدعو) أى تجعل (لله ندا) بالكسر أى مثلا و نظيرا فى دعائك و عبادتك و قيل الند المثل المزاحم الذى يضاده فى أموره من ند نفر و أما الضد فهو أحد متقابلين لا يمكن اجتماعهما (و هو خلقك) الجملة حال من الله أو من فاعل أن تدعو و فيه اشارة الى ما استحق به تعالى أن تتخذه ربا و تعبده فانه خلقك أو الى ما به امتيازه تعالى عن غيره فى كونه الها أو الى ضعف الند أى أن تدعوله ندا و قد خلقك غيره و هو لا يقدر على خلق شئى و المراد أن أكبر الكبائر هو الشرك بالله بل الكفر مطلقا و انما خص فان الشرك لظلم عظيم (قال ثم أى) استفهام بالتنوين بدل من المضاف اليه لكن يحذف التنوين وقفا بمعنى أى شئى من الذنوب أكبر بعد الكفر (قال أن تقتل ولدك خشية) منصوب على أنه مفعول له (أن يطعم) بفتح أوله أى يأكل (معك) لاخلاف أن أكبر الذنوب بعد الكفر قتل نفس المسلم بغير حق فالمعنى ان قتل الولد أكثر[ع] من سائر الذنوب و قتله من خوف أن يطعم أيضا ذنب لانه لا يرى الرزق من الله تعالى و ليس ثم فى هذا الحديث لتراخى الزمان اذ لا يتصور ههنا ولا لتراخى الرتبة لوجوب كون المعطوف بها أعلى مرتبة و ههنا بالعكس بل هى للتراخى فى الاخبار كأنه قيل أخبرنى عن أوجب ما يهمنى السؤال عنه من الذنوب ثم الاوجب فالاوجب كذا قاله الطيبى والاظهر أنه لتراخى الرتبة و قد يكون المعطوف بها أدنى مرتبة كما فى قوله عليه الصلاة والسلام أشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل و حاصل الكلام ان قتل النفس المسلمة بغير حق كبيرة و أفحش أنواعه قتل القريب لانــك ضممت الى معصية القتل معصية قطيعة الرحم و أفحش أنواع قتل القريب قتـــل الوالد ثم قتل الولد فكون قتل الولد أكبر الكبائر بعد الكفر انما هو بضم العلة المذكورة فانه يضم الى تلك القبائح عدم رؤية الرزق من الله تعالى و انتفاء التوكل و الاعتماد عليه فى أمره مع دلالته على كمال قساوته بقتل نفس زكية صغيرة بأقبح أنواع القتل و هو دفنه حيا (قال ثم أى قال أن تزانى) أى تزنى (حليلة جارك) أى زوجته من حل يحل بالكسر اذ كل منهما حلال للآخر أو من حل يحل بالضم لان كل واحد منهما حال عند الآخر فمطلق الزنا ذنب كبير و خاصة مع من سكن جارك و التجأ بأمانتك فهو زنا و ابطال حق الجوار و الخيانة معه أقبح فحاصل القيود من الند و الولد و الجار كمال تقبيح هذه الاصناف من هذه الانواع لا أنها قيود احترازية و الا فافحش الزنا أن يكون بالمحارم ثم فى الاتيان بقوله أن تزانى بصيغة المفاعلة مبالغة لا تخفى فالحديث كقوله تعالى و لا تقتلوا أولادكم خشية املاق أو رعاية لحال السائل و لذا قيد الكبائر فى بعض الاحاديث بكونها سبعا و اقتصر فى بعضها على ثلاث منها كما هنا أو أربع كما يأتى بناء على بيان المحتاج اليه منها وقت ذكره و قد قال ابن عباس هى الى السبعين أقرب و قال سعيد بن جبير الى السبعمائة أقرب قيل يعنى باعتبار أصناف أنواعها و قيل بل هو على حقيقته و الله أعلم (فأنزل الله) و فى نسخة عزوجل (تصديقها) أى تصديق هذه

عـه لعل الصواب اكبر بالباء ـ (مرقاة ج ۱)

و الذين لا يدعون مع الله الها آخر ولايقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون الآية و عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر الاشراك بالله و عقوق الوالدين و قتل النفس و اليمين الغموس رواه البخارى و فى رواية أنس و شهادة الزور بدل اليمين الغموس متفق عليه
و عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتنبوا السبع

المسئلة أو الاحكام أو الواقعة و نصبه على أنه مفعول له أى أنزل الله هذه الآية تصديقا لها و فيه دليل على جواز تقرير السنة و تصديقها بالكتاب كذا قاله الطيبى و لا أعرف له مخالفا فى هذا المقال ليحتاج الى الاستدلال و يمكن أن يراد بالتصديق المطابقة و التوفيق و تكون السنة مقتبسة من الآية مع زيادة التنبيه على أقبح الافراد (و الذين لايدعون مع الله الها آخر) هذا من جملة الاخبار عن المبتدأ المتقدم و هو عباد الرحمن (و لا يقتلون النفس) يعنى نفس المسلم و الذمى و المعاهد (التى حرم الله) أى قتلها و المعنى لا يقتلون نفس غير الحربى بوجه من الوجوه فهو استثناء مفرغ (الا بالحق) أو متعلق بالقتل المقدر و قيل بلا يقتلون أى باحدى الخصال الثلاثة و هى الردة و زنا الاحصان والقصاص (ولا يزنون الآية) بتمامها فى سورة الفرقان و فى كون هذه الآية مصدقة للحديث دليل واضح لما تقدم من أن ذكر الولد و الخشية و حليلة الجار انما هو لبيان زيادة الفحش لا للتقييد و الا لم تكن الآية الدالة على أكبرية القتل و الزنا لا بقيد مطابقة للحديث حتى تصدقه بل كان الحديث مقيدا لها (متفق عليه) و رواه الترمذى و النسائى (و عن عبد الله بن عمرو) رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر الاشراك بالله) هو جعل أحد شريكا للآخر و المراد ههنا اتخاذ اله غير الله و أراد به الكفر و اختار لفظ الاشراك لانه كان غالبا فى العرب (و عقوق الوالدين) أى قطع صلتهما مأخوذ من العق و هو الشق و القطع و المراد عقوق أحدهما قيل هو ايذاء لا يتحمل مثله من الولد عادة و قيل عقوقهما مخالفة أمرهما فيما لم يكن معصية و فى معناهما الاجداد و الجدات ثم اقترانه بالاشراك لما بينهما من المناسبة اذ فى كل قطع حقوق السبب فى الايجاد و الامداد و ان كان ذلك لله حقيقة و للوالدين صورة و نظيره قوله تعالى و اعبدوا الله و لا تشركوا به شيأ و بالوالدين احسانا و قوله عزوجل أن اشكرلى و لوالديك (و قتل النفس) أى بغير حق (و اليمين الغموس) الذى يغمس صاحبه فى الاثم ثم فى النار و قيل فى الكفارة بناء على مذهب الشافعى و معناه أن يحلف على الماضى عالما بكذبه و قيل أن يحلف كاذبا متعمدا ليذهب بمال أحد و اعلم أن الاولى أن يقال الكبيرة لا تنحصر فى عدد و ما قاله عليه الصلاة والسلام من عدد فذلك بسبب الوحى أو اقتضاء المقام والانسب أن يضبط ذلك و يقاس الذنب الى مفسدة المنصوص عليها فان نقصت عن أقل المفاسد فهى من الصغائر و الا فهى من الكبائر هذا حاصل ما قاله الامام عزالدين بن عبد السلام (رواه البخارى) و الترمذى و النسائى أيضا (و فى رواية أنس رضى الله عنه) الجار و المجرور خبر مقدم و المبتدأ قوله (و شهادة الزور) أى الكذب و سمى زورا لميلانه عن جهة الحق و قوله (بدل اليمين الغموس) منصوب على الظرف و عامله معنى الفعل الذى فى و فى رواية أنس أى مكان اليمين على الرفع حكاية و على الجر عملا بالاضافة و اطلاق البدل على المكان على سبيل الكناية لان من أبدل شيأ بشئ فقد وضعه مكانه قيل و لعل مخالفة أنس لابن عمرو لاختلاف المجلس أو تعدد الحديث أو نسيان كل منهما (متفق عليه) قال ميرك يفهم من كلام الشيخ الجزرى أن هذه الرواية من أفراد البخارى (و عن أبى هريرة) رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتنبوا السبع) أى احذروا فعلها

الموبقات قالوا يا رسول‌الله و ما هن قال الشرک بالله و السحر و قتل النفس التی حرم الله الا بالحق و أكل الربا و أكل مال اليتيم

(الموبقات) أی المهلکات أجمل بها ثم فصلها ليكون أوقع فی النفس قال ابن عمر الكبائر سبع و قال ابن عباس هی أقرب الی السبعين و قال الشيخ أبو طالب المكی صاحب قوت القلوب الذی هو أصل احياء العلوم للغزالی قد جمعت جميع الاحاديث الواردة فی هذا الباب فوجدت سبعة عشر أربعة فی القلب الشرک و نية الاصرار علی المعصية و اليأس من رحمة الله و الامن من مكر الله و أربعة فی اللسان شهادة الزور و قذف المحصن و اليمين الغموس و السحر و ثلاثة فی البطن شرب الخمر و أكل مال اليتيم و أكل مال الربا و اثنان فی الفرج الزنا و اللواط و اثنان فی اليد القتل بغير الحق و السرقة و واحد فی الرجل و هو الفرار من الكفار يوم الزحف و واحد يشمل البدن و هو عقوق الوالدين (قالوا) يعنی بعض الصحابة و فی نسخة قال أی رجل أو أبو هريرة (يا رسول‌الله و ما هن) أی تلک السبع (قال الشرک بالله) أی الكفر به (و السحر) قال فی المدارک ان كان فی قول الساحر أو فعله رد مالزم فی شرط الايمان فهو كفر و الا فلا و قال ابن حجر و هو يقع كما قاله القرافی علی حقائق مختلفة السيمياء و الهيمياء و خواص الحقائق من الحيوانات و غيرها و الطلسمات و الاوفاق و الرقی التی تحدث ضررا و العزائم والاستخدامات ثم بين هذه الانواع بما ذكرته عنه فی كتابی الآتی ذكره ثم قال و قد يقع للسحرة أنهم يجمعون عقاقير و يجعلونها فی نهر أو بئر أو قبر أو باب يفتح للشرق فيحدث عنها آثار بخواص نفوسهم التی طبعها الله علی الربط بينها و بين تلک الآثار عند صدق العزم و قد يأتی الساحر بفعل أو قول يضر بحال المسحور فيمرض و يموت منه اما بواصل الی بدنه من دخان أو غيره أو بدونه و قال الحنابلة الساحر بفعل من يركب مكنسة فتسير به فی الهواء أو نحوه و كذا معزم علی الجن و من يجمعها بزعمه و أنه يأمرها فتطيعه و كاهن و عراف و منجم و مشعبذ و قائل بزجر الطير و ضارب عصا و شعير و قداح و من يسحر بدواء أو تدخين أو سقی مضر قال بعض أئمتهم و من السحر السعی بالنميمة والافساد بين الناس لقول جمع من السلف يفسد النمام و الكذاب فی ساعة ما لا يفسده الساحر فی سنة و اعلم أن للسحر حقيقة عند عامة العلماء خلافا للمعتزلة و أبی جعفر الاسترابادی ثم ظاهر عطف السحر علی الشرک أنه ليس بكفر و قد كثر اختلاف العلماء فی ذلک و حاصل مذهبنا أن فعله فسق و فی الحديث ليس منا من سحر أو سحر له و يحرم تعلمه خلافا للغزالی لخوف الافتتان و الاضرار و لا كفر فی فعله و تعلمه و تعليمه الا ان اشتمل علی عبادة مخلوق أو تعظيمه كما يعظم الله سبحانه أو اعتقاد أن له تأثيرا بذاته أو انه مباح بجميع أنواعه و أطلق مالک و جماعة ان الساحر كافر و ان السحر كفر و أن تعلمه و تعليمه كفر و ان الساحر يقتل و لا يستتاب سواء سحر مسلما أم ذميا و قالت الحنفية ان اعتقد أن الشيطان يفعل له ما يشاء فهو كافر و ان اعتقد أن السحر مجرد تخييل و تمويه لم يكفر و اختلف الحنابلة فی كفره و فی التنقيح من كتبهم و لا تقبل توبة ساحر يكفر بسحره و يقتل ساحر مسلم يركب المكنسة فتسير به فی الهواء و نحوه و يكفر هو ومن يعتقد حله و فی الفروع لهم أيضا أن من أوهم قوما بطريقته انه يعلم الغيب فللامام قتله لسعيه بالفساد و بقی لهذا المبحث متممات بسطتها مع ذكر فروق بين المعجزة و السحر فی كتابی الاعلام بقواطع الاسلام (و قتل النفس التی حرم الله) بوجه من الوجوه (الا بالحق) و هو أن يجوز قتلها شرعا بالقصاص و غيره (و أكل الربا) و تفصيله فی كتب الفقه (و أكل مال اليتيم) الا بالمعروف

و التولى يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات متفق عليه و عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايزنى الزانى حين يزنى و هو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق و هو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها و هو مؤمن ولا ينتهب نهبة

و هو صغير لا أب له و التعبير فيهما بالاكل و المراد به سائر وجوه الاستعمال لانه أغلبها المقصود منها (و التولى) بكسر اللام أى الادبار للفرار (يوم الزحف) و هو الجماعة التى يزحفون الى العدو أى يمشون اليهم بمشقة من زحف الصبى اذا دب على استه و قيل سمى به لانه لكثرته و ثقل حركته كأنه يزحف و سموا بالمصدر مبالغة و اذا كان بازاء كل مسلم أكثر من كافرين جاز التولى (وقذف المحصنات) أى العفائف يعنى رميهن بالزنا و هى بفتح الصاد و تكسر أى احصنها الله و حفظها أو التى حفظت فرجها من الزنا (المؤمنات) احتراز عن قذف الكافرات فان قذفهن ليس من الكبائر فان كانت ذمية فقذفها من الصغائر و لا يوجب الحد و فى قذف الامة المسلمة التعزير دون الحد و يتعلق باجتهاد الامام و اذا كان المقذوف رجلا يكون القذف أيضا من الكبائر و يجب الحد أيضا فتخصيصهن لمراعاة الآية و العادة (الغافلات) عن الاهتمام بالفاحشة كناية عن البريات فان البرئ غافل عما بهت به و الغافلات مؤخر عن المؤمنات فى الحديث عكس الآية على ما فى النسخ المصححة و وقع فى شرح ابن حجر بالعكس وفق الآية (متفق عليه و عنه) أى عن أبى هريرة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزنى) باثبات الياء خطا (الزانى حين يزنى و هو مؤمن) الواو للحال و ظاهره دليل على أن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن و أصحابنا أولوه بأن المراد المؤمن الكامل فى ايمانه أو ذوأمن من عذاب الله تعالى أو المراد المؤمن المطيع لله يقال آمن له اذا انقاد و أطاع أو معناه الزجر والوعيد أو الانذار لمرتكب هذه الكبائر بسوء العاقبة اذ مرتكبها لايؤمن عليه أن يقع فى الكفر الذى هو ضد الايمان أو أن الايمان اذا زنى الرجل خرج منه و كان فوق رأسه مثل الظلة فاذا اقلع رجع اليه و سيأتى تقريره و قيل معنى مؤمن مستحيى من الله تعالى لان الحياء شعبة من الايمان فلو استحى منه و اعتقد أنه ناظر لم يرتكب هذا الفعل الشنيع و فيه بحث اذ سئل الجنيد أيزنى العارف فقال و كان أمر الله قدرا مقدورا مع أن هذا يرجع الى القول الاول لانه اذا انتفى تلك الشعبة انتفى كمال الايمان لان الكل ينتفى بانتفاء جزئه و نظيره لا ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له و قيل ان صيغ الافعال و ان كانت واردة على طريق الاخبار فالمراد منها النهى و يشهد له أنه روى لا يزن بحذف الياء ولا يشرب بكسر الباء توفيقا بينه و بين ما سبق من الدلائل على أن الايمان هو التصديق والاعمال خارجة عنه و قوله تعالى و ان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا و نظائره و فى حمله على النهى نظر لانه يفهم منه جواز المنهى عنه و هو ليس بمؤمن كقول الطبيب لاتشرب اللبن و أنت محموم و أما حذف الياء فان صح فهو على أسلوب لا تكذب و أنت عالم أى ان كذبك عالما أفحش منه غير عالم (ولا يسرق السارق حين يسرق و هو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها و هو مومن) أى ولا يشرب الشارب الخمر و كذا فى غيره و حذف و ان كان فاعلا لدلالة المقام عليه و يجوز أن يكون فى كل منهما ضمير مستتر يعود الى مؤمن قال المالكى و من حذف الفاعل قوله عليه السلام ولا يشرب ولا ينتهب ولا يغل ولا يقتل أى شارب و ناهب و غال و قاتل كقوله تعالى ولا يحسبن الذين قتلوا فى قراءة هشام أى حاسب [illegible] نقله الطيبى و قوله غال سهو اذ فاعله موجود فى الحديث و هو أحدكم و قوله قراءة هشام يعنى بالغيبة في أحد وجهيه (ولا ينتهب) انتهب و نهب اذا أغار على أحد و أخذ ماله قهرا (نهبة) بالضم المال

يرفع الناس اليه فيها أبصارهم حين ينتهبها و هو مؤمن ولا يغل أحدكم حين يغل و هو مؤمن فاياكم اياكم متفق عليه و فى رواية ابن عباس ولايقتل حين يقتل و هو مؤمن قال عكرمة قلت لابن عباس كيف ينزع الايمان منه قال هكذا و شبک بين أصابعه ثم اخرجها فان تاب عاد اليه هكذا و شبک بين أصابعه و قال أبوعبدالله لا يكون هذا مؤمنا تاما ولا يكون له نور الايمان هذا لفظ البخارى و عن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم آية المنافق ثلاث زاد مسلم و ان صام و صلى

الذى ينهب فهو مفعول به و بالفتح المصدر (يرفع الناس) صفة نهبة (اليه) أى الى المنتهب (فيها) أى بسببها ولاجلها أو فى حال فعلها أو أخذها (أبصارهم) أى تعجبا من جراءته أو خوفا من سطوته و هو مفعول يرفع (حين ينتهبها و هو مؤمن) و المعنى لا يأخذ رجل مال قوم قهرا وهم ينظرون اليه و يتضرعون لديه و يبكون ولا يقدرون على دفعه و هو مؤمن فان هذا ظلم عظيم لا يليق بحال المؤمن (ولا يغل أحدكم) الغلول الجناية أو الخيانة فى الغنيمة و الغل الحقد و مضارع الاول بالضم و هو المراد و الثانى بالكسر (حين يغل) أى يسرق شيأ من غنيمة أو يخون فى أمانة (و هو مؤمن فاياكم اياكم) نصبه على التحذير و التكرير توكيد و مبالغة أى احذركم من فعل هذه الاشياء المذكورة (متفق عليه) الا قوله ولايغل فانه من أفراد مسلم كذا قاله ميرك (و فى رواية ابن عباس رضى‌الله‌عنهما) زيادة (ولايقتل حين يقتل و هو مؤمن قال عكرمة) مولى ابن عباس (قلت لابن عباس كيف ينزع الايمان منه قال هكذا) أى تفسيره (و شبک) أو قال هكذا و فعل التشبيک يعنى جمع بين قوله هكذا و فعل التشبيک (بين أصابعه ثم أخرجها) تعبير للامر المعنوى بالمدرك الحسى تقريبا للفهم (قال) كذا فى نسخة صحيحة أى ابن عباس (فان تاب عاد اليه هكذا و شبک بين أصابعه) ظاهر كلامه أن الايمان يخرج عن مرتكب هذه الاشياء حين الارتكاب ولا يعود اليه الا بالتوبة و هو غير مستقيم على قواعد أهل السنة فالتأويل أن كمال الايمان و نوره و ثمرته و نتيجته من الحياء و الخوف و الرحمة و الشفقة و الديانة تفارقه فى تلک الحالة و التائب من الذنب كمن لا ذنب له و ينصره قول الحسن البصرى ان المعنى ينزع عنه اسم المدح الذى يسمى به أولياؤه المؤمنون و يستحق اسم الذم فيقال سارق و زان و فاسق (و قال أبوعبدالله) أى البخارى (لا يكون هذا مؤمنا تاما) أى كاملا (ولا يكون له نور الايمان) أى بهاؤه و بهجته و ضياؤه و ثمرته (هذا لفظ البخارى) فى قول المصنف و فى رواية و قوله و قال و كذا فى قوله و هذا لفظ البخارى سماجة لا تخفى قاله ميرك (و عن أبى هريرة رضى‌الله‌عنه) و انما لم يقل و عنه لئلا يتوهم رجوع الضمير الى ابن عباس أو البخارى (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه وسلم آية المنافق) أى علامة نفاقه الدال على قبح نيته و فساد طويته و أصله من يظهر خلاف ما يضمر ثم غلب على من يظهر الاسلام و يبطن الكفر (ثلاث) أى خصال و الآية العلامة و افرادها اما على ارادة الجنس أى كل واحد منها آية او ان العلامة انما تحصل باجتماع الثلاث و يؤيد الاول ما ورد فى صحيح أبى عوانة بلفظ علامات المنافق ثلاث فان قيل ظاهره الحصر فى الثلاث فكيف جاء فى الحديث الآخر بلفظ أربع من كن فيه الحديث أجاب القرطبى باحتمال أنه عليه‌الصلاة‌والسلام استجد له العلم بخصالهم ما لم يكن عنده و قال الشيخ ابن حجر العسقلانى ليس بين الحديثين تعارض لانه لا يلزم من عدالخصلة كونها علامة على ان فى رواية مسلم من طريق العلاء بن عبدالرحمن عن أبيه عن أبى هريرة ما يدل على ارادة عدم الحصر فان لفظه من علامة المنافق ثلاث فيكون قد أخبر ببعض العلامات فى وقت و بعضها فى وقت آخر (زاد مسلم و ان صام و صلى) التثنية للتكرير و الاستيعاب أى و ان عمل عمل المسلمين من الصوم

و زعم أنه مسلم ثم اتفقا اذا حدث كذب و اذا وعد أخلف و اذا ائتمن خان

و الصلاة و غيرهما من العبادات و فى رواية و ان صلى و صام و حج و اعتمر و قال انى مسلم و هذا الشرط اعتراض وارد للمبالغة لا يستدعى الجواب (و زعم) أى ادعى (أنه مسلم) أى كامل (ثم اتفقا) أى البخارى و مسلم فقالا (اذا حدث كذب) و هو أقبح الثلاثة و الجملة خبر بعد خبر (و اذا وعد) أى أخبر بخير فى المستقبل اذ وعد يغلب فى الخير و أوعد فى الشر و أيضا الخلف فى الوعيد من مكارم الاخلاق قال الشاعر و انى اذا أوعدته أو وعدته * لمخلف ايعادى و منجز موعدى
(أخلف) أى جعل الوعد خلافا بان لم يف بوعده و وجه المغايرة بين هذه و ما قبلها أن الاخلاف قد يكون بالفعل و هو غير الكذب الذى هو لازم التحديث و ليس فيه ما يدل على وجوب الوفاء بالوعد لان ذم الاخلاف انما هو من حيث تضمينه الكذب المذموم ان عزم على الاخلاف حال الوعد لا ان طرأ له كما هو واضح على أن علامة النفاق لا يلزم تحريمها اذ المكروه لكونه يجر الى الحرام يصح أن يكون علامة على المحرم و نظيره علامات الساعة فان منها ما ليس بمحرم (و اذا ائتمن) بالبناء للمجهول أى جعل أمينا قال ابن حجر و فى رواية اتمن بتشديد التاء لقلب همزته الثانية واوا وابدالها تاء و ادغام التاء فى التاء اه و لعل هذا الاعلال قبل دخول اذا عليه و مع هذا قال البيضاوى فى قوله تعالى فليؤد الذى ائتمن قرأ ورش و السوسى الذى يتمن بقلب الهمزةياء و قرئ و الذتمن باد غام و هو خطأ لان المنقلبة عن الهمزة فى حكمها فلا تدغم اه ولذا قال المحققون من القراء قراءة هذا بالتشديد مخالف للرواية و الدراية فالصحيح فى الرواية هنااما بالهمزة الساكنة أو ابدالها ألفا (خان) و رواه ابن ماجه و الترمذى و انما خص هذه الثلاثة بالذكر لاشتمالها على المخالفة التى هى عليها مبنى النفاق من مخالفة السر العلن فالكذب الاخبار على خلاف الواقع و حق الامانة أن تؤدى الى أهلها فالخيانة مخالفة لها و اخلاف الوعد ظاهر و لهذا صرح باخلف فان قيل هذا الحديث مشكل من حيث ان هذه الخصال قد توجد فى المسلم المجمع على عدم الحكم بكفره قلنا اللام فى المنافق اما أن تكون للجنس فهو اما على التشبيه لنفاق العمل الذى لا ينافى الاسلام بنفاق الاعتقاد الذى ينافيه بجامع ان كلا فيه اظهار بخلاف ما أبطن أو ان المراد الاعتياد و لذا قيد هذا باذا المقتضية للتكرار يعنى ان النفاق العملى اذا وقع كثيرا بحيث انه يصير عادة قد يجر الى النفاق الحقيقى بخلاف من وقعت له هذه الخصال أو بعضها نادرا فالحديث محمول على من غلبت عليه هذه الخصال و قال البيضاوى يحتمل أن يكون عاما لينزجر الكل عن هذه الخصال على آكد وجه ايذانا بانها طلائع النفاق الذى هو أسمج القبائح لانه كفر ضموا اليه الاستهزاء و الخداع برب الارباب و مسبب الاسباب فيعلم من ذلك انها منافية لحال المسلمين فينبغى للمسلم أن لا يرتع حولها فان من رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه و يحتمل أن المراد بالمنافق المنافق العرفى و هو من يخالف سره علنه مطلقا و يشهد له قوله و من كانت فيه خصلة و كذا قوله خالصا لان الخصال التى يتم بها المخالفة بين السر و العلن لا تزيد على هذا قال النووى حصل من الحديثين خمس خصال و قال فى شرح مسلم اذا عاهد غدر داخل فى اذا ائتمن خان و باعتبار ذلك يرجع الى ثلاث بل الى واحدة هى أقبحها و هى الكذب قيل لكن الحق أنها خمسة باعتبار تغايرها عرفا أو تغاير أوصافها و لوازمها ولاتنافى بين قوله ثمة ثلاث و هنا أربع لان مفهوم العدد ليس بحجة عند الاكثرين و على مقابله الذى صححه غير واحد فيحتمل أنه صلى‌الله‌عليه‌وسلم أعلم بالوحى بثلاث ثم باربع أو معناه الانذار و التحذير من أن يعتاد هذه الخصال فتفضى به الى النفاق الخالص

و عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه كان منافقا خالصا و من كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها

واما للعهد اما من منافقى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم و اما من منافق خاص شخص بعينه أو المراد بالنفاق هو النفاق العملى لا الايمانى أو المراد النفاق العرفى و هو ما يكون سره خلاف علنه و استحسن هذا لان النفاق شرعى و هو الاعتقادى الذى هو ابطان الكفر و اظهار الاسلام و عرفى و هو العملى الذى هو ابطان المعصية و اظهار الطاعة فارادته هنا أولى و اطلاق النفاق على العملى كاطلاق الكفر على بعض كبائر الذنوب فى نحو قوله عليه الصلاة والسلام سباب المسلم فسوق و قتاله كفر و أبى الحسن البصرى مرة هذا الاطلاق و مرة قال به فسمى صاحب الكبيرة منافقا و يحكى أنه رجع عن الاول لما أرسل له عطاء اذ بلغه عنه ذلك ان اخوة يوسف عليهم الصلاة والسلام وجدت فيهم تلك الثلاثة أفتراهم منافقين فسر بما نبهه عليه عطاء وروى أن مقاتلا قال لا بن جبير ان هذا الحديث أفسد على معيشتى لانى أظن ان لا أسلم من هذه الثلاث أو بعضها فضحك و قال قد أهمنى ذلك فسألت عنه ابن عمر و ابن عباس فضحكا و قالا أهمنا ذلك فسألنا عنه النبى صلى الله عليه وسلم فضحك فقال ما لكم و ما لهن أما قولى اذا حدث كذب فذلك فيما أنزل الله على و الله يشهد ان المنافقين لكاذبون و أما اذا و عد أخلف فذلك فى قوله تعالى فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم الآية و أما اذا ائتمن خان فذلك فيما أنزل الله تعالى انا عرضنا الامانة الآية و أنتم برآء من ذلك قال ابن حجر و ما ذكر فى أولاد يعقوب مبنى على القول بانهم غير أنبياء أما على القول بانهم أنبياء فيتعين تأويل ما صدر منهم بحمله على محامل التجوزات و الكنايات التى تقتضى عدم وقوع حقائق ذلك منهم اذ الانبياء معصومون قبل النبوة و بعدها عن كبائر الذنوب و صغائرها و لو سهوا على ما هو الحق عند المحققين و ان كان الاكثرون على خلافه و يؤيد القول بنبوتهم بل يصرح به قوله تعالى قولوا آمنا بالله و ما أنزل الينا و ما أنزل الى ابراهيم و اسمعيل و اسحق و يعقوب و الاسباط و هم أعنى الاسباط أولاد يعقوب فالآية مصرحة بوجوب الايمان بما أنزل اليهم و يلزم من الانزال اليهم نبوتهم كلهم اه و فيه نظر لان السبط على ما هو المعروف فى العرف و اللغة ولد الولد ففى القاموس السبط بالكسر ولد الولد و القبيلة من اليهود و جمعه اسباط و فى النهاية الاسباط فى أولاد اسحق بن ابراهيم بمنزلة القبائل من ولد اسمعيل واحدهم سبط فهو واقع على أمة اه و لا يلزم من الانزال اليهم ان يكونوا كلهم أنبياء اذ يمكن أن يكون أحدهم نبيا و الباقون مأمورون باتباعه كما فى قوله تعالى و ما أنزل الينا ثم على ثبوت نبوتهم جميعا و عدم تجويز الصغيرة و لو سهوا ينسد باب تأويل ما صدر منهم من العقوق و قطع صلة الرحم و بيع الحر و قولهم أكله الذئب و وعدهم بالحفظ بقولهم و انا له لحافظون و اتيانهم عشاء يبكون اظهارا للحزن و قولهم مالك لا تأمنا على يوسف و انا له لناصحون و قولهم اقتلوا يوسف و طرحهم اياه فى البئر مع ان تأويلها يخالف أقوال السلف من الزام عطاء و التزام الحسن فالصحيح قول الجمهور و هو تجويز وقوع الكبائر من الانبياء سهوا و الصغائر عمدا بعد الوحى و أما قبل الوحى فلا دليل على امتناع صدور الكبيرة و ذهب المعتزلة الى امتناعها و منعت الشيعة صدور الصغيرة و الكبيرة قبل الوحى و بعده (و عن عبد الله بن عمرو) بالواو (رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع) أى خصال أربع أو أربع من الخصال فساغ الابتداء به (من كن فيه) قيل بتأويل اعتقاد استحلالهن (كان منافقا خالصا) و يمكن أن لا يجتمعن فى مؤمن خصوصا على وجه الاعتياد و يؤيده قوله

اذا ائتمن خان و اذا حدث كذب و اذا عاهد غدر و اذا خاصم فجر متفق عليه و عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المنافق كالشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة رواه مسلم * (الفصل الثانى) * عن صفوان بن عسال قال قال يهودى لصاحبه اذهب بنا الى هذا النبى فقال له صاحبه لا تقل نبى انه لو سمعك لكان له أربع أعين فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن تسع آيات بينات

(ومن كانت فيه خصلة منهن) أى من تلك الخصال الاربع (كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها) أى يتركها (اذا ائتمن) بالبناء للمفعول أى وضع عنده أمانة (خان) أى بالتصرف الغير الشرعى (واذا حدث كذب) أى عمدا من غير عذر (و اذا عاهد غدر) أى نقض العهد ابتداء و قال ابن حجر اذا حالف ترك الوفاء (و اذا خاصم فجر) أى شتم ورمى بالاشياء القبيحة قال التوربشتى من اجتمعت فيه هذه الخصال و استمرت فبالحرى أن يكون منافقا و أما المؤمن المفتون بها فانه لايصر عليها و ان وجدت فيه خصلة منها عدم الاخرى قيل و يحتمل أن يكون المراد كالمنافق بحذف أداة التشبيه مثل زيد أسد و يحتمل أن يكون هذا مختصا بأهل زمانه فانه عليه الصلاة والسلام عرف بنور الوحى بواطن أحوالهم و ميز بين من آمن به صدقا و من أذعن له نفاقا و أراد اطلاع أصحابه عليهم ليحذروا منهم و لم يصرح باسمائهم لعلمه بان بعضهم يتوب فلم يفضحهم بين الناس و لان ترك التصريح أوقع فى النصيحة و أدل على الشفقة و أجلب الى الدعوة الى الايمان و أبعد عن النفور و المخاصمة و الالتحاق بالمخالفين (متفق عليه) و اللفظ للبخارى و رواه أحمد و أبوداؤد و الترمذى و النسائى و لفظهم اذا حدث كذب و اذا وعد أخلف و اذا عاهد غدر و اذا خاصم فجر (و عن ابن عمر) رضى الله عنهما (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المنافق) بفتح المثلثة أى صفته العجيبة الشان (كالشاة العائرة) أى الطالبة للفحل المترددة من عار ذهب و بعد (بين الغنمين) أى القطعتين فان الغنم اسم جنس يقع على الواحد و الجمع لا تدرى أيهما تتبع (تعير) بفتح أوله أى تنفر و تشرد (الى هذه) أى القطعة (مرة و الى هذه) أى القطعة الاخرى (مرة) أخرى ليضربها فحلها فلا ثبات لها على حالة واحدة و انما هى أسير شهوتها و هو تشبيه مركب محسوس بمعنى معقول تقريبا الى فهم المخاطب فشبه تردده بين الطائفتين أى المسلمين و الكافرين تبعا لهواه و مراداته و قصدا الى شهواته بتردد الشاة العائرة التى لاتستقر على حال و بذلك وصفهم الله تعالى فى قوله مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء و لا الى هؤلاء (رواه مسلم) و كذا أحمد و النسائى و زاد لا تدرى أيهما تتبع * (الفصل الثانى عن صفوان بن عسال) * بالمهملتين و تشديد الثانية هو المرادى و سكن الكوفة و حديثه فيهم (رضى الله عنه قال قال يهودى) أى أحد من اليهود (لصاحبه) من اليهود (اذهب بنا) الباء للمصاحبة أو التعدية (الى هذا النبى) أى لنسأله عن مسائل (فقال له صاحبه لا تقل) أى له كما فى رواية (نبى) أى هو نبى (انه) بكسر الهمزة استئناف فيه معنى التعليل أى لان النبى (لو سمعك) أى سمع قولك الى هذا النبى (لكان له أربع أعين) أى يسر بقولك هذا النبى سرورا يمد الباصرة فيزداد به نورا على نور كذى عينين أصبح يبصر باربع فان الفرح يمد الباصرة كما أن الهم و الحزن يخل بها و لذا يقال لمن أحاطت به الهموم أظلمت عليه الدنيا (فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه) أى امتحانا (عن تسع آيات بينات) أى واضحات و الآية العلامة الظاهرة تستعمل فى المحسوسات كعلامة الطريق و المعقولات كالحكم الواضح و المسئلة الواضحة فيقال لكل ما تتفاوت فيه المعرفة بحسب التفكر فيه و التأمل و حسب منازل الناس فى العلم آية و للمعجزة آية

فقال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لا تشركوا بالله شيأ ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تمشوا ببرئ الى ذى سلطان ليقتله ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا محصنة ولاتولوا للفرار يوم الزحف و عليكم خاصة اليهود أن لا تعتدوا فى السبت قال فقبلا يد يه و رجليه و قالا نشهد انک نبى قال فما يمنعكم أن تتبعونى قالا ان داوٗد عليه‌السلام دعاربه أن لا يزال من ذريته نبى

و لكل جملة دالة على حكم من أحكام الله آية و لكل كلام منفصل بفصل لفظى آية و المراد بالآيات ههنا اما المعجزات التسع و هى العصا و اليد و الطوفان و الجراد و القمل و الضفادع و الدم و السنون و نقص من الثمرات و على هذا فقوله لا تشركوا كلام مستأنف ذكره عقيب الجواب و لم يذكر الراوى الجواب استغناء بما فى القرآن أو بغيره و يؤيده ما فى خبر الترمذى أنهما سألاه عن هذه الآية يعنى و لقد آتينا موسى تسع آيات بينات و اما الاحكام العامة الشاملة للملل الثابتة فى كل الشرائع و بيانها ما بعدها سميت بذلک لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها فى الآخرة من السعادة و الشقاوة و قوله و عليكم خاصة حكم مستأنف زائد على الجواب ولذا غير السياق (فقال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لا تشركوا بالله) أى بذاته و صفاته وعبادته (شيأ) من الاشياء أو الاشراك (ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم‌الله الا بالحق) سبق (ولا تمشوا ببرىء) بهمزة و ادغام أى بمتبرئ من الاثم الباء للتعدية أى لا تسعوا ولاتتكلموا بسوء فيمن ليس له ذنب (الى ذى سلطان) أى صاحب قوة و قدرة و غلبة و شوكة (ليقتله) يعنى كيلا يقتله مثلا (ولا تسحروا) بفتح الحاء فان بعض أنواعه كفر و بعضها فسق (ولا تأكلوا الربا) فانه سحق و محق (ولا تقذفوا) بكسر الذال (محصنة) بفتح الصاد و يكسر أى لا ترموا بالزنا عفيفة (ولا تولوا للفرار) أى لاجله من التولى وهوالاعراض و الادبار أصله تتولوا فحذف احدى التاءين و قيل بضم التاء و اللام من ولى تولية اذا أدبر أى ولا تولوا أدباركم و فى بعض النسخ الفرار بلا لام العلة منصوبا على انه مفعول له (يوم الزحف) أى الحرب مع الكفار (و عليكم) ظرف وقع خبرا مقدما (خاصة) منونا حال و المستتر فى الظرف العائد الى المبتدأ أى مخصوصين بهذه العاشرة أو حال كون عدم الاعتداء مختصابكم دون غيركم من الملل أو تمييز و الخاصة ضد العامة (اليهود) نصب على التخصيص و التفسير أى أعنى اليهود و يجوز أن يكون خاصة بمعنى خصوصا و يكون اليهود معمولا لفعله أى أخص اليهود خصوصا و فى بعض طرق هذا الحديث يهود مضموما بلا لام على انه منادى و قوله (أن لا تعتدوا) بتأويل المصدر فى محل الرفع على انه المبتدا من الاعتداء و فى نسخة صحيحة أن لاتعدوا بسكون العين و تخفيف الدال و فى نسخة بفتح العين و تشديد الدال (فى السبت) أى لا تتجاوزوا أمر الله فى تعظيم السبت بأن لا تصيدوا السمک فيه و قيل عليكم اسم فعل بمعنى خذوا وان لا تعتدوا مفعوله أى الزموا ترک الاعتداء و يمكن أن يكون السؤال عن الآيات التسع و الاحكام العامة جميعا و أخبروا عن احداها و أضمروا عن اخراها على طريق التورية فأجابهم عن الامرين و حذف الراوى الاول أو أجابهم عن المشكل أو المضمر و ترک المشهور اما لظهوره أو على أسلوب الحكيم و لذا أذعنا له فى الظاهر (قال) صفوان (فقبلا) أى اليهوديان (يديه و رجليه) صلى‌الله‌عليه‌وسلم (و قالا نشهد انک نبى) اذ هذا العلم من الامى معجزة لكن نشهد انک نبى الى العرب (قال فما يمنعكم) فيه ان أقل الجمع اثنان أو المراد أنتما و قومكما (أن تتبعونى) بتشديد التاء و قيل بالتخفيف أى من أن تقبلوا نبوتى بالنسبة اليكم و تتبعونى فى الاحكام الشرعية التى هى واجبة عليكم (قالا ان داوٗد عليه‌الصلاة‌والسلام دعاربه أن لا يزال) أى بان لا ينقطع (من ذريته نبى) الى يوم

و انا نخاف ان تبعناک أن يقتلنا اليهود رواه الترمذی و أبو داؤد و النسائی و عن أنس قال قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم ثلاث من أصل الايمان الكف عمن قال لااله الا الله لا تكفره بذنب و لا تخرجه من الاسلام بعمل و الجهاد ماض مذ بعثنی الله الی أن يقاتل آخر هذه الامة الدجال لا يبطله جور جائر و لاعدل عادل

القيامة فيكون مستجابا فيكون من ذريته نبی و يتبعه اليهود و ربما يكون لهم الغلبة و الشوكة (و انا نخاف ان تبعناک أن تقتلنا اليهود) أی فان تركنا دينهم و اتبعناک لقتلنا اليهود اذا ظهر لهم نبی و قوة و هذا افتراء محض علی داؤد عليه الصلاة والسلام لانه قرأ فی التوراة و الزبور بعث محمد صلی الله عليه وسلم النبی و انه خاتم النبيين و انه ينسخ به الاديان فكيف يدعو بخلاف ما أخبر الله تعالی به من شأن محمد صلی الله عليه وسلم و لئن سلم فعيسی من ذريته و هو نبی باق الی يوم الدين (رواه الترمذی) و قال حسن صحيح (و أبو داؤد و النسائی) و كذا الحاكم و قال صحيح لا يعرف له علة بوجه من الوجوه و لم يخرجاه (و عن أنس رضی الله عنه قال قال رسول الله صلی الله عليه وسلم ثلاث) أی خصال (من أصل الايمان) أی أساسه و قاعدته احداها أو منها (الكف عمن قال لااله الا الله) أی الامتناع عن التعرض بأهل الاسلام (لا تكفره) بالتاء نهی و بالنون نفی و كلاهما مروی و هو بيان للكف و لذا قطعه عنه و الاكفار و التكفير نسبة أحد الی الكفر (بذنب) أی سوی الكفر و لو كبيرة خلافا للخوارج (و لا تخرجه) بالوجهين (من الاسلام بعمل) أی و لو كبيرة سوی الكفر خلافا للمعتزلة فی اخراج صاحب الكبيرة الی منزلة بين المنزلتين (و الجهاد ماض) أی الخصلة الثانية اعتقاد كون الجهاد ماضيا أو ثانيتها الجهاد أو الجهاد من أصل الايمان و ماض خبر مبتدأ محذوف أی هو ماض و نافذ و جار و مستمر (مذ) و فی نسخة بالنون أی من ابتداء زمان (بعثنی الله) الی المدينة أو بالجهاد فمذ حرف جر أو أول مدة نفاذ الجهاد زمان بعثنی الله فمذ مبتدأ و الزمان المقدر خبره و الجملة خبر آخر لمبتدأ ماض (الی أن يقاتل آخر هذه الامة) أی أمة الاجابة يعنی عيسی أو المهدی (الدجال) و بعد قتل الدجال لا يكون الجهاد باقيا أما علی يأجوج و مأجوج فلعدم القدرة و الطاقة عليهم و عند ذلک لا وجوب عليهم بنص آية الانفال و أما بعد اهلاک الله اياهم لا يبقی علی وجه الارض كافر مادام عيسی عليه الصلاة والسلام حيا فی الارض و أما علی من كفر من المسلمين بعد عيسی عليه الصلاة والسلام فلموت المسلمين كلهم عن قريب بريح طيبة و بقاء الكفار الی قيام الساعة و تجیء هذه الحكاية فی ذكر الدجال (لا يبطله) بضم أوله (جور جائر و لا عدل عادل) أی لايسقط الجهاد كون الامام ظالما أو عادلا و هو صفة ماض أو خبر بعد خبر و قد ورد فی الخبر الجهاد واجب عليكم مع كل أمير برا كان أو فاجرا و فيه رد علی المنافقين و بعض الكفرة فانهم زعموا أن دولة الاسلام تنقرض بعد أيام قلائل كأنه قيل الجهاد ماض أی أعلام دولته منشورة و أولياء أمته منصورة و أعداء ملته مقهورة الی يوم الدين و لعل محی السنة أورد هذا الحديث فی باب علامات النفاق لهذا المعنی و كذا الحديث السابق فان اليهوديين نافقا بقولهما نشهد انک نبی ثم قولهما ان داود عليه الصلاة والسلام دعا ربه لانه يدل الحديث علی انهما لم يقولا ذلک عن اعتقاد كذا قاله الطيبی و فيه تكلف و تعسف و الظاهر ان الباب موضوع لشيئين للكبائر و علامات النفاق فهذا الحديث مناسبته للكبائر فی غاية الوضوح كما ظهر من مخالفة الخوارج و المعتزلة و كذا الجهاد فرض كفاية و قد يصير فرض عين و تركه من الكبائر و أما الحديث السابق ففيه الآيات التسع التی كلها كبائر و اليهوديان قد صرحا بثبوتهما علی كفرهما فلا يكونان منافقين و ليس توجد دلالة فی دعاء داود علی انهما لم يقولا

و الا يمان با لاقدار رواه أبو داود و عن أبي هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا زنى العبد خرج منه الايمان فكان فوق رأسه كالظلة فاذا خرج من ذلک العمل رجع اليه الايمان رواه الترمذى و أبوداود * (الفصل الثالث) * عن معاذ قال أوصانى رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم بعشر كلمات قال لا تشرك بالله شيأ و ان قتلت و حرقت ولا تعقن والديک

ذلک عن اعتقاد و الله أعلم و قيل معنى لايبطله الخ لا يجوز ترك الجهاد بأن يكون الامام ظالما بل يجب عليهم الموافقة فيه ولا بأن يكون الامام عادلا فلا يخافون من الكفار ولا يحتاجون الى الغنائم لإن القصد من الجهاد هو اعلاء كلمةالله فاحتيج لهذا نفيا لهذا التوهم و ان كان من شأن عدل العادل أنه لا يتوهم فيه ابطال الجهاد بل تقويته و لما نظر شارح لهذا قال تتميم و الا فعدل العادل لا يتوهم فيه ابطال و قيل فعلى‌هذا يكون النفى بمعنى النهى (و الايمان بالاقدار) أى الخصلة الثالثة أو الايمان بالاقدار من أصل الايمان يعنى بان جميع ما يجرى فى العالم هو من قضاء الله و قدره و فيه رد على المعتزلة لا ثباتهم للعباد القدرة المستقلة بايجاد المعصية (رواه أبو داود و عن أبي هريرة) رضى‌الله‌عنه (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا زنى) أى أخذ و شرع فى الزنا (العبد) أى المؤمن (خرج منه الايمان) أى نوره و كماله أو أعظم شعبه و هو الحياء من الله‌تعالى أو يصير كانه خرج اذ لا يمنع ايمانه عن ذلک كما لايمنع من خرج منه الايمان أو أنه من باب التغليظ فى الوعيد قال التوربشتى هذا من باب الزجر و التهديد و هو كقول القائل لمن اشتهر بالرجولية و المروأة ثم فعل ما ينافى شيمته عدم عنه الرجولية و المروأة تعييرا و تنكيرا لينتهى عما صنع و اعتبارا و زجرا للسامعين و لطفابهم و تنبيها على أن الزنا من شيم أهل الكفر و أعمالهم فالجمع بينه و بين الايمان كالجمع بين المتنافيين و فى قوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم (فكان فوق رأسه كالظلة) و هو أول سحابة تظل اشارة الى أنه و ان خالف حكم الايمان فانة تحت ظله لا يزول عنه حكم الايمان ولا يرتفع عنه اسمه (فاذا خرج من ذلک العمل) قيل أى بالتوبة (رجع اليه الايمان) قيل هذا تشبيه المعنى بالمحسوس بجامع معنوى و هو الاشراف على الزوال و فيه ايماء بان المؤمن فى حالة اشتغاله بالمعصية يصير كالفاقد للايمان لكن لا يزول حكمه و اسمه بل هو بعد فى ظل رعايته و كنف بركته اذا نصب فوقه كالسحابة تظله فاذا فرغ من معصيته عاد الايمان اليه قلت و فيه اشارة الى أنه فى خطر من الكفر نعوذبالله لانه صدر عنه ما قد يكون سببا لعدم رجوع الايمان اليه ولذا قالوا المعاصى بريد الكفر (رواه الترمذى) أى تعليقا (و أبو داود) و سكت عليه هو و المنذرى و رواه الحاكم و قال صحيح على شرطهما و وافقه الذهبى

* (الفصل الثالث عن معاذ) * رضى‌الله‌عنه (قال أوصانى رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم) أى أمرنى (بعشر كلمات) أى بعشرة أحكام من الاوامر و النواهى لاعمل بها و اعلمها الناس (قال لا تشرك بالله شيأ) أى بقلبک أو بلسانک أيضا فانه أفضل عند الاكراه (و ان قتلت و حرقت) أى و ان عرضت للقتل و التحريق شرط جيء به للمبالغة فلا يطلب جوابا قال ابن‌حجر شرط للمبالغة باعتبار الاكمل من صبر المكره على الكفر على ما هدديه و هذا فيمن لم يحصل بموته وهن الاسلام و الاكعالم و شجاع يحصل بموته ذلک فالاولى له أن يأتى بما أكره عليه ولا يصبر على ما هدد به رعاية لاخف المفسدتين و أماباعتبار أصل الجواز فيجوز له أن يتلفظ و أن يفعل ما يقتضى الكفر كسب الاسلام و سجود الصنم اذا هدد ولو بنحو ضرب شديد أو أخذ مال له وقع كما أفاد ذلک قوله تعالى من كفر بالله من بعد ايمانه

و ان أمراك أن تخرج من أهلک و مالک ولا تترکن صلاة مکتوبة متعمدا فان من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله ولاتشربن خمرا فانه رأس كل فاحشة و اياك و المعصية فان بالمعصية حل سخط الله و اياك و الفرار من الزحف و ان هلک الناس و اذا اصاب الناس موت و أنت فيهم فاثبت و انفق على عيالک من طولک

الا من أكره و قلبه مطمئن بالايمان الآية (ولا تعقن والديک) أى لاتخالفنهما أو أحدهما فيما لم يكن معصية اذ لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق (و ان أمراك أن تخرج من أهلک) أى امرأتک أو جاريتک أو عبدك بالطلاق أو البيع أو العتق أو غيرها (ومالک) بالتصرف فى مرضاتهما قال ابن حجر شرط للمبالغة باعتبار الاكمل أيضا أى لا تخالف واحدا منهما و ان غلا فى شئ أمرك به و ان كان فراق زوجة أو هبة مال أما باعتبار أصل الجواز فلايلزمه طلاق زوجة امراه بفراقها و ان تأذيا ببقائها ايذاء شديدا لانه قد يحصل له ضرر بها فلايكلفه لاجلهما اذ من شان شفقتهما أنهما لو تحققا ذلک لم يأمراه به فالزامهما له به مع ذلک حمق منهما ولايلتفت اليه و كذلک اخراج ما له (ولا تترکن صلاةمكتوبة) أى مفروضة (متعمدا) احتراز من السهو و النسيان و الضرورة (فان من ترك صلاة مكتوبة) أى مفروضة ولو نذرا عن و قتها (متعمدا فقد برئت منه ذمة الله) أى لا يبقى فى أمن من الله فى الدنيا باستحقاق التعزير و الملامة و فى العقبى باستحقاق العقوبة قال ابن حجر كناية عن سقوط احترامه لانه بذلک الترك عرض نفسه للعقوبة بالحبس عند جماعة من العلماء و لقتله حدا لا كفرا بشرط اخراجها عن و قتها الضرورى و أمره بها فى الوقت عند أئمتنا و لقتله كفرا فلايصلى عليه ولايدفن بمقابر المسلمين عند أحمد و آخرين (ولا تشربن خمرا فانه) أى شربها (رأس كل فاحشة) أى قبيحة لان المانع من القواحش هو العقل ولذا سمى عقلا لانه يعقل صاحبه عن القبائح فبزواله عن الانسان يقع فى كل فاحشة عرضت له ولذا سميت أم الخبائث كما سميت الصلاة أم العبادات لانها تنهى عن الفحشاء و المنكر (و اياك و المعصية) تحذير و تعميم بعد تخصيص و ايذان بان المعاصى السابقة أعظمها ضررا (فان بالمعصية حل سخط الله) أى نزل و ثبت على فاعلها و اسم ان ضمير الشان المحذوف أى فانه و قيل ضمير الشان لا يحذف لان المقصود به تعظيم الكلام فينافى الاختصار و رد بحذفه فى قوله تعالى ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم و أما قول ابن الحاجب و حذفه منصوبا ضعيف فقد ضعفوه أيضا كيف يقول ذلک و قد جاء فى كلامه عليه‌الصلاة‌والسلام فى النهى عن الصلاة فى أوقات الكراهة فى خبر مسلم اقصر عن الصلاة فان حينئذ تسجر جهنم اى فان الامر و الشان قال ابن حجر و لک أن تجيب عنه بانه ضعيف قياسا لااستعمالا و مثله واقع فى القرآن فى قتل أولادهم شركاءهم بنصب أولاد الفاصل بين المضاف و المضاف اليه اهو أراد به قراءة ابن عامر و أظهر منه وجود أبى يأبى فى القرآن مع كونه شاذا فى القياس بلا خلاف (و اياك و الفرار من الزحف) تخصيص بعد تعميم (و ان هلک الناس) أى بالفرار أو القتل و ان وصلية قال ابن حجر شرط للمبالغة باعتبار الاكمل أيضا والا فقد علم من قوله تعالى الآن خفف الله عنكم الآية ان الكفار حيث زادوا على المثلين جاز الانصراف (و اذا أصاب الناس موت) أى طاعون و وباء (و أنت فيهم) الجملة حالية (فاثبت) لقوله عليه‌الصلاة‌والسلام اذا وقع الطاعون ببلد و أنتم فيه فلاتخرجوا منه و اذا وقع ببلد و لستم فيه فلا تدخلوا اليه و حكمة الاول أن أهل البلد لو مكنوا من ذلک لذهبوا و تركوا المرضى فيضيعوا والثانى أن من قدم ربما أصابه فيسند ذلک الى قدومه فيزل قدمه و محل الامرين حيث لا ضرورة الى الخروج أو الدخول و الا فلا اثم كما هو

ولا ترفع عنهم عصاك أدبا و أخفهم فى الله رواه أحمد و عن حذيفة قال انما النفاق كان على عهد رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فأما اليوم فانما هو الكفر أو الايمان رواه البخارى

* (باب فى الوسوسة) *

* (الفصل الاول) * عن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان الله تجاوز عن أمتى ما وسوست به صدورها ما لم‌تعمل به أو تتكلم

الظاهر (و انفق على عيالک) بكسر العين أى من تجب عليک نفقته شرعا و محل بسطه كتب الفقه (من طولک) بفتح أوله أى فضل مالک و فى معناه الكسب بقدر الوسع و الطاقة على طريق الاقتصاد و الوسط فى المعتاد (ولا ترفع عنهم عصاك أدبا) مفعول له أى للتاديب لا للتعذيب و المعنى اذا استحقوا الادب بالضرب فلا تسامحهم كقوله تعالى و اللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن و اهجروهن فى المضاجع و اضربوهن على الترتيب الذكرى (و أخفهم فى الله) أى انذرهم فى مخالفة أوامرالله و نواهيه بالنصيحة و التعليم و بالحمل على مكارم الاخلاق من اطعام الفقير و احسان اليتيم و بر الجيران و غير ذلک (رواه أحمد) و كذا الطبرانى فى الكبير و اسناد أحمد صحيح لو سلم من الانقطاع فان عبدالرحمن بن جبير بن نفير لم يسمع من معاذ (و عن حذيفة) رضى‌الله‌عنه موقوفا هو حذيفة بن اليمان و اسم اليمان حسيل بالتصغير و اليمان لقبه و كنية حذيفة أبوعبدالله العبسى بفتح العين و سكون الباء هو صاحب سر رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم روى عنه عمر و على و أبوالدرداء و غيرهم من الصحابة و التابعين و مات بالمدائن و بها قبره سنة خمس و ثلاثين بعد قتل عثمان بأربعين ليلة (قال انما النفاق كان على عهد رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم) يعنى ان حكم المنافقين من ابقاء أرواحهم و اجراء أحكام المسلمين عليهم انما كان على عهد رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم بناء على مصالح منها أن المؤمنين اذا ستروا على المنافقين أحوالهم خفى على المخالفين حالهم و حسبوا أنهم من جملة المسلمين فيجتنبوا عن مخاشنتهم لكثرتهم بل أدى ذلک الى ان يخافوا و تقل شوكتهم ولذا قال عليه‌الصلاة‌والسلام ان الله ليؤيد هذا الدين باقوام لاخلاق لهم و منها ان الكفار اذا سمعوا مخاشنة المسلمين مع من يصحبهم كان ذلک سببا لنفرتهم منه و منها ان من شاهد حسن خلقه عليه‌الصلاة‌والسلام مع مخالفه رغب فى صحبته و وافق معه سرا و علانية و دخل فى دين‌الله بوفور و نشاط (فأما اليوم) أى بعد وفاة النبى صلى‌الله عليه‌وسلم (فانما هو) أى الامر و الحكم يدل عليه سياق الكلام أى الشان الذى استقر عليه الشرع (الكفر أو الايمان) و الضمير مبهم يفسره ما بعده أى ليس الكائن اليوم الا الكفر أو الايمان ولا ثالث لهما يعنى الكفر الصريح و القتل أو الايمان سرا و علانية و أو للتنويع كما فى قوله تعالى تقاتلونهم أو يسلمون (رواه البخارى) فى كتاب الفتن

* (باب فى الوسوسة) *

الخواطران كانت تدعو الى الرذائل فهى وسوسة و ان كانت الى الفضائل فهى الهام والاصح انه ليس بحجة من غير المعصوم لانه لاثقة بخواطره

* (الفصل الاول) * (عن أبى هريرة رضى‌الله‌عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان الله تجاوز) أى عفا (عن أمتى) أى أمة الاجابة و فى رواية تجاوزلى عن أمتى أى لم يؤاخذهم بذلک لاجلى فله المنة العظمى التى لا منتهى لها علينا (ما وسوست به صدورها) بالرفع فاعلا أى ما خطر فى قلوبهم من الخواطر الرديئة فهو من مجاز المجاورة و يجوز نصبه مفعولا به قيل فيه نظر لان الوسوسة لازم لعم

وجه النصب الظرفية ان ساعدته الرواية وروى ما حدثت به أنفسها بالرفع و النصب بدله (ما لم تعمل به) أى ما دام لم يتعلق به العمل ان كان فعليا (أو تتكلم) به أى ما لم تتكلم به ان كان قوليا كذا فى الازهار قال صاحب الروضة فى شرح صحيح البخارى المذهب الصحيح المختار الذى عليه الجمهور ان أفعال القلوب اذا استقرت يؤاخذ بها فقوله صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز عن أمتى ما وسوست به صدورها محمول على ما اذا لم تستقر و ذلك معفو بلا شك لانه لا يمكن الانفكاك عنه بخلاف الاستقرار ثم نقل صاحب الازهار عن الاحياء ما حاصله ان لاعمال القلب أربع مراتب الاول الخاطر كما لو خطر له صورة امرأة مثلا خلف ظهره فى الطريق لو التفت اليها يراها و الثانى هيجان الرغبة الى الالتفات اليها و نسميه ميل الطبع و الاول حديث النفس و الثالث حكم القلب بان يفعل أى ينظر اليها فان الطبع اذا مال لم تنبعث الهمة و النية ما لم تندفع الصوارف و هى الحياء و الخوف من الله تعالى أو من عباده و نسميه اعتقادا و الرابع تصميم العزم على الالتفات و جزم النية فيه و نسميه عزما بالقلب أما الخاطر فلا يؤاخذ به و كذا الميل و هيجان الرغبة لانهما لا يدخلان تحت الاختيار و هما المرادان بقوله عليه الصلاة والسلام ان الله تجاوز عن أمتى الحديث و أما الثالث و هو الاعتقاد فهو مردد بين أن يكون اختيارا لا ينكره و اضطرارا ينكره فالاختيارى يؤاخذ و الاضطرارى لايؤاخذ و أما الرابع و هو العزم و الهم بالفعل فانه يؤاخذ به و عليه تنزل الآيات التى دلت على مؤاخذة أعمال القلوب الا أنه ان ترك خوفا من الله تعالى كتبت له حسنة لان همه سيئة و امتناعه عنها مجاهدة مع نفسه فتكون حسنة تزيد عليها و ان تركها لعائق او فاتها ذلك لعدم الحصول كتبت عليه سيئة للعزم و الهمة الجازمة و الدليل القاطع على ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح المتفق على صحته اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل و المقتول فى النار قيل يارسول الله فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه و هذا صريح فى انه صار الى النار و وقع فيها بمجرد العزم و النية و ان مات ولم يعمل و قتل مظلوما و كيف لا يؤاخذ باعمال القلب الجازمة و الكبر و العجب و النفاق و الحسد و غيرها من الاوصاف الذميمة يؤاخذ بها و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاثم ما حاك فى الصدر و قال البر ما اطمأن اليه القلب و اطمأنت اليه النفس و الاثم ما حاك فى نفسك و تردد فى صدرك و ان أفتاك الناس اه أقول الاستدلال بالحديث الاخير فيه نظر لانه جعل الاثم عين ما تردد فى الصدر و تقدم ان ما لم يستقر لا يكون اثما فمعنى الحديث ان ما تردد فى الصدر أنه اثم أو غير اثم ففعله اثم احتياطا كما اذا تعارض دليل التحريم و التحليل فى شئ فيحرم قيل الحديث يدل على أن التجاوز المذكور خاصية هذه الامة وعلى التوجيه الذى نقله صاحب الازهار من الروضة و الاحياء يلزم أنه يكون عاما لجميع الامم لان ما لايدخل تحت الاختيار لا يؤاخذ به شخص من الاشخاص لقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها فالصواب ما قاله الطيبى من ان الوسوسة ضرورية و اختيارية فالضرورية ما يجرى فى الصدور من الخواطر ابتداء و لا يقدر الانسان على دفعه فهو معفو عن جميع الامم و الاختيارية هى التى تجرى فى القلب و تستمر و هو يقصد و يعمل به و يتلذذ منه كما يجرى فى قلبه حب امرأة و يدوم عليه و يقصد الوصول اليها و ما أشبه ذلك من المعاصى فهذا النوع عفا الله عن هذه الامة خاصة تعظيما و تكريما لنبينا عليه الصلاة والسلام و أمته و اليه ينظر قوله تعالى ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا و أما العقائد الفاسدة و مساوى الاخلاق و ما ينضم الى ذلك فالها بمعزل عن الدخول فى جملة ما وسوست به الصدور اه و هو كلام حسن و لهذا قيده النبى صلى الله عليه وسلم بقوله ما لم تعمل أو تتكلم اشارة الى ان وسوسة الاعمال و الاقوال معفوة قبل ارتكابها و أما الوسوسة التى لا تعلق لها بالعمل و الكلام من الاخلاق

متفق عليه و عنه قال جاء ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النبى صلى الله عليه وسلم فسألوه انا نجد فى أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به قال أو قد وجدتموه

و العقائد فهى ذنوب بالاستقرار و ذكر الامام النووى ان مذهب القاضى أبى بكر بن الطيب ان من عزم على المعصية و وطن نفسه عليها أثم فى اعتقاده و عزمه و يحمل ما وقع فى امثال قوله عليه الصلاة والسلام اذا هم عبدى بسيئة فلا تكتبوا عليه فان عملها فاكتبوها سيئة الحديث فيمن لم يوطن نفسه على المعصية و انما مر ذلك بفكره من غير استقرار و يسمى هذا هما و يفرق بين الهم و العزم و هذا مذهب القاضى أبى بكر و خالفه كثير من الفقهاء و المحدثين و أخذوا بظاهر الحديث و قال القاضى عياض عامة السلف و أهل العلم من الفقهاء و المحدثين على ما ذهب اليه القاضى أبوبكر للاحاديث الدالة على المؤاخذة باعمال القلوب لكنهم قالوا ان هذا العزم يكتب سيئة و ليست السيئة التى هم بها لكونها لم يعملها و قطع عنها قاطع غير خوف الله تعالى و الانابة لكن الاصرار و العزم معصية فصار تركه لخوف الله تعالى و مجاهدته نفسه الامارة حسنة فأما الهم الذى لا يكتب فهى الخواطر التى لا يوطن النفس عليها و لا يصحبها عقد ولانية و عزم و ذكر بعض المتكلمين خلافا فيما اذا تركها لغير خوف الله تعالى بل لخوف الناس هل تكتب حسنة قال لا لانه انما حمله على تركها الحياء و هذا الخلاف ضعيف لا وجه له هذا آخر كلام القاضى و هو ظاهر حسن لا مزيد عليه و قد تظاهرت نصوص الشرع بالمؤاخذة بعزم القلب المستقر من ذلك قوله تعالى ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم و قوله اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم و الآيات فى هذا كثيرة و قد تظاهرت نصوص الشرع و اجماع العلماء على تحريم الحسد و احتقار المسلمين و ارادة المكروه بهم و غير ذلك من أعمال القلوب و عزمها و قد تقدم الفرق بين ماله تعلق بالعمل و بين ما ليس له تعلق به و الله تعالى أعلم و قيل يؤاخذ بالهم بالمعصية فى حرم مكة دون غيرها و هو رواية عن أحمد و به قال ابن مسعود لقوله تعالى و من يرد فيه بالحاد بظلم الآية و يرد بان الارادة هى القصد و هو العزم الذى هو أخص من الهم (متفق عليه) فى الجامع الصغير رواه الجماعة عن أبى هريرة بلفظ ان الله تجاوز لامتى عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل به (و عنه) أى عن أبى هريرة رضى الله عنه (قال جاء ناس) أى جماعة (من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النبى عليه الصلاة والسلام فسألوه انا نجد) واقع موقع الحال أى سألوه مخبرين انا نجد أو قائلين على احتمال فتح الهمزة و الكسر و قيل على الفتح مفعول ثان لسألوه ثم الكسر أوجه حتى يكون بيانا للمسؤل عنه و هو مجمل يفسره الحديثان الآتيان (فى أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به) أى نجد فى قلوبنا أشياء قبيحة نحو من خلق الله و كيف هو و من اى شئ و ما اشبه ذلك مما يتعاظم النطق به لعلمنا أنه قبيح لا يليق شئ منها أن نعتقده و نعلم انه قديم خالق الاشياء غير مخلوق فما حكم جريان ذلك فى خواطرنا و تعاظم تفاعل بمعنى المبالغة لان زيادة المبنى لزيادة المعنى فان الفعل الواحد اذا جرى بين اثنين يكون مزاولته اشق من مزاولته وحده ولذا قيل المفاعلة اذا لم تكن للمغالبة فهى للمبالغة أى لستعظم غاية الاستعظام و قوله أحدنا روى برفع الدال و معناه يجد أحدنا التكلم به عظيما لقبحه و يجوز النصب على نزع الخافض أى يعظم و يشق التكلم به على أحدنا (قال أو قد وجدتموه) الهمزة للاستفهام التقريرى و الواو المقرونة بها للعطف على مقدر أى أحصل ذلك و قد وجدتموه و الضمير لما يتعاظم أى ذلك الخاطر فى أنفسكم تقريرا و تأكيدا فالوجدان بمعنى المصادفة أو المعنى أحصل ذلك الخاطر القبيح و علمتم أن ذلك مذموم

قالوا نعم قال ذاك صريح الايمان رواه مسلم و عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يأتى الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك فاذا بلغه فليستعذ بالله ولينته

غير مرضى فالوجدان بمعنى العلم (قالوا نعم قال ذاك) اشارة الى مصدر وجد أى وجدانكم قبح ذلك الخاطر أو مصدر يتعاظم أى علمكم بفساد تلك الوساوس و امتناع نفوسكم و تجافيها عن التفوه بها (صريح الايمان) أى خالصه يعنى انه امارته الدالة صريحا على رسوخه فى قلوبكم و خلوصها من التشبيه و التعطيل لان الكافر يصر على ما فى قلبه من تشبيه الله سبحانه بالمخلوقات و يعتقده حسنا و من استقبحها و تعاظمها لعلمه بقبحها و أنها لاتليق به تعالى كان مؤمنا حقا و موقنا صدقا فلا تزعزعه شبهة و ان قويت ولا تحل عقد قلبه ريبة و ان موهت و لان من كان ايمانه مشوبا يقبل الوسوسة ولايردها وقيل المعنى ان الوسوسة أمارة الايمان لان اللص لا يدخل البيت الخالى ولذا روى عن على رضى‌الله‌عنه و كرم‌الله‌وجهه ان الصلاة التى لا وسوسة فيها انما هى صلاة اليهود و النصارى (رواه مسلم و عنه) أى عن أبى هريرة رضى‌الله‌عنه (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يأتى الشيطان) أى يوسوس ابليس أو أحد أعوانه من شياطين الانس و الجن على طريق التلبيس (أحدكم فيقول من خلق كذا) يعنى السماء مثلا (من خلق كذا) يعنى الارض و غرضه أن يوقعه فى الغلط و الكفر و يكسر السؤال على هذا المنوال (حتى يقول من خلق ربك) و هو قديم خالق كل شئ (فاذا بلغه) ضمير الفاعل لاحدكم و ضمير المفعول راجع الى مصدر يقول أى اذا بلغ أحدكم هذا القول يعنى من خلق ربك أو التقدير بلغ الشيطان هذا القول (فليستعذ بالله) طردا للشيطان اشارة الى قوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين وايماء الى قوله عليه‌الصلاة‌والسلام لاحول ولاقوة الابالله فان العبد بحوله و قوته ليس له قوة المغالبة مع الشيطان و مجادلته فيجب عليه أن يلتجئ الى مولاه و يعتصم بالله من الشيطان الذى أوقعه فى هذا الخاطر الذى لا أقبح منه فيقول بلسانه أعوذبالله‌من‌الشيطان‌الرجيم و يلوذ بجنانه الى جنابه أن يدفع عنه شره و كيده فانه مع اللطف الالهى لا أضعف منه و لا أذل فانه مشبه بالكلب الواقف على الباب و لذا قال تعالى ان كيد الشيطان كان ضعيفا اى بالنسبة الى القوة الالهية فلا ينافى قوله تعالى حكاية ان كيدكن عظيم (و لينته) بسكون اللام و تكسر أى ليترك التفكر فى هذا الخاطر و ليشتغل بأمر آخر لئلا يستحوذ عليه الشيطان فانه انما أوقعه فيه رجاء أن يقف معه و يتمكن فى نفسه فيحصل لها شك و ريب فى تنزيهه تعالى عن سمات الحدوث و ان دقت و خفيت فمن تنبه و كف عن الاسترسال مع ذلك الخاطر و أشغل نفسه حتى انصرفت عنه فقد خاص و من لا فقد ارتبك فيخشى عليه مزلة القدم فى قعر جهنم و انما أمر بذينك دون الاحتجاج و التامل لامرين أحدهما ان العلم باستغناء الله تعالى عن المؤثر و الموجد ضرورى لا يقبل احتجاجا و انما ذلك شئ يلقيه الشيطان اما ليحجك ان جادلته لانه مسلط على القلوب بالقاء الوساوس عليها ليختبر ايمانها و وساوسه غير متناهية فمتى عارضته بمسلك وجد مسلكا آخر الى ما يريده من المغالطة و التشكيك و اما ليضيع وقتك ويكدر عيشك ان استرسلت معه و ان حججته فلا أخلص لك من الاعراض عنه جملة و الالتجاء الى الله تعالى بالاستعاذة منه كما قال عزمن قائل و اما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ثانيهما أن الغالب فى موارد هذه الخواطر انه انما ينشأ من ركود النفس و عدم اشتغالها بالمهمات المطلوبة منها فهذا لا يزيده فكره فى ذلك الا الزيغ عن الحق فلاعلاج له الا الالتجاء بحول الله و قوته و الاعتصام بكتاب الله و سنة رسوله قال الخطابى لو أذن رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم فى محاججته لكان الجواب سهلا

متفق عليه و عنه قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم لا یزال الناس یتساءلون حتی یقال هذا خلق الله الخلق فمن خلق الله فمن وجد من ذلک شیأ فلیقل آمنت بالله و رسله متفق علیه و عن ابن مسعود قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم ما منکم من أحد الا وقد وکل به قرینه من الجن و قرینه من الملائکة

علی کل موجد أی باثبات البراهین القاطعة علی أن لا خالق له تعالی بابطال التسلسل و نحوه کاستحضار ان جمیع المخلوقات داخلة تحت اسم الخلق فلوجاز أن یقال من خلق الخالق لادی الی مالا یتناهی و هو باطل قطعا و فیه اشعار بمذمة علم الکلام و دلالة علی حرمة المراء و المجادلة فیما یتعلق بذات الله و صفاته و ایماء الی صحة ایمان المقلد (متفق علیه و عنه) أی عن أبی هریرة رضی‌الله‌عنه (قال قال رسول‌الله‌صلی‌الله‌علیه‌وسلم لایزال الناس یتساءلون) أی یسأل بعضهم بعضا عن العلوم و الموجودات و التساؤل جریان السؤال بین الاثنین فصاعدا ویجوز أن یکون بین العبد و الشیطان أو النفس أو انسان آخر أی یجری بینهما السؤال فی کل نوع (حتی) یبلغ السؤال الی أن (یقال هذا خلق الله الخلق فمن خلق الله) قیل لفظ هذا مع عطف بیانه المحذوف و هو المقول مفعول یقال أقیم مقام الفاعل و خلق الله تفسیر لهذا أو بیان أو بدل و قیل مبتدأ حذف خبره أی هذا القول أو قولک هذا خلق الله الخلق معلوم مشهور فمن خلق الله و الجملة أقیمت مقام فاعل یقال (فمن وجد من ذلک شیأ) اشارة الی القول المذکور و من ذلک حال من شیأ أی من صادف شیأ من ذلک القول و السؤال أو وجد فی خاطره شیأ من جنس ذلک المقال (فلیقل) أی فورا من حینه (آمنت بالله و رسله) أی آمنت بالذی قال الله و رسله من وصفه تعالی بالتوحید و القدم و قوله سبحانه و اجماع الرسل هو الصدق و الحق فما ذا بعد الحق الا الضلال ثم هذا القول یحتمل أن یکون علی وجه العلم و التحقیق و یحتمل أن یکون علی طریق التقلید هذا الذی ظهرلی فی هذا المقام و أما ما ذکره الطیبی و تبعه ابن حجر من أن هذا القول کفر فمن تکلم به فلیتدارکه بکلمة الایمان ففی کونه مرادا نظر ظاهر لانه لا یصح بالنسبة الی السائل المجادل الذی هو من جملة شیاطین الانس أو الجن علی التغلیب کما ینصره الحدیث السابق و لا من المسؤل لانه مؤمن صریح الایمان و لان قوله فی هذا الحدیث فلیقل انما هو بالنسبة الی المسؤل کقوله فلیستعذ فی الحدیث الذی تقدم و الله أعلم و لذا قیل یسن له أن یستعیذ ثم یقول آمنت بالله و رسله و رواه ابن أبی الدنیا عن ابن عمر و زاد فی آخره فان ذلک یذهب عنه (متفق علیه) روی مسلم هذا الحدیث علی هذا السیاق عن أبی هریرة و رواه أیضا عن أنس و فی روایته حتی یقال هذا الله خلق الخلق و کذلک رواه البخاری فی کتابه عن أبی هریرة و الحدیث علی هذا السیاق محتمل لغیر ما ذکر و هو ان یکون هذا الله مبتدأ و خبرا أو هذا مبتدأ و الله عطف بیان و خلق الخلق خبره و أکثر رواة هذا الحدیث یروونه علی هذا السیاق فیرجح اذا علی السیاق المذکور فی المصابیح و ان کلا هما من الصحاح (و عن ابن مسعود) رضی‌الله‌عنه (قال قال رسول‌الله‌صلی‌الله‌علیه‌وسلم ما منکم من أحد) ما نافیة و من زائدة لاستغراق النفی لجمیع الافراد و من فی منکم تبعیضیة أی ما أحد منکم (الا و قد وکل به) علی بناء المجهول لان فاعله معلوم من التوکیل بمعنی التسلیط (قرینه من الجن) أی صاحبه منهم لیامره بالشر و اسمه الوسواس و هو ولد یولد لابلیس حین یولد لبنی آدم ولد و قوله (و قرینه من الملائکة) أی لیأمره بالخیر و اسمه الملهم و لیس هذا فی المصابیح لکن ذکره الحمیدی فی کتابه و الصغانی فی المشارق عن مسلم کذا نقله الطیبی و ذکر ابن الملک فی شرح المصابیح و فی روایة قد وکل به قرینه من الجن و قرینه من الملائکة رواه ابن مسعود اه فصاحب المشکاة اختار هذه الروایة الجامعة و الله أعلم ثم الحکمة

قالوا و اياک يارسول‌الله قال و اياى و لكن الله أعانني عليه فاسلم فلا يأمرنى الا بخير رواه مسلم و عن أنس قال قال رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان الشيطان يجرى من الانسان مجرى الد م

فى ذلک ظهور خسة العاصى و شرف الطائع (قالوا و اياک يا رسول‌الله) أى لک قرين من الجن و القياس و أنت يا رسول‌الله بصيغة المرفوع المنفصل و كذا فى الجواب يعنى (قال و اياى) أى ولى ذلک و القياس أن يقول و انا فاقام الضمير المنصوب مقام المرفوع المنفصل و هوسائغ شائع و يحتمل أن يكون المعنى و أياک نعنى فى هذا الخطاب فقال نعم و اياى لان الخطاب فى منكم عام لا يخص المخاطبين من الصحابة بل كل من يصح ان يخاطب داخل فيه كانه قيل ما منكم يا بنى آدم من أحد و هذا ان قلنا ان المتكلم لايدخل فى عموم الخطاب و قيل عطف على محل الضمير المجرور المقدر تقديره قالوا قد وكل به و اياک قال وكل به و اياى (و لكن الله) بالتشديد و يخفف (أعانني عليه) أى بالعصمة أو بالخصوصية (فاسلم) بضم الميم أو فتحها فى جامع الترمذى قال ابن عيينة فاسلم بالضم أى أسلم أنا منه و الشيطان لا يسلم و فى جامع الدارمى قال أبو محمد أسلم بالفتح أى استسلم و ذل و انقاد و الخطابى ذهب الى الاول و القاضى عياض الى الثانى و هما روايتان مشهورتان قال التوربشتى الله‌تعالى قادر على كل شئ فلايستبعد من فضله أن يخص نبيه بهذه الكرامة أعنى اسلام قرينه و بما فوقها قيل و يؤيده قوله عليه‌الصلاة‌والسلام (فلا يأمرنى الا بخير) قلت الاظهر انه مؤيد للاول فتأمل و قيل اسلم أفعل تفضيل خبر مبتدأ محذوف أى فانا أسلم منكم لان النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم كان يجرى بعض الزلات فى بعض الساعات بوسوسة فيكون المراد بقوله فلا يأمرنى الا بخير فى أعم الاوقات كذا قيل و فيه نظر اذ يحتمل كون الوسوسة من النفس دون الشيطان و عن بعض المشايخ ان القرين من الجن ربما يدعوه الى الخير و قصده فى ذلک الشربان يدعوه الى المفضول فيمنعه عن الفاضل أو أن يدعوه الى الخير ليجره الى ذنب عظيم لا يفى خيره بذلک الشر من عجب أو غيره ولذا قيل معصية أورثت ذلا و استحقارا خير من طاعة أورثت عجبا و استكبارا قال ابن حجر الظاهر ان استبعاد سفيان لاسلامه انما هو لكونه عفريتا لا لكونه من ذرية ابليس لما فى حديث حسن ان هامة بن ابليس جاء للنبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم و ذكر انه حضر قتل هابيل و انه اجتمع بنوح فمن بعده ثم طلب من النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم بعد أن نقل السلام من عيسى فرد عليه‌الصلاة‌والسلام و طلب أن يعلمه شيأ من القرآن فعلمه الواقعة و المرسلات و عم يتساءلون و اذا الشمس كورت و المعوذتين و قل هو الله أحد رواه مسلم (و عن أنس) رضى‌الله‌عنه (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان الشيطان) أى كيده و وسواسه (يجرى) أى يسرى (من الانسان) أى فيه و قيل عدى يجرى بمن على تضمين معنى التمكن أى يتمكن من الانسان فى جريانه (مجرى الدم) أى فى جميع عروقه و المجرى اما مصدر ميمى أى يجرى مثل جريان الدم فى انه لا يحس بجريه كالدم فى الاعضاء شبه سريان كيده و جريان وساوسه فى الانسان بجريان دمه فى عروقه و جميع اعضائه فهو كناية عن تمكنه من اغواء الانسان و اضلاله تمكنا تاما و تصرفه فيه تصرفا كاملا بواسطة نفسه الامارة بالسوء الناشئ قواها من الدم و لقد صدق يحيى بن معاذ حيث قال الشيطان فارغ و أنت مشغول و هو يراک و أنت لا تراه و أنت تنسى الشيطان و هو لا ينساک و من نفسک للشيطان عليک عون و قد قال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير و قال عزوجل الا ان حزب‌الله هم المفلحون أو اسم مكان ظرف ليجرى و من الانسان حال منه أى يجرى فى الانسان مجرى الدم كائنا من الانسان أو بدل البعض

متفق عليه و عن أبي هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ما من بنى‌آدم مولود الا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان غير مريم و ابنها متفق عليه .

من الانسان أى يجرى فى الانسان حيث يجرى فيه الدم أو معناه أن الشيطان لا ينفك عن الانسان ما جرى دمه فى عروقه أى ما دام حيا و قيل يجوز ارادة الحقيقة فان الشياطين أجسام لطيفة قادرة باقدار الله‌تعالى على كمال التصرف ابتلاء للبشر (متفق عليه) و فى الجامع الصغير ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم رواه أحمد و الشيخان و أبو داود عن أنس و رواه الشيخان و أبوداود و ابن ماجه عن صفية (و عن أبي هريرة) رضى‌الله‌عنه (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ما من بنى‌آدم) أى ما من أولاده و المراد هذا الجنس (مولود الايمسه الشيطان) رفع مولود على أنه فاعل الظرف لاعتماده على حرف النفى و المستثنى منه أعم عام الوصف فالاستثناء مفرغ يعنى ما وجد من بنى آدم مولود متصف بشئى من الاوصاف حال ولادته الا بهذا الوصف أى مس الشيطان له كأنه عليه‌الصلاة‌و السلام يرد على من زعم أن الانبياء و الاولياء لا يمسهم الشيطان فهو من قصر القلب الذى يلقى لمعتقد العكس و قيل ما هى غيرعاملة هنا حتى عند الحجازية لتقدم الخبر و هو من بنى‌آدم على مبتدئه و هو مولود (حين يولد) قالوا المراد بالمس الحسى لقوله عليه‌الصلاة‌والسلام كل ابن آدم يطعن الشيطان فى جنبه حين يولد و قال ابن الملك الوجه ان يراد من المس الطمع فى الاغواء فيرده ظاهر قوله (فيستهل) أى يصيح (صارخا) رافعا صوته بالبكاء و هو حال مؤكدة أو مؤسسة أى مبالغة فى رفعه أو المراد بالاستهلال مجرد رفع الصوت و بالصراخ البكاء (من مس الشيطان) أى لاجله قال الطيبى و فى التصريح بالصراخ اشارة الى ان المس عبارة عن الاصابة بما يؤذيه لا كما قالت المعتزلة من ان مس الشيطان تخييل و استهلاله صارخا من مسه تصوير لطمعه فيه كأنه يمسه و يضرب بيده عليه و يقول هذا ممن أغويه و أما قول ابن الرومى

لان يؤذن الدنيا بها من صروفها * يكون بكاء الطفل ساعة يولد
اذا أبصر الدنيا استهل كأنه * بما هو لاق من أذاها يهدد
و الا فما يبكيه منهـا و انه * لاوسع مما كان فيه و أرغـد.

فمن باب حسن التعليل فلا يستقيم تنزيل الحديث عليه مع أنه لاينافيه (غير مريم و ابنها) حال من مفعول يمس قاله ابن حجر و استثناؤهما لاستعاذة أمها حيث قالت انى أعيذها بك و ذريتها من الشيطان الرجيم و تفرد عيسى و أمه بالعصمة عن المس لا يدل على فضلهما على نبينا صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذ له فضائل و معجزات لم تكن لاحد ولايلزم أن يكون فى الفاضل جميع صفات المفضول كذا قاله الطيبى و نظيره خبر الطبرانى ما أحد من بنى‌آدم الا وقد أخطأ أو هم بخطيئة الا يحيى بن زكريا قلت و أبلغ من هذا أن شيطانه أسلم (متفق عليه) قال ابن حجر و فى رواية للبخارى كل بنى‌آدم يطعن الشيطان فى جنبيه باصبعيه حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب يطعن فطعن فى الحجاب و فى أخرى للحاكم و غيره كل وليد الشيطان نائل منه تلك الطعنة ولها يستهل المولود صارخا الا ما كان من مريم و ابنها فانامهاحين وضعتها قالت انى أعيذ ها بك و ذريتها من الشيطان الرجيم فضرب دونها حجاب فطعن اه و لعل الله‌تعالى ألهمها بان دعت هذا الدعاء حال الوضع لا بعده فقوله حين وضعتها أى أرادت وضعها فلا يشكل ان المس يكون حال الوضع فكيف امتنع لاجل ذلك الدعاء و قولها فى الآية و انى أعيذ ها بمعنى أعذتها و عدل الى المضارع لارادة الاستمرار أو لحكاية الحال الماضية و الله أعلم و المفهوم من الجامع الصغير

و عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم صياح المولود حين يقع نزغة من الشيطان و عن جابر قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان ابليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه يفتنون الناس فادناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجئ أحدهم فيقول فعلت كذا و كذا فيقول ما صنعت شيأ قال ثم يجئ أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه و بين امرأته قال فيدنيه منه و يقول نعم أنت قال الاعمش أراه

أن الحديث باللفظ المذكور سابقا هو من افراد البخارى فقوله متفق عليه محل نظر الا أن‌يقال مراده أنه متفق عليه معنى و اللفظ للبخارى لكن ذكر أن لفظ كل بنى آدم الخ أيضا من افراد البخارى فتأمل (و عنه) أى عن أبى هريرة رضى‌الله‌عنه (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم صياح المولود) أى سبب صيحته فى بكائه (حين يقع) أى يسقط و ينفصل عن أمه (نزغة من الشيطان) أى اصابة بما يؤذيه و قيل النزغ طعنة خفيفة أو وسوسة فان النزغ هو الدخول فى أمر الفساد و الشيطان انما يبغى بلمته افساد ما ولد المولود عليه من الفطرة اه و المعول هو الاول اذلا افساد عند الولادة (متفق عليه) المذكور فى الجامع الصغير أنه من افراد البخارى (و عن جابر) رضى‌الله‌عنه (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان ابليس يضع عرشه) أى سريره (على الماء) و فى رواية على البحر و الصحيح حمله على ظاهره و يكون من جملة تمرده و طغيانه وضع عرشه على الماء يعنى جعله الله‌تعالى قادرا عليه استدراجا ليغتر بان له عرشا على هيئة عرش الرحمن كما فى قوله تعالى و كان عرشه على الماء و يغر بعض السالكين الجاهلين بالله انه الرحمن كما وقع لبعض الصوفية على ما ذكر فى النفحات الانسية فى الحضرات القدسية و يؤيده قصة ابن صياد حيث قال لرسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أرى عرشا على الماء فقال له عليه‌الصلاة‌و السلام ترى عرش ابليس و قيل عبر عن استيلائه على الخلق و تسلطه على اضلالهم بهذه العبارة (ثم يبعث) أى يرسل سراياه جمع سرية و هى قطعة من الجيش توجه نحو العدو لتنال منه و فى النهاية هى طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة تبعث الى العدو و سموا بذلك لانهم يكونون خلاصة العسكر و خيارهم من الشئ السرى و هو النفيس و قيل لانهم يبعثون سرا و ردبان لامه راء ولامها ياء (يفتنون الناس) بفتح الياء و كسر التاء أى يضلونهم أو يمتحنونهم بتزيين المعاصى اليهم حتى يقعوا فيها (فادناهم) أى أقربهم (منه) أى من ابليس (منزلة) مرتبة (أعظمهم فتنة) أى أكبرهم اضلالا أو أشدهم ابتلاء (يجيء أحدهم) جملة مبينة لقوله أعظمهم فتنة (فيقول) أى أحدهم (فعلت كذا و كذا) أى أمرت بالسرقة و شرب الخمر مثلا (فيقول) أى ابليس (ما صنعت شيأ) أى أمرا كبيرا أو شيأ معتدابه (قال) أى النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم (ثم يجئ أحدهم فيقول ما تركته) أى فلانا (حتى فرقت بينه و بين امرأته) هذا و ان كان بحسب الظاهر أمرا مباحا و ظاهره خير ولذا قال تعالى و ان يتفرقا يغن‌الله كلا من سعته و لكنه من حيث انه قد يجر الى المفاسد يصير مذموما و يحث عليه الشياطين و يفرح به كبيرهم ولذا قال عليه‌الصلاة‌والسلام أبغض الحلال الى الله الطلاق و قال تعالى فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء و زوجه (قال) عليه‌الصلاة‌والسلام (فيدنيه منه) أى فيقرب ابليس ذلك المغوى من نفسه من الادناء و هو التقريب (فيقول) و فى نسخة صحيحة و يقول أى ابليس للمغوى (نعم أنت) أى نعم الولد أو العون أنت على انه فعل مدح و فاعله مضمر على خلاف القياس و قيل حرف ايجاب و أنت مبتدأ خبره محذوف أى أنت صنعت شيأ عظيما و قول ابن الملك هو الصواب هو الخطأ لانه مخالف للنسخ المصححة الدالة على الرواية مع احتياجه الى التكلف و التعسف فى توجيه صحة الدراية (قال الاعمش) و هو أحد رواة هذا الحديث (أراه) بضم أوله أى أظن أباسفيان طلحة بن نافع المكى و هو

قال فيلتزمه رواه مسلم و عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان الشيطان قد أيس من أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب و لكن فى التحريش بينهم رواه مسلم
* (الفصل الثانى) * عن ابن عباس أن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم جاءه رجل فقال انى أحدث نفسى بالشئ لان أكون حممة أحب الى من ان أتكلم به

الراوى عن جابر كذا فى الازهار نقله السيد جمال‌الدين و قال الطيبى ضمير الفاعل للاعمش و ضمير المفعول لجابر و قيل أظن النبى عليه‌الصلاة‌والسلام و هو الظاهر من قوله (قال فيلتزمه) فانه اما عطف على فيدنيه أو بدل منه كذا قيل و الاقرب انه عطف على فيقول و الله أعلم و المعنى فيعانقه من غاية حبه التفريق بين الزوجين و ذلك لانه يحب كثرة الزنا و غلبة أولاد الزنا ليفسدوا فى الارض و يهتكوا حدود الشرع و من ثم ورد عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم لا يدخل الجنة ولد زانية رواه الدارمى فى سننه لان ولد الزنا يعسر عليه اكتساب الفضائل و يتيسر له أخلاق الرذائل (رواه مسلم) و كذا أحمد (و عنه) أى عن جابر رضى‌الله‌عنه (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان الشيطان) يحتمل الجنس و الاظهر أن المراد به ابليس رئيسهم (قد أيس) أى صار محروما و يئس (من أن يعبده المصلون) اختصر القاضى كلام الشراح و قال عبادة الشيطان عبادة الصنم لانه الآمر به و الداعى اليه بدليل قوله يا أبت لا تعبد الشيطان و المراد بالمصلين المؤمنون كما فى قوله عليه‌الصلاة‌والسلام نهيتكم عن قتل المصلين سموا بذلك لان الصلاة أشرف الاعمال و أظهر الافعال الدالة على الايمان و معنى الحديث أيس من أن يعود أحد من المؤمنين الى عبادة الصنم و يرتد الى شركه (فى جزيرة العرب) ولا يرد على ذلك ارتداد أصحاب مسيلمة و مانعى الزكاة و غيرهم ممن ارتدوا بعد النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم لانهم لم يعبدوا الصنم اه و فيه أن دعوة الشيطان عامة الى أنواع الكفر غير مختص بعبادة الصنم فالاولى أن يقال المراد ان المصلين لايجمعون بين الصلاة و عبادة الشيطان كما فعلته اليهود و النصارى ثم الجزيرة هى كل أرض حولها الماء فعيلة بمعنى مفعولة من جزر عنها الماء أى ذهب و قد اكتنفت تلك الجزيرة البحار و الانهار كبحر البصرة و عمان و عدن الى بركة بنى اسرائيل التى أهلك الله فرعون بها و بحر الشام و النيل و دجلة و الفرات أضيفت الى العرب لانها مسكنهم و نقل عن الامام مالك رضى‌الله‌عنه أن جزيرة العرب مكة و المدينة و اليمن قيل انما خص جزيرة العرب لان الدين يومئذ لم يتعد عنها و قيل لأنها معدن العبادة و مهبط الوحى (و لكن فى التحريش) خبر لمبتدأ محذوف أى هو فى التحريش أو ظرف لمقدر أى يسعى فى التحريش (بينهم) أى فى اغراء بعضهم على بعض و التحريف بالشر بين الناس من قتل و خصومة و المعنى لكن الشيطان غير آيس من اغراء المؤمنين و حملهم على الفتن بل له مطمع فى ذلك قيل و لعله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أخبر عما يجرى فيما بعده من التحريش الذى وقع بين أصحابه أى أيس الشيطان أن يعبد فيها لكن طمع فى التحريش بين ساكنيها و كان كما أخبر فكان معجزة له عليه‌الصلاة‌والسلام (رواه مسلم) و كذا أحمد و الترمذى
* (الفصل الثانى) * (عن ابن عباس) رضى‌الله‌عنهما (أن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم جاءه رجل فقال) أى الرجل (انى أحدث نفسى) أى أكلمها بالسر يعنى توسوسنى فانه غير اختيارى أو معناه أرد عليها (بالشئ) هو فى قوة النكرة معنى و ان كان معرفة لفظا لان أل فيه للجنس و الجملة الاسمية بعده صفة له و هى قوله (لان أكون حممة) بضم ففتح أى فحما (أحب الى من أن أتكلم به) أى بشئ لكونى حممة أحب الى من التكلم بذلك الشئ من غاية قبحه لتعلقه بالخوض فى ذات الله‌تعالى وما لا يليق به

قال الحمد لله الذی رد أمره الی الوسوسة رواه أبو داود و عن ابن مسعود قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه وسلم ان للشیطان لمة لابن آدم و للملک لمة فاما لمة الشیطان فایعاد بالشر و تکذیب بالحق و أما لمة الملک فایعاد بالخیر و تصدیق بالحق فمن وجد ذلک فلیعلم انه من الله فلیحمدالله و من وجد الاخری فلیتعوذ بالله‌من‌الشیطان الرجیم

سبحانه من تجسم و تشبیه أو تعطیل و نحوها و اللام للقسم أوللابتداء و أما قول ابن الملک اللام موطئة للقسم فغیر صحیح لانها انما تدخل علی أداة الشرط للایذان بان الجواب بعدها مبنی علی قسم قبلها لا علی الشرط و من ثم تسمی لام المؤذنة و تسمی الموطئة لانها وطأت الجواب للقسم أی مهدته له نحولئن أخرجوا لایخرجون معهم الآیة کذا ذکره فی مغنی اللبیب (قال) علیه‌الصلاة‌والسلام (الحمدلله) شکرا لما أنعم علیه و علی أمته (الذی رد أمره الی الوسوسة) الضمیر فیه یحتمل أن یکون للشیطان و ان لم یجر له ذکر لدلالة السیاق علیه و یحتمل ان یکون للرجل و الامر یحتمل أن یکون واحد الاوامر و أن یکون بمعنی الشان یعنی کأن الشیطان یأمر الناس بالکفر قبل هذا و أما الآن فلا سبیل الیهم سوی الوسوسة ولابأس بها مع العلم بانها قبیحة و التعوذ بالله منها أو المعنی الحمد لله الذی رد شان هذا الرجل من الکفر الی الوسوسة و هی معفوة (رواه أبو داود و عن ابن مسعود رضی‌الله‌عنه قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم ان للشیطان) أی ابلیس أو بعض جنده (لمة) اللمة بالفتح من الالمام و معناه النزول و القرب و الاصابة و المراد بها ما یقع فی القلب بواسطة الشیطان أو الملک (بابن آدم) أی بهذا الجنس فالمراد به الانسان (و للملک لمة) فلمة الشیطان تسمی وسوسة و لمة الملک الهاما (فأما لمة الشیطان فایعاد بالشر) کالکفر و الفسق و الظلم (و تکذیب بالحق) أی فی حق الله أو حق الخلق أو بالامر الثابت کالتوحید و النبوة و البعث و القیامة و النار و الجنة (و أما لمة الملک فایعاد بالخیر) کالصلاة و الصوم (و تصدیق بالحق) ککتب الله و رسوله و الایعاد فی اللمتین من باب الافعال و الوعید فی الاشتقاق کالوعد الا أن الایعاد اختص بالشرعرفا یقال أوعد اذا وعد بشر الا أنه استعمله فی الخیر للازدواج و الامن عن الاشتباه بذکر الخیر بعده کذا قالوا و الظاهر أن هذا التفصیل عندالاطلاق کما قال الشاعر

و انی و ان أوعدته أو وعدته * لمخلف ایعاذی و منجز موعدی

و أما عند التقیید فالاولی أن یقال بالتجرید فیهما أو باصل اللغة و اختیار الزیادة لاختیار المبالغة (فمن وجد) أی فی نفسه أو أدرك و عرف (ذلک) أی لمة الملک علی تأویل الالمام أو المذکور (فلیعلم أنه من الله) أی منة جسیمة و نعمة عظیمة واصلة الیه و نازلة علیه اذ أمر الملک بأن یلهمه (فلیحمد الله) أی علی هذه النعمة الجلیلة حیث أهله لهدایة الملک و دلالته علی ذلک الخیر تصدیقا و تحصیلا ثم معرفة الخواطر و التمییز بینها محل بسطها کتب الصوفیة و قد بینها الغزالی فی منهاج العابدین تبیینا لطیفا و اتفق المشایخ علی أن من کان مأکله من الحرام لا یمیز بین الوسوسة و الالهام بل قال الدقاق من کان قوته معلوما أی بان لم یتوکل علی الله حق توکله لا یفرق بینهما ثم الالهام و ان کان غیر معتبر فی حق الاحکام لکنه معتبر فی معرفة وساوس النفس و مکاید الشیطان و انما قدمهاهنا و أخرها أولا لان لمة الشیطان شر و الابتلاء بها أکثر فکانت الحاجة بیبانها أمس ولما فرغ منه قدم لمة الملک تعظیما لشانها و اشعارا بان رحمته سبقت غضبه (و من وجد الاخری) أی لمة الشیطان (فلیتعوذبالله‌من‌الشیطان‌الرجیم) ولیخالفه و فیه ایماء الی أن الکل من الله‌تعالی و انما الشیطان عبد مسخر أعطی له التسلیط علی بعض افراد الانسان کما قال تعالی ان عبادی لیس لک علیهم سلطان

ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشاء رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب و عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لايزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا خلق الله الخلق فمن خلق الله فاذا قالوا ذلك فقولوا الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ثم ليتفل عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم رواه أبو داود و سنذكر حديث عمرو بن الاحوص فى باب خطبة يوم النحر ان شاء الله تعالى
* (الفصل الثالث) * عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يبرح الناس يتساءلون حتى يقولوا هذا الله خلق كل شئ

و انما لم يقل هنا فليعلم انه من الله تأدبا معه اذ لا يضاف اليه الا الخير (ثم قرأ) صلى الله عليه وسلم استشهادا (الشيطان يعدكم الفقر) أى يخوفكم به (و يأمركم بالفحشاء) أى بالبخل و الحرص و سائر المعاصى فان حب الدنيا رأس كل خطيئة أو معناه الشيطان يعدكم الفقر ليمنعكم عن الانفاق فى وجوه الخيرات و يخوفكم الحاجة لكم أو لاولادكم فى ثانى الحال سيما فى كبر السن و كثرة العيال و يأمركم بالفحشاء أى المعاصى و هذا الوعد و الامر هما المرادان بالشر فى الحديث و تتمة الآية (و الله يعدكم مغفرة) أى لذنوبكم على الصبر فى الفقر و الطاعة (منه) أى من عنده عدلا (وفضلا) أى يعدكم زيادة الخير على المغفرة و ثواب الطاعة بالاضعاف المضاعفة أو خلفا فى الدنيا و عوضا فى العقبى (و الله واسع عليم) تذييل للكلام السابق اشارة الى سعة مغفرته و رحمته و وفور علمه باحوال العباد و مصالحهم (رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب) و تعريف الغرابة و تفصيلها متنا و اسنادا مذكور فى أصول الحديث (و عن أبى هريرة) رضى الله عنه (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لايزال الناس يتساءلون) أى لاينقطعون عن سؤال بعضهم بعضا فى أشياء (حتى يقال هذا خلق الله الخلق) مر البيان فيه (فمن خلق الله) فلما جر كثرة السؤال الى الجرأة على الملك المتعال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كثرة السؤال و عن قيل و قال أو المراد بالتساؤل حكاية النفس و حديثها و وسوستها و هذا هو الظاهر من التفل و الاستعاذة و يؤيد الاول قوله (فاذا قالوا ذلك فقولوا الله أحد) يعنى قولوا فى رد هذه المقالة أو الوسوسة الله تعالى ليس مخلوقا بل هو أحد و الاحد هو الذى لاثانى له فى الذات و لا فى الصفات (الله الصمد) المرجع فى الحوائج المستغنى عن كل أحد (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) تقدم (ثم ليتفل) بسكون اللام الاولى و يكسر و بضم الفاء و يكسر أى ليبصق أحدكم أو هذا الرجل يعنى الموسوس (عن يساره) كرامة لليمين وقيل اللمة الشيطانية عن يسار القلب و الرحمانية عن يمينه (ثلاثا) أى ليلق البزاق من الفم ثلاث مرات و هو عبارة عن كراهة الشئ و النفور عنه كمن يجد جيفة و التكرار مراغمة للشيطان و تبعيد له لينفر منه و يعلم أنه لا يطيعه فيه و يكره الكلام المذكور منه (و ليستعذ) ضبط بالوجهين (بالله من الشيطان الرجيم) و الاستعاذة طلب المعاونة على دفع الشيطان (رواه أبو داود و سنذكر حديث عمرو بن الاحوص) ألا لايجنى جان الا على نفسه (فى باب خطبة يوم النحر ان شاء الله تعالى)

* (الفصل الثالث) * (عن أنس) رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يبرح الناس) أى لن يزالوا و لن ينقطعوا و افادته الاثبات لانه كزال يفيد معنى النفى و اذا دخل عليه نفى آخر أثبته لان نفى النفى اثبات (يتساءلون) أى متسائلين يسأل بعضهم بعضا أو تحدثهم أنفسهم بالوسوسة (حتى يقولوا هذا الله) مبتدأ و خبره (خالق كل شئ) استئناف أو حال وقد مقدرة و العامل معنى اسم الاشارة أو هذا مبتدأ و الله عطف بيان وخلق كل شئ خبره كذا قاله الطيبى و الثانى هو الظاهر

فمن خلق الله عزوجل رواه البخاری و لمسلم قال قال الله عزوجل ان أمتک لایزالون یقولون ما کذا ما کذا حتی یقولوا هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله عزوجل و عن عثمان بن أبی العاص قال قلت یا رسول‌الله ان الشیطان قد حال بینی و بین صلاتی و بین قراءتی یلبسها علی فقال رسول‌الله‌صلی‌الله‌علیه‌وسلم ذاک شیطان یقال له خنزب فاذا احسسته فتعوذ بالله منه و اتفل علی یسارک ثلاثا ففعلت ذلک فاذهبه الله عنی رواه مسلم و عن القاسم بن محمد

(فمن خلق الله عزوجل) قاسوا القدیم علی الحادث فانه یحتاج الی محدث و یتسلسل الی أن ینتهی الی خالق قدیم واجب الوجود لذاته و محل تحقیق هذا المرام کتب الکلام (رواه البخاری ولمسلم قال) أی النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم (قال الله عزوجل) فیکون الحدیث قدسیا (أن أمتک) أی أمة الدعوة أو بعض أمة الاجابة بطریق الجهالة أو الوسوسة من الامور العامة (لا یزالون یقولون) أی بعضهم لبعض أو فی خواطرهم من غیر اختیارهم (ما کذا ما کذا) کنایة عن کثرة السؤال و قیل و قال أی ما شأنه و من خلقه (حتی یقولوا) أی حتی یتجاوزوا الحد و ینتهوا الی أن یقولوا (هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله عزوجل) و المقصود من الحدیث اعلامه تعالی لنبیه علیه‌الصلاة‌والسلام بما سیقع من أمته لیحذرهم منه (و عن عثمان بن أبی العاص) هو الثقفی استعمله النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم علی الطائف فلم یزل علیها حیاة رسول‌الله‌صلی‌الله‌علیه‌وسلم و خلافة أبی بکر وسنتین من خلافة عمر ثم عزله عمر و ولاه عمان و البحرین وکان وفد علی النبی صلی‌الله‌علیه وسلم فی وفد ثقیف و هو أحدثهم سنا وله تسع و عشرون سنة و ذلک سنة عشر وسکن البصرة و مات بها سنة احدی و خمسین و لما مات النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم و عزمت ثقیف علی الردة قال لهم یا معشر ثقیف کنتم آخر الناس اسلاما فلا تکونوا أول الناس ردة فامتنعوا عن الردة روی عنه جماعة من التابعین رضی‌الله‌عنه (قال قلت یا رسول‌الله ان الشیطان قد حال بینی و بین صلاتی و بین قراءتی) أی یمنعنی من الدخول فی الصلاة أو من الشروع فی القراءة بدلیل تثلیث التفل و ان کان فی الصلاة و لیفتل ثلاث مرات غیر متوالیات و یمکن حمل التفل و التعوذ علی ما بعد الصلاة و المعنی جعل بینی و بین کمالهما حاجزا من وسوسته المانعة من روح العبادة و سرها و هو الخشوع و الخضوع (یلبسها علیّ) بالتشدید للمبالغة و فی نسخة صحیحة ظاهرة بفتح أوله و کسر ثالثه أی یخلطنی و یشککنی فیها أی فی الصلاة أو القراءة أو کل واحدة و الجملة بیان لقوله حال و ما یتصل به (فقال رسول‌الله‌صلی‌الله‌علیه‌وسلم ذاک شیطان) أی الملبس أی خاص من الشیاطین لا رئیسهم (یقال له خنزب) بخاء معجمة مکسورة ثم نون ساکنة ثم زای مکسورة أو مفتوحة کذا فی النسخ المصححة وهو من الاوزان الرباعیة کزبرج و درهم و یقال أیضا بفتح الخاء و الزای حکاه القاضی عیاض و نظیره جعفر و یقال أیضا بضم الخاء و فتح الزای علی ما فی النهایة قال ابن حجر و یصح فتح الخاء مع ضم الزای و فیه انه لم یوجد هذا الوزن فی الرباعی المجرد و لیس فی النسخ المصححة و هو فی اللغة الجریء علی الفجور علی ما یفهم من القاموس (فاذا أحسسته) أی أدرکته و علمته (فتعوذ بالله‌منه) فانه لا خلاص من وسوسته الا بحول الله و قوته و حفظه و معولته (و اتفل) بضم الفاء و یکسر (علی یسارک) أی عن یسارک کما فی نسخة اشارة الی التنفر و التبعد عن الوسوسة التی تجر الی کتابة صاحب الیسار أو الی طریقة أصحاب الشمال (ثلاثا) أی ثلاث مرات لزیادة المبالغة فی المباعدة (ففعلت ذلک) أی ما ذکر من التعوذ و التفل (فاذهبه الله) أی الوسواس (عنی) ببرکته علیه‌الصلاة‌والسلام (رواه مسلم و عن القاسم بن محمد) أی ابن أبی بکر

أن رجلا سأله فقال انی أهم فی صلاتی فیکبر ذلک علی فقال له امض فی صلاتک فانه لن یذهب ذلک عنک حتی تنصرف و أنت تقول ما أتممت صلاتی رواه مالک

* (باب الایمان بالقدر) * * (الفصل الاول) * عن عبدالله بن عمرو قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم کتب الله مقادیر الخلائق قبل أن یخلق السموات و الارض

الصدیق أحد الفقهاء السبعة المشهورین بالمدینة من أکابر التابعین وکان أفضل أهل زمانه قال یحیی بن سعید ما أدرکنا بالمدینة أحدا نفضله علی القاسم بن محمد روی عن جماعة من الصحابة منهم عائشة و معاویة و عنه خلق کثیر مات سنة احدی و مائة و له سبعون سنة (ان رجلا سأله فقال انی أهم) بکسر الهاء و تخفیف المیم (فی صلاتی) یقال وهمت فی الشئی بالفتح أهم وهما اذا ذهب وهمک الیه و أنت ترید غیره و یقال وهمت فی الحساب أوهم وهما اذا غلطت فیه و سهوت (فیکبر) بالموحدة المضمومة أی یعظم (ذلک) أی الوهم (علی) وروی بالمثلثة من الکثرة أی یقع کثیرا هذا الوهم علی (فقال له امض فی صلاتک) سواء کانت الوسوسة خارج الصلاة أو داخلها و لا تلتفت الی موانعها (فانه لن یذهب ذلک عنک) فانه ضمیر للشان و الجملة تفسیر له و ذلک اشارة الی الوهم المعنی به الوسوسة و المعنی لایذهب عنک تلک الخطرات الشیطانیة (حتی تنصرف) أی تفرغ من الصلاة (و أنت تقول) للشیطان صدقت (ما أتممت صلاتی) لکن ما أقبل قولک ولا أتمها ارغاما لک و نقضا لما أردته منی و هذا أصل عظیم لدفع الوساوس و قمع هواجس الشیطان فی سائر الطاعات و الحاصل ان الخلاص من الشیطان انما هو بعون الرحمن و الاعتصام بظواهر الشریعة وعدم الالتفات الی الخطرات و الوساوس الذمیمة و لاحول ولاقوة الا بالله العلی العظیم (رواه مالک)

* (باب الایمان بالقدر) *

هذا نوع تخصیص بعد تعمیم أو ذکر جزئی بعد الکلی اهتماما به و اعتناء باتصافه لما وقع فیه من الاختلاف الناشئی عن التحیر فی هذا الامر الذی هو عظیم الشان بین أهل الایمان والقدر بالفتح و تسکن ما یقدره الله تعالی من القضایا قال فی شرح السنة الایمان بالقدر فرض لازم و هو ان یعتقد ان الله تعالی خالق أعمال العباد خیرها و شرها و کتبها فی اللوح المحفوظ قبل ان خلقهم و الکل بقضائه و قدره و ارادته و مشیئته غیر أنه یرضی الایمان و الطاعة و وعد علیهما الثواب و لا یرضی الکفر و المعصیة و أوعد علیهما العقاب والقدر سر من اسرار الله تعالی لم یطلع علیه ملکا مقربا و لانبیا مرسلا و لایجوز الخوض فیه و البحث عنه بطریق العقل بل یجب أن یعتقد ان الله تعالی خلق الخلق فجعلهم فرقتین فرقة خلقهم للنعیم فضلا و فرقة للجحیم عدلا و سأل رجل علی بن أبی طالب رضی الله عنه فقال أخبرنی عن القدر قال طریق مظلم لا تسلکه و أعاد السؤال فقال بحر عمیق لا تلجه فأعاد السؤال فقال سر الله قد خفی علیک فلا تفتشه و لله در من قال

تبارک من أجری الامور بحکمه * کما شاء لا ظلما أراد و لا هضما

فما لک شئی غیر ما الله شاءه * فان شئت طب نفسا و ان شئت مت کظما

* (الفصل الاول) * (عن عبدالله بن عمرو) رضی الله عنهما (قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم کتب الله مقادیر الخلائق) جمع مقدار و هو الشئی الذی یعرف به قدر الشئی و کمیته کالمکیال و المیزان و قد یستعمل بمعنی القدر نفسه و هو الکمیة و الکیفیة (قبل أن یخلق السموات و الارض) و معنی کتب الله أجری الله القلم علی اللوح المحفوظ با یجاد ما بینهما من التعلق و أثبت فیه مقادیر

عه کذا فی الاصل و لعل الصحیح مت - ف (مرقاة ج ۱)

بخمسين ألف سنة قال و كان عرشه على الماء رواه مسلم و عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شئ بقدر حتى العجز و الكيس

الخلق ما كان و ما هو كائن الى الابد على وفق ما تعلقت به ارادته أزلا كاثبات الكاتب ما فى ذهنه بقلمه على لوحه و قيل أمر الله القلم أن يثبت فى اللوح ما سيوجد من الخلائق ذاتا و صفة و فعلا و خيرا و شرا على ما تعلقت به ارادته و حكمة ذلك اطلاع الملائكة على ما سيقع ليزدادوا بوقوعه ايمانا و تصديقا و يعلموا من يستحق المدح و الذم فيعرفوا لكل مرتبته أوقدر و عين مقادير هم تعيينا بتا لايتأتى خلافه بالنسبة لما فى علمه القديم المعبر عنه بأم الكتاب أو معلقا كان يكتب فى اللوح المحفوظ فلان يعيش عشرين سنة ان حج و خمسة عشر ان لم يحج و هذا هو الذى يقبل المحو و الاثبات المذكورين فى قوله تعالى يمحو الله ما يشاء و يثبت و عنده أم الكتاب أى التى لا محو فيها و لا اثبات فلا يقع فيهما الا ما يوافق ما أبرم فيها كذا ذكره ابن حجر و فى كلامه خفاء اذ المعلق و المبرم كل منهما مثبت فى اللوح غير قابل للمحو نعم المعلق فى الحقيقة مبرم بالنسبة الى علمه تعالى فتعبيره بالمحو انما هو من الترديد الواقع فى اللوح الى تحقيق الامر المبرم المبهم الذى هو معلوم فى أم الكتاب أو محو أحد الشقين الذى ليس فى علمه تعالى فتأمل فانه دقيق و بالتحقيق حقيق (و قوله بخمسين ألف سنة) معناه طول الامد مابين التقدير و الخلق من المدد أو تقديره ببرهة من الدهر الذى يوم منه كألف سنة مما تعدون و هو الزمان أو من الزمان نفسه فان قلت كيف يحمل على الزمان و لم يخلق الزمان و لا ما يتحدد به من الايام و الشهور و السنين قلت يحمل الزمان حينئذ على مقدار حركة الفلك الاعظم الذى هو العرش و هو موجود حينئذ بدليل أنه (قال) أى النبى صلى الله عليه وسلم (و عرشه على الماء) و فى المصابيح و كان عرشه على الماء يعنى كان عرش الله قبل أن يخلق السموات و الارض على وجه الماء و الماء على متن الريح و الريح على القدرة و هذا يدل على ان العرش و الماء كانا مخلوقين قبل خلقهما و قيل ذلك الماء هو القلم و قيل فيه دليل لمن زعم أن أول ما خلق الله فى العالم الماء و انما أوجد سائر الاجسام منه تارة بالتلطيف و تارة بالتكثيف قال ابن حجر اختلف الروايات فى أول المخلوقات و حاصلها كما بينتها فى شرح شمائل الترمذى ان أولها النور الذى خلق منه عليه الصلاة والسلام ثم الماء ثم العرش (رواه مسلم وعن ابن عمر) رضى الله عنهما (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شئ بقدر) بفتح الدال أى بمقدار مرتب مكتوب فى اللوح المحفوظ قبل أن يوجد فى الخارج على حسب ما اقتضته الحكمة (حتى العجز و الكيس) بفتح الكاف روى برفعهما عطفا على كل أو على انه مبتدأ حذف خبره أى حتى العجز و الكيس كذلك أى كائنان بقدر الله تعالى و بجرهما عطفا على شئ قيل و الاوجه أن يكون حتى هنا جارة بمعنى الى لان معنى الحديث يقتضى الغاية لانه أراد بذلك ان اكتساب العباد و افعالهم كلها بتقدير خالقهم حتى الكيس الذى يتوسل صاحبه به الى البغية و العجز الذى يتأخر به عنها و قيل المراد من العجز هنا عدم القدرة أو ترك ما يجب فعله و التسويف به و التأخير عن وقته أو العجز عن الطاعة و الكيس ضد العجز و هو النشاط و الحذق بالامور و معناه ان العاجز قد قدر عجزه و الكيس قد قدر كيسه و قيل الكيس هو كمال العقل و شدة معرفة الامور و تمييز ما فيه النفع مما فيه الضر و العجز مقابله و قيل قوبل الكيس بالعجز على المعنى لان المقابل الحقيقى للكيس البلادة و للعجز القوة و فائدة هذا الاسلوب تقييد كل من اللفظين بما يقابل الآخر كانه قيل حتى الكيس و القوة و العجز و البلادة من قدر الله تعالى فهو رد على من أثبت القدرة و الاختيار للعباد لان مصدر الفعل الداعية و منشؤها

رواه مسلم و عن أبي هريرة قال قال رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم احتج آدم و موسى عند ربهما فحج آدم موسى قال موسى أنت آدم الذى خلقک الله بيده و نفخ فيک من روحه و أسجد لک ملائكته و أسكنک فى جنته ثم أهبطت الناس بخطيئتک الى الارض

القلب الموصوف بالكياسة و البلادة ثم القوة و الضعف و مكانها الاعضاء و الجوارح و اذا كان الكل بقضاء الله و قدره فأى شئى يخرج منهما و قال التوربشتى الكيس جودة القريحة و انما قوبل بالعجز لانه الخصلة التى تفضى بصاحبها الى الجلادة و اتيان الامور من أبوابها و ذلک نقيض العجز و العجز هنا عدم القدرة و قال المظهر يعنى ان من كان عاجزا و ضعيفا فى الجثة أو الرأى و التمييز أو ناقص الخلقة لا تعيره فان ذلک بتقدير الله تعالى و خلقه اياه على هذه الصفة و من كان كامل العقل بصيرا بالامورتام الجثة فهو أيضا بتقدير الله تعالى و ليس ذلک بقوته و قدرته فانه لاحول‌ولاقوةالابالله قيل الوجه ما ذكره التور بشتى (رواه مسلم) و كذا أحمد (و عن أبى هريرة) رضى‌الله‌عنه (قال قال رسول‌الله‌صلى‌الله عليه‌وسلم احتج) أى تحاج (آدم و موسى) أى طلب كل منهما الحجة من صاحبه على ما يقول‌قيل هذه المحاجة كانت روحانية فى عالم الغيب و يؤيده قوله (عند ربهما) أى عند تجليه تعالى عليهما حال تفاوضهما و يجوز أن تكون جسمانية بأن أحيا هما أو أحيا آدم فى حياة موسى و اجتمعا فى حضائر القدس كما ثبت فى حديث الاسراء أنه عليه‌الصلاةوالسلام اجتمع مع الانبياء أو لان الانبياء أحياء فى قبورهم يصلون (فحج آدم موسى) أى غلبه فى الحجة بأن ألزمه بأنه لم يكن مستقلا فيما صدر عنه متمكنا من تركه بل كان أمرا مقضيا فاللوم بعد زوال التكليف و التوبة و العفو عنه لاسيما ممن شاهد سرالله من وراء الاستار فى القدر المحتوم مما لا يحسن عقلا و أما ما ترتب عليه شرعا من الحدود و التعزير فحسنه من الشارع لايتوقف على غرض و ان كان فيه فائدة (قال موسى) الخ جملة مبينة لمعنى ماقبلها (أنت آدم الذى خلقک الله بيده) أى قدرته خصه بالذكر اكراما و تشريفا له و أنه خلق ابداعا من غير و اسطة أب و أم و القياس خلقه ليعود الضمير على الموصول حتى يصح وقوع الجملة صلة فالتفت تلذذا بخطاب الاب الحائز لهذا الشرف الاكبر كذا قيل و الاظهر أنه لغة كقول على رضى الله‌عنه * أنا الذى سمتنى أمى حيدره * (و نفخ فيک من روحه) الاضافة للتشريف و التخصيص أى من الروح الذى هو مخلوق و لا يد لاحد فيه و لا يخفى ما فى الحديث من الاشارة الى ما فى القرآن (و أسجد لک ملائكته) أى أمرهم أن يسجدوا لک أو اليک تعظيما قال ابن عباس كان سجودهم له انحناء لا خرورا على الذقن وقال ابن مسعود أمروا بأن يأتموا به فسجد وسجدوا لله فالتقدير أمرهم بأن يسجدوالله لاجل سجودک اياه أو اللام للتوقيت و قال أبى بن كعب خضعواله و أقروا بفضله فالسجدة لغوية بمعنى الانقياد (و أسكنک) أى جعلک ساكنا أو جعل لک سكنى (فى جنته) الخاصة به و فيه رد لفظا و معنى على المعتزلة حيث قالوا فى بستان من بساتين الدنيا (ثم أهبطت الناس بخطيئتک) أى التى صدرت منک غير لائقة بعلومقامک و هى أكلک من الشجرة و ان كان نسيانا أو خطأ فى الاجتهاد لان الكمل يعاتبون و يؤاخذون بمالايؤاخذ به غيرهم فان حسنات الابرار سيآت المقربين أى صرت سببا لاهباطهم و انزالهم و اسقاطهم فانهم و ان لم يكونوا موجودين لكنهم كانوا على شرف الوجود فكأنه جعلهم مهبطين منها (الى الارض) متعلق بأهبطت يعنى ان الله تعالى أنعم عليک بهذه النعم الجليلة و أنت عصيته بأكل الشجرة حتى أخرجت من الجنة بسببها و بقى أولادک فى دارالمشقة و البلوى و الابتلاء من الله تعالى بالفقر و المرض و غير ذلک و لو استمروا فى الجنة لم يحصل لهم

قال آدم أنت موسى الذى اصطفاک الله برسالته و بكلامه أعطاک الالواح فيها تبيان كل شئ و قربک نجيا فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل ان أخلق قال موسى بأربعين عاما قال آدم فهل وجدت فيها فعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال أفتلومنى على ان عملت عملا كتبه الله على ان أعمله قبل أن يخلقنى باربعين سنة

شئ من ذلک بل كانوا فى غاية من النعيم الذى لا نعيم فوقه و ليس فى هذا ما يخل بالادب مع الاب لان مقام الاحتجاج يسامح فيه بمثل ذلک (قال آدم أنت موسى الذى اصطفاک) أى اختارک (الله برسالاته) بالجمع لارادة الانواع أو بالافراد لارادة الجنس كما قرئ بالوجهين فى قوله تعالى يا موسى انى اصطفيتک على الناس برسالاتى و بكلامى و الجمهور على الجمع و ليس فيه ما ينفى رسالة آدم لان كلا ذكر ما هو الاشرف من صفات صاحبه و تخصيص الشئ بالذكر لا ينفى ما عداه مع أنه يمكن أن يكون المراد اصطفاه بالجمع بين الرسالة و التكليم و اختص بذلک لانه لم يسمع كلام الله القديم أحد فى الارض غيره و فيه تلميح الى قوله تعالى و كلم الله موسى تكليما (و بكلامه) أى بتكليمه اياک (و أعطاک الالواح) و هى ألواح التوراة (فيها تبيان كل شئ) أى بيانه على وجه المبالغة لان زيادة الحرف تدل على زيادة المعنى و الجملة استئنافية مبينة أو صفة أى الالواح التى فيها اظهار كل شئ مما يحتاج اليه فى أمر الدين من الاخبار بالغيوب و القصص و المواعظ و العقائد و الحلال و الحرام و الحدود و الاحكام و غير ذلک و هذا مستمد من قوله تعالى و كتبناله فى الالواح من كل شئ موعظة و تفصيلا لكل شئ (و قربک نجيا) النجى المناجى يستوى فيه الواحد و الجمع و هو من يجرى بينک و بينه كلام فى السر أى و كلمک الله من غير و اسطة ملک أو المعنى و خصک بالنجوى كما قال تعالى و ناديناه من جانب الطور الايمن و قربناه نجيا حال من الفاعل أو المفعول (فبكم) مميزه محذوف أى فبكم زمانا أو فبأى زمان (وجدت الله) أى علمته أو صادفت حكمه (كتب التوراة) أى أمر بكتب التوراة فى الالواح لما سبق أن ما فى اللوح المحفوظ كتب قبل ذلک بخمسين ألف سنة (قبل أن أخلق) على صيغة المجهول (قال موسى بأربعين عاما) المراد منه التحديد أو التكثير (قال آدم فهل وجدت فيها) أى فى التوراة و قرأت و علمت مضمون قوله تعالى (و عصى آدم ربه) أى بمخالفة أمره (فغوى) أى فخرج بالعصيان من أن يكون راشدا فى فعله و ليس المراد أن لفظه بهذا التركيب بل معناه بالعبرية قال ابن حجر و هذا منه فى غاية التواضع لله و اذعان لما جاء عن الله و له تعالى أن يخاطب عبيده و يصفهم بما يشاء اذ المعصية و الغواية يطلقان على مطلق المخالفة و لو مع النسيان كما هنا فان آدم لم يتعمد الاكل من الشجرة المنهى عنها بل تأول أونسى قال تعالى و لقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى و مع ذلک وصفه ربه بأنه عصى و غوى اقامة لناموس الربوبية عليه لا ليتأسى به الناس فى وصفه بذلک لعصمة الانبياء من الكبائر و الصغائر قبل النبوة و بعدها فلم يوصف بذلک فى غير القرآن لانه يوهم العامة وقوع معصية منه عليه الصلاة والسلام (قال) أى موسى (نعم قال) أى آدم (أفتلومنى) أى أتجد فى التوراة هذا فتلومنى (على أن عملت عملا كتبه الله على) أى فى الالواح (أن أعمله) بدل من ضمير كتبه المنصوب (قبل أن يخلقنى بأربعين سنة) قال التوربشتى ليس معنى قول آدم كتبه الله على ألزمه اياى و أوجبه على فلم يكن لى فى تناول الشجرة كسب و اختيار و انما المعنى ان الله تعالى أثبته فى أم الكتاب قبل كونى و حكم بأنه كائن لا بحالة فهل يمكن أن يصدر عنى خلاف علم الله تعالى فكيف تغفل عن العلم السابق

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى رواه مسلم و عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يوما

و تذكر الكسب الذى هو السبب و تنسى الاصل الذى هو القدر و أنت ممن اصطفاك الله و من المصطفين الذين يشاهدون سر الله من وراء الاستار و اعلم أن هذه القصة تشتمل على معان محررة لدعوى آدم عليه الصلاة والسلام مقررة لحجته منها أن هذه المحاجة لم تكن فى عالم الاسباب الذى لم يجوّز فيه قطع النظر عن الوسائط و الاكتساب بل فى عالم العلوى عند ملتقى الارواح و منها أنّ آدم عليه الصلاة والسلام احتج بذلك بعد اندفاع مواجب الكسب منه و ارتفاع أحكام التكليف عنه و منها أن اللائمة كانت بعد سقوط الذنب و موجب المغفرة قيل مذهب أهل الجبر اثبات التقدير لله تعالى و نفى القدرة عن العبد أصلا و المعتزلة على خلافه و كلا هما على شرف جرف هار و الطريق المستقيم القصد بين الامرين كما هو مذهب أهل السنة اذلا يجوز اسقاط الاصل الذى هو القدر و لا ابطال الكسب الذى هو السبب (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى) لامتناع رد علم الله فى حقه حيث أخبر به عنه انه انما خلقه للارض و أنه لا يتركه فى الجنة بل انه ينقله منها الى الارض ليكون خليفته تعالى فيها قال الطيبى اعادته فذلكة للتفصيل تثبيتا للانفس على هذا الاعتقاد و يحتمل أن يقال ان قوله فحج أولا تحرير للدعوى و ثانيا اثبات لها فالفاء فى الاول للعطف و فى الاخير للنتيجة اه و هما متغايران فى المعنى (رواه مسلم و عن ابن مسعود) رضى الله عنه (قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو الصادق المصدوق) الاولى أن تجعل هذه الجملة اعتراضية لا حالية لتعم الاحوال كلها و أن يكون من عادته ذلك فما أحسن موقعه ههنا و معناه الصادق فى جميع أفعاله حتى قبل النبوة لما كان مشهورا فيما بينهم بمحمد الامين المصدوق فى جميع ما أتاه من الوحى الكريم صدقه زيد راست كفت با و زيد قال النبى صلى الله عليه وسلم فى أبى العاص بن الربيع فصدقنى و قال فى حديث أبى هريرة صدقك و هو كذوب و قال على رضى الله عنه للنبى صلى الله عليه وسلم فى حديث الافك سل الجارية تصدقك و نظائره كثيرة كذا قال السيد جمال الدين و فيه رد على ما قيل ان الجمع بينهما تاكيد اذ يلزم من أحدهما الآخر اللهم الا أن يخص به (ان خلق أحدكم) بكسر الهمزة فتكون من جملة التحديث و يجوز فتحها أى مادة خلق أحدكم أو ما يخلق منه أحدكم (يجمع فى بطن أمه) أى يقرر و يحرز فى رحمها و قال فى النهاية و يجوز أن يريد بالجمع مكث النطفة فى الرحم (أربعين يوما) يتخمر فيها حتى يتهيأ للخلق قال الطيبى و قد روى عن ابن مسعود فى تفسير هذا الحديث ان النطفة اذا وقعت فى الرحم فأراد الله أن يخلق منها بشرا طارت فى بشرة المرأة تحت كل ظفر و شعر ثم تمكث أربعين ليلة ثم تنزل دما فى الرحم فذلك جمعها و الصحابة أعلم الناس بتفسير ما سمعوه و أحقهم بتأويله و أكثرهم احتياطا فليس لمن بعدهم أن يرد عليهم قال ابن حجر و الحديث رواه ابن أبى حاتم و غيره وصح تفسير الجمع بمعنى آخر و هو ما تضمنه قوله عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى اذا أراد خلق عبد فجامع الرجل المرأة طار ماؤه فى كل عرق و عضو منها فاذا كان يوم السابع جمعه الله ثم أحضره كل عرق له دون آدم فى أى صورة ما شاء ركبك و يشهد لهذا المعنى قوله عليه الصلاة والسلام لمن قال اه ولدت امرأتى غلاما أسود لعله نزعه عرق و أصل النطفة الماء القليل سمى بها المنى لقلته و قيل لنطافته أى سيلانه لانه ينطف نطفا أى يسيل قال الصوفية خصوصية الاربعين لموافقته تخمير طينة آدم و ميقات موسى ثم انه يعجن النطفة بتراب قبره

نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا

كما و رد فى تفسير قوله تعالى منها خلقنا كم ان الملك يأخذ من تراب مدفنه فيذ رها على النطفة ولكونه سلالة من الطين جاء مختلف الالوان و الاخلاق حسب اختلاف أجزاء الطين بل بحسب اختلاف المركبات من الطين فيه حرص النملة و الفأرة و شهوة العصفور و غضب الفهد و كبر النمر و بخل الكلب و شره الخنزير و حقد الحية و غير ذلك من ذمائم الصفات و فيه شجاعة الاسد و سخاوة الديك و قناعة البوم وحلم الجمل و تواضع الهرة و وفاء الكلب و بكور الغراب و همة البازى و نحوها من محاسن الاخلاق (نطفة) حال من فاعل يجمع (ثم يكون) أى خلق أحدكم (علقة) أى دما غليظا جامدا قال ابن حجر أى ثم عقب هذه الاربعين يكون فى ذلك المحل الذى اجتمعت فيه النطفة علقة و الاظهر أن قوله يكون بمعنى يصير و الضمير الى ما جمع فى بطن أمه نطفة وقيل يصير خلقه علقة لانها اذ ذاك تعلق بالرحم اه و فيه أنه يلزم منه أن الصيرورة فى أربعين و ليس كذلك فالظاهر أن يقدر و يبقى أو يمكث (مثل ذلك) اشارة الى محذوف أى مثل ذلك الزمان يعنى أربعين يوما (ثم يكون مضغة) أى قطعة لحم قدرما يمضغ (مثل ذلك) و يظهر التصوير فى هذه الاربعين قال المظهر فى هذا التحويل مع قدرته على خلقه فى لمحة فوائد و عبر منها أنه لو خلقه دفعة لشق على الام لعدم اعتيادها و ربما تظن علة فجعل أولا نطفة لتعتاد بها مدة و هكذا الى الولادة و منها اظهار قدرته و نعمته ليعبدوه و يشكروه حيث قلبهم من تلك الاطوار الى كونهم انسانا حسن الصورة متحليا بالعقل والشهامة ومنها ارشاد الناس و تنبيههم على كمال قدرته على الحشر لان من قدر على خلق الانسان من ماء مهين ثم من علقة ثم من مضغة مهيأة لنفخ الروح فيه يقدر على حشره و نفخ الروح فيه قلت و منها بل أظهرها تعليم العباد فى تدريج الامور و عدم تعجيلهم فيها فانه تعالى مع كمال قدرته و قوته على خلقه دفعة حيث خلقه مدرجا فان الانسان أولى بهالتأنى فى فعله كما قالوا مثل هذا فى قوله تعالى ان ربكم الله الذى خلق السموات و الارض فى ستة أيام فحصلت المطابقة و المناسبة و الموافقة بين الآيات الآفاقية و الدلالات الانفسية قال تعالى سنريهم آياتنا فى الآفاق و فى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق و منها تنبيههم و تفهيمهم أصلهم و فرعهم فلا يغتروا بقوة أبدانهم و أعضائهم و حواسهم و يعرفوا أنها كلها عطايا و هدايا بل على وجه العارية موجودة عندهم لينظروا فى مبدئهم كما قال تعالى فلينظر الانسان مم خلق و فى الحديث من عرف نفسه فقد عرف ربه (ثم يبعث الله اليه) أى الى خلق أحدكم أو الى أحدكم يعنى فى الطور الرابع حين ما يتكامل بنيانه و يتشكل أعضاؤه (ملكا) و فى الاربعين ثم يرسل اليه الملك و المراد بالارسال أمره بها و التصرف فيها لانه ثبت فى الصحيحين انه موكل بالرحم حين كان نطفة أو ذاك ملك آخر غير ملك الحفظ فان قلت قد ورد فى صحيح مسلم برواية حذيفة بن أسيد خلاف ابن مسعود كما فى المشارق أنه اذا مر بالنطفة ثنتان و أربعون ليلة بعث الله ملكا فصورها و خلق سمعها و بصرها و جلدها و عظامها ثم يقول يا رب أذكر أم أنثى فيقضى ربك ما شاء ثم يكتب أجله و رزقه فعلم منه أن التصوير بعد الاربعين الاولى و هو مناف لهذه الرواية فجوابه أن لتصرف الملك أوقاتا أحدها حين يكون نطفة ثم ينقلب علقة و هو أول علم الملك بأنه ولد و ذلك عقيب الاربعين الاولى و حينئذ يبعث اليه ربه يكتب رزقه و أجله و عمله و خلقته و صورته ثم يتصرف فيه بتصويره و خلق أعضائه و ذلك فى الاربعين الثالثة ثم ينفخ فيه الروح فالمراد بتصويرها بعده أنه يكتب ذلك ثم يفعله فى وقت آخر لان التصوير الاول بعد الاربعين الاولى

غير موجودعادة كذا فى شرح مسلم و لا يخفى ما فيه و قد استفاض بين النساء ان النطفة اذا قدرت ذكرا تتصور بعد الاربعين الاولى بحيث يشاهد منه كل شئ حتى السوأة فتحمل رواية ابن مسعود على البنات أو الغالب (بأربع كلمات) أى بكتابتها و كل قضية تسمى كلمة قولا كان أو فعلا (فيكتب عمله) من الخير و الشر (و أجله) مدة حياته أو انتهاء عمره (و رزقه) يعنى أنه قليل أو كثير و غير هما مما ينتفع به حلالا كان أو حراما ما كولا أو غيره فيعين له و ينقش فيه بعد أن كانت مكتوبة فى اللوح المحفوظ ما يليق به من الاعمال و الاعمار و الارزاق حسب ما اقتضته حكمته و سبقت كلمته فمن وجده مستعدا لقبول الحق و اتباعه و رآه أهلا للخير و أسباب الصلاح متوجها اليه أثبته فى عداد السعداء و من وجده متجافيا قاسى القلب متأبيا عن الحق أثبته فى ديوان الاشقياء و كتب ما يتوقع منه من الشرور و المعاصى هذا اذا لم يعلم من حاله ما يقتضى تغير ذلک و ان علم من ذلک شيأ كتب له أوائل أمره و أواخره و حكم عليه حسب ما يتم به عمله فان ملاک العمل خواتيمه و هو الذى يسبق اليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة و النار و قيل المراد بكتبه هذه الاشياء اظهاره للملک و الا فقضاؤه سابق على ذلک قال مجاهد يكتب هذه الكلمات فى ورقة و تعلق فى عنقه بحيث لا يراها الناس قال تعالى و كل انسان ألزمناه طائره فى عنقه قال أهل المعانى أراد بالطائر ما قضى عليه أنه عامله و هو صائر اليه من سعادة أو شقاوة و خص العنق لانه موضع القلادة و الاطواق قلت و هو كناية عن الذمة فكان هذه الاشياء فى ذمته أن يفعلها ولا يقدر أن ينفک عنها و قيل يؤمر بكتابة الاحكام المقدرة له على جبهته أو بطن كفه و اعلم أن الكتابة التى فى أم الكتاب تعم الاشياء كلها و هذا ما يخص به كل انسان اذ لكل كتابة سابقة و هى ما فى اللوح و لاحقة تكتب ليلة القدر و متوسطة أشير اليها فى الحديث و فى أصل الأربعين يكتب رزقه و أجله و عمله و شقى أو سعيد و هو بدل كل من قوله أربع اذ المضاف مقدر فيه و يروى يكتب على الاستئناف (و شقى) خبر مبتدا محذوف أى يكتب هو شقى (أو سعيد) قيل كان من حق الظاهر أن يقال و يكتب سعادته و شقاوته فعدل اما حكاية لصورة ما يكتبه الملک لانه يكتب أشقى أو سعيد و التقدير أنه شقى أو سعيد فعدل لان الكلام مسوق اليهما و التفصيل و هو قوله فو الذى الخ وارد عليهما و السعادة معاونة الامور الالهية للانسان على نيل الخيرات و تضادها الشقاوة و هى اما قلبية أو بدنية أو ماحول البدن فالقلبية هى المعارف و الحكم و الكمالات العلمية و العملية القلبية و الخلقية و البدنية الصحة و القوة و اللذات الجسمانية و ماحول البدن من الاموال و الاسباب و قدم الشقاوة ليعلم أن الشر كالخير من عندالله و تقديره ردا على الثنوية المثبتين شريكا فاعلا للشر لانهم طلبوا الحكمة فى أفعال الله فقالوا مدبر العالم لو كان واحدا لم يخص هذا بأنواع الخيرات و الصحة و الغنى و ذلک بأصناف الشرور فرد عليهم الرب بقوله لايسئل عما يفعل و ما أحسن قول الشاعر

كم من أديب فهم قلبه * مستكمل العقل مقل عديم

وكم جهول مكثر ماله * ذلک تقدير العزيز العليم

و تحقيق هذا المقام أن يقال ان لله صفتى لطف و قهر و الحكمة تقتضى أن يكون الملک سيما ملک الملوک كذلک اذ كل منهما من أوصاف الكمال ولا يقوم أحدهما مقام الآخر ولا يتحقق كل منهما الا بوجود الآخر كما لاتتبين اللذة الا بالالم و بضدها تتبين الاشياء ولابد لكل منهما من مظهر فالسعداء و أعمالهم مظاهر اللطف و فائدة بعثة الانبياء و الكتب ترجع اليهم انما أنت منذر من يخشاها

ثم ينفخ فيه الروح فوالذى لااله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه و بينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها و ان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه و بينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها

كما أن فائدة نور الشمس لاهل البصر و الاشقياء و أفعالهم مظاهر القهر وفائدة البعثة لهم الزام الحجة لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل و هى فى الحقيقة نعى عليهم بالشقاوة (ثم ينفخ) على البناء للمجهول و قيل انه معلوم (فيه الروح) بالوجهين أى ثم بعد هذا البعث لاقباله و عكس ذلك الواقع فى رواية البيهقى المرادبه ترتيب الاخبار فقط على أن رواية الشيخين مقدمة على غيرها كذا ذكره ابن حجر لكن وقع فى الاربعين النووية بلفظ فينفخ فيه الروح و يؤمر الخ و نسب الى الشيخين فتأمل فلعلهما لهما روايتان و الله أعلم (فوالذى لااله غيره) القسم لافادة التحقيق و تأكيد التصديق أى اذا كان الشقاوة و السعادة مكتوبة فوالله الذى لااله غيره وليعلم فى أمر القضاء ان الكسب لا مدخل له فى الحقيقة (ان أحدكم) ولفظ المصابيح فان الرجل أى الشخص (ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون) فى الموضعين بالرفع لا لان ما النافية كافة عن العمل بل لان المعنى على حكاية حال الرجل لا الاخبار عن المستقبل كذا قاله السيد جمال الدين و قال المظهر حتى هى الناصبة و ما نافية و لفظة يكون منصوبة بحتى و ما غير مانعة لها من العمل و قال ابن الملك الاوجه أنها عاطفة و يكون بالرفع عطف على ما قبله (بينه و بينها) أى بين الرجل و بين الجنة (الا ذراع) تمثيل لغاية قربها (فيسبق عليه الكتاب) ضمن معنى يغلب ولذا عدى بعلى والافهو متعد بنفسه أى يغلب عليه كتاب الشقاوة و التعريف للعهد و الكتاب بمعنى المكتوب أى المقدر أو التقدير أى التقدير الازلى و الفاء للتعقيب يدل على حصول السبق بلامهلة (فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها) فيه اشارة الى أن دخول النار لا يكون بمجرد تعلق العلم الالهى بل لابد من ظهور العمل المخلوق فلا يكون جبرا محضا ولا قدرا بحتا و هذا مما سنح لى و قيل لان بذر الشقاوة و السعادة قد اختفى فى الاطوار الانسانية لايبرز الا اذا انتهى الى الغاية الايمانية أو الطغيانية و الله أعلم (و ان أحدكم) أى الآخر (ليعمل بعمل أهل النار) من الكفر و المعاصى (حتى ما يكون) بالوجهين (بينه و بينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب) قيل فيه دلالة ظاهرة على أن الاعمال أمارات لاموجبات و ان مصيرها الى ما جرى به المقادير فى البداية (فيعمل بعمل أهل الجنة) بان يستغفر و يتوب (فيدخلها) أقول فى الحديث تنبيه على ان السالك ينبغى أن لايغتر باعماله الحسنة و يجتنب العجب و التكبر و الاخلاق السيئة ويكون بين الخوف و الرجاء و مسلما بالرضا تحت حكم القضاء و كذا اذا صدرت منه الاعمال السيئة فلاييأس من روح الله تعالى الطيبة فانها اذا بدت عين العناية ألحقت الآخرة بالسابقة و كذا الحال بالنسبة الى الغير فى الاعمال فلايحكم لاحد بأنه من أهل الجنة و الدرجات و ان عمل ما عمل من الطاعات أوظهر عليه من خوارق العادات ولايجزم فى حق أحد بانه من أهل النار و العقوبات ولو صدر منه جميع السيآت و المظالم و التبعات فان العبرة بخواتيم الحالات ولا يطلع عليها غير عالم الغيب و الشهادات ثم اعلم أن ما يجرى فى العالم من الايمان و الكفر و السعادة و الشقاوة من الكليات و الجزئيات بتقديرالله و ايجاده اذ لا مؤثر فى الوجود الاالله المتعالى عن الشريك ذاتا و صفة و فعلا يفعل الله ما يشاء لاعلة لفعله ولا معقب لحكمه لايسأل عما يفعل ولا مجال للعقل فى تحسين الافعال و تقبيحها بل يحسن صدورها كلها عنه و الاستقلال للعبد فى الافعال و المدح و الذم باعتبار المحلية لا باعتبار الفاعلية كما يمدح الشئ بحسنه و الثواب و العقاب كسائر الامور العادية فان الله أجرى

متفق عليه و عن سهل بن سعد قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم ان العبد ليعمل عمل أهل النار و انه من أهل الجنة و يعمل عمل أهل الجنة و انه من أهل النار و انما الاعمال بالخواتيم متفق عليه و عن عائشة رضي‌الله‌عنها قالت دعي رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم الى جنازة صبي من الانصار فقلت يارسول‌الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة

عادته بأن يوجد الاسباب أولا ثم يوجد المسببات عقيبها فكل منهما صادر عنه ابتداء و اما البعثة و التكليف فلأن الله يجب اتصافه بالامر و النهي و الوعد و الوعيد ولابدلها من مظهر كما كان كذلك في جميع الصفات فكلف العباد بهما ورتب عليه الوعد و الوعيد اظهارا لمقتضى سلطنته كما قال كنت كنزا مخفيا فأردت أن أعرف فخلقت الخلق لان أعرف (متفق عليه و عن سهل بن سعد) أي الساعدي الانصاري يكنى أبا العباس وكان اسمه حزنا فسماه النبي صلی‌الله‌علیه‌وسلم سهلا و مات النبي صلی‌الله‌علیه‌وسلم و له خمس عشرة سنة ومات سهل بالمدينة سنة احدى و تسعين و هو آخر من مات بالمدينة من الصحابة روى عنه ابنه العباس و الزهري و أبو حازم (رضي‌الله‌عنه قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم ان العبد) أي عبد من عبيدالله (ليعمل عمل أهل النار) أي ظاهرا و صورة أو أولا أو في نظر الخلق (و انه من أهل الجنة) أي باطنا و معنى أو آخرا أو في علم الله‌تعالى و الواو حالية و ان مكسورة بعدها (و يعمل) أي عبد آخر (عمل أهل الجنة و انه من أهل النار و انما الاعمال) أي اعتبارها (بالخواتيم) أي بما يختم عليه أمر عملها و هو تذييل لما قبله مشتمل على حاصله فرب كافر متعند يسلم في آخر عمره و رب مسلم متعبد يكفر في غاية أمره قيل في هذا الحديث حث على مواظبة الطاعات و محافظة الاوقات عن المعاصي و السيئات خوفا من أن يكون ذلك آخر عمله و فيه زجر عن العجب فان العبد لايدري ماذا يصيبه في العاقبة و فيه انه لايجوز الشهادة لاحد بالجنة ولا بالنار قيل و فيه أيضا أنه تعالى يتصرف في ملكه كيف يشاء و كل ذلك عدل و صواب ولا اعتراض بل لانجاة الا بالتسليم لقضاء الله‌تعالى و قدره (متفق عليه و عن عائشة رضي‌الله‌عنها) هي أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق و أمها أم رومان بنت عامر بن عويمر خطبها النبي صلی‌الله‌علیه‌وسلم و تزوجها بمكة في شهر شوال سنة عشر من النبوة و قبل الهجرة بثلاث سنين و قيل غير ذلك و أعرس بها بالمدينة في شوال سنة اثنتين من الهجرة على رأس ثمانية عشرة شهرا و لها تسع سنين و بقيت معه تسع سنين ومات عنها و لها ثماني عشرة سنة ولم يتزوج بكرا غيرها و كانت فقيهة عالمة فصيحة فاضلة كثيرة الحديث عن رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم عارفة بايام العرب و أشعارها روى عنها جماعة كثيرة من الصحابة و التابعين وماتت بالمدينة سنة سبع و خمسين ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان و أمرت أن تدفن ليلا فدفنت بالبقيع و صلى عليها أبوهريرة و كان يومئذ خليفة مروان على المدينة في أيام معاوية مروياتها ألف ومائتا حديث و عشرة أحاديث (قالت دعي) مجهول (رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم) أي للصلاة (الى جنازة صبي) بفتح الجيم و تكسر (من الانصار فقلت يارسول‌الله طوبى لهذا) طوبى فعلى من طاب يطيب قلبت الياء واوا وكسرت الباء في بيض جمع أبيض ابقاء للاصل و اختلفوا في معناه فقال ابن عباس في قوله تعالى طوبى لهم معناه فرح و قرة عين لهم و قيل الحسنى لهم و قيل خير و كرامة لهم و قيل اسم الجنة بالحبشية و قيل اسمها بالهندية و قيل اسم شجر في الجنة و قيل معناه أصيب خيرا على الكناية لان اصابة الخير مستلزمة لطيب العيش ولانه يقال في حق المصيب طوبى لك فاطلق اللازم على الملزوم و قيل طوبى تأنيث أطيب أي الراحة وطيب العيش حاصل لهذا الصبي (هو عصفور) أي طير صغير (من عصافير الجنة)

لم يعمل السوء ولم يدركه فقال أو غير ذلك ياعائشة ان الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم و خلق للنار أهلا خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم

أي هو مثلها من حيث انه لاذنب عليه و ينزل فى الجنة حيث يشاء قال ابن الملك شبهته بالعصفور كما هو صغير اما بالنسبة الى ما هو أكبر منه من الطيور و اما لكونه خاليا من الذنوب من عدم كونه مكلفا اه والاظهر الثانى فهو تشبيه بليغ و ما قيل من أن هذا ليس من باب التشبيه لانه لاعصفور فى الجنة فممنوع لما ورد فى الحديث ان فى الجنة طيرا كأمثال البخت تأتى الرجل فيصيب منها ثم تذهب كأن لم ينقص منها شئ و قد قال تعالى ولحم طير مما يشتهون و أما ما ذكره ابن حجر من حديث ان أرواح الشهداء فى أجواف طيور خضر و خبر نسمة المؤمن أى روحه طائر تعلق فى شجر الجنة فليس يصلح سندا للمنع كما لا يخفى (لم يعمل السوء) بضم السين و يجوز فتحه أى الذنب قال المظهر أى لم يعمل ذنبا يتعلق بحقوق الله و أما حقوق العباد كاتلاف مال مسلم و قتل نفس فيؤخذ منه الغرم و الدية و اذا سرق يؤخذ منه المال ولا تقطع يده لانه من حقوق الله قلت لاتسمى هذه الافعال منه ذنوبا فتأمل (ولم يدركه) أى ولم يلحقه السوء فيكون تأكيدا أولم يدرك هو السوء أى وقته لموته قبل التكليف فضلا عن عمله و التأسيس أولى و مع افادة المبالغة أحرى (فقال أو غير ذلك) بفتح الواو وضم الراء وكسر الكاف هو الصحيح المشهور من الروايات و التقدير أتعتقدين ما قلت و الحق غير ذلك و هو عدم الجزم بكونه من أهل الجنة فالواو للحال و فى الفائق الهمزة للاستفهام أى الانكارى و الواو عاطفة على محذوف و غير مرفوع بضمير تقديره أو وقع هذا و يحتمل غير ذلك قيل وروى أو بسكون الواو التى لاحد الامرين أى الواقع هذا أو غير ذلك و قيل التقدير أو هو غير ذلك وروى بنصب غير أى أو يكون غير ذلك أو التقدير أو غير ما قلت و قيل يجوز أن يكون أو بمعنى بل كقوله تعالى مائة ألف أو يزيدون أى بل غير ذلك محتمل أو يحتمل غير ذلك و كأنه عليه الصلاة والسلام لم يرتض قولها لمافيه من الحكم بالجزم بتعيين ايمان أبوى الصبى أو أحدهما اذ هو تبع لهما و مرجع معنى الاستفهام الى هذا لانه للانكار للجزم و تقرير لعدم التعيين قلت و فيه دلالة على أن أولاد الكفار ليسوا من أهل الجنة بل انهم من أهل النار كما يدل عليه قوله (ياعائشة ان الله خلق للجنة أهلا) يدخلونها و يتنعمون بها (خلقهم لها) كرره لاناطة أمر زائد به و هو قوله (وهم فى أصلاب آبائهم) و الجملة حال اهتماما قيل و يحتمل أن يراد به خلق الذر فى ظهر آدم و استخرجها ذرية من صلب كل واحد الى انقراض العالم و قيل عين فى الازل من سيكون من أهل الجنة و من سيكون من أهل النار فعبر عن الازل باصلاب الآباء تقريبا لافهام العامة (و خلق للنار أهلا) فيه ايماء الى أنه لااعتراض فانهم أهل لها أهلية لا يعلمها الا خالقها (خلقهم لها وهم فى اصلاب آبائهم) و انما يظهر منهم من الاعمال ما قدر لهم فى الازل قال القاضى فى حديث عائشة رضى الله عنها اشارة الى أن الثواب و العقاب لا لاجل الاعمال والالكان ذرارى المسلمين و الكافرين لا من أهل الجنة ولا من أهل النار بل الموجب هو اللطف الربانى و الخذلان الالهى المقدر لهم وهم فى الاصلاب فالواجب التوقف و عدم الجزم و قال النووى أجمع من يعتد به من علماء المسلمين على ان من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة و توقف فى ذلك بعض لهذا الحديث و أجابوا عنه بانه لعله نهاها عن المسارعة الى القطع من غير أن يكون عندها دليل قاطع و يحتمل انه عليه الصلاة والسلام قال هذا قبل أن يعلم ان أطفال المسلمين فى الجنة اه و الاصح ما تقدم من انه لم يرتض هذا القول منها لما فيه من الحكم بالغيب و الجزم بايمان

رواه مسلم و عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد الا و قد كتب مقعده من النا و مقعده من الجنة قالوا يارسول الله أفلا نتكل على كتابنا و ندع العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له

أصل الولد لانها أشارت الى طفل معين فالحكم على شخص معين بانه من أهل الجنة لايجوز من غير ورود النص لانه من علم الغيب و قد يقال التبعية فى الدنيا من الايمان و الكفر و حكمها من أمور الآخرة ففيه ارشاد للامة الى التوقف فى الامور المبهمة و السكوت عما لاعلم لهم به و حسن الادب بين يدى علام الغيوب قال ابن حجر ولعل هذا كان قبل ما نزل عليه فى ولدان المؤمنين و الكفار انهم فى الجنة اجماعا فى الاول و على الاصح فى الثانى (رواه مسلم و عن على رضى الله عنه) هو أمير المؤمنين على ابن أبى طالب يكنى أبا الحسن و أبا تراب القرشى و هو أول من أسلم من الذكور فى أكثر الاقوال و من الصبيان فى جميعها و قد اختلف فى سنه يومئذ فقيل كان له خمس عشرة سنة و قيل ثمان سنين و قيل عشر سنين شهد مع النبى صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها غير تبوك فانه خلفه فى أهله و فيها قال له أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هرون من موسى كان آدم شديد الادمة عظيم العينين أقرب الى القصر من الطول ذابطن كثير الشعر عريض اللحية اصلع أبيض الرأس و اللحية استخلف يوم قتل عثمان و هو يوم الجمعة لعثمان عشرة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين و ضربه عبدالرحمن بن ملجم المرادى بالكوفة صبيحة الجمعة لسبع عشرة خلت من شهر رمضان سنة أربعين ومات بعد ثلاث ليال من ضربته و غسله ابناه الحسن و الحسين و عبدالله بن جعفر و صلى عليه الحسن و دفن سحرا و له من العمر ثلاث و ستون سنة و كانت خلافته أربع سنين و تسعة أشهر و أياما روى عنه بنوه الحسن و الحسين و محمد و خلائق من الصحابة و التابعين (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد) من مزيدة لاستغراق النفى (الا و قد كتب مقعده من النار) الواو للحال و الاستثناء مفرغ أى ما وجد أحد منكم فى حال من الاحوال الا فى هذه الحالة أى الا وقد قدر مقعده من النار (و مقعده) الواو بمعنى أو بدليل قوله فى الحديث أفلا نتكل و قد ورد فى بعض الروايات بلفظ أو كذا حرره السيد جمال الدين أى موضع قعوده (من الجنة) قال الطيبى كنى عن كونه من أهل الجنة أو النار باستقراره فيها و ظاهر الكلام يقتضى أن يكون لكل أحد مقعد من النار و مقعد من الجنة و هذا و ان ورد فى حديث آخر يعنى فى عذاب القبر رواه أنس لكن التفصيل الآتى يأبى حمله على ذلك فيجب أن يقال ان الواو بمعنى أو قال المظهر قد ورد هذا الحديث بلفظ الواو فى بعض الروايات و ليس فى شرح السنة الا بلفظ أو (قالوا يارسول الله أفلا نتكل على كتابنا) المقدر لنا فى الازل قيل الفاء فى جواب الشرط أى اذا كان الامر كما ذكرت يارسول الله أفلا نعتمد على ما كتب لنا فى الازل (و ندع العمل) أى نتركه لانه لافائدة فى اتعاب أنفسنا بالاعمال لان قضاياه لاتتغير فلم يرخص عليه السلام فى ذلك الاتكال و ترك الاعمال حيث (قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له) بل أمرهم بالتزام ما يجب على العبد من امتثال أمر مولاه من العبودية عاجلا و تفويض الامر اليه بحكم الربوبية آجلا و أعلمهم بان ههنا أمرين لايبطل أحدهما الآخر باطن و هو حكم الربوبية و ظاهر و هو سمة العبودية فأمر بكليهما ليتعلق الخوف بالباطن المغيب و الرجاء بالظاهر البادى ليستكمل العبد بذلك صفات الايمان و نعوت الايقان و مراتب الاحسان يعنى عليكم بالتزام ما أمرتم واجتناب ما نهيتم من التكاليف الشرعية بمقتضى العبودية و اياكم و التصرف فى الامور الربوبية و لا تجعلوا الاعمال أسبابا للسعادة و الشقاوة بل أمارات لهما و علامات فكل موفق و مهيأ لما خلق له أى لامر قدر ذلك الامر له من الخير و الشر و الفاء فى فكل للسببية و التنوين عوض عن المضاف اليه

اما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل السعادة و أما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل الشقاوة ثم قرأ فأما من أعطى و اتقى و صدق بالحسنى الآية متفق عليه و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر و زنا اللسان المنطق و النفس

و الحاصل ان الامر المبهم الذى ورد عليه البيان من هذا الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم هو أنه بين ان القدر فى حق العباد واقع على تدبير الربوبية و ذلك لايبطل تكليفهم العمل بحق العبودية فكل من الخلق ميسر لما دبر له فى الغيب فيسوقه العمل الى ما كتب له فى الازل من سعادة أو شقاوة فمعنى العمل التعرض للثواب و العقاب و نظيره الرزق المقسوم مع الامر بالكسب ثم فصل عليه الصلاة والسلام ما أجمله بقوله (أما من كان) أى فى علم الله أو كتابه أو فى آخر أمره و خاتمة عمله (من أهل السعادة) أى الايمان فى الدنيا و الجنة فى العقبى (فسييسر) أى يسهل و يوافق و يهيأ (لعمل السعادة) أى لعمل أهلها (و أما من كان من أهل الشقاوة) و هو ضد السعادة و فى المصابيح بلفظ الشقوة بكسر الشين و هو مصدر بمعنى الشقاوة (فسييسر لعمل الشقاوة) أى أهلها من الكفرة و الفجرة (ثم قرأ) أى النبى صلى الله عليه وسلم استشهادا أو اعتضادا (فاما من أعطى) أى حق الله من المال أو الامتثال (و اتقى) أى خاف مخالفته أو عقوبته و اجتنب معصيته (و صدق بالحسنى) أى بكلمة لااله الاالله و أخر فى الذكر ترقيا أو اشارة الى حسن الخاتمة (الآية) لا يخفى ان الحسنى و أس آية فالمراد ما بعدها من الآيات المتعلقة بها المناسبة لها و هى (فسنيسره لليسرى) قال البيضاوى أى فسنهيئه للخلة التى تؤدى الى يسر وراحة كدخول الجنة (و أما من بخل) أى بما أمر به (و استغنى) بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى (و كذب بالحسنى) أى بكلمة التوحيد (فسنيسره للعسرى) أى للخلة المؤدية الى العسر و الشدة كدخول النار و فى الكشاف سمي طريقة الخير باليسرى لان عاقبته اليسر و طريقة الشر بالعسرى لان عاقبته العسر و فى المعالم فسنيسره أى نهيئه فى الدنيا لليسرى للخلة اليسرى و هو العمل بما يرضاه و أما من بخل بالنفقة فى الخير و استغنى عن ثواب الله تعالى و لم يرغب فيه فسنيسره للعسرى أى سنهيئه للشر بان نجريه على يديه حتى يعمل بما لا يرضى الله و يستوجب به النار قال مقاتل يعسر عليه بان يأتى خيرا اه و لا يخفى ان ما فى البيضاوى غير ملائم لمعنى الحديث لانعكاسه بالمعنى المقصود منه فالمدار على ما فى المعالم و الكشاف لكن السين فى الآية تحمل على مجرد التأكيد لا على الاستقبال و الله أعلم بالحال (متفق عليه و عن أبى هريرة) رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله كتب) أى أثبت فى اللوح المحفوظ (على ابن آدم حظه) أى نصيبه (من الزنا) بالقصر على الافصح و من بيانية و ما يتصل بها حال من حظه و جعلها تبعيضية كما ذكره ابن حجر غير ظاهر و المراد من الحظ مقدمات الزنا من التمنى و التخطى و التكلم لاجله و النظر و اللمس و التخلى و قيل أثبت فيه سببه و هو الشهوة و الميل الى النساء و خلق فيه العينين و الاذنين و القلب و الفرج و هى التى تجد لذة الزنا أو المعنى قدر فى الازل أن يجرى عليه الزنا فى الجملة (أدرك) أى أصاب ابن آدم و وجد (ذلك) أى ما كتبه الله و قدره و قضاه أو حظه (لا محالة) بفتح الميم و بضم أى لا بد له و لا فراق و لا احتيال منه فهو واقع ألبتة (فزنا العين) بالافراد لارادة الجنس و فى نسخة بالتثنية (النظر) أى حظها النظر على قصد الشهوة فيما لايحل له و قد ورد النظر سهم مسموم من سهام ابليس لان النظر قد يجر الى الزنا فتسمية مقدمة الزنا بالزنا مبالغة أو اطلاق للمسبب على السبب (و زنا اللسان المنطق) أى التكلم على وجه الحرمة كالمواعدة (و النفس) أى القلب

تمنى و تشتهي و الفرج يصدق ذلك و يكذبه متفق عليه و في رواية لمسلم قال كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لامحالة العينان زناهما النظر و الاذنان زناهما الاستماع و اللسان زناه الكلام و اليد زناها البطش و الرجل زناها الخطا و القلب يهوى و يتمنى و يصدق ذلك الفرج و يكذبه

كما في الرواية الآتية و لعل النفس اذا طلبت تبعها القلب (تمنى) بحذف احد التاءين (و تشتهي) لعله عدل عن سنن السابق لافادة التجدد أي زنا النفس تمنيها و اشتهاؤها وقوع الزنا الحقيقي و التمني أعم من الاشتهاء لانه قد يكون في الممتنعات دونه و فيه دلالة على ان التمني اذا استقر في الباطن و أصر صاحبه عليه ولم يدفعه يسمى زنا فيكون معصية و يترتب عليه عقوبة و لو لم يعمل فتأمل (و الفرج يصدق ذلك و يكذبه) قال الطيبي سمى هذه الاشياء باسم الزنا لانها مقدمات له مؤذنة بوقوعه و نسب التصديق و التكذيب الى الفرج لانه منشؤه و مكانه أي يصدقه بالاتيان بما هو المراد منه و يكذبه بالكف عنه و قيل معناه ان فعل بالفرج ما هو المقصود من ذلك فقد صار الفرج مصدقا لتلك الاعضاء و ان ترك ما هو المقصود من ذلك فقد صار الفرج مكذبا قال ابن حجر فان حقق زناه فيوقع صاحبه في تلك الكبيرة و ان كذبه بأن لا يزني فيستمر زنا تلك الاعضاء على كونها صغيرة أقول الاظهر أن يقال و الفرج أي عمله يصدق ذلك التمني و يكذبه وهو أقرب لفظا و أنسب معنى و قيل معنى كتب انه أثبت عليه ذلك بان خلق له الحواس التي يجد بها لذة ذلك الشئ و أعطاه القوى التي بها يقدر على ذلك الفعل فبالعينين و بما ركب فيهما من السر الباصرة تجد لذة النظر و على هذا و ليس المعنى أنه الجأه اليه و أجبره عليه بل ركز في جبلته حب الشهوات ثم انه تعالى برحمته و فضله يعصم من يشاء كذا قاله بعض الشراح و قيل هذا ليس على عمومه فان الخواص معصومون عن الزنا و مقدماته و يحتمل أن يبقى على عمومه بأن يقال كتب الله على كل فرد من بني آدم صدور نفس الزنا فمن عصمه الله عنه بفضله صدر عنه من مقدماته الظاهرة و من عصمه بمزيد فضله و رحمته عن صدور مقدماته و هم خواص عباده صدر عنه لا محالة بمقتضى الجبلة مقدماته الباطنة و هي تمني النفس و اشتهاؤها اه قلت المراد بالمقدمات الباطنة الخواطر الذميمة التي غير اختيارية و يؤيده قوله تعالى و لقد همت به و هم بها (متفق عليه) و رواه أبو داود (و في رواية) أخرى (لمسلم قال كتب) مجهول و قيل معلوم (على ابن آدم) أي هذا الجنس أو كل فرد من أفراده و استثنى الانبياء (نصيبه) أي حظه أو مقدار ما قدر له (من الزنا مدرك) بالتنوين و يجوز الاضافة (ذلك) يعني هو أي ابن آدم واصله حظه و نصيبه أو نصيبه المقدر يدركه و يصيبه (لا محالة) أي لا حائل بينه و بينه أو لا حيلة له في دفعه فلا بد منه اذ لا حذر من القدر ولا قضاء مع القضاء (العينان زناهما النظر) فانه حظهما و لذتهما (و الاذنان) بضم الذال و تسكن (زناهما الاستماع) أي الى كلام الزانية أو الواسطة فهو حظهما و لذتهما به قال ابن حجر أي الى صوت المرأة الاجنبية مطلقا بناء على انه عورة أو بشرط الفتنة بناء على الاصح انه ليس بعورة (و اللسان زناه الكلام) أي مع الاجنبية بالمواعدة على الزنا أو مع من يتوسل به اليها على وجه الحرام و يدخل فيه الشاء الشعر و الشاده فيها (و اليد زناها البطش) أي الاخذ و اللمس و يدخل فيه الكتابة اليها و رمي الحصا عليها و نحوهما (و الرجل زناها الخطا) جمع خطوة و هي ما بين القدمين يعني زناهما نقل الخطا أي المشي أو الركوب الى ما فيه الزنا (و القلب يهوى) بفتح الواو أي يحب و يشتهي (و يتمنى و يصدق ذلك) أي ما ذكر من المقدمات أي ما تتمناه النفس و تدعو اليه الحواس و هو الجماع (الفرج) أي يوافقه و يطابقه بالفعل (و يكذبه) أي بالترك

و عن عمران بن حصين ان رجلين من مزينة قالا يارسول‌الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم و يكدحون فيه أشئ قضى عليهم و مضى فيهم من قدر سبق أو فيما يستقبلون به

و الكف عنه فان تركه خوفا من الله فيثاب عليه و ان تركه اضطرارا لا يعاقب عليه فقط (و عن عمران ابن حصين) مصغرا رضي‌الله عنهما يكنى أبا نجيد بضم النون و فتح الجيم و سكون الياء بعدها دال مهملة الخزاعى الكعبى أسلم عام خيبر سكن البصرة الى أن مات بها سنة اثنتين و خمسين و كان من فضلاء الصحابة و فقهائهم أسلم هو و أبوه روى عنه أبو رجاء و مطرف و زرارة بن أبى أوفى (أن رجلين من مزينة) بالتصغير اسم قبيلة (قالا يا رسول‌الله أرأيت) أى أخبرنى من اطلاق اسم السبب على المسبب لان مشاهدة الأشياء طريق الى الاخبار عنها و الهمزة فيه مقررة أى قد رأيت ذلك فأخبرنى به (ما يعمل الناس) من الخير و الشر (اليوم) أى فى الدنيا (و يكدحون فيه) أى يسعون فى تحصيله بجهد و كد (أشئ) خبر مبتدأ محذوف أى أهو شئ (قضى عليهم) بصيغة المجهول أى قدر فعله عليهم (و مضى فيهم) بصيغة الفاعل أى نفذ فى حقهم (من قدر سبق) أى فى الازل و من اما بيانية لشئ و يكون القضاء و القدر شيأ واحدا كما قاله بعضهم أو على الاطلاق اللغوى و اما تعليلية متعلقة بقضى أى قضى عليهم لاجل قدر سبق و اما ابتدائية أى القضاء نشأ و ابتدأ من خلق مقدر فيكون القدر سابقا على القضاء قال فى النهاية المراد بالقدر التقدير و بالقضاء الخلق لقوله تعالى فقضاهن سبع سموات فالقضاء و القدر متلازمان لان أحدهما و هو القدر بمنزلة الاساس و الآخر و هو القضاء بمنزلة البناء و قال الراغب القضاء من الله تعالى أخص من القدر لانه الفصل بين التقدير و القدر هو التقدير و القضاء هو الفصل و القطع و قد ذكر بعض العلماء ان القدر بمنزلة المعد للكيل و القضاء بمنزلة الكيل و لهذا لما قال أبو عبيدة لعمر رضي‌الله‌عنهما لما أراد الفرار من الطاعون بالشام أتفر من القضاء قال أفر من قضاء الله الى قدر الله تنبيها على ان القدر ما لم يكن قضاء فمرجوّ أن يدفعه الله فاما اذا قضى فلا يندفع ويشهد لذلك قوله تعالى و كان أمرا مقضيا و قوله حتما مقضيا تنبيها على أنه صار بحيث لا يمكن تلافيه و هذا مخالف لما نقلناه عن القاضى فى حديث جبريل عليه‌السلام قال بعض العارفين القدر كتقدير النقاش الصورة فى ذهنه و القضاء كرسمه تلك الصورة للتلميذ بالاسرب و وضع التلميذ الصبغ عليها متبعا الرسم الاستاذ هو الكسب و الاختيار و التلميذ فى اختياره لا يخرج عن رسم الاستاذ كذلك العبد فى اختياره لا يمكنه الخروج عن القضاء و القدر (أو فيما يستقبلون به) قال السيد جمال‌الدين كذا وقع بصيغة المجهول فى أصل سماعنا من صحيح مسلم و هو الارجح معنى أيضا لكن وقع فى أكثر نسخ المشكاة بصيغة المعروف و قال الطيبى كذا يعنى أو فى صحيح مسلم و كتاب الحميدى و جامع الاصول و وقع فى نسخ المصابيح أم فيمايستقبلون قيل على كلتا الروايتين ليس السؤال عن تعيين أحد الامرين لان جوابه عليه الصلاةوالسلام و هو قوله لا غير مطابق له فنقول أم منقطعة و أو بمعنى بل فان السائل لما رأى أن الرسل يأمرون أممهم و ينهون اعتقد أن الامر أنف كما زعمت المعتزلة فاضرب عن السؤال الاول و الهمزة للتقرير و الاثبات فلذلك نفى رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم ما أثبته و قرره و أكده بيل و لو كان السؤال عن التعيين لقال السائل أشئ قضى عليهم أم شئ يستقبلونه و قيل كان حق العبارة أشئ قضى علينا أم شئ نستقبله بالتكلم فغير العبارة و عدل عن التكلم الى الغيبة و عمم الامم كلها و أنبياءهم فدل ذلك على صحة ما قيل من الاضراب و قيل و هو الاظهران المعنى أم شئ لم يقض عليهم فى الازل بل هو كائن فيما يستقبلون من الزمان فيه يتوجهون الى العمل و يقصدون من غير سبق تقدير قبل ذلك

مما أتاهم به نبيهم و ثبتت الحجة عليهم فقال لا بل شئ قضى عليهم و مضى فيهم و تصديق ذلک فى كتاب الله عزوجل و نفس و ما سواها فألهمها فجورها و تقواها رواه مسلم و عن أبى هريرة قال قلت يا رسول‌الله انى رجل شاب و أنا أخاف على نفسى العنت و لا أجد ما أتزوج به النساء كأنه يستأذنه فى الاختصاء قال فسکت عنى ثم قلت مثل ذلک فسکت عنى ثم قلت مثل ذلک فسکت عنى ثم قلت مثل ذلک فقال النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم يا أبا هريرة جف القلم بما أنت لاق فاختص على ذلک أو ذر

(مما أتاهم) أى جاءهم (به نبيهم) الباء للتعدية و لفظ من فى مما أتاهم بيان لما فى قوله ما يعمل الناس أو بيان لما فى قوله ما يستقبلون و الاول أولى كما قال السيد جمال‌الدين (و ثبتت الحجة عليهم) قال تعالى قل فلله الحجة البالغة (فقال لا) أى لا تردد (بل شئ قضى) أى قدر (عليهم و مضى) أى سبق (فيهم و تصديق ذلک) اشارة الى ما ذكر اله قضى عليهم (فى كتاب الله عزوجل و نفس) بالجر على الحكاية (و ما سواها فألهمها فجورها و تقواها) وجه الاستدلال من النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم بالآية أن ألهمها بلفظ الماضى يدل على أن ما يعملونه من الخير و الشر قد جرى فى الازل و الواو فى و نفس للقسم أو للعطف على المقسم به و المراد نفس آدم لانه الاصل فالتنوين للتقليل و قيل المراد جميع النفوس كقوله تعالى علمت نفس ما أحضرت فالتنوين للتنكير و ما فى ما سواها بمعنى من أى و من خلقها يعنى به ذاته تعالى أى خلقها على أحسن صورة و زينها بالعقل و التمييز و فى الحديث اللهم آت نفسى تقواها و زكها فأنت خير من زكاها أنت وليها و مولاها (رواه مسلم و عن أبى هريرة) رضى‌الله‌عنه (قال قلت يا رسول‌الله انى رجل شاب) أى قوى الشهوة (و أنا أخاف) قال الشيخ و فى البخارى و انى أخاف (على نفسى) بفتح الفاء و تسكن (العنت) بفتحتين أى الزنا أو مقدماته و أصل العنت المشقة سمى به الزنا لانه سبب العذاب فى الدنيا و العقبى (و لا اجد) أى من المال (ما أتزوج به النساء) أراد به الجنس أى مقدار ما أتزوج به امرأة و أنفق عليها فاذا عجز عن تزوج المرأة فالعجز عن شراء الجارية أولى (كأنه يستأذنه فى الاختصاء) بالمد أى قطع الانثيين أو سلهما و يحتمل قطع الذكر أيضا فيكون الاختصاء تغليبا هذا كلام الراوى عن أبى هريرة قال الابهرى و ليس هذا فى البخارى (قال) أى أبو هريرة (فسکت) أى النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم (عنى) أى عن جوابى (ثم قلت مثل ذلک) أى القول (فسکت عنى) ثانيا (ثم قلت مثل ذلک) لعله يجيبنى (فسکت عنى) ثالثا (ثم قلت مثل ذلک) أى الحاحا و مبالغة (فقال النبى) و فى نسخة رسول‌الله (صلى‌الله‌عليه‌وسلم يا أبا هريرة جف القلم بما أنت لاق) أى ملاق بما تفعله و تقوله و يجرى عليک قال التوربشتى جف القلم كناية عن جريان القلم بالمقادير و امضائها و الفراغ منها لان الفروغ بعد الشروع يستلزم جفاف القلم عن مداده فأطلق اللازم على الملزوم و هذه العبارة من مقتضيات الفصاحة النبوية (فأختص) قال التوربشتى الرواية الصحيحة فاختص بتخفيف الصاد من الاختصاء و قد صحفه بعض أهل النقل فرواه على ما هو فى المصابيح يعنى فاختصر بزيادة الراء قال و لا يشتبه ذلک الا على عوام أصحاب النقل و فى شرح الطيبى قال المؤلف الحديث فى البخارى و كتاب الحميدى و شرح السنة و بعض نسخ المصابيح كما ذكره التوربشتى (على ذلک) فى موضع الحال يعنى اذا علمت أن كل شئ مقدر فاختص حال كون فعلک و ترکک واقعا على ما جف القلم (أو ذر) أى اترک الاختصاء و أذعن وسلم للقضاء و أو للتخيير قال المظهر أى ما كان و ما يكون مقدر فى الازل فلا فائدة فى الاختصاء فان شئت فاختص و ان شئت فاترک و ليس هذا اذنا فى الاختصاء بل توبيخ و لوم على الاستئذان فى قطع عضو بلا فائدة و قيل

رواه البخارى و عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قلوب بنى آدم كلها بين أصبعين من اصابع الرحمن

أو للتسوية على ما ذكر فى أكثر نسخ المصابيح من قوله فاختصر أو ذر بمعنى أن الاختصار على التقدير و التسليم له و تركه و الاعراض عنه سواء فان ماقدر لك من خير أو شر فهو لامحالة لاقيك و ما لا فلا و ذكر أن عبد الله بن الطاهر دعا الحسين بن الفضل فقال أشكل علىّ قوله تعالى كل يوم هو فى شان و قول النبى صلى الله عليه وسلم جف القلم بما أنت لاق فأجاب بأنها شؤن يبديها لا شؤن يبتدئ بها فقام عبد الله و قبل رأسه (رواه البخارى و عن عبد الله بن عمرو) رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قلوب بنى آدم) أى هذا الجنس و خص لخصوصية قابلية التقليب به و أكد بقوله (كلها) ليشمل الانبياء و الاولياء و الفجرة و الكفرة من الاشقياء قال التوربشتى ليس هذا الحديث مما يتنزه السلف عن تأويله كأحاديث السمع و البصر و اليد و ما يقاربها فى الصحة و الوضوح فان ذلك يحمل على ظاهره من غير أن يشبه بمسميات الجنس أو يحمل على معنى الاتساع و المجاز بل يعتقد أنها صفات الله لا كيفية لها و انما تنزهوا عن تأويل القسم الاول لانه لا يلتئم معه و لا يحمل ذلك على وجه يرتضيه العقل الا و يمنع منه الكتاب و السنة من وجه آخر و أما مثل هذا الحديث فليس فى الحقيقة من أقسام الصفات و لكن ألفاظ مشاكلة لها فى وضع الاسم فوجب تخريجه على وجه يناسب نسق الكلام قيل المتشابه قسمان الاول لايقبل التأويل و لا يعلم تأويله الا الله كالنفس فى قوله و لا أعلم ما فى نفسك و المجئ فى جاء ربك و فواتح السور و الثانى يقبله ذكر شيخ الشيوخ السهروردى قدس الله سره أخبر الله و رسوله بالاستواء و النزول و اليد و القدم و التعجب و كل ماورد من هذا القبيل دلائل التوحيد فلا يتصرف فيه بتشبيه و تعطيل قيل هذا هو المذهب المعول و عليه السلف الصالح و من ذهب الى القول الاول بشرط فى التأويل أن كل ما يؤدى الى تعظيم الله فهو جائز و الا فلا قال ابن حجر أكثر السلف لعدم ظهور أهل البدع فى أزمنتهم يفوضون علمها الى الله تعالى مع تنزيهه سبحانه عن ظاهرها الذى لا يليق بجلال ذاته و أكثر الخلف يؤولونها بحملها على محامل تليق بذلك الجلال الاقدس و الكمال الانفس لاضطرارهم الى ذلك لكثرة أهل الزيغ و البدع فى أزمنتهم و من ثم قال امام الحرمين لو بقى الناس على ما كانوا عليه لم نؤمر بالاشتغال بعلم الكلام و أما الآن فقد كثرت البدع فلا سبيل الى ترك أمواج الفتن تلتطم و أصل هذا اختلافهم فى الوقف فى قوله تعالى و ما يعلم تأويله الاالله و الراسخون فى العلم فالاكثرون على الوقف على الجلالة و الاقلون على الوقف على العلم و من أجلهم ابن عباس فكان يقف عليه و يقول حملا للناس على سؤاله و الاخذ عنه أنا من الراسخين فى العلم على أنه يمكن رفع الخلاف بأن المتشابه على قسمين مالايقبل تأويلا قريبا فهذا محمل الوقف الاول و ما يقبله فهذا محمل الثانى و من ثم اختار بعض المحققين قبول التأويل ان قرب من اللفظ و احتمله وضعا و رده ان بعد عنه و الحاصل أن السلف و الخلف مؤولون لاجماعهم على صرف اللفظ عن ظاهره و لكن تأويل السلف اجمالى لتفويضهم الى الله تعالى و تأويل الخلف تفصيلى لاضطرارهم اليه لكثرة المبتدعين (بين اصبعين) بكسر الهمزة و فتح الباء هو المشهور والا ففيه تسع لغات قال فى القاموس الاصبع مثلث الهمزة و الباء (من أصابع الرحمن) اطلاق الاصبع عليه تعالى مجاز أى تقليب القلوب فى قدرته يسير يعنى انه تعالى متصرف فى قلوب عباده و غيرها كيف شاء لايمتنع منها شئ ولايفوته ما أراده كما يقال فلان فى قبضتى أى كفى لا يراد أنه فى كفه بل المراد أنه تحت قدرتى

كقلب واحد يصرفه كيف يشاء ثم قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك رواه مسلم و عن أبي هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ما من مولود الا يولد على الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة

و فلان بين أصبعي أقلبه كيف شئت أى أنه هين على قهره و التصرف فيه كيف شئت و قيل المراد باصبعين صفتا الله و هما صفة الجلال و الاكرام فبصفة الجلال يلهمها فجورها و بصفة الاكرام يلهمها تقواها أى يقلبها تارة من فجورها الى تقواها و تارة من تقواها الى فجورها و قيل معناه بين أثرين من آثار رحمته و قهره أى قادر أن يقلبها من حال الى حال من الايمان و الكفر و الطاعة و العصيان قال القاضي نسب تقليب القلوب اليه تعالى اشعارا بأنه تعالى تولى بذاته أمر قلوبهم و لم يكله الى أحد من ملائكته و خص الرحمن بالذكر ايذانا بأن ذلك التولى محض رحمته كيلا يطلع أحد غيره على سرائرهم و لا يكتب عليهم ما في ضمائرهم و قوله (كقلب واحد) بالوصف يعني كما أن أحدكم يقدر على شئ واحد الله تعالى يقدر على جميع الاشياء دفعة واحدة لا يشغله شأن عن شأن و نظيره قوله تعالى ما خلقكم و لا بعثكم الا كنفس واحدة قيل ليس المراد أن التصرف في القلب الواحد أسهل بالقياس اليه اذ لا صعوبة بالقياس اليه تعالى بل ذلك راجع الى العباد و الى ما عرفوه فيما بينهم (يصرفه) بالتشديد أى يقلب القلب الواحد أو جنس القلب و في بعض نسخ المصابيح بتأنيث الضمير أى القلوب كذا ذكره العيني و هو تحقيق لوجه الشبه (كيف يشاء) حال على تأويل هينا سهلا لايمنعه مانع أو مصدر أى تقليبا سريعا سهلا و في كتاب الحميدى و في مسلم حيث يشاء قاله العيني (ثم قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم اللهم) أصله يا الله فحذف حرف النداء و عوض عنه الميم و لذا لا يجتمعان و قيل أصله يا الله أمنا بخير أى اقصدنا فحذف ما حذف اختصارا (مصرف القلوب) بالاضافة صفة اللهم عندالمبرد و الاخفش لان يا لايمنع من الوصف فكذا بدلها و منادى برأسه عند سيبويه و قد حذف منه النداء لان ضم الميم للجلالة منع وصفها (صرف قلوبنا على طاعتك) أى اليها أو ضمن معنى التثبيت و يؤيده ما ورد اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قيل و فيه ارشاد للامة و الظاهر ان كل أحد من العباد كما أنه مفتقر اليه تعالى في الايجاد لايستغنى عنه ساعة من الامداد (رواه مسلم و عن أبي هريرة) رضى‌الله‌عنه (قال قال رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم ما من مولود) أى من الثقلين (الا يولد على الفطرة) قيل مولود مبتدأ خبره يولد أى ما من مولود يوجد على أمر من الامور الا على هذا الامر و الفطرة تدل على نوع من الابتداء و الاختراع الذى هو معنى الفطرة كالجلسة و اللام فيها اشارة الى معهود و هو قوله فطرة‌الله و هي الايمان اذ المراد بأقم وجهك للدين حنيفا اثبت على ايمانك القديم الواقع منك في عالم الذر يوم الست بربكم و يؤيد ذلك رواية الترمذى و غيره الملة بدل الفطرة لان ماصدقهما واحد قال تعالى دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا كذا ذكره ابن حجر و الظاهر أن الملة أخص من الدين ولذا قيل باتحاد دين الانبياء و هو الاسلام و التوحيد و اختلاف مللهم لاختلاف شرائعهم و في معنى هذا الحديث خلقت عبادى حنفاء كلهم و انهم أتتهم الشياطين فأضلتهم عن دينهم و المعنى ما أحد يولد الا على هذا الامر الذى هو تمكن الناس من الهدى في أصل الجبلة و التهيؤ لقبول الدين فلو ترك على تمكنه و تهيؤه المذكورين لاستمر على الهدى و الدين ولم يفارقه الى غيره لان حسنه ركز في النفوس فلم يقع لها عدول عنه الالآفة بشرية أو تقليد للغير ولذا قال تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فجعل الهدى رأس المال الحاصل عندهم ثم عرضوه للزوال ببذله في أخذهم الضلالة البعيدة عنهم (فأبواه يهودانه) بتشديد الواو أى يعلمانه اليهودية و يجعلانه يهوديا

بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول فطرةالله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق‌الله

(أو ينصرانه أو يمجسانه) و الفاء اما للتعقيب و هو ظاهر واما للتسبب أى اذا كان كذا فمن تغير كان بسبب أبويه غالبا (كما تنتج البهيمة) صفة لمصدر محذوف وما مصدرية أى يولد على الفطرة ولادة مثل نتاج البهيمة أو يغيرانه تغييرا كتغييرهم البهيمة و قيل حال أى مشبها شبهولادته على الفطرة بولادة البهيمة السايمة غيرأن السلامة حسية و معنوية و على التقديرين الافعال الثلاثة أى يهودانه وما عطف عليه تنازعت فى كما تنتج المفيد لتشبيه ذلک المعقول بهذا المحسوس المعاين ليتضح به أن ظهوره بلغ فى الكشف و البيان مبلغ هذا المحسوس المشاهد فى العيان و هو يروى على البناء للفاعل و هو الاصح و على بناء المفعول يقال نتج الناقة ينتجها اذا تولى نتاجها حتى وضعت فهو ناتج و هو للبهائم كالقابلة للنساء والاصل نتجها أهلها ولدا ولذا يتعدى الى مفعولين فاذا بنى للمفعول الاول قيل نتجت ولدا اذا وضعت و اذا بنى للثانى قيل نتج الولد اذا وضعته (بهيمة) و قيل مصغرة و نصبها على انه مفعول ثان لتنتج و الاول أقيم مقام فاعله و قيل انه منصوب على الحال بتقدير كون تنتج مجهولا أى ولدت فى حال كونها بهيمة أو على انه مفعول اذا كان معروفا من نتج اذا ولد و أغرب ابن حجر حيث قال كما تنتج بالبناء للمفعول لاغير (جمعاء) أى سليمة الاعضاء كاملتها سميت بذلک لاجتماع سلامة اعضائها من نحوجدع و كى (هل تحسون فيها) أى فى البهيمة الجمعاء و المراد بها الجنس و تحسون بضم التاء و كسر الحاء و قيل بفتح التاء وضم الحاء أى هل تدركون و الجملة فى موضع الحال أى بهيمة سليمة مقولا فى حقها هذا القول و فيه نوع من التأكيد يعنى كل من نظر اليها قال هذا القول لظهور سلامتها و قيل هو صفة أخرى بتقدير مقولا فى حقها (من جدعاء) بالمهملة أى متطوعة الاذن و فى المصابيح حتى تكونوا أنتم تجدعونها قيل تخصيص الجدع ايماء الى أن تصميمهم على الكفر انما كان لجدعهم عن الحق (ثم يقول) ظاهره انه من بقية الحديث المرفوع و ليس كذلک بل هو من كلام أبى هريرة أدرجه فى الحديث بينه مسلم من طريق الترمذى عن الزهرى و لفظه ثم يقول أبو هريرة اقرؤا ان شئتم فطرةالله التى فطر الناس عليها الآية كذا قاله الشيخ ابن حجر فى شرح صحيح البخارى أقول و كذا وقع التصريح بذلک فى رواية البخارى من طريق يونس عن الزهرى عن أبى سلمة الرازى عن أبى هريرة و لفظه ثم يقول أبو هريرة فطرةالله التى فطر الناس عليها أخرجه فى كتاب الجنائز كذا حققه ميرك شاه قال الطيبى الظاهر ثم قرأ فعدل الى القول و أتى بالمضارع لحكاية الحال استحضارا كأنه يسمع منه عليه‌الصلاة‌والسلام الآن اه و فيه أن العلة المذكورة لاتصلح أن تكون للعدول الى القول فالاظهر ما قاله ابن حجر ان ظاهر السياق ثم قرأ فعدل عنه لفظا اشارة فيما يظهر والله أعلم ان اللفظ القرآنى فى مقام الاستدلال لاتجرى عليه أحكام القرآن لان ذكره للاستدلال به صارف له عن القرآنية اه و يؤيده ترك الاستعاذة فى ابتدائه ثم قوله (فطرةالله) أى الزموها و هى ما ذكر من الاستعداد للمعرفة (التى فطر الناس عليها) أى خلقهم ابتداء و جبلهم عليها . (لا تبديل لخلق‌الله) أى فيكم من قبول الاسلام و هو مؤول بأنه من شأنه أو الغالب فيه انه لايبدل أو يقال الخبر بمعنى النهى ولايجوز أن يكون اخبارا محضالحصول التبديل قال حماد بن سلمة فى معنى الحديث هذا عندنا حيث أخذالله العهد فى أصلاب آبائهم فقالوا بلى قال الخطابى هذا معنى حسن وكأنه ذهب الى أنه لاعبرة بالايمان الفطرى فى أحكام الدنيا و انما يعتبر الايمان الشرعى المكتسب بالارادة ألا ترى أنه يقول فأبواه يهودانه فى حكم الدنيا فهو مع وجود الايمان الفطرى فيه محكوم له بحكم أبويه الكافرين قيل و تلخيصه أن العالم اما عالم الغيب و اما عالم الشهادة

ذلک الدين القيم متفق عليه و عن أبي موسى قال قام فينا رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم بخمس كلمات فقال ان الله لاينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط و يرفعه

فاذا نزل الحديث على عالم الغيب أشكل معناه و اذا صرف الى عالم الشهادة الذى عليه مبنى ظاهر الشرع سهل تعاطيه و تحريره أن الناظر اذا نظر الى‌المولود نفسه من غير اعتبار عالم الغيب و انه ولد على الخلقة التى خلق‌الله الناس عليها من الاستعداد للمعرفة و قبول الحق و التأبى عن الباطل و التمييز بين الخطأ و الصواب حكم بأنه لو ترك على ما هو عليه ولم يعتوره من الخارج ما يصده عن النظر الصحيح من التقليد و الالف بالمحسوسات و الانهماك فى الشهوات استمر على ما كان عليه من الفطرة السليمة ولم يختر عليه شيأ و ينظر فيما نصب من الدلائل على التوحيد و صدق الرسول و غير ذلک نظرا صحيحا يوصله الى الحق و يهديه الى الرشد و عرف الصواب و اتبع الحق و دخل فى الملة الحنيفية ولم يلتفت الى ما سواها لكن يصده عن ذلک أمثال هذه العوائق و نظير ذلک أمر الغلام الذى قتله الخضر فان موسى عليه‌الصلاة‌والسلام نظر الى عالم الشهادة و ظاهر الشرع فانكر و الخضر عليه‌الصلاة‌والسلام نظر الى عالم الغيب و انه طبع كافرا فقتله ولذلک لما اعتذر الخضر بالعلم الخفى الغائب أمسک موسى عليه‌الصلاة‌والسلام عن الاعتراض كذا قالوه ولعل معنى انه طبع كافرا أى خلق و قدر و جبل انه لو عاش يصير كافرا لئلا يناقضه هذا الحديث (ذلک) أى التوحيد الذى هو معنى الفطرة هو (الدين القيم) أى المستقيم الذى لا عوج له ولا ميل الى تشبيه و تعطيل ولا قدر ولا جبر (متفق عليه و عن أبى موسى) أى الاشعرى رضى‌الله‌عنه كما فى نسخة (قال قام فينا رسول‌الله صلى‌الله‌عليه وسلم) و كان اذا وعظ قام (بخمس كلمات) و الكلمة الجملة المفيدة أى متفوها بخمس فصول و قيل قام فينا كناية عن التذكير أى خطبنا و ذكرنا بخمس كلمات و قال الطيبى قوله فينا و بخمس اما حالان مترادفان أومتداخلان أى قام خطيبا مذكرا لنا و اما أن يتعلق فينا بقام على تضمين قام معنى خطب و يكون بخمس حالا و قام على الوجهين بمعنى القيام و هناك وجه ثالث و هو أن يتعلق بخمس بقام و يكون فينا بيانا كانه لما قيل قام بخمس قيل فى حق من فقيل فى حقنا و على هذا قام بمعنى قام بالامر أى تشمر له أى قام بحفظ تلک الكلمات فينا قال ابن حجر و يؤيد الحقيقة حديث كان عليه‌الصلاة‌والسلام ينصرف الينا بعد العشاء فيحدثنا قائما على رجليه حتى يراوح بين قدميه من طول القيام و فيه أن كون القيام حقيقة فى بعض المقام لايستلزم استمراره فى المرام (فقال ان الله لاينام) قال تعالى لاتأخذه سنة ولا نوم و السنة النعاس و هو نوم خفيف أو مقدمة النوم (ولا ينبغى له أن ينام) نفى للجواز تأكيدا لنفى الوقوع على سبيل التتميم أى لايكون ولايصح ولا يستقيم ولا يمكن له النوم لان النوم أخو الموت ولان النوم لاستراحة القوى و الله‌تعالى منزه عن ذلک و هذه الثانية من الخمس و أغرب ابن حجر بقوله اعتراض فتأمل و الثالثة هى قوله (يخفض القسط و يرفعه) قال التور بشتى فسر بعضهم القسط بالرزق أى يقتره و يوسعه و عبر به عن الرزق لانه قسط كل مخلوق أى نصيبه و فسره بعضهم بالميزان و يسمى الميزان قسطا لما يقع به من المعدلة بالقسط أى فى القسمة و غيرها و هذا المعنى أولى لما فى حديث أبى هريرة يرفع الميزان و يخفضه و المراد من الميزان ما يوزن من ارزاق العباد النازلة من عنده و أعمالهم المرتفعة اليه يعنى فيخفضه تارة بتقتير الرزق و الخذلان بالمعصية و يرفعه أخرى بتوسيع الرزق و التوفيق للطاعة و فى الخفض و الرفع هنا و فيما بعده تضاد و مطابقة و هما مستعاران من المعانى من الاعيان و يحتمل انه أراد الاشارة الى انه تعالى كل يوم هو فى شان و انه يحكم فى خلقه بميزان

يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار و عمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه.

العدل و بين المعنى بما شوهد من وزن الميزان الذى يزن فيخفض يده و يرفعها قيل و هذا التأويل يناسب قوله ولا ينبغى له ان ينام أى كيف يجوز عليه ذلك و هو الذى يتصرف أبدا فى ملكه بميزان العدل و الرابعة (يرفع اليه) قال القاضى أى الى خزائنه كما يقال حمل المال الى الملك (عمل الليل) أى المعمول فيه (قبل عمل النهار) أى قبل أن يؤتى بعمل النهار فيضبط الى يوم الجزاء أو يعرض عليه و ان كان هو أعلم به ليأمر ملائكته بامضاء ما قضى لفاعله جزاء على فعله و قيل معناه يقبل الله أعمال المؤمنين فيكون عبارة عن سرعة الاجابة. (و عمل النهار) عطف على عمل الليل (قبل عمل الليل) اشارة الى السرعة فى الرفع و العروج الى ما فوق السموات فانه لافاصل بين الليل و النهار و قيل قبل رفع عمل الليل و الاول أبلغ قال ابن حجر و هو بيان لمسارعة الملائكة الموكلين برفع أعمال النهار بعد العصر و الليل بعد الصبح و انهم يقطعون فى هذا الزمن القليل تلك المسافة الطويلة التى تزيد على سبعة آلاف سنة على ما روى أن مسيرة ما بين الارض و السماء الدنيا خمسمائة سنة وما بين كل سماءين كذلك وسمك كل سماء كذلك و تقدير رفع فى الاول و رفع أو فعل فى الثانى هو الذى دل عليه الحديث الآخر ان أعمال النهار ترفع بعد صلاة العصر و أعمال الليل ترفع بعد صلاة الصبح فلا يقع رفع عمل الليل الا بعد فعل من عمل النهار و أما رفع عمل النهار فيقع قبل فعل أو رفع شئ من عمل الليل لان بين ابتداء رفعها و عمل الليل فاصلا يسع ذلك بالنسبة الى القدرة الباهرة فالحاصل ان قوله قبل عمل النهار يتعين فيه تقدير رفع ولا يصح تقدير فعل فيه و قوله قبل عمل الليل يصح فيه كل منهما و تقدير الفعل أبلغ لان الزمن أقصر فتأمل ذلك لتعلم فساد ما أطلقه بعض الشارحين اه كلامه و الخامسة (حجابه النور) أى المعنوى (لو كشفه) استئناف جوابا عمن قال لم لانشاهده أى لو أزال الحجاب و رفعه (لاحرقت سبحات وجهه) بضم أوليه جمع سبحة بالضم أى أنوار وجهه و الوجه الذات و قد قال بعض أهل التحقيق هى الانوار التى اذا رآها الراؤن من الملائكة سبحوا و هللوا لما يروعهم من جلال الله و عظمته لان كلمة سبحان الله كلمة تعجب و تعجيب على ما قاله ابن الاثير و قال الكشاف فيها معنى التعجب و الاصل فى ذلك ان يسبح الله فى رؤية العجب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل فى كل متعجب منه و قيل حجابه النور أى حجابه خلاف الحجب المعهودة فهو محتجب عن خلقه بأنوار عزه و جلاله ولو كشف لذلك الحجاب و تجلى لما وراءه من حقائق الصفات و عظمة الذات لم يبق مخلوق الا احترق وأصل الحجاب الستر الحائل بين الرائى و المرئى و هو ههنا يرجع الى منع الابصار من الاصابة بالرؤية فهو كناية عن منع رؤيته تعالى فى الدنيا أو عن الاحاطة بذاته فى الدنيا و العقبى و جملة لو كشفه الخ استئنافية مبينة للكلام السابق كأنه قيل لم خص حجابه بالنور أو لم يكشف ذلك الحجاب فاجيب بانه لو كان من غيره أو لو كشفه لاحترق العالم و انما أورد الجمل السابقة فعلية مضارعية لافادة التجدد مع الاستمرار و أما هذه الجملة الاسمية فتدل على الثبات و الدوام فى هذا العالم و اذا صفت المؤمنون عن الكدورات البشرية فى دار الثواب ليرونه بلا حجاب كما أن النبى عليه الصلاة والسلام رآه فى الدنيا لانقلابه نورا كما قال فى الدعاء اللهم اجعل فى قلبى نورا و فى بصرى نورا الى قوله و اجعلنى نورا (ما انتهى) أى وصل (اليه) الضمير لما (بصره) تعالى و قيل الضمير فى بصره راجع الى ماوهو موصول مفعول به لاحرقت و ضمير اليه راجع الى وجهه تعالى و (من خلقه) بيان لما أو متعلق باحرقت

رواه مسلم و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدالله ملأى لاتغيضها نفقة سحاء الليل و النهار أرأيتم ما أنفق مذ خلق السماء و الارض فانه لم يغض ما في يده وكان عرشه على الماء و بيده الميزان يخفض و يرفع متفق عليه و في رواية لمسلم يمين الله ملأى قال ابن نمير ملآن سحاء لايغيضها شئ الليل و النهار و عنه

و المراد من خلقه جميع الموجودات (رواه مسلم) قيل معناه مسبوك من معنى آية الكرسى فهو سيد الاحاديث كما أنها سيدة الآيات (و عن أبي هريرة) رضي الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدالله) كناية عن محل عطائه أى خزائنه (ملأى) على زنة فعلى تانيث ملآن كناية عن كثرة تلك النعمة و عمومها (لاتغيضها) بالتأنيث و قيل بالياء أى لاتنقصها (نفقة) أى انفاق (سحاء) بالمهملتين و المد من سح الماء اذا سال من فوق ومن سححت الماء أى صببته صفة لنفقة أوليد و هو الأصح و قوله (الليل و النهار) منصوبان على الظرف أى دائمة الصب في الليل و النهار و ثبت في صحيح مسلم سحا بلفظ المصدر و في رواية لمسلم سح الليل و النهار بفتح الحاء و الاضافة قاله الا بهرى و فيه اشارة الى أنها المعطية عن ظهر غنى لان الماء اذا انصب من فوق انصب بسهولة و الى جزالة عطاياه لان السح يستعمل فيما بلغ و ارتفع عن القطر حد السيلان و الى أنه لامانع لاعطائه لان الماء اذا أخذ في الانصباب لم يستطع أحد أن يرده (أرأيتم) أخبروني و قيل أعلمتم و أبصرتم (ما أنفق) ما مصدرية أى انفاق الله و قيل ما موصولة متضمنة معنى الشرط (مذ خلق السماء و الارض) أى من أول زمان خلق أهلهما (فانه) أى الانفاق (لم يغض) بفتح الياء و كسر الغين لم ينقص (ما في يده) موصولة مفعول أى في خزائنه و قال الطيبى يدالله ملأى أى نعمته غزيرة كقوله تعالى بل يداه مبسوطتان فان بسط اليد مجاز عن الجود ولاقصد الى اثبات يد ولابسط كذا في الكشاف و قال المظهر يدالله أى خزائن الله قيل اطلاق اليد على الخزائن لتصرفها فيها و المعنى بالخزائن قوله كن فيكون لانه له القدرة على ايجاد المعدوم و لذلك لاينقص أبدا و قوله ملأى ولا تغيضها و سحاء و أرأيتم على تاويل القول أى مقول فيها أخبار مترادفة ليدالله و يجوز ان تكون الثلاثة الاخيرة وصفا لملأى و أن يكون أرأيتم استئنافا و قوله (و كان عرشه على الماء) حال من ضمير خلق و كذا قوله (و بيده الميزان) حال منه أو من خبر كان أو من اسمه على رأى سيبويه و سيأتى تحقيق معنى قوله و كان عرشه على الماء في باب بدء الخلق و معنى قوله بيده الميزان بقدرته و تصرفه ميزان الاعمال و الارزاق (يخفض و يرفع) أى ينقص النصيب و الرزق باعتبار ما كان يمنحه قبل ذلك و يزيد بالنظر اليه بمقتضى قدره الذى هو تفصيل لقضائه الاول أو يخفض و يرفع ميزان أعمال العباد المرتفعة اليه يقللها لمن يشاء و يكثرها لمن يشاء كمن بيده الميزان يخفض تارة و يرفع أخرى و قيل المراد به العدل يعني ينقص العدل في الارض تارة بغلبة الجور و أهله و يرفعه تارة بغلبة العدل و أهله (متفق عليه و في رواية لمسلم يمين الله ملأى) قيل خص اليمين لانها مظنة العطاء أو اشارة الى يمن العطاء و بركته فمن تلقاه بالقبول و الرضا بورك له في قليله حتى فاق على كثير ليس كذلك على ما هو مشاهد و ورد في الحديث وكلتايديه يمين أى مباركة قوية قادرة لامزية لاحداهما على الاخرى و لعله أراد باليدين التصرفين من اعطاء الجزيل و القليل (قال ابن نمير) بالتصغير أى عبدالله في روايته (ملآن) أى رواه كذا قال النووى قالوا هذا غلط منه و صوابه ملأى بالتأنيث كما في سائر الروايات قال الطيبى ان أرادوا رده رواية و نقلا فلا نزاع و ان أرادوا رده لعدم المطابقة فان اليد مؤنثة فأمره سهل لان معنى يدالله احسانه و افضاله قلت و فيه انه لايلائمه قوله (سحاء لا يغيضها شئ الليل و النهار و عنه) أى عن أبي هريرة رضي الله عنه

قال سئل رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم عن ذرارى المشركين قال الله أعلم بما كانوا عاملين متفق عليه * (الفصل الثانى) * عن عبادة بن الصامت قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان أول ما خلق‌الله القلم فقال له اكتب قال

(قال سئل رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم عن ذرارى المشركين) جمع ذرية و هى نسل الانس و الجن و يقع على الصغار و الكبار اما من الذر بمعنى التفريق لان الله‌تعالى فرقهم فى الارض أو من الذرء بمعنى الخلق فتركت الهمزة أو ابدلت و المراد عن حكم أولادهم اذا ماتوا قبل البلوغ انهم من أهل النار أو الجنة و اعلم أن الولد تابع لاشرف الابوين دينا فيما يرجع الى أمور الدنيا و هو معنى قوله صلى‌الله عليه‌وسلم فى بعض الروايات هم من آبائهم و أما فيما يرجع الى أمور الآخرة من الثواب و العقاب فموقوف موكول الى علم الله تعالى لان السعادة و الشقاوة ليستا معللتين عندنا بالاعمال بل الله‌تعالى خلق من شاء شقيا و من شاء سعيدا و جعل الاعمال دليلا على السعادة و الشقاوة (قال‌الله أعلم بما كانوا عاملين) أى الله أعلم بماهم صائرون اليه من دخول الجنة أو النار أو الترك بين المنزلتين و قد اختلفوا فى ذلك فقيل انهم من أهل النار تبعا للابوين و قيل من أهل الجنة نظرا الى أصل الفطرة و قيل انهم خدام أهل الجنة و قيل انهم يكونون بين الجنة و النار لامنعمين ولامعذبين و قيل من علم‌الله منه أنه يؤمن و يموت عليه ان عاش أدخل الجنة و من علم منه أنه يعجز و يكفر أدخله النار و قيل بالتوقف فى أمرهم و عدم القطع بشئ و هو الاولى لعدم التوقيف من جهة الرسول صلى‌الله‌عليه وسلم فلم يقطع عليه‌الصلاة‌والسلام بكونهم من أهل الجنة ولا من أهل النار بل أمرهم بالاعتقاد الذى عليه أكثر أهل السنة من التوقف فى أمرهم كذا ذكره ابن الملك فى شرح المصابيح و فيه أن الترك بين المنزلتين غير ثابت فى الكتاب و السنة و أهل الاعراف مآلهم الجنة و قيل انهم يمتحنون بدخول النار فى تلك الدار والله أعلم و قال ابن حجر هذا قبل أن ينزل فيهم شئ فلا ينافى ان الاصح انهم من أهل الجنة (متفق عليه)

* (الفصل الثانى) * (عن عبادة بن الصامت قال قال رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان أول ما خلق‌الله القلم) بالرفع و هو ظاهر وروى بالنصب قال بعض المغاربة رفع القلم هو الرواية فان صح النصب كان على لغة من ينصب خبران و قال المالكى يجوز نصبه بتقدير كان على مذهب الكسائى كقوله * ياليت أيام الصبا رواجعا * و قال المغربى لايجوز أن يكون القلم مفعول خلق لان المراد أن القلم أول مخلوق و اذا جعل مفعولا لخلق أوجب أن يقال اسم ان ضمير الشأن و أول ظرف فينبغى أن تسقط الفاء من قوله فقال اذ يرجع المعنى الى أنه قال له اكتب حين خلقه فلا اخبار بكونه أول مخلوق اه و انما أوجب ما ذكر لانه بدونه يفسد أصل المعنى اذ يصير التقدير ان أول شئ خلق‌الله القلم و هو غير صحيح و قيل لو صحت الرواية بالنصب لم‌تمنع الفاء ذلك اذ يقدر قبل فقال أمره و هو العامل فى الظرف كذا حققه الطيبى و فيه أنه حينئذ لايكون تنصيص على أولية خلق القلم الذى يدل عليه رواية الرفع الصحيحة و فى الازهار أول ما خلق‌الله القلم يعنى بعدالعرش و الماء و الريح لقوله عليه‌الصلاة‌والسلام كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات و الارضين بخمسين ألف سنة و عرشه على الماء رواه مسلم و عن ابن عباس سئل عن قوله تعالى وكان عرشه على الماء على أى شئ كان الماء قال على متن الريح رواه البيهقى ذكره الابهرى فالاولية اضافية و الاول الحقيقى هو النور المحمدى على ما بينته فى المورد للمولد (فقال) أى الله و فى نسخة صحيحة (له) أى للقلم (اكتب) أمر بالكتابة (قال) و فى

ما أكتب قال اكتب القدر فكتب ما كان و ما هو كائن الى الابد رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب اسنادا وعن مسلم بن يسار قال سئل عمر بن الخطاب رضى‌الله‌عنه عن هذه الآية و اذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم

نسخة بالفاء (ما أكتب) ما استفهامية مفعول مقدم على الفعل (قال اكتب القدر) أى المقدر المقضى و فى المصابيح قال القدر ما كان الخ قال شراحه أى اكتب القدر فنصبه بفعل مقدر و ما كان بدل من المقدر أو عطف بيان (فكتب ما كان) المضى بالنسبة اليه عليه‌الصلاة‌والسلام قال الطيبى ليس حكاية عما أمر به القلم والا لقيل فكتب ما يكون و انما هو اخبار باعتبار حاله عليه‌الصلاة‌والسلام أى قبل تكلم النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم بذلك لا قبل القلم لان الغرض أنه أول مخلوق نعم اذا كانت الاولية نسبية صح أن يراد ما كان قبل القلم (و ما هو كائن) ما موصولة (الى الابد) قال الابهرى ما كان يعنى العرش والماء والريح وذات الله وصفاته اه و يمكن أن يحمل ما كان على القضاء وما هو كائن على القدر و الله أعلم * ظ. لى * فيه اشكال و الله أعلم بالحال و هو أن مالايتناهى فى المآل كيف ينحصر و ينضبط تحت القلم فى الاستقبال سيما مع قوله عليه‌الصلاة‌والسلام جف القلم اللهم الا أن يقال المراد به كتابة الامور الاجمالية الكلية لا الاحوال التفصيلية الجزئية و هو خلاف ظواهر الادلة المروية ثم رأيت الابهرى نقل عن زين العرب ان الابد هو الزمان المستمر غير المنقطع فالجمع بينه و بين الى ممتنع لانه لايمكن وصول شئ اليه حتى ينتهى قلت يحمل الابد على الزمان الطويل اه و فيه أن الزمان الطويل الله أعلم أنه انقراض العالم أو استقرار الفريقين فى الموضعين و يلزم منه أن لا تكون أحوال الدارين مكتوبة و الله أعلم ثم رأيت فى الدرالمنثور نقلا عن ابن عباس ان أول شئ خلقه الله القلم فقال له أكتب فقال يارب وما أكتب قال أكتب القدر يجرى من ذلك بما هو كائن الى أن تقوم الساعة ثم طوى الكتب و رفع القلم رواه البيهقى و غيره و الحاكم و صححه و فى الدر أيضا عن أبى هريرة رضى‌الله‌عنه قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول ان أول شئ خلق‌الله القلم ثم النون و هى الدواة ثم قال له اكتب قال و ما أكتب قال ما كان و ما هو كائن الى يوم القيامة من عمل أو أثر أو رزق أو أجل فكتب ما يكون و ما هو كائن الى يوم القيامة ثم ختم على فم القلم فلم ينطق ولا ينطق الى يوم القيامة أخرجه الحكيم الترمذى هذا وروى ان أول ما خلق‌الله العقل و ان أول ما خلق‌الله نورى و ان أول ما خلق‌الله روحى و ان أول ما خلق‌الله العرش و الاولية من الامور الاضافية فيؤول ان كل واحد مما ذكر خلق قبل ما هو من جنسه فالقلم خلق قبل جنس الاقلام و نوره قبل الانوار و الا فقد ثبت ان العرش قبل خلق السموات و الارض فتطلق الاولية على كل واحد بشرط التقييد فيقال أول المعانى كذا و أول الانوار كذا و منه قوله أول ما خلق‌الله نورى و فى رواية روحى و معناهما واحد فان الارواح نورانية أى أول ما خلق‌الله من الارواح روحى (رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب اسنادا) أى لامتنا و المراد به حديث يعرف متنه عن جماعة من الصحابة و انفرد واحد بروايته عن صحابى آخر و منه قول الترمذى غريب من هذا الوجه واستيفاء هذا المبحث فى أصول الحديث (و عن مسلم بن يسار) أى الجهنى قال الترمذى حديثه حسن الا أنه لم يسمع عمر كذا ذكره المصنف فى التابعين (قال سئل عمر بن الخطاب رضى‌الله‌عنه عن هذه الآية) أى عن كيفية أخذالله ذرية بنى‌آدم من ظهورهم المذكور فى الآية (و اذ أخذ) أى أخرج (ربك من بنى‌آدم من ظهورهم) بدل البعض قاله ابن الملك وكذا ذكره البيضاوى و قال السيوطى انه بدل الاشتمال و وافقه أبو البقاء و هو الاظهر معنى و ان كان

ذريتهم الآية قال عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عنها فقال ان الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه

الاول أظهر لفظا و قد حققته فى حاشيتى الجمالين على الجلالين (ذريتهم) الجمهور على الافراد و بعضهم على الجمع (الآية) بالحركات الثلاث (قال عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسئل) بصيغة المفعول (عنها) أى عن هذه الآية (فقال ان الله خلق آدم ثم مسح ظهره) أى ظهر آدم (بيمينه) أى بقدرته و قوته قال الطيبى ينسب الخير الى اليمين ففيه تنبيه على تخصيص آدم بالكرامة و قيل بيد بعض ملائكته و هو الملك الموكل على تصوير الاجنة أسند اليه تعالى للتشريف أو لانه الآمر و المتصرف كما أسند اليه التوفى فى قوله تعالى الله يتوفى الانفس و قال تعالى الذين تتوفاهم الملائكة و يحتمل أن يكون الماسح هو الله تعالى و المسح من باب التصوير و التمثيل وقيل هو من المساحة بمعنى التقدير كانه قال قدر و بين ما فى ظهره من الذرية و قال البيضاوى فى تفسيره ان معنى الآية أنه نزل تمكين بنى آدم من العلم بربوبيته بنصب الدلائل و خلق الاستعداد فيهم و تمكنهم من معرفتها و الاقرار بها منزلة الاشهاد و الاعتراف تمثيلا و تخييلا فلا قول ثم ولاشهادة حقيقة اه و فيه ان هذا يرجع الى مذهب المعتزلة و ان كان أصله نقل عن الحسن البصرى و قال الامام الرازى أطبقت المعتزلة على أنه لايجوز تفسير هذه الآية بهذا الحديث لان قوله من ظهورهم بدل من بنى آدم فالمعنى و أذ أخذ ربک من ظهور بنى آدم فلم يذكر أنه أخذ من ظهر آدم شيأ ولو كان المراد الاخذ من ظهر آدم لقيل من ظهره و أجاب بأن ظاهر الآية يدل على أنه تعالى أخرج الذرية من ظهور بنى آدم و أما انه أخرج تلک الذرية من ظهر آدم فلا تدل الآية على اثباته و نفيه و الخبر قد دل على ثبوته فوجب القول بهما معا بأن بعض الذر من ظهور بعض الذر و الكل من ظهر آدم صونا للآية و الحديث عن الاختلاف قال بعض المحققين ان بنى آدم من ظهره فكل ما أخرج من ظهورهم فيمالايزال الى يوم القيامة هم الذين أخرجهم الله تعالى فى الازل من صلب آدم و أخذ منهم الميثاق الازلى ليعرف منه أن النسل المخرج فيمالايزال من أصلاب بنيه هو المخرج فى الازل من صلبه و أخذ منهم الميثاق الاول و هو المقالى الازلى كما أخذ منهم فيما لايزال بالتدريج حين أخرجوا الميثاق الثانى و هو الحالى الانزالى و الحاصل ان الله تعالى لما كان له ميثاقان مع بنى آدم أحدهما تهتدى اليه العقول من نصب الادلة الحاملة على الاعتراف الحالى و ثانيهما المقالى الذى لايهتدى اليه العقل بل يتوقف على توقيف واقف على أحوال العباد من الازل الى الابد كالانبياء عليهم الصلاة والسلام أراد عليه الصلاة والسلام أن يعلم الامة و يخبرهم أن وراء الميثاق الذى يهتدون اليه بعقولهم ميثاقا آخر أزليا فقال ما قال من مسح ظهر آدم فى الازل و اخراج ذريته و أخذه الميثاق عليهم اه و بهذا يزول كثير من الاشكالات فتأمل فيها حق التأمل و قال القاضى فى شرحه للمصابيح التوفيق بينهما أن يقال المراد من بنى آدم هو أولاده فكانه صار اسما للنوع كالانسان و المراد من الاخراج توليد بعضهم من بعضهم على مر الزمان و اقتصر فى الحديث على آدم لانه الاصل اه و فيه أن التوليد على المر الزمانى ينافى الميثاق الموصوف بالآنى فكيف يكون الحديث تفسيرا للآية ثم سنح لى بالبال أنه يمكن ان يقال انما اقتصر فى الآية على الذرية لظهور أمر آدم بالادلة النقلية والعقلية خصوصا من الاضافة الابنية كما هو مقتضى الفصاحة القرآنية و البلاغة الفرقانية الموصوفة بالاعجاز التى من جملة دلالاته صنعة الاطناب و الايجاز و لما فهم عليه الصلاة والسلام من السؤال بقرينة الحال موضع الاشكال لما وقع فيه من الاجمال اقتصر على مقدار

فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون فقال رجل ففيم العمل يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار رواه مالك و الترمذى و أبو داؤد و عن عبد الله بن عمرو قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم و فى يديه كتابان فقال أتدرون

الحاجة من المقال فقال (فاستخرج منه ذرية) قيل قبل دخول آدم الجنة بين مكة و الطائف و قيل ببطن نعمان و أنه بقرب عرفة و قيل فى الجنة و قيل بعد النزول منها بارض الهند و روى عن ابن عباس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان يعنى عرفة فاخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنشرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا قال ألست بربكم قالوا بلى شهدنا و سيجئ فى الفصل الثالث ما يدل على أن المراد من هذا الحديث هذا و لما كان السائل بليغا عارفا بصناعة الكلام سكت عند حصول المرام و نقل السيد السند عن الازهار أنه قيل شق ظهره و استخرجهم منه و قيل انه استخرجهم من ثقوب رأسه و الاقرب أنه استخرجهم من مسام شعرات ظهره (فقال خلقت هؤلاء للجنة) و فى تقديمهم اشارة الى معنى الحديث القدسى سبقت رحمتى غضبى (و بعمل أهل الجنة) أى من الطاعات (يعملون) اما فى جميع عمرهم أو فى خاتمة أمرهم (ثم مسح ظهره) أى بيده كما فى نسخة و لم يقل هنا بيمينه بخلافه فيما تقدم لان اليمين مظهر الخير و ليظهر الفرق بين أهل الجنة و النار و لم يقل هنا بشماله تأدبا و من ثم ورد كلتا يدى الرحمن يمين لان الشر المحض ليس له وجود فى الكون (فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار و بعمل أهل النار) أى من السيآت (يعملون) كما سبق و فى الجمع بين الخلق و العمل اشارة لطيفة الى مذهب أهل السنة و الجماعة المتوسطة بين الجبرية و القدرية (فقال رجل ففيم العمل يارسول الله) الفاء دخل جواب الشرط المقدر ٣ و فى وقع موقع لام الغرض أى اذا كان كما ذكرت يا رسول الله من سبق القدر ففى أى شئى يفيد العمل أو باى شئى يتعلق العمل أو فلاى شئى أمرنا بالعمل يعنى أنه حيث خلق له و لا يتصور تغييره و تبديله يستوى عمله و تركه و لما كان هذا جبرا محضا مزجه بنوع من القدر المتعلق بالعمل ليعتدل الامر المستقيم و الدين القويم الذى هو عبارة عن الجمع بين خلق الله و كسب عبده (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله) أى جعله عاملا و وفقه للعمل (بعمل أهل الجنة) فيه اشارة الى تقوية الجبر و لذا لايذم الا محض الجبر (حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنه) اشارة الى أن المدار على عمل مقارن بالموت (فيدخله به الجنة) الادخال بالافضال و الدرجات بالاعمال و الخلود بالنية فى الأحوال (و اذا خلق الله العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار) الادخال بالعدل و الدرجات بالعمل و الخلود بالنية و طول الامل فلا يرد ان ظاهر العدل بالنسبة الى من كفر سبعين سنة أن لا يعذب زيادة عليها فان نية الكافر أن لوعاش أبد الآباد لاصر على كفره اما جهلا و اما على وجه العناد (رواه مالك و الترمذى و أبو داؤد) و حسناه و أحمد و عبد الله بن حميد و البخارى فى تاريخه و ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبى حاتم و ابن حبان و الآجرى كذا فى الجامع الصغير و فى الكبير فلذلك أقول جف القلم على علم الله رواه الطبرانى و ابن جرير و البيهقى فى السنن (و عن عبدالله ابن عمرو) بالواو (رضى الله عنهما قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم و فى يديه) و فى بعض النسخ و فى يده كما فى أكثر نسخ المصابيح فيراد بها الجنس (كتابان) و الواو للحال (فقال أتدرون)

ماهذان الكتابان قلنا لا يارسول‌الله الا أن تخبرنا فقال للذى فى يده اليمنى هذا كتاب من رب‌العالمين فيه أسماء أهل الجنة و أسماء آبائهم و قبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم و لا ينقص منهم أبدا

أى أتعلمون (ما هذان الكتابان) الظاهر من الاشارة أنهما حسيان و قيل تمثيل و استحضار للمعنى الدقيق المخفى فى مشاهدة السامع حتى كأنه ينظر اليه رأى العين فالنبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم لما كوشف له بحقيقة هذا الامر و أطلعه الله عليه اطلاعا لم‌يبق معه خفاء صورالشئى الحاصل فى قلبه بصورة الشئى الحاصل فى يده و أشار اليه اشارة الى المحسوس (قلنا لا) أى لاندرى (يا رسول‌الله الا أن تخبرنا) استثناء مفرغ أى لا نعلم بسبب من الاسباب الا باخبارك ايانا و قيل الاستثناء منقطع أى لكن ان أخبرتنا علمنا و كانهم طلبوا بهذا الاستدراك اخباره اياهم (فقال للذى فى يده اليمنى) أى لاجله و فى شأنه أو عنه و قيل قال بمعنى أشار فاللام بمعنى الى (هذا كتاب من رب‌العالمين) خصه بالذكر دلالة على انه تعالى مالكهم و هم له مملوكون يتصرف فيهم كيف يشاء فيسعد من يشاء و يشقى من يشاء و كل ذلك عدل و صواب فلا اعتراض لاحد عليه و قيل الظاهر أن هذا كلام صادر على طريق التصوير و التمثيل مثل الثابت فى علم الله تعالى أو المثبت فى اللوح بالمثبت بالكتاب الذى كان فى يده و لا يستبعد اجراؤه على الحقيقة فان الله تعالى قادر على كل شئى و النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم مستعد لادراك المعانى الغيبية و مشاهدة الصور المصوغة لها (فيه أسماء أهل الجنة و أسماء آبائهم و قبائلهم) الظاهر ان كل واحد من أهل الجنة و أهل النار يكتب أسماؤهم‌واسماء آبائهم و قبائلهم سواء كانوا من أهل الجنة أو النار للتمييز التام كما يكتب فى الصكوك قال الاشرف أهل الجنة تكتب أسماؤهم و أسماء آبائهم و قبائلهم الذين هم أهل النار فى الكتاب الذى باليمين و بالعكس فى أهل النار والا فالآباء و الابناء اذا كانوا من جنس أهل‌الجنة أو من جنس أهل النار فلاحاجة الى افراد ذكرهم لدخولهم تحت قوله فيه أسماء أهل الجنة و فيه أسماء أهل النار (ثم أجمل على آخرهم) من قولهم أجمل الحساب اذا تمم ورد التفصيل الى الاجمال و أثبت فى آخر الورقة مجموع ذلك و جملته كما هو عادة المحاسبين أن يكتبوا الاشياء مفصلة ثم يوقعوا فى آخرها فذلكة ترد التفصيل الى الاجمال و ضمن أجمل معنى أوقع فعدى بعلى أى أوقع الاجمال على من انتهى اليه التفصيل و قيل ضرب بالاجمال على آخر التفصيل أى كتب و يجوز أن يكون حالا أى أجمل فى حال انتهاء التفصيل الى آخرهم فعلى بمعنى الى (فلا يزاد فيهم) جزاء شرط أى اذا كان الامر على ما تقرر من التفصيل و التعيين و الاجمال بعد التفصيل فى الصك فلا يزاد فيهم (و لاينقص) بصيغة المجهول (منهم أبدا) لان حكم الله لا يتغير و أما قوله تعالى لكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء و يثبت فمعناه لكل انتهاء مدة وقت مضروب فمن انتهى أجله يمحوه و من بقى من أجله يبقيه على ما هو مثبت فيه و كل ذلك مثبت عند الله فى أم الكتاب و هو القدر كما أن يمحو و يثبت هو القضاء فيكون ذلك عين ما قدر و جرى فى الازل كذلك فلا يكون تغييرا أو المراد منه محو المنسوخ من الاحكام و اثبات الناسخ أو محو السيئات من التائب و اثبات الحسنات بمكافاته و غيرذلك و يمكن أن يقال المحو و الاثبات يتعلقان بالامور المعلقة دون الاشياء المحكمة و الله أعلم ففى الجامع الصغير برواية الطبرانى عن ابن عباس مرفوعا ان الله تعالى خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء صفحاتها من ياقوتة حمراء قلمه نور و كتابه نور لله فى كل يوم ستون و ثلثمائة لحظة يخلق و يرزق و يميت و يحيى و يعز و يذل و يفعل ما يشاء قال ابن حجر و لا ينافيه قوله تعالى يمحو الله ما يشاء و يثبت و عنده أم الكتاب لما مر أن المحو و الاثبات انما هو بالنسبة لما فى اللوح

ثم قال للذى فى شماله هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار و أسماء آبائهم و قبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولاينقص منهم أبدا فقال أصحابه ففيم العمل يا رسول الله ان كان أمر قد فرغ منه فقال سددوا و قاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة و ان عمل أى عمل و ان صاحب النار يختم له بعمل أهل النار و ان عمل أى عمل ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه فنبذهما ثم قال فرغ ربكم

المحفوظ و علم الملائكة لان الاشياء فيه قد تكون معلقة على أسباب يتغير بوجودها و فقدها لا لام الكتاب المراد بها علم الله تعالى القديم لانه لا محو فيه و لا اثبات و سر ذلك التعليق مع أنه لايقع الا الموافق للعلم القديم مزيد التعمية على الملائكة المطلعين على ذلك و تحقيق انفراده تعالى بعلمه القديم و أنه لايمكن أحدا أن يطلع عليه الا بالنسبة لجزئيات معينة كاعلامه عليه الصلاة والسلام لجماعة من أصحابه على التعيين انهم من أهل الجنة (ثم قال للذى فى شماله هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار و أسماء آبائهم و قبائلهم) و الفاسق مسكوت عنه كما هو دأب الآيات القرآنية و الاحاديث النبوية فى جميع الاحكام الوعدية و الوعيدية ليكون بين الخوف و الرجاء راضيا بما جرى عليه من القضاء و الاظهر انه مكتوب فى أهل الجنة لان مآله اليها و ان دخل النار فان الخاتمة هى المدار عليها (ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولاينقص منهم أبدا فقال أصحابه) رضى الله عنهم (ففيم العمل يا رسول الله ان كان أمر قد فرغ منه) بصيغة المجهول يعنى اذا كان المدار على كتابة الازل فأى فائدة فى اكتساب العمل (فقال سددوا) أى اجعلوا أعمالكم مستقيمة على طريق الحق (و قاربوا) أى اطلبوا قربة الله تعالى بطاعته بقدر ما تطيقونه و الجواب من أسلوب الحكيم أى فيم أنتم من ذكر القدر و الاحتجاج به و انما خلقتم للعبادة فاعملوا و سددوا و قاربوا قاله الطيبى و قال الشيخ ابن حجر فى شرح البخارى سددوا أى الزموا السداد و هو الصواب من غير افراط و تفريط و قاربوا أى ان لم تستطيعوا الاخذ بالاكمل فاعملوا بما يقرب منه و قال الكرمانى و قاربوا فى العبادة و لا تباعدوا فانكم ان باعدتم فى ذلك لم تبلغوه أو معناه ساعدوا يقال قاربت فلانا اذا ساعدته أى ليساعد بعضكم بعضا فى الامور و حاصل الجواب و الله أعلم بالصواب نفى الجبر و القدر و اثبات الحكم باعتدال الامرين كتابة الازل و سراية العمل أو لان الاعمال أمارات و علامات فلا بد من وجودها اذ لا يعمل الله تعالى بمجرد علمه و الله أعلم و لذا قال صلى الله عليه وسلم (فان صاحب الجنة يختم له) بصيغة المجهول (بعمل اهل الجنة) أى بعمل مشعر بايمانه و مشير بايقانه (و ان عمل) أى و لو عمل قبل ذلك (أى عمل) من أعمال أهل النار (و ان صاحب النار يختم له بعمل أهل النار) أعم من الكفر والمعاصى (وان عمل أى عمل) أى قبل ذلك (من أعمال أهل الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى أشار (بيديه) العرب تجعل القول عبارة عن جميع الافعال فتطلقه على غير الكلام و اللسان فتقول قال بيده أى أخذ و قال برجله أى مشى

وقالت له العينان سمعا و طاعة * و حدّرتا كالدر لما يثقب

أى أومات و قال بالماء على يده أى قلب و قال بثوبه أى رفعه (فنبذهما) أى طرح ما فيهما من الكتابين قيل وراء ظهره و فى الازهار الضمير فى نبذهما لليدين لان نبذ الكتابين بعيد من دأبه اه و فيه أن نبذهما ليس بطريق الاهانة بل اشارة الى أنه نبذهما الى عالم الغيب ثم هذا كله اذا كان هناك كتاب حقيقى و أما على التمثيل فيكون المعنى لبذهما أى اليدين قال بعضهم قوله قال بيديه فنبذهما بمنزلة قوله جف القلم بما أنت لاق كناية عن ان هذا الامر قد فرغ منه فصار كما تخلفه وراء

من العباد فريق فى الجنة و فريق فى السعير رواه الترمذى و عن أبى خزامة عن أبيه قال قلت يارسول‌الله أرأيت رقى نسترقيها و دواء نتداوى به و تقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيأ قال هى من قدر الله رواه أحمد و الترمذى و ابن ماجه و عن أبى هريرة قال خرج علينا رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم و نحن نتنازع فى القدر

ظهرك فيكون معنى قوله (ثم قال فرغ ربكم) تفسيرا لهذا الفعل و يكون نتيجة لهذا الكلام (من العباد) قال الاشرف أى من أمر العباد و المراد بالامر الشان أى قدر أمرهم لما قسمهم قسمين و قدر لكل قسم على التعيين كونه من أهل‌الجنة أو النار بحيث لا يقبل التغيير فكأنه فرغ من أمرهم و الا فالفراغ لايجوز عليه تعالى (فريق فى الجنة و فريق فى السعير) يمكن أن يكون هذا استشهادا من القرآن و اعتضادا بالفرقان على ان أمر الفريقين مبهم عندنا و مجمل و معلوم عنده تعالى و مفصل و يمكن أن يكون موافقة لفظية و مطابقة معنوية بنوع من الاقتباسات الحكمية و التضمنات بالكلمات الالهية و الله تعالى أعلم (رواه الترمذى و عن أبى خزامة) بكسر الخاء و تخفيف الزاء (عن أبيه) و قد اختلف فيه فروى هكذا وروى عن ابن أبى خزامة عن أبيه و الاول أصح و فى اسم الراوى أبى خزامة خلاف للمحدثين قال المصنف هوأبو خزامة بن يعمر أحد بنى الحرث بن سعد روى عن أبيه وعنه الزهرى و هو تابعى (قال قلت يارسول‌الله أرأيت رقى نسترقيها) جمع رقية كظلم جمع ظلمة و هى ما يقرأ لطلب الشفاء و الاسترقاء طلب الرقية (و دواء) بالنصب (نتداوى به) أى نستعمله (و تقاة) بضم أوله (نتقيها) أى نلتجئ بها أو نحذر بسببها و أصل تقاة وقاة من وقى وهى اسم ما يلتجئ به الناس من خوف الاعداء كالترس و هو ما يقى من العدو أى يحفظ و يجوز أن يكون مصدرا بمعنى الاتقاء فالضمير فى نتقيها للمصدر قيل و هذه المنصوبات أعنى رقى و ما عطف عليها موصوفات بالافعال الواقعة بعدها و متعلقة بمعنى أرأيت أى أخبرنى عن رقى نسترقيها فنصبت على نزع الخافض و يجوز أن يتعلق بلفظ أرأيت و المفعول الاول الموصوف مع الصفة و الثانى الاستفهام بتأويل مقولا فى حقها (هل ترد) أى هذه الاسباب (من قدر الله شيأ قال هى) أى المذكورات الثلاث (من قدر الله) أيضا يعنى كما أن الله قدر الداء قدر زواله بالدواء و من استعمله و لم ينفعه فليعلم أن الله تعالى ما قدره قال فى النهاية جاء فى بعض الاحاديث جواز الرقية كقوله عليه‌الصلاة‌والسلام استرقوالها فان بها النظرة أى اطلبوالها من يرقيها و فى بعضها النهى عنها كقوله عليه‌الصلاة‌والسلام فى باب التوكل الذين لا يسترقون و لا يكتوون و الاحاديث فى القسمين كثيرة و وجه الجمع ان ما كان من الرقية بغير أسماء الله تعالى و صفاته و كلامه فى كتبه المنزلة أو بغير اللسان العربى و ما يعتقد منها أنها نافعة لا محالة فيتكل عليها فانها منهية و اياها أراد عليه‌الصلاة‌والسلام بقوله ما توكل من استرق و ما كان على خلاف ذلك كالتعوذ بالقرآن و أسماء الله تعالى و الرقى المروية فليست بمنهية و لذلك قال عليه الصلاة‌والسلام للذى رقى بالقرآن و أخذ عليه أجرا من أخذ برقية باطل فقد أخذت برقية حق و أما قوله عليه‌الصلاة‌والسلام لا رقية الا من عين أو حمة فمعناه لا رقية أولى و أنفع منهما قال ابن حجر و بتحريم الرقية بغير العربى صرحت أئمة المذاهب الاربعة (رواه أحمد و الترمذى) و قال حسن صحيح و صححه الحاكم أيضا (و ابن ماجه و عن أبى هريرة) رضى‌الله‌عنه (قال خرج علينا رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه وسلم و نحن نتنازع) أى حال كوننا نتباحث (فى القدر) أى فى شأنه فيقول بعضنا اذا كان الكل بالقدر فلم الثواب و العقاب كما قالت المعتزلة و الآخر يقول فما الحكمة فى تقدير بعض للجنة و بعض

فغضب حتى احمر وجهه حتى كأنما فقئ فى وجنتيه حب الرمان فقال أبهذا أمرتم أم بهذا أرسلت اليكم انما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا فى هذا الامر عزمت عليكم عزمت عليكم أن لاتنازعوا فيه رواه الترمذى وروى ابن ماجه نحوه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده و عن أبى موسى قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول ان الله خلق آدم من قبضة

للنار فيقول الآخر لان لهم فيه نوع اختيار كسبى فيقول الآخر فمن أوجد ذلك الاختيار و الكسب و أقدرهم عليه و ما أشبه ذلك (فغضب حتى احمر وجهه) أى نهاية الاحمرار (حتى) أى حتى صار من شدة حمرته (كأنما فقئ) بضيغة المفعول أى شق أو عصر (فى وجنتيه) أى خديه (حب الرمان) فهو كناية عن مزيد حمرة وجهه المنبئة عن مزيد غضبه و انما غضب لان القدر سر من أسرار الله تعالى و طلب سر الله منهى و لان من يبحث فيه لايأمن من أن يصير قدريا أو جبريا و العباد مأمورون بقبول ماأمرهم الشرع من غير أن يطلبوا سرمالا يجوز طلب سره (فقال) عليه‌الصلاة والسلام (أبهذا) أى أبالتنازع فى القدر (أمرتم) و همزة الاستفهام للانكار و تقديم المجرور لمزيد الاهتمام (أم بهذا أرسلت اليكم) أم منقطعة بمعنى بل و الهمزة و هى للانكار أيضا ترقيا من الاهون الى الاغلظ و انكارا غب انكار (انما هلك من كان قبلكم) أى من الامم جملة مستأنفة جوابا عما اتجه لهم أن يقولوا لم تنكر هذا الانكار البليغ (حين تنازعوا فى هذا الامر) و هذا يدل على أن غضب الله و اهلاكهم كان من غير امهال ففيه زيادة وعيد (عزمت) أى أقسمت أو أوجبت (عليكم) قيل أصله عزمت بالقاء اليمين و الزامها عليكم (عزمت عليكم أن لا تنازعوا) بحذف احدى التاءين (فيه) و لا تبحثوا فى القدر بعد هذا قال ابن الملك أن هذه يمتنع كونها مصدرية و زائدة لان جواب القسم لا يكون الا جملة و أن لا تزاد مع لا فهى اذا مفسرة كاقسمت أن لاضربت و تنازعوا جزم بلا الناهية و يجوز أن تكون مخففة من الثقيلة لانها مع اسمها و خبرها سدت مسد الجملة كذا قاله زين العرب (رواه الترمذى) أى بهذا اللفظ عن أبى هريرة و قال لانعرف الحديث الامن رواية صالح المرى و له غرائب ينفرد بها اهـ و قال فى ميزان الاعتدال صالح بن بشير الزاهد المرى الواعظ ضعفه ابن معين وغيره (و روى ابن ماجه نحوه) أى بالمعنى (عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده) اعلم أن عمرو بن شعيب بن محمد بن عبدالله بن عمرو بن العاص أبو عبد الله على الصحيح أحد علماء زمانه روى عن البخارى أن أحمد و جماعة يحتجون بحديث عمرو لكن البخارى ما احتج به فى جامعه قال أبو زرعة انما أنكروا حديثه لكثرة روايته و انما سمع أحاديث بسرة و أخذ صحيفة كانت عندها فرواها وشعيب لا نعرفه و لكن ما علمت أحدا وثقه بل ذكره ابن حبان فى تاريخ الثقات و قال ابن عدى عمرو بن شعيب ثقة الا أنه اذا روى عن أبيه عن جده عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم يكون مرسلا قلت قد ثبت سماعه عن عبدالله وهو الذى رباه حتى قيل ان محمدا مات فى حياة أبيه عبدالله و كفل شعيبا جده عبدالله كذا فى الميزان للذهبى و قال بعض المحققين الصحيح ان الضمير فى جده راجع الى شعيب و كثيرا ما وقع فى رواية أبى داود و النسائى و غيرهما بلفظ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبدالله بن عمرو بن العاص فحديثه لاطعن فيه و قال الامام النووى أنكر بعضهم حديث عمرو عن أبيه عن جده باعتبار ان شعيبا سمع من محمد لا عن جده عبدالله فيكون حديثه مرسلا لكن الصحيح أنه سمع من جده عبدالله فحديثه بهذا الطريق متصل لكن لاحتمال أن يراد بجده فى الاسناد محمد لا عبدالله لم يدخل حديثه بهذا الاسناد فى الصحاح و ان احتجوا به و قال الشيخ ابن حجر فى شرح البخارى ترجمة عمرو قوية على المختار حيث لاتعارض و الله أعلم كذا حرره

قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض منهم الاحمر و الابيض و الاسود و بين ذلک و السهل و الحزن و الخبيث و الطيب رواه أحمد و الترمذى و أبو داود وعن عبدالله بن عمرو قال سمعت رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم يقول ان الله خلق خلقه فى ظلمة

ميرك شاه رحمه‌الله (و عن أبى موسى قال سمعت رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم يقول ان الله خلق آدم من قبضة) بالضم و يفتح و من ابتدائية متعلقة بخلق أو بيانية حال من آدم (قبضها) أى أمر الملک بقبضها و القبضة بالضم ملء الكف و ربما جاء بفتح القاف كذا فى الصحاح و فى القاموس القبضة و ضمه أكثر ما قبضت‌عليه من شئ و فى النهاية القبض الاخذ بجميع الكف و القبضة المرة منه و بالضم الاسم منه (من جميع الارض) يعنى و جهها أى من جميع ما قدرالله أن يسكنه بنو آدم من الارض و ليس مراده من جميع الارض لان من الارض ما لايصل اليه قدم آدمى و القابض من جميع الارض هو عزرائيل عليه‌الصلاة‌والسلام فنسب الفعل اليه تعالى لانه بامره و ارادته ولما كان عزرائيل متولى القبضة ولى قبض الارواح من أجسادها ليرد وديعة الله التى قبضها من الارض اليها كذا قاله زين العرب و فيه اشارة الى آية منها خلقنا كم و فيها نعيدكم و منها نخرجكم تارة أخرى هذا و ذكر السيوطى رحمه‌الله فى الدر المنثور عن أبى هريرة قال خلق الكعبة قبل الارض بالفى سنة قالوا كيف خلقت قبل و هى من الارض قال كانت خشفة على الماء و هى بالخاء و الشين المعجمتين و الفاء أى حجرة أو أكمة أو جزيرة عليها ملكان يسبحان الليل و النهار ألفى سنة فلما أرادالله أن يخلق الارض دحاها منها فجعلها فى وسط الارض فلما أراد الله أن يخلق آدم بعث ملكا من حملة العرش يأتى بتراب من الارض فلما هوى ليأخذ قالت الارض أسألک بالذى أرسلک أن لاتأخذ منى اليوم شيأ يكون منه للنار نصيب غدا فتركها فلما رجع الى ربه قال ما منعک أن تأتى بما أمرتک قال سألتنى بک فعظمت أن أرد شيأ سألنى بک فأرسل آخر فقال مثل ذلک حتى أرسلهم كلهم فارسل ملک الموت فقالت له مثل ذلک قال ان الذى أرسلنى أحق بالطاعة منک فاخذ من وجه الارض كلها من طيبها و خبيثها حتى كانت قبضة عند موضع الكعبة فجاء به الى ربه فصب عليه من ماء الجنة فجاء حمأ مسنونا فخلق منه آدم بيده الحديث (فجاء بنو آدم على قدر الارض) أى مبلغها من الالوان و الطباع (منهم الاحمر و الابيض و الاسود) بحسب ترابهم و هذه الثلاثة هى أصول الالوان و ماعداها مركب منها و هو المراد بقوله (و بين ذلک) أى بين الاحمر و الابيض و الاسود باعتبار أجزاء أرضه (و السهل) أى و منهم السهل أى اللين (و الحزن) بفتح الحاء و سكون الزاى أى الغليظ (و الخبيث) أى خبيث الخصال (و الطيب) على طبع أرضهم و كل ذلک بتقدير الله تعالى لونا و طبعا و خلقا قال الطيبى ولما كانت الاوصاف الاربعة ظاهرة فى الانسان و الارض أجريت على حقيقتها و أولت الاربعة الاخيرة لانها من الاخلاق الباطنة فان المعنى بالسهل الرفق و اللين و بالحزن الخرق و العنف و بالطيب الذى يعنى به الارض العذبة المؤمن الذى هو نفع كله و بالخبيث الذى يراد به الارض السبخة الكافر الذى هو ضر كله و الذى سيق له الحديث هو الامور الباطنة لانها داخلة فى حديث القدر بالخير و الشر و أما الامور الظاهرة من الالوان و ان كانت مقدرة فلا اعتبار لها فيه اه و يمكن أن يكون لها اعتبار اشارة الى أن هذه الاوصاف و الآثار بمنزلة هذه الالوان فى كونها تحت الاقدار غايته أن الاوصاف قابلة للزيادة و النقصان بحسب الطاعة و الامكان لمجاهدة الانسان بخلاف الالوان و ان نظرت الى الحقيقة فلا تبديل ولا تغيير لخلق‌الله و هذا معنى قوله جف القلم على علم‌الله (رواه أحمد و الترمذى و أبو داود) و كذا الحاكم و البيهقى (و عن عبدالله بن عمرو) بالواو (قال سمعت

ـ فألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى و من أخطأه ضل فلذلك أقول جف القلم على علم الله رواه أحمد و الترمذي و عن أنس قال كان رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يكثر أن يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقلت يا نبي الله آمنا بك و بما جئت به فهل تخاف علينا قال نعم

رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول ان الله خلق خلقه) أي الثقلين من الجن و الانس لا الملائكة (في ظلمة) أي كائنين في ظلمة النفس الامارة بالسوء المجبولة بالشهوات المردية و الاهواء المضلة و الركون الى المحسوسات و الغفلة عن عالم الغيب (فألقى) أي رش (عليهم) شيأ (من نوره) فمن نوره صفة محذوف أي شيأ منه و من للتبيين أو للتبعيض أو زائدة و المراد منه نور الايمان و المعرفة و الايقان و الطاعة و الاحسان (فمن أصابه من ذلك النور) أي نوره المعنوي الواصل اليه و النور مجرور و يجوز أن يرفع على انه فاعل أصابه و من ذلك حال منه ذكره العيني (اهتدى) أي الى طريق الجنة (و من أخطأه) أي ذلك النور يعني جاوزه ولم يصل اليه (ضل) أي خرج عن طريق الحق و قيل المراد بالنور الملقى اليهم ما نصب من الشواهد و الحجج وما أنزل اليهم من الآيات و النذر اذ لولا ذلك لبقوا في ظلمات الضلالة في بيداء الجهالة و قيل المراد بالظلمة كالحرص و الحسد و الكبر و غيرها من الاخلاق الذميمة و بالنور التوفيق و الهداية بقلع ذلك فمن وفقه لذلك اهتدى و من لم يوفقه ضل و غوى و قيل المراد بالظلمة الجهالة و بالنور المعرفة يعني خلق الله الخلق جاهلين به و بصفاته فعرفهم ذاته و صفاته ليعرفوه و قيل المراد انه خلق أرواحهم في ظلمة و حيرة فألقى عليهم نور الرحمة و الهداية و لولا ذلك لم‌يهتد اليه أحد

لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا

قيل و يمكن أن يحمل الحديث على خلق الذر المستخرج في الازل من صلب آدم فعبر بالنور عن الالطاف الالهية التي هي تباشير صبح الهداية و اشراق لمعات برق العناية ثم أشار بقوله أصاب و أخطأ الى ظهور تلك العناية فيمالايزال من هداية بعض و ضلال بعض (فلذلك) أي من أجل أن الاهتداء و الضلال قد جرى (أقول جف القلم على علم الله) أي على ما علم الله و حكم به في الازل لايتغير ولا يتبدل و جفاف القلم عبارة عنه و قيل من أجل عدم تغير ما جرى في الازل تقديره من الايمان و الطاعة و الكفر و المعصية أقول جف القلم قيل وجه التوفيق بين هذا المعنى و بين قوله ما من مولود أن يقال الانسان مركب من الروحانية التي تقتضي العروج الى عالم القدس و هي مستعدة لقبول فيضان نور الله تعالى و التحلي بالكمالات و من النفسانية المائلة الى ظلمات الشهوات و الضلال فهذا الحديث مسوق في القدر بدليل قوله جف القلم فنبه فيه على ان الانسان خلق على حالة لاتنفك عن ظلمة الا من أصابه من النور الملقى عليهم وفي هذا الحديث لمح الى القضاء كقوله ما من مولود فأجرى الكلام على ما مر بيانه (رواه أحمد و الترمزي و عن أنس) رضي‌الله‌عنه (قال كان رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يكثر) من الاكثار (أن يقول) هذا القول (يامقلب القلوب) أي مصرفها تارة الى الطاعة و تارة الى المعصية و تارة الى الحضرة و تارة الى الغفلة (ثبت قلبي على دينك) أي اجعله ثابتا على دينك غير مائل عن الدين القويم و الصراط المستقيم و الخلق العظيم (فقلت يا نبي الله آمنابك) أي بنبوتك و رسالتك (و بما جئت به) من الكتاب و السنة (فهل تخاف علينا) يعني ان قولك هذا ليس لنفسك لانك في عصمة من الخطأ و الزلة خصوصا من تقلب القلب عن الدين و الملة و انما المراد تعليم الامة فهل تخاف علينا من زوال نعمة الايمان أو الانتقال من الكمال الى النقصان (قال نعم) يعني أخاف عليكم

ان القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء رواه الترمذى و ابن ماجه و عن أبى موسى قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم مثل القلب كريشة بأرض فلاة يقلبها الرياح ظهرا لبطن رواه أحمد و عن على قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لايؤمن عبد حتى يؤمن بأربع يشهد أن لااله‌الاالله و أنى رسول‌الله بعثنى بالحق و يؤمن بالموت و البعث بعد الموت

(ان القلوب بين أصبعين من أصابع الله) وفى خبر مسلم من أصابع الرحمن والفرق انه ابتدأ به ثمة فالرحمة سبقت الغضب فناسب ذكر الرحمن وهنا وقع تأييدا للخوف عليهم فالمقام مقام هيبة و اجلال فناسب ذكر مقام الجلالة و الالهية المقتضية لان يخص من شاءبماشاء من هداية أو ضلالة (يقلبها) أى القلوب (كيف يشاء) مفعول مطلق أى تقليبا يريده أوحال من الضمير المنصوب أى يقلبها على أى صفة شاءها (رواه الترمذى و ابن ماجه و عن أبى موسى) رضى‌الله‌عنه (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم مثل القلب) أى صفة القلب العجيبة الشان و ما يرد عليه من عالم الغيب من الدواعى و سرعة تقلبه بسببها (كريشة) أى كصفة ريشة و هى وحدة الريش (بارض) بالتنوين و قيل بالاضافة (فلاة) صفة أى مفازة خالية من النبات قيل ذكر الارض مقحم لان الفلاة تدل عليها فالمقصود التأكيد لدفع التجوز كما فى أبصرتها بعينى و تخصيص الفلاة لان التقليب فيها أشد من العمران (يقلبها الرياح) بالتذكير و قيل بالتأنيث قال الطيبى صفة أخرى لريشة و جمع الرياح للدلالة على ظهور التقليب اذ لو استمر الريح على جانب واحد لم يظهر التقلب (ظهرا لبطن) أى و بطنا لظهر يعنى كل ساعة يقلبها على صفة فكذا القلب ينقلب ساعة من الخير الى الشر و بالعكس و قوله ظهرا بدل البعض من الضمير فى يقلبها و اللام فى لبطن بمعنى الى كقوله تعالى مناديا ينادى للايمان و يجوز أن يكون ظهرا لبطن مفعولا مطلقا أى تقليبا مختلفا و أن يكون حالا يعنى مقدرة أى يقلبها مختلفة و لهذا الاختلاف والانقلاب يسمى القلب قلبا (رواه أحمد) و رواه ابن ماجه بلفظ مثل القلب مثل الريشة يقلبها الرياح بفلاة (و عن على رضى‌الله‌عنه) و فى نسخة كرم‌الله‌وجهه (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لا يؤمن عبد) هذا نفى أصل الايمان أى لايعتبر ما عنده من التصديق القلبى (حتى يؤمن باربع يشهد) منصوب على البدل من قوله حتى يؤمن و قيل مرفوع تفصيل لما سبقه أى يعلم و يتيقن (أن‌لااله‌الاالله و أنى رسول‌الله) أى يؤمن بالتوحيد و الرسالة و عدل الى لفظ الشهادة أمنا من الالباس بأن يشهد و لم‌يؤمن أو دلالة على أن النطق بالشهادتين أيضا من جملة الاركان فكأنه قيل يشهد باللسان بعد تصديقه بالجنان أو اشارة الى أن الحكم بالظواهر و الله أعلم بالسرائر (بعثنى بالحق) استئناف كأنه قيل لم‌يشهد فقال بعثنى بالحق أى الى كافة الانس و الجن و يجوز أن يكون حالا مؤكدة أو خبرا بعد خبر فيدخل على هذا فى حيز الشهادة و قد حكى صلى‌الله‌عليه‌وسلم على القولين كلام الشاهد بالمعنى اذ عبارته ان محمدا و بعثه (و يؤمن بالموت) بالوجهين (و البعث) أى يؤمن بوقوع البعث (بعد الموت) و تكرير الموت ايذان للاهتمام بشأنه قال الابهرى فان قلت لم أكد الموت بذكر لفظ يؤمن دون البعث مع أن الموت ظاهر لاينكر و البعث خفى ينكر قلت اشارة الى أن أدلة البعث ظاهرة و الى أنهم متمادون فى الغفلة عن ذكر الموت اه قلت و لهذا قال الغزالى ليس يقين أشبه بالشك من الموت قال الراغب و الموت أحد الاسباب الموصلة الى النعيم فهو فى الظاهر فناء و فى الحقيقة ولادة ثانية و بقاء و هو باب من أبواب الجنة فلذلك من على الانسان بخلقه حيث قال خلق الموت و الحياة و قدم لانه الموصل الى الحياة الحقيقية فالتغييرات الواقعة لاجله كما فى النوى المزروع اذ لايصير نخلا الا بفساد جثته و كما فى البر اذا أردنا أن نجعله زيادة

و يؤمن بالقدر رواه الترمذى و ابن ماجه و عن ابن عباس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم صنفان من أمتى ليس لهما فى الاسلام نصيب المرجئة و القدرية رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب

فى أبداننا و كما فى البذر اذا زرع قيل فكان ذلك الفساد ظاهرا هو عين الصلاح باطنا فرضا النفس بالبقاء فى الدنيا انما هو لقذارتها و رضاها بالاعراض الدنية كما رضى الجعل بالانغماس فى العذرة دائما بل قيل انه اذا شم المسك مات لوقته (و يؤمن) بالوجهين (بالقدر) قال المظهر المراد بهذا الحديث نفى أصل الايمان لا نفى الكمال فمن لم يؤمن بواحد من هذه الاربعة لم يكن مؤمنا الاول الاقرار بالشهادتين و أنه مبعوث الى كافة الانس و الجن و الثانى أن يؤمن بالموت أى يعتقد فناء الدنيا و هو احتراز عن مذهب الدهرية القائلين بقدم العالم و بقائه أبدا قلت و فى معناه التناسخى و يحتمل أن يراد اعتقاد أن الموت يحصل بامر الله لا بفساد المزاج كما يقوله الطبيعى و الثالث أن يؤمن بالبعث و الرابع أن يؤمن بالقدر يعنى بان جميع ما يجرى فى العالم بقضاء الله و قدره (رواه الترمذى و ابن ماجه و عن ابن عباس) رضى‌الله‌عنهما (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم صنفان) أى نوعان (من أمتى) أى أمة الاجابة (ليس لهما فى الاسلام نصيب) أى حظ كامل أو ليس لهما فى كمال الانقياد لما قضى و قدر على العباد مما أراد نصيب أى حظ مطلقا قال التوربشتى ربما يتمسك به من يكفر الفريقين و الصواب أن لايسارع الى تكفير أهل البدع لانهم بمنزلة الجاهل أو المجتهد المخطئى و بهذا قول المحققين من علماء الامة احتياطا فيحمل قوله ليس لهما نصيب على سوء الحظ و قلة النصيب كما يقال ليس للبخيل من ماله نصيب و أما قوله عليه‌الصلاة‌والسلام يكون فى أمتى خسف و قوله ستة لعنتهم و أمثال ذلك فيحمل على المكذب به أى بالقدر اذا أتاه من البيان ما ينقطع به العذر أوعلى من تفضى به العصبية الى تكذيب ما ورد فيه من النصوص أو الى تكفير من خالفه و أمثال هذه الاحاديث واردة تغليظا و زجرا و قال ابن حجر فمن أطلق تكفير الفريقين أخذا بظاهر هذا الخبر فقد استروح بل الصواب عند الاكثرين من علماء السلف و الخلف انا لانكفر أهل البدع و الأهواء الا أن أتوا بمكفر صريح لا استلزامى لان الاصح أن لازم المذهب ليس بلازم ومن ثم لم يزل العلماء يعاملونهم معاملة المسلمين فى نكاحهم و انكاحهم و الصلاة على موتاهم و دفنهم فى مقابرهم لانهم و ان كانوا مخطئين غير معذورين حقت عليهم كلمة الفسق و الضلال الا أنهم لم يقصدوا بما قالوه اختيار الكفر و انما بذلوا وسعهم فى اصابة الحق فلم يحصل لهم لكن لتقصيرهم بتحكيم عقولهم و أهويتهم و اعراضهم عن صريح السنة و الآيات من غير تأويل سائغ و بهذا فارقوا مجتهدى الفروع فان خطأهم انما هو لعذرهم بقيام دليل آخر عندهم مقاوم لدليل غيرهم من جنسه فلم يقصروا ومن ثم أثيبوا على اجتهادهم (المرجئة) يهمز ولا يهمز من الارجاء مهموزا و معتلا و هو التأخير يقولون الافعال كلها بتقدير الله تعالى و ليس للعباد فيها اختيار و انه لايضر مع الايمان معصية كما لاينفع مع الكفر طاعة كذا قاله ابن الملك و قال الطيبى قيل هم الذين يقولون الايمان قول بلا عمل فيؤخرون العمل عن القول و هذا غلط بل الحق أن المرجئة هم الجبرية القائلون بان اضافة الفعل الى العبد كاضافته الى الجمادات سموا بذلك لانهم يؤخرون أمر الله و نهيه عن الاعتداد بهما و يرتكبون الكبائر فهم على الافراط (و القدرية) على التفريط و الحق ما بينهما اه و القدرية بفتح الدال و تسكن وهم المنكرون للقدر القائلون بأن أفعال العباد مخلوقة بقدرتهم و دواعيهم لابقدرة الله و ارادته و انما نسبت هذه الطائفة الى القدر لانهم يبحثون فى القدر كثيرا (رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب) عده

و عن ابن عمر قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول يكون فى أمتى خسف و مسخ و ذلك فى المكذبين بالقدر رواه أبو داود و روى الترمذى نحوه و عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم القدرية مجوس هذه الامة

فى الخلاصة من الموضوعات لكن قال فى جامع الاصول أخرجه الترمذى قال صاحب الازهار حسن غريب و كتب مولانا زاده و هو من أهل الحديث فى زماننا أنه رواه الطبرانى و اسناده حسن و نقل عن بعضهم أيضا من رواته مجهولون كذا ذكره العينى و قال الفيروزابادى لايصح فى ذم المرجئة و القدرية حديث و فى الجامع الصغير بعد ذكره الحديث المذكور رواه البخارى فى تاريخه و الترمذى و ابن‌ماجه عن ابن عباس و ابن ماجه عن جابر و الخطيب عن ابن عمر و الطبرانى فى الاوسط عن أبى سعيد و رواه أبو نعيم فى الحلية عن أنس و لفظه صنفان من أمتى لاتنالهم شفاعتى يوم القيامة المرجئة و القدرية (و عن ابن عمر) رضى‌الله‌عنهما (قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول يكون فى أمتى) أى أمة الاجابة (خسف و مسخ) يقال خسف الله به أى غاب به فى الارض و المسخ تحويل صورة الى ما هو أقبح منها (و ذلك) أى ما ذكر من الخسف و المسخ واقع (فى المكذبين بالقدر) بهذا الحديث تبين أن القدرية المذمومة انماهم المكذبة بالقدرلا المؤمنة به كما زعمت المعتزلة و نسبوا أهل السنة و الجماعة الى القدرية لما هو بمقتضى المقابلة بالجبرية و انما عاقبهم الله بهما لاضافتهما الكوائن الى غيرالله محتوا خلق‌الله و مسخوا صور خلقه فجازاهم‌الله بمحق و مسخ قال الاشرف معنى الحديث ان يكن مسخ و خسف يكونا فى المكذبين بالقدر قال الطيبى لعله اعتقد أن هذه الامة المرحومة مأمونة منهما فاخرج الكلام مخرج الشرطية و قوله ذلك أى فى الحديث يدل على استحقاق ما سبق أى من الخسف و المسخ لاجل ما بعده من التكذيب و قد سبق عن التوربشتى أن الحديث من باب التغليظ فلا حاجة الى تقدير الشرط و أبو سليمان الخطابى ذهب الى وقوع الخسف و المسخ فى هذه الامة حيث قال قد يكونان فى هذه الامة كما فى سائر الامم خلاف قول من زعم ان ذلك لا يكون انما مسخها بقلوبها ذكره فى اعلان السنن قيل المراد بالخسف الاذهاب فى الارض كما فعل بقارون و أمواله و بالمسخ تبديل الابدان الى القردة و الخنازير و غيرهما كما فعل بقوم داود و عيسى و قيل المراد بالخسف تسويد الوجه و الابدان مأخوذ من خسوف القمر و بالمسخ تسويد قلوبهم و اذهاب معرفتهم و ادخال القساوة و الجهل و التكبر فيها كذا ذكره الابهرى ولايبعد أن يكون مسخهما يوم القيامة بتسويد وجوههما كما قاله بعض المفسرين فى قوله تعالى يوم تبيض وجوه وجوه أهل السنة و تسود وجوه وجوه أهل البدعة و خسفهما انهيارهما من الصراط فى النار أو نزولهما فى قعردار البوار و الله أعلم بالاسرار (رواه أبو داود) أى بهذا اللفظ (و روى الترمذى نحوه) أى بالمعنى (و عنه) أى عن ابن عمر (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم القدرية مجوس هذه الامة) أى أمة الاجابة لان قولهم أفعال العباد مخلوقة بقدرهم يشبه قول المجوس القائلين بان للعالم الهين خالق الخير و هو يزدان وخالق الشر و هو أهر من أى الشيطان و قيل المجوس يقولون الخير من فعل النوروالشر من فعل الظلمة كذلك القدرية يقولون الخير من الله و الشر من الشيطان و من النفس و قال الخطابى لاحداثهم فى الاسلام مذهبا يشبه مذهب المجوس من وجه هو انهم يضيفون الكائنات أعيانا واحداثا الى الهين أحدهما لايصدر عنه الا ما هو خير و الثانى لايصدر عنه الاما هو شر و قول القدرية يشبه ذلك لكن فى الاحداث لا الاعيان لاضافتهم الخير الى الله و الشر الى النفس اه و لعله مذهب فرقة من المعتزلة و الا فالمشهور عنهم ما صرح به الزمخشرى منهم و هو أن الحسنة التى هى الخصب و الصحة و السيئة التى

ان مرضوا فلا تعودوهم و ان ماتوا فلا تشهدوهم رواه أحمد و أبوداود و عن عمر قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لاتجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم رواه أبوداود و عن عائشة قالت قال رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وسلم ستة لعنتهم و لعنهم الله و كل نبى مجاب

هى القحط و المرض من الله تعالى و أما الطاعة فمن العبد لكن الله تعالى قد لطف به فى أدائها و بعثه عليها و كذلك المعصية منه أيضا و الله تعالى برىء منها قال ابن حجر و على هذا فوجه تسميتهم مجوسا أنه يلزم على قولهم هذا تعدد الاله أيضا لان الباعث على الطاعة غير الباعث على المعصية عندهم كما تقرر (ان مرضوا فلا تعودوهم و ان ماتوا فلا تشهدوهم) النهى محمول على الزجر و التغليظ و تقبيح اعتقادهم على قول من لم يحكم بكفرهم و على الحقيقة على قول من حكم بكفرهم اذ الفاسق لامنع ولا كراهة فى شهود جنازته بخلاف المريض فضلا عن كفره يمنع عن عيادته كذا ذكره ابن حجر و هو مخالف لمذ هبنا فان عيادة المريض من المسلمين فرض كفاية كشهود جنازتهم و خص هاتين الخصلتين لانهما ألزم و أولى من سائر الحقوق فانهما حالتان مفتقرتان الى الدعاء بالصحة و المغفرة فيكون النهى عنهما أبلغ فى المقصود (رواه أحمد و أبو داود) و كذا الحاكم (وعن عمر) رضى‌الله‌عنه (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لاتجالسوا أهل القدر) بضم أوله أى لاتوادوهم ولا تحابوهم فان المجالسة و نحوها من المماشاة من علامات المحبة و امارات المودة فالمعنى لاتجالسوهم مجالسة تأنيس و تعظيم لهم لانهم اما أن يدعوكم الى بدعتهم بما زينه لهم شيطانهم من الحجج الموهمة و الادلة المزخرفة التى تجلب من لم يتمكن فى العلوم و المعارف اليهم بادى الرأى و أما أن يعود عليكم من نقصهم و سوء عملهم ما يؤثر فى قلوبكم و أعمالكم اذ مجالسة الاغيار تجر الى غاية البوار و نهاية الخسار قال تعالى ياأيها الذين أمنوا اتقوا الله و كونوا مع الصادقين ولاينافى اطلاق الحديث تقييد الآية فى المنافقين حيث قال الله تعالى فلاتقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره انكم اذا مثلهم و كذا قوله عزوجل و اذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره فلم ينه عن مجالستهم مطلقا لان الحديث يحمل على من لم يأمن على نفسه منهم فيمنع عن مجالستهم مطلقا و الآية على من أمن فلا حرج عليه فى مجالسته لهم بغير التأنيس و التعظيم ما لم يكونوا فى كفر و بدعة و كذا اذا خاضوا و قصد الرد عليهم و تسفيه أدلتهم و مع هذا البعد عنهم أولى و الاجتناب عن مباحثتهم أحرى (ولا تفاتحوهم) من الفتاحة بضم الفاء و كسرها أى الحكومة و منه قوله تعالى ربنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق أى لاتحاكموا اليهم فانهم أهل عناد و مكابرة و قيل لاتبدؤوهم بالسلام أو بالكلام و قال المظهر لاتناظروهم فانهم يوقعونكم فى الشك و يشوشون عليكم اعتقادكم أى و ان لم تجالسوهم فهو عطف مغاير و قيل عطف خاص لان المجالسة تشتمل على المؤاكلة و المؤانسة و المحادثة و غيرها و فتح الكلام فى القدر أخص من ذلك (رواه‌ابوداود) وكذا أحمد و الحاكم (و عن عائشة) رضى‌الله عنها (قالت قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ستة) أى اشخاص أو أقوام (لعنتهم) أى دعوت عليهم بالبعد عن رحمة الله (و لعنهم الله) بالواو العاطفة و بدونها و هو الاصح و لم يعطفه على جملة قبله اما لانه دعاء و ما قبله خبر و اما لكونه عبارة عما قبله فى المعنى لان لعنة الله هى لعنة رسوله و بالعكس و اما لكونه استئنافا كانه قيل فماذا بعد فأجيب لعنهم الله و الثانية منبئة عن الاول أو قيل لمذا فبالعكس و على هذا قوله (وكل نبى مجاب) معترض بين البيان و المبين يعنى من شأن كل نبى أن يكون مستجاب الدعوة و كل نبى مبتدأ خبره مجاب على بناء المفعول من المضارع أى يجاب دعوته

الزائد في كتاب الله و المكذب بقدر الله و المتسلط بالجبروت ليعز من أذله الله و يذل من أعزه الله و المستحل لحرم الله و المستحل من عترتي ما حرم الله و التارك لسنتي رواه البيهقي في المدخل و رزين

و هو الرواية المشهورة و يروى بالميم أي مجاب الدعوة و الجملة على الروايتين اما ابتدائية و اما عطف على ستة لعنتهم أو حال من فاعل لعنتهم و جملة لعنهم الله انشائية معترضة بين الحال و صاحبها و قال التوربشتي لايصح عطف و كل نبي مجاب على فاعل لعنتهم و مجاب صفة و صححه الاشرف لوجود الفاصل قال الطيبي و فيه نظر لان المانع عطف الجملة على المفرد يعني لاالعطف على الضمير المرفوع المتصل و فيه ان قوله مجاب صفة يدل على أنه لايريد عطف الجملة ثم قال الطيبي ولا يجوز أن يجعل مجاب صفة لاخبرا اذ يلزم أن يكون بعض الانبياء مجاب الدعوة و منه فرالتوربشتي و أبطل رواية الجر في مجاب اه ويمكن أن يجعل صفة كاشفة (الزائد في كتاب الله) أي القرآن و سائر كتبه بأن يدخل فيه ما ليس فيه أو يؤوله بما يأباه اللفظ و يخالف الحكم كما فعلت اليهود و الزيادة في كتاب الله في نظمه و حكمه كفر و تأويله بما يخالف الكتاب و السنة بدعة و قال ابن حجر أي الزائد في كتاب الله لفظة لم تتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم زاعما قرآنيتها لحرمة القراءة بالشواذ و ان صحت عنه عليه الصلاة والسلام لانها حينئذ في حكم الخبر لا القرآن فلا تذكر الالبيان تفسير أو زيادة حكم فمن أتى بها على أنها قرآن مع اعترافه بأن القرآن لايثبت الا بالتواتر كما عليه عامة العلماء صدق عليه أنه زاد في كتاب الله فيشمله اللعن لفسقه بل كفره ان استباح مطلق الزيادة في القرآن (و المكذب بقدر الله) تقدم حكمه (و المتسلط بالجبروت) أي الانسان المستولي المتقوى الغالب أو الحاكم بالتكبر و العظمة الناشئ عن الشوكة و الولاية و الجبروت فعلوت مبالغة من الجبر و هو القهر قيل و انما يطلق ذلك في صفة الانسان على من يجبر نقيصته بادعاء منزلة من التعالي ولا يستحقها أو بتولية المناصب من لايستحقها و منعها من يستحقها (ليعز من أذله الله و يذل من أعزه الله) قيل اللام في ليعز للعاقبة كما في قوله تعالى ليكون لهم عدوا و حزنا و في الحديث لدوا للموت و ابنوا للخراب لا للتعليل اذ يلزم جواز التسلط بغير ذلك ظاهرا أي من أذله الله لفسقه أو لكفره يرفع مرتبته على المسلمين أو يحكمه فيهم كما فعل كثير من حكام الجور برفع اليهود و النصارى على كثير من المسلمين و الفسقة على العدول المبرزين و يذل من أعزه الله بان يخفض مراتب العلماء و الصلحاء أو نحوهم (و المستحل لحرم الله) بفتح الحاء و الراء يريد حرم مكة بأن يفعل فيه مالا يحل فيه من الاصطياد و قطع الشجر و دخوله بلااحرام كذا قاله الطيبي و ضم الحاء على أنه جمع حرمة تصحيف كذا قاله بعض الشراح و نقل ميركشاه عن التخريج انه بضم الحاء و فتح الراء و زعم بعضهم أنه بفتحهما وما قد منا أعم الا أن تكون الرواية كما قال و لم يثبت ذلك اه و النسختان صحيحتان لكن يؤيد الاول باعتبار المعنى قوله (و المستحل من عترتي ما حرم الله) أي من ايذائهم و ترك تعظيمهم و العترة الاقارب القريبة وهم أولاد فاطمة و ذراريهم و تخصيص ذكر الحرم و العترة و كل مستحل محرم ملعون لشرفهما و ان أحدهما منسوب الى الله و الآخر الى رسول الله فعلى هذا من في من عترتي ابتدائية قال الطيبي و يحتمل أن تكون بيانية بان يكون المستحل من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه تعظيم الجرم الصادر عنهم قال ابن حجر هو بضم الحاء و هذا كافر اذ يدخل تحت عمومه من استباح محرما بالاجماع معلوما من الدين بالضرورة كفر بل قال كثيرون لايشترط علمه ضرورة (و التارك لسنتي) أي المعرض عنها بالكلية أو بعضها استخفافا وقلة مبالاة كافر و ملعون و تاركها تهاونا وتكاسلا لا عن استخفاف عاص و اللعنة عليه من باب التغليظ (رواه البيهقي في المدخل) بفتح الميم و الخاء (ورزين)

فی کتابه و عن مطر بن عکامس قال قال رسول‌الله‌صلی‌الله‌علیه‌وسلم اذا قضی الله لعبد أن یموت بارض جعل له الیها حاجة رواه أحمد و الترمذی و عن عائشة رضی‌الله‌عنها قالت قلت یا رسول‌الله ذراری المؤمنین قال من آبائهم فقلت یا رسول‌الله بلا عمل قال الله أعلم بما کانوا عاملین قلت فذراری المشرکین قال من آبائهم قلت بلا عمل قال الله أعلم بما کانوا عاملین

٧١ ورواه رزین (فی کتابه) أی الذی جمع فیه بین الصحاح لکنه لم یوف بذلک فقد ذکر فیه حتی الموضوع کخبر الصلاة لیلة النصف من شعبان و الرغائب کذا قاله ابن حجر و فی الجامع الصغیر رواه النسائی و الحاکم عن عائشة و الحاکم عن علی (و عن مطر بن عکامس) رضی‌الله‌عنه بضم العین و کسر المیم السلمی عداده فی الکوفیین له حدیث واحد ولم یرو عنه غیر أبی‌اسحق السبیعی (قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم اذا قضی الله) أی أراد أو قدر او حکم (لعبد أن یموت بارض و هو فی غیرها جعل) أی أظهر الله (له الیها حاجة) أی فیأتیها و یموت فیها اشارة الی قوله تعالی و ماتدری نفس بأی أرض تموت (رواه أحمد و الترمذی) و قال غریب لا یعرف لمطر غیر هذا الحدیث و رواه الحاکم و قال صحیح و فی الجامع الصغیر اذا أراد الله قبض عبد بارض جعل له بها حاجة رواه أحمد و الطبرانی و أبونعیم فی الحلیة عن أبی عزة بفتح المهملة و تشدید الزای (و عن عائشة) رضی‌الله‌عنها (قالت قلت یا رسول‌الله ذراری المؤمنین) خبر مبتدأ محذوف أی ما حکم ذراریهم أهم فی الجنة أم النار (قال من آبائهم) من اتصالیة کقوله تعالی المنافقون و المنافقات بعضهم من بعض و قوله صلی‌الله‌علیه‌وسلم ما أنا من دد ولا الدد منی أی اللهو و اللعب فالمعنی انهم متصلون بآبائهم و قیل من تبعیضیة و المعنی هم بعض آبائهم فلهم حکمهم ای یعلم حکمهم من حکم آبائهم یعنی ان کان آباؤهم من أهل الجنة فهم کذلک و قال التوربشتی أی معدودون من جملتهم لان الشرع یحکم بالاسلام لاسلام أحد الابوین و یأمر بالصلاة علیهم و بمراعاة أحکام المسلمین و کذلک یحکم علی ذراری المشرکین بالاسترقاق و بمراعاة أحکامهم فیهم قبل ذلک و بانتفاء التوارث بینهم و بین المسلمین فهم ملحقون فی ظاهر الامر بآبائهم (فقلت یارسول‌الله بلا عمل) هذا وارد منها علی سبیل التعجب اذ لا موجب للثواب و العقاب و المعنی أیدخلون الجنة بلا عمل و الله تعالی یقول أدخلوا الجنة بما کنتم تعملون. (قال صلی‌الله‌علیه‌وسلم الله أعلم بما کانوا عاملین) أی لو بلغوا ردا لتعجبها و اشارة الی القدر و لهذا أورد الحدیث فی باب القدر (قلت فذراری المشرکین) أی فما حکمهم (قال من آبائهم) أی یعلم من حکم آبائهم أو معناه أتباع لآبائهم (قلت بلا عمل قال الله أعلم بما کانوا عاملین) قال التوربشتی یعنی انهم تبع لهم فی الدنیا و أما الآخرة فموکول أمرهم الی علم الله تعالی بهم قال القاضی الثواب و العقاب لیسا بالاعمال و الا لم یکن ذراری المسلمین و الکفار من أهل الجنة و النار بل الموجب اللطف الالهی و الخذلان المقدر لهم فی الازل فالواجب فیهم التوقف و عدم الجزم فان أعمالهم موکولة الی علم الله فیما یعود الی أمر الآخرة و الاعمال دلائل السعادة و الشقاوة و لا یلزم من انتفاء الدلیل انتفاء المدلول قال النووی فی شرح صحیح مسلم اختلف العلماء فی أطفال المشرکین فمنهم من یقول هم تبع لآبائهم فی النار و منهم من توقف و الصحیح انهم من أهل الجنة و استدل علیه بأشیاء منها حدیث ابراهیم الخلیل علیه‌الصلاة‌والسلام حین رآه النبی صلی‌الله علیه‌وسلم و حوله اولاد الناس قالوا یا رسول‌الله و أولاد المشرکین قال و أولاد المشرکین رواه البخاری فی صحیحه و منها قوله تعالی و ما کنا معذبین حتی نبعث رسولا و لا تکلیف علی المولود حتی یلزم

الحجة و هذا متفق عليه قال الطيبى و الحق مذهب التوقف لما ورد فى أولاد خديجة كما سيأتى وحديث الوائدة و الموؤدة فى النار مخالف لحديث ابراهيم عليه الصلاة والسلام فالوجه أن يبنى الكلام على حديث عائشة رضى الله عنها و قولها عصفور من عصافير الجنة فى شأن ولد من أولاد المسلمين فانه عليه الصلاة والسلام أنكر عليها لان الجزم بذلك جزم بان الابوين أو أحدهما فى الجنة فعلى هذا أولاد المشركين الذين كانوا بين يدى ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام هم المشركون الذين لم يسلموا حينئذ ثم فى المآل آمنوا و أما أولاد خديجة و الموؤدة فهم الذين مات آباؤهم على الكفر و أما قوله تعالى و ما كنا معذبين فيحتمل أن يراد بالعذاب الاستئصال فى الدنيا لان حتى تقتضى ظاهرا أن يكون العذاب فى الدنيا و يؤيده ما أتبعه من قوله و اذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها فلايتم الاستدلال بالآية و قال البيضاوى و كما أن البالغين منهم شقى و سعيد فالاطفال منهم من سبق القضاء بأنه سعيد من أهل الجنة فهو لو عاش عمل عمل أهلها و منهم من جف القلم بانه من أهل النار فهو لو عاش عمل عمل أهلها اه و يؤيده قضية الغلام الذى قتله الخضر انه طبع كافرا فهو ممن علم الله أنه لو عاش و بلغ أشرك و جاء فى بعض الروايات انهم يمتحنون فى الآخرة برمى أنفسهم فى النار فمن أطاع دخل الجنة و من أبى دخل النار و كذا المجانين و أهل الفترة قال ابن حجر و الحق أيضا فيمن مات من أهل الفترة أنهم ليسوا فى النار لتلك الآية و أما الاخبار الدالة على خلاف ذلك كخبر مسلم ابى و أبوك فى النار مؤولة و عن أكثر العلماء أنهم فى النار اه و قد أفردت فى هذه المسئلة رسالة مستقلة (رواه أبو داؤد و عن ابن مسعود) رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائدة و الموؤدة فى النار) وأد بنته يئدها وأدا فهى موؤدة اذا دفنها فى القبر وهى حية و هذا كان من عادة العرب فى الجاهلية خوفا من الفقر أو فرارا من العار و بعضهم كانوا يخلونها و يربونها على طريق الذل و الهوان قال تعالى و اذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا و هو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون أى حكمهم باثبات البنات لله بقولهم الملائكة بنات الله و الحال انهم يكرهون البنات قال القاضى كانت العرب فى جاهليتهم يدفنون البنات حية فالوائدة فى النار لكفرها و فعلها و الموؤدة فيها لكفرها و فى الحديث دليل على تعذيب اطفال المشركين و قد تؤول الوائدة بالقابلة لرضاها به و الموؤدة بالموؤدة لها و هى أم الطفل فحذفت الصلة اذ كان من ديدنهم ان المرأة اذا أخذها الطلق حفروا لها حفرة عميقة فجلست المرأة عليها و القابلة وراءها ترقب الولد فان ولدت ذكرا أمسكته و ان ولدت أنثى ألقتها فى الحفرة و أهالت التراب عليها قال السيد جمال الدين و ايراد المصنف فى هذا الباب يأبى عن هذا التأويل تامل و قيل هذا الحديث والذى قبله انما أوردا فى هذا الباب استدلالا على اثبات القدر و تعذيب اطفال الكفار و من أراد تأويلها بغير ذلك وجب عليه أن يخرجهما من هذا الباب قال ابن حجر ان أريد بهذا الحديث ما يعم أهل الفترة كان مبنيا على ما نقل عن الاكثرين انهم فى النار أو ما يختص بأهل الاسلام كان محمولا فى الموؤدة على البالغة اه و هذا بعيد جدا فانه لا يعرف من العرب من دفن ولده حيا بعد بلوغه و أما قولهم ورد هذا الحديث فى قصة خاصة وهى أن ابنى مليكة أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن أم لهما كانت تئد فقال عليه الصلاة والسلام الحديث أما الوائدة فلانها كانت كافرة و أما الموؤدة فلانها ولد الكافر و يحتمل أنها كانت بالغة و يحتمل انها تكون غير بالغة و لكن علم عليه الصلاة والسلام بالمعجزة كونها من أهل النار و قيل و رد فى

رواه أبو داؤد * (الفصل الثالث) * عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عزوجل فرغ الى كل عبد من خلقه من خمس من أجله و عمله و مضجعه و أثره و رزقه رواه أحمد و عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من تكلم فى شئ من القدر .

حتى امرأة أسقطت حملها من الزنا و ماتا فلا يتعين القطع بهذ الحديث على تعذيب اطفال المشركين لانه ورد فى قضية خاصة فلا يجوز حمله على العموم مع الاحتمال فجوابه ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب نعم روى الدارمى فى جامع الصحيح أن رجلا قال يا رسول الله انا كنا أهل جاهلية و عبادة أوثان فكنا نقتل الاولاد و كانت عندى ابنة لى فلما أجابت و كانت مسرورة بدعائى اذا دعوتها دعوتها يوما فاتبعتنى فمررت حتى أتينا بئرا من أهلى غير بعيد فأخذت بيدها فرديت بها فى البئر و كان آخر عهدى بها أن تقول يا أبتاه يا أبتاه فبكى عليه الصلاة والسلام حتى وكف دمع عينيه فقال له رجل من جلساء النبى صلى الله عليه وسلم أحزنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له كف فانه يسأل عما أهمه ثم قال له أعد على حديثك فاعاده فبكى حتى وكف الدمع من عينيه على لحيته ثم قال له ان الله قد وضع عن الجاهلية ما عملوا فأستأنف عملك قال ابن حجر فظاهر قوله ما عملوا أن المراد بهم أهل الفترة قلت ليس كذلك بل معناه أنه وضع عنهم ما عملوا اذا أسلموا و لذا قال تسلية له فاستأنف عملك فهو كحديث الاسلام يهدم ما كان قبله و كقوله تعالى عفا الله عما سلف (رواه أبو داؤد) و سكت عليه هو و المنذرى و قال ابن عبد البر لا أعلم أحدا روى هذا الحديث عن الزهرى غير أبى معاذ و هو ناسى الحديث لا يحتج بحديثه كذا نقله ميرك شاه رحمه الله

* (الفصل الثالث) * (عن أبى الدرداء) رضى الله عنه هو عويمر بن عامر الانصارى الخزرجى اشتهر بكنيته و الدرداء ابنته تأخر اسلامه قليلا فكان آخر أهل داره اسلاما و حسن اسلامه و كان فقيها عالما حكيما سكن الشام و مات بدمشق سنة اثنتين و ثلاثين (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عزوجل فرغ الى كل عبد) فرغ يستعمل باللام و منه قوله تعالى سنفرغ لكم أيه الثقلان و استعماله بالى هنا لتضمين معنى الانتهاء أو يكون حالا بتقدير منتهيا والمعنى انتهى تقديره فى الازل من تلك الامور الخمسة الى تدبير هذا العبد بابدائها كما سبق من قوله شؤن يبديها لايبتدئ بها و يجوز أن يكون الى بمعنى اللام يقال هداه الى كذا و لكذا و قوله (من خلقه) صلة فرغ أى من خلقته و ما يختص به وما لابد له منه من الاجل و العمل و غيرهما و قوله (من خمس) عطف عليه و لعل سقوط الواو من الكاتب و يمكن ان يقال انه بدل منه باعادة الجار و الوجه ان يذهب الى ان الخلق بمعنى المخلوق و من فيه بيانية أو تبعيضية و من فى من خمس متعلق بفرغ أى فرغ الى كل عبد كائن من مخلوقه من خمس (من أجله) بفتحتين من بيانية للخمس أو بدل باعادة الجار و المراد بالاجل مدة عمره (و عمله) خيره و شره (و مضجعه) بفتح الجيم أى سكونه و قراره (و أثره) بحركتين أى حركته و اضطراره (و رزقه) حلاله و حرامه و كثيره و قليله و قيل المراد بأثره مشيه فى الارض قال السيد جمال الدين و جمع بين مضجعه و أثره و أراد سكونه و حركته ليشمل جميع أحواله من الحركات و السكنات و قال لعله السعيد الاظهر ان يقال المراد من مضجعه محل قبره و انه بأى أرض يموت و من أثره ما يحصل له من الثواب و العقاب و انه من أهل الجنة أو النار و الله أعلم (رواه أحمد و عن عائشة) رضى الله عنها (قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من تكلم فى شئ) أى و ان قل (من القدر) أعم من النفى و الاثبات و الحق و الباطل قال الطيبى هذا أبلغ من أن يقال

سئل عنه يوم القيامة و من لم يتكلم فيه لم يسئل عنه رواه ابن ماجه و عن ابن الديلمى قال أتيت أبى بن كعب فقلت له قد وقع فى نفسى شئى من القدر فحدثنى لعل الله أن يذهبه من قلبى فقال

فى القدر لافادة المبالغة فى القلة و النهى عنه اه و الظاهر و الله أعلم أن المراد النهى عن التكلم بالادلة العقلية المتعلقة بمسئلة القدر بعد الايمان باثباته لان انتهاءها عند أرباب العلم و العمل الى قوله تعالى لا يسئل عما يفعل (سئل عنه يوم القيامة) أي كسائر الاقوال و الافعال و جوزى كل ما يستحقه و لعلها اشارة الى تخصيص قوله تعالى و هم يسئلون (و من لم يتكلم فيه لم يسئل عنه) لان الخلق مكلفون بالايمان بالقدر بمقتضى الادلة النقلية غير مأمورين بتحقيقه بموجب الادلة العقلية فالشخص اذا آمن بالقدر ولم يبحث عنه لايرد عليه سؤال الاعتراض بعدم التفحص فانه غير مأمور به و لذا قال صلى الله عليه وسلم فيما تقدم على طريق الانكار بهذا أمرتم أى بالتنازع فى البحث بالقدر و قال أيضا اذا ذكر القدر فامسكوا و الله أعلم (رواه ابن ماجه و عن ابن الديلمى رضى الله عنه) هو أبو عبد الله و قيل أبو عبد الرحمن و قيل أبو الضحاك فيروز الديلمى و يقال له الحميرى لنزوله فى حمير و هو من أبناء الفرس الذين بعثهم كسرى الى اليمن قال محمد بن سعيد و من أهل الحديث من يقول فيروز بن الديلمى و هو واحد وفد فيروز على رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو قاتل الاسود العنسى الكذاب المدعى للنبوة قتله فى آخر حياة النبى صلى الله عليه وسلم و وصل خبر قتله اياه اليه فى مرض الموت فقال عليه الصلاة والسلام قتله الرجل الصالح فيروز فاز فيروز و يقال ان فيروز ابن أخت النجاشى روى عن ابن الضحاك و عبد الله و غيرهما توفى فى خلافة عثمان و قيل فى زمن معاوية بعد الخمسين كذا فى تهذيب الاسماء قال ميرك شاه هذا كلام صحيح فى نفس الامر ليس المراد من ابن الديلمى فى هذا المحل هو فيروز الديلمى بل المراد ابن الضحاك بن فيروز و هو تابعى مقبول من أوسط التابعين و أبوه معدود فى الصحابة و له أحاديث و يحتمل أن يكون المراد به عبد الله بن فيروز أخا الضحاك و هو ثقة من كبار التابعين و منهم من ذكره فى الصحابة و هذا الاحتمال عندى أظهر و الله أعلم اه و قد ذكر المصنف فى اسماء الرجال للمشكاة ابن الديلمى هو الضحاك بن فيروز تابعى حديثه فى المصريين روى عن أبيه و الديلمى بفتح الدال منسوب الى الديلم و هو الجيل المعروف بين الناس و فيروز بفتح الفاء و سكون الياء تحتها نقطتان و ضم الراء و بالزاى (قال أتيت أبى بن كعب) أقرأ الصحابة رضى الله عنهم قال المصنف هو أبى بن كعب الاكبر الانصارى الخزرجى كان يكتب للنبى صلى الله عليه وسلم الوحى و هو أحد الستة الذين حفظوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كناه النبى صلى الله عليه وسلم أبا المنذر و عمر أبا الطفيل و سماه النبى صلى الله عليه وسلم سيد الانصار و عمر سيد المسلمين مات بالمدينة سنة تسعة عشر روى عنه خلق كثير (فقلت له) بحكم قوله تعالى فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون (قد وقع فى نفسى شئى من القدر) أى حزازة و اضطراب عظيم من جهة أمر القضاء و القدر باعتبار العقل لا بموجب النقل قال ابن حجر أى من بعض شبه القدر التى ربما تؤدى الى الشك فيه كاعتقاد أن الانسان يخلق فعل نفسه كما قالته المعتزلة أو أنه مجبور على الفعل كما قالته الجبرية فكيف يعذب و أنا أريد الخلاص منه أى من هذا المبحث (فحدثنى) أى بحديث (لعل الله أن يذهبه من قلبى) أى رجاء أن يزيل ذلك منى و قال أولا فى نفسى و ثانيا من قلبى اشعارا بان ذلك تمكن منه و أخذ بمجامعه من ذاته و قلبه كذا قاله الطيبى والاظهر أن الحزازة تنشأ من الخطرات النفسية والثبات والاطمئنان من الصفات القلبية ثم قوله ان يذهبه خبر لعل أعطاه حكم عسى فى دخول ان فى خبره (فقال) أى أبى رضى الله عنه متحريا غاية

لو أن الله عزوجل عذب أهل سمواته و أهل أرضه عذبهم و هو غير ظالم لهم و لو رحمهم كانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم و لو أنفقت مثل أحد ذهبا فى سبيل الله ما قبله الله منک حتى تؤمن بالقدر و تعلم ان ما أصابک لم يکن ليخطئک وان ما أخطأک لم يکن ليصيبک و لو مت على غير هذا لدخلت النار قال ثم أتيت عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلک قال ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلک ثم أتيت زيد بن ثابت

البيان الشافى و نهاية الارشاد الوافى (لو) أى فرض (ان الله عذب أهل سمواته) من الملائكة المقربين (و أهل أرضه) من الانبياء و المرسلين (عذبهم) و فيه اشكال و دفعه ان الشرطية غير لازمة الوقوع (و هو غير ظالم لهم) الواو للحال لانه متصرف فى ملكه و ملكه فعذابه عدل و ثوابه فضل قيل فيه ارشاد عظيم و بيان شاف لازالة ما طلب منه لانه يهدم منه قاعدة الحسن و القبح العقليين لانه مالک الجميع فله ان يتصرف كيف شاء و لا ظلم أصلا (و لو رحمهم كانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم) أى الصالحة اشارة الى ان رحمته ليست بسبب من الاعمال و ايجابها اياها اذ هى لا توجبها عليه كيف و هى من جملة رحمته بهم فرحمته اياهم محض فضل منه تعالى عليهم فلو رحم الاولين و الآخرين فله ذلک و لا يخرج عن حكمة غايته أنه أخبر ان المطيعين لهم الثواب و ان العاصين لهم العقاب كما هو مثبت فى أم الكتاب فالامر المقدر لا يتبدل و لا يتغير و هذا هو الصواب فى الجواب (و لو أنفقت مثل أحد) بضمتين جبل عظيم قريب المدينة المعظمة (ذهبا) تمييز (فى سبيل الله) أى مرضاته و طريق خيراته (ما قبله الله) أى ذلک الا نفاق أو مثل ذلک الجبل (منک) و هو تمثيل على سبيل الفرض لا تحديد اذلو فرض انفاق ملء السموات و الارض كان كذلک (حتى تؤمن بالقدر) أى بان جميع الامور الكائنة خيرها و شرها و حلوها و مرها ونفعها و ضرها و قليلها و كثيرها و كبيرها و صغيرها بقضائه وقدره و ارادته و أمره و انه ليس فيها لهم الا مجرد الكسب و مباشرة الفعل و المراد هنا كمال الايمان و سلب القبول مع فقده يؤذن بان المبتدعة لا تقبل لهم أعمال أى لا يثابون عليها ما داموا على بدعتهم و يؤيده خبر أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يتوب من بدعته و فيه اشعار بان أهل البدعة ليسوا من المتقين لقوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين و انه لا يحبهم فان الله يحب المتقين (و تعلم) تخصيص بعد تعميم (ان ما أصابک) من النعمة و البلية أو الطاعة و المعصية مما قدره الله لک أو عليک (لم يکن ليخطئک) أى يجاوزک (و ان ما أخطأک) من الخير و الشر (لم يکن ليصيبک) و هذا وضع موضع المحال كأنه قيل محال أن يخطئک و فيه ثلاث مبالغات دخول ان و لحوق اللام المؤكدة للنفى و تسليط النفى على الكينونة و سرايته فى الخبر و هو مضمون قوله تعالى قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا و فيه حث على التوكل و الرضا و نفى الحول و القوة و ملازمة القناعة و الصبر على المصائب (و لو مت) بضم الميم من مات يموت و بكسرها من مات يميت (على غير هذا) أى على اعتقاد غير هذا الذى ذكرت لک من الايمان بالقدر (لدخلت النار) يحتمل الوعيد و يحتمل التهديد (قال) أى ابن الديلمى (ثم أتيت عبد الله بن مسعود) صاحب السجادة و المخدة و النعلين و المطهرة رضى الله عنه (فقال مثل ذلک) أى مثل جواب أبىّ فى سؤالى (قال ثم أتيت حذيفة بن اليمان) مر ذكره و هو صاحب سر النبى صلى الله عليه وسلم و أبوه اسمه حسيل بالتصغير و اليمان لقب له و قتل بأحد شهيدا رضى الله عنهما (فقال مثل ذلک) فالحديث من طرقهم صار موقوفا (ثم أتيت زيد بن ثابت) أفضل كتبة الوحى و أفرض الصحابة قال المصنف هو زيد بن ثابت

فحدثنى عن النبى صلى الله عليه وسلم مثل ذلك رواه أحمد و أبو داؤد و ابن ماجه و عن نافع ان رجلا أتى ابن عمر فقال ان فلانا يقرأ عليك السلام فقال انه بلغنى انه قد أحدث فان كان قد أحدث فلا تقرئه منى السلام فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون فى أمتى أو فى هذه الامة خسف و مسخ أو قذف فى أهل القدر رواه الترمذى وأبو داؤد و ابن ماجه و قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح غريب وعن على قال سألت خديجة النبى صلى الله عليه وسلم عن ولدين ماتا لها فى الجاهلية

الانصارى كاتب النبى صلى الله عليه وسلم كان له حين قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة احدى عشرة سنة و كان أحد فقهاء الصحابة الاجلة القائم بالفرائض و هو أحد من جمع القرآن و كتبه فى خلافة أبى بكر و نقله من المصحف فى زمن عثمان روى عنه خلق كثير مات بالمدينة سنة خمس و أربعين و له ست و خمسون سنة (فحدثنى عن النبى صلى الله عليه وسلم مثل ذلك) فصار الحديث من طريقه مرفوعا قال الطيبى فى سؤاله من الصحابة واحدا بعد واحد و اتفاقهم فى الجواب من غير تغيير ثم انتهاء الجواب الى حديث النبى صلى الله عليه وسلم دليل على الاجماع المستند الى النص الجلى فمن خالف ذلك فقد كابر الحق الصريح (رواه أحمد و أبو داؤد و ابن ماجه و عن نافع) أى ابن سرجس مولى عبد الله بن عمر كان ديلميا و هو من كبار التابعين سمع ابن عمر و أبا سعيد روى عنه خلق كثير منهم الزهرى و مالك بن أنس و هو من المشهورين بالحديث و من الثقات الذين يؤخذ عنهم و يجمع حديثهم و يعمل به معظم حديث ابن عمر دائر عليه قال مالك كنت اذا سمعت حديث نافع عن ابن عمر لا أبالى أن لا أسمعه من غيره مات سنة سبع عشرة و مائة و سرجس بفتح السين المهملة الاولى و سكون الراء و كسر الجيم (ان رجلا أتى ابن عمر فقال) أى الرجل (ان فلانا يقرأ) و فى نسخة يقرئ (عليك السلام) فى القاموس قرأ عليه السلام أبلغه كأقرأه أو لا يقال أقرأه الا اذا كان السلام مكتوبا (فقال) أى ابن عمر (انه) أى الشان و تفسيره الخبر و هو قوله (بلغنى انه قد أحدث) أى ابتدع فى الدين ما ليس منه من التكذيب بالقدر (فان كان قد أحدث) أى ما ذكر (فلا تقرئه منى السلام) كناية عن عدم قبول سلامه كذا قاله الطيبى و الاظهر أن مراده أن لا تبلغه منى السلام أو رده فانه ببدعته لا يستحق جواب السلام و لو كان من أهل الاسلام قال ابن حجر لا تقرئه منى السلام لانا أمرنا بمهاجرة أهل البدع و من ثم قال العلماء لا يجب رد سلام الفاسق و المبتدع بل لا يسن زجرا لهما و من ثم جاز هجرهم لذلك (فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون فى أمتى أو فى هذه الامة) يحتمل الدعوة و الاجابة على ما تقدم و أو للشك (خسف) فى الارض (و مسخ) و فى نسخة أو مسخ أى تغيير فى الصورة (أو قذف) أى رمى بالحجارة كقوم لوط قال ميرك شاه و الظاهر أنه شك من الراوى و قال الطيبى يحتمل التنويع أيضا اه و هذا صحيح ان لم يكن عطف مسخ على خسف بالواو تأمل (فى أهل القدر) بدل بعض من قوله فى أمتى باعادة الجار (رواه الترمذى و أبو داؤد و ابن ماجه و قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح غريب) اعلم ان الغرابة قد تكون فى الحديث الحسن أو الصحيح و لكن فى الجمع بين الحسن و الصحة اشكال اذ الحسن قاصر على الصحيح فقيل يريد الترمذى به انه روى باسنادين أحدهما يقتضى الصحة و الآخر الحسن أو المراد بالحسن معناه اللغوى و هو ما تميل اليه النفس و تستحسنه و هذا المعنى لا ينافى الصحيح فاندفع التناقض و قد يقال المراد أنه حسن لذاته صحيح لغيره فان الحسن اذا روى من وجه آخر ترقى من الحسن الى الصحيح لقوته من الجهتين فيعتضد أحدهما بالآخر (و عن على) رضى الله عنه (قال سألت خديجة النبى صلى الله عليه وسلم عن ولدين ماتا لها فى الجاهلية)

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما فى النار قال فلما رأى الكراهة فى وجهها قال لو رأيت مكانهما لابغضتهما قالت يا رسول الله فولدى منك قال فى الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمنين و أولادهم فى الجنة و ان المشركين و أولادهم فى النار ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم و الذين آمنوا و اتبعتهم ذريتهم

أى عن شأنهما و انهما فى الجنة أو النار و قال المؤلف هى أم المؤمنين خديجة بنت خويلد بن أسد القرشية كانت تحت بنى هالة بن زرارة ثم تزوجها عتيق بن عائذ ثم تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم و لها يومئذ من العمر أربعون سنة و لم ينكح النبى صلى الله عليه وسلم قبلها امرأة و لا نكح عليها حتى ماتت و هى أول من آمن من كافة الناس من ذكرهم و أنثاهم و جميع أولاده منها غير ابراهيم فانه من مارية وماتت بمكة قبل الهجرة بخمس سنين و قيل باربع سنين و قيل بثلاث و كان قد مضى من النبوة عشر سنين و كان لها من العمر خمس و ستون سنة و كانت مدة مقامها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا و عشرين سنة و دفنت فى الحجون (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما فى النار قال) أى على (فلما رأى) أى النبى صلى الله عليه وسلم (الكراهة) أى أثرها من الكآبة و الحزن (فى وجهها قال) أى تسلية لها (لو رأيت مكانهما) و هو جهنم (لابغضتهما) و فى نسخة لابغضتيهما باشباع الكسرة ياء أى لو أبصرت منزلتهما فى الحقارة و البعد عن نظر الله تعالى لرأيت الكراهة و أبغضتهما أو لو علمت مكانهما أى منزلتهما و بغض الله اياهما لابغضتهما و تبرأت منهما تبرأ ابراهيم عن أبيه حيث تبين أنه عدو لله (قالت يا رسول الله فولدى منك قال فى الجنة) و المراد باولادها منه صلى الله عليه وسلم القاسم و عبد الله و قيل الطيب و الطاهر أيضا و قيل هما لقبان لعبدالله و هو قول الاكثر و الله أعلم (ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمنين و أولادهم فى الجنة) و هذا لاخلاف فيه يعتد به (و ان المشركين و أولادهم فى النار ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم و الذين آمنوا و اتبعتهم ذريتهم بايمان) و فى نسخة صحيحة ذرياتهم و هما قراءتان متواترتان قال الطيبى و فى الحديث أن الاولاد تابعة لآبائهم لا لامهاتهم و لذلك استشهد لذلك بقوله تعالى ألحقنابهم ذريتهم و أما طريق الاستشهاد لالحاق أولاد المشركين بالآباء فان يقال لاريب ان هذا الالحاق لكرامة آبائهم و مزيد سرورهم و غبطتهم فى الجنة و الا فينغص عليهم كل نعيم و من ثم قيل و الذين آمنوا فى محل نصب على تقدير و أكرمنا الذين آمنوا ألحقنابهم على شريطة التفسير وفى الكشاف الذين آمنوا مبتدأ و بايمان ألحقنابهم ذريتهم خبره و الذى بينهما اعتراض و التنكير فى ايمان للتعظيم و المعنى بسبب ايمان عظيم رفيع المحل و هو ايمان الآباء ألحقنا بدرجاتهم ذريتهم و ان كانوا لايستأهلونها تفضلا عليهم و على آبائهم ليتم سرورهم و ليكمل نعيمهم و هذا المعنى مفقود فى الكفار اه قلت بل كون أولادهم معذبين معهم سبب لزيادة عذابهم و شدة عقابهم ثم ما ذكره الشراح من تفسير الآية ليس صريحا فى المدعى من الحديث أن أولاد المؤمنين الصغار تبع لآبائهم فى دخول الجنة أو فى رفع الدرجة و انما يستفاد من تفسير البغوى حيث قال اختلفوا فى تفسير الآية فقال قوم معناها و الذين آمنوا و اتبعتهم ذريتهم بايمان يعنى أولادهم الصغار و الكبار فالكبار بايمانهم بأنفسهم و الصغار بايمان آبائهم فان الولد الصغير يحكم باسلامه تبعا لاحدالابوين ألحقنابهم ذريتهم المؤمنين فى الجنة بدرجاتهم و ان لم يبلغوا باعمالهم درجات آبائهم تكرمة لآبائهم لتقر بذلك أعينهم و هى رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما و قال آخرون معناه و الذين آمنوا و اتبعتهم ذرياتهم البالغون بايمان ألحقنابهم ذرياتهم الصغار الذين لم يبلغوا الايمان بايمان آبائهم

رواه أحمد و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط عن ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته الى يوم القيامة و جعل بين عيني كل انسان منهم و بيصا من نور ثم عرضهم على آدم فقال أى رب من هؤلاء قال ذريتك فرأى رجلا منهم فاعجبه وبيص ما بين عينيه قال أى رب من هذا قال داؤد فقال أى رب كم جعلت عمره قال ستين سنة قال رب زده من عمرى أربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انقضى عمر آدم الا أربعين جاءه ملك المـوت فقال آدم أو لم يبق من عمرى أربعون سنة

و هو قول الضحاك و رواية العوفى عن ابن عباس أخبر الله عزوجل انه يجمع لعبده المؤمن ذريته فى الجنة كما كان يحب فى الدنيا أن يجتمعوا اليه يدخلهم الجنة بفضله و يلحقهم بدرجته بعمل أبيه من غير أن ينقص الآباء من أعمالهم شيأ فذلك قوله و ما ألتناهم أى ما نقصناهم يعنى الآباء من عملهم من شئ و فى الحديث عن ابن عباس مرفوعا أن الله يرفع ذرية المؤمن فى درجته و ان كانوا دونه فى العمل لتقربه عينه ثم قرأ و الذين آمنوا و أتبعناهم ذرياتهم الآية اه و ظاهر الآية ان الذين آمنوا أعم من الآباء و الامهات و لعل أولاد خديجة فى النار لانها حال موتهم لم تكن مؤمنة فلاينافى قول العلماء الولد الصغير يحكم باسلامه تبعا لاحد الابوين و حينئذ ليس كلام الطيبى على صرافته فتدبر (رواه أحمد و عن أبي هريرة) رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله آدم مسح ظهره) تقدم (فسقط) أى خرج (من ظهره) و فى نسخة صحيحة عن ظهره أى بواسطة و غيرها (كل نسمة) أى ذى روح و قيل كل ذى نفس مأخوذة من النسيم قاله الطيبى و فى القاموس النسم محركة نفس الروح كالنسمة محركة و نفس الريح اذا كان ضعيفا كالنسيم (هو خالقها من ذريته) الجملة صفة نسمة ذكرها ليتعلق بها قوله (الى يوم القيامة) و من بيانية و فى هذا الحديث دليل بين على أن اخراج الذرية كان حقيقيا (و جعل بين عيني كل انسان) أى منهم على نسخة و الاصح بين عيني ثانى مفعولى جعل و يجوز أن يكون بمعنى خلق فيكون ظرفا له (وبيصا) أى بريقا و لمعانا (من نور) و فى ذكره اشارة الى الفطرة السليمة و فى قوله بين عيني كل انسان ايذان بان الذرية كانت على صورة الانسان على مقدار الذر (ثم عرضهم على آدم فقال أى رب من هؤلاء قال) تعالى هم (ذريتك فرأى رجلا منهم فاعجبه وبيص ما بين عينيه قال) بغير الفاء (أى رب من هذا قال) تعالى (هو داؤد) قيل تخصيص التعجب من وبيص داؤد اظهار لكرامته و مدح له فلا يلزم تفضيله على سائر الانبياء لان المفضول قد يكون له مزية بل مزايا ليست فى الفاضل و لعل وجه الملاءمة بينهما اشتراك نسبة الخلافة (فقال رب) و فى نسخة صحيحة أى رب (كم جعلت عمره) بضم العين والميم وقد تسكن و كم مفعول لما بعده و قدم لماله الصدر أى كم سنة جعلت عمره (قال ستين سنة قال رب زده من عمرى) يعنى من جملة الالف و من عمرى صفة أربعين قدمت فعادت حالا و قوله (أربعين سنة) مفعول ثان لقوله زده كقوله تعالى رب زدنى علما قال أبوالبقاء زاد يستعمل لازما كقولك زاد الماء و يستعمل متعديا الى مفعولين كقوله زدته درهما و على هذا جاء قوله تعالى فزادهم الله مرضا كذا ذكره الطيبى قال ابن حجر و قد يستعمل متعديا لواحد كزاد المال درهما قال السيد جمال الدين و فيه أن الامثلة ليست نصا فى التعدية الى مفعولين لاحتمال التمييز تأمل (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انقضى عمر آدم الا الأربعين) أى سنة كما فى نسخة (جاءه ملك الموت فقال آدم أو لم يبق) بفتح الياء و القاف (من عمرى أربعون سنة) بهمزة الاستفهام الانكارى المنصب على نفى البقاء ليفيد اثباته و قدمت على الواو لصدارتها و الواو استئنافية لمجرد الربط بين ما قبلها و ما بعدها

قال أو لم تعطها ابنک داود فجحد آدم فجحدت ذريته و نسی آدم فاكل من الشجرة فنسيت ذريته و خطأ آدم و خطأت ذريته رواه الترمذی و عن أبی الدرداء عن النبی صلی‌الله‌عليه‌وسلم قال خلق‌الله آدم حين خلقه فضرب كتفه اليمنی فاخرج ذرية بيضاء كانهم الذر و ضرب كتفه اليسری فاخرج ذرية سوداء كانهم الحمم فقال للذی فی يمينه .

فان قلت ما الفرق بين انقضی عمره الا أربعين و بين بقی من عمر آدم أربعون قلت فی الاستثناء توكيد ليس فی غيره قاله الطيبی قلت لان غيره يحتمل الاكثر و هو نص فی بقاء الاربعين كلها كقوله تعالی فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما مع زيادة الافادة فی الآية من الاقربية الی الضبط و الدلالة علی العدد المشهور فی الكثرة و الاشارة الی جواز الغاء الكسر كما هو جار علی ألسنة العامة (قال أو لم تعطها) أی أتقول ذلک ولم تعطها أی الاربعين (ابنک) مفعول ثان (داود) بدل أو عطف بيان (فجحد آدم) أی ذلک لانه كان فی عالم الذر فلم يستحضره حالة مجیء ملک الموت له قاله ابن حجر (فجحدت ذريته) لان الولد سرابيه (و نسی آدم) اشارة الی أن الجحد كان نسيانا أيضا اذ لايجوز جحده عنادا (فأكل من الشجرة) قيل نسی أن النهی عن جنس الشجرة أو الشجرة بعينها فاكل من غير المعينة و كان النهی عن الجنس و الله أعلم (فنسيت ذريته) ولذا قيل أول الناس أول الناسی (و خطأ) بفتح الطاء أی فی اجتهاده من جهة التعيين و التخصيص (و خطأت ذريته) و الاظهر أن خطأ بمعنی عصی لقوله تعالی و عصی آدم ربه و لقوله عليه‌الصلاة‌والسلام كلكم خطاؤن و خير الخطائين التوابون قال الطيبی و فی الحديث اشارة الی مانقله الشيخان يهرم ابن آدم و يشب فيه اثنان الحرص علی المال و الحرص علی العمر وابن آدم وارد علی سبيل الاستطراد و ان ابن آدم مجبول من أصل خلقته علی الجحد و النسيان و الخطأ الا من عصمه الله (رواه الترمذی و عن أبی الدرداء) رضی‌الله‌عنه (عن النبی صلی‌الله‌عليه‌وسلم قال خلق الله آدم حين خلقه) قال الطيبی ظرف لقوله (فضرب) ولايمنع الفاء من العمل لانه ظرف علی أن الفاء السببية أيضا غير مانعة لعمل ما بعدها فيما قبلها فان لايلاف قريش متعلق بقوله فليعبدوا علی تقدير الشرط أی امالا فليعبدوه كذا فی الكشاف تقول العرب امالا أی ان كنت لاتفعل غيره فافعل هذا قال القاضی أی ان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لاجل ايلافهم و قال السيد جمال الدين و يحتمل أن يكون ظرفا لقوله خلق الله و المقصود الاشارة الی عدم العلم بزمان خلقه تأمل اه و قيل تقديم الظرف مع وجود التعقيب للدلالة علی أن الاخراج لم يتخلف عن خلقه عليه‌الصلاة والسلام و فيه نظر لان الدلالة حاصلة وان تأخر الظرف وقوله فضرب قيل أمر بالضرب فضرب الملک (كتفه اليمنی) بفتح الكاف و كسر التاء كذا مضبوط فی النسخ المصححة و فی القاموس كتف كفرح و مثل و جبل (فاخرج ذرية بيضاء) أی نورانية (كانهم الذر) فی أكثر النسخ بفتح الذال المعجمة فالتشبيه فی الهيئة و قيل أی الابيض بدليل مقابله الآتی و فی بعضها بضم الدال المهملة فالتشبيه باعتبار اللون و الصفاء ولاينافی هذا ما تقدم من أن بين عينی كل انسان منهم وبيصا حتی يحتاج الی أن يحمل علی تكرر الاخراج علی صفات مختلفة كما صنعه ابن حجر (و ضرب كتفه اليسری فاخرج ذرية سوداء) أی ظلمانية (كانهم الحمم) بضم الحاء جمع حممة يقال حممت الجمرة كفرحت تحم بالفتح اذا صارت فحما (فقال للذی فی يمينه) أی فی جهة يمين آدم من ذرية المؤمنين بعد اخراجهم من كتفه اليمنی و قال ابن حجر أی للذی فی كتفه اليمين بدليل فی كتفه اليسری الآتی فيكون باعتبار ما كان اه و المعنی يعنی قال تعالی لآدم لاجل الذی فی يمينه و عن قبلهم و فی حقهم نحو قوله تعالی و قال الذين كفروا

الى الجنة ولا أبالى و قال للذى فى كتفه اليسرى الى النار ولا أبالى رواه أحمد وعن أبى نضرة أن رجلا من أصحاب النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقال له أبو عبدالله دخل عليه أصحابه يعودونه و هو يبكى فقالوا له ما يبكيك ألم يقل لك رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم خذ من شاربك ثم أقره حتى تلقانى قال بلى و لكن سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول ان الله عزوجل قبض بيمينه قبضة و أخرى باليد الاخرى و قال هذه لهذه و هذه لهذه ولا أبالى ولا أدرى فى أى القبضتين أنا

للذين آمنوا لو كان خيرا ماسبقونا اليه و الذى صفة لفريق نحو قوله تعالى كالذى خاضوا (الى الجنة) خبر مبتدأ محذوف أى هؤلاء أوصلهم أو أصيرهم الى الجنة و يمكن أن يكون الامر للمشافهة و التقدير أنتم أوصلكم أو أصيركم الى الجنة و قوله (ولا أبالى) حال بن الضمير المستكن فى الخبر أى و الحال انى لاأبالى باحد كيف و أنا الفعال لما اريد و الخلق كلهم لى عبيد و هو نحو قوله و ان رغم أنف أبى ذر فانه تعالى علم أن بعض المبتدعة يقول بخلافه فرد عليهم بنفسه مبالغة فى تحقيرهم و تسفيه عقولهم و انهم كالهباء الذى لايبالى أحد به و ان فعل ما فعل (و قال للذى فى كفه اليسرى) بفتح الكاف و تشديد الفاء كذا فى أصل السيد جمال الدين و فى بعض النسخ أى فى يده و هو المناسب للمعنى المقابل بقوله فى يمينه و فى أكثر النسخ كتفه اليسرى و لعله باعتبار ما كان قال الطيبى و ذكر اليمين و الكف لتصوير العظمة اه و الظاهران ضمير يمينه و كفه الى آدم و المراد جهتاه و رواية كتفه صريحة فى هذا المعنى و اليسرى أيضا فانها لاتطلق على يده تعالى فان كلتا يديه يمين على ما ورد فى بعض الاحاديث (الى النار ولا أبالى) فيه ايماء الى أنه لا يجب على الله شئى و ان الاعمال أمارات لاموجبات فهو المحمود فى كل أفعاله خلق فريقا للجنة بطريق الفضل و جعل طائفة للنار على سبيل العدل لايسئل عما يفعل وهم يسئلون (رواه أحمد وعن أبى نضرة) هو ابن المنذر بن مالك العبدى عداده فى تابعى البصرة مات قبل الحسن بقليل سمع ابن‌عمر وأبا سعيد و ابن عباس و روى عنه ابراهيم التيمى و قتادة و سعيد بن يزيد (أن رجلا من أصحاب النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقال له أبو عبدالله) و جهالة الصحابى لاتضر حيث كلهم عدول (دخل عليه اصحابه) أى من الصحابة أو التابعين و الاول أظهر لما سيأتى (يعودونه) من العيادة التى هى أفضل من العبادة لفظا و معنا (و هو يبكى) الجملة حالية (فقالوا له ما يبكيك) أى أى شئى جعلك باكيا وما السبب و الباعث لبكائك (ألم يقل لك رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم خذ من شاربك) أى بعضه يعنى قصه و هو مقدار ما يساوى الشفة (ثم أقره) بفتح الهمزة و كسر القاف و تشديد الراء أى دم عليه (حتى تلقانى) أى فى الحوض أو غيره و حتى تحتمل الغاية و العلة قال الطيبى الهمزة للانكار دخلت على النفى فافادت التقرير و التعجب أى كيف تبكى و قد تقرر أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم وعد بانك تلقاه لامحالة و من لقيه راضيا عنه مثلك لاخوف عليه (قال بلى) أى أخبرنى بذلك (و لكن سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول ان الله عزوجل قبض) أى بعض الذرية (بيمينه قبضة) أى واحدة (و أخرى) أى و قبض قبضة أخرى لبعض الذرية الاخرى (باليد الاخرى) لم يقل بيساره أدبا ولذا ورد فى حديث آخر وكلتا يديه يمين و فى هذا تصوير لجلال الله و عظمته لتعاليه عن الجسم و لوازمه (و قال هذه) أى القبضة التى قبضها باليمين يعنى من فيها أو هذه المقبوضة (لهذه) أى للجنة (و هذه) أى القبضة التى قبضها بالاخرى (لهذه) أى للنار (ولا أبالى) أى فى الحالتين (ولا أدرى) أى ولا أعلم (فى) و فى نسخة من (أى القبضتين أنا) و حاصل الجواب أنى أخاف من عدم الاحتفال و الاكتراث فى قوله ولا أبالى كذا قاله الطيبى يعنى

رواه أحمد و عن ابن عباس رضى‌الله‌عنه عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان يعنى عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا قال ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا

غلب على الخوف بالنظر الى عظمته و جلاله بحيث منعنى عن التأمل فى زخمته و جماله فانه تعالى لذاته و عدم مبالاته له أن يفعل ما يريد ولايجب عليه شئى للعبيد و أيضا لغلبة الخوف قد ينسى البشارة و الرجاء بها مع ان البشارة مقيدة بالثبات و الدوام و الاقامة على طريق السنة و الاستقامة و هو أمر دقيق وبالخوف حقيق و الله أعلم قال الطيبى و فى الحديث اشارة الى أن قص الشارب من السنن المتأكدة و المداومة عليه موصلة الى قرب دار النعيم فى جوار سيد المرسلين فيعلم أن من ترك سنة أى سنة فقد حرم خيرا كثيرا فكيف المواظبة على ترك سائرها فان ذلك قد يؤدى الى الزندقة (رواه أحمد و عن ابن عباس) رضى‌الله‌عنهما (عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال أخذ الله الميثاق) يعنى العهد أى أراد أخذه بدليل قوله فاخرج (من ظهر آدم) أى من الذرية التى تظهر من ظهره (بنعمان) قال الجوهرى نعمان بالفتح واد فى طريق الطائف يخرج الى عرفات و فى القاموس واد وراء عرفة و هو نعمان الاراك و فى النهاية جبل بقرب عرفة و يقال له نعمان السحاب لانه لا يركد فوقه لعلوه فلمجاورته لها قال أى الراوى (يعنى عرفة فاخرج من صلبه) بضم أوله و هو فقار الظهر (كل ذرية ذرأها) بالهمز أى خلقها الى يوم القيامة من ذرأالله الخلق أوجد أشخاصهم يعنى بعضهم بواسطة و بعضهم بغيرها (فنثرهم) أى فرقهم وبثهم ونشرهم (بين يديه) أى قدام آدم أوبعضهم فى يمينه و بعضهم فى شماله (كالذر) أى مشبهين بالنمل فى صغر الصورة (ثم كلمهم) أى خاطبهم سبحانه و تعالى (قبلا) بضمتين و قيل كعنب و صرد و قفل و جبل و هو حال أى كلمهم عيانا و مقابلة لا من وراء حجاب ولا بأن يأمر أحدا من ملائكته (قال) استئناف بيان و قال ابن حجر بدل من كلمهم أى و قال لهم (ألست بربكم قالوا بلى) أنت ربنا قال ابن عباس لو قالوا بدل بلى نعم لكفروا قال ابن حجر لانها لتقرير النفى و بلى رد له و نفى النفى اثبات قال فى المغنى ولذا قال جماعة من الفقهاء لو قال أليس لك على ألف فقال بلى لزمه و لوقال نعم لم يلزمه و قال آخرون يلزمه فيهماوجروا فى ذلك على مقتضى العرف ثم قال و لكن يقع فى كتب الحديث ما يقتضى أنها يجاب بها الاستفهام المجرد ففى صحيح البخارى فى كتاب الايمان انه عليه‌الصلاة‌والسلام قال لاصحابه أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة قالوا بلى و فى صحيح مسلم فى كتاب الهبة أيسرك أن يكونوا لك فى البرسواء قال بلى قال فلا اذن و فيه أيضا انه قال أأنت الذى لقيتنى بمكة فقال له المجيب بلى ثم قال لكن هذا قليل فلا يتخرج عليه التنزيل اه ولا يخفى ان هذه الامثلة ليست من قبيل المتنازع فيه فى الازهار و الصحيح ان جوابهم بقول بلى كان بالنطق وهم أحياء عقلاء و قيل بلسان الحال ثم قيل تجلى للكفار بالهيبة فقالوا بلى مخافة فلم ينفعهم ايمانهم و تجلى للمؤمنين بالرحمة فقالوا بلى طوعا فنفعهم ايمانهم (شهدنا) هو يحتمل أن يكون من تتمة المقول أى شهدنا على أنفسنا بذلك و أقررنا بوحدانيتك و انما احتاجوا الى هذا مع ان بلى يغنى عنه لقوله تعالى و اذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم و أشهدهم على أنفسهم و يحتمل أن يكون من ابتداء كلام الله‌تعالى أى شهدنا على اقراركم و يؤيد الاول تقدير الطيبى فعلنا ذلك كراهة (أن تقولوا) أى احتجاجا و قيل لئلا تقولوا و الجمهور بالخطاب وأبوعمرو بالغيبة فى الموضعين على الالتفات و قال بعض المفسرين قال الله تعالى للملائكة اشهدوا قالوا شهدنا و قال بعضهم قال الله شهدنا يعنى نفسه و الملائكة

يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل و كنا ذرية من بعد هم أفتهلكنا بما فعل المبطلون رواه أحمد

و السموات و الارض قال سهل بن عبدالله أنا أتذكر ذلك الميثاق (يوم القيامة) ظرف أن تقولوا أى حين يحاسبون على كفرهم بالله و بكتبه و رسله و المقول (انا كنا عن هذا) أى الميثاق أو الاقرار بالربوبية و الاعتراف بالعبودية (غافلين) أى جاهلين لانعرفه ولانبهنا عليه (أو تقولوا) أى البعض المتأخرون احتجاجا آخر (انما اشرك آباؤنا من قبل) أى من قبل ظهورنا و وجودنا أو من قبل اشراكنا (و كنا ذرية من بعدهم) فاقتدينا بهم فاللوم عليهم لاعلينا (أفتهلكنا) أى أتعلم ذلك فتعذبنا (بما فعل المبطلون) من آبائنا بتأسيس الشرك و المعنى لايمكنهم الاحتجاج بذلك مع اشهادهم على أنفسهم بالتوحيد و التذكير به على لسان صاحب المعجزة قائم مقام ذكره فى النفوس (رواه أحمد) و قال ابن حجر رواه أحمد و النسائى و ليس النسائى موجودا فى النسخ و لعله الحاق فى الشرح لكنه مستبعد منه لانه ليس من دأبه قال ميرك شاه كذا رواه أحمد مرفوعا و الصحيح انه موقوف على ابن عباس و رواه ابن أبى حاتم و غيره من طرق كثيرة و الله أعلم اه و قال التوربشتى هذا الحديث مخرج فى كتاب أبى عبدالرحمن النسائى ولا يحتمل من التأويل ما يحتمله حديث عمر رضى‌الله‌عنه ولا أرى المعتزلة يقابلون هذه الحجة الا بقولهم حديث ابن عباس هذا من الآحاد فلا نترك به ظاهر الكتاب و انما هربوا عن القول فى معنى الآية بما يقتضيه ظاهر الحديث لمكان قوله تعالى أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين فقالوا ان كان هذا الاقرار عن اضطرار حيث كوشفوا بحقيقة الامر و شاهدوه عين اليقين فلهم يوم القيامة أن يقولوا شهدنا يومئذ فلما زال عنا علمنا علم الضرورة ووكلنا الى آرائنا كان منا من أصاب و منا من أخطأ و ان كان عن استدلال و لكنهم عصموا عنده من الخطأ فلهم أن يقولوا أيدنا يوم الاقرار بالتوفيق و العصمة و حرمناهما من بعد ولو مددنا بهما لكانت شهادتنا فى كل حين كشهادتنا فى اليوم الاول فقد تبين أن الميثاق ماركزالله فيهم من العقول و آتاهم و آباءهم من البصائر لانها هى الحجة الباقية المانعة لهم أن يقولوا انا كنا عن هذا غافلين لان الله تعالى جعل هذا الاقرار حجة عليهم فى الاشراك كما جعل بعث الرسل حجة عليهم فى الايمان بما أخبروا به من الغيوب قال الطيبى و خلاصة ما قالوه انه يلزم أن يكونوا محتجين يوم القيامة بانه زال عنا علم الضرورة ووكلنا الى آرائنا فيقال لهم كذبتم بل أرسلنا رسلنا تترى يوقظونكم من سنة الغفلة و أما قوله حرمنا عن التوفيق و العصمة من بعد ذلك فجوابه ان هذا مشترك الالزام اذ لهم أن يقولوا لامنفعة لنا فى العقول و البصائر حيث حرمنا عن التوفيق و العصمة و الحق أن تحمل الاحاديث الواردة على ظواهرها و لايقدم على الطعن فيها بانها آحاد لمخالفتها لمعتقد أحد و من أقدم على ذلك فقد حرم خيرا كثيرا و خالف طريقة السلف الصالحين لانهم كانوا يثبتون خبر واحد عن واحد عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم و يجعلونه سنة حمد من تبعها و عيب من خالفها اه و قال فى الكشاف نزل تمكين بنى‌آدم من العلم بربوبيته بنصب الدلائل و خلق الاستعداد فيهم و تمكينهم من معرفتها و الاقرار بها منزلة الاشهاد و الاعتراف تمثيلا و تخييلا لاقول ثمة ولاشهادة حقيقة أقول لامنع من الجمع و به يلتئم العقل و السمع قال المولى العلامة قطب‌الدين الشيرازى رحمه الله قد تقرر فى بداية العقول ان بنى‌آدم من ظهر آدم فيكون كل ما أخرج من ظهور بنى‌آدم فيما لايزال هم الذين قد أخرجهم الله تعالى فى الازل من ظهر آدم و أخذ منه الميثاق الازلى ليعرف منه أن هذا النسل الذى يخرج فيمالايزال من أصلاب بنى‌آدم هو الذر الذى أخرج فى الازل من صلب آدم

و عن أبي بن كعب فى قول الله عزوجل و اذ أخذ ربک من بنیآدم من ظهورهم ذريتهم قال جمعهم فجعلهم أزواجا ثم صورهم فاستنطقهم فتكلموا ثم أخذ عليهم العهد و الميثاق و أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى قال فانى أشهد عليكم السموات السبع و الارضين السبع و أشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة لمنعلم بهذا اعلموا أنه لااله غيرىولارب غيرى ولا تشركوا بى شيأ انى سأرسل اليكم رسلى يذكرونكم عهدى و ميثاق و أنزل عليكم كتبى قالوا شهدنا بأنک ربنا و الهنا

و أخذ منهم الميثاق الاول وهو المقالى الازلى كما أخذ منهم فيما لايزال بالتدريج حين أخرجوا الميثاق الثانى و هو الحالى اللايزالى فلله سبحانه ميثاقان مع بنى آدم أحدهما تهتدى اليه العقول من نصب الادلة الباعثة على الاعتراف الحالى و ثانيهما المقالى الذى لاتهتدى اليه العقول بل يتوقف على توقيف واقف على أحوال العباد من الازال الى الآباد كالانبياء فأراد عليهالصلاةوالسلام أن يعلم الامة بأن وراء الميثاق الذى يهتدون اليه ميثاقا آخر أزليا فقال ما قال من مسح ظهرآدم فى الازل الخ و هو فى غاية التحقيق و نهاية التدقيق و الله أعلم (و عن أبى بن كعب) رضىاللهعنه (فى قول الله عزوجل) أى فى تفسير قوله تعالى (و اذ أخذ ربک من بنیآدم من ظهورهم ذريتهم) و فى نسخة صحيحة ذرياتهم وهما قراءتان متواترتان (قال) أى أبى (جمعهم) أى الله بعد أن أخرجهم (فجعلهم أزواجا) أى ذكورا و اناثا أو أصنافا و هو الاظهر ولذا قال الطيبى أى أراد جعلهم أصنافا و فسر الاصناف بقوله الآتى فرأى الغنى و الفقير (ثم صورهم) أى على صورهم التى يكونون عليها بعد (فاستنطقهم) أى خلق فيهم العقل و طلب منهم النطق (فتكلموا) بما شاء الله أو بما سيأتى (ثم) أى بعد التصوير و الاستنطاق بحكم تقدير الخلاق (أخذ عليهم العهد) أى بالتوحيد (والميثاق) وهو توكيد العهد بالاقرار أو المراد بالعهد لئنجاءتهم الرسل ليؤمنن بهم و الميثاق الايمان المؤكدة ليوفن بذلک (و أشهدهم على أنفسهم) أى على ذواتهم أو بعضهم على بعض أو قال لهم اشهدوا على أنفسكم و على كل تقدير يؤيد قول من يقول شهدنا بقولهم (ألست بربكم) اما استئناف بيان و اما التقدير أشهدهم بقوله ألست بربكم أى استشهدهم بهذا (قالوا بلى) كذا فى أكثر النسخ المصححة و فى بعضها متروك لفظا و ان كان مقدرا معنى اذ المعنى قالوا بلى شهدنا (قال فانى أشهد عليكم السموات السبع) أى نفسها بأن ركب فيها عقولا مع أن المحققين على أن لجميع الموجودات علما بموجدها أى نفسها أو أهلها (و الارضين) بفتح الراء و تسكن (السبع) كذلک أى زيادة على شهادتكم على أنفسكم و كفى بالله شهيدا و قال الطيبى اشارة الى نصب الدليل الظاهر فاشهد بمعنى انصب و أبين و يؤيد الاول ظاهر قوله (و أشهد عليكم أباكم آدم) و أول الطيبى هذا أيضا بأنه الى قوله يذكرونكم اشارة الى النصوص الشاهدة الواردة من جهة الرسل (أن تقولوا) بالخطاب لاغير (يوم القيامة لم نعلم) أى لم نوقن بهذا (اعلموا) أى تحققوا الآن قبل مجىء ذلک الزمان و تبين الامر بالعيان (أنه لااله غيرى) معبود (ولا رب غيرى) موجود (ولا تشركوا بى شيأ) فانى مقصود (انى) قيل بالفتح بدل اشتمال مما قبله و بالكسر استئناف و هو الاظهر أى انى مع هذا البيان (سأرسل اليكم) فى مستقبل الزمان (رسلى) بالبرهان (يذكرونكم) بتشديد الكاف (عهدى و ميثاق و أنزل عليكم كتبى) بواسطة رسلى و فيها تبيان كل شىء مما يتعلق بعهدى و ميثاق ولذا قال تعالى أوفوا بعهدى أوف بعهدكم و هذا كالتصريح لما قدمنا من الجمع بين الميثاق المقالى و الحالى و العهد الحسى و المعنوى (قالوا شهدنا) أى علمنا و اعترفنا (بانک ربنا) و رب كل شىء رضينا بربوبيتک (و الهنا) واله كل شىء فنقوم بحق عبوديتک بمقتضى ألوهيتک

لا رب لنا غيرك ولا اله لنا غيرك فأقروا بذلك و رفع عليهم آدم عليه السلام ينظر اليهم فرأى الغنى و الفقير و حسن الصورة و دون ذلك فقال رب لولا سويت بين عبادك قال انى احببت ان أشكر ورأى الانبياء فيهم مثل السرج عليهم النور خصوا بميثاق آخر فى الرسالة و النبوة و هو قوله تبارك و تعالى و اذ أخذنا من النبيين ميثاقهم الى قوله عيسى بن مريم

(لاربلنا غيرك) فانك رب العالمين (ولااله لنا غيرك) فانك اله العابدين قال ابن حجر كان وجه تقديمهم ههنا مقام الربوبية ان شهود تربية الحق حامل أى حامل على الايمان بالالوهية فكان أحق بالتقديم هنا و الما عكس ذلك فى كلامه تعالى لان مقام الالوهية هو الاحق بأن ينبه عليه لانه الاصل وماعداه وسيلة له كما تقرر (فأقروا بذلك) أى بجميع ماذكر (ورفع) بالبناء للمفعول أى أشرف (عليهم آدم عليه‌الصلاة‌والسلام) من مقام عال (ينظر اليهم) حال أو مفعول له بتقدير ان كما فى قوله * احضر الوغى * (فرأى) أى آدم منهم (الغنى) صورة ومعنى باعتبار الآثار اللائحة واللامعة (و الفقير) يدا و قلبا و فى نسخة بتقديم الفقير (و حسن الصورة) أى الظاهرة و الباطنة (و دون ذلك) أى فى الحسن أو غير ماذكر (فقال رب لولا) أى هلا (سويت) يعنى لم ماسويت (بين عبادك) و القصد به أن يبين له حكمته (قال انى أحببت أن أشكر) بالبناء للمفعول أى أعرف بالانعام و أشكر على الدوام على لسان الانام و هذا المعنى يصحح معنى ما ينقل حديثا ولم يصح لفظا كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لان أعرف ولذا قال ابن عباس فى قوله تعالى وما خلقت الجن و الانس الاليعبدون أى ليعرفون و المعنى ينظر الغنى الى الفقير فيشكر و ينظر الفقير الى دينه فيرى نعمته فوق الغنى فيشكر و يرى حسن الصورة جماله فيشكر و قبيح الصورة حسن خصاله فيشكر كذا قاله الطيبى و هو موهم أن حسن الصورة و السيرة لايجتمعان و ان الغنى و الدين متنافيان فالاحسن ما قاله شيخنا ابن حجر المكى ان الغنى يرى عظيم نعمة الغنى و الفقير يرى عظيم نعمة المعافاة من كدر الدنيا و نكدها و تعبها الذى لاحاصل له غير طول الحساب و ترادف المحن و توالى العذاب وحسن الصورة يرى ما منحه من ذلك الجمال الظاهر الدال على الجمال الباطن غالبا و غيره يرى ان عدم الجمال أدفع للفتنة و أسلم من المحنة فكل هؤلاء يرون مزيد تلك النعم عليهم فيشكرون عليها ولو تساووا فى وصف واحد لم يتيقظوا لذلك (ورأى) أى آدم (الانبياء) وهم أعم من الرسل (فيهم) أى حال كونهم مندرجين فى جملتهم (مثل السرج) جمع سراج (عليهم النور) أى يغلب كانه بيان لوجه شبههم بالسرج فان الخلق خلقوا فى ظلمة و الانبياء أنوارالله عليهم لائحة يهتدون بهم الى ربهم و فيه اشارة الى أن الانبياء أيضا لايخلون عن ظلمة الاخلاق البشرية لكن يغلب عليهم العصمة الالهية و الانوار الربانية ولذا (خصوا بميثاق آخر) بعد ما دخلوا فى عموم ميثاق العوام للاهتمام التام بمرامهم عليهم‌الصلاة‌والسلام فقوله خصوا استئناف أوصفة للانبياء (فى الرسالة و النبوة) أى فى شأنهما و القيام بحقهما و الفرق بينهما ان النبى من أنبأ عن الله سواء أمر بأن أنبئ عن الله أم لا والرسول من أمر بتبليغ الرسالة (و هو قوله تبارك و تعالى) أى هذا الميثاق هو المراد من قوله (و اذ أخذنا من النبيين ميثاقهم الى قوله عيسى بن مريم) وما قبله و منك و من نوح و ابراهيم و موسى و عيسى ففيه تخصيص بعد تعميم فان الخمسة هم أولو العزم على الاصح و قدم نبينا صلى‌الله‌عليه‌وسلم فى الذكر لتقدمه فى الرتبة أو فى الوجود أيضا لقوله أول ما خلق الله روحى و قوله كنت نبيا و آدم بين الروح و الجسد ثم قال تعالى و أخذنا منهم ميثاقا غليظا أى عظيما مؤكدا يسأل الصادقين عن صدقهم

كان فى تلك الارواح فأرسله الى مريم عليها السلام فحدث عن أبىّ أنه دخل من فيها رواه أحمد و عن أبى الدرداء قال بينما نحن عند رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم نتذاكر ما يكون اذ قال رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وسلم اذا سمعتم بجبل زال عن مكانه فصدقوه و اذا سمعتم برجل تغير عن خلقه فلا تصدقوا به فانه يصير الى ما جبل عليه

و الظاهر منه ان الميثاق الخاص هو العهد بالصدق و الاخلاص و الاظهر أن ميثاق الانبياء انما هو مظاهرة بعضهم بعضا بالايمان و التصديق و النصرة و المعاونة كما قال تعالى فى موضع آخر و اذ أخذالله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب و حكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم و أخذتم على ذلكم اصرى أى عهدى قالوا أقررنا قال فاشهدوا و أنا معكم من الشاهدين و هذا الميثاق الخاص يحتمل أن يكون بعد العام و الاظهر أن يكون قبله فى عالم الارواح تعظيما لهم و تكريما ولذا قال عليه‌الصلاة‌والسلام كنت نبيا و آدم بين الروح و الجسد و يدل عليه قوله (كان) أى‌عيسى (فى تلك الارواح‌فأرسله) أى روحه وهو يذكر و يؤنث يعنى مع‌جبريل عليه‌الصلاة والسلام (الى مريم عليها السلام) بصيغة التثنية هو الصحيح (فحدث) بصيغة المجهول أى روى (عن أبىّ أنه دخل) أى الروح الى جوفها ثم رحمها و انما ذكر الروح بتاويل المنفوخ أو عيسى كذا قاله الطيبى و فى القاموس الروح بالضم ما به حياة الانفس و يؤنث اه فجعل التذكير أصلا كما هو الاصل فى اللفظ (من فيها) أى من فمها كذا قاله الابهرى و هو اشارة الى قوله تعالى فنفخنا فيه أى فى فيها و قرأ ابن مسعود فيها أى فى مريم و هو يحتمل أن يكون المراد فى فمها أو فى جيب درعها و يجمع بينهما بفرض ثبوتهما بأن بعض تلك النفخة دخلت من جيبها و بعضها من فمها و تخصيص عيسى و تقييده بقوله دخل من فيها تسجيل على النصارى بركاكة عقولهم أى كيف يتخذ الها من دون‌الله من هذا حاله كذا قاله الطيبى و نظيره قوله تعالى كانا ياكلان الطعام قيل هو كناية عن يبولان و يغوطان (رواه أحمد و عن أبى الدرداء قال بينما نحن عند رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم نتذاكر) أى مع رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أو مع بعضنا بحضرته و هو يسمع (ما يكون) ما موصولة أى الذى يحدث من الحوادث أهو شئ مقضى مفروغ منه فتوجد تلك الحوادث على طبقه أو شئ يوجد أنفا من غير سبق قضائه (اذ قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا سمعتم بجبل زال عن مكانه فصدقوه) أى لامكانه بل حكى وقوعه كما قيل ان بعض جبال المغرب سار عن محله مسافة طويلة (و اذا سمعتم برجل تغير عن خلقه) بضم اللام و تسكن أى خلقه الاصلى بالكلى (فلاتصدقوا به) أى بالخبر عنه بذلك فانه غير ممكن عادة ولذا قال تعالى و الكاظمين الغيظ ولم يقل و العادمين له (فانه) أى الرجل و المراد به الجنس (يصير) فى كل ما يريد أن يفعله و يحدثه (الى ما جبل) أى خلق و طبع (عليه) من الاخلاق قال ابن حجر أى على وفق ما سبق به القضاء و القدر الذى لايمكن أن يبدل و يغير فالكيس مثلا لايصير بليدا و السخى لايصير بخيلا و الشجاع لايصير جبانا وعكسها و هذا مثال تقريبى باعتبار استبعاد العادة لزوال الجبل عن مكانه استبعادا يلحقه بالمحال العقلى و حينئذ فلايقدح فى ذلك امكان زوال الجبل عن مكانه دون الخلق المقدر عما قدر عليه اه فان قلت مدار الصوفية على تبديل الاخلاق فكيف هذا الحديث قلت التحقيق أن كل أحد خلق و طبع فيه الاخلاق جميعها و هى صالحة باصلها أن تكون حميدة و أن تكون ذميمة و انما تحمد اذا كانت متوسطة بين طرفى الافراط و التفريط و الذميمة ضدها فمثلا السخاوة صفة معتدلة بين الاسراف و البخل و كذا الشجاعة بين التهور و الجبن و كذا

رواه أحمد و عن أم سلمة قالت يا رسول‌الله لايزال يصيبک فی کل عام بوجع من الشاة المسمومة التی أکلت قال ما أصابنی شئی منها الا و هو مکتوب علی و آدم فی طینته

التواضع بین الضعة و التکبر و الغالب علی الناس عادة عدم الاعتدال فالصوفیة یجاهدون و یرتاضون فی الاخلاق لیبدلوها عن مقتضی العادة و یعدلوها علی سنن الاستقامة و العبادة ولذا قیل الارادة ترک العادة و من جملتها البغض و حالة اعتداله المحمود أن یکون فی محله المرضی عندالله علی القدر المحدود فی الشرع و کذلک ضده المحبة ولذا قال صلی‌الله‌علیه‌وسلم من أحب‌لله و أبغض‌لله فقد استکمل ایمانه و أما ازالة صفة البخل من أصلها بالکلیة فغیر ممکنة الا بالجذبة الالهیة ولذا قال تعالی قل لو أنتم تملکون خزائن رحمة ربی اذا لامسکتم خشیة الانفاق و کان الانسان قتورا أی بخیلا و قال علیه الصلاةوالسلام لو کان لابن آدم وادیان من ذهب لابتغی ثالثا ولایملأ جوف ابن آدم الا التراب و یتوب‌الله علی من تاب بل قیل لو أزیلت الصفات الذمیمة بالکلیة عن الانسان یکون ناقصا اذ کماله أن تغلب صفاته الحمیدة و بهذا فضل نوع الانسان علی نوع الملک و الله أعلم و الحاصل أن التبدیل الاصلی الذاتی غیر ممکن کما أشار الیه الحدیث النبوی و أما التبدیل الوصفی فهو ممکن بل العبد مأمور به و یسمی تهذیب النفس و تحسین الاخلاق قال تعالی قد أفلح من زکاها و فی الحدیث حسنوا أخلاقکم و فی الدعاء اللهم کما حسنت خلقی فحسن‌خلقی و اللهم اهدنی لصالح الاعمال و الاخلاق لایهدی لصالحها الا أنت و من أراد الاستیفاء فعلیه بالاحیاء و یمکن أن یقال ان الخلق المبرم لایبدل و الخلق المعلق یغیر و هو مبهم عندنا معلوم عندالله فعلینا المجاهدة فکل میسر لما خلق له و لهذا تری کثیرا من المرتاضین لم تحسن أخلاقهم فی أزمنة طویلة و بعضهم تبدل أخلاقهم الذمیمة بالحمیدة فی مدة قلیلة أو النفی محمول علی العادة من غیر حصول الاسباب العادیة و الاثبات علی خرقها و هو تارة یکون بالجذبة الالهیة و تارة بالریاضات النفسیة و تارة بالعلوم و المعارف الربانیة قال ابن حجر و فی الحدیث اشارة الی أنه ینبغی استحضار هذا فی النظر للخلق بعد وقوع الافعال منهم حتی تقام أعذارهم فی کثیر من أحوالهم التی لا یترتب علی اقامتها فیها محذور فان کلا یجری فی تیار ما قدر له لا یخرج عنه مثقال ذرة فی حرکاته و سکناته (رواه أحمد) و کذا ابن أبی حاتم و الطبرانی و ابن مردویه فی تفاسیرهم کلهم من طریق أبی جعفر الراوی عن الربیع عن أنس عن أبی العالیة عن أبی و کان مقتضی دأب المصنف أن یقول روی الاحادیث الخمسة أحمد (و عن أم سلمة) هی أم المؤمنین هند بنت أبی‌أمیة رضی‌الله‌عنها و کانت قبل رسول‌الله‌صلی‌الله‌علیه‌وسلم تحت أبی‌سلمة فلما مات أبو سلمة سنة أربع تزوجها رسول‌الله‌صلی‌الله‌علیه‌وسلم فی لیال بقین من شوال من السنة التی مات فیها أبو سلمة و ماتت سنة تسع و خمسین و دفنت بالبقیع و کان عمرها أربعا و ثمانین سنة و روی عنها ابن عباس و عائشة و زینب بنتها و ابن المسیب و خلق سواهم کثیر من الصحابة و التابعین (قالت یا رسول‌الله لاتزال) بالخطاب و قیل بالغیبة (یصیبک) أی یحصل لک (فی کل عام) أی سنة (وجع) بفتح الجیم أی ألم (من الشاة) أی من أجل أثر الشاة (المسمومة) أی بالسم الذی بالغ الیهودی فی اصطناعه و اتقانه لیقتل فی وقته و ساعته (التی أکلت) أی فی خیبر کما فی نسخة (قال ما أصابنی شئی منها) أی من تلک الشاة أو من تلک الاکلة (الاوهو) أی ذلک الشئی من الالم (مکتوب علی و آدم فی طینته) قال الطیبی مثل للتقدیر السابق لا تعیین فان کون آدم فی طینته أیضا مقدر قبله کما یقال ما لاح کوکب و ما أقام ثبیر فی التأیید و ان لم یکن مؤبدا اه و یؤیده قوله تعالی ما أصاب من مصیبة فی الارض و لا فی

رواه ابن ماجه * (باب اثبات عذاب القبر) * * (الفصل الاول) * عن البراء بن عازب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال المسلم اذا سئل فى القبر يشهد أن لااله الا الله و أن محمدا رسول الله فذلک قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا و فى الآخرة و فى رواية عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت نزلت فى عذاب القبر

أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها أى نخلقها و قضية الشاة تأتى فى باب المعجزات ان شاء الله تعالى (رواه ابن ماجه) * (باب اثبات عذاب القبر) *
قال الامام النووى مذهب أهل السنة اثبات عذاب القبر و قد تظاهرت عليه الادلة من الكتاب و السنة قال تعالى النار يعرضون عليها غدوا و عشيا و يوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب و أما الاحاديث فلا تحصى كثرة ولا مانع فى العقل من أن يعيد الله الحياة فى جزء من الجسد أو فى الجميع على خلاف بين الاصحاب فيثيبه و يعذبه و لا يمنع من ذلک كون الميت قد تفرقت أجزاؤه كما يشاهد فى العادة أو أكلته السباع و الطيور و حيتان البحر لشمول علم الله تعالى و قدرته فان قيل نحن نشاهد الميت على حاله فكيف يسئل و يقعد و يضرب و لا يظهر أثر فالجواب انه ممكن و له نظير فى الشاهد و هو النائم فانه يجد لذة وألما يحسه و لا نحسه و كذا يجد اليقظان لذة و ألما يسمعه و يتفكر فيه ولا يشاهد ذلک جليسه و كذلک كان جبريل يأتى النبى صلى الله عليه وسلم فيوحى بالقرآن المجيد و لايراه اصحابه * (الفصل الاول) * (عن البراء بن عازب) هو و أبوه صحابيان و هو أبوعمارة الانصارى الحارثى نزل الكوفة و افتتح الرى سنة أربع و عشرين و شهد مع على بن أبى طالب الجمل و صفين و النهروان ومات بالكوفة روى عنه خلق كثير و عمارة بضم العين المهملة و تخفيف الميم و عازب بعين مهملة و كسر الزاى بعدها موحدة رضى الله عنهما (عن النبى صلى الله عليه وسلم قال المسلم) و فى معناه المؤمن و المراد به الجنس فيشمل المذكر و المؤنث أو حكمها يعرف بالتبعية (اذا سئل فى القبر) التخصيص للعادة أو كل موضع فيه مقره فهو قبره والمسؤل عنه محذوف أى سئل عن ربه و دينه ونبيه لما ثبت فى الاحاديث الاخر (يشهد أن لااله الا الله و أن محمدا رسول الله) أى يجيب بأن لا رب الا الله و لااله سواه و بان نبيه محمد عليه الصلاة والسلام ويلزم منه أن دينه الاسلام (فذلک) أى فمصداق ذلک الحكم و قال الطيبى اشارة الى سرعة الجواب التى يعطيها جعل اذا ظرفا ليشهد و الفاء للسببية اه و فيه بحث فان الظاهر أن الآية سبب لما فى الحديث دون العكس فالاولى أن يقال ان الفاء تفريعية أو تفصيلية (قوله) أى تعالى كما فى نسخة (يثبت الله الذين آمنوا) أى يجرى لسانهم (بالقول الثابت) و هو كلمة الشهادة المتمكنة فى القلب بتوفيق الرب قال الطيبى و اللام اشارة الى كلمة طيبة اه و هذا مقتبس من قوله تعالى ومثل كلمة طيبة و هى شهادة أن لااله الا الله كما جاء عن ابن عباس و غيره كشجرة طيبة أصلها ثابت و فرعها فى السماء و هى النخلة على ما فى الصحيح قيل الباء للسببية متعلقة بيثبت و كذا (فى الحيوة الدنيا) بان لا يزالوا عنه اذا فتنوا و لم يرتابوا بالشبهات و ان ألقوا فى النار (و فى الآخرة) أى البرزخ و غيره و قيل فى القبر عند السؤال و هو الصحيح كما وقع به التصريح قال الطيبى و أعاد الجار ليدل على استقلاله فى التثبيت (و فى رواية عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يثبت الله) مبتدأ أى آية يثبت الله (الذين آمنوا بالقول الثابت) أى الى قوله و يضل الله الظالمين أى الكافرين و يفعل الله ما يشاء (لنزلت فى عذاب القبر) أى فى اثباته قال فان قيل ليس فى الآية دليل على عذاب المؤمن فما معنى قوله نزلت فى عذاب القبر قلت لعله سمى أحوال العبد فى القبر بعذاب القبر

يقال له من ربک فيقول ربی الله و نبيی محمد متفق عليه و عن أنس قال قال رسول‌الله‌صلی‌الله‌عليه‌وسلم ان العبد اذا وضع فی قبره و تولی عنه أصحابه انه يسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه

علی تغليب فتنة الكافر علی فتنة المؤمن ترهيبا و لان القبر مقام الهول و الوحشة و لان ملاقات الملكين مما يهيب المؤمن أيضا اه و فيه أن المراد اثبات عذاب القبر مجملا غايته أن عذاب المؤمن الفاسق مسكوت عنه كما هو دأب القرآن فی الاقتصار علی حكم الفريقين كما ورد فی اعطاء الكتاب باليمين و الشمال وخفة الميزان و ثقله و امثالهما و هذا المقدار من الدليل حجة علی المخالف اذلا قائل بالفصل (يقال‌له) أی لصاحب القبر (من ربک) فان كان مسلما أزال الله الخوف عنه و ثبت لسانه فی جواب الملكين (فيقول ربی الله و نبيی محمد) زاد فی الجواب تبجحا أو و من نبيک مقدر فی السؤال أو لان السؤال عن التوحيد يستلزمه اذلم يعتد به دونه و زاد فی المصابيح و الاسلام دينی فحينئذ يكون منعما فی القبر و أما الكافر فيغلب عليه الخوف و الحيرة و الدهشة و الوحشة و لا يقدر علی جوابهما فيكون معذبا فيه قيل و لم يذكر حال الكافر لان الضد أقرب خطورا بالبال عند ذكر ضده فاكتفی به عنه (متفق عليه و عن أنس قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌عليه‌وسلم ان العبد) المراد به الجنس (اذا وضع فی قبره) شرط و أتاه جوابه و الجملة خبران (و تولی) أی أدبر و أعرض (عنه أصحابه) أی عن قبره و العبرة بالاكثر أو عن وضعه و المعنی دفنوه و التعبير عنهم بالاصحاب نظرا للغالب و الاول هو الاظهر لقوله يسمع قرع نعالهم (انه) بالكسر وهو اما حال بحذف الواو كما فی أحد وجهی قوله تعالی و يوم القيامة تری الذين كذبوا علی الله وجوههم مسودة أی و وجوههم علی أن الرؤية بمعنی الابصار و هو علی حد كلمته فوه الی فی أو يكون انه جواب الشرط علی حذف الفاء فيكون أتاه حالا من فاعل يسمع و قد مقدرة و يحتمل أن يكون اذا ظرفا محضا و قوله انه تأكيد لقوله ان العبد (ليسمع) بفتح اللام للتأكيد (قرع نعالهم) بكسر النون جمع نعل قيل أی يسمع صوتها لو كان حيا فان جسده قبل أن يأتيه الملک فيقعده ميت لا يحس بشئ و هو ضعيف اذ ثبت بالاحاديث ان الميت يعلم من يكفنه و من يصلی عليه و من يحمله و من يدفنه و قال ابن الملک أی صوت دقها و فيه دلالة علی حياة الميت فی القبر لان الاحساس بدون الحياة ممتنع عادة و اختلفوا فی ذلک فقال بعضهم يكون باعادة الروح و توقف أبوحنيفة فی ذلک اه و لعل توقف الامام فی أن الاعادة تتعلق بجزء البدن أو كله قال فی شرح السنة يجوز المشی بالنعل فی القبور (أتاه ملكان) أی قبل ان يمضی زمان طويل (فيقعدانه) من الاقعاد و قد وقع فی بعض الروايات فيجلسانه من الاجلاس و هو أولی لان القعود عند الفصحاء فی مقابلة القيام و الجلوس فی مقابلة الاضطجاع و الاستلقاء و يؤيده ما حكی أن النضر بن شميل مثل بين يدی المأمون فقال اجلس فقال يا أمير المؤمنين لست مضطجعا فاجلس قال كيف أقول قال قل اقعد و يحتمل أن يراد بالاقعاد الايقاظ والتنبيه و انما يسألان عنه باعادة الروح و يمكن أنه يقوم من الفزع و الخوف و الهيبة و الدهشة و الحيرة فيقعدانه قال الطيبی و لعل من روی فيقعدانه ظن أن اللفظين ينزلان فی المعنی منزلة واحدة و قد فاته دقة المعنی و لهذا نهی كثير من السلف عن رواية الحديث بالمعنی قال النووی القعود و الجلوس مترادفان و استعمال القعود مع القيام و الجلوس مع الاضطجاع مناسبة لفظية و نحن نقول بموجبه اذا كانا مذكورين و أما اذا لم يذكر الا احدهما فلم لقل انه كذلک ألاتری الی حديث جبريل عليه‌السلام حتی جلس الی النبی صلی‌الله‌عليه‌وسلم أقول صرح فی القاموس بانهما لغتان حيث قال القعود الجلوس أو هو من القيام و الجلوس من الضجعة و من السجود اه و يؤيد اللغة الثانية استعمال الفقهاء فی افعال الصلاة

فيقولان ما كنت تقول فى هذا الرجل لمحمد فاما المؤمن فيقول أشهد انه عبد الله و رسوله فيقال له انظر الى مقعدك من النار قد أبدلک الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا وأما المنافق و الكافر فيقال له ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول لا ادرى كنت أقول ما يقول الناس فيقال له لا دريت و لاتليت

القعدة الاولى و القعدة الاخرى و الله أعلم (فيقولان) أى له (ما كنت تقول) أى أى شئ كنت تقوله أى تعتقد (فى هذا الرجل) أى فى شانه و اللام للعهد الذهنى و فى الاشارة ايماء الى تنزيل الحاضر المعنوى منزلة الصورى مبالغة (لمحمد) بيان من الراوى للرجل أى لاجل محمد (صلى الله عليه وسلم). كذا قاله الطيبى و شراح المصابيح و قال السيد جمال الدين الاولى ان يقال لمحمد من جملة قول الرسول و التعبير بمحمد دون النبى و الرسول يؤذن بذلک اه قال الطيبى و دعاؤه بالرجل من كلام الملک فعبر بهذه العبارة التى ليس فيها تعظيم امتحانا للمسؤل لئلا يتلقن تعظيمه عن عبارة القائل ثم يثبت الله الذين آمنوا وفى رواية عند أحمد و الطبرانى ما تقول فى هذا الرجل قال من قال محمد فيقول الخ قال ابن حجر و لا يلزم من الاشارة ما قيل من رفع الحجب بين الميت و بينه صلى الله عليه وسلم حتى يراه و يسئل عنه لان مثل ذلک لا يثبت بالاحتمال على انه مقام امتحان و عدم رؤية شخصه الكريم أقوى فى الامتحان قلت و على تقدير صحته يحتمل أن يكون مفيدا لبعض دون بعض و الاظهر أن يكون مختصا بمن أدركه فى حياته عليه الصلاة والسلام و تشرف برؤية طلعته الشريفة (فاما المؤمن فيقول) أى فى جوابه لهما مع اعترافه بالتوحيد كما (أشهد انه عبد الله و رسوله) لا كما زعمت النصارى من الوهية نبيهم و لا كما زعمت الفرق الضالة أنه ليس برسوله (فيقال له) الظاهر أنه على لسانهما تعجيلا لمسرته و تبشيرا لعظيم نعمته (أنظر الى مقعدك من النار) أى لو لم تكن مؤمنا ولم تجب الملكين (قد أبدلک الله به) أى بمقعدك هذا (مقعدا من الجنة) أى بايمانک و القعودهنا أيضا مستعمل فى المعنى الاعم (فيراهما) أى المقعدين (جميعا) ليزداد فرحه (وأما المنافق و الكافر) تعميم بعد تخصيص (فيقال له ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول لا أدرى) أى حقيقة أنه نبى أم لا (كنت أقول) أى فى الدنيا (ما يقول الناس) أى المؤمنون و هذا قول المنافق لانه كان يقول فى الدنيا لا اله الا الله محمد رسول الله تقية لا اعتقادا و أما الكافر فلا يقول فى القبر شيأ أو يقول لا أدرى فقط لانه لم يقل فى الدنيا محمد رسول الله و يحتمل ان يقول الكافر أيضا دفعا لعذاب القبر عن نفسه و قال ابن حجر ان أراد بالناس المسلمين فهو كذب منه حتى فى المنافق لانه ليس المراد مجرد قول اللسان بل اعتقاد القلب و ان أراد من هو بصفته فهو جواب غير نافع له اه و الثانى أظهر و هو ان يراد بالناس الكفار و مراده بيان الواقع لا الجواب النافع و على تقدير ان يراد بالناس المسلمون لا محذور أيضا فى كذبهم اذ هذا دأبهم و قد أخبر الله تعالى عنهم بقوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم و يحسبون أنهم على شئ ألا انهم هم الكاذبون أى فى قولهم و الله ربنا ما كنا مشركين (فيقال) أى له كما فى نسخة (لادريت) أى لا علمت ما هو الحق و الصواب (و لا تليت) أى لا تبعت الناجين يعنى ما وقع منک التحقيق و التسديد و لا صدر منک المتابعة و التقليد و قيل دعاء عليه و هو بعيد قال السيد جمال الدين أى لا قرأت فاصله تلوت قلبت الواو ياء لازدواج دريت أى ما علمت بالنظر و الاستدلال أى العقلى انه رسول و ما قرأت كتاب الله لتعلمه منه أى بالدليل النقلى و ينبئه قوله عليه الصلاة والسلام فى الفصل الثالث ان المؤمن يقول هو رسول الله فيقولان ما يدريک فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به و صدقت كذا فى الازهار و قيل لا تليت لا اتبعت العلماء بالتقليد اه و قال ابن الملک قوله

و يضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين متفق عليه و لفظه للبخاري و عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة و العشى ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة و ان كان من أهل النار فمن أهل النار

و لا تليت من تلا يتلو اذا قرأ أى و لا قرأت الكتاب دعاء عليه أى بدوام الجهل أو اخبار قيل رواية ولا تليت خطأ و الصواب و لا أتليت من أتلاه اذا أتبعه فالمعنى ما علمت بالنظر و الاستدلال حقيقة نبوته و لا اتبعت العلماء بالتقليد فيكون اخبارا اه هذا و فى القاموس تلوته كدعوته و رميته تبعته و القرآن أو كل كلام قرأته و اتليته اياه اتبعته فبهذا يظهر تكلف بعض و خطأ بعض فى هذا المقام و الله أعلم بالمرام ثم ذكر فى الازهار فان قيل كيف يكلم الملكان جميع المكلفين و كيف يسألانهم فى وقت واحد مع كثرتهم فى الآفاق و الاطراف و بعد المسافة شرقا و غربا و أى فائدة من سؤال اثنين من واحد قيل يكون لهما أعوان كما لملك الموت و قيل جميع الارض مكشوف لهما و فى نظر هما كما لملك الموت و ان أحدهما يسأل المسلمين و الآخر الكافرين اه و فى قول الاخير نظر ظاهر لانه مخالف لظواهر الاحاديث و يمكن أن يقال حكمة الاثنين لانهما بمنزلة الشاهدين أو عوض الملكين الكاتبين و الله أعلم (و يضرب) أى الكافر (بمطارق) و فى المصابيح بمطرقة و هى آلة الضرب (من حديد) لانه من بين الفلزات أشد شديد (ضربة) أى بين أذنيه كذا قاله ابن الملك قال الطيبى أفرد الضربة و جمع المطارق على نحو قوله * معى جياعا * ليؤذن بان كل جزء من تلك المطرقة مطرقة برأسها مبالغة اه و الاظهر أن المطارق على حقيقته من معنى الجمعية سواء يكون أقله اثنان أو ثلاثة و المراد من ضربة دفعة واحدة من الضرب و الله أعلم ثم رأيت ابن حجر قال كان وجه افرادها مع جمع المطارق للاشارة الى أنها تجتمع عليه فى وقت واحد فصارت كالضربة الواحدة صورة ثم قال و فى كلام الطيبى نظر لان فيه اخراج المطارق عن حقيقته و هى الدلالة على الجمع الذى هو أبلغ فى النكال و العذاب من غير داع لذلك (فيصيح) أى يرفع صوته بالبكاء من تلك الضربة (صيحة يسمعها) أى تلك الصيحة (من يليه) أى يقرب منه من الدواب و الملائكة و عبر بمن تغليبا للملائكة لشرفهم و لا يذهب فيه الى المفهوم من أن من بعد لا يسمع لما ورد فى الفصل الثانى فى حديث البراء بن عازب من أنه يسمعها ما بين المشرق و المغرب و المفهوم لا يعارض المنطوق (غير الثقلين) أى الانس و الجن سمى بهما لانهما ثقلا على الارض و نصب غير على الاستثناء و قيل بالرفع على البدلية و استثنيا لأنهما بمعزل عن سماع ذلك لئلا يفوت الايمان بالغيب لانه يصير الايمان به لو سمعوه ضروريا و الايمان الضرورى لا يفيد ثوابا فيرتفع الابتلاء و الامتحان و قيل لو سمعوه لا عرضوا عن التدابير و الصنائع و نحوهما فينقطع المعاش و يختل نظام العالم و لذا قيل لو لا الحمقى لخربت الدنيا و قيل الغفلة رحمة و قيل لو لا الامل لاختل العمل (متفق عليه) أى بحسب المعنى (و لفظه للبخارى) قال ميرك شاه وفيه نظر لان رواية مسلم انتهت الى قوله فيراهما جميعا فيحمل الاتفاق على الاكثر فتدبر (و عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده) أى أظهر له مكانه الخاص من الجنة أو النار و هو لا ينافى عرض مقعد آخر فرضيا كما تقدم (بالغداة و العشى) أى طرفى النهار أو المراد بهما الدوام (ان كان) أى الميت (من أهل الجنة فمن أهل الجنة) أى فالمعروض عليه من مقاعد أهل الجنة أو فمقعده من مقاعد أهل الجنة يعرض عليه (و ان كان من أهل النار فمن أهل النار) قال الطيبى يجوز أن يكون المعنى فمن كان من أهل الجنة فيبشر بما لا يكتنه كنهه و يفوز بما لا يقدر قدره و ان كان من أهل النار

فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة متفق عليه و عن عائشة رضى‌الله‌عنها أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر فقالت لها أعاذك الله من عذاب القبر فسألت عائشة رسول‌الله‌صلى‌الله عليه‌وسلم عن عذاب القبر فقال نعم عذاب القبر حق قالت عائشة فما رأيت رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم بعد صلى صلاة الا تعوذ بالله من عذاب القبر

فبالعكس لان الشرط و الجزاء اذا اتحدا دل الجزاء على الفخامة كقوله من أدرك الضمان فقد أدرك (فيقال) أى لكل منهما (هذا) أى المقعد المعروض عليك (مقعدك) أى مقعدك الذى أنت مستقر فى نعيم عرضه أو جحيمه و مستمر (حتى يبعثك الله اليه) قال السيد جمال‌الدين الضمير فى اليه اما أن يرجع الى المقعد فالمعنى هذا مقعدك تستقر فيه حتى تبعث الى مثله فى الجنة أو النار كقوله تعالى قالوا هذا الذى رزقنا من قبل أى مثل الذى و يجوز أن يكون الضمير راجعا الى الله تعالى أى الى لقائه و يجوز أن يكون الضمير راجعا الى المقعد المعروض أو الى المقعد الذى هو القبر و الى بمعنى من أى المعروض عليه مقعدك بعد و لاتدخله الآن حتى يبعثك الله اليه أو القبر مقعدك حتى يبعثك الله منه الى مقعدك الآخر المعروض عليك اه و قال الطيبى الضمير يرجع الى يوم الحشر أى هذا الآن مقعدك الى يوم الحشر فترى عند ذلك كرامة أو هوانا تنسى عنده هذا المقعد (يوم القيامة) بالنصب على الظرفية قال التوربشتى و هذا لفظ المصابيح و قد روى فى الاحاديث الصحاح حتى يبعثك الله الى يوم القيامة أى هذا مستقرك الى يوم القيامة و يجوز أن يكون التقدير حتى يبعثك الله الى محشر يوم القيامة اه و فى الازهار المراد بالقيامة هنا النفخة الاولى لا الاخرى لان ما بين النفختين لا يعذب أحد من الكفار و المسلمين قلت لا حاجة الى هذا التأويل فان قوله هذا مقعدك مطلق متناول للعذاب و غيره مع ان النفخة الاولى حالة اماتة المخلوقات و غشيان للاموات و ما ثم هناك بعث فتأمل (متفق عليه و عن عائشة) رضى‌الله‌عنها (أن يهودية دخلت عليها) قال ابن حجر لا يلزم من ذلك رؤية اليهودية لعائشة المحرم عندنا لمفهوم قوله تعالى أو نسائهن المقتضى لحرمة كشف المسلمة شيأ من بدنها لكافرة لانها قد تصفها لكافر فيفتتنها اه و مفهوم المخالفة عندنا غير معتبر و لم ينقل أحد أن نساء النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم و الصحابة كن يحتجبن عن نساء الكفار (فذكرت) أى اليهودية (عذاب القبر فقالت) أى اليهودية و هو يحتمل أن يكون تفسيرا أو تفريعا (لها) أى لعائشة (أعاذك الله) أى حفظك و أجارك (من عذاب القبر) جاز علم اليهودية بعذاب القبر لقراءتها فى التوراة أو لسمعها ممن قرأ فى التوراة و كانت عائشة لم تعلم و لم تسمع ذلك (فسألت عائشة رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم عن عذاب القبر) أى أحق هو (فقال نعم عذاب القبر حق) أى ثابت و متحقق و كائن و صدق (قالت عائشة فما رأيت رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم بعد) أى بعد سؤالى ذلك (صلى صلاة الا تعوذ بالله من عذاب القبر) و هو يحتمل داخل الصلاة و خارجها و الاول أظهر و من ثم أوجب ذلك بعض العلماء قيل يحتمل أنه ما علم ذلك قبل أو علم و لم يتعوذ حتى سمع من اليهودية فتعوذ أو كان يتعوذ و لم تشعر به عائشة و قيل كان يتعوذ منه قبل هذا سرا فلما رأى تعجبها منه أعلن به خلف كل صلاة ليثبت فى قلبها و ليقتدى به أمته و ليشتهر ذلك بين الامة و يترسخ فى عقائدهم و ليكونوا على خيفة منه و جاز أنه عليه‌الصلاة‌والسلام كان قبل هذا يتعوذ منه سرا متوقفا فى شأن أمته فيه قبل أن يوحى اليه ثم تعوذ منه أعاذنا الله بلطفه منه قال التوربشتى روى الطحاوى أنه عليه‌الصلاة‌والسلام سمع اليهودية قالت ذلك فارتاع رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم ثم أوحى اليه بفتنة القبر و وجدت فى حديث آخر أن عائشة رضى

متفق عليه و عن زيد بن ثابت قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حائط لبنى النجار على بغلة له و نحن معه اذحادت به فكادت تلقيه و اذا أقبر ستة أو خمسة فقال من يعرف أصحاب هذه الاقبر قال رجل أنا قال فمتى ماتوا قال فى الشرك فقال ان هذه الامة تبتلى فى قبورها فلولا أن لاتدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه

الله عنها قالت لا أدرى أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ قبل ذلك ولم أشعربه أو تعوذ بقول اليهودية قال الطيبى فعلى هذا فيه تواضع منه عليه الصلاة والسلام و ارشاد للخلق الى قبول الحق من أى شخص كان فان الحكمة ضالة المؤمن و فيه انه يبعد انه عليه الصلاة والسلام يعتمد فى المسئلة الاعتقادية على مجرد قول اليهودية بل انه اعتمد على الوحى كما تقدم و الله أعلم و أما قول ابن حجر و ما نقل عن الطحاوى يحتاج الى نقل فهو غريب لان نقله نقل فانه من المحدثين المشهورين المعروفين بالثقة والعدالة و الضبط فى الغاية لاسيما و هذا ليس مما يقال بالرأى فيجب حسن الظن به و من العجيب انه لو نقل مثل هذا عمن هو دونه فى الرتبة من أصحاب مذهبه كان سندا معتمدا عنده ثم فى الحديث تنبيه على انه لا يجوز لاحد من خلق الله أن يأمن من غذاب الله (متفق عليه و عن زيد بن ثابت قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حائط) أى كائن فى بستان (لبنى النجار) قبيلة من الانصار (على بغلة له) حال من المستتر فى الخبر (و نحن معه) حال متداخلة لانه حال من الضمير فى الحال (اذحادت) بالحاء المهملة على الصحيح و قيل بالجيم من الجودة بالضم اى مالت و نفرت (به) أى ملتبسة به فهو حال و اذ بسكون الذال للمفاجأة بعد بينا نص على ذلك سيبويه على ما فى المغنى (فكادت تلقيه) من الالقاء أى تسقطه و ترميه عن ظهرها (و اذا أقبر) بفتح فسكون فضم (ستة أو خمسة) اذا بالالف للمفاجأة و الواو للحال أى نحن على ذلك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم و اذا أقبر أى ظهرت لنا قبور معدودة فاجأناها (فقال من يعرف أصحاب هذه الاقبر) أى ذواتهم و صفاتهم و تاريخ وفاتهم و أيام حياتهم (قال رجل أنا) أى أعرفهم (قال) صلى الله عليه وسلم اذا كنت تعرفهم (فمتى ماتوا) أى فى الجاهلية أو بعدها مشركين أو مؤمنين (قال فى الشرك) أى فى زمنه أو صفته و قال ابن حجر أى بعد بعثتك بدليل قوله ان هذه الامة تبتلى فى قبورها أى بالعذاب فيها قال و انما حملته على ذلك ليوافق الاصح ان أهل الفترة لا عقاب عليهم اه و فيه ان أهل الفترة على ما حققوا فيه نادر الوجود فكيف يحمل على أهل الشرك (فقال ان هذه الامة) أى جنس الانسان فهذه اشارة لما فى الذهن و خبره بيان له كهذا أخوك و أصل الامة كل جماعة يجمعهم أمر واحد اما دين أو زمان أو مكان (تبتلى) بصيغة المجهول أى تمتحن (فى قبورها) ثم تنعم أو تعذب (فلولا أن لا تدافنوا) بحذف احدى التاءين أى لو لا مخافة عدم التدافن اذا كشف لكم (لدعوت الله) أى سألته (أن يسمعكم) من الاسماع مفعول ثان على تضمين سألته أن يجعلكم سامعين (من عذاب القبر) يحتمل أن تكون من للتبعيض و يحتمل أن تكون زائدة قال فى الازهار قيل المعنى المانع من الدعاء هو الخوف و الحيرة و الدهشة و انخلاع القلب و قيل المانع ترك الاعانة فى الدفن و قال التوربشتى لو سمعوا ذلك لهم كل واحد منهم خويصة نفسه و عمهم من ذلك البلاء العظيم حتى أفضى بهم الى ترك التدافن و خلع الخوف أفئدتهم حتى لا يكادوا يقربون جيفة ميت (الذى أسمع منه) أى الذى أسمعه من القبر و قال ابن حجر أى مثل الذى أسمعه مفعول ثان ليسمع أى أن يوصل الى آذانكم أصوات المعذبين فى القبر فانكم لو سمعتم ذلك لتركتم التدافن من خوف قلع صياح الموتى أفئدتكم أو خوف الفضيحة فى القرائب

ثم أقبل علينا بوجهه فقال تعوذوا بالله من عذاب النار قالوا نعوذ بالله من عذاب النار قال تعوذوا بالله من عذاب القبر قالوا نعوذ بالله من عذاب القبر قال تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها و ما بطن قالوا نعوذ بالله من الفتن ماظهر منها و ما بطن قال تعوذوا بالله من فتنة الدجال قالوا نعوذ بالله من فتنة الدجال رواه مسلم * (الفصل الثانى) * عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لاحد هما المنكر و للآخر النكير

لئلا يطلع على أحوالهم و هذا الحديث مثل قوله عليه الصلاة والسلام لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلا و لبكيتم كثيرا و فيه أن الكشف بحسب الطاقة و من كوشف بما لايسعه يطيح و يهلك و قال ابن حجر و وجه هذا التلازم ان الكشف عن ذلك العذاب يؤدى جهلة العامة الى ترك التدافن خوفا عليهم منه و يؤدى الخاصة الى اختلاط عقولهم و انخلاع قلوبهم من تصور ذلك الهول العظيم فلا يقربون جيفة ميت و بهذا التفصيل الذى ذكرته يندفع ما قيل كيف يليق بمؤمن أن يترك الدفن المأمور به حذرا من عذاب القبر بل يلزمه أن يعتقد ان الله اذا أراد تعذيب أحد عذبه و لو فى بطن الحيتان و حواصل الطيور (ثم أقبل علينا بوجهه) تأكيد كقوله رأيته بعينى (فقال تعوذوا بالله من عذاب النار) أى اطلبوا منه أن يدفع عنكم عذابها (قالوا نعوذ بالله من عذاب النار) أى نعتصم به منها (قال تعوذوا بالله من عذاب القبر قالوا نعوذ بالله من عذاب القبر) و لعل تقديم عذاب النار فى الذكر مع ان عذاب القبر مقدم فى الوجود لكونه أشد و أبقى و أعظم و أقوى (قال تعوذوا بالله من الفتن) جمع فتنة و هى الامتحان و تستعمل فى المكر و البلاء و هو تعميم بعد تخصيص (ما ظهر منها و ما بطن) بدل من الفتن و هو عبارة عن شمولها لان الفتنة لا تخلو منهما أى ماجهر وأسر و قيل ما يجرى على ظاهر الانسان و ما يكون فى القلب من الشرك و الرياء و الحسد و غير ذلك من مذمومات الخواطر (قالوا نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها و ما بطن) أى كل فتنة تجر الى عذاب القبر أو الى عذاب النار (قال تعوذوا بالله من فتنة الدجال) خص فانه أكبر الفتن حيث يجر الى الكفر المفضى الى العذاب المخلد (قالوا نعوذ بالله من فتنة الدجال رواه مسلم)

* (الفصل الثانى) * (عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قبر الميت) أى دفن و هو قيد غالبى و الا فالسؤال يشمل الاموات جميعها حتى أن من مات و أكلته السباع فان الله تبارك و تعالى يعلق روحه الذى فارقه بجزئه الاصلى الباقى من أول عمره الى آخره المستمر على حالة حالتى النمو و الذبول الذى تتعلق به الروح أولا فيحيا و يحيا بحياته سائر أجزاء البدن ليسئل فيثاب أو يعذب و لا يستبعد ذلك فان الله تعالى عالم بالجزئيات و الكليات كلها حسب ما هى عليها فيعلم الاجزاء بتفاصيلها و يعلم مواقعها و محالها و يميز بين ما هو أصل و فصل و يقدر على تعليق الروح بالجزء الاصلى منها حالة الانفراد و تعليقه به حال الاجتماع فان البنية عندنا ليست شرطا للحياة بل لا يستبعد تعليق ذلك الروح الشخصى الواحد بكل واحد من تلك الاجزاء المتفرقة فى المشارق و المغارب فان تعلقه بتلك الاجزاء ليس على سبيل الحلول حتى يمنع الحلول فى جزء آخر (أتاه ملكان أسودان) منظرهما (أزرقان) أعينهما و انما يبعثهما الله على هذه الصفة لما فى السواد و زرقة العين من الهول و الوحشة و يكون خوفهما على الكفار أشد ليتحيروا فى الجواب و أما المؤمنون فلهم فى ذلك ابتلاء فيثبتهم الله فلا يخافون و يأمنون جزاء لخوفهم منه فى الدنيا (يقال لاحدهما المنكر) مفعول من أنكر بمعنى نكر اذا لم يعرف أحدا (وللآخر النكير) فعيل بمعنى مفعول من نكر بالكسر

فيقولان ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول هو عبدالله و رسوله أشهدأن لا اله الا الله وأن محمداعبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم انك تقول هذا ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعا فى سبعين ثم ينور له فيه ثم يقال له نم فيقول ارجع الى أهلى فاخبرهم فيقولان نم كنومة العروس الذى لايوقظه الا أحب اهله اليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك

اذا لم يعرفه أحد فهما كلاهما ضد المعروف سيمابهما لان الميت لم يعرفهما ولم ير صورة مثل صورتهما ثم يحتمل أن يتمثل الملكان للميت بهذا اللون حقيقة لانهما مبغوضان و الزرقة أبغض الالوان عند العرب لان الروم أعداؤهم وهم زرق العيون غالبا و يحتمل أن يراد بالزرقة العمى قال تعالى و نحشر المجرمين يومئذ زرقا أى عميا و يؤيده ما ورد فى الحديث الآخر فيقيض أى يقدر له أعمى أصم و يحتمل أن يكون المراد بالسواد قبح الصورة و فظاعة المنظر على طريق الكناية و بالزرقة تقليب البصر فيه و تحديد النظر اليه يقال زرقت عينه نحوى اذا انقلبت و ظهر بياضها و هو كناية عن شدة الغضب (فيقولان ما كنت تقول فى هذا الرجل) قيل يصور صورته عليه الصلاة والسلام فيشار اليه (فيقول هو عبدالله و رسوله) هذا هو الجواب و ذكر الشهادتين اطناب للكلام ابتهاجا و سرورا و افتخارا و تلذذا (أشهدأن لا اله الا الله وأن) و فى نسخة و أشهدأن (محمداعبده ورسوله) ولذا قد أخبر بذلك فيما هنالك و نظيره قوله وما تلك بيمينك يا موسى قال هى عصاى أتوكأ عليها الخ فاطنب استلذاذا بمخاطبة الحق و استذكارا بنعمته كذا قاله الشراح و الظاهر أن قوله هو عبدالله و رسوله ليس جوابا شرعيا لتوقفه على لفظ الشهادة عند بعضهم و على التوحيد عند الكل فيجمع بينهما دلالة على الايمان على جهة الايقان بخلاف المنافق الآتى ذكره حيث يدعى الايمان لكن من غير دراية و برهان (فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا) أى الاقرار بالوحدانية و الرسالة و علمهما بذلك اما باخبار الله تعالى اياهما بذلك أو بمشاهدتهما فى جبينه أثر السعادة و شعاع نور الايمان و العبادة (ثم يفسح) مجهول مخفف و قيل مشدد أى يوسع (له فى قبره سبعون ذراعا) يحتمل انه بذراع الدنيا المعروف عند المخاطبين و هو الظاهر و يحتمل انه بذراع الملك الاكبر من ذلك بكثير قال الطيبى أصله يفسح قبره مقدار سبعين ذراعا فجعل القبر ظرفا للسبعين و أسند الفعل الى السبعين مبالغة فى السعة (فى سبعين) أى ذراعا كما فى نسخة أى فى عرض سبعين يعنى طوله و عرضه كذلك قيل لانه غالب اعمار أمته عليه الصلاة والسلام فيفسح له فى مقابلة كل سنة عندالله فيها ذراعا و الاظهر أن المراد به الكثرة ولذا و رد فى بعض الروايات مدبصره و يمكن أن يختلف باختلاف الاشخاص و الله أعلم (ثم ينور له فيه) أى يجعل النور له فى قبره الذى وسع عليه (ثم يقال له نم) أمر من نام ينام (فيقول) أى الميت لعظيم مارأى من السرور (أرجع) أى أريد الرجوع كذا قيل و الاظهر ان الاستفهام مقدر (الى أهلى فأخبرهم) أى بان حالى طيب ولاحزن لى ليفرحوا بذلك قال ياليت قومى يعلمون (فيقولان) أى له معرضين عن الجواب لاستحالته كذا قاله العسقلانى و أقول قوله (نم) متضمن للجواب ومغن عن الاطناب (كنومة العروس) هو يطلق على الذكر و الانثى فى أول اجتماعهما و قد يقال للذكر العريس (الذى لا يوقظه) الجملة صفة العروس و انما شبه نومه بنومة العروس لانه يكون فى طيب العيش و قيل المراد فى تمام طيب العيش (الا أحب أهله اليه) قال المظهر عبارة عن عزته و تعظيمه عند أهله يأتيه غداة ليلة زفافه من هو أحب و أعطف فيوقظه على الرفق و اللطف (حتى يبعثه الله) هذا ليس من مقول الملكين بل من كلامه عليه الصلاة والسلام اعلاما لامته بان هذا النعيم يدوم له ما دام فى قبره و حتى متعلق بمحذوف أى ينام طيب العيش حتى يبعثه الله (من مضجعه ذلك) بفتح الميم و الجيم موضع الضجع و هو

و ان كان منافقا قال سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثله لاأدرى فيقولان قد كنا نعلم انك تقول ذلك فيقال للارض التئمي عليه فتلتئم عليه فتختلف اضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك رواه الترمذى و عن البراء بن عازب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربى الله فيقولان له ما دينك فيقول دينى الاسلام فيقولان ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان له وما يدريك فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به و صدقت

النوم و قيل يحتمل أن يتعلق حتى بنم على سبيل الالتفات من الخطاب الى الغيبة اشارة الى غيبته عنهما بانصرافه عنهما (و ان كان منافقا قال) و فى نسخة فقال (سمعت الناس) أى المسلمين أو الكفار فانهم أكثر الناس قال تعالى وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين و الاول أظهر (يقولون قولا) هو أن محمدا رسول الله (فقلت مثله) أى مثل قولهم (لا أدرى) أى انه نبى فى الحقيقة أم لا و هو استئناف أى ما شعرت غير ذلك القول قال ابن الملك محله النصب على الحال أو صفة لمثله و فى الثانى نظر (فيقولان قد كنا نعلم) أى بالوحى أو برؤيتنا فى وجهك أثر الشقاوة و ظلمة الكفر (انك تقول ذلك) أى القول (فيقال للارض) أى للقبر من قبلهما أو من قبل ملك آخر (التئمي) أى انضمى و اجتمعى (عليه) ضاغطة له يعنى ضيقى عليه و هو على حقيقة الخطاب لأنه تخييل لتعذيبه و عصره (فتلتئم عليه) أى يجتمع أجزاؤها عليه بأن يقرب كل جانب من قبره الى الجانب الآخر فيضمه و يعصره (فتختلف اضلاعه) بفتح الهمزة جمع ضلع و هو عظم الجنب أى تزول عن الهيئة المستوية التى كانت عليها من شدة التئامها عليه و شدة الضغطة و انعصار أعضائه و تجاوز جنبيه من كل جنب الى جنب آخر (فلا يزال فيها) أى فى الارض أو فى تلك الحالة أو فى تربته (معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك) و هذه الجملة من قوله عليه الصلاة والسلام لانقطاع الحكاية من الملكين (رواه الترمذى) و قال حسن غريب (و عن البراء) بالتخفيف و المد على المشهور و قيل بالقصر نقله الكرمانى (ابن عازب) رضى الله عنهما (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يأتيه ملكان) قال ابن الملك روى هذا الحديث البراء كما رواه أبو هريرة الا ان ألفاظهما مختلفة قال فى رواية البراء يأتيه أى المؤمن ملكان (فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربى الله) بفتح الياء و تسكن ولو كان الميت أعجميا صار عربيا (فيقولان له ما دينك) أى الذى اخترته من بين الاديان (فيقول دينى الاسلام فيقولان) أى له كما فى نسخة (ما هذا الرجل الذى بعث فيكم) أى ما وصفه لان ما يسئل به عن الوصف كذا قاله الطيبى و تبعه ابن حجر و قال أى ما وصفه أرسول هو أو ما اعتقادك فيه و الأظهر ان ما بمعنى من ليوافق بقية الروايات بلفظ من نبيك (فيقول هو رسول الله) و فى نسخة صلى الله عليه وسلم (فيقولان له) أى للميت (وما يدريك) أى أى شئى أعلمك و أخبرك بما تقول من الربوبية و الاسلام و الرسالة و قيل انما وصل بالواو العاطفة هنا لاتصاله بما قبله بخلاف ما دينك و ما هذا الرجل فان كلا منهما مستقل منقطع عما قبله (فيقول قرأت كتاب الله) أى القرآن (فآمنت به) أى بالقرآن فان الايمان به مستلزم للايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم أو آمنت بالنبى انه حق (و صدقت) أى صدقته بما قال أو صدقت بما فى القرآن فوجدت فيه فاعلم أنه لااله الا الله و ذلكم الله ربكم خالق كل شئى و غير ذلك من الآيات الدالة على أن ربى و رب المخلوقات واحد و هو الله تعالى و فيه أيضا ان الدين عند الله الاسلام و من يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فعلمت انه لادين مرضيا عنده غير الاسلام و فيه أيضا محمد رسول الله و قل ياأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا و غير ذلك كذا قاله ابن الملك و قال الطيبى قرأت كتاب الله و رأيت فيه من الفصاحة و البلاغة فعرفت أنه

فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الآية قال فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى فافرشوه من الجنة و ألبسوه من الجنة و افتحوا له بابا الى الجنة فيفتح قال فيأتيه من روحها و طيبها و يفتح له فيها مد بصره و أما الكافر فذكر موته قال و يعاد روحه فى جسده و يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان من ربك فيقول هاه هاه

معجز فآمنت به أو تفكرت فيما فيه من البعث على مكارم الاخلاق و فواضل الاعمال و من ذكر الغيوب و اخبار الامم السالفة من غير أن يسمع من أحد فعرفت أنه من عند الله فآمنت به (فذلك) أى مصداق هذا (قوله) أى جريان لسانه بالجواب المذكور هو التثبيت الذى تضمنه قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الآية قال) أى النبى صلى الله عليه وسلم (فينادى مناد) أى للملكين (من السماء) أى من جهتها (أن صدق عبدى) أن مفسرة للنداء لانه فى معنى القول و جوز أن تكون مصدرية مجرورا بتقدير اللام و هو غير صحيح معنى الا أن يتعلق بقوله (فأفرشوه) و المعنى صدق عبدى فيما يقول فانه كان فى الدنيا على هذا الاعتقاد فهو مستحق للاكرام ولذا سماه عبدا و أضافه الى نفسه تشريفا فافرشوه بهمزة القطع (من الجنة) و الفاء فيه جواب شرط مقدر أى اذا صدق عبدى فاجعلوا له فرشا من فرش الجنة فيكون أفرش بمعنى فرش كذا قيل و قال الطيبى ليس فى المصادر الافراش بهذا المعنى انما هو أفرش أى أقلع عنه فهذا اللفظ بهذا المعنى من باب القياس بالحاق الالف فى الثلاثى فلو كان من الثلاثى لكان حقه الوصل ولم نجد الرواية الا بالقطع اﻫ لكن قال فى القاموس أفرش عنه أقلعه و أفرشه أعطاه فرشا من الابل أى صغارا و أفرش فلانا بساطا بسطه له كفرشه فرشا و فرشه تفريشا و قال السيد جمال الدين أصله أفرشوا له فحذف لام الجر و وصل الضمير بالفعل اتساعا و قيل معناه أعطوه فراشا منها و قيل معناه اجعلوه ذافرش من الجنة وقال ابن حجر يغنى عن سماعه صحة الرواية اﻫ و كله تكلف مستغنى عنه بما ذكر فى القاموس (و ألبسوه) بقطع الهمزة أى اكسوه أو أعطوه لباسا (من الجنة) أى من حللها (و افتحوا له بابا الى الجنة) أى حقيقة أو مكاشفة كذا فى الازهار و الاظهر هو الاول لما يأتى (فيفتح) و فى نسخة و يفسح أى له كما فى نسخة (قال) صلى الله عليه وسلم (فيأتيه) أى المؤمن (من روحها) أى بعض روحها و الروح بالفتح الراحة و نسيم الريح (و طيبها) أى بعض تلك الرائحة و الطيب أى شئ منها ولم يؤت بهذا التعبير الا ليفيد أنه مما لايقادر قدره ولا يوصف كنهه و كل طيب روح ولا عكس و قيل من زائدة على مذهب الاخفش (و يفسح) و فى نسخة يفتح و هو غير ملائم لمدالبصر (له فيها) أى فى تربته و هى قبره و يدل عليه مقابله الآتى و يضيق عليه قبره و قال ابن الملك أى فى الجنة و هو بعيد و قال ابن حجر أى فى رؤيته و هو لايخلو عن تكلف (مدبصره) المعنى أنه يرفع عنه الحجاب فيرى ما يمكنه أن يراه ميل نصب مد على الظرف أى مداه و هى الغاية التى ينتهى اليها البصر و الاصوب أن نصبه على المصدر أى فسحا قدرمد بصره و قيل فى التوفيق بين هذا و بين قوله سبعون ذراعا فى سبعين ان هذه الفسحة عبارة عما يعرض عليه من الجنة و تلك عن توسيع مرقده عليه أو كلاهما كناية عن التوسعة من غير تحديد و يحتمل أن يكون بحسب اختلاف أحوال الاشخاص فى الاعمال و الدرجات و قال ابن حجر مدبصره بالفتح فى نسخة معتمدة فله نائب الفاعل و برفعه فى نسخ ويؤيده سبعون ذراعا السابق (و أما الكافر فذكر) أى صلى الله عليه وسلم كما فى نسخة (موته) أى حال موت الكافر و شدته (قال) أى النبى صلى الله عليه وسلم (و يعاد) بالتذكير و قيل بالتأنيث (روحه) أى بعد الدفن (فى جسده) أى بعضه أو كله (و يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان) أى له (من ربك

لا أدرى فيقولان له ما دينك فيقول هاه هاه لاأدرى فيقولان ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هاه هاه لاأدرى فينادى مناد من السماء أن كذب فافرشوه من النار و ألبسوه من النار و افتحوا له بابا الى النار قال فيأتيه من حرها و سمومها قال ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ثم يقيض له أعمى أصم معه مرزبة من حديد لوضرب بها جبل لصار ترابا فيضرب به بها ضربة يسمعها ما بين المشرق و المغرب الا الثقلين فيصير ترابا ثم يعاد فيه الروح

فيقول هاه هاه) بسكون الهاء فيهما بعد الالف كلمة يقولها المتحير الذى لايقدر من حيرته للخوف أو لعدم الفصاحة أن يستعمل لسانه فى فيه (لا أدرى) هذا كانه بيان و تفسير لقوله هاه هاه فالمعنى لا أدرى شيأما أولا أدرى ما أجيب به (فيقولان له) أى للكافر (ما دينك) من الاديان (فيقول هاه هاه لاأدرى فيقولان) أى له (ما هذا الرجل الذى بعث فيكم) يعنى ما تقول فى حقه أنبى أم لا (فيقول هاه هاه لا أدرى) قال تعالى فمن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى (فينادى مناد من السماء أن كذب) أن مفسرة للنداء أيضا أى كذب هذا الكافر فى قوله لا أدرى لان دين الله تعالى و نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كان ظاهرا فى مشارق الارض و مغاربها بل جحد نبوته بالقول أو بالاعتقاد بناء على أن كفره جهل أو عناد (فافرشوه من النار و البسوه من النار) قال تعالى سرابيلهم من قطران (و افتحوا له بابا الى النار قال) صلى الله عليه وسلم (فيأتيه) أى الكافر (من حرها) أى حرالنار و هو تأثيرها (و سمومها) و هى الريح الحارة (قال و يضيق) بتشديد الياء المفتوحة (عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ثم يقيض) أى يسلط و يوكل و يقدر (له) فيستولى عليه استيلاء القيض على البيض و أصله من القيض و هو القشر الاعلى من البيض (أعمى) أى زبانية لاعين له كيلا يرحم عليه و هو يحتمل أن لا يكون له عين لاجله أو كناية عن عدم نظره اليه (أصم) أى لايسمع صوت بكائه و استغاثته فيرق له (معه مرزبة من حديد) المسموع فى الحديث تشديد الباء وأهل اللغة يخففونها و هى التى يدق بها المدر و يكسر قال ابن حجر المرزبة بفتح الموحدة المشددة عند المحدثين و اعترضوا بان الصواب تخفيفها اه ولعل وجهه أن مفعلة بتشديد اللام لايعرف فى انواع الميزان الصرفى و قال الطيبى أما المرزبة فالمحدثون يشددون الباء و الصواب تخفيفه و انما تشدد الباء اذا أبدلت الهمزة من الميم و هى الارزبة و أنشد الفراء * ضربك بالمرزبة العود النخر * اه أقول أخطأ الطيبى رحمه الله فى تخطئة المحدثين و تصويب اللغويين اذ نقل الاولين من طرق العدول على وجه الرواية و نقل الآخرين من سبيل الفضول على جهة الحكاية و أما استشهاده بانشاد الفراء فضعيف اذ يحتمل تخفيفه ضرورة أولغة أخرى و قد ذكرهما صاحب القاموس روح الله روحه أبدا فقال الارزبة و المرزبة مشددتان أو الاولى فقط عصية من حديد اه فظهر أن التشديد فيهما لغة مشهورة عند أكثر أهل اللغة فلو وافق بعض اللغويين جميع المحدثين لاشك ولاريب أنه هو الصواب فكيف بالاكثر مع أنه عند التعارض أيضا يرجح جانب المحدثين لما تقدم و أغرب من هذا طعن بعض علماء العربية فى القرآت المتواترة حيث لم تكن على وفق مسموعهم و هو كفر ظاهر و الله ولى دينه و حافظ كتابه و قادر على ثوابه و عقابه (لو ضرب بها) أى بالمرزبة (جبل لصار ترابا) أى الدق أجزاؤه كالتراب (فيضربه بها) و فى نسخة بها ساقط (ضربة يسمعها) أى صوتها و حسها (ما بين المشرق و المغرب) الظاهر أن ما بمعنى من (الا الثقلين) أى الجن و الانس و هل الاموات منهما مستثنى أم الله أعلم بهما فظاهر الاطلاق يؤيد الاول و العلة التى ذكروها يؤيد الثانى (فيصير ترابا ثم يعاد فيه الروح) كرر اعادة الروح فى الكافر بيانا لشدة العذاب ولانه كان ينكر الاعادة فيقال له ذق هذا جزاء ما كنت تنكره ولا يبعد أن يتمسك به من يقول ان

رواه أحمد و أبو داود و عن عثمان انه كان اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فقيل له تذكر الجنة و النار فلا تبكى و تبكى من هذا فقال ان رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال ان القبر أول منزل من منازل الآخرة فان نجا منه فمابعده أيسر منه و ان لم ينج منه فمابعده أشد منه قال و قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ما رأيت منظرا قط الا و القبر أفظع منه

فى القبر اماتتين و احياءتين فى تفسير قوله تعالى ربنا أمتنا اثنتين و احييتنا اثنتين على أن المراد بالتثنية التكرير و التكثير نحو قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين و قولهم لبيك و سعديك و يحتمل أن يراد به حقيقة التثنية و هو ظاهر الحديث و هذا معنى قول ابن حجر و معلوم استمرار العذاب عليه فى قبره فيحتمل انها اذا أعيدت تضرب أخرى فيصير ترابا ثم يعاد فيه الروح و هكذا و يحتمل أن تلك الاعادة لا تتكرر و ان عذابه يكون بغير ذلك و هو ظاهر الحديث و قال ابن الملك يعنى لاينقطع عنهم العذاب بموتهم بل تعاد فيهم الروح بعد موتهم ليزدادوا عذابا و يمكن و الله أعلم أن تكون اعادة الروح كناية عن رجوعهم الى حالتهم الاولى ولا يلزم من صيرورتهم ترابا خروج الروح منهم لان أمور الآخرة مبنية على خرق العادة (رواه أحمد و أبو داود و عن عثمان) رضى‌الله‌عنه (انه كان) أى دائما أو غالبا (اذا وقف على قبر) أى على رأس قبر أو عنده (بكى حتى يبل) بضم الموحدة أى بكاؤه يعنى دموعه (لحيته) أى يجعلها مبلولة من الدموع (فقيل له تذكر الجنة و النار فلا تبكى) أى من خوف النار و اشتياق الجنة يعنى لاتبكى منهما دائما (و تبكى من هذا) أى من القبر يعنى من أجل خوفه * قيل انما كان يبكى عثمان و ان كان من جملة المشهود لهم بالجنة اما لاحتمال أن شهادته عليه‌الصلاة‌والسلام بذلك كانت فى غيبته ولم تصل اليه أو وصلت اليه آحادا فلم يفد اليقين أو كان يبكى ليعلم أنه اذا كان يخاف مع عظم شأنه و شهادة النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم له بالجنة فغيره أولى بان يخاف من ذلك و يحترز منه قاله ابن الملك و الاظهر فى الجواب و الله أعلم بالصواب أنه لا يلزم من التبشير بالجنة عدم عذاب القبر بل ولا عدم عذاب النار مطلقا مع احتمال أن يكون التبشير مقيدا بقيد معلوم أو مبهم و يمكن أن ينسى البشارة حينئذ لشدة الفظاعة أو بكاؤه لفقد النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم و أصحابه أو لابتلائه بزمن الجور و أربابه و يمكن أن يكون خوفا من ضغطة القبر كما سيأتى فى حديث سعد الدال على انه لم يخلص منه كل سعيد الا الانبياء و يمكن أن يكون بكاؤه رحمة للمؤمنين (فقال ان رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال ان القبر أول منزل من منازل الآخرة) و منها عرصة القيامة عند العرض و منها الوقوف عند الميزان و منها المرور على الصراط و منها الجنة أو النار و فى بعض الروايات و آخر منزل من منازل الدنيا ولذا يسمى البرزخ (فان نجا) أى خلص المقبور (منه) أى من عذاب القبر (فمابعده) أى من المنازل (أيسر منه) و أسهل لانه لو كان عليه ذنب لكفر بعذاب القبر (و ان لم ينج منه) أى لم يتخلص من عذاب القبر ولم يكفر ذنوبه به و بقى عليه شئ مما يستحق العذاب به (فما بعده أشد منه) لان النار أشد العذاب و القبر حفرة من حفر النيران و قال ابن حجر فما بعده أيسر لتحقق ايمانه المنقذله من أليم العذاب وما بعده أشد لتحقق كفره الموجب لتوالى الشدائد المتزائدة عليه و فيه بحث ظاهر (قال) أى عثمان (و قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ما رأيت منظرا) بفتح الميم و الظاء أى موضعا ينظر اليه و عبر عن الموضع بالمنظر مبالغة لانه اذا نفى الشئ مع لازمه ينتفى بالطريق البرهانى (قط) بفتح القاف و تشديد المضمومة أى أبدا و هو لايستعمل الافى الماضى (الا و القبر أفظع منه) من فظع بالضم أى صار منكرا يعنى أشد و أفزع و أنكر من ذلك النظر قيل

رواه الترمذي و ابن ماجه و قال الترمذي هذا حديث غريب و عنه قال كان النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال استغفروا لاخيكم ثم سلوا له بالتثبيت فانه الآن يسئل رواه أبو داود
و عن أبي سعيد قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ليسلط على الكافر فى قبره تسعة و تسعون تنينا

المستثنى جملة حالية من منظر و هو موصوف حذفت صفته أى ما رأيت منظرا فظيعا على حالة من أحوال الفظاعة قط الا فى حالة كون القبر أقبح منه فالاستثناء مفرغ و انما كان أفظع لانه مقدمة العقاب و نهاية التعلق بالمال و الولد و الاصحاب و غاية الرجوع الى موضع الذل و الظلمة و الدهشة و الحيرة و الوحشة و الغربة و الدود و التراب و مطالعة ملائكة العذاب و مشاهدة الحساب و مراقبة الحجاب حيث لاينفعه الا رب‌الارباب (رواه الترمذي و ابن ماجه و قال الترمذي هذا حديث غريب و عنه) أى عن عثمان (قال كان النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا فرغ) معلوم و قيل مجهول (من دفن الميت) المراد منه الجنس و هو قريب من النكرة (وقف عليه) أى على رأس القبر (فقال) أى لاصحابه (استغفروا لاخيكم) أى اطلبوا المغفرة لذنوب أخيكم المؤمن و ذكر الاخ للعطف عليه و استكثار الدعاء له و فيه دليل على ان دعاء الاحياء ينفع الاموات خلافا للمعتزلة (ثم سلوا له بالتثبيت) ضمن السؤال معنى الدعاء ولذا عدى بالباء كقوله تعالى سأل سائل بعذاب أى ادعوا له‌بدعاء التثبيت يعنى قولوا ثبته‌الله بالقول الثابت أو اللهم ثبته بالقول الثابت و هو كلمة الشهادة عند منكر و نكير و هذا أفضل من التلقين المختلف فيه و لكن أكثر الناس عنه غافلون (فانه الآن يسئل) قال الخطابي و ليس فيه دلالة على التلقين عند الدفن كما هو العادة ولا نجد فيه حديثا مشهورا ولابأس به اذ ليس فيه الا ذكر الله تعالى و عرض الاعتقاد على الميت و الحاضرين و الدعاء له و للمسلمين و الارغام لمنكرى الحشر و كل ذلك حسن و أورد الغزالي فى الاحياء و الطبراني فى كتاب الادعية حديثا فى تلقين الميت عند الدفن ولم يصححه بعض المحدثين و أما قوله عليه‌الصلاة‌والسلام لقنوا موتاكم قول لااله‌الاالله فالمراد عند الموت لا عند دفن الميت و قال ابن حجر و فيه ايماء الى تلقين الميت بعد تمام دفنه و كيفيته مشهورة و هو سنة على المعتمد من مذهبنا خلافا لمن زعم انه بدعة كيف و فيه حديث صريح يعمل به فى الفضائل اتفاقا بل اعتضد بشواهد يرتقى بها الى درجة الحسن و ذكر فى الاذكار عن الشافعي و أصحابه انه يستحب أن يقرأ عنده شئى من القرآن قالوا و ان ختموا القرآن كله كان حسنا و فى سنن البيهقى ان ابن عمر استحب أن يقرأ على القبر بعد الدفن أول سورة البقرة و خاتمتها قاله الطيبي و فى رواية يقرأ أول البقرة عند رأس الميت و خاتمتها عند رجله (رواه أبو داود) و قال ميرك شاه باسناد حسن (و عن أبي سعيد) رضى‌الله‌عنه (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ليسلط) بفتح اللامين و تشديد الثانية (على الكافر فى قبره) أى و الله ليجعل موكلا عليه للتعذيب و الاذى (تسعة و تسعون تنينا) بكسر التاء و النون المشددة و هى حية عظيمة كثيرة السم و وجه تخصيص العدد لايعلم الا بالوحى و يحتمل أن يقال ان لله تعالى تسعة و تسعين اسما فالكافر أشرك بمن له هذه الاسماء فسلط عليه بعدد كل اسم تنينا أو يقال قد روى ان لله تعالى مائة رحمة أنزل منها واحدة فى الدنيا بين الانس و الجن و البهائم و الهوام فبها يتعاطفون و بها يتراحمون و بها تعطف الوحش على و لدها و أخر تسعة و تسعين الى الآخرة لعباده المؤمنين فيسلط على الكافر بمقابلة كل رحمة للمؤمنين تنينا كذا قاله ابن الملك و قال حجة الاسلام عدد التنين بعدد الاخلاق الذميمة التى فيه فانها تنقلب فى الآخرة الى الحياة لان الدنيا عالم الصورة و الآخرة عالم المعنى قال الطيبي و ان أول التنينات بما ينزل بالشخص من التبعات

تنهسه و تلدغه حتى تقوم الساعة لو أن تنينا منها نفخ فى الارض ما أنبتت خضراء رواه الدارمى وروى الترمذى نحوه و قال سبعون بدل تسعة و تسعون

* (الفصل الثالث) * عن جابر قال خرجنا مع رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم الى سعد بن معاذ حين توفى فلما صلى عليه رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم و وضع فى قبره وسوى عليه سبح رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فسبحنا طويلا ثم كبر فكبرنا

و المكروهات ففيه من طريق العربية مساغ و لكن الاخذ بالظواهر أولى باولى الالباب و أما استحالة ذلك بطريق العقول فانها سبيل من لاخلاق له فى الدين عصمنا الله تعالى من عثرة العقل و فتنة الصدر (تنهسه) بالتأنيث و قيل بالتذكير و هو بالمهملة وروى بالمعجمة فى النهاية النهس أخذ اللحم باطراف الاسنان و النهش الاخذ بجميعها و فى القاموس نهس اللحم كمنع و سمع أخذه بمقدم أسنانه و نتفه و نهشه كمنعه نهسه و لسعه و عضه أو أخذه باضراسه و بالسين أخذه باطراف الاسنان (و تلدغه) بفتح الدال المهملة قيل نهس و لدغ بمعنى واحد جمع بينهما تأكيدا أو لبيان أنواع العذاب و قيل النهس القطع بالسن من غير ارسال السم فيه و اللدغ ضرب السن بلا قطع لكن مع ارسال السم فيه كذا ذكره الابهرى (حتى تقوم الساعة لو أن تنينا منها نفخ) بالمعجمة و قيل بالمهملة (فى الارض) أى لو وصل ريح فمه و حرارته اليها (ما أنبتت) أى الارض (خضرا) بفتح الخاء و كسر الضاد أى نباتا أخضر وروى بسكون الضاد ممدودا على فعلاء كحمراء و المراد بها الاخضر كذا قيل و الاظهر أن يكون التقدير حبة خضراء (رواه الدارمى) أى بهذا اللفظ (وروى الترمذى نحوه) أى بالمعنى (و قال سبعون بدل) بالنصب ظرف (تسعة و تسعون) بالرفع على الحكاية قال العينى هذه الرواية الاخيرة ضعيفة على ما فى الازهار قال ابن حجر و بتقدير ورودهما يجمع بان الاول للمتبوعين من الكفار و الثانى للتابعين أو بان سبعين يعبر بها فى لسان العرب عن العدد الكثير جدا فحينئذ هى لاتنافى الاولى لانها مجملة و تلك مبينة لها قلت و يحتمل أن يكون باختلاف أحوالهم فان الامام الغزالى رحمه‌الله صرح بان عذاب الكافر الفقير فى النار أهون من عذاب الكافر الغنى

* (الفصل الثالث) * (عن جابر قال خرجنا مع رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم الى سعد بن معاذ) أى جنازته و هو سيد الاوس من الانصار أسلم بالمدينة بين العقبة الاولى و الثانية و أسلم باسلامه بنو عبدالاشهل و دارهم أول دار أسلمت من الانصار و سماه رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم سيد الانصار و كان مقدما مطاعا شريفا فى قومه من أجلة الصحابة و أكابرهم شهد بدرا و أحدا و ثبت مع النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم يومئذ ورمى يوم الخندق فى اكحله فلم يرقأ الدم حتى مات بعد شهر و ذلك فى ذى القعدة الحرام سنة خمس و هو ابن سبع و ثلاثين سنة و دفن بالبقيع روى عنه نفر من الصحابة (حين توفى) بضمتين و حكى بفتحهما و هو قراءة شاذة أى مات (فلما صلى عليه رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم و وضع فى قبره و سوى عليه) أى التراب و دفن و الفعلان مجهولان (سبح رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم) و لعل التسبيح كان للتعجب أو للتنزيه لارادة تنزيهه تعالى ان يظلم أحدا ثم رأيت ابن حجر قال و مناسبة تسبيحه لمشاهدة التضييق على هذا العبد الصالح ظاهرة اذ بشهود ذلك يستحضر الانسان مقام جلال الله و عظمته و انه يفعل ما يشاء بمن يشاء و هذا المقام يناسبه التنزيه لانه مقام العزة الكبرى المقتضية لذلك التنزه فتأمل (فسبحنا) أى تبعاله (طويلا) قيد للفعلين أى زمانا طويلا أو تسبيحا طويلا يعنى كثيرا (ثم كبر) و لعل التكبير كان بعد التفريج (فكبرنا) أى عقيب تكبيره اقتداء به قال ابن حجر و لم يقل طويلا اما للاكتفاء بذكره

فقيل يارسول الله لم سبحت ثم كبرت قال لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرجه الله عنه رواه أحمد و عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الذى تحرك له العرش و فتحت له أبواب السماء و شهده سبعون ألفا من الملائكة لقد ضم ضمة ثم فرج عنه رواه النسائى وعن أسماء بنت أبى بكر قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فذكر فتنة القبر التى يفتن فيها المرء

أولا أولانه هنا لم يطول لانه انما كبر عند وقوع التفريج عن سعد و هذا هو الظاهر لان التكبير يغلب ذكره عند مشاهدة الامر الباهر (فقيل يارسول الله لم سبحت ثم كبرت) اى مع أن المقام لايستدعى ذلك (قال لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره) هذا اشارة الى كمال تمييزه ورفع منزلته ثم وصفه بالعبد و نعته بالصلاح لمزيد التخويف و الحث على الالتجاء الى الله سبحانه من هذا المنزل الفظيع أى اذا كان حاله كذا فما حال غيره (حتى فرجه الله) بالتشديد و يخفف أى مازلت واقفا للتسبيح حتى فرجه الله أى كشفه و أزاله (عنه) قال الطيبى و حتى متعلقة بمحذوف أى مازلت أكبر و تكبرون و أسبح و تسبحون حتى فرجه الله اه و الانسب تقديم التسبيح و التكبير على هذا لاطفاء الغضب الالهى و لهذا ورد استحباب التكبير عند رؤية التحريق و الله أعلم (رواه أحمد وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا) اشارة الى سعد المذكور و هو للتعظيم كما فى الحديث الاول (الذى تحرك) و فى رواية اهتز (له العرش) فى النهاية أصل الهز الحركة و اهتز اذا تحرك و استعمله فى معنى الارتياح أى ارتاح بصعوده و إستبشر لكرامته على ربه وكل من خف لامر و ارتاح فقد اهتز قال ابن حجر لان العرش و ان كان جمادا فغير بعيد أن الله يجعل فيه ادراكا يميز به بين الارواح و كمالاتها و هذا أمر ممكن ذكره الشارع بيانا لمزيد فضل سعد و ترهيبا للناس من ضغطة القبر فتعين الحمل على ظاهره حتى يرد ما يصرفه عنه و قيل أراد فرح أهل العرش بموته لصعود روحه و أقام العرش مقام من حمله أو على تقدير مضاف و قال السيوطى فى مختصر النهاية اهتز العرش لموت سعد و هو سرير الميت و اهتزازه فرحه لحمل سعد عليه الى مدفنه (و فتحت) بالتخفيف و قيل بالتشديد للتكثير (له أبواب السماء) لانزال الرحمة و نزول الملائكة أوتزيينا لقدومه و طلوع روحه لان محل أرواح المؤمنين الجنة و هى فوق السماء السابعة أو عرضا للابواب بان يدخل من أى باب شاء لعظم كماله كفتح أبواب الجنة الثمانية لبعض المؤمنين (و شهده) أى حضر جنازته (سبعون ألفا من الملائكة) أى تعظيما له (لقد) جواب قسم مقدر (ضم) بالضم أى عصر سعد فى قبره (ضمة) أى واحدة و التنوين يحتمل التفخيم و التقليل و الاول أظهر لتطويل تسبيح رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم فرج عنه) أى فرج الله عنه ببركة نبيه عليه الصلاة والسلام (رواه النسائى و عن أسماء) غير منصرف بالعلمية و التأنيث المعنوى و قيل أصله وسماء فهو فعلاء (بنت أبى بكر) رضى الله عنهما أم عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما و تسمى ذات النطاقين لانها شقت نطاقها ليلة خرج النبى صلى الله عليه وسلم مهاجرا فجعلت واحدا شدادا لسفرته و الآخر عصابا لقربته و قيل جعلت النصف الثانى نطاقا لها أسلمت بمكة قديما قيل أسلمت بعد سبعة عشر انسانا و هى أكبر من أختها عائشة بعشر سنين و ماتت بعد قتل ابنها بعشرة أيام و قيل بعشرين يوما بعد ما أنزل ابنها من الخشبة و لها مائة سنة و لم يقع لها سن و لم ينكر من عقلها شئ و ذلك سنة ثلاث و سبعين بمكة روى عنها خلق كثير (قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا) حال أى واعظا (فذكر فتنة القبر) أى و عذابه أو ابتلاءه و الامتحان فيه (التى يفتن) بصيغة المفعول أى يبتلى (فيها المرء) صفة لفتنة يعنى ذكر الفتنة بتفاصيلها كما يجرى على

فلما ذكر ذلک ضج المسلمون ضجة رواه البخاری هکذا و زاد النسائی حالت بینی و بین أن أفهم کلام رسول‌اللهﷺصلی‌اللهعلیه‌وسلم فلما سکنت ضجتهم قلت لرجل قریب منی أی بارک الله فیک ماذا قال رسول‌اللهصلی‌اللهعلیه‌وسلم فی آخر قوله قال قال قد أوحی الی انکم تفتنون فی القبور قریبا من فتنة الدجال و عن جابر رضی‌اللهعنه عن النبی صلی‌اللهعلیه‌وسلم قال اذا ادخل المیت القبر مثلت له الشمس عند غروبها فیجلس یمسح عینیه و یقول دعونی أصلی

المرء فی قبره و من ثم (فلما ذکر ذلک) أی ما ذکر أو الفتنة بمعنی الافتتان (ضج المسلمون) أی صاحوا و جزعوا (ضجة) التنوین للتعظیم (رواه البخاری هکذا) أی من غیر زیادة (و زاد النسائی) أی بعد ضجة (حالت) صفة ضجة (بینی و بین أن أفهم کلام رسول‌اللهصلی‌اللهعلیه‌وسلم) أی بعد هذا (فلما سکنت ضجتهم) أی صیحتهم و ارتفاع صوتهم (قلت لرجل قریب منی) أی مکانا أو نسبا و هو الانسب بالنسبة الی المرأة (أی) المنادی محذوف أی فلان (بارک الله فیک) أو زادک الله علما و حلما و هذا من جملة آداب المتعلم (ماذا قال رسول‌اللهصلی‌اللهعلیه‌وسلم فی آخر قوله) أی بعد الصیاح (قال) أی الرجل (قال) علیه‌الصلاةوالسلام (قد أوحی الی) أی وحیا جلیا أو خفیا (انکم) أیها الامة (تفتنون) بصیغة المجهول أی تمتحنون (فی القبور قریبا) أی افتتانا قریبا (من فتنة الدجال) و قال الطیبی أی فتنة قریبة و ذکر کما فی قوله تعالی ان رحمةالله قریب من المحسنین أی فتنة عظیمة اذ لیس فیها أی فی الفتن أعظم من فتنة الدجال (و عن جابر رضی‌اللهعنه عن النبی صلی‌اللهعلیه‌وسلم قال اذا أدخل المیت القبر) بالنصب علی الظرفیة (مثلت له الشمس) أی صورت و خیلت (عند غروبها) حال من الشمس أی حال کونها قریبة الغروب و قال ابن حجر حال کونها غاربة لا ظرف لمثلت لاقتضائه أن التمثیل لا یکون الا ذلک الوقت و لیس کذلک لما سیتقرر أنه عند نزول الملکین أو بعد السؤال و الجواب و هذا لایقید بذلک الوقت بل هو عام فی سائر أجزاء اللیل و النهار فتعین أن التمثیل بها حالة کونها غاربة عام فی سائر الازمنة أیضا و ذلک لا یکون الا فی حق المؤمن و لعل ذلک عند نزول الملکین اشارة الی مسارعته الی الخیرات و ایماء الی قولهم کما تعیشون تموتون و کما تموتون تحشرون و یمکن أن یکون هذا بعد السؤال و الجواب تنبیها علی رفاهیته و قیاما بشکر نعمته هذا حاصل کلام الطیبی و الاول هو الظاهر لقوله (فیجلس) و هو معلوم و قیل مجهول (یمسح) أی حال کونه ماسحا (عینیه) علی هیئة المستیقظ لان النوم أخو الموت و ورد الحمدلله الذی أحیانا بعد ما أماتنا (و یقول دعونی) أی اترکوا کلامی و السؤال منی (أصلی) أی أنا أرید أن أصلی خوف الفوت قبل الموت کانه یظن انه بعد فی الدنیا و یؤدی ما علیه من الفرض و یشغله من قیامه بعض الاصحاب و ذلک من رسوخه فی أدائه و مداومته علیه فی الدنیا و أما تخصیص ذکر الغروب فانه یناسب الغریب فانه أول منزل ینزله عند الغروب قاله الطیبی و قال ابن حجر لان الغالب ان ابتداء السفر یکون أول النهار فآخر أول مرحلة یکون عند الغروب و یمکن ان یقال أن وجهه الاشارة الی تأکد صلاة العصر والها الوسطی فمثل له آخر وقتها لیطلب صلاتها اعلاما بمزید فضلها و تأکدها أو الی الاحتراس عن أحوال المنافقین فانهم یجلسون یراقبون الغروب حتی اذادلت الشمس الیه لقروا أربع رکعات لا یذکرون الله فیها الا قلیلا کما فی الحدیث فبادر المیت اذ زال مانعه و مثل له هذا الوقت الی الصلاة لیسلم من وصمتهم اه والاظهر ان الغروب اشارة الی ارتحاله من الدنیا و زواله و غروبه عنها فان القبر آخر منزل من منازل الدنیا و البرزخ مشبه باللیل الفاصل بین الیوم السابق و الیوم

رواه ابن ماجه و عن أبي هريرة عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال ان الميت يصير الى القبر فيجلس الرجل في قبره غير فزع و لا مشغوب ثم يقال فيم كنت فيقول كنت في الاسلام فيقال ما هذا الرجل فيقول محمد رسول‌الله جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه فيقال له هل رأيت الله فيقول ما ينبغي لاحد أن يرى الله فيفرج له فرجة قبل النار فينظر اليه يحطم بعضها بعضا فيقال له انظر الى ما وقاك الله ثم يفرج له فرجة قبل الجنة فينظر الى زهرتها و ما فيها

الآخر اللاحق وقد يقال ان ذلك التمثيل يناسب ظلمة القبر و ظهور نور المؤمن الكامل المؤدي للصلاة في أوقاتها و الله سبحانه و تعالى أعلم (رواه ابن ماجه و عن أبي هريرة) رضي‌الله‌عنه (عن النبي) و في نسخة عن رسول‌الله (صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال أن الميت) اللام للجنس (يصير الى القبر) وكل ما استقر فيه بعد الموت فهو قبره (فيجلس) قيل مجهول (الرجل) أي الصالح كما في نسخة (في قبره غير فزع) بكسر الزاي و نصب غير على الحالية و قوله (و لا مشغوب) تأكيد من الشغب و هو تهييج الشر و الفتنة قال ابن حجر فزع صفة مشبهة يدل على المبالغة كذا قيل و فيه نظر لايهامه هنا اذ سلب ما هو كذلك لا يدل على سلب أصل الفعل كما قالوه في وماربك بظلام للعبيد فتعين أن المراد غير ذي فزع كما أن تقدير الآية بذي‌ظلم أقول تقدير الآية مسلم و أما الحديث فلا يحتاج الى تأويل فان بقاء أصل الفزع غير منفي كما يدل عليه الاحاديث بل النفي منصب على شدة الفزع ولا دلالة في قوله ولا مشغوب على ما ذكره في مدعاه (ثم يقال) أي له كما في نسخة (فيم كنت) أي في أي دين عشت (فيقول كنت في الاسلام) هذا يدل على غاية تمكنه من الاسلام خلاف المنافق لان الجواب الظاهر أن يقول في الاسلام (فيقال) أي له (ما هذا الرجل) ما استفهام مبتدأ وهذا الرجل خبره أي ما وصفه و نعته أو ما اعتقادك فيه (فيقول محمد) أي صاحب هذا الاسم المفخم المشتهر الذي لا يخفى على أحد ثم وصفه بقوله (رسول‌الله) و هو يحتمل ان يكون خبرا لمبتدأ محذوف أو خبرا بعد خبر و الاظهر أنه خبر لمحمد و الجملة مقول و هو متضمن للجواب عن وصفه و قوله (جاءنا بالبينات) أي الايات الظاهرات أو المعجزات الباهرات جملة استئنافية مبينة للجملة الاولى و يحتمل أن يكون رسول‌الله صفة و جاءنا خبرا والاول أوجه (من عند الله) متعلق بجاء أو صفة أو حال (فصدقناه) أي بجميع ماجاء من عندالله (فيقال له هل رأيت الله) قيل نشأ هذا السؤال من قوله من عند الله أي كيف تقول من عندالله فهل رأيت الله في الدنيا (فيقول ما ينبغي) أي لا يصح (لاحد) جواب بالاعم فانه للمقصود أتم (أن يرى الله) أي يبصره ببصره (في الدنيا) أو يحيط بكنهه مطلقا (فيفرج له) بالتشديد و قيل بالتخفيف و كلاهما على بناء المفعول أي يكشف و يفتح له (فرجة) بضم الفاء و قيل بفتحها و هو مرفوع على نيابة الفاعل و في بعض النسخ بالنصب على تقدير أعني (قبل النار) بكسر القاف و فتح الباء أي جهتها منصوب على الظرف أي يرفع الحجب بينه و بينها حتى يراها (فينظر) أي المؤمن (اليه) ذكر ضمير النار بتأويل العذاب و أنث في قوله (يحطم بعضها بعضا) نظرا الى اللفظ و الحطم المحبس في الموضع المتضايق الذي يتحطم فيه الخيل أي يدوس بعضها بعضا و المعنى يكسر و يغلب و يأكل بعضها بعضا لشدة تلهبها و كثرة وقودها (فيقال له انظر الى ماوقاك الله) أي حفظك بحفظه‌تعالى اياك من الكفر و المعاصي التي تجر الى النار (ثم يفرج له فرجة قبل الجنة) و في تقديم فرجة النار لان المسرة بعد المضرة أنفع و في النفس أوقع و اشارة الى فضله بعد ظهور عدله (فينظر الى زهرتها) بفتح الزاي أي حسنها و بهجتها (و ما فيها) من الحور

فيقال له هذا مقعدك على اليقين كنت و عليه مت و عليه تبعث ان شاء الله تعالى و يجلس الرجل السوء فى قبره فزعا مشغوبا فيقال له فيم كنت فيقول لا أدرى فيقال له ما هذا الرجل فيقول سمعت الناس يقولون قولا فقلته فيفرج له فرجة قبل الجنة فينظر الى زهرتها و ما فيها فيقال له انظر الى ما صرف الله عنك ثم يفرج له فرجة الى النار فينظر اليها يحطم بعضها بعضا فيقال له هذا مقعدك على الشك كنت و عليه مت و عليه تبعث ان شاء الله تعالى رواه ابن ماجه * (باب الاعتصام بالكتاب و السنة) *

و القصور و غيرها من الخير الكثير و الملك الكبير (فيقال له هذا مقعدك) أى فى العقبى (على اليقين) حال و العامل ما فى حرف التنبيه من معنى الفعل المتضمن لصاحب الحال و التعريف فى اليقين للجنس و قوله (كنت) صفة له و على هذا ينزل قوله على الشك و التقدير أنبهك حال كونك ثابتا أو مثبتا على يقينك ويمكن أن يقال على الوجوب فى الموضعين أى هذا مقعدك حال كونه واجبا على الله تعالى وعدا أو وعيدا على اليقين أو الشك كذا حققه الطيبى و فيه تكلف بل تعسف و الظاهر أن قوله على اليقين كنت جملة مستأنفة متضمنة للتعليل أى هذا مقعدك لانك كنت فى الدنيا على اليقين فى أمر الدين و تقديم الخبر للاهتمام و الاختصاص التام ثم رأيت ابن حجر قدم قولى على قول الطيبى و يدل أيضا على انفصال قوله على اليقين عما قبله قوله (و عليه مت) بضم الميم و كسرها (و عليه تبعث) يعنى كما تعيش تموت و كما تموت تحشر (ان شاء الله تعالى) للتبرك أو للتحقيق كقوله تعالى ان شاء الله آمنين (و يجلس الرجل) بالوجهين كما تقدم (السوء) بفتح السين و تضم ضد الصالح (فى قبره فزعا) أى خائفا غاية الفزع (مشغوبا) أى مرعوبا (فيقال له) أى للرجل السوء (فيم كنت) أى من أمر الدين (فيقول لا أدرى) ما الدين أو للهيبة نسى دينه و قال ابن حجر أى ما الذى كنت فيه و هو كذب منه و تمويه عن أن يجيب بالجواب المطابق و هو أنه كان فى الكفر أو النفاق اه و قد تقدم أن هذا كلام الرجل المدهوش المتحير الذى لا يدرى الجواب المطلق مطابقا أو غير مطابق صوابا أو غير صواب (فيقال له ما هذا الرجل) أى الذى رأيته أو سمعته (فيقول سمعت الناس) أى المؤمنين أو الكفار أو أعم منهما (يقولون) أى فى حقه (قولا) بالحق أو بالباطل على زعمه (فقلته) أى تقليدا لا تحقيقا و اعتقادا (فيفرج له) أى فرجة كما فى نسخة (قبل الجنة) قبل النار لان المحنة بعد النعمة أقوى و أشد (فينظر الى زهرتها و ما فيها) كما كان ينظر فى الدنيا الى الآيات الالهية من الانفسية و الآفاقية من غير أن ينتفع بها (فيقال له انظر الى ما صرف الله عنك) حيث خذلك و لم يهدك و لم يوفقك الى ما يجرك الى الجنة اخترت من الاعمال و الاوزار ما يفضى الى النار و لهذا (ثم يفرج) أى له كما فى نسخة صحيحة (فرجة الى النار فينظر اليها) هنا بتأنيث الضمير (يحطم) بكسر الطاء (بعضها بعضا) اشارة الى عظمة النار (فيقال له هذا مقعدك) أى مكانك اللازم و محلك الدائم (على الشك كنت و عليه مت و عليه تبعث ان شاء الله تعالى) و الكل بقضائه و بقدره و بهذا تحصل المناسبة بين هذا الباب و ما قبله (رواه ابن ماجه)

* (باب الاعتصام بالكتاب و السنة) *

العصمة المنع و العاصم المانع الحامى والاعتصام الاستمساك بالشئ افتعال منه قال تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا أى تمسكوا بالقرآن و السنة على سبيل الاستعارة كذا قيل و المشهور أن المراد بحبل الله هو القرآن كما ورد فى بعض الاحاديث والاعتصام به مستلزم للاعتصام بالسنة لقوله تعالى و ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا و المراد بالسنة هنا أقواله و أفعاله و أحواله المعبر عنها

* (الفصل الاول) * عن عائشة رضي‌الله‌عنها قالت قال رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهورد متفق عليه

بالشريعة و الطريقة و الحقيقة و لذا قال بعثت لاتمم مكارم الاخلاق و فى نظم الباب بالنسبة الى ماقبله اشارة الى ان بحث القضاء والقدر لايتم الا بالدليل النقلى فان الدليل العقلى هو الذى ورّط القدرية و الجبرية فى بيداء الظلمة و الحيرة غاية ما فى الباب أن يكون من الحكم المجهولة عندنا قال تعالى و ما أوتيتم من العلم الا قليلا و التعبد المحض هو من كمال العبودية المقتضى للقيام بحقوق الربوبية * (الفصل الاول عن عائشة رضي‌الله‌عنها) * بالهمز و أما بالياء فلحن عامى (قالت) أى روى عنها انها قالت (قال رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم من أحدث) أى جدد وابتدع أو أظهر و اخترع (فى أمرنا هذا) أى فى دين الاسلام و فى ايراد اسم الاشارة بدلا أو صفة افادة التعظيم و اشارة الى تمييزالدين أكمل تمييز و عبر عنه بالامر تنبيها على أن هذا الدين هو أمرنا الذى نهتم له و نشتغل به بحيث لايخلو عنه شئ من أقوالنا و أفعالنا قال القاضى الامر حقيقة فى القول الطالب للفعل مجاز فى الفعل و الشأن و الطريق أطلق هنا على الدين من حيث انه طريقه و شأنه الذى يتعلق به (ما ليس منه) كذا فى الصحيحين و الحميدى و جامع الاصول و شرح السنة و فى المشارق و بعض نسخ المصابيح ما ليس فيه (فهو) أى الذى أحدثه (رد) أى مردود عليه قال ابن حجر و يصح الكسر اهـ والصواب أنه غير مراد لانه على ما فى القاموس بمعنى العماد قال القاضى المعنى من أحدث فى الاسلام رأيا لم يكن له من الكتاب و السنة سند ظاهر أو خفى ملفوظ أو مستنبط فهو مردود عليه قيل فى وصف الامر بهذا اشارة الى أن أمر الاسلام كمل و انتهى و شاع و ظهر ظهور المحسوس بحيث لا يخفى على كل ذى بصر و بصيرة فمن حاول الزيادة فقد حاول أمرا غير مرضى لانه من تصور فهمه رآه ناقصا فعلى هذا يناسب أن يقال ان هو راجع الى من أى فذلك الشخص ناقص مردود عن جنابنا مطرود عن بابنا فان الدين اتباع آثار الآيات و الاخبار و استنباط الاحكام منها فالضمير الى الشخص أبلغ و الى الامر أظهر و فى قوله ما ليس منه اشارة الى أن احداث ما لاينازع الكتاب و السنة كما سنقرره بعد ليس بمذموم (متفق عليه) و رواه أبوداود و ابن ماجه و ذكر فى الاربعين النووية و فى رواية لمسلم من عمل عملا أى من أتى بشئ من الطاعات أو بشئ من الاعمال الدنيوية و الاخروية سواء كان محدثا أو سابقا على الامر ليس عليه أمرنا أى و كان من صفته انه ليس عليه اذننا بل أتى به على حسب هواه فهو رد أى مردود غير مقبول فهذه الرواية اعم و هذا الحديث عماد فى التمسك بالعروة الوثقى و أصل فى الاعتصام بحبل الله الاعلى و رد للمحدثات و البدع و الهوى و قد أنشد فى هذا المعنى

اذاما دجا الليل البهيم و أظلما * بأمر فظيع شق أسود أدهما
فأعلى البرايا من الى السنن اعتزى * و أعمى البرايا من الى البدع انتمى
و من ترك القرآن قد ضل سعيه * و هل يترك القرآن من كان مسلما

قال بعض العارفين اعلم أن الانسان له روح نورانى من عالم الملكوت و نفس ظلمانية و لكل منهما نزاع و شوق الى عالمه فغاية بعثة الانبياء تزكية النفوس عن ظلمة أوصافها و تحليتها بأنوار الارواح حتى ينجلى فيها أن الموجود الحقيقى ذات الله و صفاته و أفعاله فالواجب على العبد أن يدق بمطرقة كلمة التوحيد تمرد النفس الى أن تؤمن بذلك و تكفر بطاغوت وجوده و وجود ما سوى الله هذا هوالدين الحنيفى فمن أحدث فيه بتسويل الشيطان غير ذلك بأن أيس عن الحق و شك فى مواعيده و تعلق

و عن جابر رضي‌الله‌عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أما بعد فان خير الحديث كتاب‌الله و خير الهدى هدى محمد و شر الامور محدثاتها و كل بدعة ضلالة ·

قلبه بغيره و لم‌ينسلخ عن صفاته و أفعاله و لم تنطمس ظلمات ذاته فى أنواره فهو مردود لم يتبع الاشيطانا مريدا لعنه الله و بهذا يتعين لك وجه قول أبى عبيدة انه عليه‌الصلاة‌والسلام جمع جميع أمر الآخرة فى هذه الكلمة و جميع أمر الدنيا فى كلمة انما الاعمال بالنيات و كأنه حمل الاعمال على الافعال المباحة فانها تختلف باختلاف النيات و الله أعلم (و عن جابر رضي‌الله‌عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه وسلم أما بعد) المفهوم من قوله أما بعد أنه عليه‌الصلاة‌والسلام قال ذلك فى أثناء خطبته أو موعظته لانه فصل الخطاب و أكثر استعماله بعد تقدم قصة أو حمد الله سبحانه و الصلاة على النبى صلى‌الله‌عليه وسلم فقوله بعد مبنى على الضم بحذف المضاف اليه مع نية معناه أى بعد ما تقدم من الحمد و الصلاة (فان خير الحديث) أى ما يتحدث به و يتكلم فالفاء لما فى اما من معنى الشرط أى مهما يكن من شئ بعد ما ذكر فان خير الحديث أى الكلام (كتاب الله) لاشتماله على ما تميز به من دقائق علوم الفصاحة و البلاغة و اشتمل عليه من بيان كل شئ تصريحا أو تلويحا قال تعالى و نزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ أى مما يحتاج اليه من أمر الدين و الدنيا و العقبى كالعلوم الاعتقادية و الاعمال الشرعية و الاخلاق البهية و الاحوال السنية و غيرها و قد ورد فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه و فيه اشارة واضحة الى أن كلام الله تعالى غير مخلوق (و خير الهدى) بالنصب عطفا على اسم ان وروى بالرفع عطفا على محل ان و اسمها (هدى محمد) و الهدى بفتح الهاء و سكون الدال السيرة و يقال هدى هديه اذا سار سيرته ولاتكاد تطلق الا على طريقة حسنة و لذا حسن اضافة الخير اليه و الشر الى الامور قال ابن حجر و يصح ضم الهاء و فتح الدال اه و اللام فى الهدى للاستغراق لان اسم التفضيل يضاف الى ما هو بعض منه و أيضا المقصود تفضيل دينه على سائر الاديان و هذا توطئة لقوله (و شر الامور) بالنصب و قيل بالرفع (محدثاتها) بفتح الدال يعنى البدع الاعتقادية و القولية و الفعلية (و كل بدعة) بالرفع و قيل بالنصب (ضلالة) قال فى الازهار أى كل بدعة سيئة ضلالة لقوله عليه‌الصلاة‌والسلام من سن فى الاسلام سنة حسنة فله أجرها و أجر من عمل بها و جمع أبو بكر و عمر القرآن و كتبه زيد فى المصحف و جدد فى عهد عثمان رضي‌الله‌عنهم قال النووى البدعة كل شئ عمل على غير مثال سبق و فى الشرع احداث ما لم يكن فى عهد رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم و قوله كل بدعة ضلالة عام مخصوص قال الشيخ عزالدين بن عبد السلام فى آخر كتاب القواعد البدعة اما واجبة كتعلم النحو لفهم كلام الله و رسوله و كتدوين أصول الفقه و الكلام فى الجرح و التعديل و اما محرمة كمذهب الجبرية و القدرية و المرجئة و المجسمة و الرد على هؤلاء من البدع الواجبة لان حفظ الشريعة من هذه البدع فرض كفاية و اما مندوبة كاحداث الربط و المدارس و كل احسان لم يعهد فى الصدر الاول و كالتراويح أى بالجماعة العامة و الكلام فى دقائق الصوفية و اما مكروهة كزخرفة المساجد و تزويق المصاحف يعنى عند الشافعية و أما عند الحنفية فمباح و أما مباحة كالمصافحة عقيب الصبح و العصر أى عند الشافعية أيضا و الا فعند الحنفية مكروه و التوسع فى لذائذ المآكل و المشارب و المساكن و توسيع الاكمام و قد اختلف فى كراهة بعض ذلك أى كما قدمنا قال الشافعى رحمه‌الله ما أحدث مما يخالف الكتاب أو السنة أو الاثر أو الاجماع فهو ضلالة و ما أحدث من الخير مما لايخالف شيأ من ذلك فليس بمذموم و قال عمر رضي‌الله‌عنه فى قيام رمضان نعمت البدعة هذا هو آخر

رواه مسلم و عن ابن عباس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أبغض الناس الى الله ثلاثة ملحد فى الحرم و مبتغ فى الاسلام سنة الجاهلية و مطلب دم امرئ مسلم بغير حق ليهريق دمه رواه البخارى و عن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم كل أمتى يدخلون الجنة الا من أبى قيل و من أبى

كلام الشيخ فى تهذيب الاسماء و اللغات و روى عن ابن مسعود مارآه المسلمون حسنا فهو عندالله حسن و فى حديث مرفوع لا يجتمع أمتى على الضلالة (رواه مسلم) وكذا أحمد و النسائى و ابن ماجه بلفظ أما بعد فان أصدق الحديث كتاب الله و ان أفضل الهدى هدى محمد و شر الامور محدثاتها و كل محدث بدعة و كل بدعة ضلالة و كل ضلالة فى النار الحديث (وعن ابن عباس رضى‌الله‌عنهما قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أبغض الناس) هو أفعل تفضيل من المفعول على الشذوذ و اللام فى الناس للعهد و المراد منه عصاة المسلمين و ما قاله بعض من أنها للجنس فبعيد اذ لامعصية أعظم من الكفر اللهم الا أن يحمل على التهديد (الى الله) أى و ان كان احبهم الى غيره (ثلاثة) أى أشخاص أحدهم أو منهم (ملحد فى الحرم) أى ظالم أو عاص فيه فانه عاص لله تعالى و هاتك حرمة الحرم و الالحاد الميل عن الصواب و منه اللحد قال الابهرى فان قلت فاعل الصغيرة فيه مائل عن الحق فيكون أبغض من صاحب الكبيرة المفعولة فى غيره قلت نعم مقتضاه ذلك بل مريدها كذلك قال تعالى و من يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم و الظلم فسره هنا بعض السلف بشتم الخادم (ومبتغ) أى طالب (فى الاسلام سنة الجاهلية) اطلاق السنة على فعل الجاهلية اما على أصل اللغة أو على التهكم و هى مثل النياحة و الميسر و النيروز و قتل الاولاد و بغض البنات و جزاء شخص بجناية من هو من قبيلته (و مطلب) بالتنوين (دم امرئ) بالنصب و قيل بالاضافة و هو بتشديد الطاء من الاطلاب أى متكلف فى الطلب قال السيد جمال‌الدين أى مجتهد فى الطلب و أصله متطلب فحذف التاء و شدد الطاء ايذانا بالتاء و أدغم فيها كذا فى زين العرب و الازهار و هذا يقتضى أن تكون اللام مشددة يعنى كالمزمل لكن المسموع من أفواه المشايخ تشديد الطاء دون اللام اه فيكون كالمذكر و وجهه أن مطلب أصله متطلب على مفتعل فأبدلت التاء طاء و أدغمت و هذا موافق للقياس دون الاول و الله أعلم (مسلم) كذا فى نسخة صحيحة صفة امرئ (بغير حق) فالقاتل ارتكب ما كرهه الله من وجهين أحدهما ظلم و الثانى انه يسوء العبد و الله يكره مساءته (ليهريق) بفتح الهاء و يسكن (دمه) من هراق الماء اذا صبه و الاصل أراق قلبت الهمزة هاء و فيه لغة أخرى و هى اهراق بفتح الهمزة و سكون الهاء و الحاصل ان أبغض عصاة المسلمين هذه الثلاثة لانهم جمعوا بين الذنب وما يزيد به قبحا من الالحاد و كونه فى الحرم و احداث البدعة فى الاسلام و كونه من أمر الجاهلية و قتل النفس لا لغرض صحيح بل لكونه قتلا كما يفعل شطار زماننا و اليه أشار بقوله ليهريق دمه ومزيد القبح فى الاول باعتبار المحل و فى الثانى باعتبار الفاعل و فى الثالث باعتبار الفعل و فى كل من لفظى المبتغى و المطلب مبالغة وذلك ان هذا الوعيد اذا ترتب على الطالب و المتمنى فكيف بالمباشر (رواه البخارى و عن أبى هريرة رضى‌الله‌عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم كل أمتى يدخلون الجنة) على صيغة الفاعل و قيل على بناء المفعول (الا من أبى) أى امتنع عن قبول ما جئت به قال ابن‌الملك ان أريد من الامة أمة الاجابة فالاستثناء منقطع و ان أريد أمة الدعوة فالاستثناء متصل و قال الطيبى المراد اما أمة الدعوة فالآبى هو الكافر أو أمة الاجابة فالآبى هو العاصى استثناه زجرا و تغليظا (قيل و من أبى) هذه عطف على محذوف عطف جملة على جملة أى عرفنا الذين يدخلون الجنة و من الذى

قال من أطاعني دخل الجنة و من عصاني فقد أبى رواه البخاري و عن جابر قال جاءت ملائكة الى النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم و هو نائم فقالوا ان لصاحبكم هذا مثلا فاضربوا له مثلا قال بعضهم انه نائم و قال بعضهم ان العين نائمة و القلب يقظان فقالوا مثله كمثل رجل بنى دارا و جعل

أبى أى الذى أبى لايعرفه و حق الجواب اختصارا أن يقول من عصانى فعدل عنه صلى‌الله‌عليه‌وسلم الى ما سيأتي لارادة التفصيل (قال من أطاعنى دخل الجنة و من عصانى فقد أبى) تنبيها على أنهم ماعرفوا هذا و لاذاك أو التقدير من أطاعنى و تمسك بالكتاب و السنة دخل الجنة و من اتبع هواه و زال عن الصواب و ضل عن الطريق فقد دخل النار و وضع أبى موضع هذا وضعا للسبب موضع المسبب و لهذا أورد الحديث فى باب الاعتصام بالكتاب و السنة (رواه البخارى و عن جابر) رضى‌الله‌عنه (قال جاءت ملائكة) أى جماعة من الملائكة (الى النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم و هو نائم) الجملة حالية قال السيد جمال‌الدين هذا الحديث يحتمل أن يكون حكاية سمعها جابر عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم فحكاه و أن يكون اخبارا عما شاهد هو بنفسه و انكشف له قال ميرك شاه و الاحتمال الاول متعين لما فى رواية الترمذى عن حديث جابر أيضا قال خرج علينا النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم يوما فقال انى رأيت فى المنام كان جبريل عند رأسى و ميكائيل عند رجلى الخ قال الترمذى بعد تخريجه من طريق قتيبة بن سعيد عن الليث ابن سعد عن خالد بن يزيد المصرى أحد الثقات عن سعيد بن أبى هلال عن جابر هذا حديث مرسل سعيد بن أبى هلال لم يدرك جابر بن عبدالله أشار البخارى فى صحيحه الى رواية سعيد بن أبى هلال تعليقا و جاء من غير وجه عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم من اسناد أصح من هذا قال و فى الباب عن ابن مسعود أن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم توسد فخذه فرقد و كان اذا نام نفخ فبينا أنا قاعد اذ أنا برجال عليهم ثياب بيض الله أعلم بما لهم من الجمال فجلست طائفة منهم عند رأس رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم و طائفة منهم عند رجليه ثم ذكر نحو حديث جابر ثم قال هذا حديث صحيح اه قال الشيخ ابن حجر العسقلانى و وصف الترمذى لحديث سعيد بن أبى هلال بانه مرسل يريد أنه منقطع بين سعيد و جابر و قد اعتضد هذا المنقطع بحديث ربيعة الجرشى يعنى الآتى فى اول الفصل الثانى قال و هو عند الطبرانى بسند جيد و حديث ابن مسعود أخرجه أحمد و ابن خزيمة أيضا و صححه و الظاهر أنهما واقعتان و الله أعلم اه كلام ميرك شاه رحمه الله تعالى (فقالوا) أى بعض الملائكة لبعض (ان لصاحبكم) أى لمحمد (هذا) اشارة الى محمد و المخاطب بعض الملائكة (مثلا) بفتحتين أى صفة كمال تبهر العقول اذ المثل هو الصفة العجيبة الشان (فاضربوا) أى بينوا و اجعلوا له (مثلا) أى تمثيلا و تصويرا للمعنى المعقول فى صورة الامر المحسوس ليكون أوقع تأثيرا فى النفوس (قال) بغير الفاء (بعضهم انه نائم) أى فلا يسمع فلا يفيد ضرب المثل شيأ (و قال بعضهم) وهم الاكملون لمعرفتهم به ما لم يعرفه الاولون (ان العين نائمة و القلب) بالنصب و قيل بالرفع (يقظان) غير منصرف و قيل منصرف لمجيء فعلانة منه قال زين‌العرب يقظان منصرف لمجيء فعلانة لكنه قد صح فى كثير من نسخ المصابيح على أنه غير منصرف يعنى فلا يفوته شئ مما تقولون فان المدار على المدارك الباطنية دون الحواس الظاهرية قال الطيبى هذه مناظرة جرت بينهم بيانا و تحقيقا لما أن النفوس القدسية لايضعف ادراكها بضعف الحواس أى الحسية لاستراحة القوى البدنية بل ربما يقوى ادراكها عند ضعفها كما هو مشاهد عند أرباب الصوفية (فقالوا مثله كمثل رجل) أى عظيم كريم (بنى دارا) يعنى قصته كهذه القصة عن آخرها لاأن حاله كحال هذا الرجل فانه فى مقابلة الداعى لاالبانى اللهم الا أن يقدر مضاف و يقال كمثل داعى رجل بنى دارا (وجعل)

فيها مأدبة وبعث داعيا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فقالوا أولوها له يفقهها قال بعضهم انه نائم وقال بعضهم ان العين نائمة والقلب يقظان فقالوا الدار الجنة والداعي محمد فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس رواه البخاري وعن أنس قال جاء ثلاثة رهط الى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا بها كانهم تقالوها فقالوا أين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم

أي بنى (فيها) أي في الدار (مأدبة) بضم الدال وتفتح طعام عام يدعى الناس اليه كالوليمة وقيل بالفتح مصدر ميمي بمعنى الادب وهو الدعاء الى الطعام كالمعتبة بمعنى العتبة فعلى هذا يتعين الضم (وبعث داعيا) يدعو الناس اكراما لهم (اليها) أي الى ما يوصل اليها ايماء الى قوله تعالى ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان (فمن أجاب الداعي) أي قبل دعاءه (دخل الدار وأكل من المادبة) على وجه الاكرام وتمام الانعام (ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المادبة) بل طرد من البيت وحرم من الثواب واستحق العقاب (فقالوا) أي فقال بعض الملائكة لبعض (أولوها له) أي فسروا الحكاية التمثيلية لمحمد صلى الله عليه وسلم من أول تأويلا اذا فسر بما يؤل اليه الشئ (يفقهها) بالجزم جواب الامر أي يفهمها ثم يفهمها (قال بعضهم) باعتبار ما في ظنه (انه نائم) فهو غير فاهم (وقال بعضهم ان العين) أي عينه (نائمة والقلب) أي قلبه (يقظان) فيدرك البيان وكرروا هذا لينبه السامعون الى هذه المنقبة العظيمة وهي نوم العين ويقظة القلب (فقالوا الدار) أي مثلها (الجنة) أي نفسها فانها دار المتقين كما في القرآن المبين والمأدبة نعيمها وترك بيانها لظهورها وقيل لاشتمال الجنة عليها لانها دار المأدبة (والداعي محمد) قال تعالى في حقه وداعيا الى الله باذنه (فمن أطاع) الفاء للسببية أي لما كان هو الداعي فمن أطاع (محمدا فقد أطاع الله) قال الطيبي روعي في التأويل حسن أدب حيث لم يصرح بالمشبه بالرجل لكن لمح اليه في قوله فقد أطاع الله (ومن عصى محمدا) أظهر الضمير مبالغة في تعظيمه وحمده قال ابن حجر وبه يندفع وهم الرجوع الى غيره (فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس) روى مشددا على صيغة الفعل ومخففا على المصدر كذا قاله الطيبي وقال السيد جمال الدين مصدر وصف به للمبالغة أي فارق بين المؤمن والكافر والصالح والفاسق وقال ميرك شاه كذا وقع عند أكثر رواة البخاري بسكون الراء والتنوين (رواه البخاري وعن أنس) رضي الله عنه (قال جاء ثلاثة رهط) الرهط العصابة دون العشرة وقيل دون الاربعين وقيل هم علي وعثمان بن مظعون وعبدالله بن رواحة كذا ذكره الطيبي وقيل المقداد بن الاسود بدل عبدالله كذا نقله ابن الملك وقال الكرماني انما جاء تفسير الثلاثة بالرهط لانه بمعنى الجماعة فكأنه قيل ثلاثة أنفس والفرق بين الرهط والنفر أنه من الثلاثة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة قال الشيخ وقع في مرسل سعيد بن المسيب عن عبدالرزاق أن الثلاثة المذكورين هم علي بن أبي طالب وعبدالله بن عمرو بن العاص وعثمان بن مظعون قال لكن في عد عبدالله بن عمرو منهم نظر لان عثمان ابن مظعون مات قبل أن يهاجر عبدالله فيما أحسب كذا ذكره الابهري وذكر في الخلخالي مكان عبدالله المقداد والله أعلم (الى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم) أي عبادته في البيت والمراد معرفة قدر عادة وظائفه في كل يوم وليلة حتى يفعلوا كذلك (فلما أخبروا) على صيغة المجهول أي أخبرتهم (بها) أي بعبادته (كانهم تقالوها) تفاعل من القلة أي استقلوها وجدوها أو عدوها قليلة لما في نفوسهم انها أكثر مما أخبروا به بكثير (فقالوا أين نحن من النبي

و قد غفرالله له ماتقدم من ذنبه وماتأخر فقال أحدهم أما أنا فأصلى الليل أبدا و قال الآخر أنا أصوم النهار أبدا ولا أفطر و قال الآخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم اليهم فقال أنتم الذين قلتم كذا و كذا أما

صلى‌الله‌عليه‌وسلم) أى بيننا و بينه بون بعيد فانا على صدد التفريط و سوء العاقبة و هو معصوم مأمون الخاتمة أولان له معاملة باطنية مع الله تعالى ساعة منها أفضل من طاعة سنة ظاهرية من غيره كما ورد تفكر ساعة خير من عبادة سنة أوستين سنة لاسيما فى العلوم و المعارف و قيل فانا مذنبون و محتاجون الى المغفرة (و قد غفرالله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) فينبغى أن تكون العبادة نصب أعيننا ولا نصرف عنها وجوهنا ليلا و نهارا ثم الذنب ماله تبعة دينية أو دنيوية مأخوذ من الذنب ولما كان النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم معاتبا بترك الاولى تأكيدا للعصمة أطلق عليه اسم الذنب أو يكون من باب حسنات الابرار سيآت المقربين قال ابن حجر أى سترّبينه و بينه بعصمته منه فلم يمكن صدوره منه ولو صغيرة قبل النبوة على الصواب هذا معنى المغفرة فى حق الانبياء و معناها فى غيرهم ستره بينهم و بين عقوبة ذنوبهم اه و فى قوله على الصواب تخطئة لاكثر أهل العلم و هو غير صواب فكان حقه أن يقول على الصحيح بناء على مذهبه و الله أعلم بالصواب و قال بعض المحققين و اجماع الصحابة على التأسى به صلى‌الله‌عليه‌وسلم فى أقواله و أفعاله و سائر أحواله حتى فى كل حالاته من غير بحث ولا تفكر بل بمجرد علمهم أو ظنهم بصدور ذلك عنه دليل قاطع على اجماعهم على عصمته و تنزهه عن أن يجرى على ظاهره أو باطنه شئ لايتأسى به فيه مما لم يقم دليل على اختصاصه به اه و الجمهور جوزوا وقوع الكبائر سهوا و الصغائر عمدا لكن المحققون منهم اشترطوا أن ينبهوا عليه فينتهوا عنه فعلى هذا قول الجمهور لاينافى الاجماع المذكور قال المظهر ظنوا أن وظائف رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم كثيرة فلما سمعوها عدوها قليلة و قد راغوا الادب حيث لم ينسبوه الى التقصير بل أظهروا كماله ولاموا أنفسهم فى مقابلتهم اياها بالنبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم و فيه تعليم للمريد بأن لاينظر الى الشيخ بعين الاحتقار و ان رأى عبادته قليلة فليظهر عذره وليلم نفسه ان جرى فيها انكار على شيخه لان من اعترض على شيخه لم يفلح أبدا و فيه ان قلة وظائف النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم كانت رحمة على الامة لئلا يتضرروا بالاقتداء اذ لانفسهم عليهم حق ولازواجهم عليهم حق فان الانسان محتاج الى الطعام ليتقوى صلبه و الرجال محتاجون الى النساء لبقاء النسل (فقال أحدهم أما أنا) أى أما رسول‌الله فقد خص بالمغفرة العامة فلا عليه أن لايكثر العبادة و اما أنا فلست مثله (فاصلى الليل) أى أحييه بالصلاة و الظاهر أنه وماقبله عزم على ماذكر و يحتمل الاخبار عن ذلك (أبدا) أى طول الليل أو دائما غير مختص بليل دون ليل (و قال الآخر أنا أصوم النهار) أى أبدا كما فى نسخة لكن يستغنى عنه بقوله (ولا أفطر) أى بالنهار يعنى غير الايام الخمسة المنهية (و قال الآخر أنا أعتزل النساء) أى أجتنبهن (فلا أتزوج) أى منهن أحدا (أبدا) فالنهن و الاشتغال بهن يمنع الشخص عن العبادة و يوقعه فى طلب الدنيا و الحرص على تحصيلها فى العادة و هو خلاف سلوك أهل الارادة من السادة (فجاء النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم اليهم) و قد علم ذلك بان جاء الى أهله فأخبروه و اما بالوحى (فقال أنتم) أى أأنتم فحذفت همزة الاستفهام التى للانكار من قبل أنتم الذى هو الفاعل المعنوى المزال عن مقره على حد أأنت قلت للناس اتخذونى و أمى الهين من دون الله مبالغة فى الانكار عليهم (الذين قلتم كذا و كذا) كناية عما تقدم (أما) بالتخفيف حرف تنبيه و استفتاح بمنزلة ألا و يكثر قبل القسم و قيل معناه حقا و أغرب ابن حجر و قال الهمزة

و الله انى لاخشاكم لله و اتقاكم له لكنى أصوم و أفطر و أصلى و أرقد و أتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى متفق عليه وعن عائشة قالت صنع رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم شيأ

للاستفهام الانكارى وما حرف تنبيه (و الله انى لاخشاكم) قال القاضى أى أنا أعلم به و بما هو أعزلديه و أكرم عنده فلو كان ما استأثرتموه من الافراط فى الرياضة أحسن مما أنا عليه من الاعتدال لما أعرضت عنه و قوله (لله) مفعول به لاخشاكم و أفعل لايعمل فى الظاهر الا فى الظرف (و أتقاكم له) اشارة الى أن الخشية التى لاتورث التقوى لاعبرة بها (لكنى أصوم) استدراك عن محذوف أى أنا أخشاكم لله فينبغى على زعمكم أو فى الحقيقة أن أتوم فى الرياضة الى أقصى مداه لكنى أقتصد و أتوسط فيها فأصوم فى وقت (و أفطر) فى آخر (و أصلى) بعض الليل (و أرقد) فى بعضه (و أتزوج النساء) ولا أزهد فيهن و كمال الرجل أن يقوم بحقهن مع القيام بحقوق الله تعالى و التوكل عليه و التفويض اليه و هذا كله ليقتدى بى الامة (فمن رغب) أى مال و أعرض (عن سنتى) أى استهانة و زهدا فيها لا كسلاوتهاونا (فليس منى) أى من أشياعى وضع قوله عن سنتى مكان ذلك ليشمل كل ماجاء به من المذكور و غيره و من فى منى اتصالية و ذكر الابهرى عن الشيخ انه قال لمح بذلك الى طريقة الرهبانية فانهم الذين ابتدعوا التشديد كما وصفهم الله تعالى و قد عابهم بانهم ماوفوا بما التزموه اه قلت ما هو تلميح بل هو تصريح على ما ذكره البغوى فى المعالم فى قوله تعالى ياأيهاالذين آمنوالاتحرمواطيبات ما أحل‌الله‌لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين قال أهل التفسير ذكر النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم يوما و وصف القيامة فرق له الناس وبكوا فاجتمع عشرة من الصحابة فى بيت عثمان بن مظعون الجمحى وهم أبوبكر الصديق و على بن أبى طالب و عبدالله بن مسعود و عبدالله بن عمرو و أبو ذر الغفارى و سالم مولى أبى حذيفة و المقداد بن الاسود و سلمان الفارسى و معقل بن مقرن و تشاوروا و اتفقوا على ان يترهبوا و يلبسوا المسوح جمع المسح و هو الصوف و يجبوا مذاكيرهم أى يقطعوها و يصوموا الدهر و يقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم و الودك أى الدسم من السمن و الدهن ولا يقربوا النساء و الطيب و يسيحوا فى الارض فبلغ ذلك رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فأتى دارعثمان بن مظعون فلم يصادفه فقال لامرأته أم حكيم بنت أبى أمية و اسمها الحولاء و كانت عطارة أحق ما بلغنى عن زوجك و أصحابه فكرهت أن تكذب و كرهت أن تبدى على زوجها أى تظهر فقالت يارسول‌الله ان كان أخبرك عثمان فقد صدقك فانصرف رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فلما دخل عثمان أخبرته بذلك فأتى رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم هو و أصحابه فقال لهم رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ألم أنبأ أنكم اتفقتم على كذا و كذا قالوا بلى يارسول‌الله وما أردنا الا الخير فقال عليه‌الصلاة‌والسلام انى لم أومر بذلك ثم قال ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا و افطروا وقوموا وناموا فانى أقوم وأنام وأصوم و أفطر و آكل اللحم والدسم وآتى النساء ومن رغب عن سنتى فليس منى ثم جمع الناس وخطبهم فقال ما بال أقوام حرموا النساء و الطعام و الطيب و النوم وشهوات الدنيا انى لست آمركم أن تكونوا قسيسين ورهبانا فانه ليس فى دينى ترك اللحم و النساء ولا اتخاذ الصوامع و ان سياحة أمتى الصوم و رهبانيتهم الجهاد و اعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ و حجوا و اعتمروا و أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة و صوموا رمضان و استقيموا يستقم لكم فانما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا على أنفسكم فشدد الله عليهم فاولئك بقاياهم فى الديارات و الصوامع فأنزل الله هذه الاية (متفق عليه و عن عائشة) رضى‌الله‌عنها (قالت صنع رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم شيأ) أى من المباحات قال الراغب الصنع اجادة الفعل فكل صنع فعل ولا ينعكس ولا ينسب الى الحيوانات و الجمادات كما ينسب

فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلک رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم فخطب فحمدالله ثم قال ما بال أقوام يتنزهون عن الشئ أصنعه فوالله انی لاعلمهم بالله و أشدهم له خشية متفق عليه وعن رافع بن خديج قال قدم نبی الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم المدينة وهم يؤبرون النخل فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لولم تفعلوا كان خيرا فتركوه فنقصت قال فذكروا ذلک له فقال انما أنا بشر

اليها الفعل (فرخص) أی للناس (فيه) أی فی ذلک الصنع أو من أجله (فتنزه عنه) أی عن ذلک الصنع (قوم) ولم يفعلوا ذلک الصنع ظنا منهم ان فعله ينافی الكمال و انه صلی‌الله‌علیه‌وسلم انما فعله لبيان الجواز قال الشيخ لم أعرف أعيان القوم المشار اليهم و لا الشئ الذی ترخص فيه و أوما ابن بطال الی انه القبلة للصائم و قيل الفطر فی السفر كذا ذكره الابهری و الاظهر ان القوم هم المذكورون فيما تقدم و الشئ المرخص ماذكر فيما سبق (فبلغ ذلک) أی تنزههم (رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم فخطب) أی أراد أن يخطب كذا قاله الطيبی و يمكن أن يكون قوله (فحمدالله) الخ تفسيرا لما قبله (ثم قال) أی فی أثناء خطبته أو بعد فراغها معرضا لا مصرحا سترا علی الفاعل و رحمة به (ما بال أقوام) استفهام انكاری بمعنی التوبيخ أی ما حالهم (يتنزهون) صفة أقوام وقع موقع الحال نحو مالک قائما و كقوله تعالی مالكم لا ترجون‌لله وقارا أی يتباعدون و يحترزون (عن الشئ) من النوم بالليل و الاكل بالنهار و التزوج بالنساء كذا قاله ابن الملک (أصنعه) حال من الشئ و أل فيه للعهد الذكری السابق فی قوله شيأ و قيل اللام فی الشئ للجنس و أصنعه صفته (فوالله انی لاعلمهم بالله) قال المظهر أی فان احترزوا عنه لخوف عذاب الله فأنا أعلم بقدر عذاب الله فأنا أولی بالاحتراز (و أشدهم له خشية) اشارة الی القوة العملية و قدم العلم علی الخشية لانها نتيجته ولذا قال تعالی انما يخشی الله من عباده العلماء قال الطيبی هذا أبلغ من أخشاهم علی الاصل فانه عدل عنه و جعل أشد ثم فسر بخشية ليدل علی ان الاشد نفسه (متفق عليه و عن رافع بن خديج) رضی‌الله‌عنه يكنی أبا عبدالله الحارثی الانصاری أصابه سهم يوم أحد فقال له رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم أنا شهيد لک يوم القيامة و انقضت جراحته زمن عبدالملک بن مروان فمات سنة ثلاث و سبعين بالمدينة و له ست و ثمانون سنة روی عنه خلق كثير و خديج بفتح الخاء المعجمة و كسر الدال المهملة و بالجيم (قال قدم نبی الله) و فی نسخة النبی (صلی‌الله‌علیه‌وسلم المدينة) أی طابة السكينة (وهم) أی أهلها (يؤبرون النخل) جملة حالية أی يلقحون كما فی رواية طلحة بن عبيدالله يعنی يجعلون الذكر فی الانثی و هو بتشديد الباء وروی يأبرون بتخفيف الباء المكسورة و قد يضم و الابر و الابار و التأبير الاصلاح و المعنی يشققون طلع الاناث و يذرون فيه طلع الذكر ليجیء ثمره جيدا اذ النخلة خلقت من فضلة طينة آدم علی ما ورد فلابد عادة فی صلاح نتاجها من اجتماع طلع الذكر مع طلع الانثی كما أنه لابد عادة فی تخلق ابن آدم من اجتماع منی الذكر والانثی (فقال ما تصنعون) ما استفهامية (قالوا كنا نصنعه) أی هذا دأبنا وعادتنا (قال لعلكم لو لم تفعلوا كان) و فی نسخة لكان (خيرا) أی تتعبون فيمالاينفع كما جاء فی تلک الرواية ما أظن يغنی ذلک شيأ (فتركوه) أی التأبير (فنقصت) أی النخل ثمارها أو انتقصت ثمارها فان النقص متعد ولازم أی لم يأت منها شئ صالح (قال) أی رافع (فذكروا) أی أصحاب النخل (ذلک) أی النقصان (له) عليه‌الصلاة‌والسلام (فقال انما أنا بشر) أی فليس لی اطلاع علی المغيبات و انما ذلک شئ قلته بحسب الظن لشهودی اذ ذاک الی مسبب الاسباب و استغراق فی عجائب قدرته و غرائب قوته التی لاتتوقف علی سبب لكنه تعالی قضی ليظهر حكمته الباهرة و تتفاوت شهود عباده فی الدنيا و الآخرة

اذا أمرتكم بشئى من أمر دينكم فخذوا به و اذا أمرتكم بشئى من رأيى فانما انا بشر رواه مسلم و عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما مثلى و مثل ما بعثنى الله به كمثل رجل أتى قوما فقال ياقوم انى رأيت الجيش بعينى و أنى أنا النذير العريان فالنجاء النجاء فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا

بأن دائرة الاسباب لابد من مراعاتها (اذا أمرتكم) و فى نسخة أمرتم فى الموضعين (بشئى من دينكم) و فى نسخة صحيحة من أمر دينكم أى مما ينفعكم فى امر دينكم (فخذوا به) أى افعلوه فانى انما نطقت به عن الوحى (و اذا أمرتكم بشئى من رأيى) و فى نسخة من رأى أى متعلق بالدنيا التى لا ارتباط لها بالدين و أخطأت فلا تستبعدوا و قيل فمن شاء فعله و من شاء لم يفعله (فانما أنا بشر) أى فانى بشر أخطئى و أصيب كما جاء فى خبر أحمد و الظن يخطئى و يصيب و فى الحديث دلالة على انه عليه الصلاة والسلام ما كان يلتفت غالبا الا الى الامور الاخروية و فى المصابيح فقال عليه الصلاة والسلام أنتم أعلم بأمر دنياكم (رواه مسلم و عن أبى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما مثلى) المثل بفتحتين الصفة العجيبة و هو فى الاصل بمعنى المثل الذى هو النظير ثم استعير للقول السائر الممثل مضربه بمورده و ذلك لايكون الا قولا فيه غرابة من قصة و حال و صفة (و مثل ما بعثنى الله به) أى الى أمتى و قيل ما بمعنى من أى من أرسلنى اليه (كمثل رجل) قيل هذا من التشبيهات المفروقة و هى أن يؤتى بمشبه و مشبه به ثم بآخر و آخر و سيأتى بيانه (أتى قوما) أى لينذرهم بقرب عدوهم منهم و انهم لا قدرة لهم على لقائه و انما الذى ينجيهم منه انهم يهربون عنه و ذلك الرجل من أجلتهم و أمين فى أخباره عندهم (فقال ياقوم انى رأيت) أى أبصرت (الجيش) أى العسكر الكثير المتوجه اليكم (بعينى) للتأكيد و دفع توهم المجاز و هو بالتثنية و تشديد الياء الاخيرة وروى بالافراد وتخفيف الياء (و انى أنا النذير) فيه الحصر- (العريان) أى بلا غرض و النذير العريان مثل مشهور سائر بين العرب يضرب لشدة الامر و دنو المحذور و براءة المحذر عن التهمة و أصله ان الرجل اذا رأى العدو قد هجم على قومه و أراد أن يفاجئهم و كان يخشى لحوقهم قبل لحوقه تجرد عن ثوبه و جعله على رأس خشبة و صاح ليأخذوا حذرهم و قيل هو الذى غشيه العدو و كان ربيئة قومه أى جاسوسهم فاخذوه و تعلقوا بثيابه فانسل منها ولحق بقومه فانذرهم فلما رأوه على حالته تلك ارتحلوا عن آخرهم و قيل انه الذى سلب العدو ما عليه من الثياب فأتى قومه عريانا يخبرهم فصدقوه لما عليه من آثار الصدق و خص العريان بالذكر لانه أبين فى العين و أغرر و أشنع عند البصر (فالنجاء النجاء) فى أكثر النسخ مرتين و فى نسخة مرة و هو بالمد على الاصح مصدر نجا اذا أسرع يقال ناقة ناجية أى مسرعة قال ابن الملك بالفاء و المد والقصر نصب على الاغراء أى اطلبوا النجاء أو على المصدر أى انجوا وهو الاسراع كرر للتأكيد قيل فى شرح السنة و بعض نسخ المصابيح مرة وفى كثير منها مرتين قال الطيبى روى الامام عن القاضى عياض المعروف فى صحيح البخارى اذا أفرد النجاء مد وحكى أبو زيد فيها القصر و أما اذا كرر ففيه المد و القصر معا اه و نقل الابهرى عن الشيخ بالمد فيهما و بمد الاولى و قصر الثانية و بالقصر فيهما تخفيفا و هو منصوب على الاغراء أى اطلبوا النجاء بان تسرعوا الهرب اشارة الى أنهم لايطيقون مقاومة ذلك الجيش (فاطاعه طائفة من قومه) قال الطيبى الاطاعة تتضمن التصديق يعنى فيحسن مقابلته بقوله كذبت فيما يأتى (فادلجوا) بهمزة قطع ثم سكون هو الصحيح أى ساروا أول الليل أو ساروا الليل كله على اختلاف فى مدلول هذه اللفظة و أما بالوصل و التشديد على ان المراد به سير آخر الليل فلايناسب هذا المقام كذا ذكره الابهرى و قال الطيبى أى ساروا فى الدلجة و هى الظلمة و قال السيد

فانطلقوا على مهلهم فنجوا و كذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعنى فاتبع ماجئت به و مثل من عصانى و كذب ماجئت به من الحق متفق عليه وعن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم مثلى كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش و هذه الدواب التى تقع فى النار يقعن فيها و جعل يحجزهن و يغلبنه

جمال‌الدين و الدلجة أيضا السير فى الليل و كذا الدلج بفتح اللام و ادلجوا بتشديد الدال ساروا آخر الليل (فانطلقوا) أى ذهبوا و ساروا (على مهلهم) بفتح الميم و الهاء و يسكن قال الطيبى المهل بالحركة الهيئة و السكون و بالسكون الامهال قال الامام النووى فى نسخ مسلم بضم الميم و اسكان الهاء وبتاء بعد اللام و فى الجمع بين الصحيحين مهلهم بحذف التاء و فتح الميم و الهاء و كلاهما صحيحان اه لكن لم يوجد فى نسخ المشكاة الابدون التاء اختيارا للفظ البخارى على لفظ مسلم لكونه أصح (فنجوا) أى بسبب تصديق المنذرين (وكذبت طائفة منهم) قال الطيبى التكذيب يستتبع العصيان يعنى فيه ايماء إلى ما قدمناه (فأصبحوا مكانهم) أى دخلوا وقت الصباح فى مكانهم (فصبحهم) بتشديد الباء (الجيش) أى أتاهم جيش العدو صباحا للاغارة (فأهلكهم و اجتاحهم) بالجيم فى الاولى و المهملة فى الثانية أى استأصلهم و أهلكهم بالكلية بشؤم التكذيب و هذا فائدة الجمع بينهما (فذلك) أى المثل المذكور (مثل من أطاعنى فاتبع) و فى نسخة بالواو (ما جئت به) أى من الحق و هذا ليعلم أنه لاينبغى أن يستروح بظاهر الطاعة من اتباع ما جاء به (و مثل من عصانى و كذب ما جئت به من الحق) قال السيد جمال‌الدين من التشبيهات المفروقة شبه ذاته عليه‌الصلاة‌والسلام بالرجل و ما بعثه الله به من انذار القوم بعذاب الله القريب بانذار الرجل قومه بالجيش المصبح و شبه من أطاعه من أمته و من عصاه بمن صدق الرجل فى انذاره و كذبه اه فهو على حد قول امرئ القيس

كأن قلوب الطير رطبا و يابسا * لدى وكرها العناب و الحشف البالى

شبه القلوب الرطبة بالعناب و اليابسة بالحشف على التفريق بطريق اللف و النشر المرتب (متفق عليه و عن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم مثلى) أى صفتى العجيبة الشان معكم أيها الامة أومع الناس (كمثل رجل استوقد) أى أوقد و زيدت السين للتأكيد (نارا) أى عظيمة (فلما أضاءت) الاضاءة فرط الانارة يتعدى ولايتعدى و ههنا متعد و يجوز أن يكون لازما وفاعله (ما حولها) و التأنيث باعتبار الاماكن قال زين العرب و لك أن تجعل ما مزيدة أو بدلا من الضمير فى أضاءت و فى كل منهما نظر و قوله ما حولها رواية مسلم فالضمير للنار أى أضاءت النار جوانب تلك النار و فى رواية البخارى ما حوله فالضمير للمستوقد كذا ذكره الطيبى وما ظهرلى وجه عدول صاحب المشكاة الى رواية مسلم من رواية البخارى مع كونها أصح و مع ثبوت موافقتها للفظ القرآن الافصح و دلالتها على المقصود بالطريق الاوضح مع قوله فى آخر الحديث هذه رواية البخارى فتأمل فانه محل خطل (جعل) أى شرع (الفراش) هو بفتح الفاء دويبة طير تتساقط فى النار يقال بالفارسى پروانة (و هذه الدواب) قيل عطف تفسير للفراش و أنثه نظرا لخبره أو لكون الفراش اسم جنس كقوله تعالى و أوحى ربك الى النحل أن اتخذى و قال ابن الملك اشارة الى غير الفراش (التى تقع فى النار) أى عادتها القاء نفسها فى النار كالبق و البعوض اه و هو غير ظاهر نعم الجراد بعضه كذلك (يقعن) أى الفراش و الدواب (فيها و جعل) أى المستوقد (يحجزهن) بضم الجيم أى يمنعهن من الوقوع فيها قال الابهرى و فى رواية البخارى يزعهن بالتحتانية و الزاى و ضم المهملة أى يدفعهن (و يغلبنه) أى للوقوع فيها

فيتقحمن فيها فانا آخذ بحجزكم عن النار و أنتم تقحمون فيها هذه رواية البخارى ولمسلم نحوها و قال فى آخرها قال فذلك مثلى و مثلكم انا آخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار هلم عن النار فتغلبونى تقحمون فيها

(فيتقحمن فيها) أى يدخلن فيها بشدة و مزاحمة قيل التقحم هو الدخول فى الشئ من غير روية و يعبر به عن الهلاك و القاء النفس فى الهلاك و قال الطيبى التقحم الاقدام و الوقوع فى أمر شاق (فانا) الفاء فصيحة أى اذا صح هذا التمثيل بانى كالمستوقد و أنتم كالفراش فيما ذكر فانا (آخذ) قال النووى يروى على وجهين أحدهما اسم فاعل بكسر الخاء و تنوين الذال و الثانى فعل مضارع بضم الخاء و الاول أشهر وهما صحيحان (بحجزكم) بضم الحاء و فتح الجيم بعدها زاى جمع الحجزة و هى معقد الازار و من السراويل موضع التكة قال الابهرى و يجوز ضم الجيم فى الجمع (عن النار) و انما خص الحجز لان محل الزنا الذى هو أفحش الفواحش تحتها أو لان أخذ الوسط أقوى و أوثق من الاخذ باحد الطرفين فى التبعيد كذا ذكره ابن الملك و الاول بعيد (و أنتم تقحمون فيها) من باب التفعل بحذف احدى التاءين و فى نسخة صحيحة تقتحمون من باب الافتعال (هذه) أى هذه الالفاظ أو ما ذكر من أول الحديث الى هنا و التأنيث باعتبار الخبر و فى نسخة هذا أى هذا اللفظ (رواية البخارى ولمسلم نحوها) أى رواية البخارى معنى و فى شرح ابن حجر مثلها و هو غير صحيح رواية و دراية (و قال) أى مسلم (فى آخرها) أى آخر روايته (قال) أى النبى صلى الله عليه وسلم (فذلك) أى المثل المذكور (مثلى و مثلكم) قال ابن حجر هذا تأكيد احتيج اليه لطول الكلام و الا فهو معلوم من أوله كقوله انا آخذ اه و الظاهر انه بيان للفرق بين الروايتين و بيانه ان رواية البخارى فانا آخذ الخ و رواية مسلم فذلك مثلى و مثلكم انا آخذ الخ و قوله (انا آخذ) بالوجهين (بحجزكم) أى للتبعيد (عن النار) و أقول (هلم عن النار هلم عن النار) كرر لفرط الاهتمام و المعنى اسرعوا الى و ابعدوا أنفسكم عن النار قال الخليل أصله لم أى لم أنفسكم الينا بالقرب منا وها للتنبيه و انما حذف ألفها لكثرة الاستعمال و جعلا اسما واحدا يستوى فيه الواحد و الجمع و المذكر و المؤنث فى لغة أهل الحجاز و بها جاء القرآن و قيل أصله هل أم أى هل لك فى كذا أم بفتح الهمزة أى قصد فركب الكلمتان و فيه أنه لم يظهر وجه ضم اللام و قيل معناه اقرب الينا و ابعد عن النار فالخطاب عام و محل هلم نصب على الحال أى آخذ بحجزكم و أمنعكم قائلا هلم (فتغلبونى) النون مشددة اذ أصله تغلبوننى فأدغم نون الجمع فى نون الوقاية و أغرب ابن حجر حيث قال بادغام نون الرفع فى نون التأكيد اه وروى بتخفيفها على حذف احدى النونين واختار الشاطبى حذف الاخيرة قال الطيبى الفاء للسببية على التعكيس كاللام فى ليكون لهم عدوا (تقحمون) أى لتقحمون (فيها) و هو حال عن فاعل تغلبونى و قيل بدل مما قبله قال الطيبى و قد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل بوقوع الفراش فى النار لجهله بما يعقب التقحم فيها من الاحتراق ولتحقير شأنها قال و هذه الدواب كقوله تعالى ماذا أراد الله بهذا مثلا و تخصيص ذكر الدواب و الفراش لايسمى دابة عرفا لبيان جهلها كقوله تعالى ان شرالدواب عندالله الآية كل ذلك تعريض لطالب الدنيا المتهالك فيها جعل عليه الصلاة والسلام المهلكات نفس النار وضعا للسبب موضع المسبب كقوله تعالى فى بطونهم نارا و شبه اظهاره بمحارم الله و نواهيه ببياناته الشافية الكافية من الكتاب و السنة باستيقاد الرجل النار و شبه فشو ذلك الكشف فى مشارق الارض و مغاربها باضاءة تلك النار ماحول المستوقد و شبه الناس و عدم مبالاتهم بذلك البيان و الكشف و تعديهم حدودالله و حرصهم على اللذات و منع رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم باخذ حجزهم بالفراش التى يتقحمن فى النار و يغلبن المستوقد و كما أن غرض المستوقد هو انتفاع

متفق عليه و عن أبي موسى قال قال رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم مثل ما بعثني الله به من الهدى و العلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلا و العشب الكثير و كانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا و سقوا و زرعوا

الخلق به من الاهتداء و الاستدفاء و غير ذلک و الفراش لجهلها جعلته سببا لهلاكها كذلک كان القصد بتلک البيانات اهتداء تلک الامة و احتماءها عما هو سبب هلاكهم وهم مع ذلک لجهلهم جعلوها موجبة لترديهم و في قوله آخذ بحجزكم استعارة مثلت حاله في منع الامة عن الهلاك بحال رجل آخذ بحجزة صاحبه الذي يهوى في قعر بئر مردية (متفق عليه) فيه أن هذا مستغنى عنه بما سبق فايراده لمجرد التأكيد على أن المراد بالاتفاق هنا بحسب المعنى في الاكثر (و عن أبي موسى قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم مثل ما بعثني الله به من الهدى و العلم) الهدى الدلالة على الخير مطلقا أو الموصلة الى الحق و من الاول قوله تعالى و أما ثمود فهديناهم و من الثاني قوله تعالى انک لاتهدى من أحببت و لكن الله يهدى من يشاء و المراد بالعلم‌هنا الظاهر و الخفي و الهدى وسيلة الى العلم فلذا قدمه و في العوارف العلم جملة موهبة من‌الله للقلوب و المعرفة تمييز تلک الجملة و الهدى وجدان القلوب ذلک و قيل العلم صفة توجب تمييزا لايحتمل النقيض و عطفه على الهدى اما لرجوعه للنفس و رجوعها للغير أو لانها الدلالة و العلم المدلول أو المراد منها الطريقة و العمل و من ثم ورد من ازداد علما ولم يزدد هدى أي قربا من الله لم يزدد من الله الابعدا (كمثل الغيث) أي المطر الكثير و اختار اسم الغيث ليؤذن باضطرار الخلق اليه اذ جاءهم على فترة من الرسل و الغيث يحيي البلد الميت و العلم يحيي القلب الميت (أصاب أرضا) أي صالحة و الجملة صفة للغيث على تقدير أن تكون اللام فيه للجنس أو زائدة و يجوز أن تكون حالا (فكانت منها) أي من تلک الارض (طائفة) أي قطعة و منها صفة طائفة قدمت عليها فصارت حالا (طيبة) أي غير خبيثة بسباخ و نحوه قال النووي طائفة طيبة كذا في جميع نسخ مسلم و وقع في البخاري فكانت منها نقية بنون فقاف مكسورة فتحتية مشددة و هي بمعنى طيبة اه و قال ابن حجر و روى غير ذلک مما لايصح‌هنا اه و طيبة مرفوعة على أنها صفة طائفة و قوله (قبلت الماء) أي دخل الماء فيها للينها منصوبة بخبر كانت و قيل هي منصوبة على انها خبر كانت و قبلت الماء صفة لطيبة ويجرى هذا الخلاف في لفظ اجادب وقال ابن حجر و رواية قيلت بالتحتية المشددة قيل تصحيف و قيل صحيحة و معناه شربت من القيل و هو شرب بعض الانهار (فأنبتت الكلا) بالهمز مفتوحتين مقصورا (و العشب الكثير) هما مع الحشيش اسماء للنبات لكن الحشيش مختص باليابس و العشب بالضم و الكلا مقصورا مختصان بالرطب و الكلا بالهمز على زنة جبل يقع على اليابس و الرطب فالكلا بالهمز أنسب ليكون عطف الاخص على الاعم للاهتمام بشأنه (و كانت منها) أي من الارض الصالحة أو من الارض الطيبة (أجادب) كذا في رواية الجمهور بالجيم و الدال المهملة بعدها باء موحدة جمع أجدب و هي الارض الصلبة التي تمسک الماء من الجدب و هو القحط سماها أجادب لانها لصلابتها لاتنبت و في رواية أبي ذر اخاذات بكسر الهمزة و الخاء و الذال المعجمتين و آخره مثناة من فوق قبلها ألف جمع اخاذة و هي الارض التي تمسک الماء قال ابن حجر و صوبه بعضهم و روى أجاذب بجيم و ذال معجمة و معناه قريب من الاول و فيه روايات أخر مردودة (أمسكت) أي تلک الارض أو الاجادب (الماء فنفع الله بها) أي بالاجادب أو بتلک الارض (الناس فشربوا و سقوا) أي دوابهم قال ابن حجر و يجوز أسقوا قلت لايجوز لانه غير وارد و تجويز اللغوي غير مراد (و زرعوا) قال النووي في جميع نسخ مسلم و رعوا من الرعى ووقع في البخاري

و أصاب منها طائفة أخرى انما هى قيعان لا تمسک ماء و لا تنبت کلأ فذلک مثل من فقه فى دين الله و نفعه ما بعثنى الله به فعلم و علم و مثل من لم يرفع بذلک رأسا و لم يقبل هدى الله الذى أرسلت به .

زرعوا و کلاهما صحيح اه و فى جميع نسخ المشکاة زرعوا موافقا لما فى البخارى و هو الاولى بان يکون أصلا و قال ابن حجر و رعوا من الرعى و رواية و زرعوا قيل تصحيف و أجيب بان المراد به زرعوا به غير تلک الارض اه و فيه انه لا يظهر ربط بين السؤال و الجواب ثم قال و هذا بناء على ان رواية رعوا تشويش النشر لان الشرب و السقى للقسم الثانى و الرعى للقسم الاول قلت لا مانع من ان يکون القسم الثانى جامعا للثلاث مع أنه يلزم من حصول الزرع وصول الرعى بخلاف العکس و فيه اشارة الى ان أهل القسم الثانى مرزوقون من جميع النعم منفقون على غيرهم فهم کاملون مکملون على ما يدل عليه قوله فنفع الله بها الناس بخلاف أهل القسم الاول و يکون التقسيم ترقيا ثم تدليا (و أصاب) . أى الغيث (منها) أى من الارض (طائفة) أى قطعة (أخرى انما هى) تلک الطائفة (قيعان) بکسر القاف جمع قاع و هى الارض المستوية (لا تمسک ماء و لا تنبت کلأ) لانها سبخة (فذلک) أى المذکور من أنواع الارض (مثل من فقه) بضم القاف و کسرها و المشهور الضم اذا فهم و أدرک الکلام و الضم أجود لدلالته على أن الفقه الشرعى صار سجية له (فى دين الله و نفعه الله بما بعثنى الله به) أى بالعمل (فعلم و علم) بتشديد اللام هذا مثل الطائفة الاولى التى قبلت الماء و أنبتت الکلأ فقبول الماء اشارة الى العلم و انبات الکلأ اشارة الى التعليم کذا قاله ابن الملک (و مثل من لم يرفع بذلک) أى بما بعثنى الله به (رأسا) أى للتکبر کما فى نسخة يقال لم يرفع فلان رأسه بهذا أى لم يلتفت اليه من غاية تکبره قال ابن الملک عدم رفع رأسه بالعلم کناية عن عدم الانتفاع به لعدم العمل أو الاعراض عنه الى حطام الدنيا و هذا مثل الطائفة التى لا تمسک ماء و لا تنبت کلأ (و لم يقبل هدى الله) بضم الهاء و فتح الدال (الذى أرسلت به) قال الطيبى عطف تفسيرى و فى الحديث اشارة الى ان الاستعدادات ليست بمکتسبة بل هى مواهب ربانية وکمالها أن تستفيض من مشکاة النبوة فلا خير فيمن يشتغل بغير الکتاب و السنة و ان الفقيه من علم و عمل قال المظهر ذکر فى تقسيم الارض ثلاثة و فى تقسيم الناس قسمين من فقه و من أبى و لم يرفع و ذلک لان القسم الاول و الثانى من الارض کقسم واحد من حيث انه منتفع به و کذلک الناس قسمان من يقبل العلم و أحکام الدين و من لم يقبلهما و أما فى الحقيقة فالناس على ثلاثة أقسام أحدها من يقبل بقدر ما يعمل به و لا يبلغ درجة الفتوى و التدريس و ثانيها من يبلغهما و ثالثها من لا يقبل العلم قال الطيبى اتفق الشارحون على الوجه الثانى و الحديث ينصر الاول فعلى هذا ذکر فى الحديث الطرفان العالى فى الاهتداء و الغالى فى الضلال و ترک قسمان من انتفع بالعلم فى نفسه و من لم ينتفع فى نفسه و لکن نفع فى غيره اه و جعل الخطابى القسمة ثنائية بجعل العلماء قسما و الجهلاء قسما و قال النووى دلالة اللفظ على کون الناس ثلاثة أنواع غير ظاهرة اه وخالفهم ابن حجر و جعل القسمة ثلاثية و أغرب حيث جعل القسم الاول أفضلها مع أن التشبيه بالارض لا يساعده ثم أخطأ فى اجتهاده حيث جعل الطبقة العليا منحصرة فى الفقهاء و جعل بقية العلماء من المحدثين و القراء و غيرهم فى الطبقة السفلى و جعلهم کالاتباع للطائفة الاولى و الصواب أن کل من فاق أقرانه فى فن من العلوم الشرعية من غير اختصاص بالفروع الفقهية فهو من الائمة المجتهدين و العلماء الراسخين الکاملين المکملين فکأنه ذهل عن قول

متفق عليه و عن عائشة قالت تلا رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات و قرأ الى و ما يذكر الا أولو الالباب قالت قال رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم فاذا رأيت و عند مسلم رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فاولئك الذين سماهم الله فاحذروهم

حجة الاسلام الغزالى ضيعت قطعة من العمر العزيز فى تصنيف البسيط و الوسيط و الوجيز لكنه كما قال تعالى قد علم كل أناس مشربهم و كل حزب بما لديهم فرحون فالاظهر كلام المظهر فى هذا المقام و الله أعلم بالمرام ثم لا يخفى ما فى التشبيه من اللطافة حيث جعل العلم الحاصل بسبب الوحى مشبها بالماء النازل من السماء ثم انه عليه‌الصلاة‌والسلام من حيث انه قاسم و واسطة فى ايصال الفيض من الحق الى الخلق مشبه بالسحاب العام لجميع العالم و قلوب العباد مشبهة بالاراضى المختلفة فالاول من تشبيه المعقول بالمحسوس و غيره من قبيل المحسوس بمثله و منه قوله تعالى و البلد الطيب يخرج نباته باذن ربه و الذى خبث لا يخرج الانكدا ثم الخبيث كانه مقتبس من قوله تعالى أنزل من السماء الآية و قد قيل على ما فى البغوى قوله أنزل من السماء ماء هذا مثل للقرآن و الاودية مثل للقلوب يريد ينزل القرآن فتحتمل منه القلوب على قدر اليقين و العقل و الشك و الجهل و قال الواسطى فاحتمل السيل زبدا رابيا رؤيتك لاعمالك فاما الزبد فيذهب جفاء عند أهل التوحيد و أما ما ينفع الناس فهو اليقين (متفق عليه و عن عائشة رضى‌الله‌عنها قالت تلا رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم هو الذى أنزل عليك الكتاب) أى القرآن (منه) أى بعضه (آيات محكمات) و هى ما أمن من احتمال التأويل كالنصوص الدالة على ذاته و صفاته (و قرأ الى وما يذكر الا أولو الباب) يحتمل الاختصار فى الذكر من عائشة أو ممن دونها و التتمة هن أى تلك الآيات أم الكتاب أى أصله و أخر أى آيات أخر متشابهات المتشابه ما بلغ فى الخفاء غايته ولايرجى معرفته كقوله يد الله فوق أيديهم فاما الذين فى قلوبهم زيغ أى ميل عن اتباع الحق الى الباطل فيتبعون ما تشابه منه أى يبحثون فيه ابتغاء الفتنة أى لطلب الفتنة يعنى ايقاع الشك و الخصومة بين المسلمين و ابتغاء تأويله لاستنباط معانيه ومايعلم تأويله الاالله المذهب الصحيح الوقف عليه و الراسخون مبتدأ أى الثابتون فى العلم أى فى علم الدين يقولون آمنا به أى بالمتشابه و وكلنا علمه الى عالمه كما قال الامام مالك لما سئل عن الاستواء الاستواء معلوم و الكيف مجهول و الايمان به واجب و السؤال عنه بدعة كل أى من المحكم و المتشابه من عند ربنا أى نزل من عنده وهو حق وصواب و حكمة وقوع المتشابه فيه اعلام للعقول بقصورها لتستسلم لبارئها و تعترف بعجزها و تسلم من الغرور والعجب و التكبر و التعزز وما يذكر أى يتعظ و ينتفع بما فيه من الموعظة الا أولو الالباب أى أصحاب العقول السليمة من علل الخواطر السقيمة (قالت قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فاذا رأيت) بفتح التاء على الخطاب العام أى أيها الرائى وحكى بالكسر على ان الخطاب لعائشة و ان كان المراد عاما (و عند مسلم رأيتم) و هو يؤيد الاول (الذين يتبعون ماتشابه منه) يحتمل أن يكون المراد بهم الذين يقتصرون على تتبع المتشابه و يحتمل الاطلاق سدا للباب (فاولئك) بفتح الكاف و قيل بالكسر (الذين سماهم الله) أهل الزيغ أو زائغين بقوله فى قلوبهم زيغ (فاحذروهم) أى لاتجالسوهم ولاتكالموهم أيها المسلمون قال الطيبى و قع فى صحيح البخارى و فى بعض نسخ المصابيح رأيت بفتح التاء على الخطاب العام و لهذا جمعه فى فاحذروهم و فى بعضها بكسر التاء على خطاب أم المؤمنين عائشة بيانا لشرفها و غزارة علمها كما يقال يا فلان افعلوا كيت و كيت لرئيس القوم اظهارا لشرفه و تقدمه و منه قوله تعالى يا أيها النبى اذا

متفق عليه و عن عبد الله بن عمرو قال هجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما قال فسمع أصوات رجلين اختلفا فى آية فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف فى وجهه الغضب فقال انما هلك من كان قبلكم باختلافهم فى الكتاب

طاقتهم النساء اه و تبعه ابن حجر و فيه أن هذا التحقيق يستدعى حضور قوم معها و يمكن ان يحمل خطاب المذكر و الجمع على تعظيمها تنزيلا لها منزلة الرجال لكمال عقلها كقوله تعالى وكانت من القانتين و الله أعلم قال النووى حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اختلاف يؤدى الى الكفر و البدعة كاختلاف اليهود و النصارى و ذلك مثل الاختلاف فى نفس القرآن أو فى معنى لا يسوغ الاجتهاد فيه أو فيما يوقع فى شك و شبهة و فتنة و خصومة و أما الاختلاف لاستنباط فروع فى الدين منه و مناظرة أهل العلم فيه على سبيل الفائدة و اظهار الحق فليس بمنهى عنه بل هو مأمور به وفضيلته ظاهرة و قد أجمع المسلمون عليه من عهد الصحابة الى الآن اه و قال ابن حجر هذا بناء على ما عليه الجمهور من الوقف على الجلالة ليفيد ان علم المتشابه على حقيقة ما هو عليه مختص بالله تعالى. ولا ينافى هذا جعل ابن عباس و الآخرين الوقف على العلم المفيد ان الراسخين فيه يعلمون تأويل المتشابه لانهم و ان علموه لم يدركوا حقيقته المرادة لله تعالى منه و انما علموه بصرف ظاهره عن الله تعالى لاستحالته بلا خلاف بين الفريقين و من ثم اتفق السلف و الخلف على تنزيه الله تعالى عن ظواهر المتشابهات المستحيلة على الله تعالى ثم اختلفوا بعد فأمسك أكثر السلف عن الخوض فى تعيين المراد من ذلك المتشابه و فوضوا علمه الى الله تعالى وهذا أسلم لان من أول لم يأمن من أن يذكر معنى غير مراد له تعالى فيقع فى ورطة التعيين و خطره و خاض أكثر الخلف فى التأويل لكن غير جازمين بأن هذا مراد الله تعالى من تلك النصوص و انما قصدوا بذلك صرف العامة عن اعتقاد ظواهر المتشابه و الرد على المبتدعة المتمسكين بأكثر تلك الظواهر الموافقة لاعتقاداتهم الباطلة و قال الشافعى لا يحل تفسير المتشابه الا بسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو خبر عن أحد من الصحابة أو اجماع العلماء (متفق عليه و عن عبد الله بن عمرو) بالواو رضى الله عنهما (قال هجرت) بالتشديد أى أتيت فى الهاجرة أى الظهيرة (الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال المظهر التهجير السير فى الهاجرة و هى وقت شدة الحر و لعل خروجه فى هذا الوقت ليدركه عليه الصلاة والسلام عند خروجه من الحجرة فلا يفوته شئ من أقواله و أفعاله و فيه حث على تحمل المشقة و الاسراع الى المسجد و طلب العلم (يوما) أى من الايام أو التنوين للتعظيم (قال) أى عبد الله (فسمع) أى النبى صلى الله عليه وسلم من حجرته (أصوات رجلين) صرح الرضى بأنه اذا أضيف الجزآن الى متضمنيهما وكان المتضمنان بلفظ واحد فلفظ الافراد فى المضاف أولى من لفظ المثنى و لفظ الجمع فيه أولى من الافراد لكن فى عد الاصوات أجزاء منهما محل نظر و الظاهر ان جمع الاصوات على حقيقته فان كل حرف من كلمات الرجلين صوت معتمد على مخرجه و فى تفسير الجلالين عند قوله تعالى فقد صغت قلوبكما أطلق قلوب على قلبين و لم يعبر به لاستثقال الجمع بين تثنيتين فيما هو كالكلمة الواحدة (اختلفا) صفة رجلين أى تنازعا و اختصما (فى آية) أى فى معنى آية متشابهة و يحتمل أن يكون اختلافهما فى لفظها اختلاف قراءة (فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف) على بناء المجهول (فى وجهه الغضب) الجملة حالية من فاعل خرج وكان عليه الصلاة والسلام لا يغضب لنفسه و انما كان يغضب لله فيشتد به ذلك الغضب حتى يرى أثره من حمرة اللون و نحوها فى وجهه الكريم (فقال انما هلك من كان قبلكم) أى من اليهود و النصارى (باختلافهم فى الكتاب) أى المنزل على

رواه مسلم وعن سعد بن أبي وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أعظم المسلمين في المسلمين جرما من سأل عن شئ لم يحرم على الناس فحرم من أجل مسئلته متفق عليه وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الاحاديث بمالم تسمعوا أنتم و لا آباؤكم

نبيهم بان قال كل واحد منهم ماشاء من تلقاء نفسه و تقدم في كلام النووي بيان الاختلاف المنهي (رواه مسلم و عن سعد بن أبي وقاص) رضي الله عنه هو من العشرة المبشرة بالجنة يكنى أبا اسحق و اسم أبي وقاص مالك بن وهيب الزهري القرشي أسلم قديما و هو ابن سبع عشرة سنة و قال كنت ثالث الاسلام و أول من رمى بسهم في سبيل الله شهد المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم و كان مجاب الدعوة مشهورا بذلك يخاف دعوته و ترجى لاشتهار اجابتها عندهم و ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه اللهم سدد سهمه وأجب دعوته و جمع له رسول الله صلى الله عليه وسلم و للزبير أبويه فقال لكل واحد منهما فداك أبي و أمي و لم يقل ذلك لاحد غيرهما مات في قصره بالعقيق قريبا من المدينة فحمل على رقاب الرجال الى المدينة و صلى عليه مروان بن الحكم و هو يومئذ والى المدينة و دفن بالبقيع سنة خمس و خمسين و له بضع و سبعون سنة و هو آخر العشرة موتا ولاه عمر و عثمان الكوفة روى عنه خلق كثير من الصحابة و التابعين (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أعظم المسلمين في المسلمين) أي في حقهم وجهتهم (جرما) تمييز أي ذنبا و ظلما كائنا فيهم قال الطيبي أصله أجرم المسلمين فعدل الى أعظم ثم فسر بجرما ليدل على أن الاعظم نفسه جرم (من سأل) أي نبيه (عن شئ) بالتنكير (لم يحرم) بصيغة المجهول من التحريم (على الناس) الجملة صفة شئ بأن يسأل هل هو حرام أم لا (فحرم من أجل مسئلته) أي فحرم ذلك الشئ لاجل سؤاله لانه متعد في سؤاله اذ أمر بالسكوت و نهى عن النطق فعوقب بتحريم ما سأل عنه كذا قاله بعض الشراح و قال الطيبي هذا في حق من سأل عبثا و تكلفا فيما لا حاجة به اليه كمسئلة بني اسرائيل في شأن البقرة دون من يسأل سؤال حاجة فانه يثاب و احتج بهذا الحديث من قال أصل الاشياء الاباحة قبل ورود الشرع حتى يقوم دليل الحظر وقال ابن الملك لانه ان سكت عليه الصلاة والسلام عن جوابه يكون ردعا لسائله و ان أجاب عنه كان تغليظا له فيكون بسببه تغليظا على غيره و انما كان أعظم جرما لتعدى جنايته الى جميع المسلمين بشؤم لجاجه و أما من سأل لاستبانة حكم واجب أو مندوب أو مباح قد خفي عليه فلا يدخل في هذا الوعيد قال تعالى فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون (متفق عليه) قيل لفظ في المسلمين ليس للبخاري و كذا لفظ على الناس (و عن أبي هريرة) رضي الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون في آخر الزمان) أي آخر زمان هذه الامة (دجالون) من الدجل و هو التلبيس جمع الدجال و هو كثير المكر و التلبيس أي الخداعون يعني سيكون جماعة يقولون للناس نحن علماء و مشايخ ندعوكم الى الدين و هم (كذابون) في ذلك (يأتونكم من الاحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم) أي يتحدثون بالاحاديث الكاذبة و يبتدعون أحكاما باطلة و اعتقادات فاسدة اه كلام المظهر و يجوز أن تحمل الاحاديث على المشهور عند المحدثين فيكون المراد بها الموضوعات و أن يراد ما بين الناس أي يحدثونكم بالذي ما سمعتم عن السلف من علم الكلام قال في شرح السنة اتفق علماء السلف من أهل السنة على النهي عن الجدال في الصفات و عن الخوض في علم الكلام و تعلمه قال مالك اياكم و البدع قيل و ما البدع قال أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله و صفاته و كلامه و علمه و قدرته ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة و التابعون و لو كان الكلام علما لتكلموا فيه

فايا كم و اياهم لايضلونكم ولا يفتنونكم رواه مسلم و عنه قال كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية و يفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لاتصدقوا أهل الكتاب و لا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله و ما أنزل الينا الآية

كما تكلموا فى الاحكام و سئل سفيان الثورى عن الكلام فقال دع الباطل اين أنت من الحق اتبع السنة ودع البدعة و قال وجدت الامر فى الاتباع و قال عليكم بما عليه الجمالون و النساء فى البيوت و الصبيان فى الكتاب من الاقرار و العمل و قال الشافعى لان يبتلى الرجل بمانهى الله عنه خلا الشرك بالله خير من أن يبتلى بالكلام و قال مرة أخرى لان ألقى الله بكل ذنب ماخلا الشرك بالله أهون من أن ألقاه بمسئلة فى علم الكلام و قال رأيى و حكمى فى أهله ان يضربوا بالجريد و يطاف بهم فى الاسواق أو فى العشائر و القبائل و يقال هذا جزاء من ترك الكتاب و السنة واشتغل بالكلام فان قلت كيف الجمع بين هذا و بين قول الامام النووى فيما سبق ان علم الكلام من البدعة الواجبة أجيب بأن الوجوب من حيث الضرورة من غلو المبتدعة و الملحدة فحينئذ وجب على المسلمين دفعهم و المحذور جعله صنعة و عادة و لهذا كان تعلم علم الكلام من فروض الكفايات كسائر الصناعات المباحة كذا ذكره الطيبى و قد ألف الامام الشيخ جلال‌الدين السيوطى رحمه الله رسالة فى تحريم المنطق و الكلام و فيها استيفاء الكلام على وجه التمام (فاياكم) أى أبعدوا أنفسكم عنهم (و اياهم) أى بعدوهم عنكم (لا يضلونكم) استئناف جواب لقائل لم نبعدهم لئلايضلوكم فحذف الجار و الناصب فعاد الفعل الى الرفع كذا ذكره بعضهم و قال الطيبى كانه قيل ماذا يكون بعد الحذر فأجيب لا يضلونكم اه قال ابن حجر نظيره قوله تعالى عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم على قراءة الرفع اه و فيه أنه ان أراد بقوله على قراءة الرفع قراءة الجمهور فهو ليس صريحا فى المقصود فانه يحتمل الرفع على أنه مستأنف و يؤيده ان قرئ لا يضركم و يحتمل الجزم على الجواب أو النهى و القياس الفتح لكنه ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة و ينصره قراءة من قرأ لايضركم بفتح الراء و ان أراد بالرفع اثبات النون فهو غير محفوظ و الله أعلم مع أنه من لغة أكلونى البراغيث أو نقول هو خبر فى معنى النهى مبالغة فيكون تأكيدا للامر بالحذر و لا يجوز أن يكون جواب الامر لوجود النون (و لا يفتنونكم) أى لا يوقعونكم فى الفتنة و هى الشرك قال تعالى و الفتنة أشد من القتل أو يراد بها عذاب الآخرة قال تعالى ذوقوا فتنتكم (رواه مسلم و عنه) أى عن أبى هريرة (قال كان أهل الكتاب) أى اليهود (يقرؤن التوراة بالعبرانية) بكسر العين (و يفسرونها) أى يترجمونها (بالعربية لاهل الاسلام) أعم ممن آمن منهم أو من غيرهم (فقال رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم لا تصدقوا) أى فيما لم يتبين لكم صدقه لاحتمال أن يكون كذبا و هو الظاهر من أحوالهم (أهل الكتاب) أى اليهود و النصارى لانهم حرفوا كتابهم (ولا تكذبوهم) أى فيما حدثوا من التوراة و الانجيل ولم يتبين لكم كذبه لاحتمال ان يكون صدقا و ان كان نادرا لان الكذوب قد يصدق و فيه اشارة الى التوقف فيما أشكل من الامور و العلوم فلا يقضى بجواز ولا بطلان و عليه السلف وكانوا يقولون لا أدرى فيما يسئلون عنه من ذلك و من ثم قالوا من أخطأ لا أدرى أصيبت مقاتله (و قولوا آمنا بالله) أى صدقناه معترفين به أو موقنين به (وما أنزل الينا) من القرآن (الآية) تمامها و ما أنزل الى ابراهيم و اسمعيل و اسحق و يعقوب و الاسباط و ما أوتى موسى و عيسى أى من التوراة و الانجيل و هذا محل الشاهد و المقصود رفع النزاع يعنى نؤمن ايمانا اجماليا وما أوتى النبيون من ربهم تعميم بعد تخصيص لا نفرق بين أحد منهم أى فى الايمان

رواه البخاری و عنه قال قال رسول اللّٰه صلی اللّٰه علیه وسلم کفی بالمرء کذبا أن یحدث بکل ما سمع رواه مسلم و عن ابن مسعود قال قال رسول اللّٰه صلی اللّٰه علیه وسلم ما من نبی بعثه الله فی أمته قبلی الا کان له فی أمته حواریون و أصحاب یأخذون بسنته و یقتدون بأمره ثم انها تخلف من بعد هم خلوف یقولون ما لا یفعلون و یفعلون ما لا یؤمرون

بهم و بکتبهم و نحن له أی لله أو لنا أنزل مسلمون أی مطیعون أو منقادون (رواه البخاری و عنه) أی عن أبی هریرة (قال قال رسول اللّٰه صلی اللّٰه علیه وسلم کفی بالمرء) مفعول کفی و الباء زائدة (کذبا) تمییز وهو بفتح الکاف و کسر الذال و یجوز کسر الکاف و سکون الذال و فی روایة اثما بدل کذبا (أن یحدث) فاعل کفی (بکل ما سمع) یعنی لولم یکن للمرء کذب الا تحدیثه بکل ما سمع من غیر تیقن أنه صدق أم کذب لکفاه من الکذب أن لا یکون بریئا منه و هذا زجر عن التحدیث بشئی لم یعلم صدقه بل علی الرجل أن یبحث فی کل ما سمع خصوصا فی أحادیث النبی صلی اللّٰه علیه وسلم و لذا ورد هذا الحدیث فی باب الاعتصام (رواه مسلم و عن ابن مسعود قال قال رسول اللّٰه صلی اللّٰه علیه وسلم ما من نبی) زیادة من لاستغراق النفی و هو یحمل علی الغالب لانه جاء فی حدیث أن نبیا یجئی یوم القیامة ولم یتبعه من أمته الا واحد (بعثه الله فی أمته) و فی نسخة أمة (قبلی) قیل علی روایة أمته بالهاء یتعلق قبلی ببعث أو یکون حالا من أمته و علی روایة فی أمة یکون قبلی صفة لامة قال التوربشتی نحن نروی من کتاب مسلم و غیره فی أمة بغیرهاء و فی بعض نسخ المصابیح بالهاء بعد التاء و الاول هو الصواب و الامثل فی فصیح الکلام قال المؤلف و قد وجدت فی کتاب الحمیدی و الجامع و المشارق بغیرهاء و فی صحیح مسلم کما فی المصابیح و قال المظهر الروایة بالهاء أصح قیل قوله نبی نکرة و المناسب أن یوتی بأمة نکرة اذ المعنی ما من نبی من الانبیاء فی أمة من الامم لاقتضاء ما النافیة و من الاستغراقیة ذلک و لان قوله (الا کان له من أمته) و فی نسخة صحیحة فی أمته عبارة عن النکرة فهو کالتعریف باللام بعد النکرة (حواریون) بتشدید الیاء و خفف فی الشواذ أی ناصرون قال الطیبی حواری الرجل صفوته و خالصته الذی أخلص و نقی من کل عیب و قیل صاحب سره سمی بذلک لخلوص نیته و صفاء طویته من الحور بفتحتین و هو شدة البیاض و قیل الحواری القصار بلغة النبط و کان أصحاب عیسی قصارین لانهم یحورون الثیاب أی یبیضونها فغلب علیهم الاسم ثم استعیر لکل من ینصر نبیا ویتبع هداه حق اتباعه تشبیها بأولئک (و أصحاب) یحتمل أن یکون عطفا تفسیریا و أن یکون الاصحاب غیر الحواریین أعم منهم (یأخذون بسنته) أی بهدیه و سیرته (و یقتدون بأمره) أی یتبعونه فی أمره و نهیه (ثم) اما علی الحقیقة فی التراخی الزمانی و اما علی معنی البعد فی المرتبة (انها) الضمیر للقصة (تخلف) بضم اللام أی تحدث (من بعد هم خلوف) بضم الخاء جمع خلف بسکون اللام مع فتح الخاء الردیء من الاعقاب أو ولد السوء کعدل و عدول قال تعالی فخلف من بعد هم خلف أضاعوا الصلاة و اتبعوا الشهوات و الخلف بفتحتین یجمع علی أخلاف کما یقال سلف و أسلاف و هو الصالح منهم (یقولون ما لا یفعلون) وصف الخلوف بانهم متصفون و متمدحون بما لیس عند هم حیث یقولون فعلنا ما أمرنا ولم یفعلوا شیأ من ذلک بل فعلوا مانهوا عنه و هو المعنی بقوله (و یفعلون ما لا یؤمرون) و هو ایماء الی قوله تعالی لا تحسبن الذین یفرحون بما أتوا و یحبون أن یحمدوا بما لم یفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب و قوله عزوجل یا أیها الذین آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون کبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون و أما السلف الصالح فانهم لما اقتدوا بسنة

فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن و من جاهدهم بلسانه فهو مؤمن و من جاهدهم بقلبه فهو مؤمن و ليس وراء ذلک من الايمان حبة خردل رواه مسلم و عن أبی هريرة قال قال رسول الله صلی الله عليه وسلم من دعا الی هدی كان له من الاجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلک من أجورهم شيأ و من دعا الی ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلک من آثامهم شيأ

سيد المرسلين وسيرة امام المتقين صلی الله عليه وسلم انخرطوا فی سلک الذين لايعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون (فمن جاهدهم) جزاء شرط محذوف أی اذا تقرر ذلک فمن حاربهم و أنكر عليهم (بيده فهو) بضم الهاء و تسكن (مؤمن) بالهمزة و يبدل (و من جاهدهم بلسانه فهو مؤمن و من جاهدهم) أی أنكر عليهم (بقلبه) بان يغضب عليهم ولو قدر لحاربهم باليد أو باللسان (فهو مؤمن) قيل التنكير فی مؤمن للتنويع فان الاول دل علی كمال الايمان و الثالث علی نقصانه و الثانی علی القصد فيه (و ليس وراء ذلک من الايمان حبة خردل) هی اسم ليس ومن الايمان صفته قدمت فصارت حالا و وراء ذلک خبره ثم ذهب المظهر الی أن ذلک اشارة الی الايمان فی المرتبة الثالثة و يحتمل أن يشاربه الی الايمان فی المراتب الثلاث من مراتب الايمان فانه ان لم ينكر بالقلب رضی بالمنكر و هو كفر فتكون هذه الجملة المصدرة بليس معطوفة علی الجملة قبلها يكمالها كذا قاله الطيبی و الاول هو الظاهر أی و راء الجهاد بالقلب يعنی من لم ينكرهم بالقلب بعد العجز عن جهادهم بيده و لسانه فلم يكن فيه حبة خردل من الايمان لان أدنی مراتب أهل الايمان أن لايستحسن المعاصی و ينكرها بقلبه فان لم يفعل ذلک فقد خرج عن دائرة الايمان و دخل فيمن استحل محارم الله و اعتقد بطلان أحكامه (رواه مسلم و عن أبی هريرة قال قال رسول الله صلی الله عليه وسلم من دعا الی هدی) قال الطيبی الهدی اما الدلالة الموصلة أو مطلق الدلالة و المراد هنا ما يهدی به من الاعمال الصالحة و هو بحسب التنكير شائع فی جنس ما يقال هدی فاعظمه هدی من دعا الی الله وعمل صالحا وأدناه هدی من دعا الی اماطة الاذی عن طريق المسلمين (كان له) أی للداعی (من الاجر مثل أجور من تبعه) فعمل بدلالته أو امتثل أمره (لا ينقص) بضم القاف (ذلک) اشارة الی مصدر كان كذا قيل و الاظهر انه راجع الی الاجر (من أجورهم شيأ) قال ابن الملک هو مفعول به أو تمييز بناء علی أن النقص يأتی لازما و متعديا اه و الظاهر أن يقال ان شيأ مفعول به أی شيأ من أجورهم أو مفعول مطلق أی شيأ من النقص (و من دعا الی ضلالة) أی من أرشد غيره الی فعل اثم و ان قل أو أمره به أو أعانه عليه (كان عليه) وفی نسخة له فاللام للاختصاص أو للمشاكلة من الاثم (مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلک من آثامهم شيأ) قال القاضی أفعال العباد و ان لم تكن موجبة للثواب و العقاب الا أن عادة الله سبحانه جرت بربطها بها ارتباط المسببات بالاسباب و فعل العبد ما له تأثير فی صدوره بوجه فكما يترتب الثواب و العقاب علی ما يباشره يترتب أيضا علی ما هو مسبب عن فعله كالاشارة اليه و الحث عليه و لما كانت الجهة التی استوجب بها المسبب الاجر غير الجهة التی استوجب بها المباشر لم ينقص أجره من أجره شيأ اه و بهذا يعلم أن له صلی الله عليه وسلم من مضاعفة الثواب بحسب تضاعف أعمال أمته مما لا يعد ولا يحد و كذا السابقون الاولون من المهاجرين و الانصار و كذا بقية السلف بالنسبة الی الخلف و كذا العلماء المجتهدون بالنسبة الی اتباعهم و به يعرف فضل المتقدمين علی المتأخرين فی كل طبقة و حين، قال ابن حجر تنبيه لو تاب الداعی للاثم و بقی العمل به فهل ينقطع اثم دلالته بتوبته لان التوبة تجب ما قبلها أولا لان شرطها رد الظلامة و الاقلاع و مادام العمل بدلالته موجودا فالفعل منسوب اليه فكأنه لم يرد ولم يقلع كل محتمل ولم أر

رواه مسلم و عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم بدأ الاسلام غريبا و سيعود كما بدأ فطوبى للغرباء رواه مسلم و عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان الايمان ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها متفق عليه و سنذكر حديث أبي هريرة ذروني ما تركتكم في كتاب المناسك و حديثي معاوية و جابر لايزال من أمتي أو لايزال طائفة من أمتي في باب ثواب هذه الامة ان شاء الله تعالى

في ذلك نقلا و المنقدح الآن الثاني اه و الاظهر الاول والا فيلزم أن نقول بعدم صحة توبته و هذا لم يقل به أحدثم رد المظالم مقيدا بالممكن و اقلاع كل شئ بحسبه حتما و أيضا استمرار ثواب الاتباع مبنى على استدامة رضا المتبوع به فاذا تاب و تدم انقطع كما أن الداعى الى الهدى ان وقع في الردى نعوذبالله منه انقطع ثواب المتابعة له و أيضا كان كثير من الكفار دعاة الى الضلالة و قبل منهم الاسلام لما أن الاسلام يجب ما قبله فالتوبة كذلك بل أقوى فان التائب من الذنب كمن لاذنب له (رواه مسلم وعنه) أى عن أبي هريرة (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم بدا الاسلام غريبا) في الازهار بدا بلاهمزة أى ظهر لكن قال النووى ضبطناه بالهمزة من الابتداء كذا نقله الابهرى و في شرح الطيبي قال محيى السنة بدا بالهمزة من الابتداء كذا ضبطناه قال التوربشتي يريد أن الاسلام لما بدأ في أول الوهلة نهض باقامته والذب عنه ناس قليلون من الصحابة فشردوهم عن البلاد فأصبحوا غرباء أو فيصبح أحدهم معتزلا مهجورا كالغرباء ثم يعود آخرا الى ما كان عليه لايكاد يوجد من القائلين به الا الافراد و هذا معنى قوله (وسيعود) أى في آخر الزمان (كما بدا) و يحتمل أن تكون المماثلة بين الحالة الاولى و الاخيرة لقلة من كانوا يتدينون به في الاول و قلة من كانوا يعملون به في الآخر (فطوبى للغرباء) المتشبثين بذيله يعني المسلمين الذين في أوله و آخره لصبرهم على الاذى و قيل المراد بالغرباء المهاجرون الذين هجروا الى الله و الاظهر أنهم هم الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعده من سنته كما ورد مفسرا في الحديث الآتي للترمذى قال الطيبي اما أن يستعار الاسلام للمسلمين و الغربة هى القرينة فيرجع معنى الوحدة و الوحشة الى نفس المسلمين و اما أن يجرى الاسلام على الحقيقة فالكلام على التشبيه والوحشة باعتبار ضعف الاسلام و قلته فعلى هذا غريبا اما حال أى بدا الاسلام مشابها للغريب أو مفعولا مطلقا أى ظهور الغرباء فريدا وحيدا لامأوى له حتى تبوأ دار الايمان أعنى طيبة فطوبى له وطاب عيشا ثم أتم‌الله نوره في المشارق و المغارب فيعود آخر الامر وحيدا شريدا الى طيبة كما بدا فطوبى له و لهفى عليه كما ورد الايمان ليأرز اه (رواه مسلم وعنه) أى عن أبي هريرة (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان الايمان ليأرز) بالكسر عند الاكثر وروى بالفتح و حكى بالضم (الى المدينة) أى يأوى و ينضم و ينقبض و يلتجئ اليها (كما تأرز الحية الى جحرها) أى ثقبها من أرزت الحية الى جحرها اذا رجعت الى ذنبها القهقرى قيل هى أشد فرارا و انضماما من غيرها فلهذا شبه بها و المراد أن أهل الايمان يفرون بايمانهم الى المدينة وقاية بها عليه أولانها وطنه الذى ظهر و قوى بها و هذا اخبار عن آخر الزمان حين يقل الاسلام و قيل هذا في زمن النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم لاجتماع الصحابة في ذلك الزمان فيها أو المراد بالمدينة جميع الشام فانها من الشام خصت بالذكر لشرفها و قيل المراد المدينة وجوانبها وحواليها ليشمل مكة فيوافق رواية الحجاز وهذا أظهر والله أعلم (متفق عليه و سنذكر حديث أبي هريرة ذروني ما تركتكم) أى الى آخره (في كتاب المناسك) متعلق بقوله سنذكر (و حديثي معاوية) بالنصب عطف على حديث أبي هريرة (و جابر) عطف على معاوية (لايزال من أمتي) أى أحدهما أوله هذا (و) الآخر (لايزال) بالياء أو التاء (طائفة من أمتي) كلاهما (في باب ثواب هذه الامة ان شاء الله تعالى) و هو اعتذار متضمن لاعتراض تأمل

* (الفصل الثانی) * عن ربیعة الجرشی قال أتی نبی الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم فقیل له لتنم عینک ولتسمع أذنک ولیعقل قلبک قال فنامت عینی وسمعت أذنای وعقل قلبی قال فقیل لی سید بنی دارا فصنع فیها مأدبة وأرسل داعیا فمن أجاب الداعی دخل الدار وأکل من المأدبة ورضی عنه السید ومن لم یجب الداعی لم یدخل الدار ولم یأکل من المأدبة وسخط علیه السید قال فالله السید ومحمد الداعی والدار الاسلام والمأدبة الجنة

* (الفصل الثانی) * (عن ربیعة) هو ابن عمرو (الجرشی) بضم الجیم وفتح الراء المهملة ناحیة من الیمن وقد سمع من النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم وذکر ابن أبی حاتم انه لیس له صحبة کذا فی الاستیعاب وذکره المصنف فی الصحابة (رضی‌الله‌عنه قال أتی) علی صیغة المجهول (نبی الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم) أی أتاه آت (فقیل له) أی النبی (لتنم عینک ولتسمع) بسکون اللام وکسرها (أذنک) بضم الذال وسکونها (ولیعقل قلبک) قال المظهر أی أتی ملک الیه وقال له ذلک ومعناه لاتنظر بعینک الی شئ ولا تصغ باذنک الی شئ ولاتجر شیأ فی قلبک أی کن حاضرا حضورا تاما لتفهم هذا المثل (قال فنامت عینی) بالافراد وفی نسخه عینای (وسمعت أذنای وعقل قلبی) یعنی فاجابه بانی قد فعلت ذلک قیل الاوامر الثلاثة واردة علی الجوارح ظاهرا وهی فی الحقیقة له علیه‌الصلاة‌والسلام بان یجمع بین هذه الخلال الثلاث نوم العین وحضور السمع والقلب وعلی هذا جوابه بقوله فنامت أی امتثلت لما أمرت به ویجوز أن لایکون ثمة قول ولا جواب کما قال تعالی ائتیا طوعا أو کرها قالتا أتینا طائعین وقال تعالی اذ قال له ربه أسلم قال اسلمت لرب العالمین الکشاف اخطر ببالک النظر فی الدلائل المؤدیة الی المعرفة والاسلام فقال أسلمت فنظر فعرف والمعنی فی الحدیث أن الله تعالی أراد أن یجمع فیه صلی‌الله علیه‌وسلم المعانی فاجتمعت فیه کذا حرره الطیبی ورده ابن حجر بانه لامانع من حمله علی ظاهره بان یرکب فی الجماد عقل ویخاطب ویکون معنی أسلم استسلم لأمری استسلاما یلیق بخلتک وجعل النوم علی حقیقته والمراد بالامر به الاخبار عنه أی أنت نائم سامع واع لان الملک انما جاءه وهو نائم فقال له ذلک أقول الاظهر ان الامر للاستمرار فی الکل قال ویؤخذ منه أن نوم الانبیاء کما لایستولی علی قلوبهم لایستولی علی أسماعهم وکان فی وجهه أن نومهم انما یستولی علی ظواهر أبدانهم ومنها العین دون اللطیفة التی تسمع لانها فی جوف الرأس فهی فی حکم الباطن کالقلب اه والاظهر أن السماع الباطنی غیر مسلوب عنه بالنوم فانه من أحوال القلب وأما السماع الظاهری فموقوف علی السماع لانه من أحکام الظاهر والله أعلم بالسرائر (قال) علیه‌الصلاة‌والسلام (فقیل لی) أی بطریق المثل من جهة الملک (سید) أی سید عظیم الشان کثیر الاحسان خبر مبتدأ محذوف یعنی هو وقوله (بنی دارا) صفته أی مثل سید بنی دارا ویجوز أن یکون مبتدأ وبنی خبره والتنوین للتعظیم أو سوغه کونه فاعلا معنی (فصنع مأدبة) بضم الدال وقیل بالفتح أی طعاما (وأرسل داعیا) یدعو الناس الی الطعام (فمن أجاب الداعی دخل الدار) بالاکرام (وأکل من المأدبة) علی وجه الانعام (ورضی عنه السید) بسبب الاجابة واللام للعهد (ومن لم یجب الداعی) تکبرا وعنادا أو جهلا واستبعادا (لم یدخل الدار) بل طرد من الباب (ولم یأکل من المأدبة) بل عذب بالحجاب (وسخط علیه السید) لیترتب علیه أنواع العذاب قیل السخط فوق الغضب والمقت فوق السخط (قال) أی النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم أو الملک والاول هو الاظهر والتقدیر ان أردت بیان هذا المثال (فالله السید) أی الباقی المرسل وفیه جواز اطلاق السید علیه تعالی (ومحمد الداعی والدار الاسلام والمأدبة الجنة) کان مقتضی ظاهر مقام التفسیر والتأویل أن یجعل المذکورات فی التمثیل کلها مبتدآت ویخبر عنها بالصفات المتمیزات ولعل

رواه الدارمی و عن أبی رافع قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم لا ألفین أحدکم متکئا علی أریکته یأتیه الامر من أمری مما أمرت به أو نهیت عنه فیقول لا أدری ماوجدنا فی کتاب‌الله اتبعناه رواه أحمد و أبو داود و الترمذی و ابن ماجه و البیهقی فی دلائل النبوة و عن المقدام

وجه تغییر الاسلوب ان الله و محمد علمان و العلم لکونه أعرف من المعرف باللام أولی بان یکون محکوما علیه و یقرب منه ما ذکره أهل المعانی فی الفرق بین زید أخوک و عمرو المنطلق و عکسهما حیث قالوا و الضابط فی التقدیم انه اذا کان للشئ صفتان من صفات التعریف و عرف السامع اتصافه باحداهما دون الاخری فایهما کان بحیث یعرف السامع اتصاف الذات به و هو کالطالب بحسب زعمک ان تحکم علیه بالاخری یجب أن تقدم اللفظ الدال علیه و تجعله مبتدأ و أیهما کان بحیث یجهل اتصاف الذات به و هو کالطالب ان تحکم بثبوته للذات أو انتفائه عنه یجب أن یؤخر اللفظ الدال علیه فتجعله خبرا فان قلت کیف شبه فی الحدیث السابق الجنة بالدار و فی هذا الحدیث الاسلام بالدار و جعل الجنة مأدبة أجیب بانه لما کان الاسلام سببا لدخولها اکتفی فی ذلک بالمسبب عن السبب ولما کانت الدعوة الی الجنة لاتتم‌الا بالدعوة الی الاسلام وضع کل منهما مقام الآخر ولما کان نعیم الجنة وبهجتها هو المطلوب الاصلی جعل الجنة نفس المأدبة مبالغة کذا حققه الطیبی قال ابن الملک و هذا یؤذن بان الاسلام أوسع من الجنة قلت هو کذلک ویشیر الیه حدیث ما وسعنی أرضی ولا سمائی ولکن یسعنی قلب عبدی المؤمن (رواه الدارمی وعن أبی رافع) مولی رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم اسمه أسلم وغلبت علیه کنیته کان قبطیا وکان للعباس فوهبه للنبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم فلما بشر النبی علیه‌السلام باسلام عباس أعتقه و کان اسلامه قبل بدر روی عنه خلق کثیر مات قبل قتل عثمان بیسیر رضی‌الله‌عنه (قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم لاألفین) بالنون المؤکدة من الالفاء أی لا أجدن (أحدکم) و هو کقولک لا أرینک ههنا نهی نفسه أن تراهم علی هذه الحالة و المراد نهیهم عن تلک الحالة علی سبیل المبالغة (متکئا) حال أو مفعول ثان (علی أریکته) أی سریره المزین بالحلل و الاثواب فی قبة أو بیت کما للعروس یعنی الذی لزم البیت وقعد عن طلب العلم قیل المراد بهذه الصفة الترفه و الدعة کما هو عادة المتکبر المتجبر القلیل الاهتمام بامر الدین (یأتیه الامر) أی الشان من شؤن الدین و قیل اللام زائدة (من أمری) بیان الامر أو معناه أمر من أمری أی الشان من شؤنی (مما أمرت به) بدل من أمری (أو نهیت عنه) عطف علیه لان الشان أعم من الامر (فیقول) مرتب علی یأتیه و الجملة کما هی حال أخری من المفعول و یکون النهی منصبا علی المجموع أی لا ألفین أحدکم و الحال انه متکیء و یأتیه الامر فیقول (لا أدری) أی لا أعلم غیر القرآن ولا أتبع غیره أو لاأدری قول الرسول (ماوجدنا) ما موصولة أو موصوفة (فی کتاب‌الله) أی القرآن (اتبعناه) یعنی وماوجدناه فی غیره لانتبعه أی وهذا الامر الذی أمر به علیه‌الصلاة‌والسلام أو نهی عنه لم نجده فی کتاب الله فلانتبعه والمعنی لایجوز الاعراض عن حدیثه علیه‌الصلاة‌والسلام لان المعرض عنه معرض عن القرآن قال تعالی وما آتاکم الرسول فخذوه ومانهاکم عنه فانتهوا و قال تعالی وما ینطق عن الهوی ان هو الاوحی یوحی و أخرج الدارمی عن یحیی بن کثیر قال کان جبریل ینزل بالسنة کما ینزل بالقرآن کذا فی الدر ثم من قال بانه علیه‌الصلاة‌والسلام کان مجتهدا ینزل اجتهاده منزلة الوحی لانه لایخطئ و اذا أخطأ ینبه علیه بخلاف غیره (رواه أحمد و أبوداود و الترمذی و ابن ماجه و البیهقی فی دلائل النبوة) الجار متعلق بالبیهقی باعتبار متعلقه المقدر (و عن المقدام) آخره میم کأوله و هو أبو کریمة علی الاشهر و هو کندی یعد فی أهل الشام و حدیثه فیهم روی عنه خلق کثیر مات بالشام

ابن معديكرب قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ألا انى أوتيت القرآن و مثله معه الا يوشک رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وماوجدتم فيه من حرام فحرموه و ان ماحرم رسول‌الله كما حرم الله

سنة سبع و ثمانين و له احدى و تسعون سنة ذكره المؤلف فى الصحابة (ابن معديكرب) بفتح الكاف و كسر الراء و أما الباء فيجوز كسرها مع التنوين على الاضافة و يجوز فتحه على البناء كذا فى تهذيب الاسماء و الثانى هو الصحيح من النسخ (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ألا) حرف تنبيه أى أنبهكم فتنبهوا (انى أوتيت) أى آتانى الله (القرآن و مثله) أى أعطيت القرآن و مثل القرآن حال كونه منضما (معه) و هو يحتمل تأويلين أحدهما انه أوتى من الوحى الباطن غير المتلو مثل ما أعطى من الظاهر و الثانى انه أوتى الكتاب وحيا و أوتى من التأويل مثله أى أذن له أن يبين فى الكتاب فيعمم و يخصص و يزيد و ينقص فيكون ذلک فى وجوب العمل ولزوم قبوله كالظاهر المتلو من القرآن يعنى أوتيت القرآن و احكاما و مواعظ و أمثالا تماثل القرآن فى كونها واجبة القبول أو فى المقدار (ألا) فى تكرير كلمة التنبيه توبيخ و تقريع نشأ من غضب عظيم على من ترك السنة و العمل بالحديث استغناء بالكتاب فكيف بمن رجح الرأى على الحديث كذا ذكره الطيبى ولذا رجح الامام الاعظم الحديث ولو ضعيفا على الرأى ولو قويا (يوشک) بكسر الشين و الفتح لغة رديئة أى يقرب (رجل شبعان) بالضم من غير تنوين قال القاضى انما وصفه بالشبع لان الحامل له على هذا القول اما البلادة وسوء الفهم و من أسبابه الشبع و كثرة الإكل و اما الحماقة و البطر و من موجباته التنعم و الغرور بالمال والجاه و الشبع يكنى به عن ذلک (على أريكته) أى متكئا أو جالسا عليها و فيه تأكيد لحماقة القائل و بطره و سوء أدبه قال الابهرى المتكئ القاعد المتقوى على وطاء متمكنا و العامة لاتعرف المتكئ الا من مال فى تعوده معتمدا على أحد شقيه اه ولا شک أن الاتکاء عام فى اللغة شامل لكلام الخاصة و العامة و المقام يخصه ولذا قال صاحب القاموس فقوله عليه‌الصلاة‌والسلام أما أنا فلا آكل متكئا أى جالسا جلوس المتمكن المتربع و نحوه من الهيئات المستدعية لكثرة الاكل بل كان جلوسه للاكل مستوفزا مقعيا غير متربع ولا متمكن وليس المراد على شق كما يظنه عوام الطلبة اه ولا يخفى ان مقامنا يقتضى الميل الى أحد الشقين الناشئ عن التكبر و فيه ايماء الى أن من كثر أكله لايقدر على استمساك نفسه و يمكن أن يكون قوله شبعان كناية عن غروره بكثرة علمه و ادعائه ان لامزيد على فضله و فيه اشارة الى أن السالک ينبغى أن يكون دائما حريصا فى طلب‌العلم كالجيعان فى طلب الرزق قال تعالى و قل رب زدنى علما و قال عليه‌الصلاة‌والسلام منهومان لايشبعان طالب العلم و طالب الدنيا و فيه دلالة على المباينة بينهما (يقول) أى لاصحابه و هو خبر يوشک (عليكم بهذا القرآن) أى الزموه و اعملوا به ولا تلتفتوا الى غيره (فما وجدتم فيه) أى فى القرآن (من حلال) بيان لما (فأحلوه) أى اعتقدوه حلالا أو احكموا بانه حلال واستعملوه (وما وجدتم فيه من حرام فحرموه) أى اجتنبوه أو انسبوه الى الحرام اعتقادا و حكما قال الخطابى ذكره ردا على ماذهب اليه الخوارج و أصحاب الظواهر فانهم تعلقوا بظواهر القرآن و تركوا السنة التى تضمنت بيان القرآن فتحيروا وضلوا (و ان) هذا ابتداء الكلام من النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم والواو للحال وفيه التفات ويحتمل أن يكون من كلام الراوى وهو بعيد (ماحرم) قال الابهرى ما موصولة معنى مفصولة لفظا أى الذى حرمه (رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم) أى فى غير القرآن (كما حرم الله) أى فى القرآن وفى الاقتصار على التحريم من غير ذكر التحليل اشارة الى ان الاصل فى الاشياء

ألا لايحل لـكم الحمار الاهلي ولا كل ذى ناب من السباع و لا لقطة معاهد الا أن يستغنى عنها صاحبها و من نزل بقوم فعليهم أن يقروه فان لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه

اباحتها و قال ابن حجر أى ما حرم و أحل رسول الله كما حرم و أحل الله و سيأتى الـكلام عليه (ألا لايحل لـكم الحمار) شروع فى بيان ما ثبت بالسنة و ليس له أثر فى الـكتاب على سبيل التمثيل لاالتحديد كذا قاله الطيبى و قوله ليس له أثر أى أثر ظاهر و الا ففى آية و الخيل و البغال و الحمير لتركبوها و زينة الاثر موجود و لـكنه خفى دقيق أدركه أبو حنيفة وكره لحم الخيل أيضا و الله أعلم (الاهلى) التخصيص بالصفة لنفى عموم الحكم لان البرى حلال (ولاكل ذى ناب من السباع) أى سباع الوحوش كالاسد و الذئب أو ذى مخلب من الطيور كما فى حديث آخر لانها من الخبائث و قد قال تعالى و يحرم عليهم الخبائث (ولا لقطة) بضم اللام و فتح القاف ما يلتقط مما ضاع من شخص بسقوط أو غفلة (معاهد) أى كافر بينه و بين المسلمين عهد بامان فى تجارة أو رسالة كذا قاله ابن الملك و فى معناه الذمى (الا أن يستغنى عنها صاحبها) أى يتركها لمن أخذها استغناء عنها بأن كانت شيأ حقيرا يعلم أن صاحبه لايطلبه كالنواة و قشر الرمان و نحوهما فيجوز الانتفاع به و هذا تخصيص بالاضافة و يثبت الحكم فى لقطة المسلم بطريق الاولى كذا قاله ابن الملك و يمكن أن يكون وجه التخصيص الاهتمام بشأن المعاهد لعهده لان النفس ربما تتساهل فى لقطته لـكونه كافرا و لانه بعيد عن المسامحة بخلاف المسلم والله أعلم قال ابن حجر و هذه يمكن أخذها من عموم قوله تعالى لها ما كسبت اذ الالتقاط اكتساب فاللقطة من الـكسب ومن ثم صرح النووى فى شرح مسلم بأن من تملك لقطة بشروطها لايحاسب عليها لانها من كسبه بخلاف الديون اه و الظاهر أنها مأخوذة من قوله تعالى أنفقوا من طيبات ما كسبتم فان قوله تعالى لها ما كسبت و عليها ما اكتسبت انما هى فى الاعمال من الطاعة و المعصية على ما عليه المفسرون من ان اللام للمنفعة و على للمضرة مع عدم ملاءمته لقوله اذ الالتقاط اكتساب و اللقطة من الـكسب (و من نزل بقوم) أخرجه من سياق المنهيات حيث لم يقل ولايحل للمضيف أن لايكرم ضيفه و ابرزه فى معرض الشرط و الجزاء دلالة على انه ليس بمحرم ولـكن خارج من سمت أهل المروأة و هدى أهل الايمان ويستأهل صاحبه أن يخذل ويستهجن فعله ويجازى بكل قبيح و المعنى من استضاف قوما (فعليهم) أى على القوم (أن يقروه) بفتح الياء و ضم الراء أى يضيفوه من قريت الضيف قرى بالـكسر و القصر و قراء بالفتح و المد اذا أحسنت اليه قال الاشرف أى سنة و استحبابا لان قرى الضيف غير واجب قطعا لحديث الاعرابى هل على غيرهن قال لا الا أن تطوع اه و قيل واجب لان كلمة على للوجوب و هو مذهب أحمد و أجاب عنه الاكثرون القائلون بندب الاضافة لقوله عليه الصلاة و السلام فى الحديث الصحيح لايحل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفس و لقوله عزوجل لاتأكلوا أموالـكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم بأن هذا الحديث محمول على المضطر فانه يجب اطعامه اجماعا و قيل هذا كان فى بدء الاسلام فانه عليه الصلاة والسلام كان يبعث الجيوش الى الغزو وكانوا يمرون فى طريقهم باحياء العرب ليس هناك سوق يشترون منه الطعام ولا معهم زاد فأوجب عليهم ضيافتهم لئلا ينقطعوا عن الغزو فلما قوى الاسلام و غلبت الشفقة و الرحمة على الناس نسخ الوجوب و بقى الجواز و الاستحباب (فان لم يقروه فله) أى للنازل (أن يعقبهم) من الاعقاب بأن يتبعهم و يجازيهم من صنيعه يقال أعقبه بطاعته اذا جازاه و روى بالتشديد و فى نسخة بفتح الياء و ضم القاف (بمثل قراه) بالكسر و القصر لا غير قال فى نهاية الجزرى أى فله

رواه أبو داود و روى الدارمى نحوه و كذا ابن ماجه الى قوله كما حرم الله و عن العرباض بن سارية قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيحسب أحدكم متكئا على أريكته يظن أن الله لم يحرم شيأ الا ما فى هذا القرآن ألا وانى و الله قد أمرت و وعظت و نهيت

أن يأخذ منهم عوضا عما جرموه من القرى يقال عقبهم مشددا و مخففا و أعقبهم اذا أخذ منهم عقبى و عقبة و هو أن يأخذ منهم بدلا عما فاته و هذا فى المضطر أو منسوخ و يؤيده حديث العرباض الآتى و ان الله لم يحل لكم الى قوله اذا أعطوكم الذى عليهم و قيل للضيف أن يأخذ من الذين نزل بهم من أهل الذمة من سكان البادية اذا وضع عليهم الامام ضيافة المسلم المار بهم بقدر ضيافته بأى وجه يقدر قهرا أو خفية و يحتمل أن الامر بأخذ مقدار القرى من مال المنزول به كان من جملة العقوبات التى نسخت بوجوب الزكاة و يرد بان النسخ لا يثبت بالاحتمال و قال ابن حجر فان قلت انما ذكر صلى الله عليه وسلم ماحرمه فأين ما أحله قلت قد ذكره أيضا بالنص حيث قال الا أن يستغنى عنها صاحبها و قال فله أن يعقبهم الخ و عجيب من الطيبى حيث استشكل ذلك ثم أجاب عنه بما لايدفعه مع ما فيه من النظر و هو أن الاصل فى الاشياء الاباحة الا ما خصه الدليل لقوله تعالى خلق لكم مافى الارض جميعا فخصت منها أشياء بنص التنزيل و بقى ماعداها فى معرض التحليل و خص منها بنص الحديث بعض فبقى سائرها على أصل الاباحة فكأنه عليه الصلاة والسلام نص على تحليلها فلا يزيد ولا ينقص اه و كلام الطيبى كالمسك لان الاستثناء لا يدل على التحليل الابتدائى نصا بل فيه اشارة الى علة التحريم فى المستثنى منه و هو احتياج الناس الى ما فى أيديهم و أما قوله فله أن يعقبهم تفريع على مخالفتهم فى قبول الامر الواجب و مجازاة لهم بل فى الحقيقة اجازة لان يأخذ حقه بيد القوة منهم فأين هذا من التحليل الذى هو جعل الشى الحرام حلالا مع أن الجمهور على أن هذا مختص بالمضطر فيكون من باب الاباحة المعلوم من قوله تعالى الا ما اضطررتم اليه فكيف يقال انه تحليل مختص بالحديث مع نصه فى الكتاب القديم (رواه أبو داؤد) والترمذى بهذا اللفظ (و روى الدارمى نحوه) بالمعنى (و كذا) روى نحوه (ابن ماجه) لكن (الى قوله كما حرم الله وعن العرباض) بكسر العين و هو من أصحاب الصفة البكائين المشتاقين الى الله تعالى يقول فى دعائه كبرت سنى و وهن عظمى فاقبضنى اليك (ابن سارية) يكنى أبا نجيح بفتح النون و كسر الجيم و بالحاء المهملة سكن الشام و مات بها سنة خمس و سبعين روى عنه أبو امامة و جماعة من التابعين و مروياته أحد و ثلاثون حديثا (قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى خطيبا أو خطب (فقال أيحسب) بكسر السين و فتحها أى أيظن (أحدكم) حال كونه (متكئا على أريكته يظن) قال الاشرف بدل من يحسب بدل الفعل من الفعل أى للبيان و التفسير و قال الطيبى و يجوز أن يكون التكرار للتأكيد كما فى قوله تعالى لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا الى قوله فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب (ان الله لم يحرم شيأ الا ما فى هذا القرآن) أى العظيم الشان الكثير البيان (ألا) للتنبيه (و انى) الواو للحال (والله قد أمرت و وعظت و نهيت) فيه ثلاث تأكيدات قال الطيبى الواو هنا بمنزلة الواو فى و انما فى الحديث السابق لان الهمزة للانكار أى همزة أيحسب و وهم ابن حجر حيث قال فالهمزة فى أيحسب للانكار و كذا فى ألا و حرف التنبيه مقحم الخ مع مناقضته لقوله السابق من أن ألا للتنبيه مركبة من همزة الاستفهام و لا النافية تفيد تحقق ما بعدها و من ثم صدرت بما يصدر به جواب القسم و مثلها أما اه و وقع فى أما فيما تقدم كما وقع هنا فى ألا نعم أصل هذه الهمزة للانكار لانها اذا دخلت على النفى أفادت التحقيق على ما صرح به

عن أشياء انها لمثل القرآن أو أكثر و ان الله لم يحل لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب الا باذن ولاضرب نسائهم و لا أكل ثمارهم اذا أعطوكم الذى عليهم رواه

صاحب القاموس لكنها غير قابلة للانفصال فتأمل فانه مزلة للرجال و المعنى أيحسب أحدكم ان الله تعالى حصر المحرمات فى القرآن أو الحال انى قد جرمت فاقحم حرف التنبيه المتضمن للانكار بين الحال و عاملها كما أقحم حرف الانكار بين المبتدأ و الخبر فى قوله تعالى أفمن حق عليه كلمة العذاب أفانت تنقذ من فى النار جاءت الهمزة مؤكدة معادة بين المبتدأ المتضمن للشرط و بين الخبر ذكره الزجاج (عن أشياء) متعلق بالنهى فحسب و متعلق الامر و الموعظة محذوف أى باشياء (انها) أى الاشياء المامورة و المنهية على لسانى بالوحى الخفى قال تعالى و ما ينطق عن الهوى ان هو الاوحى يوحى (لمثل القرآن) فى المقدار (أو أكثر) أى بل أكثر قال المظهر أو فى قوله أو أكثر ليس للشك بل انه عليه الصلاة والسلام لا يزال يزداد علما طورا بعد طور و الهاما من قبل الله و مكاشفة لحظة فلحظة فكوشف له أن ما أوتى من الاحكام غير القرآن مثله ثم كوشف له بالزيادة متصلا به ذكره الابهرى و فيه تأمل و قد يستشكل هذا بقوله تعالى و نزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ بناء على بقائه على عمومه أى فيما يحتاج اليه فى الدين و يجاب بان نسبة هذا اليه صلى الله عليه وسلم انما هو لكونه الذى استنبطه و استخرجه من القرآن و لذا قال الشافعى كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن ثم أخرج ما يؤيده و هو قوله صلى الله عليه وسلم انى لا أحل الا ما أحل الله فى كتابه و لا أحرم الا ما حرم الله فى كتابه و قال جميع ما تقوله الائمة شرح للسنة و جميع السنة شرح للقرآن و قال ما نزل باحد من الدين نازلة الا وهى فى كتاب الله تعالى و أخرج ابن أبى حاتم عن ابن مسعود اذا حدثتكم بحديث أنبأتكم بتصديقه من كتاب الله و عن ابن جبير ما بلغنى حديث على وجهه الا وجدت مصداقه فى كتاب الله تعالى (و ان الله لم يحل لكم) من الاحلال (أن تدخلوا بيوت) بكسر الباء وضمها (أهل الكتاب) يعنى أهل الذمة الذين قبلوا الجزية (الا باذن) كذا فى أصل السيد جمال الدين و ليس فيه غيره و فى بعض النسخ المصححة الا باذنهم أى الا أن يأذنوالكم بالطوع و الرغبة كما لا يحل لكم أن تدخلوا بيوت المسلمين بغير اذنهم (و لاضرب نسائهم) يريد الضرب المعروف بالخشب يعنى لايجوز أن تضربوا نساءهم و تأخذوا طعاما أو غيره منهن بالقهر و قيل الضرب كناية عن الجماع يعنى لا تظنوا أن نساءهم محللات لكم كنساء أهل الحرب (و لا أكل ثمارهم) أى بالقهر من بساتينهم فضلا عن بقية أموالهم (اذا أعطوكم الذى عليهم) أى من الجزية و الحاصل عدم التعرض لهم بايذائهم فى المسكن و الاهل و المال اذا أعطوا الجزية و اذا أبوا عنها انتقضت ذمتهم وحل دمهم و مالهم و نساؤهم و صاروا كاهل الحرب فى قول صحيح كذا ذكره ابن الملك قال الطيبى و انما وضع قوله الذى عليهم موضع الجزية ليوذن بفخامة العلة و بأن عدم التعرض معلل باداء ما عليهم و لو صرح بها لم يفخم اه و الاظهر أن الذى عليهم أعم من الجزية فان من جملة ما عليهم أن لا يحدثوا بيعة و لا كنيسة فى دارنا و أن يتميزوا فى زيهم و مركبهم و سرجهم و سلاحهم فلا يركبوا خيلا ولا يلبسوا ما يخص أهل العلم و الزهد و الشرف و يركبوا على سرج كالاكاف و غيرها مما هو مقرر فى كتب الفقه فلا وجه لتخصيص الذى عليهم بالجزية فقط كما لايخفى غايته أنه وضع اعطوا موضع فعلوا تغليبا لجانب الجزية فانها معظم ما عليهم (رواه) كذا فى أصل المشكاة بعد قوله رواه و سببه تقدم فى الخطبة فالحقه ميرك شاه فى هذا المحل و قال رواه أبو داؤد و فى اسناده أشعث بن شعبة المصيصى تكلم فيه اه

و عنه قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون و وجلت منها القلوب فقال رجل يارسول الله كان هذه موعظة مودع فاوصنا فقال أوصيكم بتقوى الله و السمع و الطاعة و ان كان عبدا حبشيا

و هو بكسر الميم و تشديد المهملة الاولى نسبة الى بلد بالشام (و عنه) أيّ عن العرباض (قال صلى بنا) أى اماما لنا (رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم) أقحم ذات لدفع المجاز أى نهارا (ثم أقبل علينا بوجهه) تأكيد (فوعظنا) بفتح الظاء أى نصحنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (موعظة) و هى ما يوعظ به (بليغة) أى تامة فى الانذار قال السيد جمال الدين أى وجيزة اللفظ كثيرة المعنى أو بالغ فيها بالانذار و التخويف اه و قال التوربشتى أى بالغ فيها الانذار و التخويف كقوله تعالى و قل لهم فى أنفسهم قولا بليغا و ليس المراد وجازة اللفظ و كثرة المعنى مع البيان كما قاله القاضى لان قوله ذرفت منها العيون يدل عليه اه و فيه أنه لا يلزم من ارادة وجازة اللفظ عدم افادة الانذار الذى سبب البكاء و الله أعلم (ذرفت) بفتح الراء أى دمعت (منها العيون) أى سالت من موعظته دموع العيون بضم العين و كسرها كقوله تعالى ترى أعينهم تفيض من الدمع (و وجلت) بكسر الجيم و الوجل خوف مع الحذر أى خافت (منها القلوب) لتأثيرها فى النفوس و استيلاء سلطان الخشية على القلوب قال الطيبى ذرفت أى سالت و اسناده الى العيون مبالغة و فائدة تقديم ذرفت على وجلت و حقه التأخير للاشعار بأن تلك الموعظة أثرت فيهم و أخذت بمجامعهم ظاهرا و باطنا اه و تبعه ابن حجر و لا يخفى أن العلة المذكورة انما هى للجمع بينهما لا للتأخير و يمكن أن يقال وجهه أن الظاهر عنوان الباطن و يستدل بالدمعة على الخشية و ان كانت هى موجبة للدمعة و الله أعلم (فقال رجل) و فى الاربعين قلنا (يا رسول الله كان) بالتشديد (هذه) أى هذه الموعظة و فى الاربعين كانها (موعظة مودع) بالاضافة فان المودع بكسر الدال عند الوداع لا يترك شيأ مما يهم المودع بفتح الدال أى كانك تودعنا بها لما رأى من مبالغته عليه الصلاة والسلام فى الموعظة و يمكن أن يقال لما رأى تأثيرا عجيبا من موعظته فى الظاهر و الباطن بحيث أدى الى البكاء فشبه موعظته بموعظة المودع من حيث التأثير و البكاء أو لكمال التأثير توهموا أنه يعقبه الزوال و الله أعلم بحقيقة الحال (فاوصنا) أى اذا كان الامر كذلك فمرنا بما فيه كمال صلاحنا و ارشادنا فى معاشنا و معادنا بعد وفاتك (فقال أوصيكم بتقوى الله) أى بمخافته و الحذر من معصيته قال تعالى و لقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم و اياكم أن اتقوا الله أى باقسامها الثلاثة و هى تقوى الشرك و المعصية و تقوى ما سوا الله و هذا من جوامع الكلم لان التقوى امتثال المأمورات و اجتناب المنهيات و هى زاد الآخرة تنجيكم من العذاب الابدى و تبلغكم الى دار السرور و توجب الوصول الى عتبة الجلال و القدس و النور

اذا أنت لم ترحل بزاد من التقى * و لاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لاتكون كمثله * و انك لم ترصد كما كان أرصدا

وهذا فيما بينهم و بين الله (و السمع) أى و بسمع كلام الخليفة و الائمة (و الطاعة) لمن يلى أمركم من الامراء ما لم يأمروا بمعصية عادلا كان أو جائرا و الا فلا سمع و لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق لكن لا يجوز محاربته (و ان كان) أى المطاع يعنى من ولاه الامام عليكم (عبدا حبشيا) فاطيعوه و لا تنظروا الى نسبه بل اتبعوه على حسبه و لفظ الاربعين و ان تأمر عليكم عبد أى صار أميرا أدنى الخلق فلاتستنكفوا عن طاعته أو ولو استولى عليكم عبد حبشى فاطيعوه مخافة اثارة الفتن فعليكم

بالصبر و المداراة حتى يأتى أمر الله و قيل هذا وارد على سبيل الحث و المبالغة على طاعة الحكام لا التحقيق كما قال عليه الصلاة والسلام من بنى لله مسجدا و لو مثل مفحص قطاة بنى الله له بيتا فى الجنة وقيل ذكر على سبيل المثل اذ لا تصح خلافته لقوله عليه الصلاة والسلام الائمة من قريش قلت لكن تصح امارته مطلقا وكذا خلافته تسلطا كما هو فى زماننا فى جميع البلدان وكأن ذكر الحبشى لكونه الغالب فى ذلك الزمن و الا فغيره كالزنجى أخس منه فكان أنسب بالغاية أو المراد بالحبشى العبد الاسود فيشمل الزنجى و الهندى ثم التركى يعلم بالاولى (فانه) أى الشان و فى الاربعين و انه بالواو (من يعش) بالجزم و فى الاربعين بالرفع (منكم بعدى) قال الطيبى الفاء السببية جعل ما بعدها سببا لما قبلها يعنى من قبل وصيتى و التزم تقوى الله و قبل طاعة من ولى عليه و لم يهيج الفتن أمن بعدى مما يرى من الاختلاف الكثير و تشعب الآراء ووقوع الفتن اه و كتب السيد جمال الدين تحته و فيه و ما زاد عليه و وجه نظره ظاهر من وجهين أحدهما عدم ظهور وجه السببية و ثانيهما عدم وجود الانسبية بل الفاء للتفريع و المعنى الزموا ما قلت لكم فانه من يعش منكم بعدى لا مخاص له الا نصيحتى (فسيرى اختلافا كثيرا) أى من ملل كثير كل يدعى اعتقادا غير اعتقاد الآخر اشارة الى ظهور أهل البدع و الاهواء أو اختلافا على الملك و غيره كثيرا يؤدى الى الفتن و ظهور المعاصى و ولاية الاخساء حتى الغبيد (فعليكم بسنتى) اسم فعل بمعنى الزموا أى بطريقتى الثابتة عنى واجبا أو مندوبا (و سنة الخلفاء الراشدين) فانهم لم يعملوا الا بسنتى فالاضافة اليهم اما لعملهم بها أو لاستنباطهم و اختيارهم اياها (المهديين) أى الذين هداهم الله الى الحق قيل هم الخلفاء الاربعة أبو بكر و عمر و عثمان و على رضى الله عنهم لانه عليه الصلاة والسلام قال الخلافة بعدى ثلاثون سنة و قد انتهى بخلافة على كرم الله وجهه قال بعض المحققين و وصف الراشدين بالمهديين لانه اذا لم يكن مهتديا فى نفسه لم يصلح أن يكون هاديا لغيره لانه يوقع الخلق فى الضلالة من حيث لايشعروهم الصديق و الفاروق و ذوالنورين و أبو تراب على المرتضى رضى الله عنهم أجمعين لانهم لما كانوا أفضل الصحابة و واظبوا على استمطار الرحمة من الصحابة النبوية وخصهم الله بالمراتب العلية و المناقب السنية و وطنوا أنفسهم على مشاق الاسفار و مجاهدة القتال مع الكفار أنعم الله عليهم بمنصب الخلافة العظمى و التصدى الى الرياسة الكبرى لاشاعة أحكام الدين و اعلاء أعلام الشرع المتين رفعالدرجاتهم و ازديادا لمثوباتهم فخلف الصديق باجماع الصحابة سنتين و ثلاثة أشهر و عشرة أيام لحلمه و وقاره و سلامة نفسه ولين جانبه والناس متحيرون و الامر غير ثابت فحمى بيضة الدين و دفع غوائل المرتدين و جمع القرآن و فتح بعض البلدان ثم استخلف الفاروق لان الامر مستقر و القوم مطيع و الفتن ساكنة فرفع رايات الاسلام فى مشارق الارض ومغاربها وفتح أكثر أقاليم الارض لانه كان فى غاية الصلابة و كمال الشهامة و متانة الرأى و حسن التدبير و خلافته عشر سنين و ستة أشهر و عشر ليال ثم بويع لعثمان لشوكة أقاربه و بسط أيدى بنى أمية فى حكومة الاطراف زمن عمر فلو نصب غيره لوقع الخلاف فاظهر فى مدة اثنتى عشرة سنة مساعى جميلة فى الاسلام و جمع الناس على مصحف واحد بعد ما كانوا يقرؤن بقراآت مختلفة على حسب السماع و بعث به الى الآفاق ولذا نسب المصحف اليه وجعل اماما ثم بويع بعده لعلى المرتضى لانه أفضل الصحابة بعدهم و سيد بنى هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو لم تقع الخلافة على الترتيب المذكور لحرم واحد من ذلك المنصب المشكور و لايخفى

تمسكوا بها و عضوا عليها بالنواجذ و اياكم و محدثات الامور فان كل محدثة بدعة و كل بدعة ضلالة رواه أحمد و أبو داود و الترمذى و ابن ماجه الا أنهما لم يذكرا الصلاة و عن عبدالله بن مسعود قال خط لنا رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم خطا ثم قال هذا سبيل الله

ان هذا من جملة معجزاته عليه‌الصلاة‌والسلام الدال على صدق نبوته لانه استبد بذكر هذا الغيب وقال الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا عضوضا و وقع كما قال قال التوربشتى و أما ذكر سنتهم فى مقابلة سنته لانه علم أنهم لايخطئون فيما يستخرجون من سنته أو أن بعضها ما اشتهر الا فى زمانهم و ليس المراد انتفاء الخلافة عن غيرهم حتى ينافى قوله عليه‌الصلاة‌والسلام يكون فى أمتى اثنا عشر خليفة بل المراد تصويب رأيهم و تفخيم أمرهم وقيل هم ومن على سيرتهم من أئمة الاسلام المجتهدين فى الاحكام فانهم خلفاء الرسول عليه‌الصلاة‌والسلام فى احياء الحق و ارشاد الخلق و اعلاء الدين وكلمة الاسلام (تمسكوا بها) أى بالسنة (و عضوا) بفتح العين (عليها) أى على السنة (بالنواجذ) جمع ناجذة بالذال المعجمة و هى الضرس الاخير و قيل هو مرادف السن و قيل هو الناب قال الماوردى اذا تكاملت الاسنان فهى ثنتان و ثلاثون منها أربعة ثنايا و هى أوائل ما يبدو للناظر من مقدم الفم ثم أربع رباعيات ثم أربع أنياب ثم أربع ضواحك ثم اثنا عشر أضراس و هى الطواحن ثم أربع نواجذ و هى أواخر الاسنان كذا نقله الابهرى والصحيح أن الاضراس عشرون شاملة للضواحك والطواحن والنواجذ و الله أعلم و العض كناية عن شدة ملازمة السنة و التمسك بها فان من أراد أن يأخذ شيأ أخذا شديدا يأخذه بأسنانه أو المحافظة على هذه الوصية بالصبر على مقاساة الشدائد كمن أصابه ألم لايريد أن يظهره فيشتد بأسنانه بعضها على بعض قال بعض المحققين هذه استعارة تمثيلية شبه حال المتمسك بالسنة المحمدية بجميع ما يمكن من الاسباب المعينة عليه بحال من يتمسك بشئ بيديه ثم يستعين عليه بأسنانه استظهارا للمحافظة فى ذلك لان تحصيل السعادات الحقيقية بعد مجانبة كل صاحب يفسد الوقت و كل سبب يفتن القلب منوط باتباع السنة بأن يمتثل الامر على مشاهدة الاخلاص و يعظم النهى على مشاهدة الخوف بل باقتفاء آثار الرسول صلى‌الله‌عليه‌وسلم فى جميع موارده و مصادره وحركاته و سكناته و يقظته و منامه حتى يلجم النفس بلجام الشريعة و يتجلى فى القلب حقائق الحقيقة بتصقيله من مفاخ الاخلاق و تنويره بأنوار الذكر و المعرفة و الوفاق و تعديله باجراء جميع حركات الجوارح على قانون العدل حتى يحدث فيه هيئة عادلة مسنونة من آثار الفضل يستعد لقبول المعارف و الحقائق و يصلح أن ينفخ فيه روح الله المخصوص بسلاك أحسن الطرائق هذا و قيل تمسكوا و عضوا فعلا ماض صفتان للخلفاء (و اياكم و محدثات الامور) عطف على قوله فعليكم للتقرير و التوكيد أى احذروا عن الامور التى أحدثت على خلاف أصل من أصول الدين و اتقوا احداثها (فان كل محدثة بدعة) أى فى الشريعة (و كل بدعة) بنصب كل و قيل برفعه (ضلالة) الا ما خص و قد تقدم (رواه أحمد و أبو داود و الترمذى) و قال حديث حسن صحيح (و ابن ماجه الا أنهما) أى الترمذى و ابن ماجه (لم يذكرا الصلاة) أى لم يوردا أول الحديث و هو قول العرباض صلى بنا رسول‌الله بل قالا وعظنا كما فى المصابيح فانه افتتح بقوله وعظنا رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم (و عن عبدالله بن مسعود قال خط لنا) أى لاجلنا تعليما و تفهيما و تقريبا لان التمثيل يجعل المقصود من المعنى كالمحسوس من المشاهد فى المبنى (رسول‌الله صلى‌الله‌عليه وسلم خطا) أى مستويا مستقيما (ثم قال هذا سبيل الله) أى هذا الرأى القويم و الصراط المستقيم و هما الاعتقاد الحق و العمل الصالح و هذا الخط لما كان مثالا سماه سبيل الله كذا قاله ابن الملك و الاظهر

ثم خط خطوطا عن يمينه و عن شماله و قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه و قرأ و ان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه الآية رواه أحمد و النسائى و الدارمى و عن عبدالله بن عمرو قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به

ان المشار اليه بهذا هو الخط المستوى و التقدير هذا مثل سبيل الله أو هذا سبيل الله مثلا و قيل تشبيه بليغ معكوس أى سبيل الله الذى هو عليه و أصحابه مثل الخط فى كونه على غاية الاستقامة (ثم خط خطوطا) أى سبعة صغارا منحرفة (عن يمينه) أى عن يمين الخط المستوى (وعن شماله) كذلك (و قال هذه) أى الخطوط (سبل) أى غير سبيل الله أو سبيل للشيطان لقوله (على كل سبيل) أى رأسه (منها) أى من السبل (شيطان) من الشياطين (يدعو) ذلك الشيطان الناس (اليه) أى الى سبيل من السبل و فيه اشارة الى أن سبيل الله وسط ليس فيه تفريط ولا افراط بل فيه التوحيد والاستقامة ومراعاة الجانبين فى الجادة وسبل أهل البدع مائلة الى الجوانب و فيها تقصير و غلو و ميل وانحراف و تعدد و اختلاف كالقدرية و الجبرية و الخوارج و الروافض و المعطلة و المشبهة (و قرأ) أى رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم كما هو الظاهر و يحتمل أن يرجع الضمير الى ابن مسعود حكاية عن قول الله تعالى (و ان هذا) بالفتح و التشديد و تقريره واتل عليهم أو يقدر اللام و بالكسر استئناف و بالفتح و التخفيف على ان فيه ضمير القصة و هذا رفع و قوله (صراطى) خبر و هو بسكون الياء و فتحها (مستقيما) نصب على الحال و العامل فيه معنى التنبيه أو الاشارة (فاتبعوه) أى صراطى و سبيلى (الآية) بعدها ولاتتبعوا السبل أى سبل الشياطين المنحرفة الزائغة المتشعبة من طرق الشرك و البدعة التى أشار اليها صلى‌الله‌عليه‌وسلم بقوله ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار الا التى على ما كنت عليه أنا و أصحابى و بهذا الحديث يندفع زعم كل فريق انه على الصراط المستقيم فتفرق بكم بحذف احدى التاءين عن سبيله اشارة الى انه لايمكن اجتماع سبيل الحق مع السبل الباطلة ذلكم وصاكم أى الله به لعلكم تتقون أى لكى تتقوه أى عذابه أو مخالفته أو سبل غيره (رواه أحمد و النسائى و الدارمى وعن عبدالله بن عمرو) بالواو رضى‌الله‌عنهما (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه) أى ميل نفسه سمى به لانه يهوى صاحبه فى الدنيا الى الداهية و فى الآخرة الى الهاوية فكأنه من هوى يهوى هوى اذا سقط (تبعالما جئت به) يجوز أن يحمل هذا على نفى أصل الايمان أى حتى يكون تابعا مقتديا لما جئت به من الشرع عن اعتقاد لا عن اكراه و خوف سيف كالمنافقين و قيل المراد نفى الكمال أى لايكمل ايمان أحدكم حتى يكون ميل نفسه أى ما تشتهيه تبعا لما جئت به من الاحكام الشرعية فان وافقها هواه اشتغل بها لشرعيتها لا لانها هوى و ان خالفها اجتنب هواه فحينئذ يكون مؤمنا كاملا قال بعض العارفين أى حتى يكون هواه الذى من أصل صفاته النفسانية بل المعبود الباطل المطاع والمحبوب الاتباع تبعا لما جئت به من السنة الزهراء و الملة النقية البيضاء حتى تصير همومه المختلفة و خواطره المتفرقة التى تنبعث عن هوى النفس و ميل الطبع هما واحدا يتعلق بأمر ربه و اتباع شرعه تعظيما له و شفقة على خلقه كما قال الشاعر

كانت لقلبى أهواء مفرقة * فاستجمعت اذ رأتك العين أهواى
و صار يحسدنى من كنت أحسده * وصرت مولى الورى اذصرت مولاى
تركت للخلق دنياهم و دينهم * شغلا بحبك يا دينى و دنياى

فلا يميل الا بحكم الدين ولا يهوى الا بأمر الشرع فهو المؤمن الفريد الكامل الوحيد الذى يقبل منه

رواه فى شرح السنة و قال النووى فى أربعينه هذا حديث صحيح رويناه فى كتاب الحجة باسناد صحيح
وعن بلال بن الحُرث المزنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحيا سنة من سنتى قد أميتت بعدى فان
له من الاجر مثل اجور من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيأ

التوحيد و من أعرض عنه متبعا لما هواه مبتغيا لمرضاه فهو الكافر الخاسر فى دنياه و عقباه و من اتبع أصول الشريعة دون فروعها فهو الفاسق و من عكس فهو المنافق و الهوى مصدر هَوِيَه أحبه و شرعا ميل النفس الى خلاف ما يقتضيه الشرع و أما اذا وافق الهوى الهدى فهو كالزبدة على العسل و نور على نور و سرور على سرور قال تعالى و من أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله فان قلت ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم نور و ضياء و الهوى ظلمة فى النفس انبعثت من الطبيعة الترابية فكيف يصير الهوى الظلمانى تبعا للدين النورانى فالجواب ان النفس لطيفة فى الجسد تولدت من ازدواج الروح و البدن واتصالهما و الروح لطيف روحانى و الجسد كثيف ظلمانى و النفس متوسطة بينهما تقبل اللطافة الروحانية و الكثافة الجسمانية و هذا هو التسوية التى قال الله تعالى و نفس وما سواها باستقامة الروح الروحانى فى الروح الحيوانى بمثابة النور فى الحدقة فصارت النفس بها قابلة للخير و الشر و الفجور و التقوى فاذا غلب الامر بالتقوى صارت مزكاة عن الكدورات متوجهة الى الدين قابلة لليقين و اذا غلب الامر بالفجور صارت تابعة للهوى سالكة مسالك الردى

نون الهوان من الهوى مسروقة * فصريع كل هوى صريع هوان

قال الراغب مثل النفس فى البدن كمجاهد بعث الى ثغر يراعى أحواله وعقله خليفة مولاه ضم اليه ليرشده و يشهد له و عليه اذا عاد و بدنه بمنزلة مركوبه و هواه و شهوته سائس خبيث ضم اليه ليفقد مركوبه و القرآن بمنزلة كتاب أتاه عن مولاه تبيانا لكل شئ و هدى و رحمة و النبى رسول أتاه بالكتاب المبين ليبين للناس ما نزل اليهم فان جاهد أعداءه و قهرهم و استعان بالعقل و سلطه حمد اذا عاد الى حضرته و هو من المفلحين و من ضيع ثغره و أهمل رعيته و صرف همه الى تفقد مركوبه و أقام سائس المركوب بمقام خليفة ربه فهو فى الآخرة من الخاسرين (رواه) أى البغوى (فى شرح السنة) أى باسناده (و قال النووى) بالقصر و يجوز مده (فى أربعينه) أى الاربعين حديثا الذى صنفه (هذا حديث صحيح رويناه) بصيغة المعلوم و قيل مجهول (فى كتاب الحجة) أى فى اتباع المحجة اسم كتاب لابى القاسم اسمعيل ابن محمد بن الفضل الاصفهانى التيمى (باسناد صحيح و عن بلال بن الحرث) و فى نسخة حارث (المزنى) أبو عبدالرحمن مدنى سكن بالاستعرى وراء المدينة روى عنه ابنه الحرث و علقمة بن الوقاص مات سنة ستين و له ثمانون سنة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحيا سنة) أى من أظهرها و أشاعها بالقول أو العمل (من سنتى) قال الاشرف ظاهر النظم يقتضى ان يقال من سننى لكن الرواية بصيغة الافراد اه فيكون المراد بها الجنس أى طريقة من الطرق المنسوبة الى واجبة أو مندوبة أخذت عن بنص أو استنباط كما أفاده اضافة سنة الى الضمير المقتضية للعموم (قد أميتت بعدى) قال ابن الملك أى تركت تلك السنة عن العمل بها يعنى من أحياها من بعدى بالعمل بها أو حث الغير على العمل بها (فان له من الاجر) أى الثواب الكامل (مثل أجور من عمل بها) قال ابن الملك يشمل باطلاقه العمال قبل الاحياء و بعده و فيه أن شموله لما قبل الاحياء فى غاية من البعد (من غير أن ينقص) متعد و يحتمل اللزوم (من أجورهم) من للتبعيض أى من أجور من عمل بها فأفرد أولا رعاية للفظه و جمع ثانيا لمعناه (شيأ) مفعول به أو مفعول مطلق لانه حصل له باعتبار الدلالة و الاحياء و الحث و للعاملين

و من ابتدع بدعة ضلالة لايرضاها الله و رسوله كان عليه من الاثم مثل آثام من عمل بها لاينقص ذلك من أوزارهم شيأ رواه الترمذى و رواه ابن ماجه عن كثير بن عبدالله بن عمرو عن أبيه عن جده و عن عمرو بن عوف قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدين ليأرز الى الحجاز كما تأرز الحية الى جحرها و ليعقلن الدين من الحجاز معقل الاروية من رأس الجبل

باعتبار الفعل فلم يتواردا على محل واحد حتى يتوهم أن حصول أحدهما ينقص الآخر (و من ابتدع بدعة ضلالة) يروى بالاضافة و يجوز أن ينصب نعتا و منعوتا و هى ما أنكره أئمة المسلمين كالبناء على القبور و تجصيصها و قيد البدعة بالضلالة لاخراج البدعة الحسنة كالمنارة كذا ذكره ابن الملك (لايرضاها الله و رسوله) صفة كاشفة للضلالة أو احترازية للبدعة (كان عليه من الاثم) أى الوزر (مثل آثام من عمل بها لاينقص ذلك) أى ذلك الاثم (من أوزارهم شيأ) مفعول به لا غير و حكمة ذلك أن من كان سببا فى ايجاد شئى صحت نسبة ذلك الشئى اليه على الدوام و بدوام نسبته اليه يضاعف ثوابه و عقابه لانه الاصل فيه (رواه الترمذى) أى عن بلال (و رواه ابن ماجه عن كثير بن عبدالله بن عمرو) أى ابن عوف مزنى مدنى روى عن أبيه و غيره واتفقوا على ضعفه حتى قال الشافعى هو أحد الكذابين (عن أبيه عن جده) أى جد كثير و هو عمرو بن عوف كان قديم الاسلام و هو ممن نزل فيه تولوا و أعينهم تفيض من الدمع روى عنه ابنه عبدالله كذا ذكره المصنف قال الطيبى الشارحون فى أكثر نسخ المصابيح رواه زيد بن ملحة عن أبيه عن جده و هو غلط لان زيد بن ملحة جد عمرو بن عوف كذا فى التهذيب وعده المصنف فى التابعين وقال ابن حبان له عن أبيه عن جده نسخة موضوعة و أما الترمذى فروى عن حديثه الصلح جائز بين المسلمين و صححه فلذا لايعتمد العلماء على تصحيحه كذا فى ميزان الاعتدال و الصواب ان راوى هذا الحديث كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده فان زيد بن ملحة جاهلى لم يدرك الاسلام (و عن عمرو بن عوف) هو مزنى كان قديم الاسلام و هو ممن نزل فيه تولوا و أعينهم تفيض من الدمع سكن المدينة و مات بها فى آخر أيام معاوية روى عنه ابنه عبدالله (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدين ليأرز) بفتح اللام و سكون الهمزة و يبدل و كسر الراء على الاصح و حكى الفتح و الضم أى ينضم عند ظهور الفتن و استيلاء الكفرة (الى الحجاز) وهو اسم مكة والمدينة و حواليهما من البلاد و سميت حجازا لانها حجزت أى منعت و فصلت بين بلاد نجد و الغور قيل التوفيق بينه و بين ما سبق ان سلم ان الدين و الايمان مترادفان أنه يأرز أولا الى الحجاز أجمع ثم الى المدينة لانها مستقره أولا فعاد اليها لتكون مستقره آخرا أيضا فان النهاية هى الرجوع الى البداية و لان المدينة مغيب النبوة فتصير مغيب الشريعة (كما تأرز الحية الى جحرها وليعقلن) جواب قسم محذوف أى و الله ليعتصمن (الدين) قال ابن حجر عطف على ليارز أو على ان و معمولها أى ليتحصنن و ينضم و يلتجئ الدين أبرزه وحقه الاضمار اعلاما بعظيم شرفه و مزيد فخامته و من ثم ضوعفت أدوات التأكيد و أتى بالقسم المقدر (من الحجاز) أى بمكان منه أو بكانا منه يقال عقل الوعل أى امتنع بالجبال العوالى يعقل عقولا أى ليمتنعن بالحجاز و يتخذن منه حصنا و ملجأ (معقل الاروية) بضم الهمزة و تكسر و تشديد الياء الانثى من المعز الجبلى و هو مصدر بمعنى العقل و يجوز أن يكون اسم مكان أى كاتخاذ الاروية (من رأس الجبل) حصنا و خص الاروية دون الوعل لانها أقدر من الذكر على التمكن من الجبال الوعرة و المعنى ان الدين فى آخر الزمان عند ظهور الفتن و استيلاء

ان الدين بدأ غريبا وسيعود كما بدأ فطوبى للغرباء وهم الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدى من سنتى رواه الترمذى و عن عبدالله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتين على أمتى كما أتى على بنى اسرائيل حذو النعل بالنعل حتى ان كان منهم من أتى أمه علانية لكان فى أمتى من يصنع ذلك و ان بنى اسرائيل تفرقت على ثنتين و سبعين ملة

الكفرة و الظلمة على بلاد أهل الاسلام يعود الى الحجاز كما بدا منه و قيل معناه ان بعد انضمام أهل الدين الى الحجاز ينقرضون عنه و لم يبق منهم فيه أحد (ان الدين بدأ) بالهمز هو الصحيح (غريبا) أى كالغريب أو حال (وسيعود) أى غريبا (كما بدأ) يعنى أن أهل الدين فى الاول كانوا غرباء ينكرهم الناس و لايخالطونهم فكذا فى الآخر (فطوبى للغرباء) أى أولا و آخرا وسموا غرباء لعدم تعلقهم بالدنيا و أهلها (وهم الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدى من سنتى) أى يعملون بها و يظهرونها بقدر طاقتهم (رواه الترمذى و عن عبدالله بن عمرو) بالواو رضى الله عنهما (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتين على أمتى) الاتيان المجئ بسهولة و عدى بعلى لمعنى الغلبة المؤدية الى الهلاك و منه قوله تعالى ماتذر من شئى أتت عليه و المراد بعض أمة الدعوة اما من أهل القبلة بقرينة كونه أضافهم الى نفسه أو مطلقا فيشمل ملل الكفر أيضا (كما أتى على بنى اسرائيل) فاعل ليأتين مقدر يدل عليه سياق الكلام و الكاف منصوب عند الجمهور على المصدر أى ليأتين على أمتى زمان اتيانا مثل الاتيان على بنى اسرائيل أو ليأتين على أمتى مخالفة لما أنا عليه مثل المخالفة التى أتت على بنى اسرائيل حتى أهلكتهم و جوز أن يكون الكاف فاعلا أى ليأتين على أمتى مثل ما أتى على بنى اسرائيل (حذو النعل بالنعل) حذو النعل استعارة فى التساوى و قيل الحذو القطع و التقدير أيضا يقال حذوت النعل بالنعل اذا قدرت كل واحدة من طاقاتها على صاحبتها لتكونا على السواء و نصبه على المصدر أى يحذونهم حذوا مثل حذو النعل بالنعل أى تلك المماثلة المذكورة فى غاية المطابقة و الموافقة كمطابقة النعل بالنعل (حتى ان كان منهم) حتى ابتدائية و الواقع بعده جملة شرطية و قوله الآتى لكان اما جواب قسم مقدر و المجموع جواب الشرط و اما ان بمعنى لو كما يقع عكسه و ليست ان هذه مخففة من المثقلة كما زعم كذا نقله السيد جمال الدين عن زين العرب و فى الأزهار بكسر الهمزة و سكون النون مخففة أى حتى انه كذا ذكره الابهرى و هذا الخلاف مبنى على انه هل يجوز حذف ضمير الشان من ان المكسورة فمنعه ابن الحاجب و جوزه ابن مالك (من أتى أمه علانية) اتيانها كناية عن الزنا و يحتمل أن يكون المراد بها زوجة الاب أو موطوأته و سائر من حرمن عليه برضاع أو مصاهرة و الاول أظهر لان الغرابة و الاستبعاد فيه أكثر و لذا قيده بعلانية (لكان فى أمتى من يصنع) أى يفعل (ذلك) أى الاتيان (و ان بنى اسرائيل) يعنى النصارى أو أهل الكتاب قال ابن حجر أبرز ضمير هم زيادة فى تقبيح صنيعهم و بيانا لكون ذلك دأبهم و عادتهم اه و الاظهر انه أبرز حتى لا يرجع الضمير الى غيرهم (تفرقت على ثنتين و سبعين ملة) سمى عليه الصلاة والسلام طريقة كل واحد منهم ملة اتساعا و هى فى الاصل ما شرع الله لعباده على السنة انبيائه ليتوصلوا به الى القرب من حضرته تعالى و يستعمل فى جملة الشرائع دون آحادها و لا تكاد توجد مضافة الى الله تعالى و لا الى آحاد أمة النبى بل يقال ملة محمد صلى الله عليه وسلم أو ملتهم كذا ثم انها اتسعت فاستعملت فى الملل الباطلة لانهم لما عظم تفرقهم و تدينت كل فرقة منهم بخلاف ماتدين به غيرها كانت طريقة كل منهم كالملة الحقيقية فى التدين فسميت باسمها مجازا و قيل الملة كل فعل و قول اجتمع عليه جماعة و هو قد يكون حقا و قد يكون باطلا و المعنى

و تفترق أمتى على ثلاث و سبعين ملة كلهم فى النار الا ملة واحدة قالوا من هى يارسول الله قال ما أنا عليه
و أصحابى رواه الترمذى و فى رواية أحمد و أبى داود عن معاوية
ثنتان و سبعون فى النار و واحدة فى الجنة و هى الجماعة

أنهم يفترقون فرقا تتدين كل واحدة منها بخلاف ماتتدين به الاخرى (و تفترق أمتى على ثلاث و سبعين ملة) قيل فيه اشارة لتلك المطابقة مع زيادة هؤلاء فى ارتكاب البدع بدرجة ثم قيل يحتمل أمة الدعوة فيندرج سائر الملل الذين ليسوا على قبلتنا فى عدد الثلاث والسبعين و يحتمل أمة الاجابة فيكون الملل الثلاث و السبعون منحصرة فى أهل قبلتنا و الثانى هو الاظهر ونقل الابهرى أن المراد بالامة أمة الاجابة عند الاكثر (كلهم فى النار) لانهم يتعرضون لما يدخلهم النار فكفارهم مرتكبون ما هو سبب فى دخولها المؤبدة عليهم و مبتدعتهم مستحقة لدخولها الا أن يعفو الله عنهم (الاملة) بالنصب أى الا أهل ملة (واحدة قالوا من هى) أى تلك الملة أى أهلها الناجية (يا رسول الله قال ما أنا عليه وأصحابى) أى هى ما أنا عليه و أصحابى قيل جعلها عين ما هو عليه مبالغة فى مدحها و بيانا لبا هر اتباعها حتى يخيل أنها عين ذلك المتبع أو المراد بما الوصفية على حد و نفس و ما سواها أى القادر العظيم الشان سواها فكذاهنا المراد هم المهتدون المتمسكون بسنتى و سنة الخلفاء الراشدين من بعدى فلا شك و لاريب أنهم هم أهل السنة و الجماعة وقيل التقدير أهلها من كان على ما أنا عليه و أصحابى من الاعتقاد و القول و الفعل فان ذلك يعرف بالاجماع فما أجمع عليه علماء الاسلام فهو حق و ماعداه باطل و اعلم أن أصول البدع كما نقل فى المواقف ثمانية المعتزلة القائلون بأن العباد خالقو أعمالهم و بنفى الرؤية و بوجوب الثواب و العقاب وهم عشرون فرقة و الشيعة المفرطون فى محبة على كرم الله وجهه وهم اثنان و عشرون فرقة والخوارج المفرطة المكفرة له رضى الله عنه و من أذنب كبيرة و هم عشرون فرقة و المرجئة القائلة بأنه لا يضر مع الايمان معصية كما لاينفع مع الكفر طاعة و هى خمس فرق و النجارية الموافقة لاهل السنة فى خلق الافعال و المعتزلة فى نفى الصفات و حدوث الكلام وهم ثلاث فرق و الجبرية القائلة بسلب الاختيار عن العباد فرقة واحدة و المشبهة الذين يشبهون الحق بالخلق فى الجسمية و الحلول فرقة أيضا فتلك اثنان و سبعون فرقة كلهم فى النار و الفرقة الناجية هم أهل السنة البيضاء المحمدية و الطريقة النقية الاحمدية و لها ظاهر سمى بالشريعة شرعة للعامة و باطن سمى بالطريقة منهاجا للخاصة و خلاصة خصت باسم الحقيقة معراجا لاخص الخاصة فالاول نصيب الابدان من الخدمة و الثانى نصيب القلوب من العلم و المعرفة و الثالث نصيب الارواح من المشاهدة و الرؤية قال القشيرى و الشريعة أمر بالتزام العبودية و الحقيقة مشاهدة الربوبية فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول و كل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير محصول فالشريعة قيام بما أمر و الحقيقة شهود لما قضى و قدر و أخفى و أظهر والشريعة حقيقة من حيث انها وجبت بامره و الحقيقة شريعة أيضا من حيث ان المعارف به سبحانه وجبت بامره و لله در من قال من أرباب الحال

ألا فالزموا سنة الانبياء * ألا فاحفظوا سيرة الاصفياء
و من يبتدع بدعة لم يكرم * بوجدانه رتبة الاتقياء

(رواه الترمذى) أى عن ابن عمرو كذا (و فى رواية أحمد) أى أحمد بن حنبل (و أبى داود عن معاوية) أى بعد قوله و ان هذه الامة ستفترق على ثلاث و سبعين فرقة (ثنتان و سبعون فى النار و واحدة فى الجنة و هى الجماعة) أى أهل العلم و الفقه الذين اجتمعوا على اتباع آثاره عليه الصلاة والسلام

و انه سيخرج فى أمتى أقوام تتجارى بهم تلك الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لايبقى منه عرق و لا مفصل الا دخله و عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يجمع أمتى أو قال أمة محمد على ضلالة و يد الله على الجماعة و من شذ شذ فى النار رواه الترمذى و عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتبعوا السواد الاعظم

فى النقير و القطمير و لم يبتدعوا بالتحريف و التغيير قال شريح ان السنة قد سبقت قياسكم فاتبع و لا تبتدع فانك لن تضل ما أخذت بالاثر و قال الشعبى انما رأيى بمنزلة الميتة اذا احتجت اليها أكلتها و عن سفيان لو أن فقيها على رأس جبل لكان هو الجماعة (و انه سيخرج) و فى المصابيح و زاد فى رواية و انه سيخرج أى يظهر (فى أمتى) و فى نسخة من أمتى (أقوام) أى جماعات (تتجارى) بالتاءين أى تدخل و تجرى و تسرى (بهم) أى فى مفاصلهم (تلك الاهواء) جمع هوى و هو ميل النفس الى ما تشتهيه و المراد هنا البدعة فوضعها موضعها وضعا للسبب موضع المسبب لان هوى الرجل هو الذى يحمله على ابداع الرأى الفاسد أو العمل به و ذكر الاهواء بصيغة الجمع تنبيها على اختلاف أنواع الهوى و أصناف البدع يقال تجاروا فى الحديث اذا جرى كل منهم مع صاحبه (كما يتجارى الكلب) بفتحتين داء مخوف يحصل من عض الكلب المجنون و يتفرق أثره (بصاحبه) أى مع صاحبه الى جميع أعضائه أى مثل جرى الكلب فى العروق (لا يبقى منه عرق) بكسر العين (و لا مفصل الا دخله) فكذلك تدخل البدع فيهم و تؤثر فى اعضائهم قيل الكلب داء يعرض للانسان من عضة الكلب الكلب أى المكلوب و هو المجنون فيصيبه شبه الجنون ولا يعض المجنون أحدا الا كلب أى جن و يعرض له اعراض رديئة تشبه الماليخوليا مهلكة غالبا و يمتنع من شرب الماء حتى يموت عطشا و اجمعت العرب ان دواءه قطرة من دم يخلط بماء فيسقاه (و عن ابن عمر) رضى الله عنهما (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لايجمع أمتى أو قال أمة محمد على ضلالة) قال المظهر فى الحديث دليل على حقية اجماع الامة قيل قوله أو قال أمة محمد شك من الراوى و لعل هذا أظهر فى الدراية منها لدلالته على ان يكون المنسوب اليه من اسمه محمد يقتضى هذه الفضيلة التى امتازت بها أمته عن سائر الامم و قال ابن الملك المراد أمة الاجابة أى لايجتمعون على ضلالة غير الكفر و لذا ذهب بعضهم الى أن اجتماع الامة على الكفر ممكن بل واقع الا انها لا تبقى بعد الكفر أمة له و المنفى اجتماع أمة محمد على الضلالة و انما حمل الامة على أمة الاجابة لما ورد ان الساعة لاتقوم الا على الكفار فالحديث يدل على ان اجتماع المسلمين حق و المراد اجماع العلماء و لا عبرة باجماع العوام لانه لا يكون عن علم و قال الابهرى قوله على ضلالة أى على خطأ و قيل على كفر و معصية (و يد الله) كناية عن النصرة و الغلبة أو الحفظ و الرحمة أو معناه احسانه و توفيقه لاستنباط الاحكام و الاطلاع على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم و أصحابه من الاعتقاد و العمل (على الجماعة) أى المجتمعين على الدين يحفظهم الله من الضلالة و الخطأ أو للتوفيق لموافقة اجماع هذه الامة (و من شذ) أى انفرد عن الجماعة باعتقاد أو قول أو فعل لم يكونوا عليه (شذ فى النار) أى انفرد فيها و معناه انفرد عن أصحابه الذين هم أهل الجنة و ألقى فى النار (رواه الترمذى و عنه) أى عن ابن عمر (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتبعوا السواد الاعظم) يعبر به عن الجماعة الكثيرة و المراد ما عليه أكثر المسلمين قيل و هذا فى أصول الاعتقاد كاركان الاسلام و أما الفروع كبطلان الوضوء بالمس مثلا فلا حاجة فيه الى الاجماع بل يجوز اتباع كل واحد من المجتهدين كالائمة الاربعة

فانه من شذ شذ فى النار رواه ابن ماجه من حديث أنس و عن أنس قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يابنى ان قدرت ان تصبح و تمسى و ليس فى قلبك غش لاحد فافعل ثم قال يابنى و ذلك من سنتى و من أحب سنتى فقد أحبنى و من أحبنى كان معى فى الجنة رواه الترمذى و عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تمسك بسنتى عند فساد أمتى فله أجر مائة شهيد رواه وعن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم حين أتاه عمر فقال انا نسمع أحاديث من يهود

و ما وقع من الخلاف بين الماتريدية و الاشعرية فى مسائل فهى ترجع الى الفروع فى الحقيقة فانها ظنيات فلم تكن من الاعتقاديات المبنية على اليقينيات بل قال بعض المحققين ان الخلاف بينهما فى الكل لفظى و قيل المراد جمع المسلمين الذين هم فى طاعة الامام و هو السلطان الاعظم و قيل الجماعة من أهل الايمان و قيل الكتاب و السنة لكثرة معانيهما و قيل كل عالم عامل بالكتاب و السنة فى الازهار اتبعوا السواد الاعظم يدل على ان أعاظم الناس العلماء و ان قل عددهم و لم يقل الاكثر لان العوام و الجهال أكثر عددا (فانه) أى الشان (من شذ) أى فى الدين بخروجه عن متابعة الاكثرين (شذ فى النار رواه) بعده بياض و الحق ميرك شاه (ابن ماجه من حديث أنس) و زاد الطيبى و ابن عاصم فى كتاب السنة (و عن أنس) رضى الله عنه (قال قال لى) أى وحدى أو مخاطبا لى من بين أصحابى (رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بنى) بضم الباء تصغير ابن و هو بكسر الياء و فتحها و الكسر أكثر و هو تصغير لطف و مرحمة و يدل على جواز هذا لمن ليس ابنه ومعناه اللطف و انك عندى بمنزلة ولدى فى الشفقة (ان قدرت) أى استطعت و المراد اجتهد قدر ما تقدر (ان تصبح و تمسى) أى تدخل فى وقت الصباح و المساء و المراد جميع الليل و النهار (و ليس فى قلبك) الجملة حال من الفاعل تنازع فيه الفعلان أى و ليس كائنا فى قلبك (غش) ضد النصح الذى هو ارادة الخير للمنصوح له (لاحد) و هو عام للمؤمن و الكافر فان نصيحة الكافر أن يجتهد فى ايمانه و يسعى فى خلاصه من ورطة الهلاك باليد و اللسان و التألف بما يقدر عليه من المال كذا ذكره الطيبى (فافعل) جزاء كناية عما سبق فى الشرط أى افعل نصيحتك (ثم قال يا بنى و ذلك) أى خلو القلب من الغش قال الطيبى و ذلك اشارة الى انه رفيع المرتبة أى بعيد التناول (من سنتى) أى طريقتى (و من أحب سنتى) فعمل بها (فقد أحبنى) أى حبا كاملا لان محبة الآثار علامة على محبة مصدرها (و من أحبنى كان معى) بفتح الياء و سكونها أى معية مقاربة لامعية متحدة فى الدرجة (فى الجنة) فان المرء مع من أحب كما فى حديث و قال تعالى و من يطع الله و الرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم الآية (رواه الترمذى و عن أبى هريرة) رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تمسك) أى عمل (بسنتى عند فساد أمتى) أى عند غلبة البدعة و الجهل و الفسق فيهم (فله أجر مائة شهيد) لما يلحقه من المشقة بالعمل بها و باحيائها و تركهم لها كالشهيد المقاتل مع الكفار لاحياء الدين بل أكثر (رواه) بعده بياض و الحق به ميرك و غيره البيهقى فى كتاب الزهد له من حديث ابن عباس (و عن جابر) رضى الله عنه (عن النبى صلى الله عليه وسلم حين أتاه عمر فقال) أى عمر (انا نسمع أحاديث) أى حكايات و مواعظ (من يهود) قال الزمخشرى الاصل فى يهود و مجوس ترك اللام لانهما علمان لقومين ومن عرف فانه أجرى يهوديا و يهود مجرى شعيرة و شعير اه و قال الابهرى يهود غير منصرف للعلمية و التأنيث لانه يجرى مجرى القبيلة و قيل الاولى أن يقال للعلمية و وزن الفعل لان أسماء القبائل التى ليس فيها تأنيث لفظى يجوز

تعجبنا أفترى أن نكتب بعضها فقال أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود و النصارى لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي رواه أحمد و البيهقي في شعب الايمان و عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل طيبا و عمل في سنة و أمن الناس بوائقه

صرفها حملا على الحي و عدم صرفها حملا على القبيلة و يهود لا يجوز فيه الا عدم الصرف (تعجبنا) بضم التاء و كسر الجيم أي تحسن عندنا و تميل قلوبنا اليها (أفترى) بفتح التاء أي أتحسن لنا استماعها فترى يعني فتأذن (أن نكتب بعضها فقال) عليه الصلاة والسلام زجراله و لأمثاله (أمتهوكون) أي أمتحيرون في دينكم حتى تأخذوا العلم من غير كتابكم و نبيكم (أنتم) للتأكيد (كما تهوكت اليهود و النصارى) أي كتحيرهم حيث نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم و اتبعوا أهواء أحبارهم و رهبانهم (لقد جئتكم) جواب قسم محذوف (بها) أي بالملة الحنيفية بقرينة الكلام (بيضاء) أي واضحة حال من ضمير بها (نقية) صفة بيضاء أي ظاهرة صافية خالصة خالية عن الشرك و الشبهة و قيل المراد بها أنها مصونة عن التبديل و التحريف و الاصر و الاغلال خالية عن التكاليف الشاقة لان في دين اليهود اخراج ربع مالهم زكاة وقطع موضع النجاسة بدلا عن الغسل و غير ذلك كتحتم القصاص في دين اليهود و تحتم الدية في دين النصارى و أخر نقية لانها صفة بيضاء اذ يقال أبيض نقي دون العكس و قال الطيبي بيضاء نقية حالان مترادفان من الضمير المفسر بالملة اه قيل و وصف الملة بالبياض تنبيها على كرمها و فضلها و كرمها افادتها كل ما يحتاج اليه لان البياض لما كان أفضل لون عند العرب عبر به عن الكرم و الفضل و الحاصل انه عليه الصلاة والسلام أشار بذلك الى أنه أتاهم بالاعلى والافضل و استبدال الادنى عنه مظنة للتحير (ولو كان موسى حيا ما وسعه) أي ما جاز له (الا اتباعي) في الاقوال و الافعال فكيف يجوز لكم أن تطلبوا فائدة من قومه مع وجودي قال تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما أتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول الآية قال علي بن أبي طالب لم يبعث الله تعالى نبيا آدم ومن بعده الا أخذ عليه العهد في أمر محمد صلى الله عليه وسلم و أخذ العهد على قومه ليؤمنن به ولئن بعث وهم أحياء لينصرنه و هذا معنى قول ابن عباس كذا في تفسير البغوي فيكون التنكير في رسول للتعظيم فهو نبي الانبياء و امام الرسل ولذا قال آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة (رواه أحمد) أي في مسنده (و البيهقي في شعب الايمان) قال الابهري لكن في اسناده مجالد بن سعيد و هو ضعيف قال ابن حبان كان رديء الحفظ يقلب الاسانيد و يرفع المراسيل لا يجوز الاحتجاج به و قال الشافعي الحديث عن حرام بن عثمان حرام و عن مجالد تجالد و عن أبي العالية الرياحي رياح و قال أحمد بن حنبل حديث مجالد حلم الا أن هذا الحديث جاء عن غير مجالد فتأيد به (و عن أبي سعيد الخدري) رضي الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل طيبا) أي من كان قوته حلالا ولم يقل حلالا لان الطيب ما يفوح عنه ريح الورع أخذا من الطيب فما اكتسب على وجه تعلق بسوابقه أو قرائنه أو لواحقه معصية لم يكن طيبا (و عمل في سنة) أي في موافقة سنة وردت فيه أي و عمل كل فعل يفعله و كل قول يقوله على وفق الشرع يعني و يكون متمسكا في كل عمل بسنة أي بحديث جاء في ذلك العمل حتى قضاء الحاجة و اماطة الاذى فالمراد شمول كل سنة لا واحدة منها غير بعينة و قيل تنكيرها للإشعار بأن العمل في موافقة واحدة منها مع أختيها مما يوجب دخول الجنة و قدم أكل الحلال لانه مورث للعمل الصالح كما قال تعالى كلوا من الطيبات و اعملوا صالحا (و أمن الناس بوائقه) البائقة الداهية و هي المحنة العظيمة و المراد هنا الشرور و قد فسرت البوائق في بعض الاحاديث فروى ظلمه و غشه

دخل الجنة فقال رجل يارسول الله ان هذا اليوم لكثير فى الناس قال وسيكون فى قرون بعدى رواه الترمذى وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم فى زمان من ترك منكم عشر ما أمر به هلك ثم يأتى زمان من عمل منهم بعشر ما أمر به نجا رواه الترمذى وعن أبى أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ما ضربوه لك

(دخل الجنة) أى استحق دخول الجنة دخولا أوليا (فقال رجل يارسول الله ان هذا) أى الرجل الموصوف المذكور (اليوم) ظرف مقدم لخبران (لكثير فى الناس) بحمدالله فما حال المستقبل (قال) عليه الصلاة والسلام (وسيكون) أى هم كثيرون اليوم وسيوجد من يكون بهذه الصفة (فى قرون بعدى) فى الازهار القرن أهل عصر و قيل أهل كل مدة أو طبقة و قيل ثلاثون سنة و قيل أربعون و قيل ثمانون و قيل مائة اه و الاصح أن القرن ههنا أهل العصر فان كل عصر هو أبعد من زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون الصلحاء فيهم أقل ممن قبلهم ولذا قال عليه الصلاة والسلام خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم الحديث و انما قال ذلك صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث نفيا للاستعجاب عن أصحابه رضى الله عنهم أجمعين كذا قيل وأقول وفيه تسلية لمن بعدهم من التابعين و أتباعهم الى يوم الدين و قال التوربشتى يحتمل أنه ذكر ذلك حمدا لله وتحدثا بنعمه فقال ان ذلك غير مختص بهذا القرن (رواه الترمذى) وكذا الحاكم (وعن أبى هريرة) رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم) أيها الصحابة (فى زمان) أى زمان عظيم من عزة الاسلام و أمن أهله و هو زمان نزول الوحى و سماع كلام صاحب الرسالة (من ترك منكم) أى فيه و هو الرابط لجملة الشرط بموصوفها و هو زمان (عشر) بسكون الشين وضمها (ما أمر به) أى من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر اذ لايجوز صرف هذا القول الى عموم المأمورات لانه عرف أن مسلما لايعذر فيما يهمل من الفرض الذى تعلق بخاصة نفسه هكذا قاله الشراح قال الطيبى و لعل هذا غير مناسب لباب التمسك بالكتاب و السنة و فيه بحث لان الامر بالمعروف لايعرف الا منهما ثم قال بل لوحمل على مامر فى الحديث السابق و هو من عمل فى سنة على ما بيناه كان أنسب و يدخل فيه الامر بالمعروف و النهى عن المنكر بالطريق الاولى و يجرى معنى قوله ما أمر به فى أمر الندب اه و فيه أن الهلاك لايترتب على ترك الندب مطلقا فضلا عن عشره ثم رأيت ابن حجر وافقنى فى المحلين (هلك) لان الدين عزيز و الحق ظاهر و فى أنصاره كثرة فالترك يكون تقصيرا منكم فلا يعذر أحد منكم فى التهاون (ثم يأتى زمان) يضعف فيه الاسلام و يكثر الظلمة و الفساق و قل أنصاره فيعذر المسلمون فى الترك اذ ذاك لعدم القدرة لا للتقصير (من عمل منهم بعشر ما أمر به نجا) لانتفاء تلك المعانى المذكورة (رواه الترمذى وعن أبى أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه) أى على الهدى (الا أوتوا الجدل) أى أعطوه و هو حال و قد مقدرة و المستثنى منه أعم عام الاحوال و صاحبها الضمير المستتر فى خبر كان و المعنى ما كان ضلالتهم و وقوعهم فى الكفر الا بسبب الجدال و هو الخصومة بالباطل مع نبيهم و طلب المعجزة منه عنادا أو جحودا و قيل مقابلة الحجة بالحجة و قيل المراد هنا العناد والمراء فى القرآن ضرب بعضه ببعض لترويج مذاهبهم وآراء مشايخهم من غير أن يكون لهم نصرة على ما هو الحق و ذلك محرم لا المناظرة لغرض صحيح كاظهار الحق فانه فرض كفاية (ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية) أى استشهادا على ما قرره (ما ضربوه) أى هذا المثل (لك) يامحمد و هو قولهم أآلهتنا خير أم هو أرادوا بالالهة هنا الملائكة يعنى الملائكة خير أم عيسى يريدون أن الملائكة خير من عيسى فاذا عبدت النصارى عيسى فنحن نعبد

الاجدلا بل هم قوم خصمون رواه احمد و الترمذى و ابن ماجه و عن أنس ان رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم كان يقول لاتشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم فان قوما شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم فى الصوامع و الديار رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم رواه أبو داود وعن أبى هريرة

الملائكة أى ما قالوا ذلك القول (الا جدلا) أى الا لمخاصمتك و ايذائك بالباطل لالطلب الحق كذا قاله بعض الشراح و الاصح فى معنى الآية ان ابن الزبعرى جادل رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فى قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون‌الله حصب جهنم آلهتنا أى الاصنام خير عندك أم عيسى فان كان فى النار فلتكن آلهتنا معه و الله أعلم ثم رأيت ابن حجر ذكر مثل ما ذكرته و أما الجواب عن هذه الشبهة فأولا أن ما لغير ذوى العقول فالاشكال نشأ عن الجهل بالقواعد العربية و ثانيا أن عيسى و الملائكة خصوا عن هذا بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون (بل‌هم) أى الكفار (قوم خصمون) أى كثيرو الخصومة (رواه أحمد و الترمذى و ابن ماجه) وكذا الحاكم (و عن أنس) رضى‌الله‌عنه (أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم كان يقول) فيه اشارة الى التكرار و الاستمرار (لاتشددوا على أنفسكم) أى بالاعمال الشاقة كصوم الدهر و احياء الليل كله و اعتزال النساء لئلا تضعفوا عن العبادة و اداء الحقوق و الفرائض (فيشدد الله عليكم) بالنصب جواب النهى أى يفرضها عليكم فتقعوا فى الشدة أو بان يفوت عليكم بعض ما وجب عليكم بسبب ضعفكم من تحمل المشاق كذا قاله الشراح و الظاهر أن المعنى لاتشددوا على أنفسكم بايجاب العبادات الشاقة على سبيل النذر أو اليمين فيشدد الله عليكم فيوجب عليكم بايجابكم على أنفسكم فتضعفوا عن القيام بحقه و تملوا و تكسلوا و تتركوا العمل فتقعوا فى عذاب الله تعالى و هذا المعنى هو الملائم للتعليل بقوله (فان قوما) أى من بنى اسرائيل (شددوا على أنفسهم) بالعبادات الشاقة و الرياضات الصعبة و المجاهدات التامة فشدد الله عليهم باتمامها و القيام بحقوقها و قيل شددوا حين أمروا بذبح بقرة فسألوه عن لونها و سنها و غير ذلك من صفاتها (فشدد الله عليهم) بان أمرهم بذبح بقرة على صفة لم توجد على تلك الصفة الا بقرة واحدة لم يبعها صاحبها الا بملء جلدها ذهبا و يؤيد المعنى الاول ما سيأتى من قوله (فتلك) الفاء للتعقيب و تلك اشارة الى ما فى الذهن من تصور جماعة باقية من أولئك المشددين بقيت فى الصوامع يفسرها قوله (بقاياهم) أى بقايا قوم شددوا على أنفسهم (فى الصوامع) جمع صومعة و هى موضع عبادة الرهبان من النصارى قيل هو بناء صغير على شكل دائرة (و الديار) جمع الدير و هو الكنيسة و هى معبد اليهود قيل و هو بناء وسيع فيه محل العبادة و باقيه لنحو نزول المارة و ايواء الغريب (رهبانية) نصب بفعل يفسره ما بعده أى ابتدعوا رهبانية (ابتدعوها) يقال ابتدع اذا أتى بشئ بديع أى جديد لم يفعله قبله أحد و الرهبانية بالفتح الخصلة المنسوبة الى الرهبان و هو الخائف فعلان من رهب رهبة أى خاف و بالضم نسبة الى الرهبان جمع راهب و فى الآية قرئت بالضم شاذا و قيل الرهبة الخوف و المبالغة فى العبادة و الرياضة و الانقطاع عن الناس و يطلق على عبادة الرهبان و هو جمع الراهب أى عابد النصارى و هى ما يفعلون من تلقاء أنفسهم (ما كتبناها) أى ما فرضنا تلك الرهبانية (عليهم) من ترك التلذذ بالاطعمة و ترك التزوج و الاعتزال عن الناس و التوطن فى رؤس الجبال و المواضع البعيدة عن العمران و الاقتصار على هذا يدل على ان الاستثناء فيما بعده وهو قوله تعالى (الا ابتغاء رضوان الله) استثناء منقطع أى ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله قال تعالى (فما رعوها حق رعايتها) أى لم يرعوا الرهبانية حق رعايتها

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل القرآن على خمسة أوجه حلال وحرام ومحكم ومتشابه وامثال فاحلوا الحلال وحرموا الحرام واعملوا بالمحكم وآمنوا بالمتشابه واعتبروا بالامثال هذا لفظ المصابيح وروى البيهقى فى شعب الايمان ولفظه فاعملوا بالحلال واجتنبوا الحرام واتبعوا المحكم وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الامر ثلاثة أمر بين رشده فاتبعه وأمر بين غيه فاجتنبه وأمر اختلف فيه فكله الى الله عزوجل رواه أحمد

وضيعوا وكفروا بدين عيسى فتهودوا وتنصروا ودخلوا فى دين ملوكهم وتركوا الترهب وأقام منهم أناس على دين عيسى عليه الصلاة والسلام حتى أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم فآمنوا به فذلك قوله عزوجل فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون كذا فى المعالم (رواه أبو داود وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل القرآن) أى بطريق الاجمال (على خمسة أوجه) من وجوه الكلام (حلال) بالجر وهو بدل بعد العطف قبل الربط كقوله تعالى كلوا من طيبات ما رزقناكم وقوله أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح وغيرهما (وحرام) كقوله تعالى انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير الآية وغيرها (ومحكم) كقوله تعالى قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم وغير ذلك من الامر والنهى والموعظة (ومتشابه) كقوله تعالى وجاء ربك وامثال ذلك (وأمثال) يعنى قصص الامم الماضية كقوم نوح وصالح وغيرهما كذا قيل والاظهر ان الامثال مثل قوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت ولذا عقبه تعالى بقوله وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون (فاحلوا الحلال) أى اعتقدوا حليته وجوزوا منفعته (وحرموا الحرام) أى اجتنبوه واعتقدوا حرمته واحكموا بمضرته (واعملوا بالمحكم) من الامر والنهى (وآمنوا بالمتشابه) من غير اشتغال بكيفيته (واعتبروا بالامثال) أى الظاهرية أو المعنوية (هذا) أى المذكور من الحديث المروى (لفظ المصابيح وروى البيهقى فى شعب الايمان) أى معناه وحذف هذا للعلم به (ولفظه) أى لفظ البيهقى (فاعملوا بالحلال) ولاتجتنبوه (واجتنبوا الحرام) ولا ترتكبوه (واتبعوا المحكم) ولا تتركوه ففيه نوع اعتراض من المصنف على صاحب المصابيح (وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الامر) واحد الامور أى الحكم والشان والحال فى الاعمال التكليفية (ثلاثة) أى ثلاثة انواع (أمر) أى منها أمر أو أحدها أمر (بين رشده) أى ظاهر صوابه كاصول العبادات مثل وجوب الصلاة والزكاة (فاتبعه وأمر بين غيه) أى ضلالته كموافقة أهل الكتاب فى اعيادهم كذا قاله ابن الملك والانسب بحسن المقابلة أن يقال فى الاول كاصول العقائد من التوحيد والنبوة والقيامة وفى الثانى كقتل النفس والزنا (فاجتنبه) أى احترز عنه (وأمر اختلف فيه) على بناء المجهول وضبط فى نسخة السيد جمال الدين بضم الهمزة لكن الاولى ان لاتكون الضمة مكتوبة أو تكتب بالحمرة ليكون فرقا بين همزة الوصل والقطع حتى فى المصحف فى نحو قوله تعالى القارعة والهاكم ثم همزة اختلف مضمومة فى الابتداء واذا سقطت فى الدرج يجوز ضم التنوين وكسره كما هو مقرر فى محله قال الطيبى يحتمل أن يكون معناه اشتبه وخفى حكمه ويحتمل ان يراد به اختلاف العلماء أى والادلة وقيل الاولى أن يفسر هذا الحديث بما ورد فى آخر الفصل الثالث من حديث أبي ثعلبة اه وقيل المراد مالم يبينه الشرع مثل المتشابهات وقال ابن الملك أى اختلف فيه الناس من تلقاء أنفسهم من غير أن يبين الله ورسوله حكمه كتعيين وقت يوم القيامة وحكم أطفال الكفرة (فكله) أمر من وكل يكل (الى الله عزوجل) أى فوض أمره الى الله تعالى فلاتقل فيه شيأ من نفى أو اثبات (رواه أحمد)

* (الفصل الثالث) عن معاذ بن جبل قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم يأخذ الشاذة و القاصية و الناحية و اياكم و الشعاب و عليكم بالجماعة و العامة. رواه أحمد وعن أبي ذر قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه رواه أحمد و أبو داود وعن مالک بن أنس مرسلا قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم تركت فيكم أمرين لن تضلوا

*(الفصل الثالث) * (عن معاذ بن جبل قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان الشيطان ذئب الانسان) الذئب مستعار للمفسد و المهلك و هو بالهمز و يبدل (كذئب الغنم) أى فى العداوة و الاهلاك قال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا الآية (يأخذ) أى ذئب الغنم و الظاهر أنه استئناف مبين و قال الطيبى صفة الذئب لانه بمنزلة النكرة كمثل الحمار و يجوز أن يكون حالا منه و العامل معنى التشبيه اه ولايخفى ان ما قاله بالنسبة الى الآية ظاهر و أما بالنسبة الى الحديث فالاطلاق أولى من التقييد و المعنى يأخذ غالبا أو بالسهولة من غير تدارك (الشاذة) بتشديد الذال المعجمة أى النافرة التى لم تؤنس باخواتها ولم تختلط بهن (و القاصية) التى قصدت البعد عنهن لاجل المرعى مثلا لاللتنفر (و الناحية) التى غفل عنها و بقيت فى جانب منها فان الناحية هى التى صارت فى ناحية من الارض عن اخواتها لغفلتها قال الابهرى كذا قاله الطيبى و ظاهر كلامه أن الناحية بالحاء المهملة و فى النهاية فى باب النون مع الجيم النجاء السرعة يقال نجا ينجو اذا أسرع ونجا من الامر اذا خلص و انجى غيره ومنه انما يأخذ الذئب القاصية و الشاذة و الناجية أى السريعة هكذا روى عن الحربى بالجيم اه و مفهومه أن المعتمد هو الحاء و أما الجيم فانما هو رواية شاذة ولهذا اطبقت نسخ المشكاة على الحاء و الله أعلم (و اياكم و الشعاب) بالكسر و النصب من الشعب و هو الوادى ما اجتمع منه طرف و تفرق طرف منه ولذلک قيل شعبت الشئ اذا جمعته و شعبته اذا فرقته و المراد المنعطفات فى الاودية لانها محل السباع و الهوام و قطاع الطريق و السراق و أماكن الجن ولما فرغ من التمثيل أكده بقوله و اياكم و عقبه بقوله (و عليكم بالجماعة) تقريرا بعد تقرير (و العامة) أى عامة الجماعة يعنى عليكم بمتابعة جمهور العلماء من أهل السنة و الجماعة أو عليكم بمخالطة عامة المسلمين و اياكم و مفارقتهم و العزلة عنهم و اختيار الجبال و الشعاب البعيدة عن العمران و هذا أظهر للفظ التمثيل و الاول أوفق لمعناه و الله أعلم (رواه أحمد و عن أبي ذر قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من فارق الجماعة شبرا) أى ولو ساعة أو ولو فى قليل من الاحكام قال الابهرى مفارقة الجماعة ترك السنة و اتباع البدعة اه و الظاهر أن مفارقة الجماعة متاركة اجماعهم و يؤيده قوله (فقد خلع) أى نزع (ربقة الاسلام) أى ذمته (من عنقه) الا ان يحمل الاسلام على كماله أو المراد المبالغة فى التخويف و التنفير عن هذه المفارقة و المخالفة للاعلام بان المداومة على ذلک تؤدى الى الخلع الحقيقى و قال الطيبى الربقة عروة فى حبل تجعل فى عنق البهيمة أو يدها تمسكها فاستعيرت لانقياد الرجل و استسلامه لاحكام الشرع و خلعها ارتداده و خروجه عن طاعة الله و طاعة رسوله (رواه أحمد و أبو داود و عن مالک بن أنس) و هو الامام مالک صاحب المذهب (مرسلا) اعلم أن المرسل هو أن يقول التابعى قال رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وسلم هذا هو المشهور عند أهل الحديث لكن المعروف فى الفقه و أصوله أن قول من دون التابعى أيضا يسمى مرسلا و به ذهب الخطيب لكن قال الا أن أكثر ما يوصف به رواية التابعى عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم اه فهذا محمول على قوله فان الامام مالكا من أتباع التابعين (قال قال رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وسلم تركت فيكم أمرين) أى شيئين عظيمين أو حكمين بفتحهما (لن تضلوا) أى لن تقعوا فى

ما تمسكتم بهما كتاب الله و سنة رسوله رواه فى الموطأ و عن غضيف بن الحرث الثمالى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث قوم بدعة الارفع مثلها من السنة فتمسك بسنة خير من احداث بدعة

الضلالة (ما تمسكتم) أى مدة تمسككم (بهما) أى بالامرين معا (كتاب الله) أى القرآن (و سنة رسوله) أى حديث رسوله و هما منصوبان على البدلية أو بتقدير أعنى و قيل بالرفع على الخبرية بتقديرهما ثم فى العدول عن سنتى مبالغة فى زيادة شرفه و الحث على التمسك بسنته بذكره السبب فى ذلك و هو خلافته عن الله و قيامه برسالته و ان ما جاء به ليس إلا من تلك الرسالة لا من تلقاء نفسه (رواه) أى مالك و فيه انه يصير التقدير رواه مالك عن مالك فى (الموطأ) فكان حق المصنف أن يذكر التابعى مكان مالك فى أول الحديث ثم يقول فى الآخر رواه مالك مرسلا لانه من المخرجين أو يقول كذا فى الموطأ مع أنه يبقى مناقشة أخرى فى قوله عن قائله يحتاج الى راو عنه وهو غير موجود ثم الموطأ بالهمز و قيل بالالف كتاب مشهور مصنف للامام مالك قرأ فيه الشافعى و محمد و غيرهما من الائمة عليه و قال الشافعى فى حقه هو أصح الكتب بعد كتاب الله لكن هذا قبل وجود الصحيحين و الا فصحيح البخارى هو الاصح مطلقا على الاصح و الله أعلم (و عن غضيف) بالمعجمتين مصغرا و قيل بالظاء مختلف فى صحبته و منهم من فرق بين غضيف فاثبت صحبته و غطيف تابعى و هو أشبه كذا فى التقريب و ذكره المصنف فى الصحابة و قال يكنى أبا أسماء شامى أدرك النبى صلى الله عليه وسلم و قد اختلف فى صحبته و قال و لدت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته و صافحنى و سمع عمر و أبا ذر و عائشة و روى عنه مكحول و سليم بن عامر (ابن الحرث الثمالى) بضم الثاء المثلثة و تخفيف الميم نسبة الى ثمالة بطن من الازد (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث) أى أبدع وجدد (قوم بدعة) (قوم بدعة) أى مزاحمة لسنة (الارفع مثلها) أى مقدارها فى الكمية أو الكيفية (من السنة) و قال ابن حجر سمى الضد مثلا لانه أقرب خطورا بالبال عند ذكره و أسرع ثبوتا عند ارتفاعه فكان بينهما تناسب ما (فتمسك) جواب شرط محذوف أى اذا عرفت ذلك فتمسك (بسنة) أى صغيرة أو قليلة كاحياء آداب الخلاء مثلا على ما ورد فى السنة و أما قول الطيبى أى سنة قذرة فلغزة قلم و زلة قدم مما ينفر عنه الطبع و يمجه السمع قال ابن حجر و لو لا اشتهار علم الرجل و تحقيقه و حسن حاله و طريقه لقضى عليه بهذه الكلمة بأمر عظيم كيف و أصحابنا مصرحون بان من استقذر شيأ منسوبا اليه عليه الصلاة والسلام كفر و السنة منسوبة اليه فوصفها بالقذارة يوقع فى تلك الورطة لولا امكان تأويله بانه لم يصفها بالقذارة من حيث كونها سنة بل من حيث تعلق فعلها بمستقذر و هذا بفرض قبوله انما يمنع الكفر فحسب لا الشناعة و القبح و سوء الادب (خير من أحداث بدعة) أى أفضل من حسنة عظيمة كبناء رباط و مدرسة قال الطيبى و يمكن أن يجعل من قبيل العسل أحلى من الخل و على حد أى الفريقين خير فالتقدير حينئذ التمسك بسنة فيه خير عظيم و بدعة لا خير فيه أصلا و أما قول ابن حجر و هذا هو الصواب و ما مثله الطيبى أولا غير مسلم أما أولا فلان البدعة الحسنة ملحقة بالسنن المنصوصة لكن لما لم تؤلف فى الصدر الاول سميت بدعة و أما ثانيا فنحو المدرسة نفعها عام دائم و ثوابها متضاعف باق ببقائها فكيف يفضل عليها ما نفعه قاصر و ثوابه منقطع بانقضاء فعله فهذا مما لايعقل اه و الاظهر أن مراده عليه الصلاة والسلام المبالغة فى متابعته و أن سنته من حيث انها سنة أفضل من بدعة و لو كانت مستحسنة مع قطع النظر عن كونها متعدية أو قاصرة أو دائمة أو منقطعة ألاترى ان ترك سنة أى سنة تكاسلا يوجب اللوم و العتاب و تركها استخفافا

رواه أحمد و عن حسان قال ما ابتدع قوم بدعة فى دينهم الا نزع الله من سنتهم مثلها ثم لا يعيدها اليهم الى يوم القيامة رواه الدارمى و عن ابراهيم بن ميسرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الاسلام رواه البيهقى فى شعب الايمان مرسلا و عن ابن عباس قال من تعلم كتاب الله ثم اتبع ما فيه هداه الله من الضلالة فى الدنيا و وقاه يوم القيامة سوء الحساب و فى رواية قال من اقتدى بكتاب الله لا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة ثم تلا هذه الآية فمن اتبع هداى

يثبت العصيان و العقاب و انكارها يجعل صاحبه مبتدعا بلا ارتياب و البدعة و لو كانت مستحسنة لايترتب على تركها شئ من ذلك و أما جعل خير بغير معنى التفضيل فبعيد بل تحصيل حاصل معلوم عند المخاطبين فلا يكون فيه فائدة تامة ولامبالغة كاملة و الله أعلم (رواه أحمد) قال ميرك بسند جيد (و عن حسان) غير منصرف على أنه فعلان و قد ينصرف على أنه فعال و هو ابن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم يكنى أبا الوليد الأنصارى الخزرجى و هو من فحول الشعراء قال أبو عبيدة أجمعت العرب على أن أشعر أهل المدر حسان بن ثابت روى عنه عمر و أبو هريرة و عائشة و مات قبل الاربعين فى خلافة على و قيل سنة خمسين و له مائة و عشرون سنة عاش منها ستين فى الجاهلية وستين فى الاسلام (قال) أى حسان (ما ابتدع قوم بدعة) أى سيئة مزاحمة لسنة (فى دينهم الا نزع الله من سنتهم مثلها) أى فى العدد و القدر أو من شآمة ارتكاب البدعة يحرمون من بركات السنة (ثم لايعيدها) أى الله تلك الحسنة (اليهم) أى الى ذلك القوم الذين اتفقوا على ابتداع السيئة (الى يوم القيامة) قال الطيبى و ذلك أن السنة كانت متأصلة مستقرة فى مكانها فلما أزيلت عنه لم يمكن اعادتها كما كانت أبدا فمثلها كمثل شجرة ضربت عروقها فى تخوم الارض فاذا قلعت لم يمكن اعادتها كما كانت (رواه الدارمى) أى موقوفا لكن مثل هذا لايقال من قبل الرأى لاشتماله على اخبار بغيب و هو قوله ثم الى الخ فيكون فى حكم المرفوع (و عن ابراهيم بن ميسرة) بفتح السين الطائفى يعد فى التابعين ثقة صحيح الحديث حديثه فى أهل مكة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وقر) بالتشديد أى عظم أو نصر (صاحب بدعة) سواء كان داعيا لها أم لا قال ابن حجر كأن قام و صدره فى مجلس أوخدمه من غير عذر يلجئه الى ذلك (فقد أعان على هدم الاسلام) أى اسلامه أو كمال اسلامه أو على هدم أهل الاسلام أو المراد بالاسلام السنة قال الطيبى و هو من باب التغليظ فاذا كان حال الموقر كذا فما حال المبتدع و فيه أن من وقر صاحب سنة كان الحكم بخلافه وكذا من أهان صاحب بدعة يخالف حكمه (رواه البيهقى فى شعب الايمان مرسلا) لاسقاط الصحابى من السند (و عن ابن عباس قال) أى موقوفا (من تعلم كتاب الله) نظرا أو حفظا أو علما بمعناه (ثم اتبع ما فيه) من الامر و النهى (هداه الله من الضلالة) ضمن هدى معنى آمن فعداه بمن أى آمنه الله من ارتكاب المعاصى كذا قاله الطيبى و الاظهر أن معناه من اتبع القرآن ثبته الله على الهداية و وقاه من الوقوع فى الضلالة مادام يعيش (فى الدنيا و وقاه) أى حفظه (يوم القيامة سوء الحساب) أى مناقشته المؤدية الى السوء كما ورد فى الحديث من نوقش فى الحساب عذب قال الطيبى و فيه أن سعادة الدارين منوطة بمتابعة كتاب الله اه و متابعته موقوفة على معرفة سنة رسوله عليه الصلاة والسلام و بمتابعته فهما متلازمان شرعا لا ينفك أحدهما عن الآخر (و فى رواية قال) أى ابن عباس (من اقتدى بكتاب الله) أى فى الاعتقادات و العبادات و غيرها (لايضل) أى لا يقع فى الضلالة (فى الدنيا و لا يشقى) أى لايتعب و لايعذب (فى الآخرة ثم تلا هذه الآية) استشهادا لما قاله (فمن اتبع هداى)

فلایضل و لا یشقی رواه رزین و عن ابن مسعود أن رسول‌اللہصلی‌اللہعلیہوسلم قال ضرب الله مثلا صراطا مستقیما و عن جنبتی الصراط سوران فیهما أبواب مفتحة و علی الابواب ستور مرخاة و عند رأس الصراط داع یقول استقیموا علی الصراط ولاتعوجوا و فوق ذلک داع یدعو کلما هم عبد أن یفتح شیأ من تلک الابواب قال و یحک لاتفتحه فانک ان تفتحه تلجه ثم فسره فاخبر أن الصراط هو الاسلام و أن الابواب المفتحة محارم الله و أن الستور المرخاة حدود الله

أی ما یهدی به أو أرید به المصدر مبالغة و هو القرآن بقرینة الاضافة أی الهدایة المخصوصة بی المنسوبة الی و فی معناها الهدایة النبویة و السنة المصطفویة و لذا قال فی المعالم أی الکتاب و السنة (فلا یضل و لا یشقی) ظاهر کلام ابن عباس أن نفی الضلالة فی الدنیا و نفی التعب فی الآخرة و علیه جمهور المفسرین و قال سهل بن عبدالله التستری من اتبع الهدی و هو ملازمة الکتاب و السنة لا یضل عن طریق الهدی و لا یشقی فی الآخرة و الاولی فکأنه لم یعد التعب الدنیوی مع النعیم الاخروی تعبا أو لانشراح صدره و اطمئنان قلبه و تسلیمه تحت القضاء مع الرضا ارتفع التعب کله و الله أعلم (رواه رزین و عن ابن مسعود أن رسول‌اللہصلی‌اللہعلیہوسلم قال ضرب الله مثلا) أی بین مثلا (صراطا مستقیما) بدل من مثلا لا علی اهدام المبدل کما فی قولک زید رأیت غلامه رجلا صالحا (و عن جنبتی الصراط) بفتح النون کذا فی النهایة نقله میرک أی عن طرفیه و جانبیه یعنی یمینه و یساره (سوران) و الجملة حال عن صراطا (فیهما أبواب مفتحة) الجملة صفة سوران أی جداران فاصلان بین الصراط المستقیم و طرفیه الخارجین عن الصراط القویم المشبهین بسور البلد من جنبتیه أحد جانبیه من أهله و الآخر من العدو و فیه ایماء الی قوله تعالی فضرب بینهم بسور له باب باطنه فیه الرحمة و ظاهره من قبله العذاب و الله أعلم بالصواب (و علی الابواب ستور) جمع الستر بالکسر (مرخاة) أی مرسلة و الجملة حال من ضمیر الابواب فی مفتحة و وضع الظاهر موضع الضمیر الراجع الی صاحبها لافادة التفخیم (و عند رأس الصراط) أی علیه (داع) معطوف علی و عن جنبتی الصراط (یقول) أی الداعی (استقیموا) أی استووا (علی الصراط و لا تعوجوا) بتشدید الجیم من الاعوجاج کذا فی نسخة السید و غیره و فی نسخة بتشدید الواو علی حذف احدی التاءین و هو تأکید لما قبله أی لا تمیلوا الی الاطراف قال الطیبی عطف علی استقیموا علی الطرد و العکس لان مفهوم کل منهما یقرر منطوق الآخر و بالعکس (وفوق ذلک) عطف علی و عند رأس الصراط و المشارالیه بذلک الصراط أو الداعی (داع یدعو کلما هم عبد) أی قصد و أراد (أن یفتح شیأ) أی قدرا یسیرا (من تلک الابواب) أی ستورها قال الطیبی کلما ظرف یستدعی الجواب و هو قال اه و الضمیر فی (قال) راجع الی الداعی (ویحک) زجر له عن تلک الهمة و هی کلمة ترحم و توجع تقال لمن وقع فی هلکة لا یستحقها کذا قاله الطیبی یعنی ثم استعمل لمجرد الزجرعما هم به من الفتح (لاتفتحه) أی شیأ من تلک الابواب أی ستورها و قال الابهری هذا یدل علی أن تلک الابواب مردودة فمعنی قوله سابقا أبواب مفتحة غیر مغلقة اه و هو خلاف الظاهر (فانک ان تفتحه تلجه) أی تدخله یعنی لا تقدر أن تملک نفسک و تمسکها عن الدخول بعد الفتح (ثم فسره) أی أراد تفسیره (فاخبر أن الصراط هو الاسلام) و هو طریق مستقیم و المطلوب من العبد الاستقامة علیه (و أن الابواب المفتحة محارم الله) فانها أبواب للخروج عن کمال الاسلام و الاستقامة و الدخول فی العذاب و الملامة (و أن الستور المرخاة حدود الله) قال الطیبی الحد الفاصل بین العبد و محارم الله کما قال الله تعالی تلک

و أن الداعی علی رأس الصراط هو القرآن و أن الداعیَ من فوقه هو واعظ الله فی قلب کل مؤمن رواه رزین و رواه أحمد و البیهقی فی شعب الایمان عن النواس بن سمعان و کذا الترمذی عنه الا أنه ذکر أخصر منه وعن ابن مسعود قال من کان مستنا فلیستن بمن قد مات فان الحیّ لا تؤمن علیه الفتنة أولٰئک أصحاب محمد صلی الله علیه وسلم کانوا أفضل هذه الامة

حدود الله فلا تقربوها اه و الظاهر و الله أعلم أن المراد من الستور الامور المستورة الغیر المبینة من الدین المسماة بالشبهة المعبر عنها بحول الحمی فی الحدیث المشهور (و أن الداعی) و فی نسخة و الداعی بالرفع (علی رأس الصراط هو القرآن و أن الداعی من فوقه) أی فوق الصراط أو من فوق الداعی الاول (هو واعظ الله فی قلب کل مؤمن) قال الطیبی هو لمة الملک فی قلب المؤمن و اللمة الاخری هی لمة الشیطان اه أی التی أثرها الهم و کان الاظهر أن یقول و الهم لمة الشیطان (رواه رزین) أی عن ابن مسعود (و رواه أحمد و البیهقی فی شعب الایمان عن النواس) بفتح النون و تشدید الواو (ابن سمعان) بکسر السین المهملة و قیل بفتحها و سکون المیم و بالعین المهملة کلابی سکن الشام و هو معدود منهم روی عنه جبیر بن نفیر و أبو داود الخولانی و کان من أصحاب الصفة (و کذا الترمذی عنه) أی روی عن النواس (الا أنه) أی الترمذی (ذکر أخصر منه) أی من هذا الحدیث أو أخصر مما ذکر غیره (و عن ابن مسعود قال من کان مستنا) بتشدید النون أی مقتدیا بسنة أحد وطریقته (فلیستن بمن قد مات) أی علی الاسلام و العلم و العمل و علم حاله و کماله علی وجه الاستقامة قال الطیبی أخرج الکلام مخرج الشرط و الجزاء تنبیها به علی الاجتهاد و تحری طریق الصواب بنفسه بالاستنباط من معانی الکتاب و السنة فان لم یتمکن فلیقتد باصحاب رسول الله صلی الله علیه وسلم لانهم نجوم الهدی وکان ابن مسعود یوصی القرون الآتیة بعد قرون الصحابة و التابعین باقتفاء أثرهم و الاهتداء بسیرهم و أخلاقهم اه و الظاهر أنه یوصی التابعین و من بعدهم تبع لهم بالاقتداء بالصحابة لکن خص أمواتهم لانه علم استقامتهم علی الدین و استدامتهم علی الیقین بخلاف من بقی منهم حیا فانه یمکن منهم الافتتان و وقوع المعصیة و الطغیان بل الردة و الکفران لان العبرة بالخاتمة و هذا تواضع منه فی حقه رضی الله عنه لکمال خوفه علی نفسه و لما رأی من الفتن العظیمة و وقوع الهالکین فیها و الا فهو ممن یقتدی به حیا و میتا و قد شهد له علیه الصلاة والسلام بالجنة و قال رضیت لامتی ما رضی لهم و أنه أفقه الصحابة بعد الخلفاء الاربعة رضوان الله تعالی علیهم أجمعین و لذا اختار الامام الاعظم تشهده علی تشهد ابن عباس و یؤید ما قلنا قوله (فان الحی لا تؤمن علیه الفتنة) قال الطیبی الفتنة کالبلاء یستعملان فیما یدافع الیه الانسان من الشدة و الرخاء اه و هما فی الشدة أظهر و أما قول الطیبی لان أصحاب النبی صلی الله علیه وسلم کانوا قد أمنوا من الفتنة قال تعالی ان الذین یغضون أصواتهم عند رسول الله أولئک الذین امتحن الله قلوبهم للتقوی لهم مغفرة و أجر عظیم ففیه نظر ظاهر (أولئک أصحاب محمد صلی الله علیه وسلم) اشارة الی من مات أفرد الضمیر فی مات نظرا الی اللفظ وقال أولئک نظرا الی المعنی کذا ذکره الطیبی و فیه إشارة الی أن الصحابی الحقیقی هو الذی لقی النبی صلی الله علیه وسلم و آمن به و مات علی الایمان و أما من عاش منهم فهو فی خطر من الردة سواء آمن بعدها أم لا فان بالردة تبطل الصحبة فی مذهبنا (کانوا أفضل هذه الامة) أی أمة الاجابة و هم خیر أمة فکانوا أفضل الامم قال الطیبی اشارة الی ما فی الذهن من أمة محمد صلی الله علیه وسلم الی انقراض العالم اه أو یقال الاشارة الی الموجودین فی القرن الثانی و یلزم منه الافضلیة علی سائر القرون لحدیث

أبرها قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا اختارهم الله لصحبة نبيه ولاقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم على أثرهم

خيرالقرون قرنى ثم الذين يلونهم الحديث (أبرها قلوبا) أى أطوعها وأحسنها واخلصها وأعلمها أو أكثرها ايمانا قال تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر الآية وقال عزوجل أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى أى ضربها بانواع المحن والتكليفات الصعبة والشدائد التى لاتطاق لاجل ان يختبر ما عندها من التقوى اذ لاتظهر حقيقتها الا عند ذلك فوجدها مع ذلك على غاية من الانقياد والرضا أو أخلصها للتقوى من قولهم امتحنت الذهب وفتنته اذا أذبته بالنار حتى خرج خالصا نقيا أو أذهب الشهوات والحظوظ الدنيوية عنها كما قاله عمر رضى الله عنه (وأعمقها علما) أى أكثرها غورا من جهة العلم وأدقها فهما وأوفرها حظا من العلوم المختلفة كالتفسير والحديث والفقه والقراءة والفرائض والتصوف لسعة صدورهم وشرح قلوبهم فكان كل واحد منهم أمة جامعا للشمائل السنية والفضائل البهية لاتوجد غالبا الا فى جماعة وأما من بعدهم فقد افترقوا فبعضهم صار مفسرا وبعضهم محدثا وغير ذلك لعدم تلك القابلية العظمى والاستعدادات الكاملة العليا ولذا اعترض الشيخ جلال الدين السيوطى على العلامة التفتازانى فى قوله عند قوله تعالى يسئلونك عن الاهلة أن الجواب من أسلوب الحكيم فانهم ما كانوا يدركون تحقيق ماهية الاهلة ولذا عدل الى قوله قل هى مواقيت للناس والحج مع أن السائل من أجلاء الصحابة وهو معاذ بن جبل الذى قال عليه الصلاة والسلام فى حقه هو أعلمكم بالحلال والحرام (وأقلها تكلفا) أى فى العمل فانهم كانوا يمشون حفاة ويصلون على الارض ويأكلون من كل آنية ويشربون من سؤر الناس وكذا فى العلم فانهم كانوا لا يتكلمون الا فيما يعنيهم ويقولون فيما لايدرون لاأدرى وكانوا يتدافعون الفتوى عن أنفسهم ويشيرون الى من هو أعلم منهم وكذا فى القراءة فانهم كانوا يتلون القرآن حق تلاوته على لحون العرب من غير النغمات والتمطيطات وغيرها وكذا فى الاحوال الباطنية فانهم ما كانوا يرقصون ولايصيحون ولايطيحون ولايطرقون ولايجتمعون للغناء والمزامير ولايتحلقون للاذكار والصلوات برفع الصوت فى المساجد ولا فى بيوتهم بل كانوا فرشيين بابدانهم عرشيين بارواحهم كائنين مع الخلق فى الظاهر بائنين عن الخلق مع الحق فى الباطن وكانوا يلبسون ماتيسر لهم من الصوف والقطن والكتان غير متقيدين بالاوصاف المخصوصة والمرقعات المنتقشة وكانوا يأكلون ماتهيأ لهم من الحلالات والمستلذات غير محترزين من اللحم أو اللبن أو الفواكه وغير ذلك وكل هذا بتربية النبى صلى الله عليه وسلم المربى الكامل المكمل الذى قال أدبنى ربى فاحسن تأديبى كما أشار اليه رضى الله عنه بقوله (اختارهم الله) أى من بين الخلائق (لصحبة نبيه) الذى كان كالاكسير فى كمال التأثير (ولاقامة دينه) فانهم نقلة أقواله وحملة أحواله الى من بعدهم وأيضا جاهدوا حق الجهاد حتى فتحوا البلاد واظهروا الدين للعباد مع اشتغالهم بأحوال المعاش والمعاد جزاهم الله عن المسلمين خير الجزاء فى يوم التناد (فاعرفوا لهم فضلهم) أى على غيرهم وان كان بعضهم أفضل من بعض أى زيادة قدرهم فى كل شئ من العلم والعمل والغزو والانفاق ومزية الثواب وغيرها كما قال تعالى لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا (واتبعوهم) بتشديد التاء أى كونوا متبعين لهم حال كونكم ماشين (على أثرهم) بفتحهما وبكسر الهمزة وسكون المثلثة أى عقبهم فى العلم والعمل فانهم اتبعوا أثر النبى صلى الله عليه وسلم على ما شاهدوا من

و تمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم و سيرهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم رواه رزين و عن جابر أن عمر بن الخطاب رضى‌الله‌عنه أتى رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم بنسخة من التوراة فقال يارسول‌الله هذه نسخة من التوراة فسكت فجعل يقرأ و وجه رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يتغير فقال أبوبكر ثكلتك الثواكل ما ترى ما بوجه رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فنظر عمر الى وجه رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فقال أعوذ بالله من غضب الله و غضب رسوله رضينا بالله ربا و بالاسلام دينا و بمحمد نبيا فقال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم و الذى نفس محمد بيده لو بدا لكم موسى فاتبعتموه و تركتمونى لضللتم عن سواء السبيل ولو كان حيا و أدرك نبوتى لاتبعنى

الاقوال و الاحوال والافعال و لذا قال صلى‌الله‌عليه‌وسلم أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم (و تمسكوا) أى خذوا و اعملوا (بما استطعتم) و فيه اشارة الى عجز المتأخرين عن المتابعة الكاملة لكن ما لا يدرك كله لايترك كله و المحبة على قدر المتابعة كما أن المتابعة على قدر المحبة قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم‌الله (من أخلاقهم) الحميدة (وسيرهم) السعيدة (فانهم كانوا على الهدى المستقيم) لانهم كانوا أتباع الرسول الكريم فى الدين القويم قال الطيبى فى قوله فاعرفوا لهم قد أجمل ههنا ثم فصل بقوله فضلهم كما فى قوله تعالى رب اشرح لى صدرى و المراد من العرفان ما يلازمه من متابعتهم و محبتهم و التخلق باخلاقهم فان قوله و اتبعوهم عطف على اعرفوا على سبيل البيان و قوله على أثرهم حال مؤكدة من فاعل اتبعوا نحو قوله تعالى ثم وليتم مدبرين و يجوز أن يكون من المفعول اه و خطر بالبال و الله أعلم بالحال أن هذا من ابن مسعود رضى‌الله‌عنه شهادة على حقية الاصحاب المتقدمين ردا على الرافضة و الملحدين (رواه رزين و عن جابر أن عمر بن الخطاب رضى‌الله‌عنه أتى رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم بنسخة) بضم النون أى بشئ نسخ و نقل (من التوراة فقال يارسول‌الله هذه نسخة من التوراة) أى فهل تأذن لنا أن نطالع فيها لنطلع على ما فيها من أخبار الامم و شرائع موسى عليه‌الصلاة والسلام (فسكت) من كمال حلمه و غاية لينه ورحمته (فجعل) أى شرع عمر (يقرأ) تلك النسخة ظنا ان السكوت علامة الرضا و الاذن (ووجه رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يتغير) من أثر الغضب (فقال أبوبكر رضى‌الله‌عنه لعمر ثكلتك) بكسر الكاف أى فقدتك (الثواكل) أى من الامهات و البنات والاخوات و أصله دعاء للموت لكن العرب تستعمله فى محاوراتهم غير قاصدين به حقيقة ذلك كتربت يمينه و رغم أنفه (ما ترى) ما نافية بتقدير الاستفهام (ما بوجه رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم) ما هذه موصولة أو موصوفة (فنظر عمر الى وجه رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم) فعرف آثار الغضب فيه (فقال أعوذبالله من غضب الله و غضب رسوله) غضب‌الله توطئة لذكر غضب رسوله ايذانا بأن غضبه غضبه كذا قاله الطيبى و ايماء الى ان التعوذ انما هو من غضب الله حقيقة و انما يتعوذ من غضب رسوله لانه سبب لغضبه تعالى و الله أعلم (رضينا بالله ربا و بالاسلام دينا و بمحمد نبيا) قاله اعتذارا عما صدر عنه و جمع الضمير ارشادا للسامعين كذا قاله الطيبى أو ايماء الى أنى مع الحاضرين فى مقام الرضا طلبا للرضا و اجتنابا عن الغضب (فقال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم و الذى نفس محمد بيده) أى بقدرته و ارادته (لوبدا) بالالف دون الهمزة أى ظهر (لكم موسى) على الفرض و التقدير (فاتبعتموه و تركتمونى) لم يقتصر على الاتباع لانه بمجرده لامحذور فيه و انما المحذور فى اتباع يؤدى الى الترك (لضللتم عن سواء السبيل) فكيف مع وجودى و عدم ظهور موسى تتبعون كتابه المنسوخ و تتركون الاخذ منى (و لو كان) أى موسى كما فى نسخة (حيا) أى فى الدنيا فان الانبياء أحياء عند ربهم (و أدرك نبوتى) أى زمانها (لاتبعنى) لان دينه صار منسوخا فى زمانى ولاخذ الميثاق منه ومن سائر الانبياء على ذلك كما

رواه الدارمي وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامي لاينسخ كلام الله وكلام الله ينسخ كلامي وكلام الله ينسخ بعضه بعضا وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحاديثنا ينسخ بعضها بعضا كنسخ القرآن وعن أبي ثعلبة الخشني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله فرض فرائض

قال تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب و حكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه الآية قيل رسول عام فالتنوين للتنكير وقيل خاص وهو محمد صلى الله عليه وسلم فالتنوين للتعظيم و الله أعلم و في الحديث نهي بليغ عن العدول من الكتاب و السنة الى غيرهما من كتب الحكماء و الفلاسفة (رواه الدارمي و عنه) أي عن جابر (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامي لاينسخ كلام الله) النسخ لغة التبديل وشرعا بيان لانتهاء الحكم الشرعي المطلق ثم نسخ الكتاب بالسنة لايجوز عند الثوري و الشافعي و أحمد في رواية و في رواية يجوز و هو مذهب أبي حنيفة و مالك و منه نسخ الوصية للوالدين و الاقربين بقوله عليه الصلاة والسلام لاوصية لوارث و أجيب بأن الناسخ انما هو آية الميراث و فيه بحث اذ الكلام في الوصية لا في مقدار الموصى به و من هذا القبيل قوله عليه الصلاة والسلام نحن معاشر الانبياء لانورث (وكلام الله ينسخ كلامي) و هذا يؤيد مذهب أبي حنيفة في الجواز خلافا للشافعي و مثاله نسخ التوجه الى بيت المقدس فانه صلى الله عليه وسلم كان متوجها الى الكعبة ثم تحول الى بيت المقدس بالسنة ثم نسخ بقوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام قال ابن حجر في كل من هذين خلاف للاصوليين و الاصح أنه يجوز نسخ كل بالآخر لاستوائهما من حيث ظنية الدلالة في كل منهما و لقوله تعالى و أنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولا يرد عليهم ما في هذا الحديث لتوقف ذلك على صحته أو حسنه على أنه يمكن تأويله بحمله على انه لاينسخ لفظه (وكلام الله ينسخ بعضه بعضا) و هذا لاخلاف فيه كآيات المسالمة بآيات القتال و المنسوخ أنواع منها التلاوة و الحكم معا و هو ما نسخ من القرآن في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم بالانساء حتى روى أن سورة الاحزاب كانت تعدل سورة البقرة و منها الحكم دون التلاوة كقوله تعالى لكم دينكم ولي دين و منها التلاوة دون الحكم كآية الرجم و هي الشيخ و الشيخة اذا زنيا فارجموهما ألبتة نكالا من الله و الله عزيز حكيم وبقي في الحديث قسم رابع وهو نسخ السنة بالسنة وجوازه متفق عليه ومثاله كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فاجتمع في هذا الحديث الناسخ و المنسوخ و هو مستفاد من الحديث الآتي و هو قوله (و عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحاديثنا) أي بشرط صحتها (ينسخ بعضها بعضا) أي بشرط معرفة التاريخ (كنسخ القرآن) أي كما ينسخ بعض آياته بعضا و التشبيه في مجرد النسخ لا في أنواعه كما تقدم (وعن أبي ثعلبة) مشهور بكنيته و اسمه جرثوم بن ناشر (الخشني) بضم المعجمة الاولى و فتح الثانية بطن من قضاعة و هو من أهل بيعة الرضوان كذا في التهذيب و أرسله النبي صلى الله عليه وسلم الى قومه فأسلموا و نزل بالشام و مات بها سنة خمس و سبعين و مروياته أربعون حديثا (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله فرض فرائض) بالهمز جمع فريضة بمعنى مفروضة و التاء للنقل من الوصفية الى الاسمية و هي ما يترتب على فعله الثواب و على تركه العقاب من العبادات قال في الصحاح الفرض ما أوجبه الله سمي بذلك لان له معالم وحدودا و اصطلاحا هو ما يمدح فاعله شرعا و يذم تاركه قصدا مطلقا و يرادفه الواجب هذا عند الشافعي و عند أبي حنيفة ما ثبت بدليل قطعي و الواجب بدليل ظني كذا في شرح الاربعين و الواجب عندنا فرض عملي أيضا يترتب على تركه العقاب لكن دون عقاب الفرض و المقام يناسب المعنى الاعم أي أوجب أحكامها مقدرة مقطوعة كالايمان و الاسلام

فلا تضيعوها و حرم حرمات فلا تنتهكوها و حد حدودا فلا تعتدوها و سكت عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها

و كالصلاة و الزكاة و سائر الفرائض العلمية و العملية سواء يكون من فروض الكفاية أو العينية و سواء أوجبه الله فى كتابه أو على لسان رسوله (فلا تضيعوها) بتركها رأسا أو بترك شروطها و أركانها أو بالسمعة و الرياء أو بالعجب و الغرور قال بعض المحققين و عند العارفين هى المعرفة الالهية التى هى مقصود الخلق كما أشار اليه الحق بقوله تعالى وماخلقت الجن و الانس الا ليعبدون أى ليعرفون ولا تحصل المعرفة غالبا الا بالمجاهدة و هى تزكية النفس عن ظلمة أخلاقها و تخليتها عن أوصاف الرذائل و تحليتها بانوار الفضائل كالتوبة و التقوى و الزهد و الاستقامة و سائر الاخلاق الحميدة و الارتقاء من حال الى حال و التصاعد من مقام الى آخر حتى تنجلى شمس صفات الجلال و تظهر طوالع أنوار الجمال و يستولى سلطان الحقيقة على ممالك الخليقة و يطوى بايدى سطوات الجود سرادقات الوجود فما بقى الارض ولا السماء ولا الظلمة ولا الضياء و تلاشى العبد فى كعبة العندية و نودى بفناء الفناء من عالم البقاء رفعت القبلة و ما بقى الا الله فاينما تولوا فثم وجه الله و هذا حال السالك المجذوب أو المجذوب السالك و معنى الجذبة أنه يناجى المجذوب من أمر الملكوت ما يدهش عقله و يأخذه عن نفسه (و حرم حرمات) أى محرمات من المعاصى و فى الاربعين للنووى و حرم أشياء أى كالميتة و الدم (فلا تنتهكوها) أى لا تقربوها فضلا عن أن تتناولوها كما قال تعالى ولا تقربوا الزنا وقال فى الصحاح انتهاك الحرمة تناولها بما لايحل وقيل الانتهاك خرق محارم الشرع كذا ذكره السيد جمال الدين وقال ميرك وهو عند الطائفة الصوفية متابعة الشيطان و الهوى و الاقبال على الدنيا و الاعراض عن العقبى اذ يجب أن ينقطع المحب عن كل مطلوب بل ينقطع عما سوى المحبوب (وحد حدودا) أى بين وعين حدودا فى المعاصى من القتل والضرب (فلاتعتدوها) أى لاتتجاوزوا عن الحد لا بالزيادة ولا بالنقصان قال فى النهاية الحدود هى محارم الله تعالى وعقوباتها التى قرنها بالذنوب و أصل الحد المنع و الفصل بين الشيئين فكان حدود الشرع فصلت بين الحلال و الحرام فمنها مالايقرب كالفواحش المحرمة و منه قوله تعالى تلك حدود الله فلاتقربوها و منها مالاتتعدى كالمواريث المعينة و تزويج الاربعة و منه قوله تعالى تلك حدود الله فلاتعتدوها و التلخيص أن حدود الله ما منع من مخالفتها بعد ان قدرها بمقادير مخصوصة و صفات مضبوطة و منه تعيين الركعات و الاوقات وما وجب اخراجه فى الزكوات و اثباتها فى الحج و حدود العقوبات فكأنه تقرير و تأكيد للقسمين المتقدمين هذا و فى كلام الصوفية أن العبد يتقلب فى جميع الاوقات على الحدود ولكل عمل حد ولكل وقت حد و لكل حال و مقام حد فمن تخطاها فقد ضل سواء السبيل (وسكت عن أشياء) أى ترك ذكر أشياء أى حكمها من الوجوب و الحرمة و الحل (من غير نسيان) بل من رحمة و احسان و فى الاربعين رحمة لكم غير نسيان بنصب رحمة على العلة و نصب غير على الحالية و النسيان هو ترك الفعل بلا قصد بعد حصول العلم بخلاف السهو (فلا تبحثوا عنها) أى لاتفتشوا عن تلك الاشياء دل على أن الاصل فى الاشياء الاباحة كقوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا هذا و قال بعض العارفين اعلم أن الله تعالى تجلى على عامة عباده بافعاله و آياته المنبثة فى أرضه و سمائه و لخواص أصفيائه بصفاته العظمى ولاعظم أنبيائه بذاته و حقائق صفاته وخصه بذلك دون غيره من عرفائه رحمة لهم غير نسيان اذ ما قام عظيم عند عظمته الا كل وزل ولا استقام كبير دون كبريائه الاهام وقام كما قال جل جلاله وعم نواله لايرانى حى الامات

روى الاحاديث الثلاثة الدارقطني * (كتاب العلم) * * (الفصل الاول) * عن عبدالله بن عمرو
قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم بلغوا عنى ولو آية

ولايابس الا تدهده ولارطب الا تفرق و انما يرانى أهل الجنة الذين لاتموت أعينهم ولاتبلى أجسادهم ولذا قال فلاتبحثوا عنها أى لاتتفكروا فيها فان الباب الى وصول معرفة كنه الذات مردود و الطريق الى كنه الصفات مسدود تفكروا فى آلاء الله ولاتتفكروا فى ذات الله

العجز عن درك الادراك ادراك * والبحث عن سر ذات الرب اشراك

(روى الأحاديث الثلاثة الدارقطني) و قال النووى فى الاخير حديث حسن رواه الدارقطني و غيره

* (كتاب العلم) *

أى فضله و فضل تعلمه و تعليمه وبيان ما هو علم شرعا وهو أعم من الكتاب والسنة فيكون ذكره بعد باب الاعتصام من باب التعميم بعد التخصيص و العلم نور فى قلب المؤمن مقتبس من مصابيح مشكاة النبوة من الاقوال المحمدية و الافعال الاحمدية والاحوال المحمودية يهتدى به الى الله وصفاته و أفعاله و أحكامه فان حصل بواسطة البشر فهو كسبى و الا فهو العلم اللدنى المنقسم الى الوحى و الالهام و الفراسة فالوحى لغة اشارة بسرعة و اصطلاحا كلام الهى يصل الى القلب النبوى فما أنزل بصورته و معناه ولا يكون الا بواسطة جبريل فهو الكلام الالهى وما نزل معناه على الشارع فعبر عنه بكلامه فهو الحديث النبوى و هذا قد يكون بغير واسطة فى محل الشهود كما قال تعالى فاوحى الى عبده ما أوحى وقد يكون بواسطة نزول الملك أى بنزوله من الصورة الملكية الى الهيئة البشرية وتحقيقه أن المتكلم الحقيقى هو الحق فكلم أولا محمدا بواسطة جبريل و ثانيا أصحابه بواسطة محمد و ثالثا التابعين بواسطة الصحابة وهلم جرا وقد يكون بنفثه فى قلبه بان يلقى معناه من غير أن يتمثل بصورة ان روح القدس نفث فى روعى و الالهام لغة الابلاغ و هو علم حق يقذفه الله من الغيب فى قلوب عباده قل ان ربى يقذف بالحق و الفراسة علم ينكشف من الغيب بسبب تفرس آثار الصور اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله فالفرق بين الالهام والفراسة أنها كشف الامور الغيبية بواسطة تفرس آثار الصور و الالهام كشفها بلاواسطة و الفرق بين الالهام و الوحى أنه تابع للوحى من غير عكس ثم علم اليقين ما كان من طريق النظر والاستدلال وعين اليقين ما كان بطريق الكشف و النوال وحق اليقين ما كان بتحقيق الانفصال عن لوث الصلصال لورود زائد الوصال

* (الفصل الاول) * (عن عبدالله بن عمرو) بالواو (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم بلغوا عنى) أى انقلوا الى الناس و أفيدوهم ما أمكنكم أوما استطعتم مما سمعتموه منى وما أخذتموه عنى من قول أو فعل أو تقرير بواسطة أو بغير واسطة (ولو آية) أى ولو كان المبلغ آية و هى فى اللغة العلامة الظاهرة قال زين العرب و انما قال آية لانها اقل ما يفيد فى باب التبليغ ولم‌يقل حديثا لان ذلك يفهم بطريق الاولى لان الآيات اذا كانت واجبة التبليغ مع انتشارها وكثرة حملتها لتواترها و تكفل الله تعالى بحفظها و صونها عن الضياع و التحريف لقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر و انا له لحافظون فالحديث مع أنه لاشئ فيه مما ذكر أولى بالتبليغ و اما لشدة اهتمامه عليه‌الصلاة‌والسلام بنقل الآيات لبقائها من سائر المعجزات و لمساس الحاجة الى ضبطها و نقلها اذ لابد من تواتر ألفاظها و الآية ماوزعت السورة عليها اه و الثانى أظهر كما لايخفى و قال المظهر المراد بالآية الكلام المفيد نحو من صمت نجا والدين النصيحة أى بلغوا عنى أحاديثى ولو كانت قليلة فان قيل فلم قال ولو آية ولم‌يقل ولوحديثا مع انه المراد قلنا لوجهين أحدهما انه أيضا داخل فى هذا الامر لانه عليه‌الصلاة‌والسلام مبلغهما و ثانيهما أن طباع

المسلمين مائلة الى قراءة القرآن و تعلمه و تعليمه و نشره و لانه قد تكفل الله بحفظه اه و الاظهر أن المراد الكلام المفيد و هو أعم من الآية والحديث و انما اختير لفظ الآية لشرفها أو المراد من الآية الحكم الموحى اليه صلى‌الله‌عليه‌وسلم و هو أعم من المتلوة و غيرها بحكم عموم الوحى الجلى و الخفى أو لان كل ما صدر عن صدره فهو آية دالة على رسالته فان ظهور مثل هذه العلوم من الامى معجزة و الله أعلم قال الطيبى و فى الحديث فوائد منها التحريض على نشر العلم و منها جواز تبليغ بعض الحديث كما هو عادة صاحب المصابيح و المشارق ولابأس به اذ المقصود تبليغ لفظ الحديث مفيدا سواء كان تاما أم لا (وحدثوا عن بنى اسرائيل ولاحرج) الحرج الضيق و الاثم و هذا ليس على معنى اباحة الكذب عليهم بل دفع لتوهم الحرج فى التحديث عنهم و ان لم يعلم صحته و اسناده لبعد الزمان كذا فى شرح السنة و تبعه زين العرب و أشار اليه المظهر و هو مقيد بما اذا لم نر كذب ما قالوه علما أو ظنا قال السيد جمال الدين ووجه التوفيق بين النهى عن الاشتغال بما جاء عنهم و بين الترخيص المفهوم من هذا الحديث ان المراد بالتحدث ههنا التحدث بالقصص من الآيات العجيبة كحكاية عوج ابن عنق و قتل بنى اسرائيل أنفسهم فى توبتهم من عبادة العجل و تفصيل القصص المذكورة فى القرآن لان فى ذلك عبرة و موعظة لاولى الالباب و ان المراد بالنهى هناك النهى عن نقل أحكام كتبهم لان جميع الشرائع و الاديان منسوخة بشريعة نبينا صلى‌الله‌عليه‌وسلم اه لكن قال ابن تيمية وما روى عن عوج انه رفع جبلا قدر عسكر موسى عليه السلام وهم كانوا ثلثمائة ألف ليضعه عليهم فنقره هدهد بمنقاره و ثقبه و وقع فى عنقه فكذب لا أصل له كذا نقله الابهرى وروى الفقيه أبو الليث السمرقندى باسناده فى تنبيه الغافلين عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم انه قال حدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج فانه قد كانت فيهم أعاجيب ثم أنشأ يحدث أى رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فقال خرجت طائفة من بنى اسرائيل حتى انتهوا الى مقبرة فقالوا لوصلينا ثم دعونا ربنا حتى يخرج الله لنا بعض الموتى فيخبرنا عن الموت ففعلوا ذلك ثم دعوا ربهم فبيناهم كذلك اذا رجل قد أطلع رأسه من قبره و هو أسود خلا شيئا أى بياض رأسه يخالط سواده و قال ياهؤلاء ما أردتم فوالله لقد ست منذ تسعين سنة فما ذهبت مرارة الموت منى حتى كأنه الآن فادعوا الله ان يعيدنى كما كنت و كان بين عينيه أثر السجود (و من كذب على) قال الكرمانى معنى كذب عليه نسب الكلام كاذبا اليه سواء كان عليه أو له اه و بهذا يندفع زعم من جوز وضع الاحاديث للتحريض على العبادة كما وقع لبعض الصوفية الجهلة فى وضع أحاديث فى فضائل السور و فى الصلاة الليلية و النهارية و غيرهما و الاظهر ان تعديته بعلى لتضمين معنى الافتراء (متعمدا) نصب على الحال و ليس حالا مؤكدة لان الكذب قد يكون من غير تعمد و فيه تنبيه على عدم دخول النار فيه (فليتبوأ مقعده من النار) يقال تبوأ الدار اذا اتخذها مسكنا و هو أمر معناه الخبر يعنى فان الله يبوئه و تعبيره بصيغة الامر للاهانة ولذا قيل الامر فيه للتهكم و التهديد اذ هو أبلغ فى التغليظ و التشديد من أن يقال كان مقعده فى النار و من ثم كان ذلك كبيرة بل قال الشيخ أبو محمد الجوينى انه كفر يعنى لانه يترتب عليه الاستخفاف بالشريعة و يؤخذ من الحديث ان من قرأ حديثه و هو يعلم انه يلحن فيه سواء كان فى أدائه أو اعرابه يدخل فى هذا الوعيد الشديد لانه بلحنه كاذب عليه و فيه اشارة الى أن من نقل حديثا و علم كذبه يكون مستحقا للنار الا أن يتوب لا من نقل عن راوعنه عليه السلام أو رأى فى كتاب ولم يعلم كذبه قال الطيبى فيه ايجاب التحرز عن الكذب على رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم بأن لا يحدث عنه

رواه البخارى و عن سمرة بن جندب و المغيرة بن شعبة قالا قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من حدث عنى بحديث يرى انه كذب فهو أحد الكاذبين

الا بما يصح بنقل الاسناد قال ابن حجر و ما أوهمه كلام شارح من حرمة التحديث بالضعيف مطلقا مردود اه و الظاهر ان مراد الطيبى بقوله الا بما يصح الصحة اللغوية التى بمعنى الثبوت لا الاصطلاحية و الا لاوهم حرمة التحديث بالحسن أيضا ولايحسن ذلك ولايظن به هذا اذ من المعلوم أن أكثر الاحاديث الدالة على الفروع حسان و من المقرر ان الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الاعمال فيتعين حمل كلامه على ما ذكرناه و كلامه أيضا مشعر بذلك اذ لم يقل بنقل الاسناد الصحيح و لكنه موهم أنه لابد من ذكر الاسناد و ليس كذلك لان المراد أنه لايحدث عنه الا بما ثبت عنه و ذلك الثبوت انما يكون بنقل الاسناد و فائدته أنه لو روى عنه ما يكون معناه صحيحا لكن ليس له اسناد فلايجوز أن يحدث به عنه و اللام فى الاسناد للعهد أى الاسناد المعتبر عند المحدثين و الا فقد يكون للحديث الموضوع اسناد أيضا قال عبدالله بن المبارك الاسناد من الدين ولو لاالاسناد لقال من شاء ما شاء قال ابن حجر و لكون الاسناد يعلم به الموضوع من غيره كانت معرفته من فروض الكفاية قيل بلغوا عنى يحتمل وجهين أحدهما اتصال السند بنقل الثقة عن مثله الى منتهاه لان التبليغ من البلوغ و هو انهاء الشئ الى غايته و الثانى أداء اللفظ كما سمع من غير تغيير و المطلوب فى الحديث كلا الوجهين لوقوع بلغوا مقابلا لقوله حدثوا عن بنى اسرائيل (رواه البخارى) أى مجموع الحديث و كذا رواه أحمد و الترمذى و أما قوله من كذب الخ فرواه أحمد و الشيخان و الترمذى و النسائى و ابن ماجه و أبو داود و الحاكم و الطبرانى و الدارقطنى و الخطيب و ابن عدى و غيرهم عن جمع كثير من الصحابة قال ابن الصلاح حديث من كذب على من المتواتر و ليس فى الاحاديث ما فى مرتبته من التواتر فان ناقليه من الصحابة جم غفير قيل اثنان و ستون من الصحابة فيهم العشرة المبشرة و قيل لانعرف حديثا اجتمع فيه العشرة الا هذا ثم عدد الرواة كان فى التزايد فى كل قرن (و عن سمرة) بفتح السين و ضم الميم (ابن جندب) بضم الجيم و الدال و يفتح الفزارى حليف الانصار كان من الحفاظ المكثرين عن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم روى عنه جماعة مات بالبصرة آخر سنة تسع و خمسين (و المغيرة بن شعبة) بضم الميم و كسرها و الضم أشهر قيل انه أحصن ثلثمائة امرأة فى الاسلام كذا فى التهذيب ثقفى أسلم عام الخندق و قدم مهاجرا نزل الكوفة و مات بها سنة خمسين و هو ابن سبعين سنة و هو أميرها لمعاوية بن أبى سفيان روى عنه نفر (قالا) رضى‌الله‌عنهما (قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من حدث عنى بحديث) أى ولو بواحد (يرى) روى بضم الياء من الاراءة أى يظن و بفتحها من الرأى أى يعلم (انه) أى الحديث (كذب) بفتح الكاف و كسر الذال وجوز كسر الكاف و سكون الذال يعنى ولم‌يبين كذبه (فهو) بضم الهاء و سكونها (أحد الكاذبين) جمع باعتبار كثرة النقلة قال الاشرف سماه كاذبا لانه يعين المفترى و يشاركه بسبب اشاعته فهو كمن أعان ظالما على ظلمه قال الشيخ محيى الدين النووى يرى ضبطناه بضم الياء و الكاذبين بكسر الباء و فتح النون على الجمع و هذا هو المشهور فى اللفظين و قال القاضى عياض الرواية عندنا على الجمع ورواه أبونعيم الاصفهانى فى المستخرج من حديث سمرة على التثنية و احتج به على أن الراوى له يشارك البادئ بهذا الكذب ثم رواه أبونعيم من رواية المغيرة الكاذبين أو الكاذبين على الشك فى التثنية و الجمع و ذكر بعض الائمة جواز فتح الياء من يرى بمعنى يعلم و هو ظاهر حسن فأما من ضم الياء فمعناه يظن و يجوز أن يكون الفتح بمعنى يظن أيضا فقد حكى رأى

رواه مسلم و عن معاوية قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين و انما أنا قاسم و الله يعطى متفق عليه و عن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم الناس معادن كمعادن الذهب و الفضة

بمعنى ظن و قيل انه لايأثم الا برواية ما يعلمه أو يظنه كذبا و أما ما لايعلمه ولا يظنه فلا اثم عليه فى روايته و ان ظنه غيره كذبا أو علمه اه كلام الشيخ محيى الدين النووى قال السيد جمال الدين فى تجويزه فتح الياء بمعنى يعلم تأمل و لعل وجه التأمل ان الظن يكفى فى هذا المقام بل أبلغ فى افادة المرام فلا يحتاج الى العلم التام و يمكن دفعه بان المراد العلم بالمعنى الاعم يقينيا أو ظنيا و الله أعلم (رواه مسلم) و أحمد و ابن ماجه (و عن معاوية) رضى‌الله‌عنه هو معاوية بن أبى سفيان القرشى الاموى أمه هند بنت عتبة كان هو و أبوه من مسلمة الفتح ثم من المؤلفة قلوبهم و هو أحد الذين كتبوا لرسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم و قيل لم يكتب له من الوحى شيأ انما كتب له كتبه روى عنه ابن عباس و أبوسعيد تولى الشام بعد أخيه يزيد فى زمن عمر ولم يزل بها متوليا حاكما الى أن مات و ذلك أربعون سنة منها فى أيام عمر أربع سنين أو نحوها و مدة خلافة عثمان و خلافة على و ابنه الحسن و ذلك تمام عشرين سنة ثم استوثق له الامر بتسليم الحسن بن على اليه فى سنة احدى و أربعين و دام له عشرين سنة و مات فى رجب بدمشق و له ثمان و سبعون سنة و كان اصابته فى آخر عمره لقوة و كان يقول فى آخر عمره ليتنى كنت رجلا من قريش بذى طوى ولم أر من هذا الامر شيأ و كان عنده ازار رسول‌الله صلى‌الله‌عليه وسلم ورداؤه و قميصه و شئ من شعره و أظفاره فقال كفنونى فى قميصه و أدرجونى فى ردائه و أزرونى بازاره و احشوا منخرى و شدق و مواضع السجود من شعره و اظفاره و خلوا بينى و بين أرحم‌الراحمين (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من يرد الله به خيرا) تنكيره للتفخيم أى خيرا كثيرا (يفقهه) بتشديد القاف أى يجعله عالما (فى الدين) أى أحكام الشريعة و الطريقة و الحقيقة ولايختص بالفقه المصطلح المختص بالاحكام الشرعية العملية كما ظن فقدروى الدارمى عن عمران قال قلت للحسن يوما فى شئ قاله ياأباسعيد هكذا يقول الفقهاء قال ويحك هل رأيت فقيها قط انماالفقيه الزاهد فى الدنيا الراغب فى الآخرة البصير بأمر دينه المداوم على عبادة ربه و فى رواية انما الفقيه من انفقأت عينا قلبه فنظر الى ربه اه و يؤيده ما فى رواية من يردالله به خيرا يفقهه فى الدين و يلهمه رشده رواه أبونعيم فى الحلية عن ابن مسعود (و انما أنا قاسم) أى للعلم (و الله يعطى) أى الفهم فى العلم بمبناه و التفكر فى معناه و العمل بمقتضاه قال الطيبى الواو فى و انما للحال من فاعل يفقهه أو من مفعوله أى أنا أقسم العلم بينكم فألقى اليكم جميعا ما يليق بكل أحد و الله يوفق من يشاء منكم لفهمه قال ابن حجر و من ثم تفاوتت أفهام الصحابة مع استواء تبليغه عليه‌الصلاة‌والسلام بل فاق بعض من جاء بعد الصحابة بعضهم فى الفهم و الاستنباط كما أشار لذلك الخبر الآتى رب حامل فقه ليس بفقيه و رب حامل فقه الى من هو أفقه منه و قيل معناه أنا أقسم المال بينكم و الله يعطيه فلايكون فى قلوبكم سخط و تنكر عن التفاضل فى القسمة فانه أمرالله و الظاهر أن المعنى أنا أقسم العلم بينكم و الله يعطى العلم كذا قاله بعض الشراح و الاظهر أن لامنع من الجمع و ان كان المقام يقتضى العلم و الله أعلم قيل ولم يقل معط لان اعطاءه متجدد ساعة فساعة (متفق عليه) ورواه أحمد عنه وكذا أحمد و الترمذى عن ابن عباس و ابن ماجه عن أبى هريرة (وعن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم الناس معادن) جمع معدن و المراد به مستقر الاخلاق كذا ذكره الابهرى (كمعادن الذهب و الفضة) و غيرهما الى أن ينتهى الى الادنى

خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا رواه مسلم و عن ابن مسعود قال قال رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وسلم لاحسد الا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق و رجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها و يعلمها متفق عليه و عن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا مات الانسان انقطع عنه عمله

فمن كان استعداده أقوى كانت فضيلته أتم و فيه اشارة الى أن ما فى معادن الطباع من جواهر مكارم الاخلاق ينبغى أن يستخرج برياضة النفوس كما تستخرج جواهر المعادن بالمقاساة و التعب كذا ذكره ابن الملك و قال الطيبى المعدن المستقر من عدنت البلد اذا توطنته و منه المعدن لمستقر الجواهر و معادن خبر المبتدا ولايصح حمله الا بأحد وجهين إما على التشبيه كقولك زيد أسد و حينئذ يكون كمعادن الذهب بدلا منه أى الناس كمعادن الذهب و اما على ان المعادن مجاز عن التفاوت فالمعنى أن الناس متفاوتون يعنى فى مكارم الاخلاق ومحاسن الصفات تفاوتا مثل تفاوت معادن الذهب و المراد بالتفاوت تفاوت النسب فى الشرف و الضعة يدل عليه قوله عليه‌الصلاة‌والسلام فى حديث آخر فعن معادن العرب تسألونى قالوا نعم أى أصولها التى ينسبون اليها ويتفاخرون بها وانما جعلت معادن لما فيها من معنى الاستعدادات المتفاوتة فمنها قابلة لفيض‌الله سبحانه على مراتب المعادن و منها غير قابلة و قوله (خيارهم فى الجاهلية) الخ جملة مبينة شبههم بالمعادن فى كونها أوعية للجواهر النفيسة و الفلزات المنتفع بها المعنى بها العلوم و الحكم فالتفاوت فى الجاهلية بحسب الانساب و فى الاسلام بالاحساب ولايعتبر الاول الا بالثانى فالمعنى خيارهم بمكارم الاخلاق فى الجاهلية (خيارهم فى الاسلام) أيضا بها (اذا فقهوا) بضم القاف و قيل بالكسر أى اذا استووا فى الفقه و الا فالشرف للافقه منه قال فى النهاية فقه الرجل بالكسر اذا علم وفقه بالضم اذا صار فقيها عالما و جعله العرف خاصا بعلم الشريعة وتخصيصا بعلم الفروع (رواه مسلم و عن ابن مسعود قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لاحسد) و هو تمنى زوال نعمة أحد و انتقالها اليه كذا قيل والحق انه أعم و هو مذموم اذا عمل بمقتضاه من تصميم أو قول أو فعل ولذا قال تعالى و من شر حاسد اذا حسد و استثنوا من ذلك اذاكانت النعمة لكافر أو فاسق يستعين بها على معاصى الله و المراد هنا الغبطة وهى تمنى حصول مثلها له وأطلق الحسد عليها مجازا وقال الطيبى أى لارخصة فيه و الظاهر ان معناه لو جاز الحسد لما جاز الا فيما ذكر و أما ما قيل من انه يؤخذ من الحديث اباحة نوع من الحسد لتضمنه المنفعة فى الدين فغير صحيح (الا فى اثنتين) أى فى نفيسين أو خصلتين وروى بالتذكير أى فى شأن اثنين (رجل) روى مجرورا على البدل و هو أوثق الروايات وروى مرفوعا مبتدأ وقال الطيبى روى لاحسد الا فى اثنين فيكون رجل بدلا منه وروى فى اثنتين أى خصلتين اثنتين فلابد من تقدير مضاف ليستقيم المعنى فاذا روى فى اثنين يقدر فى شأن اثنين و اذا روى اثنتين يقدر خصلة رجل (آتاه الله) بالمد أى أعطاه (مالا) أى مالا كثيرا أو نوعا من المال ولابد أن يكون حلالا (فسلطه) أى وكله الله و وفقه (على هلكته) بفتحتين أى انفاقه و اهلاكه و عبر بذلك ليدل على انه لايبقى منه شيأ و كمله بقوله (فى الحق) ليزيل الاسراف المذموم و الرياء الملوم و لاسرف فى الخير كما لاخير فى السرف (و رجل) بالوجهين للعطف (آتاه الله الحكمة) و هى اصابة الحق بالعلم و العمل أو علم أحكام الدين قال الكرمانى عرف الحكمة لان المراد بها معرفة الاشياء التى جاءت بها الشريعة و أراد التعريف بلام العهد (فهو يقضى) أى يعمل و يحكم (بها) أى بالحكمة التى أوتيها (ويعلمها) أى غيره (متفق عليه و عن أبى هريرة قال قال رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا مات الانسان انقطع عنه عمله) أى أعماله بدليل الاستثناء و المراد فائدة عمله لانقطاع عمله يعنى لايصل اليه أجر و ثواب من شئ

الا من ثلاثة الا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له رواه مسلم و عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا

من عمله (الا من ثلاثة) أى من ثلاثة أشياء فان فائدتها لاتنقطع عنه لما ثبت عنه سبحانه أنه يثيب المكلف بكل فعل يتوقف وجوده بوجه ما على كسبه سواء فيه المباشرة و التسبب (الا من صدقة) قال الطيبى فى بعض نسخ المصابيح أسقطوا الا و هى مثبتة فى صحيح مسلم و كتاب الحميدى و جامع الاصول والمشارق وهو الى آخره بدل من قوله الا من ثلاثة فعلى التكرير فيه مزيد تقرير و اعتناء بشأنه اه وقال الابهرى من زائدة و التنوين عوض الاعمال و قيل بل الضمير فى عنه زائد و معناه اذا مات الانسان انقطع عن أعماله الا من ثلاثة و يحتمل أن يقال كلتا هما أصليتان و معناه اذا مات الانسان انقطع عنه عمله و انقطع هو عن عمله الا من ثلاثة أعمال (جارية) يجرى نفعها فيدوم أجرها كالوقف فى وجوه الخير و فى الازهار قال أكثرهم هى الوقف و شبهه مما يدوم نفعه وقال بعضهم هى القناة و العين الجارية المسبلة قلت و هذا داخل فى عموم الاول و لعلهم أرادوا هذا الخاص لكن لاوجه للتخصيص (أو علم ينتفع به) أى بعد موته قال ابن الملك قيد العلم بالمنتفع به لان غيره لا يؤتى به أجرا و المراد بالمنتفع به العلم بالله و صفاته و أفعاله و ملائكته و يدخل فيه علم الكلام أى العقائد و العلم بكتبه و يدخل فيه التفسير و بملكوت أرضه و سمائه و يدخل فيه علم الرياضى أقول و فيه نظر قال و العلم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم و يدخل فيه التفسير أيضا و الحديث و الفقه و أصوله قلت الاولى الاقتصار على الاخير المشتمل على النقير و القطمير (أو ولد صالح) أى مؤمن كما قاله ابن حجر المكى (يدعوله) قال ابن الملك قيد الولد بالصالح لان الاجر لايحصل من غيره و انما ذكر دعاءه تحريضا للولد على الدعاء لابيه حتى قيل للوالد ثواب من عمل الولد الصالح سواء دعا لابيه أم لا كما أن من غرس شجرة يحعل للغارس ثواب بأكل ثمرتها سواء دعا له الآكل أم لا قال الطيبى الاستثناء متصل تقديره ينقطع عنه ثواب أعماله من كل شئى كالصلاة و الزكاة و لاينقطع ثواب أعماله من هذه الثلاثة يعنى اذا مات الانسان لايكتب له أجر أعماله لانه جزاء العمل و هو منقطع بموته الا فعلا دائم الخير مستمر النفع مثل وقف أرض أو تصنيف كتاب أو تعليم مسئلة يعمل بها أو ولد صالح و جعل الولد من العمل لانه السبب فى وجوده اه ولاتنافى بين هذا الحصر و بين قوله عليه الصلاة والسلام من سن فى الاسلام سنة حسنة فله أجرها و أجر من عمل بها الى يوم القيامة لان السنة المسنونة من جملة المنتفع به و كذا لاتنافى بينه و بين قوله عليه الصلاة والسلام كل ميت يختم على عمله الا المرابط فى سبيل الله فانه ينموله عمله الى يوم القيامة لان النامى من عمل المرابط ما قدمه فى حياته و أما الثلاثة المذكورة فانها أعمال تحدث بعد وفاته فلاتنقطع عنه لانه سبب تلك الاعمال فهذه الاشياء يلحقه منها ثواب طار خلاف أعماله الذى مات عليها أولان معناه ان الرجل اذا مات لايزاد فى ثواب ما عمل و لاينقص منه شيأ الا الغازى فان ثواب مرابطته ينمو ويتضاعف و ليس فيه ما يدل على أن عمله يزاد بضم غيره أولا يزاد و قيل يمكن أن تجعل المرابطة داخلة فى الصدقة الجارية اذ المقصود نصرة المسلمين اه و هو الاظهر (رواه مسلم و عنه) أى عن أبى هريرة رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفس) بالتشديد أى فرج قال الطيبى كأنه فتح مداخل الانفاس فهو مأخوذ من قولهم أنت فى نفس أى سعة كأن من كان فى كربة سد عنه مداخل الانفاس فاذا فرج عنه فتحت بمعنى من أزال و أذهب (عن مؤمن) أى مؤمن و لو كان فاسقا مراعاة لايمانه (كربة) أى أى حزن و عناء و شدة و لو حقيرة (من كرب الدنيا)

نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة و من يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا و الآخرة و من ستر مسلما ستره الله فى الدنيا و الآخرة و الله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه و من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة و ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله

الفانية المنقضية و من تبعيضية أو ابتدائية (نفس الله عنه كربة) أى عظيمة (من كرب يوم القيامة) أى الباقية الغير المتناهية فلايرد انه تعالى قال من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها فانه أعم من أن يكون فى الكمية أو الكيفية و لما كان الخلق كلهم عيال الله و تنفيس الكرب احسان فجزاه الله جزاء وفاقا لقوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان (و من يسر على معسر) أى سهل على فقير و هو يشمل المؤمن و الكافر أى من كان له دين على فقير فسهل عليه بامهال أو بترك بعضه أو كله (يسر الله عليه) بدل تيسيره على عبده مجازاة بجنسه (فى الدنيا و الآخرة) أى فى الدارين أو فى أمورهما قال بعض العارفين لايخفى أن المعسر وصاحب الكربة هو المريد فى وادى الغربة المحتاج الى قطع العقبات النفسانية و المنازل الظلمانية و النورانية كما اشتهر عن الكتانى ان بين العبد و الحق ألف مقام من نور و ظلمة و يتلقاه الوساوس و الهواجس فعلى شيخه أن ينفس كربة الوساوس عنه بأمره بترك المبالاة بها و التأمل فى الحجج العقلية و الادلة النقلية ان استأهله و استدامة الذكر و الابتهال الى المولى و يسهل عليه سواء الطريق و يذيقه حلاوة التحقيق حتى يسطع فى قلبه أنوار القلوب و يطلع فى سره شموس الوصول الى المحبوب (و من ستر مسلما) أى فى قبيح يفعله فلايفضحه أو كساه ثوبا (ستره الله) أى عيوبه أو عورته (فى الدنيا و الآخرة) كما تقدم و فى شرح مسلم أى ستر بدنه بالالباس أو عيوبه بعدم الغيبة له و الذب عن معايبه و هذا على من ليس معروفا بالفساد و أما المعروف به فيستحب أن ترفع قصته الى الوالى و لو رآه فى معصية فينكرها بحسب القدرة و ان عجز يرفعها الى الحاكم اذا لم يترتب عليه مفسدة قال بعض المحققين و فيه اشارة لمن وقف على شئ من مقامات أهل العرفان و كرامات ذوى الايقان أن يحفظ سره و يكتم عن غيره أمره فان كشف الاسرار على الاغيار يسد باب العناية و يوجب الحرمان و الغواية

من اطلعوه على سر فباح به * لم يأمنوه على الاسرار ما عاشا

(و الله فى عون العبد) الواو للاستئناف و هو تذييل للكلام السابق (ما كان) أى مادام (العبد) مشغولا (فى عون أخيه) أى المسلم كما فى نسخة أى فى قضاء حاجته و فيه اشارة الى فضيلة عون الاخ على أموره و المكافأة عليها بجنسها من العناية الالهية سواء كان بقلبه أو بدنه أو بهما لدفع المضار أو جذب المسار اذ الكل عون و لما فرغ من الحث على الشفقة على خلق الله اتبعه بما ينبئ عن التعظيم لامر الله لان العلم وسيلة الى العمل فقال (ومن سلك) أى دخل أو مشى (طريقا) أى قريبا أو بعيدا قيل التنوين للتعميم اذ النكرة فى الاثبات قد تفيد العموم أى بسبب أى سبب كان من التعليم و التعلم و التصنيف و مفارقة الوطن و الانفاق فيه (يلتمس فيه) حال أو صفة (علما) نكرة ليشمل كل نوع من أنواع علوم الدين قليلة أو كثيرة اذا كان بنية القربة و النفع و الانتفاع و فيه استحباب الرحلة فى طلب العلم و قد ذهب موسى الى الخضر عليهما الصلاة والسلام و قال له هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا و رحل جابر بن عبدالله من مسيرة شهر الى عبدالله بن قيس فى حديث واحد كذا نقله ابن الملك (سهل الله له به) أى بذلك السلوك أو الطريق أو الالتماس أو العلم (طريقا) أى موصلا و منهيا (الى الجنة) مع قطع العقبات الشاقة دونها يوم القيامة (و ما اجتمع قوم) أى جمع (فى بيت) أى مجمع (من بيوت الله)

يتلون كتاب الله و يتدارسوله بينهم الا نزلت عليهم السكينة و غشيتهم الرحمة و حفتهم الملائكة و ذكرهم الله فيمن عنده

بكسر الباء وضمها و احترز به عن مساجد اليهود و النصارى فانه يكره الدخول فيها و العدول عن المساجد الى بيوت الله ليشمل كل ما يبنى تقربا الى الله تعالى من المساجد و المدارس و الربط (يتلون) حال من قوم لتخصيصه (كتاب الله) أى القرآن و ليس المراد بالتلاوة مجرد اجراء الالفاظ على اللسان بل لابد أن يقدر العبد أنه يقرأ على الله واقفا بين يديه و هو ناظر اليه بل يشهد بقلبه كأن ربه يخاطبه بل يستغرق بمشاهدة المتكلم غير ملتفت الى غيره سامعا منه كما قال الامام الصادق و قد سئل عن حالة لحقته فى الصلاة حتى خر مغشيا عليه فلما سرى عنه قال مازلت أردد الآية على قلبى حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمى لمعاينة قدرته ثم يتفكر فيما يتعلق بذات الله و صفاته و أفعاله و يقتبس معرفة الجلال و العظمة و فيما يتعلق باهلاك الاعداء و يقتبس معرفة العزة و الاستغناء و القهر و الافناء و فيما يتعلق بأحوال الانبياء و الاحياء و يقتبس معرفة اللطف و الفضل و النعماء و فى الآيات الدالة على التكليف و الارشاد و يقتبس معرفة اللطف و الحكم و يعمل بمقتضاه (و يتدارسونه بينهم) و التدارس قراءة بعضهم على بعض تصحيحا لالفاظه أو كشفا لمعانيه كذا قاله ابن الملک و يمكن أن يكون المراد بالتدارس المدارسة المتعارفة بأن يقرأ بعضهم عشرا مثلا و بعضهم عشرا أخر و هكذا فيكون أخص من التلاوة أو مقابلا لها و الاظهر أنه شامل لجميع ما يناط بالقرآن من التعليم و التعلم (الانزلت عليهم السكينة) يجوز فى مثل هذا التركيب كسر الهاء وضم الميم و هو الاكثر وضمهما و كسرهما و السكينة هى الوقار و الخشية يعنى الشئى الذى يحصل به سكون القلب و الطمأنينة و الوقار و نزول الانوار قيل و المراد هنا صفاء القلب بنوره و ذهاب الظلمة النفسانية و حصول الذوق و الشوق و قيل السكينة ملک يسكن قلب المؤمن و يؤمنه و يأمره بالخير و ذكر الطيبى عن ابن مسعود السكينة مغنم و تركها مغرم (و غشيتهم الرحمة) أى أتتهم و علتهم و غطتهم (و حفتهم الملائكة) أى ملائكة الرحمة و البركة أحدقوا و أحاطوا بهم أو طافوا بهم و داروا حولهم الى سماء الدنيا يستمعون القرآن و دراستهم و يحفظونهم من الآفات و يزورونهم و يصافحونهم و يؤمنون على دعائهم قيل و بلسان الاشارة بيوت الله عبارة عما يذكر فيه الحق من النفس و القلب و الروح و السر و الخفى فذكر بيت النفس الطاعات و ذكر بيت القلب التوحيد و المعرفة و ذكر بيت الروح الشوق و المحبة و ذكر بيت السر المراقبة و الشهود و ذكر بيت الخفى بذل الوجود و ترك الموجود و قوله الانزلت الخ اشارة الى ثمرات التلاوة و هى الانس و الحضور مع الله و تمثل الانبياء و الملائكة و الارواح المقدسة فى صور لطيفة و الصعود من حضيض البشرية الى ذروة الملكوت الاعلى بل الفرح بالبقاء و الدخول تحت الفناء و القرب من اللاهوت و التبرى من الناسوت و هذا مقام يضيق عن اعلانه نطاق النطق و لا يسع اظهاره فى ظهور الحروف و ان قميصا خيط من نسج تسعة و عشرين حرفا من معانيه قاصر قال الشيخ أبو سعيد الخراز اذا أراد الله تعالى أن يوالى عبدا من عبيده فتح عليه باب ذكره فاذا استلذ بالذكر فتح عليه باب القرب ثم رفعه الى مجالس الانس ثم أجلسه على كرسى التوحيد ثم رفع عنه الحجاب و أدخله دار الفردانية و كشف له حجاب الجلال و العظمة فاذا وقع بصره على الجلال و العظمة بقى بلا هو فحينئذ صار العبد زمنا فانيا فى حفظ سبحانه و برئ من دعاوى لنفسه (و ذكرهم الله فيمن عنده) أى الملأ الاعلى و الطبقة الاولى من الملائكة و ذكره سبحانه للمباهاة بهم يقول انظروا الى عبيدى

و من بطأ به علمه لم يسرع به نسبه رواه مسلم و عنه قال قال رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمته فعرفها فقال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت ولكنك قاتلت لان يقال جرىء فقد قيل

يذكرونى و يقرؤن كتابى (و من بطأ) بتشديد الطاء من التبطئة ضد التعجل كالابطاء و البطء نقيض السرعة و الباء فى (به) للتعدية أى من أخره و جعله بطيئا عن بلوغ درجة السعادة (عمله) السيئى فى الآخرة أو تفريطه للعمل الصالح فى الدنيا (لم يسرع به نسبه) من الاسراع أى لم‌يقدمه نسبه يعنى لم يجبر نقيصته لكونه نسيبا فى قومه اذ لا يحصل التقرب الى الله تعالى بالنسب بل بالاعمال الصالحة قال تعالى ان أكرمكم عندالله أتقاكم و شاهد ذلك أن أكثر علماء السلف و الخلف لاأنساب لهم يتفاخر بها بل كثير من علماء السلف موال و مع ذلك هم سادات الامة و ينابيع الرحمة و ذووالانساب العلية الذين ليسوا كذلك فى مواطن جهلهم نسيا منسيا و لذا قال عليه‌الصلاة‌والسلام ان الله يرفع بهذا الدين أقواما و يضع به آخرين و يؤيده ما ورد فى الحديث من‌قوله عليه‌الصلاة‌والسلام ياصفية عمة محمد يا فاطمة بنت محمد ائتونى يوم القيامة باعمالكم لا بانسابكم فانى لا أغنى عنكم من الله شيأ و ما نقل عن أبى يزيد قدس الله سره ان مريدا له تتبع خطاه من خلفه فأقبل عليه قائلا والله والله لوسلخت جلد أبى يزيد و لبسته لم‌تنل مثقال خردل من مقاماته ما لم‌تعمل عمله و أنشد

ما بال نفسك أن ترضى تدنسها * و ثوب جسمك مغسول من الدنس

ترجو النجاة و لم تسلك مسالكها * ان السفينة لا تجرى على اليبس

(رواه مسلم) قال النووى فى الاربعين بهذا اللفظ (وعنه) أى عن أبى هريرة (قال قال رسول‌الله‌صلى‌الله عليه‌وسلم ان أول الناس يقضى عليه) قيل هو صفة للناس لانه نكرة فى المعنى أى يحاسب و يسئل عن أفعاله قبل و يستفاد منه انه أول المقضى عليهم لا مطلقا (يوم القيامة) أى ثلاثة (رجل استشهد) على بناء المفعول أى قتل فى سبيل الله (فاتى به) أى بالرجل للحساب (فعرفه) بالتشديد أى ذكره تعالى (نعمته) على صيغة المفرد ههنا و الباقيتان على صيغة الجمع هكذا جاء فى صحيح مسلم و الحميدى و جامع الاصول و فى الرياض للنووى و فى بعض نسخ المصابيح و لعل الفرق اعتبار الافراد فى الاولى و الكثرة فى الاخيرتين كذا ذكره الطيبى و لعل المراد بالكثرة أصناف العلوم و الاموال و الله أعلم بالحال و ليس المراد بالافراد نعمة الشهادة كما يتوهم فانه لايلائمه ما بعده بل المراد افراد جنسية النعمة فان المفرد المضاف للعموم بخلاف الاخيرتين فانه جمع فيهما لارادة الانواع أو أفرد فى الاول لنعمته البدنية فقط بخلاف الاخيرتين فانه انضم معها النعمة المالية أو العلمية (فعرفها) بالتخفيف أى تذكرها فكأنه من الهول و الدهشة نسيها و ذهل عنها (فقال تعالى فما عملت فيها) أى فى مقابلتها شكرا لها أى فى أيامها لينفعك اليوم (قال) أى الرجل (قاتلت فيك) أى جاهدت فى جهتك خالصا لك كذا ذكره الطيبى أى حاربت لاجلك ففى تعليلية (حتى استشهدت) الظاهر ان هذا المقول صدر منه على زعمه قال تعالى و يحسبون أنهم يحسنون صنعا و يحتمل انه مبالغة فى التمويه المعتاد به على ما ورد كما يعيشون يموتون و كما يموتون يحشرون و قد قال تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم و يحسبون أنهم على شئ ألا انهم هم الكاذبون (قال) تعالى (كذبت) أى فى دعوى الاخلاص أو فى هذا القول (و لكنك قاتلت لان يقال) أى فى حقك انك أو هو (جرىء) فعيل من الجراءة فهو مهموز أى قديد غم أى شجيع (فقد قيل) أى ذلك القول لك و فى شأنك

ثم امر به فسحب على وجهه حتى ألقي فى النار و رجل تعلم العلم و علمه و قرأ القرآن فاتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته و قرأت فيک القرآن قال كذبت ولكنک تعلمت العلم ليقال انک عالم و قرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى القي فى النار و رجل وسع الله عليه و أعطاه من أصناف المال كله فاتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال ماتركت من سبيل تحب أن ينفق فيها الا أنفقت فيها لک قال كذبت ولكنک فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم القي فى النار رواه مسلم و عن عبدالله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لايقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤسا جهالا

فتحصل مقصودك و غرضک. (ثم أمر به) أى قيل لخزنة جهنم ألقوه فى النار (فسحب) أى جر (على وجهه حتى ألقي فى النار) مبالغة فى تنكيله (و رجل تعلم العلم) أى الشرعي (و علمه) أى الناس أى وصل الى مرتبة الكمال و التكميل (و قرأ القرآن) فهو تخصيص بعد تعميم أو المراد به مجرد تلاوة القرآن يعني التعلم و التعليم لم يمنعاه عن الاشتغال بالقرآن و هذا أظهر (فأتى به) الى محضر الحساب (فعرفه نعمه) تعالى أو نعم الرجل (فعرفها) فكأنه لغفلته عنها كان أنكرها (قال) تعالى (فما عملت فيها) أى هل صرفتها فى مرضاتى أم فى غيرها (قال تعلمت العلم و علمته و قرأت فيک القرآن) أى صرفت نعمتى التى أنعمت بها على فى الاشتغال بالعلم و العمل و القراءة ابتغاء لوجهک و شكرا لنعمتک (قال كذبت) فى دعوى مقام الاخلاص أو على مقتضى عادتک (ولكنک تعلمت العلم ليقال انک عالم) و لعله لم يقل و علمت العلم ليقال انک معلم للاختصار واكتفاء بالمقايسة أو لان أساس الشئ اذا لم يكن على الاخلاص فيبعد بناؤه أن يكون على وجه الاختصاص (و قرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل) لک عالم و قارئ فما لک عندنا أجر (ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي فى النار) نعوذ بالله منها (و رجل وسع الله عليه) أى كثر ماله (و أعطاه) عطف بيان (من أصناف المال كله) كالنقود و المتاع و العقار و المواشي (فأتى به) على رؤس الخلائق للافتضاح (فعرفه نعمه فعرفها قال) تعالى (فما عملت فيها) أى فى مقابلة النعم أو فى الأموال (قال ما تركت من سبيل) من زائدة تأكيدا لاستغراق النفي (تحب أن ينفق فيها) كبناء المساجد و المدارس و اعطاء الزكاة و الصدقات (الا أنفقت فيها لک قال كذبت) أى فى قولک لک (ولكنک فعلت ليقال هو جواد) أى سخي كريم (فقد قيل) و فيه اشارة الى أن الله لايضيع أجر من عمل لأى غرض يكون (ثم أمر به فسحب على وجهه) ثم هذا هو الأصل الصحيح من النسخ فى هذا المحل و فى نسخة هنا أيضا (حتى ألقي فى النار رواه مسلم وعن عبدالله بن عمرو) أى ابن العاص (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لايقبض العلم) المراد به علم الكتاب و السنة و ما يتعلق بهما (انتزاعا) مفعول مطلق على معنى يقبض نحو رجع القهقرى و قوله (ينتزعه من العباد) صفة مبينة للنوع كذا قاله السيد جمال الدين و قال ابن الملک انتزاعا مفعول مطلق للفعل الذى بعده و الجملة حالية يعني لايقبض العلم من العباد بان يرفعه من بينهم الى السماء (ولكن يقبض العلم) أى يرفعه (بقبض العلماء) أى بموتهم و رفع أرواحهم (حتى) هي التى تدخل على الجملة و هي هنا الشرط و الجزاء يعني (اذا لم يبق) أى الله (عالما) بقبض روحه من الابقاء و فى نسخة حتى اذا لم يبق بفتح الياء و القاف و عالم بالرفع و يؤيد الاول رواية مسلم حتى اذا لم يترك عالما (اتخذ الناس رؤسا) أى خليفة و قاضيا و مفتيا و اماما و شيخا (جهالا)

فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا و أضلوا متفق عليه و عن شقيق قال كان عبدالله بن مسعود يذكر الناس في كل خميس فقال له رجل ياأبا عبدالرحمن لوددت انک ذكرتنا في كل يوم قال أما انه يمنعني من ذلک انی أكره أن أملكم و انی أتخولكم بالموعظة كما كان النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم يتخولنا بها مخافة السآمة علينا متفق عليه و عن أنس قال كان النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا حتى تفهم عنه و اذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثا

جمع جاهل أي جهلة بما يناسب منصبه قال الشيخ محيي الدين النووي ضبطناه في البخاري رؤسا بضم الهمزة و التنوين جمع رأس و ضبطوه في مسلم هنا بوجهين أحدهما هذا و الثاني رؤساء جمع رئيس و كلاهما صحيح و الاول أشهر (فسئلوا فافتوا) أي أجابوا وحكموا (بغير علم فضلوا) أي صاروا ضالين (و أضلوا) أي مضلين لغيرهم فيعم الجهل العالم (متفق عليه) و رواه أحمد و الترمذي و ابن ماجه (و عن شقيق) هو ابن أبي سلمة يكنى أبا وائل الاسدي أدرك زمن النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم ولم يره ولم يسمع منه و هو ثقة حجة روى عن خلق من الصحابة منهم عمر بن الخطاب و ابن مسعود و كان خصيصا به من أكابر الصحابة وهو كثير الحديث مات زمن الحجاج قاله المصنف (قال كان عبدالله بن مسعود يذكر) بالتشديد أي يعظ (الناس) و يخوفهم أي يذكر كلام الله و حديث رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لهم (في كل خميس) و لعل وجه التخصيص ليصل بركته الى يوم الجمعة (فقال له رجل) يحتمل الراوي و غيره (ياأبا عبدالرحمن لوددت) أي احببت أو تمنيت (انک ذكرتنا في كل يوم) لغلبة الغفلة علينا ليعود بتذكيرك الحضور الينا (قال أما) بمعنى ألا للتنبيه (انه) بكسر الهمزة و الضمير للشان (يمنعني من ذلک) أي من التذكير كل يوم (انی أكره) بفتح الهمزة فاعل يمنعني أي كراهتي (أن أملكم) مفعول أكره أي املالكم يعني ايقاعكم في الملالة (و انی) بكسر الهمزة عطف على انه أو حال (أتخولكم) من التخول و هو التعهد وحسن الرعاية (بالموعظة كما كان رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وسلم يتخولنا) من التخول و في بعض الروايات بالحاء المهملة و هو تفقد الحال وروى يتخوننا بالخاء المعجمة و النون بمعنى يتخولنا قيل الرواية باللام أكثر و زعم بعضهم أن الصواب يتحولنا بالحاء المهملة لكن الرواية في الصحاح بالخاء المعجمة وكان أبو عمرو يقول انما هو يتخوننا و التخون التعهد وقد رد على الاعمش روايته باللام وكان الاصمعي يقول ظلمه ابو عمرو ويقال يتخولنا و يتخوننا جميعا كذا ذكره الطيبي ويدل عليه اختلاف الرواة في حديث واحد يعني يتفقدنا (بها) أي بالموعظة في مظان القبول ولايكثر علينا ولايعظنا متواليا (مخافة السآمة علينا) و في المصابيح كراهة السآمة أي الملالة اذ لاتأثير للموعظة عند الملالة قال ابن الملک أي يعظنا يوما دون يوما و وقتا دون وقت و يروى بالحاء المهملة أيضا أي يتأمل أحوالنا التي ننشط فيها للموعظة فيعظنا فيها و كذلک يفعل المشائخ و الوعاظ في تربية المريدين (متفق عليه و عن أنس قال كان النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم) أي غالبا أو أحيانا (اذا تكلم بكلمة) أي بجملة مفيدة (أعادها) أي كررها (ثلاثا حتى تفهم) أي تلک الكلمة (عنه) أي فهما قويا راسخا في النفس وفيه اشارة الى أن المراد بالكلمة الكلام الذي لايفهم الا بالاعادة ثم الاعادة يحتمل أن تكون في مجلس أو مجالس و الاقتصار على الثلاث و الله أعلم بمقتضى مراتب فهوم الناس من الادنى و الاوسط و الاعلى ولذا قيل من لم يفهم في ثلاث مرات لم يفهم أبدا (و اذا أتى) أي مر (على قوم) أو أشرف عليهم (فسلم عليهم) أي فأراد السلام عليهم (سلم عليهم ثلاثا) قال ابن القيم لعل هذا كان هديه في السلام على الجمع الكثير الذين لايبلغهم سلام واحد اه و ذلک

رواه البخاری و عن أبی مسعود الانصاری قال جاء رجل الی النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم فقال انه ابدع بی فاحملنی فقال ما عندی فقال رجل یارسول‌الله أنا أدله علی من یحمله فقال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم من دل علی خیر فله مثل أجر فاعله رواه مسلم وعن جریر قال کنا فی صدر النهار عند رسول‌الله صلی‌الله‌علیه وسلم فجاءه قوم عراة مجتابی النمار أو العباء متقلدی السیوف عامتهم من مضر بل کلهم من مضر فتمعر وجه رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم لما رأی بهم من الفاقة

بان یسلم علی المواجهین ثم یمنة ثم یسرة و قیل هذا عند الاستئذان أی اذا لم‌یؤذن بمرة أو مرتین سلم علیهم ثلاثا ثم ینصرف کما جاء فی حدیث الاستئذان و قیل سلم للاستئذان و للتحیة عند الدخول و للوداع عند الخروج و هذه التسلیمات الثلاث سنة لکل أحد أتی شخصا أو قوما و کان علیه‌الصلاة والسلام یواظب علیها کما أفادته کان المقتضیة لتکریر الفعل وضعا عند جماعة و عرفا عند آخرین و هو الاصح کما قاله ابن‌حجر (رواه البخاری و عن أبی مسعود الانصاری) هو أبومسعود عقبة ابن عمرو الانصاری البدری شهد العقبة الثانیة ولم یشهد بدرا عند جمهور أهل العلم بالسیر و قیل انه شهدها و الاول أصح وانما نسب الی ماء بدر لانه نزله فنسب الیه و سکن الکوفة و مات فی خلافة علی روی عنه ابنه بشیر و خلق سواه (قال جاء رجل الی النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم فقال انه) الضمیر للشان (أبدع بی) علی بناء المفعول یقال أبدعت الراحلة اذا انقطعت عن السیر لکلال جعل انقطاعها عما کانت مستمرة علیه ابداعا عنها أی انشاء أمر خارج عما اعتید منها و معنی أبدع بالرجل انقطع به راحلته کذا حققه الطیبی أی انقطع راحلتی بی ولما حول للمفعول صار الظرف نائبه کسیر بعمرو (فاحملنی) بهمزة الوصل أی رکبنی واجعلنی محمولا علی دابة غیرها (فقال) صلی‌الله‌علیه‌وسلم (ما عندی) أی لاأجد ما أحملکم علیه (فقال رجل یارسول‌الله أنا أدله علی من یحمله) أی من أغنیاء المسلمین کعثمان أو ابن عوف (فقال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم من دل) أی بالقول أو الفعل أو الاشارة أو الکتابة (علی خیر) أی علم أو عمل مما فیه أجر و ثواب (فله) فللدال (مثل أجر فاعله) أی من غیر أن ینتقص من أجره شئ (رواه مسلم) وروی البزار عن ابن مسعود و الطبرانی عن سهل بن سعد وعن أبی مسعود بلفظ الدال علی الخیر کفاعله و رواه أحمد و عبدالرزاق فی الجامع و الضیاء عن بریدة و ابن أبی الدنیا عن أنس بلفظ الدال علی الخیر کفاعله و الله یحب اغاثة اللهفان کذا فی الجامع الصغیر (و عن جریر) هو جریر بن عبدالله أبوعمرو أسلم فی السنة التی توفی فیها رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم قال جریر أسلمت قبل موت النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم بأربعین یوما و نزل الکوفة و سکنها زمانا ثم انتقل الی قرقیسیا و مات بها سنة احدی و خمسین روی عنه خلق کثیر (قال کنا فی صدر النهار) أی أوله (عند رسول‌الله صلی‌الله علیه‌وسلم فجاءه قوم عراة) أی یغلب علیهم العری حال کونهم (مجتابی) هو بالجیم و بعد الالف باء أی لابسی (النمار) بکسر النون و هی أکسیة من صوف مخططة واحدتها نمرة بفتح النون کذا قاله الطیبی (أو العباء) و الظاهر أنه شک من الراوی أو للتنویع ففی القاموس انه کساء معروف و النمرة شملة فیها خطوط بیض و سود أو بردة من صوف یلبسها الاعراب فعلی الاول حال متداخلة أو مترادفة و المراد انهم متقلدون للسیوف من جوانبهم (و متقلدی السیوف) کذا فی نسخة السید جمال‌الدین بالواو و علیه صح بالحمرة لکن فی بعض النسخ هذه الواو غیر موجودة و یدل علیه اختلاف الرواة فی حدیث واحد (عامتهم) أی أکثرهم (من مضر) کعمر قبیلة عظیمة (بل کلهم من مضر) أی مبالغة (فتمعر) بالتشدید أی فتغیر (وجه رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم) و ظهر علیه آثار الحزن (لما رأی بهم من الفاقة)

فدخل ثم خرج فأمر بلالا فأذن و أقام فصلى ثم خطب فقال يأأيهاالناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة الى آخر الآية ان الله كان عليكم رقيبا و الآية التى فى الحشر اتقوا الله و لتنظر نفس ما قدمت لغد تصدق رجل

أى الفقر الشديد و من بيان لما يغنى لما لم يكن عنده من المال ما يجبر كسرهم و يغنى فقرهم و يكسيهم و يعطيهم ما يغنيهم و هذا من كمال رأفته و رحمته خصوصا فى حق أمته (فدخل) أى فى بيته لعله يلقى شيأ من زيادة النفقة أو لتجديد الطهارة و التهيئة للموعظة (ثم خرج فأمر بلالا) أى بالاذان (فأذن و أقام فصلى) أى احدى الصلوات المكتوبة بدليل الأذان و الاقامة و الاظهر أنها الظهر أو الجمعة لقوله فى صدر النهار (ثم خطب) أى وعظ و هو يحتمل أن يكون قائما أو قاعدا فوق المنبر أو دونه (فقال يأأيهاالناس) أى المؤمنون فما قال بعض السلف من أن كل ما فى القرآن من قوله يأأيهاالناس خطاب للكفار غالبى (اتقوا ربكم) أى عذابه أو مخالفته (الذى خلقكم) أى بالواسطة (من نفس واحدة) وهى آدم (الى آخر الآية) و تمامها و خلق منها أى من ضلعها زوجها أى حوّاء و الواو لمطلق الجمع أو للحال و قد تقدر أولاتقدر و بث منهما أى فرق من أولادهما بوسط أو غير وسط روى ان بنى آدم لصلبه أربعون فى عشرين بطنا و عن ابن عباس قال ولد لآدم أربعون ولدا عشرون غلاما و عشرون جارية رجالا كثيرا و نساء أى كثيرة فاكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة تقتضى ان يكن أكثر و تذكير الكثير حمل على الجمع دون الجماعة ولان الفعيل يستوى فيه التذكير و التأنيث و اتقوا الله الذى تساءلون بالتشديد و التخفيف به أى بالله و الارحام بالنصب عند الجمهور عطفا على الجلالة أى اتقوا قطعها و بالجر عطفا على الضمير المجرور من غير اعادة الجار و هو جائز فصيح و أخطأ من ضعفه و كان العرب يقول بعضهم لبعض أسالك بالله و بالرحم كذا (ان الله كان عليكم رقيبا) أى مطلعا على أقوالكم و أفعالكم و أحوالكم فراقبوا الله تعالى فيها (و الآية) قال الطيبى بالنصب عطفا من حيث المعنى على قوله يأأيهاالناس اتقوا على تأويل قال بقرأ أى قرأ هذه الآية و الآية (التى فى الحشر) اه و أولها يأأيهاالذين آمنوا و بعده (اتقوا الله ولتنظر نفس) و هى نكرة تفيد العموم أى كل نفس كقوله تعالى علمت نفس (ما قدمت) و أخرت أى لتتفكر و تتأمل النفوس ما قدمت أى أى شئى من العبادات و الخيرات أرسلته الى الآخرة (لغد) أى لنفع الغد من الزمان و هو يوم القيامة و تمامها و اتقوا الله و هو تكرير للتأكيد أو الاول معناه اتقوا مخالفته و الثانى اتقوا عقوبته أو بالعكس و هو الاظهر لقوله ان الله خبير بما تعملون أى عالم بأعمالكم فيخبركم بها و يجازيكم عليها و هو مشتمل على الوعد و الوعيد و فيه جواز تقطيع الآية و الحديث بأن يؤتى ببعض كل منهما على حسب الحاجة و الله أعلم (تصدق رجل) بفتح القاف و تسكن قال الطيبى لعل الظاهر ليتصدق رجل و لام الامر للغائب محذوف و جوزه ابن الانبارى و نقل عن بعض أهل اللغة أن نبك فى قفانبك مجزوم على تأويل الامر أى فلنبك و احتج بقوله تعالى ذرهم يأكلوا أى فليأكلوا و قوله تعالى قل للذين آمنوا يغفروا أى فليغفروا ولو حمل تصدق على الفعل الماضى لم يساعده قوله ولو بشق تمرة اذ المعنى ليتصدق رجل ولو بشق تمرة و كذا قوله فجاء رجل الخ لانه بيان لامتثال أمره عليه الصلاة والسلام عقيب الحث على الصدقة ولمن يجريه على الاخبار وجه لكن فيه تعسف غير خاف اه قال الابهرى و يأبى عن الحمل على حذف اللام عدم حرف المضارعة اه فيتعين حمله على أنه خبر لفظا و أمر معنى و اتيان الاخبار بمعنى الانشاء كثير فى الكلام فليس فيه تكلف فضلا عن تعسف و منه قوله تعالى تؤمنون بالله و رسوله و تجاهدون فى سبيل الله قيل انهما بمعنى آمنوا و جاهدوا و منه ما تقدم فى الحديث

من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره حتى قال و لو بشق تمرة قال فجاء رجل من الانصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام و ثياب حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل كأنه مذهبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن فى الاسلام سنة حسنة فله أجرها و أجر من عمل بها من بعده

تعبد الله بمعنى اعبد الله بل قيل انه أبلغ فكأنه أمره و امتثل به فاخبر عنه به و الله أعلم لايقال هذا الاخبار مضارع و الكلام فى الماضى لان الخبر من حيث انه خبر لا تفاوت فيه ماضيا أو مضارعا مع أن الابلغية المذكورة أظهر فى الماضى لدلالته على تحقق وقوعه لان الحديث الآتى فمن أخذه أخذ بحظ وافر حمل بعضهم أخذ الثانى على معنى الامر (من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره) بضم الموحدة أى من قمحه وحنطته و فى معناه من شعيره (من صاع تمره) واعادة العامل تفيد الاستقلال و تدفع أن يكون الصاع منهما قال الطيبى رجل نكرة وضعت موضع الجمع المعروف لافادة الاستغراق فى الافراد و ان لم تكن فى سياق النفى كشجرة فى قوله تعالى ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام فان شجرة وقعت موقع الاشجار و من ثم كرر فى الحديث مرارا بلا عطف أى ليتصدق رجل من ديناره و رجل من درهمه و هلم جرا و من فى من دينار اما تبعيضية اى ليتصدق مما عنده من هذا الجنس و اما ابتدائية متعلقة بالفعل فالاضافة بمعنى اللام أى ليتصدق بما هو مختص به و هو مفتقر اليه على نحو قوله تعالى و يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (حتى قال) النبى صلى الله عليه وسلم ليتصدق كل رجل منكم (ولو بشق تمرة قال) أى الراوى (فجاء رجل من الانصار بصرة) بالضم أى ربطة من الدراهم أو الدنانير (كادت كفه) أى قاربت (تعجز) بكسر الجيم و تفتح (عنها) أى عن حمل الصرة لثقلها لكثرة ما فيها (بل قد عجزت) بفتح الجيم و تكسر (ثم تتابع الناس) أى توالوا فى اعطاء الخيرات و اتيان المبرات (حتى رأيت كومين) الكومة بالفتح الصبرة (من طعام) الظاهر انه هنا حبوب ولعل الاقتصار عليه من غير ذكر النقود لغلبته (و ثياب حتى رأيت) بدل من حتى الاولى أو غاية لها أى حتى أبصرت (وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل) أى يستنير و يظهر عليه أمارات السرور (كأنه مذهبة) بضم الميم و سكون المعجمة و فتح الهاء بعده موحدة و هى مامره بالذهب و فى نسخة بالمهملة و ضم الهاء و النون و هو ما يجعل فيه الدهن قال النووى هو بالذال المعجمة و فتح الهاء و الباء الموحدة و قال القاضى عياض و غيره صحفه بعضهم فقال مدهنة بدال مهملة و ضم الهاء و بالنون وكذا ضبطه الحميدى و الصحيح المشهور هو الاول و المراد به على الوجهين الصفاء و الاستنارة كذا ذكره السيد جمال الدين (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن فى الاسلام سنة حسنة) أى أتى بطريقة مرضية يقتدى به فيها (فله أجرها) أى أجر تلك السنة أى ثواب العمل بها و فى نسخة أجره أى أجر من سن يعنى أجر عمله قال التوربشتى فى عامة نسخ المصابيح فله أجرها و هو غير سديد رواية و معنى انما الصواب أجره و الضمير لصاحب الطريقة أى له أجر عمله و أجر من عمل بسنته و ظن بعض الناس ان الضمير راجع الى السنة و قد وهم فيه بعض الناس المتأخرين من رواة الكتابين و ليس ذلك من رواية الشيخين فى شئ قال المؤلف هذا الحديث لم يورده البخارى انما هو من افراد مسلم و وجد فى نسخ متعددة من مسلم أجرها و على هذا شرح الامام النووى و الاضافة لادنى ملابسة فان السنة سبب ثبوت الاجر فجازت الاضافة كذا ذكره الطيبى قلت و يؤيد ما ذكره المؤلف اتفاق النسخ على وزرها و الله أعلم (و أجر من عمل بها) أى بتلك الحسنة (من بعده) من بيان

من غير أن ينقص من أجورهم شئ و من سن فى الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها و وزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شئ رواه مسلم و عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتقتل نفس ظلما الا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها لانه أول من سن القتل متفق عليه و سنذكر حديث معاوية لايزال من أمتى فى باب ثواب هذه الامة ان شاء الله تعالى * (الفصل الثانى) * عن كثير بن قيس قال كنت جالسا مع أبى الدرداء فى مسجد دمشق فجاءه رجل فقال يا با الدرداء انى جئتك من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم لحديث بلغنى انك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئت لحاجة

من و فى المصابيح و أجر من عمل بعده قال ابن الملك أى بعد ممات من سنها قيد به لما يتوهم ان ذلك الاجر يكتب له ما دام حيا اه قلت و فيه انه يتوهم حينئذ ان الاجر لايكتب له و هو حى فالاحسن أن يقال من بعد ما سنه (من غير أن ينقص) على البناء للمفعول و جوز أن يكون معلوما لانه متعد و لازم (من أجورهم شئ) أى من النقص (و من سن فى الاسلام سنة سيئة) أى بدعة مذمومة عمل بها (كان عليه وزرها) أى اثمها (و وزر من عمل بها من بعده) أى من جهة تبعيته (من غير أن ينقص) تقدم (من أوزارهم شئ) جمع فى الموضعين باعتبار معنى من كما أفرد فى ينقص باعتبار لفظه (رواه مسلم و عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتقتل نفس ظلما) نصب على التمييز (الا كان على ابن آدم الاول) صفة لابن و هو قابيل قتل أخاه هابيل حين تزوج كل باخته التى مع الآخر فى بطن واحد لان شريعة آدم أن بطون حواء كانت بمنزلة الاقارب الاباعد و حكمته تعذر التزوج فاقتضت مصلحة بقاء النسل تجويز ذلك فحينئذ قتل أخاه لان زوجته كانت أجمل و بسط هذه القصة فى التفسير قال التوربشتى انما قيد بالاول لئلا يشتبه اذ فى بنى آدم كثرة و هذا يدل على ان قابيل كان أول مولود من بنى آدم كذا ذكره الطيبى و تبعه ابن حجر و فيه نظر ظاهر لان المفسرين ذكروا ان قضيتهما كانت بعد بطون متعددة و الله أعلم فالاظهر أن اللام للعهد أى الاول من القتلة (كفل) أى نصيب (من دمها) أى دم النفس (لانه أول من سن القتل) و هذا يؤيد ما قلنا (متفق عليه و سنذكر حديث معاوية لايزال من أمتى فى باب ثواب هذه الامة ان شاء الله تعالى) و تقدم وجهه * (الفصل الثانى) * * (عن كثير بن قيس) ذكره المصنف فى التابعين (قال كنت جالسا مع أبى الدرداء فى مسجد دمشق) بكسر الدال و فتح الميم و يكسر أى الشام (فجاءه) أى أبا الدرداء (رجل) أى من طلبة العلم (فقال يا با الدرداء) يقرأ الهمز بعد حرف النداء و لايكتب رسما (انى جئتك من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم) قال ابن حجر كره الشافعى أن يقال ذلك لانه لفظ مشترك بين رسول الله و رسول غيره و لايرد عليه يا أيها الرسول الآية لان خطاب الله لنبيه تشريف له بأى لفظ كان و له تعالى أن يخاطب عبيده بما شاء و من ثم أخذ من قوله تعالى لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا أنه يحرم نداؤه باسمه كيا محمد أو بكنيته كيا أبا القاسم قال و انما ينادى بنحو يا رسول الله يا نبى الله اه و فيه ان القرينة المانعة من ارادة الاشراك قائمة فانه لايفهم بل لايتوهم من مدينة الرسول غير رسول الله صلى الله عليه وسلم لاسيما اذا انضم اليه صلى الله عليه وسلم و نحوه (لحديث) أى لاجل تحصيل حديث (بلغنى أنك تحدثه) أى ذلك الحديث (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) و هو يحتمل أن يكون سمعه اجمالا و يحتمل أن يكون سمع الحديث لكن أراد ان يسمعه بلا واسطة لافادة العلم و زيادة يقينه أو لعلو الاسناد فانه من الدين (ماجئت) الى الشام (لحاجة) أخرى

- قال فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة و ان الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم.

غير أن أسمعك الحديث ثم تحديث أبى الدرداء بما حدثه يحتمل أن يكون مطلوب الرجل بعينه أو يكون بيانا ان سعيه مشكور عند الله و لم يذكر هنا ما هو مطلوبه و الاول أغرب و الثانى أقرب (قال) أى أبو الدرداء (فانى) أى اذا كان الامر كذلك فاعلم انى (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك) أى دخل أو مشى (طريقا) أى قريبا أو بعيدا (يطلب فيه) أى فى ذلك الطريق أو فى ذلك المسلك أو فى سلوكه (علما) قال الطيبى و انما أطلق الطريق و العلم ليشملا فى جنسهما أى طريق كان من مفارقة الاوطان و الضرب فى البلدان الى غير ذلك كما سبق و أى علم كان من علوم الدين قليلا أو كثيرا رفيعا أو غير رفيع و فى شرح السنة عن الثورى ما أعلم اليوم شيأ أفضل من طلب العلم قيل له ليس لهم نية قال طلبهم له نية أى سببها و لذا قال بعضهم طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون الا لله و عن الشافعى رحمه الله طلب العلم أفضل من صلاة النافلة اه لانه اما فرض عين أو فرض كفاية و هما أفضل من النافلة و قال الامام مالك العلم الحكمة و هو نور يهدى الله به من يشاء و ليس بكثرة المسائل اه و لعله يشير الى معنى الآية يؤتى الحكمة من يشاء (سلك الله به) الضمير المجرور عائد الى من و الباء للتعدية أى جعله سالكا و وفقه ان يسلك طريق الجنة و قيل عائد الى العلم و الباء للسببية و سلك بمعنى سهل و العائد الى من محذوف و المعنى سهل الله له بسبب العلم (طريقا من طرق الجنة) فعلى الاول سلك من السلوك و على الثانى من السلك و المفعول محذوف كقوله تعالى يسلكه عذابا صعدا قيل عذابا مفعول ثان و على التقديرين نسبة سلك الى الله تعالى على طريق المشاكلة كذا قاله الطيبى و قال ابن الملك فيه اشارة الى أن طرق الجنة كثيرة و كل عمل صالح طريق من طرقها و طرق العلم أقرب الطرق اليها و أعظم اه قلت و الاظهر ان كل علم طريق الى الجنة كما يستفاد من تنكيرهما و فيه ايماء الى ان طرق الجنة محصورة فى طرق العلم فان العمل الصالح لا يتصور بدون العلم و الله أعلم فقول الصوفية الطرق الى الله بعدد أنفاس المخلوقات مبنى على المعرفة و هى نوع من أنواع العلم و لان طريق غير العلم هو طريق الجهل و ما اتخذ الله وليا جاهلا و لو اتخذه لعلمه (و ان الملائكة) اللام للجنس أو للعهد أى ملائكة الرحمة قال ابن حجر و يحتمل ان الملائكة كلهم و هو أنسب بالمعنى المجازى فى قوله (لتضع أجنحتها رضا) حال أو مفعول له على معنى ارادة رضا ليكون فعلا لفاعل الفعل المعلل (لطالب العلم) اللام متعلق برضا و قيل التقدير لاجل الرضا الواصل منها اليه أو لاجل ارضائها لطالب العلم بما يصنع من حيازة الوراثة العظمى و سلوك السنن الاسنى قال زين العرب و غيره قيل معناه انها تتواضع لطالبه توقيرا لعلمه كقوله تعالى و اخفض لهما جناح الذل من الرحمة أى تواضع لهما أو المراد الكف عن الطيران و النزول للذكر كقوله فى الحديث السابق و حفت بهم الملائكة أو معناه المعونة و تيسير المؤنة بالسعى فى طلبه أو المراد تليين الجانب و الانقياد و الفىء عليه بالرحمة و الانعطاف أو المراد حقيقته و ان لم تشاهد و هى فرش الجناح و بسطها لطالب العلم لتحمله عليها و تبلغه مقعده من البلاد نقله السيد جمال الدين و نقل ابن القيم عن أحمد بن شعيب قال كنا عند بعض المحدثين بالبصرة فحدثنا بهذا الحديث و فى المجلس شخص من المعتزلة فجعل يستهزئ بالحديث فقال و الله لاطرقن غدا نعلى و أطأ بها أجنحة الملائكة ففعل و مشى فى النعلين فجفت رجلاه و وقعت فيهما الاكلة و قال الطبرانى سمعت ابن يحيى الساجى يقول كنا نمشى فى أزقة البصرة

و ان العالم يستغفر له من فى السموات و من فى الارض و الحيتان فى جوف الماء و ان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب و ان العلماء ورثة الانبياء و ان الانبياء لم يورثوا دينارا و لا درهما

الى باب بعض المحدثين فأسرعنا المشى و كان معنا رجل ماجن منهم فى دينه فقال ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة لاتكسروها كالمستهزئ بالحديث فما زال عن موضعه حتى حفت رجلاه و سقط الى الارض اه و الحفاء رقة القدم على ما فى القاموس و فى رواية فى السنن و المسانيد عن صفوان بن عسال قال قلت يارسول الله جئت أطلب العلم قال مرحبا بطالب العلم ان طالب العلم لتحف به الملائكة و تظله بأجنحتها فيركب بعضها على بعض حتى تبلغ السماء الدنيا من حبهم لما يطلب نقله الشيخ ابن القيم و قال الحاكم اسناده صحيح (و ان العالم يستغفر له) قال الطيبى هو مجاز من ارادة استقامة حال المستغفرله اه و الحقيقة أولى (من فى السموات) لانهم عرفوا بتعريف العلماء و عظموا بقولهم (و من فى الارض) قيل فيه تغليب و المراد ما فى الارض لان بقاءهم و صلاحهم مربوط برأى العلماء و فتواهم و لذلك قيل ما من شئ من الموجودات حيها و ميتها الاوله مصلحة متعلقة بالعلم (و الحيتان) جمع الحوت (فى جوف الماء) خص لدفع ايهام ان من فى الارض لايشمل من فى البحر أو تعميم بعد تعميم بان يراد بالحيتان جميع دواب الماء و هى أكثر من عوالم البر لما جاء أن عوالم البر أربعمائة عالم و عوالم البحر ستمائة عالم قال ابن الملك و خص بالذكر بعد دخولها فى الجملة المذكورة اذ هى فى الماء اه و بين كلاميه تناقض نعم يصلح أن يكون سؤالا و جوابا ثم قال و ان سلم أن قوله من فى الارض يشملها فذكرها للايماء الى أن العلم ماء و لذلك استغفر للعالم لان السبب لبقائه مختص به قال تعالى أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها قال ابن عباس الماء العلم و الاودية القلوب اه كلامه و فيه ما فيه و قال الطيبى تخصيص الحيتان للدلالة على أن انزال المطر ببركتهم حتى أن الحيتان تعيش بسببهم اه و فى الحديث بهم تمطرون و بهم ترزقون (و ان فضل العالم) أى الغالب عليه العلم و هو الذى يقوم بنشر العلم بعد أدائه ما توجه اليه من الفرائض و السنن المؤكدة (على العابد) أى الغالب عليه العبادة و هو الذى يصرف أوقاته بالنوافل مع كونه عالما بما تصح به العبادة (كفضل القمر ليلة البدر) أى ليلة الرابع عشر و به أول طه على حساب الجمل و أريد به النبى صلى الله عليه وسلم يعنى المشبه به فى نهاية النور و غاية الظهور فيكون فيه تلميح الى قوله كفضلى على أدناكم كما فى قوله (على سائر الكواكب) ايماء الى قوله أصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم فان نور المؤمن و لوكان عابدا ضعيف اذا لم يكن عالما و انما حملنا الكلام على من غلب عليه أحد الوصفين لا على عالم فقط و عابد فقط لان هذين لا فضل لهما بل انهما معذبان فى النار لتوقف صحة العمل على العلم و كمال العلم على العمل بل ورد ويل للجاهل مرة و ويل للعالم سبع مرات و ورد أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه لانه يكون حينئذ ضالا مضلا و قال القاضى شبه العالم بالقمر و العابد بالكواكب لان كمال العبادة و نورها لايتعدى من العابد و نور العالم يتعدى الى غيره فيستضئ بنوره المتلقى عن النبى صلى الله عليه وسلم كالقمر يتلقى نوره من نور الشمس من خالقها عزوجل (و ان العماء ورثة الانبياء) و انما لم يقل ورثة الرسل ليشمل الكل قاله ابن الملك يعنى فان البعض ورثة الرسل كاصحاب المذاهب و الباقون ورثة الانبياء على اختلاف مراتبهم (و ان الانبياء لم يورثوا) بالتشديد (دينارا و لادرهما) أى شيأ من الدنيا و خصا لانهما أغلب أنواعها و ذلك

و انما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر رواه أحمد و الترمذى و أبو داود و ابن ماجه و الدارمى و سماه الترمذى قيس بن كثير و عن أبى امامة الباهلى قال ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان أحدهما عابد و الآخر عالم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله و ملائكته و أهل السموات و الارض

اشارة الى زوال الدنيا و أنهم لم يأخذوا منها الا بقدر ضرورتهم فلم يورثوا شيأ منها لئلا يتوهم أنهم كانوا يطلبون شيأ منها يورث عنهم على ان جماعة قالوا أنهم كانوا لايملكون مبالغة فى تنزههم عنها و لذا قيل الصوفى لايملك و لايملك و فيه ايماء الى كمال توكلهم على الله تعالى فى أنفسهم و أولادهم و اشعار بان طالب الدنيا ليس من العلماء الورثة و لذا قال الغزالى أقل العلم بل أقل الايمان أن يعرف أن الدنيا فانية و أن العقبى باقية و نتيجة هذا العلم أن يعرض عن الفانى و يقبل على الباقى قال ابن الملك خصوا الدرهم بالذكر لان نفى الدينار لايستلزم نفيه و فيه أنه لاتخصيص هنا و العطف يدل على المغايرة و انما زيدت لالتأكيد النفى و ارادة المبالغة ثم قال و لايرد الاعتراض بانه عليه الصلاة والسلام كان له صفايا بنى النضير و فدك و خيبر الى أن مات و خلفها و كان لشعيب عليه الصلاة والسلام أغنام كثيرة و كان أيوب و ابراهيم عليهما الصلاة والسلام ذوى نعمة كثيرة لان المراد أنه ما ورثت أولادهم و أزواجهم شيأ من ذلك بل بقى بعدهم معدا لنوائب المسلمين اه و يذكر عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه مر يوما فى السوق بقوم مشتغلين بتجاراتهم فقال أنتم ههنا و ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فى المسجد فقاموا سراعا اليه فلم يجدوا فيه الا القرآن و الذكر و مجالس العلم فقالوا أين ما قلت يا أباهريرة فقال هذا ميراث محمد صلى الله عليه وسلم يقسم بين ورثته و ليس بمواريثه دنياكم (و انما ورثوا العلم) لاظهار الاسلام و نشر الاحكام أو باحوال الظاهر و الباطن على تباين أجناسه و اختلاف أنواعه (فمن أخذه) أى العلم (أخذ بحظ وافر) أى أخذ حظا وافرا يعنى نصيبا تاما أى لاحظ أوفر منه و الباء زائدة للتأكيد أو المراد أخذه متلبسا بحظ وافر من ميراث النبوة و يجوز أن يكون أخذ بمعنى الامر أى فمن أراد أخذه فليأخذ بحظ وافر و لايقتنع بقليل هذا زبدة كلام الشرح هنا (رواه أحمد و الترمذى و أبو داود و ابن ماجه و الدارمى و سماه الترمذى) أى كثير بن قيس (قيس بن كثير) و الصحيح أنه كثير بن قيس قاله ميرك شاه و قال المؤلف فى أسماء الرجال للمشكاة قيس بن كثير سمع أبا الدرداء هكذا أخرج حديثه الترمذى عن قيس بن كثير و قال كذا حدثنا محمود بن خداش و انما هو كثير بن قيس و كذلك سماه أبو داود كثير بن قيس و أورده البخارى فى باب كثير لا فى باب قيس (و عن أبى امامة الباهلى قال ذكر) على البناء للمفعول أى وصف (لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان) أى بوصف الكمال و هو يحتمل أن يكون تمثيلا و أن يكونا موجودين فى الخارج قبل زمانه أو فى أوانه (أحدهما عابد) أى كامل فى العبادة (و الآخر عالم) أى كامل بالعلم (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) لايستويان و أن كان كل منهما كاملا فى مقامه (فضل العالم) بالعلوم الشرعية مع القيام بفرائض العبودية (على العابد) أى على المتجرد للعبادة بعد تحصيل قدر الفرض من العلوم (كفضلى على أدناكم) و فيه مبالغة لاتخفى فانه لو قال كفضلى على أعلاكم لكفى فضلا و شرفا فيكون نظير قوله صلى الله عليه وسلم واحشرنى فى زمرة المساكين مع افادة التواضع فى الثانى و الظاهر أن اللام فيهما للجنس فالحكم عام و يحتمل العهد فغيرهما يؤخذ بالمقايسة (ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله) استئناف فيه تعليل (و ملائكته) أى حملة العرش (و أهل السموات) تعميم بعد تخصيص (و الارض) أى

حتى النملة فى جحرها و حتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير رواه الترمذى و رواه الدارمى عن مكحول مرسلا و لم يذكر رجلان و قال فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم ثم تلا هذه الآية انما يخشى الله من عباده العلماء و سرد الحديث الى آخره و عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الناس لكم تبع و ان رجالا

أهل الارض من الانس و الجن و جميع الحيوانات (حتى النملة) بالنصب على أن حتى عاطفة و بالجر على أنها جارة و بالرفع على أنها ابتدائية و الاول أصح (فى جحرها) بضم الجيم و سكون الحاء أى ثقبها قال الطيبى و صلاته بحصول البركة النازلة من السماء (و حتى الحوت) كما تقدم و هما غايتان مستوعبتان لدواب البر و البحر و خصت النملة من دواب البر لانها أكثر الحيوانات ادخارا للقوت فى جحرها فهى أحوج الى بركتهم من غيرها و تقدم وجه تخصيص الحوت من دواب البحر و قيل وجه تخصيصهما بالذكر الاشارة الى جنس الحلال و الحرام و قيل الى الجنس المنهى عنه القتل و غيره (ليصلون) فيه تغليب للعقلاء على غيرهم أى يدعون بالخير (على معلم الناس الخير) قيل أراد بالخير هنا علم الدين و ما به نجاة الرجل و لم يطلق المعلم ليعلم أن استحقاق الدعاء لاجل تعليم علم موصل الى الخير اه و فيه اشارة الى وجه الافضلية بان نفع العلم متعد و نفع العبادة قاصر مع أن العلم فى نفسه فرض و زيادة العبادة نافلة و الله أعلم (رواه الترمذى) يعنى عن أبى امامة مرفوعا (و رواه الدارمى عن مكحول) و هو من اجلاء التابعين من سبى كابل و كان معلم الاوزاعى قال الزهرى العلماء أربعة ابن المسيب بالمدينة و الشعبى بالكوفة و الحسن البصرى بالبصرة و مكحول بالشام فلم يكن فى زمان مكحول ابصر بالفتيا منه و كان لا يفتى حتى يقول لاحول ولاقوة الابالله هذا رأيى و الرأى يخطئ و يصيب كذا ذكره المصنف (مرسلا) يعنى حذف الصحابى (و لم يذكر) أى مكحول (رجلان) رفعه على الحكاية و المراد هو و ما بعده من قوله أحدهما عابد و الآخر عالم و لذا قال (و قال) أى مكحول رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم و حكاية (فضل العالم على العابد) و هو يؤيد الجنسية فيما تقدم (كفضلى على أدناكم) أى أيها الصحابة أو أيها الامة و الثانى أكثر مبالغة (ثم تلا) أى مكحول أو رسول الله صلى الله عليه وسلم (هذه الآية) استشهادا أو تصديقا (انما يخشى الله) بالنصب (من عباده العلماء) بالرفع و الخشية خوف مع التعظيم و قرئ فى الشواذ برفع الجلالة و نصب العلماء أى يعظم على التجريد قيل استشهاد لبيان علة الفضل لان العالم الحقيقى أعرف بالله و بجلاله و كبريائه من العابد الذى غلبت عبادته على علمه فيكون العالم أتقى قال تعالى ان أكرمكم عندالله أتقاكم اه و حاصله ان العلم يورث الخشية و هى تنتج التقوى و هو موجب الاكرمية و الافضلية و فيه اشارة الى ان من لم يكن علمه كذلك فهو كالجاهل بل هو الجاهل و لذا قيل ويل للجاهل مرة و ويل للعالم سبع مرات و أطبق السلف على أن من عصى الله فهو جاهل لقوله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة (و سرد) أى ذكر و أورد مكحول (الحديث) أى بقية الحديث السابق (الى آخره و عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الناس) أى جنسهم (لكم تبع) جمع تابع كخدم و خادم و قيل وضع المصدر موضع الفاعل مبالغة كرجل عدل و الخطاب لعلماء الصحابة يعنى أن الناس يتبعونكم فى أفعالكم و أقوالكم لانكم أخذتم عنى مكارم الاخلاق فان الشريعة أقوالى و الطريقة أفعالى و الحقيقة أحوالى و فيه مأخذ لتسمية التابعى تابعيا و ان كانت التبعية عامة بواسطة أو بغير واسطة و لكن المطلق ينصرف الى الكامل (و ان رجالا) أو نوعا منهم غلبت عليهم الرجولية

يأتونكم من أقطار الارض يتفقهون فى الدين فاذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا رواه الترمذى و عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلمة الحكمة ضالة الحكيم فحيث وجدها فهو أحق بها رواه الترمذى و ابن ماجه و قال الترمذى هذا حديث غريب و ابراهيم بن الفضل الراوى يضعف فى الحديث

الكاملة (يأتونكم) أى باجهاد أنفسهم طالبين خالصين متواضعين (من أقطار الارض) أى جوانبها (يتفقهون) أى يطلبون الفقه (فى الدين) و الجملة استئنافية لبيان علة الاتيان أو حال من المرفوع فى يأتونكم و هو أقرب الى الذوق كذا قاله الطيبى (فاذا أتوكم) أى بهذا القصد و آثرها على ان لافادتها تحقيق وقوع هذا الامر فهو من اعلام نبوته و بواهر معجزته لو قوع ذلك كما أخبر به (فاستوصوا بهم خيرا) أى فى تعليمهم علوم الدين و أخلاق المهتدين كما قيل فى الحديث القدسى لداود عليه الصلاة والسلام اذا رأيت لى طالبا فكن له خادما و تحقيقه اطلبوا الوصية و النصيحة بهم من أنفسكم فالسين للطلب و الكلام من باب التجريد أى ليجرد كل منكم شخصا من نفسه و يطلب منه التوصية فى حق الطالبين و مراعاة أحوالهم و قيل الاستيصاء طلب الوصية من نفسه أو من غيره باحد أو بشئ يقال استوصيت زيدا بعمرو خيرا أى طلبت من زيد أن يفعل بعمرو خيرا و الباء فى بهم للتعدية و قيل الاستيصاء قبول الوصية و معناه اقبلوا الوصية منى باتيانهم خيرا و قيل معناه مروهم بالخير وعظوهم و علموهم اياه (رواه الترمذى) و كذا ابن ماجه (و عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلمة) أى الجملة المفيدة (الحكمة) قال مالك هى الفقه فى الدين قال تعالى يؤتى الحكمة من يشاء الآية و قيل التى أحكمت مبانيها بالنقل و العقل دالة على معنى فيه دقة مصونة معانيها عن الاختلال و الخطأ و الفساد و قال السيد جمال الدين جعلت الكلمة نفس الحكمة مبالغة كقولهم رجل عدل و يروى كلمة الحكمة بالاضافة من اضافة الموصوف الى الصفة و يروى الكلمة الحكيمة على طريق الاسناد المجازى لان الحكيم قائلها كقوله تعالى يس و القرآن الحكيم كذا فى شرح الطيبى و ذكر البيضاوى فى تفسير قوله تعالى تلك آيات الكتاب الحكيم وصف بالحكيم لاشتماله على الحكم فعلى هذا هو يفيد وجها آخر فى الكلمة الحكيمة و قيل الحكيمة بمعنى المحكمة أو الحاكمة (ضالة الحكيم) أى مطلوبه و الحكيم هو المتقن للامور الذى له فيها غور (فحيث وجدها) أى الحكيم الحكمة (فهو أحق بها) أى بقبولها قال السيد جمال الدين يعنى ان الحكيم يطلب الحكمة فاذا وجدها فهو أحق بها أى بالعمل بها و اتباعها أو المعنى ان كلمة الحكمة ربما تفوه بها من ليس لها بأهل ثم وقعت الى أهلها فهو أحق بها من قائلها من غير التفات الى خساسة من وجدها عنده أو المعنى ان الناس يتفاوتون فى فهم المعانى و استنباط الحقائق المحتجبة و استكشاف الاسرار المرموزة فينبغى أن لاينكر من قصر فهمه عن ادراك حقائق الآيات و دقائق الاحاديث على من رزق فهما و ألهم تحقيقا كما لاينازع صاحب الضالة فى ضالته اذا وجدها أو كما ان الضالة اذا وجدت مضيعة فلا تترك بل تؤخذ و يتفحص عن صاحبها حتى ترد عليه كذلك السامع اذا سمع كلاما لايفهم معناه و لايبلغ كنهه فعليه أن لايضيعه و أن يحمله الى من هو أفقه منه فلعله يفهم أو يستنبط منه ما لايفهمه و لايستنبطه هو أو كما أنه لايحل منع صاحب الضالة عنها فانه احق بها كذلك العالم اذا سئل عن معنى لايحل له كتمانه اذا رأى فى السائل استعدادا لفهمه كذا قاله زين العرب تبعا للطيبى (رواه الترمذى و ابن ماجة و قال الترمذى هذا حديث غريب و ابراهيم ابن الفضل الراوى) بتخفيف الياء (يضعف) بصيغة المجهول أى ينسب الى ضعف الرواية (فى الحديث) أى فى باب نقل الحديث و رواه ابن عساكر عن على و كأنه رضى الله عنه أخذ من هذا الحديث ما قال

و عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد رواه الترمذی و ابن ماجه و عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم و واضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر و اللؤلؤ و الذهب رواه ابن ماجه و روى البيهقي في .

موقوفا انظر الى ما قال و لاتنظر الى من قال (و عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيه واحد) أى بقاؤه و حياته (أشد على الشيطان) لان الفقيه لايقبل اغواءه و يأمر الناس بالخير على ضد ما يأمرهم بالشر (من ألف عابد) قيل المراد الكثرة و ذلک لان الشيطان كلما فتح بابا من الاهواء على الناس و زين الشهوات فى قلوبهم بين الفقيه العارف بمكائده و مكامن غوائله للمريد السالک مايسد ذلک الباب و يجعله خائبا خاسرا بخلاف العابد فانه ربما يشتغل بالعبادة و هو فى حبائل الشيطان و لايدرى (رواه الترمذى و ابن ماجه) قال الربيع حديث لفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد رواه البيهقي فى الشعب و الطبرانى فى الاوسط و غيرهما من حديث أبى هريرة مرفوعا به فى حديث و قال الطبرانى سنده ضعيف و له شواهد أسانيدها ضعيفة اه لكن كثرة طرقه تخرجه عن الضعف خصوصا حيث اعتضده برواية الترمذى و ابن ماجه عن ابن عباس (و عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم) أى الشرعى (فريضة) أى مفروض فرض عين (على كل مسلم) أو كفاية و التاء للمبالغة أى و مسلمة كما فى رواية قال الشراح المراد بالعلم ما لامندوحة للعبد من تعلمه كمعرفة الصانع و العلم بوحدانيته و نبوة رسوله و كيفية الصلاة فان تعلمه فرض عين و أما بلوغ رتبة الاجتهاد و الفتيا ففرض كفاية قال السيد و يمكن أن يعم العلم و يحمل الكلام على المبالغة اه و فيه تأمل قال الابهرى و اختلف فى العلم الذى هو فرض و تحزبوا فيه أكثر من عشرين فرقة فكل فريق لزل الوجوب على العلم الذى بصدده اه قال الشيخ العارف الربانى السهروردى اختلف فى هذا العلم الذى هو فريضة قيل هو علم الاخلاص و معرفة آفات النفس و ما يفسد الاعمال لان الاخلاص مأمور به فصار علمه فرضا آخر و قيل معرفة الخواطر و تفصيلها فريضة لان الخواطر هى منشأ الفعل و بذلک يعلم الفرق بين لمة الشيطان و لمة الملک و قيل هو طلب علم الحلال حيث كان أكل الحلال واجبا و قيل علم البيع و الشراء و النكاح اذا أراد الدخول فى شئ منها و قيل علم الفرائض الخمس و قيل هو طلب علم التوحيد بالنظر و الاستدلال و النقل و قيل هو طلب علم الباطن و هو ما يزداد به العبد يقينا و هو الذى يكتسب بصحبة الصالحين و الزهاد المقربين فهم ورّاث الأنبياء صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين اه فان قيل ما الفرض قبل الفرض فقل العلم قبل العمل و ان قيل ما الفرض فى الفرض فقل الاخلاص فى العلم و العمل و ان قيل ما الفرض بعد العمل فقل الخوف و الرجاء (و واضع العلم عند غير أهله) بان يحدثه من لايفهمه أو من يريد منه غرضا دنيويا أو من لايتعلمه لله (كمقلد الخنازير الجوهر و اللؤلؤ) بسكون الهمز و يبدل (و الذهب) قيل يشعربان كل علم يختص باستعداد و له أهل فاذا وضعه فى غير موضعه فقد ظلم فمثل معنى الظلم بتقليد أخس الحيوانات بانفس الجواهر تهجينا لذلک الوضع و تنفيرا عنه و لذا قال على كرم الله وجهه حدثوا الناس بما يفهمون أو يعرفون أتحبون أن يكذب الله و رسوله أى اذا سمعوا ما لم تحط به عقولهم فانهم يبادرون الى تكذيبه و فى تعقيب هذا التمثيل بقوله طلب العلم اعلام بان المراد بالطلب طلب كل من المستعدين ما يليق بحاله و يوافق منزلته بعد حصول ما هو واجب من الفرائض العامة و على العالم أن يخص كل طالب بما هو مستعد له (رواه ابن ماجه) يعنى بكماله و غيره كذا فى الترغيب للمنذرى (و روى البيهقي فى

شعب الایمان الی قوله مسلم و قال هذا حدیث متنه مشهور و اسناده ضعیف و قد روی من أوجه کلها ضعیف و عن أبی هریرة قال قال رسول‌الله‌صلی‌الله‌علیه‌وسلم خصلتان لاتجتمعان فی منافق حسن سمت و لافقه فی الدین رواه الترمذی و عن أنس قال قال رسول‌الله‌صلی‌الله‌علیه‌وسلم من خرج فی طلب العلم فهو فی سبیل‌الله حتی یرجع رواه الترمذی و الدارمی و عن سخبرة الازدی قال قال رسول‌الله‌صلی‌الله علیه‌وسلم من طلب العلم کان

شعب الایمان الی قوله مسلم و قال) أی البیهقی (هذا حدیث متنه مشهور) أی علی ألسنة الناس کذا فی بدایة الجزری (و اسناده ضعیف) أی و ان کان معناه صحیحا کذا قاله النووی (و قد روی من أوجه کلها ضعیف) لکن کثرة الطرق تدل علی ثبوته و یقوی بعضه ببعض قال المزی تلمیذ النووی ان طرقه تبلغ رتبة الحسن و قال العلقمی فی شرح الجامع الصغیر رأیت له خمسین طریقا جمعتها فی جزء و حکمت بصحته لکن من القسم الثانی و هو الصحیح بغیره فقول الجزری فی البدایة لا أصل له أی لیس له أصل صحیح و قد مثل به ابن الصلاح للمشهور الذی لیس بصحیح لکن قال العراق قد صحح بعض الائمة بعض طرقه هذا و قد ألحق بعض المصنفین بآخر الحدیث و مسلمة و لیس لها ذکر فی شئ من طرقه (و عن أبی هریرة قال قال رسول‌الله‌صلی‌الله‌علیه‌وسلم خصلتان لاتجتمعان فی منافق) بأن تکون فیه واحدة دون الاخری أو لا یکونا فیه بأن لاتوجد واحدة منهما فیه و انما عبر بالاجتماع تحریضا للمؤمنین علی جمعهما و زجرا لهم عن الاتصاف بأحدهما و المنافق اما حقیقی و هو النفاق الاعتقادی أو مجازی و هو المرائی و هو النفاق العملی (حسن سمت) أی خلق و سیرة و طریقة قال الطیبی هو التزیی بزی الصالحین و قال میرك السمت بمعنی الطریق أعنی المقصد و قیل المراد هیئة أهل الخیر والاحسن ما قاله ابن حجر انه تحری طرق الخیر و التزیی بزی الصالحین مع التنزه عن المعایب الظاهرة و الباطنة (و لافقه فی الدین) عطف بلا لان حسن سمت فی سیاق النفی فلا لتأکید النفی المساق قال التوربشتی حقیقة الفقه فی الدین ما وقع فی القلب ثم ظهر علی اللسان فأفاد العمل و أورث الخشیة و التقوی و أما الذی یتدارس أبوابا منه لیتعزز به و یتأکل به فانه بمعزل عن الرتبة العظمی لان الفقه تعلق بلسانه دون قلبه و لهذا قال علی رضی‌الله‌عنه ولکنی أخشی علیکم کل منافق علیم اللسان قیل لیس المراد أن احداهما قد تحصل دون الاخری بل هو تحریض للمؤمنین علی الاتصاف بهما و الاجتناب عن اضدادهما فان المنافق من یکون عاریا منهما و هو من باب التغلیظ و نحوه قوله تعالی وویل للمشرکین الذین لایؤتون الزکاة اذ فیه حث علی أدائها و تخویف من المنع حیث جعله من أوصاف المشرکین کذا قاله الطیبی .(رواه الترمذی و عن أنس) رضی‌الله‌عنه (قال قال رسول‌الله‌صلی‌الله‌علیه‌وسلم من خرج) أی من بیته أو بلده (فی طلب العلم) أی الشرعی فرض عین أو کفایة (فهو فی سبیل الله) أی فی الجهاد لما أن فی طلب العلم من احیاءالدین و اذلال الشیطان و اتعاب النفس کما فی الجهاد (حتی یرجع) أی الی بیته و فیه اشارة الی أنه بعد الرجوع له درجة أعلی لانه حینئذ وارث الانبیاء فی تکمیل الناقصین قال تعالی فلولانفر أی خرج من کل فرقة منهم طائفة أی بعضهم لیتفقهوا فی الدین و لینذروا قومهم اذا رجعوا الیهم لعلهم یحذرون (رواه الترمذی و الدارمی) و کذا الضیاء المقدسی (و عن سخبرة) بفتح المهملة و سکون المعجمة و فتح الموحدة یکنی أبا عبد الله (الازدی) فی القاموس ازد بن الغوث و بالسین أفصح أبوحی من الیمن و من أولاده الانصار کلهم له روایة فی کتاب العلم رواه عنه ابنه ذکره المؤلف فی الصحابة (قال قال رسول‌الله‌صلی‌الله‌علیه‌وسلم من طلب العلم) أی لیعمل به (کان)

كفارة لما مضى رواه الترمذى و الدارمى و قال الترمذى هذا حديث ضعيف الاسناد و أبو داود الراوى يضعف
و عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لن يشبع المؤمن من خير يسمعه حتى يكون
منتهاه الجنة رواه الترمذى و عن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من سئل عن علم علمه
ثم كتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار رواه أحمد و أبوداود و الترمذى و رواه ابن ماجه عن أنس
و عن كعب بن مالك قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من طلب العلم

أى طلبه للعلم (كفارة) و هى ما يستر الذنوب و يزيلها من كفر اذا ستر (لما مضى) أى من ذنوبه قيل هذا الحديث مع ما فيه من الضعف مخالف للكتاب و السنن المشهورة فى ايجاب الكفارات و الحدود الا اذا قلنا بالتخصيص يعنى بالصغائر و هو موضع بحث كذا فى زين العرب نقله السيد و الظاهر أن الكفارة مختصة بالصغائر أو بحقوق الله التى ليس لها تدارك أو يشمل حقوق العباد التى لايمكن تداركه لها و يمكن أن يكون المعنى ان طلب العلم وسيلة الى ما يكفر به ذنوبه كلها من التوبة و رد المظالم و غيرها و الله أعلم (رواه الترمذى و الدارمى و قال الترمذى هذا حديث ضعيف الاسناد و أبوداود الراوى) أى من رواة هذا الحديث (يضعف) بتشديد العين أى ينسب الى الضعف فى الرواية و ليس أبا داود المخرج من أصحاب السنن فانه ثقة امام فى الحديث قوى فى الرواية و الدراية (و عن أبى سعيد الخدرى) رضى‌الله‌عنه (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لن يشبع المؤمن) أى الكامل (من خير) أى علم (يسمعه حتى) لما كان يشبع مضارعا دالا على الاستمرار تعلق به حتى (يكون منتهاه) أى غايته و نهايته (الجنة) بالنصب على الخبرية أو الرفع على الاسمية يعنى حتى يموت فيدخل الجنة (رواه الترمذى و عن أبى هريرة) رضى‌الله‌عنه (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من سئل عن علم علمه) و هو علم يحتاج اليه السائل فى أمر دينه (ثم كتمه) بعدم الجواب أو بمنع الكتاب (ألجم) أى أدخل فى فمه لجام لانه موضع خروج العلم و الكلام قال الطيبى شبه ما يوضع فى فيه من النار بلجام فى فم الدابة (يوم القيامة بلجام من نار) مكافأة له حيث ألجم نفسه بالسكوت و شبه بالحيوان الذى سخر و منع من قصده ما يريده فان العالم من شأنه أن يدعو الى الحق قال ابن‌حجر ثم هنا استبعادية لان تعلم العلم انما يقصد لنشره و نفعه الناس و بكتمه يزول ذلك الغرض الاكمل فكان بعيدا ممن هو فى صورة العلماء و الحكماء قال السيد هذا فى العلم اللازم التعليم كاستعلام كافر عن الاسلام ما هو أو حديث عهد به عن تعليم صلاة حضر وقتها و كالمستفتى فى الحلال و الحرام فانه يلزم فى هذه الامور الجواب لانوافل العلوم الغير الضرورية و قيل العلم هنا علم الشهادة (رواه أحمد و أبو داود و الترمذى) أى عن أبى هريرة (و رواه ابن ماجه عن أنس) و فى الجامع الصغير رواه أحمد و الاربعة و الحاكم عن أبى هريرة اه و رواه ابن حبان و أبو يعلى أيضا قال زين العرب تبعا للخطابى و قد تكلم فى هذا الحديث بعض العلماء بأنه ضعيف بل هو موضوع اه و فى المقاصد الحسنة للسخاوى من كتم علما يعلمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار لجماعة و حسنه الترمذى و صححه الحاكم و يشمل الوعيد حبس الكتب عن الطالب لاسيما عند عدم التعدد و الابتلاء بهذا كثير اه و خصوصا كتاب الوقف (و عن كعب بن مالك) أى الانصارى الخزرجى شهد العقبة الثانية و اختلف فى شهوده بدرا و المشاهد بعدها غير تبوك و كان أحد شعراء النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم و هو أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فى غزوة تبوك وهم كعب بن مالك و هلال بن أمية و مرارة بن ربيعة يجمع أوائل اسمائهم مكة روى عنه جماعة مات سنة خمسين و هو ابن سبع و سبعين بعد ان عمى (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من طلب العلم) أى لا لله بل

ليجارى به العلماء أو ليمارى به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس اليه أدخله الله النار رواه الترمذى و رواه ابن ماجه عن ابن عمر و عن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لايتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم‌يجد عرف الجنة يوم القيامة يعنى ريحها

(ليجارى به) أى ليقاوم به (العلماء) المجاراة المعارضة فى الجرى وقيل المفاخرة وجعل نفسه مثل غيره (أو ليمارى) أى يجادل (به السفهاء) جمع سفيه و هو قليل العقل و المرادبه الجاهل و المماراة من المرية و هى الشک فان كل واحد من المتحاجين يشک فيما يقول صاحبه و يشككه مما يورد على حجته أو من المرى و هو مسح الحالب ليستنزل ما به من اللبن فان كلا من المتناظرين يستخرج ما عند صاحبه كذا حققه الطيبى ولما كان غرضه فى طلب‌العلم فاسدا ما احتيج الى الاستثناء فى المجادلة بنحو قوله تعالى الامراء ظاهرا و قوله الا بالتى هى أحسن (أو يصرف به) أى يميل بالعلم (وجوه الناس) أى العوام أو الطلبة (اليه) أى ليعظموه أو يعطوا المال له كذا قاله ابن الملک و قيل أى يطلب العلم لمجرد الشهرة بين الناس (أدخله الله النار) الظاهر أن هذا اخبار بأنه استحق دخول النار و يحتمل أن يكون جملة دعائية والله أعلم (رواه الترمذى) أى عن كعب (و رواه ابن ماجه عن ابن عمر و عن أبى هريرة) رضى‌الله‌عنه (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من تعلم علما مما يبتغى) من للبيان أى مما يطلب (به وجه الله) أى رضاه كالعلوم الدينية (لايتعلمه) حال اما من فاعل تعلم أو من مفعوله. لانه تخصص بالوصف و يجوز أن يكون صفة أخرى لعلما (الا ليصيب به) أى لينال و يحصل بذلک العلم (عرضا) بفتح الراء و يسكن أى حظا مالا أو جاها (من الدنيا) يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر و الفاجر و نكره ليتناول الانواع و يندرج فيه قليله و كثيره و فى الازهار العرض بفتح العين و الراء المال و قيل ما يتمتع به و قال الجيلى العرض بالسكون أصناف المال غير الذهب و الفضة و بحركة الراء جميع المال من الذهب و الفضة و العروض كلها كذا نقله الابهرى قال الطيبى و فيه أن من تعلم لرضا الله تعالى مع اصابة العرض الدنيوى لايدخل تحت الوعيد لان ابتغاء وجه الله تعالى يأبى الا أن يكون متبوعا و يكون العرض تابعا و وصف العلم بابتغاء وجه‌الله اما للتفصيل و التمييز فان بعضا من العلوم مما يستعاذ منه كما ورد أعوذبالله من علم لاينفع و اما للمدح و الوعيد من باب التغليظ و التهديد و سمعت بعض العلماء الزاهدين يقول من طلب الدنيا بالعلوم الدنيوية كان أهون عليه من أن يطلبها بغيرها من العلوم فهو كمن جر جيفة بآلة من آلات اللهو و ذلک كمن جرها باوراق تلک العلوم اه و يؤيده ما روى عن الحسن البصرى انه رأى شخصا يلعب فوق الحبال فقال ان هذا خير من أصحابنا لانه يأكل الدنيا بالدنيا و أصحابنا يأكلون الدنيا بالدين اه لكن قالوا فرق بين من يأخذ الدنيا ليتفرغ لعمل الآخرة و بين من يعمل عمل الآخرة ليأخذ الدنيا فتأمل فانه موضع الزلل ثم الاستثناء من أعم الاوصاف أى لايتعلمه لغرض من الاغراض الا ليصيب به شيأ من متمتعات الدنيا و ان قل و من المعلوم ان قصدها هذا ولو مع قصد الآخرة موجب للاثم فوجه التقييد ترتب العقاب الآتى عليه أو لان الغالب أن من قصد الدنيا لايقصد معها الآخرة (لم‌يجد) حين يجد علماء الدين من مكان بعيد (عرف الجنة) بفتح العين و سكون الراء أى ريحها الطيبة المعروفة بان توجد من مسيرة خمسمائة سنة على ما ورد فى حديث (يوم القيامة يعنى) هذا تفسير الراوى (ريحها) قال التوربشتى قد حمل هذا المعنى على المبالغة فى تحريم الجنة على المختص بهذا الوعيد كقولک ما شممت قتار قدره للمبالغة فى التبرى عن تناول الطعام أى ما شممت رائحتها فكيف بالتناول و ليس كذلک فان المختص بهذا الوعيد ان كان من أهل الايمان

رواه أحمد و أبو داود و ابن ماجه و عن ابن مسعود قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم نضرالله عبدا سمع مقالتی فحفظها و وعاها و أداها

فلابد و أن يدخل الجنة عرف بالنصوص الصحيحة فتأويل هذا الحديث أن يكون تهديدا وزجرا عن طلب الدنيا بعمل الآخرة و أيضا يوم القيامة يوم موصوف و ذلک من حين يحشر الناس الى أن ينتهى بهم الامر اما الى الجنة أو الى النار ولايلزم من عدم وجدانها يوم القيامة فقط عدم وجدانها مطلقا و بيان ذلک ان الآمنين من الفزع الاكبر و هى النفخة الاخيرة اذا وردوا القيامة يمدون برائحة الجنة تقوية لقلوبهم و أبدانهم و تسلية لهمومهم و أشجانهم على مقدار حالهم فى المعرفة و ايقانهم و من تعلم للاغراض الفانية و كان من حقه أن لايتعلمه الا ابتغاء وجه‌الله يكون كمن حدث مرض فى دماغه يمنعه عن ادراك الروائح فلايجد رائحة الجنة لما فى قلبه من الاغراض المختلة بالقوى الايمانية و قال ابن حجر هذا الوعيد مطلق ان استحل ذلک لان تحريم طلب‌العلم بهذا القصد فقط مجمع عليه و معلوم من الدين بالضرورة و أفهم الحديث ان من أخلص قصده فتعلم‌لله لايضره حصول الدنيا له من غير قصدها بتعلمه بل من شان الاخلاص بالعلم ان تأتى الدنيا لصاحبه راغمة كما ورد من كان همه الآخرة جمع الله شمله وجعل غناه فى قلبه و تأتيه الدنيا وهى راغمة (رواه أحمد و أبو داود و ابن ماجه) و رواه الترمذى عن ابن عمر و لفظه من تعلم علما لغير الله فليتبوأ مقعده من النار (و عن ابن مسعود قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم نضرالله عبدا) قال التوربشتى النضرة الحسن و الرونق يتعدى ولا يتعدى وروى مخففا و مثقلا اه و قال النووى التشديد أكثر و قال الابهرى روى أبو عبيدة بالتخفيف و قال هو لازم و متعد ورواه الاصمعى بالتشديد و قال المخفف لازم و التشديد للتعدية و على الاول للتكثير و المبالغة اه و المعنى خصه‌الله بالبهجة و السرور لما رزق بعلمه و معرفته من القدر و المنزلة بين الناس فى الدنيا و نعمه فى الآخرة حتى يرى عليه رونق الرخاء و النعمة ثم قيل انه اخبار يعنى جعله ذانضرة و قيل دعاء له بالنضرة و هى البهجة و البهاء فى الوجه من أثر النعمة و قيل المراد ههنا النضرة من حيث الجاه و القدر كما جاء اطلبوا الحوائج من حسان الوجوه أى ذوى الاقدار من الناس لانه جدد بحفظه و نقله طراوة الدين فجازاه فى دعائه بما يناسب عمله قلت لامنع من الجميع و الاخبار أولى من الدعاء و الله أعلم قيل و قد استجاب الله دعاءه فلذلک تجد أهل الحديث أحسن الناس وجها و أجملهم هيئة وروى عن سفيان بن عيينة أنه قال ما من أحد يطلب الحديث الاوفى وجهه نضرة أى بهجة صورية أو معنوية (سمع مقالتى) أى حديثى (فحفظها) أى بالقلب أو بالكتابة و أغرب ابن حجر حيث قال فحفظها بلسانه (و وعاها) أى دام على حفظها ولم‌ينسها قيل بالتكرار و التذكار اذا حفظها لئلاينسى و قيل بالرواية و التبليغ فيكون عطف (و أداها) عليه تفسيريا أى أوصلها الى الناس و علمها و فيه اشارة الى الفسحة فى الاداء حيث لم‌يوجبه معجلا و أغرب ابن الملک فقال معنى حفظها أى عمل بموجبها فان الحفظ قد يستعار للعمل قال تعالى و الحافظون لحدودالله أى العاملون بفرائضه اه و فى المصابيح و أداها كما سمعها و فى الاربعين سمع مقالتى فوعاها فاداها كما سمعها أى غضا طريا من غير تحريف و تغيير من زيادة و نقصان أو من غير تغيير للفظها ولامعناها فيكون تنبيها على الوجه الاكمل فلاينافى جواز الرواية بالمعنى على ما عليه الجمهور مع أن التشبيه يلائم هذا المعنى لان المثلية تارة تكون بحسب اللفظ و المعنى و تارة بحسب المعنى و المدار على المعانى الاصلية دون المحسنات اللفظية لاسيما عند الضرورة حيث نسى اللفظ بخصوصه و تذكر المعنى بعمومه فلو لم‌يعبر عنه بلفظ آخر فات المقصود

فرب حامل فقه غير فقيه و رب حامل فقه الى من هو أفقه منه ثلاث لايغل عليهن قلب مسلم اخلاص العمل‌لله و النصيحة للمسلمين ولزوم جماعتهم فان دعوتهم تحيط من ورائهم

الاصلى لان مالايدرك كله لايترك كله و محل بسط هذه المسائل علم أصول الحديث (فرب) استعيرت للتكثير و قيل استعماله فيه حقيقة أيضا (حامل فقه) أى علم (غير فقيه) بالجر صفة حامل و قيل بالرفع فتقديره هو غير فقيه يعنى لكن يحصل له الثواب لنفعه بالنقل (و رب حامل فقه) قد يكون فقيها ولا يكون أفقه فيحفظه و يبلغه (الى من هو أفقه منه) فيستنبط منه ما لايفهمه الحامل أو الى من يصير أفقه منه اشارة الى فائدة النقل و الداعى اليه قال الطيبى هو صفة لمدخول رب استغنى بها عن جوابها أى رب حامل فقه أداه الى من هو أفقه منه (ثلاث) أى ثلاث خصال (لايغل) بفتح الياء وضمها و بكسر الغين فالاول من الغل الحقد و الثانى من الاغلال الخيانة (عليهن) أى على تلك الخصال (قلب مسلم) أى كامل و المعنى ان المؤمن لايخون فى هذه الثلاثة الاشياء ولايدخله ضغن يزيله عن الحق حين يفعل شيأ من ذلك قاله التور بشتى و قال الزمخشرى فى الفائق ان هذه الخلال يستصلح بها القلوب فمن تمسك بها طهر قلبه من الغل و الفساد و عليهن فى موضع الحال أى لايغل قلب مؤمن كائنا عليهن و انما التصب عن النكرة لتقدمه اه وقيل النفى بمعنى النهى يعنى لايتركها بل يأتى بها وقيل أى ثلاث لايغل قلب مسلم حال كونه ثابتا عليهن يعنى من تمسك بهن طهرالله قلبه من الحقد و الخيانة و نقل السيد عن زين العرب انه يروى أيضا بفتح الياء و كسر الغين و تخفيف اللام من الوغول الدخول فى الشر و نحوه و المعنى على هذا ان هذه الخلال يستصلح بها القلوب فمن تمسك بها طهر قلبه من الغل و الشر اه ثم قال السيد و هذا المعنى مذكور فى الفائق اه و ذكر ابن حجر فتح الياء و ضم الغين و تشديد اللام من غل من المغنم شيأ غلولا اذا أخذه فى خفية فهو يرجع الى الخيانة أيضا (اخلاص العمل‌لله) أى منها أو احداها أو الربط بعد العطف على أنه بدل من ثلاث و معنى الاخلاص ان يقصد بالعمل وجهه و رضاه فقط دون غرض آخر دنيوى أو أخروى كنعيم الجنة ولذاتها أو لايكون له غرض دنيوى من سمعة و رياء و الاول اخلاص الخاصة و الثانى اخلاص العامة وقال الفضيل بن عياض العمل لغيرالله شرك و ترك العمل لغيرالله رياء و الاخلاص أن يخلصك الله منهما (و النصيحة) و هى ارادة الخير (للمسلمين) أى كافتهم (ولزوم جماعتهم) أى موافقة المسلمين فى الاعتقاد و العمل الصالح من صلاة الجمعة و الجماعة و غير ذلك (فان دعوتهم تحيط) أى تدور (من ورائهم) و فى نسخة من موصولة و يويد الاول أنه فى أكثر النسخ مرسوم بالياء و المعنى ان دعوة المسلمين قد أحاطت بهم فتحرسهم عن كيد الشيطان و عن الضلالة و فيه تنبيه على أن من خرج من جماعتهم لم‌ينل بركتهم و بركة دعائهم لانه خارج عما أحاطت بهم من ورائهم و فيه ايماء الى تفضيل الخلطة على العزلة قال الطيبى وكلام صاحب النهاية يرشد الى أن الصواب فتح من موصولا مفعولا لتحيط فانه قال الدعوة المرة من الدعاء أى تحويهم و تثبتهم و تحفظهم يريد به أهل السنة و الجماعة اه و الاظهر ان كلام النهاية حاصل المعنى ثم قال الطيبى و قد يجوز أن يكون تقدير الكلام فعليه لزوم الجماعة فان دعوتهم تحيط من ورائهم قلت هذا التقدير غير محتاج اليه و على تقديره يحتاج الى تقدير آخر لان لزوم الجماعة خصلة من الخصال الثلاث و الله أعلم قال ابن حجر و وجه المناسبة بين قوله ثلاث المستأنف وما قبله انه عليه‌الصلاة‌والسلام لما حرض سامع سنته على أدائها بين ان هناك خصالا من شأنه أن ينطوى قلبه عليها لان كلا منها محرض له على ذلك التبليغ و جوز كون ثلاث بيانا للمقالة التى أكد فى تبليغها و كان سائلا قال ما تلك المقالة فقيل هى ثلاث

رواه الشافعي و البيهقي في المدخل و رواه أحمد و الترمذي و أبو داود و ابن ماجه و الدارمي عن زيد بن ثابت الا ان الترمذي و أبا داود لم يذكرا ثلاث لايغل عليهن الى آخره وعن ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نضر الله أمرأ سمع منا شيأ فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى له من سامع رواه الترمذي و ابن ماجه ورواه الدارمي عن أبي الدرداء وعن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا الحديث عني

جامعة لتعظيم أمر الله و الشفقة على خلق الله (رواه الشافعي) ولم يعلم في أي كتاب (و البيهقي في المدخل) بفتح الميم و الخاء كتاب له يعني كلاهما عن ابن مسعود (و رواه أحمد و الترمذي و أبو داود و ابن ماجه و الدارمي عن زيد بن ثابت) أي الحديث بكماله (الا أن الترمذي و أبا داود لم يذكرا ثلاث لايغل عليهن الخ) و مع هذا كان الاولى أن يصدر الحديث بقوله عن زيد و الله أعلم (و عن ابن مسعود) لم يقل و عنه لئلا يتوهم رجوع الضمير الى زيد (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول) حال و قيل مفعول ثان (نضر الله) أي نور (امرأ) أي شخصا (سمع منا شيأ) يعم الاقوال و الافعال الصادرة من النبي صلى الله عليه وسلم و أصحابه رضي الله عنهم يدل عليه صيغة الجمع في منا قاله الطيبي و قال ابن حجر قوله منا يحتمل انه للجماعة فيشمل من سمع من الصحابة شيأ من الاقوال و قول شارح المراد من شيأ عموم الاقوال و الافعال الصادرة منه عليه الصلاة والسلام و أصحابه غفلة عن كونه معمولا لسمع الذي لايكون الا في القول أقول لما قيل بعموم منا و قد يسمع من الصحابي انه عليه الصلاة والسلام كان يفعل كذا صح أن يتعلق السمع بالفعل بهذا المعنى مع ان المراد بالسمع هو العلم الذي يشمل القول و الفعل و الشمائل أيضا و انما خص السمع بالذكر لان مدار العلم عليه غالبا (فبلغه) بالتشديد أي نقل الشئ المسموع للناس (كما سمعه) قال الابهري اما حال من فاعل بلغه أو من مفعوله و اما مفعول مطلق وما موصولة أو مصدرية خص مبلغ الحديث كما سمعه بهذا الدعاء لانه سعى في نضارة العلم و تجديد السنة فجازاه بالدعاء بما يناسب حاله وهذا يدل على شرف الحديث و فضله و درجة طلابه حيث خصهم النبي صلى الله عليه وسلم بدعاء لم يشرك فيه أحد من الامة ولو لم يكن في طلب الحديث و حفظه و تبليغه فائدة سوى أن يستفيد بركة هذه الدعوة المباركة لكفى ذلك فائدة و غنما و جل في الدارين حظا و قسما و قال محيي السنة اختلف في نقل الحديث بالمعنى و الى جوازه ذهب الحسن و الشعبي و النخعي و قال مجاهد انقص من الحديث ما شئت ولاتزد و قال سفيان ان قلت حدثتكم كما سمعت فلاتصدقوني فانما هو المعنى و قال وكيع ان لم يكن المعنى واسعا فقد هلك الناس و قال أيوب عن ابن سيرين برهنت أسمع الحديث عن عشرة و اللفظ مختلف و المعنى واحد و ذهب قوم الى اتباع اللفظ منهم ابن عمر و هو قول القاسم بن محمد و ابن سيرين و مالك بن أنس و ابن عيينة و قال محيي السنة الرواية بالمعنى حرام عند جماعات من العلماء و جائزة عند الاكثرين و الاولى اجتنابها قلت الا عند لسيان اللفظ (فرب مبلغ) بفتح اللام المشددة أي منقول اليه و موصول لديه (أوعى له) أي أحفظ للحديث و أضبط و أفهم و أتقن له (من سامع) أي ممن سمع أولا و بلغه ثانيا (رواه الترمذي و ابن ماجه) أي عن ابن مسعود و كذا رواه أحمد و ابن حبان على ما في الجامع الصغير وروى الترمذي و الضياء عن زيد ابن ثابت و لفظه نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه و رب حامل فقه ليس بفقيه و في اختلاف ألفاظ هذا الحديث دليل على جواز رواية الحديث بالمعنى لان الظاهر أن الخلاف اللفظي انما نشأ عن الرواة و الله أعلم (و رواه الدارمي عن أبي الدرداء و عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا الحديث) أي احذروا روايته (عني) والمعنى لاتحدثوا عني

الاماعلمتم فمن كذب على متعمد افليتبوأ مقعده من النار رواه الترمذى و رواه ابن ماجه عن ابن مسعود و جابر و لم يذكر اتقوا الحديث عنى الاماعلمتم و عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار و فى رواية من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار رواه الترمذى و عن جندب

(الاماعلمتم) انه من حديثى قال الطيبى يجوز أن يراد بالحديث الاسم فالمضاف محذوف أى احذروا رواية الحديث و يجوز أن يكون فعيلا بمعنى مفعولا و عنى متعلق به و الاستثناء منقطع و المعنى احذروا مما لاتعلمونه من التحديث عنى لكن لاتحذروا مما تعلمونه و الظاهر أن العلم هنا يشتمل الظن فانهم اذا جوزوا الشهادة به مع أنها أضيق من الرواية اتفاقا فلان تجوز به الرواية أولى و يؤيده انه يجوز فى الرواية الاعتماد على الخط بخلاف الشهادة عند الجمهور (فمن كذب) أى افترى (على متعمدا) أى لاخطأ (فليتبوأ مقعده) أى ليهيئى مكانه (من النار) قيل الامر للتهديد و الوعيد و قيل الامر بمعنى الخبر (رواه الترمذى) أى عن ابن عباس (و رواه ابن ماجه عن ابن مسعود و جابر ولم يذكر) أى ابن ماجه (اتقوا الحديث عنى الاماعلمتم) يعنى و الفاء أيضا من قوله فمن فانها للتفريع على ما قبله قال ابن حجر فى هذا من المؤلف نظر لان ابن ماجه اذا لم يذكر ذلك هنا فهو حديث البخارى الذى قدمه أول الفصل الاول فلاحاجة به الى ذكره ولا الى نسبته الى ابن ماجه اه و فيه انه ليس هو حديث البخارى بل بعضه فانه مسبوق بجمل أخرى فى حديثه فأفاد المصنف بهذا أن هذه الجملة حديث مستقل رواه ابن ماجه (و عن ابن عباس) لم يقل عنه لئلا يرجع الضمير الى غيره و فى نسخة عنه لانه الاصل المصدر به فى أول الحديث (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال) أى من تكلم (فى القرآن) أى فى معناه أو قراءته (برأيه) أى من تلقاء نفسه من غير تتبع أقوال الائمة من أهل اللغة و العربية المطابقة للقواعد الشرعية بل بحسب ما يقتضيه عقله و هو مما يتوقف على النقل بانه لامجال للعقل فيه كاسباب النزول و الناسخ و المنسوخ وما يتعلق بالقصص و الاحكام أو بحسب ما يقتضيه ظاهر النقل و هو مما يتوقف على العقل كالمتشابهات التى أخذ المجسمة بظواهرها و اعرضوا عن استحالة ذلك فى العقول أو بحسب مايقتضيه بعض العلوم الالهية مع عدم معرفته ببقيتها و بالعلوم الشرعية فيما يحتاج لذلك و لذا قال البيهقى المراد رأى غلب من غير دليل قام عليه أما مايشده برهان فلامحذور فيه فعلم ان علم التفسير انما يتلقى من النقل أو من أقوال الائمة أو من المقاييس العربية أو القواعد الاصولية المبحوث عنها فى علم أصول الفقه أو أصول الدين ثم اعلم ان كل ما تعلق بالنقل لتوقفه عليه يسمى تفسيرا و كل ما تعلق بالاستنباط يسمى تأويلا (فليتبوأ مقعده من النار و فى رواية من قال فى القرآن) أى قولا (بغير علم) أى دليل يقينى أو ظنى نقلى أو عقلى مطابق للشرعى (فليتبوأ مقعده من النار) قيل يخشى عليه من الكفر قال ابن حجر و أحق الناس بما فيه من الوعيد قوم من أهل البدع سلبوا لفظ القرآن ما دل عليه و أريد به أو حملوه على ما لم يدل عليه و لم يرد به فى كلا الامرين مما قصدوا نفيه أو اثباته من المعنى فهم مخطئون فى الدليل و المدلول مثل تفسير عبدالرحمن بن كيسان الاصم و الجبائى و عبدالجبار و الرمانى و الزمخشرى و أمثالهم و من هؤلاء من يدس البدع و التفاسير الباطلة فى كلامهم الجزل فيروج على أكثر أهل السنة كصاحب الكشاف و يقرب من هؤلاء تفسير ابن عطية بل كان الامام ابن عرفة المالكى يبالغ فى الحط عليه و يقول انه أقبح من صاحب الكشاف لان كل أحد يعلم اعتزال ذلك فيجتنبه بخلاف هذا فانه يوهم الناس انه من أهل السنة (رواه الترمذى و عن جندب) بضم الجيم و الدال و يفتح كذا فى المغنى و ذكر

القاضى عياض فى المشارق بفتح الدال وضمها مع ضم الجيم وبكسر الجيم أيضا مع فتح الدال وكسرها و وهم ابن حجر فقال جندب بضم الجيم و تثليث الدال اذ ليس فعلل بضم الاول و كسر ما قبل الآخر من أوزان الرباعى المجرد و الملحق به و الله أعلم قال المصنف هو بضم الجيم و سكون النون وضم الدال المهملة و فتحها أيضا ابن عبد الله بن سفيان البجلى العلقى و علقة بطن من بجيلة مات فى فتنة ابن الزبير روى عنه جماعة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال فى القرآن) أى فى لفظه أو معناه (برأيه) أى بعقله المجرد (فأصاب) أى و لو صار مصيبا بحسب الاتفاق (فقد أخطأ) أى فهو مخطئ بحسب الحكم الشرعى قال ابن حجر أى أخطأ طريق الاستقامة بخوضه فى كتاب الله بالتخمين و الحدس لتعديه بهذا الخوض مع عدم استجماعه لشروطه فكان آثما به مطلقا و لم يعتد بموافقته للصواب لانها ليست عن قصد و لا تحر بخلاف من كملت فيه آلات التفسير و هى خمسة عشر علما اللغة و النحو و التصريف و الاشتقاق لان الاسم اذا كان اشتقاقه من مادتين اختلف المعنى باختلافهما كالمسيح هل هو من السياحة أو المسح و المعانى و البيان و البديع و القراآت و الاصلين و أسباب النزول و القصص و الناسخ و المنسوخ و الفقه و الاحاديث المبينة لتفسير المجمل و المبهم و علم الموهبة و هو علم يورثه الله لمن عمل بما علم و بعض هذه العلوم كان موجودا عند السلف بالفعل و بعضها بالطبع من غير تعلم فانه مأجور بخوضه فيه و ان أخطأ لانه لاتعدى منه فكان مأجورا أجرين كما فى رواية أو عشرة أجور كما فى أخرى ان أصاب و اجرا ان أخطأ كالمجتهد فى الاحكام لانه بذل وسعه فى طلب الحق و اضطره الدليل الى مارآه فلم يكن منه تقصير بوجه و قد أخطأ الباطنية الذين يعتقدون ان للقرآن ظهرا و بطنا و ان المراد باطنه دون ظاهره و من هذا ما يسلكه بعض الصوفية من تفسيرهم فرعون بالنفس و موسى بالقلب ان زعموا ان ذلك مراد من الآية لا اشارات و مناسبات للآيات و قد صرح الغزالى و غيره بأنه يحرم صرف شئ من الكتاب و السنة عن ظاهره من غير اعتصام فيه بنقل من الشارع و من غير ضرورة تدعو اليه من دليل عقلى قال الماوردى و قد حمل بعض المتورعة هذا الحديث على ظاهره و امتنع من أن يستنبط معانى القرآن باجتهاده و ان صحبها شواهد سالمة عن المعارض و هذا عدول عما تعبدنا بمعرفته من النظر فى القرآن و استنباط الاحكام منه كما قال تعالى لعلمه الذين يستنبطونه منهم و فى حديث أبى نعيم و غيره القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن وجوهه و معنى ذلول سهل حفظه و فهمه حتى لايقصر عنه أفهام المجتهدين و معنى ذو وجوه ان بعض جمله يحتمل وجوها من التأويل أو أنه جمع وجوها من الامر و الترغيب و التحليل و اضدادها و معنى فاحملوه الخ احملوه على أحسن معانيه و فيه دلالة على جواز الاستنباط و الاجتهاد فى كتاب الله تعالى اه و ما ذكره عن بعض المتورعة قال به قوم فحرموا التفسير مطلقا و لو على من اتسعت علومه الا ما أثر عن النبى صلى الله عليه وسلم و هؤلاء من الافراط على شفا جرف هار و اطباق العلماء فى سائر الاعصار على خلاف مقالتهم كاف فى تسفيههم و تكذيبهم و قد قال محيى السنة و آخرون التأويل الذى هو صرف الآية لمعنى يحتمله موافق لما قبلها و ما بعدها ليس مخالفا للكتاب و السنة من طريق الاستنباط غير محظور على العلماء بالتفسير بخلاف نحو تاويل البحرين بعلى و فاطمة و اللؤلؤ و المرجان بالحسن و الحسين فانه من تأويل الجهلة و الحمقاء كالروافض قال بعض الشراح أى من شرع فى التفسير من غير أن يكون له وقوف على لغة العرب و وجوه استعمالاتها من الحقيقة و المجاز و المجمل

رواه الترمذی و أبو داود و عن أبی هریرة قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم المراء فی القرآن کفر رواه أحمد و أبو داود و عن عمرو بن شعیب عن أبیه عن جده قال سمع النبی صلی الله علیه وسلم قوما یتدارؤن فی القرآن

و المفصل و العام و الخاص و غیر ذلک مما ینبغی أن یکون للمفسر فهو و ان طابق المراد بالآیة فهو مخطیٔ لانه تکلم فی القرآن بغیر اذن الشارع و قیل معناه قضی بتأویله و اجتهاده علی انه مراد الله تعالی و نقل الطیبی عن التوربشتی ان المراد بالرأی مالایکون مؤسسا علی علوم الکتاب و السنة بل یکون قولا تقوله برأیه علی مایقتضیه عقله و علم التفسیر یؤخذ من أفواه الرجال کاسباب النزول و الناسخ و المنسوخ و من أقوال الائمة و تأویلاتهم بالمقاییس العربیة کالحقیقة و المجاز و المجمل و المفصل و العام و الخاص ثم یتکلم علی حسب ما یقتضیه أصول الدین فیؤول القسم المحتاج الی التأویل علی وجه یشهد بصحته ظاهر التنزیل فمن لم یستجمع هذه الشرائط کان قوله مهجورا و حسبه من الزاجر انه مخطیٔ عند الاصابة فیا بعد ما بین المجتهد و المتکلف فالمجتهد مأجور علی الخطأ و المتکلف مأخوذ بالصواب و قال صاحب جامع الاصول یحتمل النهی عن وجهین أحدهما ان له میلا عن طبعه و هواه فیؤول علی وفق رأیه و لو لم یکن له ذلک الهوی لم یلح له ذلک المعنی الثانی أن یتسارع الی التفسیر بظاهر العربیة من غیر استظهار بالسماع فیما یتعلق بغرائب القرآن و ما فیه من الاضمار و التقدیم و لامطمع فی الوصول الی الباطن بدون معرفة الظاهر (رواه الترمذی و أبو داود) و کذا النسائی (وعن أبی هریرة قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم المراء) أی الجدال (فی القرآن) أی فی متشابهه المؤدی الی الجحود (کفر) سماه کفرا باسم ما یخشی عاقبته و ذلک بان یسند أحدهم کلامه الی آیة ثم یأتی صاحبه بآیة أخری تدافعاله کأنه یزعم ان الذی أتیت به نقیض ما استدللت به قال زین العرب المراد بالمراء فی القرآن الشک فیه کقوله تعالی فلاتک فی مریة منه أی فی شک یعنی الشک فی کونه کلام الله کفر و المراء المجادلة فیما فیه مریة و شک و قال البیضاوی المراد بالمراء فیه التدارؤ و هو أن یروم تکذیب القرآن بالقرآن لیدفع بعضه ببعض فیطرق الیه قدحا و طعنا و من حق الناظر فی القرآن أن یجتهد فی التوفیق بین الآیات المختلفة ما أمکنه فان القرآن یصدق بعضه بعضا فان أشکل علیه شیٔ من ذلک و لم یتیسر له التوفیق فلیعتقد انه من سوء فهمه و لیکله إلی عالمه و هو الله تعالی و رسوله صلی الله علیه وسلم کما قال تعالی فان تنازعتم فی شیٔ فردوه الی الله و الرسول اه و قال فی شرح السنة قیل هو المراء فی قراءته بان ینکر بعض القرآآت المرویة و قد أنزل الله تعالی القرآن علی سبعة أحرف فتوعده بالکفر لینتهوا عن المراء فیها و التکذیب بها اذ کلها قرآن منزل یجب الایمان به (رواه أحمد و أبوداود و عن عمرو بن شعیب) بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص (عن أبیه عن جده) یحتمل أن یکون الضمیر راجعا الی عمرو فیکون الحدیث مرسلا لان جد عمرو و هو محمد بن عبد الله بن عمرو تابعی و أن یکون راجعا الی شعیب مع ما فیه من تفکیک الضمیرین فالحدیث متصل لان جد شعیب عبد الله بن عمرو بن العاص صحابی و لهذه العلة تکلموا فی صحیفة عمرو بن شعیب عن أبیه عن جده لما فیها من احتمال التدلیس (قال سمع النبی صلی الله علیه وسلم قوما) أی کلام قوم (یتدارؤن فی القرآن) أی یختلفون فیه و یتدافعون بعضه ببعض و التدارؤ دفع کل من المتخاصمین قول صاحبه بما یقع من القول أی یدفع بعضهم دلیل بعض منه قال المظهر مثال ذلک ان أهل السنة یقولون الخیر و الشر من الله تعالی لقوله تعالی قل کل من عند الله و یقول القدری لیس کذلک بدلیل قوله تعالی ما أصابک من حسنة فمن الله و ما أصابک من سیئة فمن نفسک و هذا الاختلاف منهی أی علی هذا الوجه و انما الطریق فی مثل تلک الآیات أن یؤخذ

فقال انما هلک من کان قبلکم بهذا ضربوا کتاب الله بعضه ببعض و انما نزل کتاب الله يصدق بعضه بعضا فلاتکذبوا بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوا و ماجهلتم فکلوه الى عالمه

ما عليه اجماع المسلمين و يؤول الآية الاخرى كما تقول انعقد الاجماع على ان الكل بتقدير الله تعالى و أما قوله تعالى ما أصابک الخ فذهب المفسرون الى أنه متصل بما قبله و المعنى فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يعنى ان المنافقين لايعلمون ما هو الصواب و يقولون ما أصابک الخ و قيل الآية مستأنفة أى ما أصابک يا محمد أو يا انسان من حسنة أى فتح و غنيمة و راحة و غيرها فمن فضل الله و ما أصابک من سيئة أى من هزيمة و تلف مال و مرض فهو جزاء ما عملت من الذنوب كما قال تعالى و ماأصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم و يعفو عن كثير فالآية السابقة خارجة عن مسئلة القضاء و القدر (فقال) عليه الصلاة والسلام (انما هلک من کان قبلکم) أى من اليهود و النصارى (بهذا) أى بسبب التدارؤ اشارة تحقير أو تعظيم لعظم ضرره و قيل المضاف محذوف أى بمثل هذا الاختلاف المذموم (ضربوا كتاب الله) أى جنسه (بعضه ببعض) بدل بعض و الجملة بيان لاسم الاشارة أى خلط من كان قبلكم التوراة و الانجيل و معناه دفع أهل التوراة الانجيل و أهل الانجيل التوراة و كذلک أهل التوراة ما لايوافق مرادهم من التوراة و كذلک أهل الانجيل و قيل المراد بكتاب الله القرآن أى خلطوا بعضه ببعض فلم يميزوا بين المحكم و المتشابه و الناسخ و المنسوخ و المطلق و المقيد فحكموا فى كلها حكما واحدا من ضربت اللبن بعضه ببعض أى خلطته و الضرب الصرف أيضا فان الراكب اذا أراد صرف الدابة ضربها أى صرفوا كتاب الله عن المعنى المراد الى ما مال اليه أهواؤهم و ينبغى للناظر فى كتاب الله تعالى أن يوفق بين الآيات فانه يصدق بعضه بعضا و من أشكل عليه شئ فليتوقف فيه و يستند الى سوء فهمه و يكل علمه الى عالمه عزوجل و لذا قال (و انما نزل كتاب الله) المراد به الجنس (يصدق بعضه بعضا) يعنى أن الانجيل مثلا يبين أن التوراة كلام الله و هو حق و القرآن يبين أن جميع الكتب المنزلة حق و كذلک الناسخ يبين انه لايعمل بالمنسوخ و المحكم يبين انه لا يعمل بالمتشابه و المؤول لدليل يبين أنه لا يعمل بالظاهر و الخاص و المقيد يبينان أنه لا يعمل بالعام و المطلق (فلاتكذبوا بعضه ببعض) بل قولوا كل ما أنزله الله على رسوله حق أو بان تنظروا الى ظاهر لفظين منه مع عدم النظر الى القواعد التى تصرف أحدهما عن العمل به بنسخه أو بتخصيصه أو تقييده أو تأويله فان ذلک يؤدى الى قدح فى الدين (فما علمتم منه) أى علما موافقا للقواعد (فقولوا) أى به (و ما جهلتم) أى منه كالمتشابهات و غيرها (فكلوه) أى ردوه و فوضوه (الى عالمه) و هو الله تعالى أو من هو أعلم منكم من العلماء و لاتلقوا معناه من تلقاء أنفسكم و قد سئل ابن عباس عن آيات ظاهرة التنافى فأجاب عنها منها نفى المساءلة يوم القيامة و اثباتها فنفيها فيما قبل النفخة الثانية و اثباتها فيما بعدها قلت و يحتمل أن يكونا كلاهما بعد النفخة الثانية بأن يكون النفى فى أوائل المواقف و الاثبات فى أواخرها و منها كتمان المشركين حالهم و افشاؤه فالاول بالسنتهم و الثانى بأيديهم و جوارحهم قلت ولابعد أن يكون الثانى بألسنتهم أيضا لكن لاباختيارهم كشهادة أيديهم و يدل عليه قوله يوم تشهد عليهم ألسنتهم و منها خلق الارض قبل السماء و عكسه و جواب هذا أنه بدأ خلق الارض فى يومين غير مدحوة ثم خلق السموات فسواهن فى يومين و الارض بعد ذلک دحاها و جعل فيها رواسى و غيرها فى يومين فتلک أربعة أيام للارض و قد سأله يهودى فقال تزعمون أن الله كان غفورا رحيما فكيف هو اليوم و أجاب عنه بأن الماضى انما هو التسمية لان التعلق انقضى و أما الاتصاف فهو دائم قلت و يقرب منه

رواه أحمد و ابن‌ماجه و عن ابن مسعود قال قال رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم أنزل القرآن على سبعة أحرف

ما قال المتكلمون ما ثبت قدمه استحال عدمه و أجاب أيضا بأن كان يستعمل بها مراد الدوام كثيرا و سئل أيضا عن اليوم المقدر بالف سنة و المقدر بخمسين ألف سنة فقال لا أدرى و أكره أن أقول مالاأعلم و فى رواية عنه ان الاول أحد الايام الستة التى خلق الله فيها العالم و الثانى يوم القيامة و قال غيره كل منهما يوم القيامة باعتبار قصره على المؤمن العاصى و طوله على الكافر و أما الطائع فيكون عليه بقدر ركعتين كما ورد (رواه أحمد وابن‌ماجه و عن ابن مسعود قال قال رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم أنزل القرآن) أى حال كونه مشتملا (على سبعة أحرف) أى قراآت أو لغات أو أنواع من الاحكام قال الشراح الحرف الطرف و حروف التهجى سميت بذلك لانها أطراف الكلمة فقيل المراد أطراف اللغة العربية فكأنه قال على سبع لغات العرب و هم المشهود لهم بالفصاحة كقريش و ثقيف و طيئ و هوازن و هذيل و اليمن و بنوتميم و قيل و عليه أئمة اللغويين و صححه البيهقى و ابن‌عطية بمجئ التصريح به عن ابن عباس ورد بأن لغاته أكثر من سبع و أجيب بأن المراد أفصحها و يمكن أن يقال المراد بها الكثرة و قيل الكل فى بطون قريش لقوله تعالى و ما أرسلنا من رسول الابلسان قومه و قيل فى بطون مضر وردت هذه الاقوال كلها بأن عمر أنكر على هشام قراءته حتى جره الى النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم و محال أن ينكر عليه لغته وهما من قبيلة و لغة واحدة فدل على أن المراد بالاحرف السبعة غير اللغات كذا ذكره ابن حجر و فيه بحث اذ يحتمل أن يكون انكار عمر قبل العلم بالجواز فلا دلالة حينئذ على نفى ارادة اللغات مع أن مجرد ورود اللغة لايجوز قراءته بدون الرواية و قيل أراد بها القراآت السبع التى اختارها الائمة السبعة و قيل أجناس الاختلافات التى يؤل اليها اختلاف القراآت فان اختلافها اما أن يكون فى المفردات أو المركبات والثانى كالتقديم و التأخير مثل و جاءت سكرة الموت بالحق وجاءت سكرة الحق بالموت و الاول اما أن يكون بوجود الكلمة و عدمها نحو فان الله هو الغنى الحميد قرئ بالضمير وعدمه أو تبديل الكلمة بغيرها مع اتفاق المعنى كالعهن المنفوش و الصوف المنفوش أو مع اختلافه مثل و طلح منضود و طلع منضود أو بتغييرها اما بتغييرهيئة كاعراب مثلهن أطهر لكم بالرفع و النصب فى الراء أو صورة مثل و انظر الى العظام كيف ننشزها و ننشرها أو حرف مثل باعد و بعد بين أسفارنا و قيل أراد فى القرآن ماهو مقروء على سبعة أوجه كقوله تعالى و لاتقل لهما أف فانه قرئ بالضم و الفتح و الكسر منونا و غير منون و بالسكون و قيل معناه انه أنزل مشتملا على سبعة معان الامر و النهى و القصص و الامثال و الوعدو الوعيد و الموعظة و قيل المعانى السبعة هى العقائد و الاحكام و الاخلاق و القصص و الامثال و الوعد و الوعيد و قيل أمر ونهى و حلال و حرام و محكم و متشابه و أمثال لخبر الحاكم و البيهقى كان الكتاب الاول ينزل على حرف واحد و نزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف زاجر و آمر و حلال و حرام و محكم و متشابه و أمثال الحديث و أجيب بأن قوله زاجر استئناف لا تفسير لانه فى رواية زاجرا بالنصب أى نزل على هذه الصفة من الابواب السبعة و بتسليم انه تفسير هو تفسير للانزال لا للاحرف أى هى سبعة أبواب من أبواب الكلام و أقسامه أى أنزله الله على هذه الاصناف و لم‌يقتصر على صنف واحد كغيره من الكتب أى غير التوراة و الانجيل و من ثم قال جمع هذا القول فاسد لان اجماع المسلمين على أن التوسعة التى هى السبب فى نزول القرآن على سبعة أحرف لم‌يقع فى تحريم و لاتحليل و لا فى تغيير شئ من تلك المعانى المذكورة و قيل المراد بالاحرف السبعة الاقاليم السبعة يعنى حكم القرآن عام على جميع العالم و قيل المراد الكثرة

توسعة لا الحصر فى هذا العدد و قيل غير ذلك و قال التوربشتى لما شق على كل العرب القراءة بلغة قريش رخص فى ذلك و من الدليل على ذلك ماروى أن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم أتاه جبريل فقال ان الله تعالى يأمرك أن تقرأ أنت و أمتك على حرف واحد فقال صلى‌الله‌عليه‌وسلم اسأل الله عزوجل معافاته و مغفرته ان أمتى لاتطيق ذلك ثم رجع اليه الثانية و ساق الحديث الى قوله أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف قيل فعلى هذا ينبغى أن ينزل قوله (لكل آية منها) أى من تلك السبعة الاحرف و الجملة الاسمية صفة لسبعة و الضمير رابطة فلا وجه لقول ابن حجر و الوجه عندى عوده على القرآن باعتبار جملته ثم أغرب فى تعليله بقوله لان الآية ليست من تلك الاحرف على أى قول من الاقوال (ظهر و بطن و لكل حد مطلع) بتشديد الطاء و فتح اللام على الاختلاف فى القرآت كما فعل المظهر حيث قال حد كل حرف معلوم فى التلاوة لا يجوز مخالفته مثل عدم جواز ابدال الضاد بحرف آخر و كذا سائر الحروف لا يجوز ابدالها بآخر الاماجاء فى القراءة و يلزم من هذا التأويل أن يكون لكل حال من أحوال الكلمة كالامالة و ابدال الحروف و الادغام ظهر و بطن و حد و مطلع و قيل المقصود وصف القرآن بكثرة ما فيه من العلوم فالمراد بالسبعة الكثرة كقوله تعالى و لو أن ما فى الارض من شجرة أقلام و البحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله و الاحرف ههنا بمنزلة الكلمات فى الآية فوجب أن يحمل الاحرف على أجناس الاختلافات التى لاتدخل تحت الحصر ثم قسم عليه‌الصلاة‌والسلام كل حرف تارة بالظهر و البطن و الاخرى بالحد و المطلع فالظهر ما يبينه النقل و البطن ما يستكشفه التأويل و الحد هو المقام الذى يقتضى اعتبار كل من الظهر و البطن فيه فلا محيد عنه و المطلع المكان الذى يشرف منه على توفية خواص كل مقام حده و ليس للحد و المطلع انتهاء لان غايتهما طريق العارفين بالله و ما يكون سرابين الله و بين أنبيائه و أوليائه كذا حققه الطيبى و قيل الظهر ما ظهر تأويله و عرف معناه و البطن ما خفى تفسيره و أشكل فحواه و قيل الظهر اللفظ و البطن المعنى قال بعض العلماء لكل آية ستون ألف فهم وعن على لوشئت أن أوقر سبعين بعيرا من تفسير القرآن لفعلت و لهذا قال التفتازانى و أما ما يذهب اليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها و مع ذلك فيها اشارات الى دقائق تنكشف لارباب السلوك يمكن التطبيق بينها و بين الظواهر المرادة فهو من كمال الايمان و محض العرفان اه و نقل ابن الصلاح أن الواحدى قال صنف أبو عبدالرحمن السلمى حقائق التفسير فان كان اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر ثم قال ابن الصلاح الظن بما يوثق به من أهل التصوف كالسلمى فانه من أكابرهم علما و معرفة انه لم يذكر ذلك تفسيرا ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة فان ذلك مذهب الباطنية و انما ذلك منهم تنظير ما ورد به فى القرآن و الله أعلم و قال محيى السنة فى معالم التنزيل قيل الظهر لفظ القرآن و البطن تأويله و المطلع الفهم و قد يفتح الله على المتدبر و المتفكر من التأويل و المعانى ما لايفتحه على غيره ولوق كل ذى علم عليم و التفهم يكون بصدق النية و تعظيم الحرمة و طيب الطعمة و قال زين العرب الظهر ما ظهر معناه من غير روية و البطن بخلافه اه و هو قريب من قول الطيبى الظهر ما يبينه النقل و البطن ما يستكشفه التأويل قال أو الظهر الايمان به و العمل بمقتضاه و البطن التفاوت فى فهمه على حسب مراتبهم فى الفضيلة أو الظهر المعنى الجلى و البطن الخفى و هوسر بين الله و بين عباده المصطفين عن أبى الدرداء لايفقه الرجل كل الفقه حتى يجعل للقرآن وجوها و عن ابن مسعود من أراد علم الاولين و الآخرين فليؤثر القرآن و قوله و لكل حد مطلع الحد المنع و سميت حدود الله بها لمنع مرتكبيها من

العود و المطلع مكان الاطلاع من موضع عال يقال مطلع هذا الجبل من مكان كذا أى مأتاه و مصعده منه و المعنى ان لكل حد من حدود الله تعالى و هى أحكام الدين التى شرع للعباد موضع اطلاع من القرآن فمن وفق أن يرتقى ذلك المرتقى اطلع منه على ذلك الحد المتعلق بذلك المطلع كذا نقله السيد و قيل أى لكل حد وطرف من الظهر و البطن مطلع أى مصعد أى موضع يطلع عليه بالترقى اليه فمطلع الظاهر تعلم العربية و تتبع ما يتوقف عليه معرفة الظاهر من أسباب النزول و الناسخ و المنسوخ و غير ذلك و مطلع الباطن تصفية النفس و الرياضة بآداب الجوارح و اتعابها فى اتباع مقتضى الظاهر و العمل بمقتضاه و قال ابن مسعود ما من آية الا اعمل بها قوم و لها قوم سيعملون بها و قيل ان ماقصه عمن سبق ظاهرها الاخبار باهلاكهم و باطنها وعظ السامعين و قيل ظاهرها معناها الظاهر لعلماء الظاهر و باطنها من الاسرار لعلماء الباطن و قيل ظاهرها التلاوة و معناها الفهم (رواه) أى مصنف المصابيح (فى شرح السنة) أى باسناده فيه و أخرج الفريابى عن الحسن مرفوعا لكل آية ظهر و بطن و لكل حرف حد و لكل حد مطلع و أخرج الديلمى خبر القرآن تحت العرش له ظهر و بطن يحاج العباد و أخرج الطبرانى و أبو يعلى و البزاز و غيرهم عن ابن مسعود موقوفا ان هذا القرآن ليس له حرف الا له حد و لكل حد مطلع و قال ابن حجر الجملة الاولى جاءت من رواية أحد و عشرين صحابيا و من ثم نص أبو عبيد على انها متواترة أى معنى و اختلفوا فى معناها على أربعين قولا منها انه من المشكل الذى لايدرى معناه و منها انه على سبعة أوجه من المعانى المتفقة بالفاظ مختلفة و نسبه ابن عبدالبر لاكثر العلماء و يؤيده خبر أحمد بسند جيد ان جبريل قال يا محمد اقرأ القرآن على حرف قال ميكائيل استزده حتى يبلغ سبعة أحرف قال كل شاف كاف ما لم يختم آية رحمة بعذاب أو عذاب برحمة نحو قولك تعال و اقبل و هلم و اذهب و اسرع و عجل هذا لفظ الحديث و فى رواية له أنزل القرآن على سبعة أحرف عليما حكيما غفورا رحيما و فى أخرى له القرآن كله صواب مالم تجعل مغفرة عذابا أو عذابا مغفرة و سندهما جيد قال كثيرون من الائمة انما كان ذلك أى جواز تغيير اللفظ بمرادفه رخصة لما كان يتعسر على كثير منهم التلاوة بلفظ واحد لعدم علمهم بالكتابة و الضبط و اتقان الحفظ بالقرشى يشق عليه تخفيف الهمزة و اليمنى تركه فلذلك سهل على قبيلة أن تقرأ بلغتها ثم نسخ بزوال العذر و تيسير الكتابة و الحفظ قلت و فيه ايماء الى المعتمد من مذهبنا أن المصلى اذا قرأ مالم يغير المعنى لم تفسد صلاته و اعلم انهم اختلفوا على قولين فى المصاحف العثمانية أحدهما و عليه جماعات من الفقهاء و القراء و المتكلمين انها مشتملة على جميع الاحرف السبعة فلا يجوز على الامة أن تهمل نقل شئ منها و قد أجمع الصحابة على نقلها من الصحف التى كتبها أبوبكر و أجمعوا على ترك ماسوى ذلك و ثانيهما و اليه ذهب جمهور العلماء من السلف و الخلف انها مشتملة على مايحتمله رسمها من الاحرف السبعة فقط جامعة للعرضة الاخيرة التى عرضها عليه الصلاة والسلام على جبريل متضمنة لها لم يترك حرف منها و أجيب عن الاول بما ذكره ابن جرير أن القراءة على الاحرف السبعة لم تكن واجبة على الامة و انما كان جائزا لهم و مرخصا لهم فيه فلما رأى الصحابة أن الامة تفترق و تختلف اذا لم يجتمعوا على حرف واحد اجتمعوا على ذلك اجماعا شائعا وهم معصومون من الضلالة و لم يكن فى ذلك ترك واجب و لافعل حرام و لاشك أن القرآن نسخ منه فى العرضة الاخيرة و غير منه فاتفق الصحابة على أن كتبوا ما تحققوا انه قرآن مستقر فى العرضة الاخيرة و تركوا ماسوى ذلك اه و قال ابن التين و غيره جمع أبو بكر القرآن فى صحف و جمعه

و عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم ثلاثة آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة و ما كان سوى ذلک فهو فضل

عثمان فى مصحف واحد و الفرق بين الجمعين أن الاول كان لخشية أن يذهب من القرآن شئى بذهاب حامليه لانه لم يكن مجموعا فى موضع واحد فجمعه فى صحائف مرتبا لآيات سوره على ماوقفهم عليه النبى صلى الله عليه وسلم و جمع عثمان لما كان كثر الاختلاف فى وجوه القرآن حين قرؤه بلغاتهم على اتساع اللغات فأدى ذلک بعضهم الى تخطئة بعض فخشى من تفاقم الامر فى ذلک فنسخ تلک الصحف فى مصحف واحد مرتبا لسوره و اقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجابانه نزل بلغتهم و ان كان قد وسع فى قراءته بلغة غيرهم دفعا للحرج و المشقة فى ابتداء الامر فرأى ان الحاجة الى ذلک انتهت فاقتصر على لغة واحدة اه و الحاصل أن القرآن جمع ثلاث مرات الاولى بحضرته عليه الصلاة والسلام فقد صح عن زيد بن ثابت قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن فى الرقاع أى يؤلفون ما ينزل من الآيات المفرقة و يجمعونها فى سورها باشارته عليه الصلاة والسلام قاله البيهقى و من ثم قال الخطابى كتب القرآن كله فى عهده صلى الله عليه وسلم لكنه كان غير مجموع فى موضع واحد و لا مرتب السور و الثانية بحضرة أبى بكر لما رأى عمر ذلک و من ثم ورد أنه أول من جمعه أى أشار بجمعه و وافقه أبو بكر فامر زيدا بجمعه فجمعه فى صحف كانت عند أبى بكر فعمر فبنته حفصة و من ثم صح عن على أول من جمع كتاب الله أبو بكر و ما روى عنه أنه جمعه منقطع و على فرض صحته محمول على أنه حفظ صدره و الثالثة بحضرة عثمان مرتبا له على السور (و عن عبدالله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم) أى الذى هو أصل علوم الدين و اللام للعهد الذهنى (ثلاثة) أى معرفة ثلاثة أشياء (آية محكمة) أى غير منسوخة أو مالايحتمل الا تأويلا واحدا (أو سنة قائمة) أى ثابتة صحيحة منقولة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم معمول بها و أو للتنويع كقوله (أو فريضة عادلة) أى مستقيمة قيل المراد بها الحكم المستنبط من الكتاب و السنة بالقياس لمعادلته الحكم المنصوص فيهما و مساواته لهما فى وجوب العمل و كونه صدقا و صوابا و قيل فريضة معدلة بالكتاب و السنة أى مزكاة بهما و قيل الفريضة العادلة ما اتفق عليه المسلمون و هو اشارة الى الحكم الثابت بالاجماع و قيل المراد علم الفرائض و الحاصل أن أدلة الشرع أربعة الكتاب و السنة و الاجماع و القياس و يسمى الاجماع و القياس فريضة عادلة قاله زين العرب ملخصا نقله السيد (وما كان سوى ذلک) أى المذكور (فهو فضل) أى من الفضول يعنى كل علم سوى هذه الثلاثة وما يتعلق بها مما تتوقف هذه الثلاثة عليه زائد لاضرورة الى معرفته كالنحو و التصريف و العروض و الطب و غير ذلک كذا قاله ابن الملک و أما قول ابن حجر وما كان سوى ذلک كعلم العروض و الطب و الهندسة و الهيئة و الميقات فهو فضل أى زيادة على تلک العلوم ففيه أنه تحصيل الحاصل و أنه غير مفيد لبيان العلم النافع الذى طلبه من الله تعالى و غير النافع الذى تعوذبه منه بقوله اللهم انى أسألک علما نافعا و أعوذبک من علم لاينفع و أيضا من الظاهر أن مراد الشارع أن يبين حصر العلوم الشرعية لتعرض الامة عن غيرها و يتوجهوا اليها و هو لايحصل الا بنفى ما عداها و ذمه بأنه زائد غير محتاج اليه بل فضلة و شاغل عن المقصود ولذا ورد ان من العلم جهلا و من حسن اسلام المرء تركه مالايعنيه و الغريب من ابن حجر أنه جعل هذا القول بعيدا بل قال لايصح و علل بقوله لان من تلک العلوم الزائدة ما هو فرض كفاية كالطب و تقدم جوابه و قال بل عين كعلم الوقت و القبلة قلت ان كان المراد علمهما اجمالا على ما ثبت فى الحديث فهو مسلم و هو داخل فى السنة و ان كان المراد علمهما على وفق علماء الهيئة و الحكمة

رواه أبوداود و ابن ماجه و عن عوف بن مالک الاشجعی قال قال رسول‌الله‌صلی‌الله‌علیه‌وسلم لایقص الا أمیر أو مأمور أو مختال رواه أبو داود و رواه الدارمی عن عمرو بن شعیب عن أبیه عن جده و فی روایته أو مراء بدل أو مختال و عن أبی هریرة قال قال رسول‌الله‌صلی‌الله‌علیه‌وسلم من أفتی بغیر علم کان اثمه علی من أفتاه و من أشار علی أخیه بامر یعلم أن الرشد فی غیره فقد خانه

من الفلاسفة فحاشا أن یکون علما فضلا أن یکون فرضا فضلا أن یکون فرض عین والا لکان السلف و أکثر الخلف عاصین بترک هذا العلم وما کانت صلاتهم صحیحة بالتحری فی القبلة والله أعلم و قال الطیبی العلم ثلاثة علم الکتاب و الیه أشار بقوله آیة محکمة فان المحکمات هن أم الکتاب ویجب رد المتشابهات الیها ولایحصل الا بما یتعلق به من العلوم کالعربیة و الاصولین یعنی أصول العقائد و أصول الفقه و علم السنة و الیه أشار بقوله سنة قائمة و معنی قیامها ثباتها و دوامها بالمحافظة علی أسانیدها و ما یتعلق بها من التعدیل و الجرح و معرفة أقسام الحدیث أو بالمحافظة علی متونها من التغییر بالاتقان و علم الاجماع و القیاس و الیه أشار بقوله أو فریضة عادلة و انما سمیت عادلة لانها معادلة لما أخذ من الکتاب و السنة فی وجوب الاتباع وما عدا ذلک من الفضول ولا یدخل له فی علم الدین و أما الطب فلیس بفضول لماثبت بنصوص السنة الافتقار الیه أقول فیه ان کل ماثبت بالسنة الافتقار الیه لایلزم أن یکون علما کالحجامة و الزراعة و النساجة فانها من فروض الکفایة و لاتسمی علوما مع أن العلم بالطب جائز لافرض اجماعا و أصله موجود فی الکتاب و السنة و الزائد عنهما لاشک أنه فضول کالزائد من نحو النحو علی قدر الحاجة الیه فی معرفة الکتاب و السنة (رواه أبو داود و ابن ماجه و عن عوف بن مالک الاشجعی) رضی‌الله‌عنه روی عنه جماعة من الصحابة و التابعین (قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم لایقص) نفی لانهی کذا قاله السید و وجهه ما قاله الطیبی أنه لو حمل علی النهی الصریح لزم أن یکون المختال مأمورا بالاقتصاص ثم القص التکلم بالقصص و الاخبار و المواعظ و قیل المراد به الخطبة خاصة و المعنی لایصدر هذا الفعل الامن هؤلاء الثلاثة و قوله (الا أمیر) أی حاکم (أو مأمور) أی مأذون له بذلک من الحاکم أو مأمور من عندالله کبعض العلماء و الاولیاء (أو مختال) أی مفتخر متکبر طالب للریاسة (رواه أبوداود) أی عن عوف (و رواه الدارمی عن عمرو ابن شعیب عن أبیه عن جده و فی روایته) أی روایة الدارمی و فی بعض النسخ و فی روایة (أو مراء بدل أو مختال) بالخاء المعجمة من الاختیال أی التکبر و بالحاء المهملة من الحیلة و الجمهور علی الاول قال الابهری و فی شرح السنة صح بالمهملة (و عن أبی هریرة قال قال رسول‌الله‌صلی‌الله‌علیه‌وسلم من أفتی) علی صیغة المجهول و قیل من المعلوم (بغیر علم کان اثمه علی من أفتاه) قال الاشرف و تبعه زین العرب یجوز أن یکون أفتی الثانی بمعنی استفتی و أفتی الاول معروفا أی کان اثمه علی من استفتاه فانه جعله فی معرض الافتاء بغیر علم و یجوز أن یکون مجهولا أی فاثم افتائه علی من أفتاه أی الاثم علی المفتی دون المستفتی اه و الاظهر الثانی و هو الاصح من النسخ یعنی کل جاهل سأل عالما عن مسئلة فافتاه العالم بجواب باطل فعمل السائل بها و لم‌یعلم بطلانها فاثمه علی المفتی ان قصر فی اجتهاده (و من أشار علی أخیه بامر) قال الطیبی اذا عدی أشار بعلی کان بمعنی المشورة أی استشاره و سأله کیف أفعل هذا الامر اه و فی القاموس أشار علیه بکذا أمره و استشار طلبه المشورة فالظاهر ما قاله بعض الشراح من أن المعنی من أشار علی أخیه و هو مستشیر و أمر المستشیر بامر (یعلم) و المراد بالعلم ما یشمل الظن (ان الرشد) أی المصلحة (فی غیره) أی غیر ما أشار الیه (فقد خانه)

رواه أبو داود وعن معاوية قال ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الاغلوطات رواه أبو داود و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرائض و القرآن و علموا الناس فاني مقبوض رواه الترمذي و عن أبي الدرداء قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشخص ببصره الى السماء ثم قال هذا أوان يختلس فيه العلم من الناس حتى لايقدروا منه على شئ رواه الترمذي و عن أبي هريرة رواية يوشك ان يضرب الناس أكباد الابل

أى خان المستشار المستشير اذ ورد أن المستشار مؤتمن و من غشنا فليس منا (رواه أبو داود و عن معاوية قال ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الاغلوطات) جمع أغلوطة بضم الهمزة و اللام أى عن سؤال المسائل التي يغالط بها العلماء لاشكال فيها لما فيها من ايذاء المسؤل و اظهار فضل السائل قال في الازهار النهي للتحريم اذا كان ابتداء لانه سبب الايذاء و الايذاء حرام و تهييج للفتنة و العداوة و فيه اظهار فضل النفس و نقص الغير وأما أن كان جوابا و جزاء فلايكون حراما لقوله تعالى و جزاء سيئة سيئة مثلها و سئل الشافعي في مجلس هرون الرشيد عن مسائل مشكلة فأجابها سريعا فسأل الشافعي ممن سأل منه عن رجل مات عن ستمائة درهم و لم يخص أخته الا درهم فاطرق مليا و عجز فاشار هرون بتصويره فقال مات رجل عن بنتين و أم و زوجة و اثنى عشر أخا و أختا و ستمائة درهم كذا نقله الابهرى (رواه أبوداود و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرائض) قيل هو علم الميراث و قيل ما فرض الله على عباده و قيل الفرائض المشتملة على الاوامر و النواهي و الصحيح أنه أراد جميع ما يجب على الناس معرفته و انما حث على تعلمها لان العقاب لايتعلق الابها (و القرآن) قال ابن الملك و انما حث عليه صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى و نزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ و هو الاصل الذى لا بد منه و قال الطيبي و يمكن أنه أراد بالفرائض السنن الصادرة منه عليه الصلاة والسلام المشتملة على الاوامر و النواهي الدالة عليها كانه قال تعلموا الكتاب و السنة (و علموا الناس فاني مقبوض) أى سأقبض و ينقطعان (رواه الترمذي و عن أبي الدرداء قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشخص) أى رفع (ببصره) أو نظر بعينه (الى السماء ثم قال هذا أوان) أى وقت (يختلس) صفة أوان كذا قاله الطيبي و في نسخة بالاضافة أى يختطف و يسلب بسرعة في هذا الوقت و في نسخة يختلس فيه (العلم من الناس) أى علم الوحي (حتى لايقدروا منه) أى من العلم (على شئ) من رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله ابن الملك و الاظهر على شئ من العلم قال الطيبي فكانه عليه الصلاة والسلام لما نظر الى السماء كوشف باقتراب أجله فاخبر بذلك (رواه الترمذي و عن أبي هريرة رواية) بالنصب على التمييز و هو كناية عن رفع الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والا لكان موقوفا (يوشك) بالكسر و الفتح لغة رديئة أى يقرب (أن يضرب الناس) هو في محل الرفع اسم ليوشك و لاحاجة الى الخبر لاشتمال الاسم على المسند و المسند اليه (أكباد الابل) أى المحاذى لاكبادها يعني يرحلون و يسافرون في طلب العلم و هو كناية عن اسراع الابل و اجهادها في السير فتستحضر بذلك فتقطع أكبادها من قطع المسافة و يمسها الادواء من شدة العطش فتصير كأنها ضربت أكبادها مكان ضربها على السير و قيل أى يجهدون الابل و يركضونها كي يضرب الاكباد عن السير و الركض لان أكباد الابل و الفرس و غيرهما تتحرك عند الركض و يلحقها ضرر قطع و قال الطيبي ضرب أكباد الابل كناية عن السير السريع لان من أراد ذلك يركب الابل و يضرب على أكبادها بالرجل و في ايراد هذا القول تنبيه على أن طلبة العلم أشد الناس حرصا و أعزهم مطلبا لان الجد في الطلب انما يكون بقدر شدة الحرص و عزة المطلب و المعنى قرب أن يأتى

يطلبون العلم فلايجدون أحدا أعلم من عالم المدينة رواه الترمذى و فى جامعه قال ابن عيينة انه مالك ابن أنس و مثله عن عبد الرزاق قال اسحق بن موسى و سمعت ابن عيينة انه قال هو العمرى الزاهد و اسمه عبد العزيز بن عبد الله و عنه فيما أعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عزوجل يبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة

زمان يسير الناس سيرا شديدا فى البلدان البعيدة (يطلبون العلم) و هو حال أو بدل (فلايجدون أحدا) أى فى العالم (أعلم من عالم المدينة) قيل هذا فى زمان الصحابة و التابعين و أما بعد ذلك فقد ظهرت العلماء الفحول فى كل بلدة من بلاد الاسلام أكثر ما كانوا بالمدينة فالاضافة للجنس و قيل المراد به ذاته عليه الصلاة والسلام فالاضافة للعهد (رواه الترمذى و فى جامعه) بالواو أى و ذكر الترمذى تفسيره فى جامعه بقوله (قال ابن عيينة) اسمه سفيان و هو امام جليل روى عنه الشافعى و ابن المبارك و غيرهما (انه) أى عالم المدينة (مالك بن أنس) و هو امام دارالهجرة و أحد الائمة الاعلام و هو استاذ الشافعى ولم يكن فى زمنه بالمدينة التى هى دارالعلم أعلم منه (ومثله) أى مثل مقول ابن عيينة فى مالك منقول (عن عبدالرزاق) و هو من فضلاء أصحاب الحديث روى عنه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين و غيرهما و هو أحد المشهورين المكثرين من الرواية صاحب تأليفات كثيرة قال الطيبى و هذا مخالف لما فى شرح الشيخ التوربشتى كما سيأتى و ان أريد مطابقته اياه قرئ و مثله تتمة للكلام السابق و ابتدأ بقوله عن عبدالرزاق تأمل اه قلت و يمكن أن يكون عنه قولان أيضا و الله أعلم (قال اسحق بن موسى و سمعت ابن عيينة أنه قال هو) أى المراد فى الحديث (العمرى الزاهد) و فى بعض النسخ قال قيل هو العمرى (و اسمه عبد العزيز بن عبد الله) قال التوربشتى ذكر الشيخ أبو محمد فى كتابه عن ابن عيينة انه قال هو مالك و عن عبد الرزاق أنه قال هو العمرى الزاهد و هو عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب قال المظهر أراد بالعمرى عمر بن عبد العزيز و الصحيح ما رواه الترمذى و ذكر فى المتن لان عمر ابن عبدالعزيز من أهل الشام و قال صاحب الجامع عبد العزيز بن عبد الله أحد فقهاء المدينة و أعلامهم سمع ابن شهاب الزهرى و محمد بن المنكدر و عبد الله بن دينار و أبا حازم و حميدا الطويل و هشام ابن عروة كذا ذكره الطيبى و قال ابن الملك أراد به عمر بن عبد العزيز الخليفة قيل له العمرى نسبة الى عمر بن الخطاب لانه ابن بنته و قيل هو عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب قيل كان آخر العلماء الراسخين و كان يقدم على مالك بن أنس (و عنه) أى عن أبى هريرة (فيما أعلم) بضم الميم على الصحيح فقيل هو لفظ المصنف أى فى علمى أو فى جملة ما أعلم أن أبا هريرة روى هذا الحديث (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) لا عن غيره و قد شك بعض الناس فيه قال السيد قال زين العرب تبعا للتوربشتى فيما أعلم مضارعا أو ماضيا هو من قول المصنف أى هذا الحديث كائنا فى علمى هو عن أبى هريرة رواية أو كائنا فى اعلام أبى هريرة سائر الصحابة اه أقول قوله هو من قول المصنف غير ظاهر لانه بعيد عن الفهم و قد تفحصته من أصل أبى داود فوجدته مخرجا عن أبى علقمة عن أبى هريرة فيما أعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث فهذا نص فى أنه ليس من قول المصنف و قال الطيبى فيما أعلم يجوز بضم الميم حكاية عن قول ابى هريرة و بفتحها ماضيا من الاعلام حكاية عن فعله اه أقول أما قوله بضم الميم حكاية عن قول أبى هريرة فغير ظاهر بل الظاهر انه من قول أبى علقمة الراوى عن أبى هريرة و أما قوله حكاية عن فعله ففيه تأمل و مسامحة تأمل اه كلام السيد (قال ان الله عزوجل يبعث لهذه الامة) أى أمة الاجابة و يحتمل أمة الدعوة (على رأس كل مائة سنة) أى انتهائه أو ابتدائه اذا قل

من يجدد لها دينها رواه أبو داود وعن ابراهيم بن عبدالرحمن العذرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل العلم هذا من كل خلف عدوله

العلم و السنة و كثر الجهل و البدعة (من يجدد) مفعول يبعث (لها) أى لهذه الامة (دينها) أى يبين السنة من البدعة و يكثر العلم و يعز أهله و يقمع البدعة و يكسر أهلها قال صاحب جامع الاصول و قد تكلم العلماء فى تأويله و كل واحد أشار الى العالم الذى هو فى مذهبه و حمل الحديث عليه و الاولى الحمل على العموم فان لفظة من تقع على الواحد و الجمع و لايختص أيضا بالفقهاء فان انتفاع الامة بهم و ان كان كثيرا فانتفاعهم بأولى الامر و أصحاب الحديث و القراء و الوعاظ و الزهاد أيضا كثير اذ حفظ الدين و قوانين السياسة و بث العدل وظيفة أولى الامر و كذا القراء و أصحاب الحديث ينفعون بضبط التنزيل و الاحاديث التى هى أصول الشرع و أدلته و الوعاظ ينفعون بالمواعظ و الحث على لزوم التقوى لكن المبعوث بشرط أن يكون مشارا اليه فى كل فن من هذه الفنون نقله السيد و أغرب ابن حجر و حمل المجددين محصورين على الفقهاء الشافعية و ختمهم بشيخه الشيخ زكريا مع أنه غير معروف بتجديد فن من العلوم الشرعية و شيخ مشايخنا السيوطى هو الذى أحيا علم التفسير المأثور فى الدر المنثور و جمع جميع الاحاديث المتفرقة فى جامعه المشهور و ما ترك فنا الاوله فيه متن أو شرح مسطور بل وله زيادات و مخترعات يستحق أن يكون هو المجدد فى القرن المذكور كما ادعاه و هو فى دعواه مقبول و مشكور هذا و الاظهر عندى و الله أعلم أن المراد بمن يجدد ليس شخصا واحداً بل المراد به جماعة يجدد كل أحد فى بلد فى فن أو فنون من العلوم الشرعية ما تيسر له من الامور التقريرية أو التحريرية و يكون سببا لبقائه و عدم اندراسه و انقضائه الى أن يأتى أمر الله و لاشك ان هذا التجديد أمر اضافى لان العلم كل سنة فى التنزل كما أن الجهل كل عام فى الترقى و انما يحصل ترقى علماء زماننا بسبب تنزل العلم فى أواننا و الا فلا مناسبة بين المتقدمين و المتأخرين علما و عملا و حلما و فضلا و تحقيقا و تدقيقا لما يقتضى البعد عن زمنه عليه الصلاة والسلام كالبعد عن محل النور يوجب كثرة الظلمة و قلة الظهور و يدل عليه ما فى البخارى عن أنس مرفوعا لا يأتى على أمتى زمان الاالذى بعده شرمنه و ما فى الكبير للطبرانى عن أبى الدرداء مرفوعا ما من عام الا و ينتقص الخير فيه و يزيد الشر و ما فى الطبرانى عن ابن عباس قال ما من عام الا و يحدث الناس بدعة و يميتون سنة حتى تمات السنن و تحيا البدع و هذه النبذة اليسيرة أيضا انما هى من بركات علومهم و مددهم فيجب علينا أن نكون معترفين بأن الفضل للمتقدمين رضى الله عنهم أجمعين الى يوم الدين (رواه أبوداود) و الطبرانى فى الاوسط و سنده صحيح و رجاله كلهم ثقات و كذا صححه الحاكم (و عن ابراهيم ابن عبد الرحمن العذرى) بضم العين و سكون الذال المعجمة منسوب الى عذرة بن سعد أبى قبيلة من خزاعة كذا فى جامع الاصول و لم يذكره المؤلف لا فى الصحابة و لا فى التابعين (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل) أى يحفظ (هذا العلم) أى علم الكتاب و السنة و زاد ابن حجر الفقه و هو غير صحيح لانه مأخوذ منهما لانه مصطلح حادث لم يكن له وجود عند قوله هذا و الاشارة للتعظيم يعنى يأخذه و يقوم باحيائه (من كل خلف) أى من كل قرن يخلف السلف بفتح اللام و هو الجماعة الماضية و الخلف بفتح اللام الرجل الصالح الذى يأتى بعد أحد و يقوم مقامه و يستوى فيه الواحد و التثنية و الجمع (عدوله) أى ثقاته يعنى من كان عدلا صاحب التقوى و الديانة قال الطيبى و من اما تبعيضية مرفوعا على انه فاعل يحمل و عدوله بدل منه و اما بيانية على طريقة لقينى منك أسد

ينفون عنه تحريف الغالين و انتحال المبطلين و تأويل الجاهلين رواه البيهقى فى كتاب المدخل و سنذكر حديث جابر فانما شفاء العى السؤال فى باب التيمم ان شاء الله تعالى * (الفصل الثالث) * عن الحسن مرسلا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاءه الموت و هو يطلب العلم ليحيى به الاسلام فبينه و بين النبيين درجة واحدة فى الجنة

جرد من الخلف الصالح و العدول الثقات و هم هم كقوله تعالى و لتكن منكم أمة يدعون الى الخير و على التقديرين فيه تفخيم لشأنهم (ينفون عنه) جملة حالية أى نافين عنه يعنى طاردين عن هذا العلم (تحريف الغالين) أى المبتدعة الذين يتجاوزون فى كتاب الله و سنة رسوله عن المعنى المراد فينحرفون عن جهته من غلا يغلو اذا جاوز الحد كاقوال القدرية و الجبرية و المشبهة (و انتحال المبطلين) الانتحال ادعاء قول أو شعر و يكون قائله غيره بانتسابه الى نفسه قيل هو كناية عن الكذب و قال الطيبى فى النهاية الانتحال من النحلة و هى التشبه بالباطل و قال الراغب الانتحال ادعاء الشئ بالباطل قيل و لعل الاول أنسب لمعنى الحديث اه و المعنى أن المبطل اذا اتخذ قولا من علمنا ليستدل به على باطله أو اعتزى اليه ما لم يكن منه نفوا عن هذا العلم قوله و نزهوه عما ينتحله (و تأويل الجاهلين) أى معنى القرآن و الحديث الى ما ليس بصواب أو الجملة استئناف كأنه قيل لم خص هؤلاء بهذه المنقبة العلية فاجيب بانهم يحمون الشريعة و متون الروايات من تحريف الذين يغلون فى الدين و الاسانيد من القلب و الانتحال و المتشابه من تأويل الزائغين المبتدعين بنقل النصوص المحكمة لرد المتشابه اليها و هذا معنى ما ورد لايزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لايضرهم من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله و هم ظاهرون رواه البخارى و مسلم عن المغيرة و قيل انه متواتر معنى (رواه   )هنا بياض و الحق البيهقى فى المدخل بفتح الميم و فى نسخة فى كتاب المدخل من حديث بقية بن الوليد عن معان بضم الميم ابن رفاعة بكسر الراء عن ابراهيم بن عبدالرحمن العذرى و قال السيد رواه البيهقى فى كتاب المدخل الى السنن فى باب تبيين حال من وجد منه ما يوجب رد خبره من طريق بقية بن الوليد عن معاذ ابن رفاعة عن ابراهيم بن عبد الرحمن العذرى عن النبى صلى الله عليه وسلم يرث هذا العلم من كل خلف عدوله و ذكره ثم قال تابعه اسمعيل بن عياش عن معاذ و رواه الوليد بن مسلم عن ابراهيم بن عبد الرحمن عن الثقة من أشياخهم عن النبى صلى الله عليه وسلم وروى أيضا من أوجه أخر ضعيفة و معان بالنون دمشقى قال أبوحاتم و غيره لايحتج به كذا فى التخريج (و سنذكر حديث جابر فانما شفاء العى) بكسر العين و تشديد الياء أى العاجز عن العلم (السؤال) أى عن العلماء (فى باب التيمم) لانه أنسب به من هذا الباب فهو اعتذار و اعتراض (ان شاء الله تعالى) متعلق بسنذكر

* (الفصل الثالث) * (عن الحسن) و هو اذا أطلق فى علم الحديث فالمراد البصرى (مرسلا) لانه تابعى حذف الصحابى اما لنسيانه أو لكثرة من يرويه من الصحابة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاءه الموت و هو يطلب العلم) الجملة الاسمية حال من المفعول فى جاءه أى من أدركه الموت فى حال استمراره فى طلب العلم و نشره و دعوة الناس الى الصراط المستقيم (ليحيى به الاسلام) أى لاحياء الدين عما اندرس قواعده و أحكامه بينائها لا لغرض فاسد من المال و الجاه (فبينه و بين النبيين درجة واحدة) و هى مرتبة النبوة (فى الجنة) أردفها بواحدة لان الكلام قد سيق للعدد و قد سبق ان وارث الانبياء هم العلماء الزاهدون الداعون الخلق الى الحق فيحيون الاسلام كذا قاله الطيبى و توضيحه فى كلام الابهرى أكد الدرجة بواحدة لانها تدل على الجنسية و على العدد و الذى سيق له الكلام

رواه الدارمی و عنه مرسلا قال سئل رسول‌الله‌صلی‌الله‌علیه‌وسلم عن رجلین کانا فی بنی اسرائیل أحدهما کان عالما یصلی المکتوبة ثم یجلس فیعلم الناس الخیر و الآخر یصوم النهار و یقوم اللیل أیهما أفضل قال رسول‌الله‌صلی‌الله‌علیه‌وسلم فضل هذا العالم الذی یصلی المکتوبة ثم یجلس فیعلم الناس الخیر علی العابد الذی یصوم النهار و یقوم اللیل کفضلی علی أدناکم رواه الدارمی و عن علی‌رضی‌الله‌عنه قال قال رسول‌الله‌صلی‌الله‌علیه‌وسلم نعم الرجل الفقیه فی الدین ان احتیج الیه نفع و ان استغنی عنه أغنی نفسه رواه رزین و عن عکرمة ان ابن عباس قال

هو العدد الحاصل أن العلماء العاملین المخلصین لم‌تفتهم الا درجة الوحی (رواه الدارمی و عنه) أی الحسن (مرسلا) أیضا (قال سئل رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم عن رجلین) أی عن شأنهما و حکمهما (کانا فی بنی‌اسرائیل أحدهما کان عالما) أی غلب علمه علی العبادة (یصلی المکتوبة) أی یکتفی بالعبادة المفروضة (ثم یجلس فیعلم الناس الخیر) أی العلم و العبادة و الزهد و الریاضة و الصبر و القناعة و أمثال ذلک تدریسا أو تألیفا أو غیرهما (و الآخر یصوم النهار) أی دائما أو غالبا (و یقوم اللیل) أی کله أو بعضه و قد تعلم فرض علیه (أیهما أفضل) أی أکثر ثوابا فان أفضلیة العالم ظاهرة (قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم فضل هذا العالم) یحتمل الشخص و الجنس (الذی یصلی المکتوبة ثم یجلس فیعلم الناس الخیر علی العابد الذی یصوم النهار و یقوم اللیل) أطنب فی الجواب حیث لم‌یقل الاول أو العالم لتعظیم شأنه و تقریره فی ذهن السامع (کفضلی علی أدناکم) فانی عالم معلم و أدناکم من یقوم بالعبادة دون العلم و سببه ان العلم نفعه متعد و العبادة منفعتها قاصرة و العلم اما فرض عین أو کفایة و العبادة الزائدة نافلة و ثواب الفرض أکثر من أجر النفل و الله أعلم (رواه الدارمی و عن علی رضی‌الله‌عنه قال قال رسول‌الله‌صلی‌الله‌علیه‌وسلم نعم الرجل) أی الکامل فی الرجولیة (الفقیه فی الدین) الفقیه هو المخصوص بالمدح و الجار متعلق به أی الذی فقه فی الدین و علم من العلوم الشرعیة ما ینتفع به و ینفع الناس و لذا ورد من علم و عمل و علم یدعی فی الملکوت عظیما و لیس المراد من الفقیه من یعلم الفروع فقط کما فهم ابن‌حجر و تبجح به بناء علی ما وهم و نقل انه قال بعض المحققین ان غایة الصوفی المحق أن یظهر له کرامة أو کرامات فیفتخر بها هو و جماعته الدهر و الفقهاء تظهر للواحد منهم الکرامات الکثیرة بفتح أبواب تلک الاحکام العلیة له و الهامه فیها ما لم‌یسبقه غیره الیه فیفید منه ما لایحصی اه و لایخفی ان ما ذکره من غایة الصوفی صدر عن قلة التحقیق فان بدایته أن یکون متصفا بنهایة ما ثبت بالنبوة علما و عملا و تعلیما علی شریطة الاخلاص و أما نهایته فالذی یمکن أن یعبر عنها هو أن یصیر مستغرقا فی مشاهدة مولاه و فانیا عما سواه کما أشار الیه ابن الفارض بقوله

و لو خطرت لی فی سواك ارادة * علی خاطری سهوا حکمت بردتی

و أما الکرامة فعندهم حیض الرجال فهیهات هیهات بین الهیآت و قد قال الغزالی ضیعت قطعة من العمر العزیز فی تألیف البسیط و الوسیط و الوجیز و لکن سبحان من أقام العباد بما أراد و کل حزب بما لدیهم فرحون (ان احتیج) بکسر النون وضمها شرطیة مستأنفة لبیان استحقاق المدح أی ان احتاج الناس (الیه) أی الی فقهه (نفع) أی غیره (و ان استغنی عنه) علی البناء للمفعول (أغنی نفسه) قال الطیبی قوبل نفع باغنی لیعم الفائدة أی نفع الناس و أغناهم بما یحتاجون الیه و نفع نفسه و أغناها بما یحتاج الیه من قیام اللیل و تلاوة کتاب الله و غیرها من العبادات (رواه رزین و عن عکرمة) هو مولی عبدالله بن عباس و هو أحد فقهاء مکة و تابعیها (أن ابن عباس) و هو عبدالله اذا أطلق (قال)

حدث الناس كل جمعة مرة فان أبيت فمرتين فان أكثرت فثلاث مرات و لاتمل الناس هذا القرآن و لا ألفينك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم فتقص عليهم فتقطع عليهم حديثهم فتملهم و لكن أنصت فاذا أمروك فحدثهم و هم يشتهونه و انظر السجع من الدعاء فاجتنبه فاني عهدت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم و أصحابه لايفعلون ذلك رواه البخاري و عن واثلة بن الاسقع قال قال رسول‌الله‌صلى‌الله عليه‌وسلم من طلب العلم فادركه كان له كفلان من الاجر فان لم‌يدركه كان له كفل من الاجر رواه الدارمي و عن أبي هريرة قال قال رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان مما يلحق

أي لعكرمة (حدث الناس) أي بالآية و الحديث و الوعظ (كل جمعة) بضم الميم و يسكن أي في كل أسبوع (مرة) أي في يوم من أيامها (فان أبيت) أي التحديث مرة و أردت الزيادة حرصا على افادة العلم و نفع الناس (فمرتين) أي فحدث مرتين (فان أكثرت) أي أردت الاكثار (فثلاث مرات و لاتمل) بفتح اللام و يجوز كسرها و هو بضم الفوقانية من الرباعي (الناس هذا القرآن) يقال مللته و مللت منه بالكسر سئمته قال الطيبي اشارة الى تعظيمه فرتب وصف التعظيم على الحكم للاشعار بالعلية أي لاتحقر هذا العظيم الشان الذي جبلت القلوب على محبته و عدم الشبع منه أي و اذا كان ذلك الاكثار يوجب الملل عما هذه أوصافه فما بالك بغيره من العلوم التي جبلت النفوس على النفرة من مشاقها و متاعبها (ولا ألفينك) بضم الهمزة و كسر الفاء أي لا أجدنك قال الطيبي هو من باب لا أرينك أي لاتكن بحيث ألفينك على هذه الحالة و هي انك (تأتي القوم) حال من المفعول (وهم في حديث من حديثهم) قال الطيبي حال من المرفوع في تأتي و الظاهر انه حال من القوم أي و الحال انهم مشغولون عنك (فتقص عليهم) أي قصصا من وعظ أو علم (فتقطع عليهم حديثهم) أي كلامهم الذي هم فيه قال الطيبي معطوفان على تأتي و هو الظاهر لكنهما في أكثر النسخ الحاضرة منصوبان فيكون نصبهما على جواب النهي و يتكلف للسببية (فتملهم) منصوب بلا خلاف جوابا للنهي (ولكن أنصت) أمر من الانصات و هو السكوت (و اذا أمروك) أي طلبوا منك التحديث (فحدثهم وهم يشتهونه) حال مقيدة (و انظر السجع من الدعاء فاجتنبه) قال الطيبي فان قلت كيف نهى عن السجع و أكثر الادعية مسجعة أجيب بأن المراد المعهود و هو السجع المذموم الذي كان الكهان و المتشدقون يتعاطونه و يتكلفونه في محاوراتهم لاالذي يقع في فصيح الكلام بلا كلفة فان الفواصل التنزيلية واردة على هذا و يؤيده انكاره عليه‌الصلاة‌والسلام بقوله أسجع كسجع الكهان على من قال أأدى لمن لاشرب ولا أكل و لا نطق و لا استهل و مثل ذلك يطل المعنى تأمل السجع الذي ينافي اظهار الاستكانة و التضرع في الدعاء فاجتنبه فانه أقرب الى الاستجابة (فاني عهدت رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم) أي عرفته (و أصحابه لايفعلون ذلك) أي تكلف السجع (رواه البخاري) قال الابهري في البخاري لايفعلون الا ذلك بزيادة الا قال الشيخ لايفعلون الا ذلك أي ترك السجع و وقع عند الاسماعيلي عن القاسم بن زكريا عن يحي ابن محمد شيخ البخاري بسنده فيه لايفعلون ذلك باسقاط الا و هو واضح كذا أخرجه البزار و الطبراني عن البراء (و عن واثلة بن الاسقع) من أهل الصفة كذا في التهذيب (قال قال رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم من طلب العلم فادركه) أي حصله و قيل أدركه أبلغ من حصله لان الادراك بلوغ أقصى الشئ (كان له كفلان) نصيبان (من الاجر) أجر الطلب و الادراك كالمجتهد المصيب (فان لم‌يدركه كان له كفل من الاجر) كالمخطئ و نظير ذلك الخبر الصحيح اذا اجتهد المجتهد فاصاب فله أجران و ان أخطأ فله أجر واحد (رواه الدارمي و عن أبي هريرة قال قال رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان مما يلحق

المؤمن من عمله و حسناته بعد موته علما علمه و نشره و ولدا صالحا تركه أو مصحفا ورثه أو مسجدا بناه أو بيتا لابن السبيل بناه أو نهرا أجراه أو صدقة أخرجها من ماله فى صحته و حياته تلحقه من بعد موته رواه ابن ماجه و البيهقى فى شعب الايمان و عن عائشة انها قالت سمعت رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول ان الله عزوجل أوحى الى انه من سلک مسلکا فى طلب العلم سهلت له طريق الجنة و من سلبت كريمتيه أثبته عليهما الجنة

المؤمن) خبر ان أى كائن مما يلحقه و اسمها علما وما عطف عليه و لايجوز ان تكون تبعيضية لانه ينافى الحصر الذى فى قوله عليه‌الصلاة‌والسلام ينقطع عمله الا من ثلاث (من عمله) بيان لما (وحسناته) عطف تفسير (بعد موته) ظرف يلحق (علما علمه) بالتخفيف وفى نسخة بالتشديد (و نشره) هو أعم من التعليم فانه يشمل التأليف و وقف الكتب (و ولدا صالحا) أى مؤمنا (تركه) أى خلفه أى بعد موته احتراز عن الفرط (أو مصحفا) بتثليث الميم و الضم أشهر (ورثه) أى تركه للورثة و لو ملكا و فى معناه كتب العلوم الشرعية فيكون له ثواب التسبب (أو مسجدا بناه) و فى معناه مدرسة العلماء و رباط الصلحاء (أو بيتا لابن السبيل) أى المسافر و الغريب. (بناه) حقيقة أو حكما (أو نهرا) بفتح الهاء و يسكن (أجراه) أى جعله جاريا لينتفع به الخلق قال الطيبى الجمل المصدرة بأو من قسم الصدقة الجارية و أوفيها للتنويع و التفصيل و أما قوله (أو صدقة أخرجها من ماله فى صحته و حياته) فداخل فى الصدقة الجارية و لارادة هذا المعنى أتبعه بقوله (تلحقه من بعد موته) و فى عطف حياته على صحته اشارة الى معنى قوله عليه‌الصلاة‌والسلام فى جواب من قال أى الصدقة أعظم أجرا ان تصدق و أنت صحيح شحيح تخشى الفقر و تأمل الغنى الحديث اه و فيه ان هذه الاشارة مفهومة من نفس قوله و صحته لا من العطف اللهم الا ان يقال انها مفهومة من تقديم الصحة على الحياة و معنى قوله و حياته أى و لو فى مرضه قالو او بمعنى أو و قوله أخرجها أى بالوصية و الله أعلم (رواه ابن ماجه و البيهقى فى شعب الايمان) و فى رواية سبع يجرى للعبد أجرهن بعد موته و هو فى قبره من علم علما أو أجرى نهرا أوحفر بئرا أو غرس نخلا أو بنى مسجدا أو ترك ولدا يستغفر له من بعد موته أو ورث مصحفا (و عن عائشة انها قالت سمعت رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول) قال الطيبى حال و الاصل سمعت قوله فاخر القول و جعل حالا ليفيد الابهام و التبيين اه و قيل سمع متعد الى مفعولين (ان الله عزوجل) أى عزت ذاته و جلت صفاته (أوحى الى) أى وحيا خفيا غير متلو و هو يحتمل ان يكون بواسطة جبريل أولا وله صلى‌الله‌عليه‌وسلم نقله و لو بالمعنى و بهذه القيود فارق الحديث القدسى الكلام القرآنى (انه) الضمير للشان (من سلک) أى دخل أو ذهب و مشى (مسلکا) أى طريقا أو سلوكا و المعنى تعاطى سببا من الاسباب (فى طلب العلم) أى فى تحصيل العلم الشرعى (سهلت) أى يسرت (له طريق الجنة) أى طريقا موصلا الى الجنة بالمعرفة و العبادة فى الدنيا أو طريقا الى باب من أبواب الجنة و سبيلا الى قصوره المختصة به فى العقبى و فيه اشارة الى ان كل طريق من طرق العلم طريق من طرق الجنة و ان سبيل الجنة مسدودة من غير أبواب العلوم لكن بشرط الاخلاص المؤدى الى العمل على وجه الاختصاص (و من سلبت) أى أخذت (كريمتيه) أى عينيه الكريمتين عليه و كل شئ يكرم عليک فهو كريمک و كريمتک و المعنى أعميته فالا كمه بطريق الأولى (أثبته) أى جازيته قال تعالى فاثابهم الله بما قالوا جنات و فى القاموس أثابه الله مثوبة أعطاه و فى نسخة أثبتة من الاثبات (عليهما) أى على الكريمتين يعنى على فقدهما و الصبر عليهما (الجنة)

و فضل فى علم خير من فضل فى عبادة و ملاك الدين الورع رواه البيهقى فى شعب الايمان و عن ابن عباس قال تدارس العلم ساعة من الليل خير من احيائها رواه الدارمى و عن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بمجلسين فى مسجده فقال كلاهما على خير و أحدهما أفضل من صاحبه أما هؤلاء فيدعون الله و يرغبون اليه فان شاء أعطاهم و ان شاء منعهم و أما هؤلاء فيتعلمون الفقه أو العلم و يعلمون الجاهل فهم أفضل و انما بعثت معلما ثم جلس فيهم رواه الدارمى و عن أبى الدرداء قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حد العلم

مفعول ثان قال الطيبى منصوب بنزع الخافض و قال ابن حجر مفعول ثان لاثبته لتضمينه معنى أعطيت و كلاهما تكلف لما قدمناه (و فضل) أى زيادة (فى علم خير من فضل فى عبادة) قال الطيبى يناسب أن يقال التنكير فيه يعنى فى فضل الاول للتقليل و فى الثانى للتكثير (و ملاك الدين) أى أصله و صلاحه (الورع) كما أن فساد الدين الطمع و المراد بالورع التقوى عن المحرمات و الشبهات و الطمع يؤدى الى السمعة و الرياء فى العبادات فى النهاية الملاك بالكسر و الفتح قوام الشئ و نظامه و ما يعتمد عليه فيه و منه ملاك الدين و قال الطيبى الملاك بالكسر ما به احكام الشئ و تقويته و اكماله و الورع فى الاصل الكف عن المحارم و التحرج ثم استعير للكف عن المباح و الحلال قلت لعل مراده المباح و الحلال الذى يؤدى الى الشبهة و الا فتركها زيادة على قدر الضرورة لا يسمى ورعا بل يسمى زهدا و الله أعلم (رواه البيهقى فى شعب الايمان و عن ابن عباس قال تدارس العلم) بين النظراء أو الشيخ و تلامذته و يلحق به كتابته و تفهمه لحصول المقصود (ساعة من الليل) الابلغ أن يراد بالساعة اللغوية لا العرفية (خير من احيائها) أى من احياء الليل بالعبادة لما تقدم فى شروح الحديث المتقدمة و أبعد ابن حجر فقال من احياء تلك الساعة بالصلاة التى هى حياة النفوس (رواه الدارمى و عن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بمجلسين) أى باهلهما و قول ابن حجر أى حلقتين غير مفهوم من الحديث (فى مسجده) صلى الله عليه وسلم (فقال كلاهما) أى كلا المجلسين يعنى أهلهما أو المراد به المبالغة أو الدلالة بطريق البرهان فان شرف المكان بالمكين (على خير) أى جالسين أو ثابتين على عمل خير (و أحدهما أفضل من صاحبه) أى أكثر ثوابا (أما هؤلاء) قال الطيبى تقسيم للمجلسين اما باعتبار القوم أو الجماعة بعد التفريق بينهما باعتبار النظر الى المجلسين فى افراد الضمير (فيدعون الله) أى يعبدونه و يسألونه بلسان المقال أو الحال (و يرغبون اليه) أى يرغبون فيما عند الله متوسلين اليه و متوجهين و منتظرين لديه (فان شاء أعطاهم) أى فضلا و المفعول الثانى محذوف أى ما عنده من الثواب (و ان شاء منعهم) أى اياه عدلا و فى تقديم الاعطاء على المنع ايماء الى سبق رحمته غضبه و فى الحديث رد على المعتزلة حيث أوجبوا الثواب فاستحقوا العقاب قال الطيبى و فى تقييد القسم الاول بالمشيئة و اطلاق القسم الثانى يعنى الآتى اشارة الى بون بعيد بينهما (و أما هؤلاء) أى و أمثالهم (فيتعلمون الفقه) أى أولا (أو العلم) شك من الراوى (و يعلمون الجاهل) أى ثانيا (فهم أفضل) لكونهم جامعين بين العبادتين و هما الكمال و التكميل فيستحقون الفضل على جهة التبجيل (و انما بعثت معلما) أى بتعليم الله لا بالتعلم من الخلق و لذا اكتفى به (ثم جلس فيهم) اشعار بالهم منه و هو منهم و من ثم جلس فيهم كذا قاله الطيبى أو جلس فيهم لاحتياجهم الى التعليم منه عليه الصلاة والسلام كما أشار اليه بقوله بعثت معلما و الله أعلم (رواه الدارمى و عن أبى الدرداء قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل يا رسول الله ما حد العلم)

الذي اذا بلغه الرجل كان فقيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفظ على أمتي أربعين حديثا في أمر دينها بعثه الله فقيها و كنت له يوم القيامة شافعا و شهيدا و عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون من أجود جودا قالوا الله و رسوله أعلم قال الله تعالى أجود جودا ثم أنا أجود بني آدم و أجودهم من بعدي.

قال الراغب هو وصف الشئ المحيط بمعناه المتميز عن غيره نقله الطيبي أقول هذا اصطلاح حادث و الاظهر أن المراد بالحد المقدار و لذا قال (اذا بلغه الرجل كان فقيها) يعني عالما في الآخرة و مبعوثا في زمرة العلماء فيها فان العبرة بها (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفظ على أمتي) أي شفقة عليهم أو لاجل انتفاعهم و قال الطيبي ضمن حفظ معنى رقب و عدى بعلى يقال احفظ على عنان فرسي و لاتغفل عني و في المغرب الحفظ خلاف النسيان و يجوز أن يكون حالا من الضمير المرفوع في حفظ يعني من جمع أحاديث متفرقة مراقبا اياها بحيث تبقى مسندة على أمتي اه و فيه تكلفات و الوجه ما قدمته و قال ابن حجر فالوجه ما ذكرته في تقريره اه و ليس في تقريره ولا تحريره ذكر وجه حتى ينظر في وجهه (أربعين حديثا) و في معناه أربعين مسئلة (في أمر دينها) احتراز من الاحاديث الاخبارية التي لاتعلق لها بالدين اعتقادا أو علما أو عملا من نوع واحد أو أنواع و لاوجه لمن قيدها بكونها متفرقة (بعثه الله فقيها) من جملة الفقهاء (و كنت له يوم القيامة شافعا) بنوع من أنواع الشفاعات الخاصة (و شهيدا) أي حاضرا لاحواله و مزكيا لاعماله و مثنيا على أقواله و مخلصا له من أهواله قال الامام النووي المراد بالحفظ هنا نقل الاحاديث الاربعين الى المسلمين و ان لم يحفظها و لاعرف معناها هذا حقيقة معناه و به يحصل انتفاع المسلمين لابحفظها ما لم ينقل اليهم ذكره ابن حجر و أقول في قوله و لاعرف معناها نظر لانه لايلائم المقام الذي هو حد العلم اذ الفقه هو العلم بالشئ و الفهم له و غلب على علم الدين لشرفه و الا فالحامل غير فقيه كما ورد في الحديث و الله أعلم قال الطيبي فان قيل كيف طابق الجواب السؤال أجيب بانه من حيث المعنى كأنه قيل معرفة أربعين حديثا باسانيدها مع تعليمها الناس اه و الظاهر أن معرفة أسانيدها ليست بشرط ثم قال أو نقول هو من أسلوب الحكيم أي لاتسأل عن حد الفقه فانه لاجدوى فيه و كن فقيها فان الفقيه من أقامه الله تعالى لنشر العلم و تعليمه الناس ماينفعهم في دينهم و دنياهم من العلم و العمل اه و تقدم ما فيه (و عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون من أجود جودا) أي أكثر كرما قال الراغب الجود بذل المقتنيات مالا كان أو علما و يؤيده قوله صلى الله عليه وسلم ان علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه و قال الطيبي قيل من الاستفهامية مبتدأ و أجود خبره و جودا تمييز قال ابن حجر أجود من الجودة أي أحسن جودا أو من الجود أي من الذي جوده أجود على حد نهاره صائم (قالوا الله و رسوله أعلم قال الله أجود جودا) و هو لمجرد المبالغة فانه المتفضل بالايجاد و الامداد على جميع البلاد طبق المراد (ثم أنا أجود بني آدم) و الظاهر أنه على الاطلاق أي أفضلهم و أكرمهم و من ثم قال أنا سيد ولد آدم يوم القيامة و لافخر و بيدي لواء الحمد و ما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي و أنا أول من تنشق عنه الارض و لافخر و أنا أول شافع و أول مشفع و لافخر رواه أحمد و الترمذي و ابن ماجه عن أبي سعيد و يلزم من ذلك انه أفضل من الملائكة و غيرهم لما هو مقرر ان الجنس البشري أفضل من الجنس الملكي على خلاف فيه (و أجوده) أي جنس بني آدم و قال الطيبي الضمير لبني آدم على تأويل الانسان أو للجود و قال الابهري و في بعض النسخ أجودهم يعني في زمانه (من بعدي) يحتمل البعدية بحسب المرتبة و بحسب الزمان و الاول أظهر قاله الطيبي

رجل علم علما فنشره يأتي يوم القيامة أميرا وحده أو قال أمة واحدة و عنه أن النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال منهومان لايشبعان منهوم في العلم لا يشبع منه و منهوم في الدنيا لايشبع منها روى البيهقي الاحاديث الثلاثة في شعب الايمان وقال قال الامام أحمد في حديث أبي الدرداء هذا متن مشهور فيما بين الناس و ليس له اسناد صحيح و عن عون قال قال عبدالله بن مسعود منهومان لايشبعان صاحب العلم وصاحب الدنيا و لايستويان أما صاحب العلم فيزداد رضا للرحمن و أما صاحب الدنيا فيتمادى في الطغيان ثم قرأ عبدالله كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى قال و قال

(رجل علم) بالتخفيف بلاخلاف (علما) أي عظيما نافعا في الدين (فنشره) يعم التدريس و التصنيف و ترغيب الناس فيه قاله الطيبي ومنه وقف الكتب و اعارتها لاهلها (يأتي يوم القيامة أميرا وحده) يعني كالجماعة التي لها أمير و مأمور في العزة و العظمة و يمكن أن يكون أميرا مستقلا مع اتباعه غير تابع لغيره نحو قوله أمة واحدة في الرواية الاخرى (أو قال أمة واحدة) الشك يحتمل من أنس أو من بعده و هو نظير قوله تعالى ان ابراهيم كان أمة حيث اطلق الامة على من جمع خصالا لاتوجد غالبا الا في جماعة ولذا قال الشاعر ليس من الله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد

ولما قال ابن مسعود في معاذ كان أمة قانتالله فقيل له ذاك ابراهيم قال الامة الذي يعلم الخير و يؤيد ما ذكره خبر معاذ أمة قانتالله ليس بينه و بين‌الله يوم القيامة الا المرسلون سبب ذلك ما في حديث آخر أنه أعلم الامة بالحلال و الحرام (وعنه) أي عن أنس (ان النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال منهومان) حريصان على تحصيل أقصى غايات مطلوبيهما و في النهاية النهمة بلوغ الهمة في الشئ (لايشبعان) أي لايقنعان (منهوم في العلم لايشبع منه) لانه في طلب الزيادة دائما لقوله تعالى و قل رب‌زدني‌علما و ليس له نهاية اذ فوق كل ذي علم عليم (و منهوم في الدنيا) أي في تحصيل مالها و جاهها (لايشبع منها) فانه كالمريض المستسقى (روى البيهقي الاحاديث الثلاثة في شعب الايمان و قال) أي البيهقي (قال الامام أحمد في حديث أبي الدرداء) و هو من حفظ الخ يعني في شأنه (هذا متن مشهور فيما بين الناس) أي المحدثين و غيرهم (و ليس له اسناد صحيح) قال النووي طرقه كلها ضعيفة و قال الحافظ ابن حجر جمعت طرقه كلها في جزء ليس فيها طريق تسلم من علة قادحة قال ابن حجر المكي ولذا قال النووي و اتفق الحفاظ على انه حديث ضعيف و ان كثرت طرقه و قد اتفق الحفاظ على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الاعمال اه و أنت خبير بان قضية ما مهدوه في فن الحديث أن الحكم عليه بالضعف انما هو بالنظر لكل طريق على حدته و أما بالنظر الى مجموع طرقه فحسن لغيره فيرتقي عن درجة الضعف الى درجة الحسن قلت و في قوله ليس له اسناد صحيح اشارة الى ذلك (و عن عون) تابعي (قال قال عبدالله بن مسعود منهومان) أي حريصان (لايشبعان) في القاموس النهم محركة افراط الشهوة في الطعام و أن لاتمتلئ عين الآكل ولا يشبع نهم كفرح و عني فهو نهم ونهيم ومنهوم و هو منهوم بكذا مولع به (صاحب العلم و صاحب الدنيا ولا يستويان) أي في المآل و العاقبة فيما يزيدان (أما صاحب العلم فيزداد رضا للرحمن) و لعل وجه التخصيص بالرحمن انه مظهر الرحمة حيث رحم على نفسه و غيره بتحصيل العلم و تخليص الجهل (و أما صاحب الدنيا فيتمادى) أي يزداد و يتوسع (في الطغيان) و يبعد عن رحمة الرحمن (ثم قرأ عبدالله) استشهادا لذم الثاني على طريقة قوله تعالى يوم تبيض وجوه و تسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم الآية (كلا ان الانسان ليطغى أن رآه) أي لاجل أن رأى نفسه (استغنى) عن الناس لكثرة ما عنده من المال (قال) أي عون (و قال)

الآخر انما يخشى الله من عباده العلماء رواه الدارمي و عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اناسا من أمتي سيتفقهون فى الدين و يقرؤن القرآن يقولون نأتى الامراء فنصيب من دنياهم و نعتزلهم بديننا ولايكون ذلك كما لايجتنى من القتاد الا الشوك كذلك لايجتنى من قربهم الا قال محمد بن الصباح كأنه يعنى الخطايا رواه ابن ماجه و عن عبدالله بن مسعود قال لو أن أهل العلم صانوا العلم و وضعوه عند أهله لسادوا به أهل زمانهم

أى ابن مسعود بعد قراءته ما سبق و هو قوله ان الانسان ليطغى (الآخر) بالرفع أى الاستشهاد الآخر و قيل بالنصب أى و ذكر الاستشهاد الآخر (انما يخشى الله من عباده العلماء) بنصب الاول و رفع الثانى فى المتواتر و عكسه فى الشواذ و تقدم توجيهه و الحاصل أن الاول موجب لزيادة الطغيان المقتضى ترك الطاعة و العبادة و الثانى سبب لزيادة الخشية المورثة للعلم و العمل فشتان ما بينهما (رواه الدارمي و عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اناسا) بضم الهمزة أى جماعة (من أمتي سيتفقهون) أى سيدعون الفقه كذا قاله الطيبى أو يطلبون الفقه و يحصلونه (فى الدين و يقرؤن القرآن) أى بالقراآت أو بتفسير الآيات و يأتون الامراء لالحاجة ضرورية اليهم بل لاظهار الفضيلة و الطمع لما فى أيديهم من المال و الجاه فاذا قيل لهم كيف تجمعون بين التفقه و التقرب اليهم (يقولون) و فى نسخة و يقولون (نأتى الامراء فنصيب) أى نأخذ (من دنياهم و نعتزلهم) أى نبعد عنهم (بديننا) بان لانشاركهم فى اثم يرتكبونه قال عليه الصلاة والسلام (ولا يكون ذلك) أى لايصح ولايستقيم ما ذكر من الجمع بين الضدين ثم مثل و قال (كما لايجتنى) أى لايؤخذ (من القتاد) بفتح القاف شجر كله شوك (الا الشوك) لانه لايثمر الا الجراحة و الالم فالاستثناء منقطع (كذلك لايجتنى) أى لايحصل (من قربهم الا) وقع كلامه عليه الصلاة والسلام بلا ذكر الاستثناء لكمال ظهوره (قال محمد بن الصباح) أحد رواة الحديث (كأنه) أى النبى صلى الله عليه وسلم (يعنى) أى يريد النبى صلى الله عليه وسلم بالمستثنى المقدر بعد الا (الخطايا) و هى مضرة الدارين ولقد أشار الى كثير منها بعض من كتب للزهرى لما خالط السلاطين بقوله فى جملة مواعظ وعظه بها و اعلم أن أيسر ما ارتكبت و أخف ما احتملت انك آنست وحشة الظلمة و سهلت سبيل الغى بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين أدناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم و جسرا يعبرون عليك الى بلائهم و سلما يصعدون فيك الى ضلالهم يدخلون الشك بك على العلماء و يقتادون بك قلوب الجهلاء فما أيسر ما عمروا لك فى جنب ما خربوا لك وما أكثر ما أخذوا منك فيما أفسدوا عليك من دينك وروى عن محمد بن سلمة أنه قال الذباب على العذرة أحسن من قارئ على باب هؤلاء الظلمة و رحم الله والدى كان يقول لى ما أريد أن تصير من العلماء خشية أن تقف على باب الامراء (رواه ابن ماجه و عن عبدالله بن مسعود قال لو أن أهل العلم) أى الشرعى (صانوا العلم) أى حفظوه عن المهانة بحفظ أنفسهم عن المذلة و ملازمة الظلمة و مصاحبة أهل الدنيا طمعا لما لهم من جاههم و مالهم و عن الحسد فيما بينهم و وضع لتظهر موضع المضمر تفخيما لشأنه (و وضعوه عند أهله) أى أهل العلم يعنى الذين يعرفون قدر العلم من أهل الآخرة و يلازمون العلماء فان العلم يؤتى و لايأتى (لسادوابه) أى فاقوا بالسيادة و فضيلة السعادة بسبب الصيانة و الوضع عند أهل الكرامة دون أهل الاهانة (أهل زمانهم) أى كمالا و شرفا لان من شان أهل العلم أن يكون الملوك فمن دونهم تحت أقدامهم و أقلامهم و طوع آرائهم و أحكامهم قال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم و الذين أوتوا العلم درجات قال الطيبى و ذلك لان

و لكنهم بذلوه لاهل الدنيا لينالوابه من دنياهم فهانوا عليهم سمعت نبيكم صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول من جعل الهموم هما واحدا هم آخرته كفاه الله هم دنياه و من تشعبت به الهموم أحوال الدنيا لم‌يبال الله فى أى أوديتها هلك رواه ابن ماجه و رواه البيهقى فى شعب الايمان عن ابن عمر من قوله من جعل الهموم الى آخره و عن الاعمش قال قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم آفة العلم النسيان و اضاعته أن تحدث به غير أهله رواه الدارمى مرسلا و عن سفيان أن عمر بن الخطاب رضى‌الله‌عنه قال لكعب من أرباب العلم قال الذين يعملون بمايعلمون

العلم رفيع القدر يرفع قدر من يصونه عن الابتذال قال الزهرى العلم ذكر لايحبه الا ذكور الرجال أى الذين يحبون معالى الامور و يتنزهون عن سفسافها اه و فى كلام الزهرى ايماء بطريق المفهوم و المقابلة الى أن الدنيا أنثى لايحبها الا ناقص العقل و الدين فانهم يحبون المراتب الدنية و الله أعلم (و لكنهم بذلوه لاهل الدنيا) أى بان خصوهم به أو ترددوا اليهم به (لينالوابه من دنياهم) لالاجل الدين بالنصيحة و الشفاعة و غيرهما (فهانوا) أى أهل العلم ذلوا قدرا (عليهم) أى مستثقلين على أهل الدنيا و فى بعض النسخ علمهمْ بدل عليهم و هو تصحيف لان هان لازم بمعنى ذل و لا يصلح أن يصير متعديا الا أن يقال بنزع الخافض أى فى علمهم و بذله اياهم (سمعت نبيكم صلى‌الله‌عليه‌وسلم) قال الطيبى هذا الخطاب توبيخ للمخاطبين حيث خالفوا أمر نبيهم فخولف بين العبارتين افتنانا (يقول من جعل الهموم) أى الهموم التى تطرقه من محن الدنيا و كدرها و مرعيشها (هما واحدا) قال الطيبى هم الا مريهم اذا عزم عليه اه أى من اقتصر على هم واحد من الهموم و ترك سائر المطالب و بقية المقاصد و جعل كانه لا هم الاهم واحد (هم آخرته) بدل من هما وهوهم الدين (كفاه الله هم دنياه) المشتمل على الهموم يعنى كفاه هم دنياه أيضا (و من تشعبت) وفى نسخة تشعب (به الهموم) أى تفرقت به يعنى مرة اشتغل بهذا الهم و أخرى بهم آخر وهلم جرا (أحوال الدنيا) بدل من الهموم (لم‌يبال الله) أى لاينظر اليه نظر رحمة (فى أى أوديتها) أى أودية الدنيا أو أودية الهموم (هلك) يعنى لايكفيه هم دنياه و لاهم أخراه فيكون ممن خسر الدنيا و الآخرة ذلك هو الخسران المبين (رواه ابن ماجه) عن ابن مسعود الحديث بكماله (و رواه البيهقى فى شعب الايمان عن ابن عمر من قوله) أى مبتدأ من قوله (من جعل الهموم الخ) يعنى روى المرفوع لاالموقوف (و عن الاعمش) هو من أكابر التابعين و أحد الاعلام المشهورين بعلم الحديث و القراءة اشتراه رجل من بنى كاهل فاعتقه فاجتهد فى العلم فصار اماما علما (قال قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم آفة العلم النسيان) أى بعد حصوله والافقد قيل لكل شئى آفة و للعلم آفات أى قبل التحصيل قال ابن حجر فليحذر من أسباب النسيان كالاعراض عن استحضاره و الاشتغال بما يشغف القلب من المستحسنات الدنيوية و يذهل العقل من المظاهر الشهوية (و اضاعته) أى جعل العلم ضائعا (أن تحدث) أى أنت (به غير أهله) بان لايفهمه أو لايعمل به من أرباب الدنيا (رواه الدارمى مرسلا) قال السيد المراد بالارسال المعنى اللغوى الذى هو الانقطاع لان الاعمش لم‌يسمع من أحد من الصحابة و ان ثبت سماعه من أنس فالمرسل بالمعنى الاصطلاحى (و عن سفيان) أى الثورى و هو امام مجتهد فى الفقه و اليه المنتهى فى علم الحديث و اجتمع الناس على دينه و زهده و ورعه و كونه ثقة أخذ عنه الامام مالك و غيره ذكره المؤلف فى التابعين (أن عمربن الخطاب رضى‌الله‌عنه قال لكعب) أى كعب الاحبار و يقال له كعب الحبر و هو من أكابر التابعين و خصه بذلك السؤال لانه كان ممن علم التوراة وغيرها و أحاط بالعلم الاول (من أرباب العلم) أى من هم أصحابه عندكم أو فى كتابكم قال الطيبى أى من ملك العلم و رسخ فيه و استحق أن يسمى بهذا الاسم (قال الذين) أى هم الذين (يعملون بما يعلمون

قال فما أخرج العلم من قلوب العلماء قال الطمع رواه الدارمي و عن الاحوص ابن حكيم عن أبيه قال سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم عن الشر فقال لاتسألوني عن الشر و سلوني عن الخير يقولها ثلاثا ثم قال ألا ان شر الشر شرار العلماء و ان خير الخير خيار العلماء رواه الدارمي و عن أبي الدرداء قال ان من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة عالم لاينتفع بعلمه رواه الدارمي وعن زياد بن حدير قال قال لي عمر هل تعرف ما يهدم الاسلام قال قلت لا قال يهدمه زلة العالم وجدال المنافق بالكتاب و حكم الائمة المضلين

قال الطيبي و هم الذين سماهم الله الحكماء في قوله تعالى و من يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا فمن لم يعمل بعلمه فمثله كمثل الحمار (قال) أي عمر (فما أخرج العلم) ما استفهامية أي أي شئ أخرج العلم أي نوره و ثمرته و تأثيره و بركته (من قلوب العلماء) أي العاملين لما تقدم من أن غير العاملين ليسوا علماء (قال الطمع) لانه يؤدي الى الرياء و السمعة و ألعلم و العمل بدون الإخلاص لا يوصلان السالك الى مقام الاختصاص فمفهومه أن الورع يدخل العلم في قلوب العلماء جعلنا الله منهم و قال الطيبي الفاء جزاء شرط محذوف و التعريف في العلم للعهد الخارجي و هو ما يعلم من قوله من أرباب العلم أي اذا كان أرباب العلم من جمع بين العلم و العمل فلم ترك العالم العمل و ما الذي دعاه الى ترك العمل ليعزل عن هذا الاسم قال الطمع في الدنيا و الرغبة فيها و الله أعلم (رواه الدارمي) أي موقوفا (و عن الاحوص بن حكيم عن أبيه) لم يذكرهما المصنف في أسمائه (قال سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم عن الشر) أي فقط (فقال لاتسألوني) بالتخفيف فان لا ناهية (عن الشر) فحسب قال ابن حجر لاني رؤف رحيم نبي الرحمة فالمراد النهي عن لازم ذلك من ايهام غلبة مظاهر الجلال فيه على مظاهر الجمال و الا فالسؤال عن الشر ليجتنب واجب كفاية أو عينا فكيف ينهى عنه (و سلوني عن الخير) اما منفردا أو منضما بالسؤال عن الشر (يقولها ثلاثا) قال الطيبي حال من فاعل قال و الضمير المؤنث راجع الى الجملة أعني لاتسألوني الخ و انما نهى عن مثل هذا السؤال لانه نبي الرحمة قال تعالى وماأرسلناك الارحمة للعالمين قلت الاقرب أن الضمير راجع الى الجملة القريبة (ثم قال ألا) بالتخفيف للتنبيه (ان شر الشر) أي أعظمه (شرار العلماء و ان خير الخير خيار العلماء) قال الطيبي انما كانوا شر الشر و خير الخير لانهم سبب لصلاح العالم و فساده و اليهم تنتهي أمور الدين و الدنيا و بهم الحل و العقد اه أو لان عذاب شرارهم في العقبى شر العقاب و مراتب خيارهم في منازل الجنة خير مآب و الله أعلم بالصواب (رواه الدارمي و عن أبي الدرداء قال ان من أشر الناس) الجوهري هو لغة ضعيفة ومن زائدة و عالم خبر ان كذا قاله الطيبي و في القاموس لغة قليلة أو رديئة اه و الصواب انها قليلة وان من غير زائدة بل هي تبعيضية والتقدير ان بعض أشرارهم (عندالله منزلة) تمييز أي مرتبة (يوم القيامة عالم لاينتفع) أي هو (بعلمه) بأن تعلم علما لاينفع أو تعلم علما شرعيا لكن ما عمل به فانه شر من الجاهل و عذابه أشد من عقابه كما قيل ويل للجاهل مرة و ويل للعالم سبع مرات و كما ورد أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه (رواه الدارمي) أي موقوفا (و عن زياد بن حدير) بضم الحاء و فتح الدال المهملتين بعدها تحتية ساكنة بعدها راء كذا في الاسماء للمصنف قال في جامع الاصول تابعي سمع عمر و عليا (قال قال لي عمر هل تعرف ما يهدم الاسلام) أي يزيل عزته و الهدم في الاصل اسقاط البناء (قلت لا) أي لا أعرف (قال يهدمه زلة العالم) أي عثرته بتقصير منه (و جدال المنافق) الذي يظهر السنة و يبطن البدعة (بالكتاب) و انما خص لان الجدال به أقبح اذ يؤدي الى الكفر (و حكم الائمة) بالهمزة و الياء (المضلين) قال الطيبي المراد

رواه الدارمی و عن الحسن قال العلم علمان فعلم فی القلب فذاك العلم النافع وعلم على اللسان فذاك حجة الله عزوجل على ابن آدم رواه الدارمی و عن أبی هريرة قال حفظت من رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم وعاءين فاما أحدهما فبثثته فيكم و أما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم يعنى مجرى الطعام رواه البخارى

بهدم الاسلام تعطيل أركانه الخمسة فی قوله عليه‌الصلاة‌والسلام بنی الاسلام على خمس الحديث و تعطيله انما يحصل من زلة العالم و ترك الامر بالمعروف والنهی عن المنكر باتباع الهوى ومن جدال المبتدعة و غلوهم فی اقامة البدع بالتمسک بتأويلاتهم الزائغة و من ظهور ظلم الائمة المضلين و حكم المزورين و انما قدمت زلة العالم لانها هی السبب فی الخصلتين الاخيرتين كما جاء زلة العالم زلة العالم (رواه الدارمی) أی موقوفا (وعن الحسن) أی البصری (قال العلم) أی المعرفة أو العلم الشرعی (علمان) أی نوعان (فعلم) الفاء تفصيلية أی فنوع منه (فی القلب) أی حاصل و داخل فيه لايطلع عليه غيرالله (فذاك العلم النافع) اشارة الى أنه فی كمال العلو و الرفعة لايناله كل أحد. و فی نسخة صحيحة فذلک باللام ولعل الاولى أولى ايماء الى أنه ينبغی أن يقرب المرء الى العلم النافع كما أنه أورد فی القسم الثانی ذلک بلاخلاف ايماء الى أنه ينبغی أن يبعد عنه. و الفاء للسببية أی فبسبب استقراره فی القلب الذی هو محل حب الرب هو العلم النافع فی الدارين (وعلم على اللسان) أی و نوع آخر من العلم جار على اللسان ظاهر عليه فقط أو عليه أيضا ولكون ما فيه من الخطر لتعلقه بالخلق المقتضی للسمعة و الرياء و المداهنة للامراء قال (فذلک) أی فبسبب ذلک هو (حجة الله عزوجل على ابن آدم) لقوله تعالى لم‌تقولون مالاتفعلون و قد يحمل الاول على علم الباطن و الثانی على علم الظاهر لكن فيه انه لايتحقق شئ من علم الباطن الا بعد التحقق باصلاح الظاهر كما ان علم الظاهر لايتم الا باصلاح الباطن ولذا قال الامام مالک من تفقه ولم‌يتصوف فقد تفسق و من تصوف ولم‌يتفقه فقد تزندق ومن جمع بينهما فقد تحقق و قال أبوطالب المكی هما علمان أصليان لايستغنی أحد هما عن الآخر بمنزلة الاسلام و الايمان مرتبط كل منهما بالآخر كالجسم و القلب لاينفک أحد عن صاحبه. (رواه الدارمی) أی موقوفا عليه و المناسب لدأبه أن يقتصر و يقول روى الاحاديث الستة الدارمی (وعن أبی هريرة قال حفظت من رسول‌الله) أی من كلامه صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال الابهری فی أكثر الروايات عن و فی رواية الكشميهنی من بدل عن و هذا صريح فی تلقيه من النبی صلى‌الله‌عليه‌وسلم بلا واسطة (وعاءين) أی نوعين كثيرين من العلم ملء ظرفين متساويين (فأما أحدهما) و هو علم الظاهر من الاحكام و الاخلاق (فبثثته) أی أظهرته بالنقل (فيكم و أما الآخر) و هو علم الباطن (فلو بثثته) أی نشرته و ذكرته لكم بالتفصيل (قطع هذا البلعوم) بضم الباء أی الحلقوم لان أسرار حقيقة التوحيد مما يعسر التعبير عنه على وجه المراد ولذا كل من نطق به وقع فی توهيم الحلول و الالحاد اذ فهم العوام قاصر عن ادراك المرام و من كلام الصوفية صدور الاحرار قبور الاسرار و قوله قطع يحتمل الاخبار مما يتوقع و يحتمل الدعاء مبالغة فی اسرار الاسرار كما هو دأب الخلص من الابرار وقيل انه علم يتعلق بالمنافقين بأعيانهم أو بولاة الجور من بنی أمية أو بفتن أخرى فی زمنه و قال الابهری حمل العلماء الوعاء الذی لم‌يبثه على الاحاديث التی فيها يتبين أسامی أمراء الجور و أحوالهم و ذمهم و كان أبوهريرة يكنی عن بعضه ولايصرح به خوفا على نفسه منهم كقوله أعوذبالله من رأس الستين و امارة الصبيان يشير الى خلافة يزيد بن معاوية لانها كانت سنة ستين من الهجرة و استجاب الله دعاء أبی‌هريرة فمات قبلها بسنة (يعنی مجرى الطعام) تفسير من بعض رواة الحديث (رواه البخاری) لكن قال العسقلانی زاد فی رواية

وعن عبدالله قال يا أيها الناس من علم شيأ فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فان من العلم أن تقول لما لاتعلم الله أعلم قال الله تعالى لنبيه قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين متفق عليه وعن ابن سيرين قال ان هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم رواه مسلم وعن حذيفة قال يامعشر القراء استقيموا

المستملى قال أبو عبدالله البلعوم مجرى الطعام وعلى هذا لايخفى ما فى المشكاة اذ يفهم منه أن تلك العبارة من أبى هريرة أو أحد رواته ولايفهم منه انها للبخارى والله أعلم (وعن عبدالله) اذا أطلق فهو ابن مسعود (قال ياأيهاالناس) يشمل العلماء وغيرهم (من علم شيأ) من علوم الدين فسأله عنه من هو متأهل لفهم جوابه (فليقل به) أى بذلك الشئى المعلوم لوخيم عذاب ستره ولعظيم ثواب نشره (ومن لم يعلم فليقل) أى فى الجواب (الله أعلم) كما قالت الملائكة لاعلم لنا الاما علمتنا ولايستحيى فى نفى العلم عن نفسه فان جهل الانسان أكثر من علمه قال تعالى وما أوتيتم من العلم الا قليلا فمعناه الله أكثر علما وقال ابن حجر أعلم بمعنى عالم لاستحالة المشاركة قلت المشاركة الاستقلالية هى المستحيلة وذكر الزمخشرى فى ربيع الابرار أن عليا كرم الله وجهه سئل عن شئى وهو على المنبر فقال لاأدرى فقيل كيف تقول لاأدرى وأنت طلعت فوق المنبر فقال رضى الله عنه انما طلعت بقدر علمى ولو طلعت بمقدار جهلى لبلغت السماء (فان من العلم) أى من آدابه الواجب رعايتها وجوبا عينيا متأكدا على كل من نسب للعلم أو التقدير فان من جملة العلم وهو خبر ان واسمه (أن تقول لما لاتعلم) بالخطاب فيهما وقيل بالغيبة أى لاجله أو عنه (الله أعلم) أى ونحوه قال الابهرى فان تمييز المعلوم من المجهول نوع من العلم وهو المناسب لما قيل لاأدرى نصف العلم اه ويقال لمن ليس له هذا التمييز جهله مركب ومن ثم اشتد خوف السلف من الافتاء فكثر امتناعهم منه حتى أن مالكا سئل عن أربعين مسئلة فأجاب عن أربعة وقال فى ست وثلاثين لاأدرى ثم استدل ابن مسعود لما ذكره من امتناع التكلف والتصنع فى الجواب المؤدى الى الافتاء بالباطل بقوله (قال الله تعالى لنبيه) وهو أعلم الخلق (قل ما أسئلكم عليه) أى على التبليغ (من أجر) أى آخذه منكم (وما أنا من المتكلفين) أى من الذين يتصنعون ويتحلون بماليسوا من أهله كذا قاله ميرك شاه ومن ثم لما سئل الصديق عن الاب فى فاكهة وأبا قال أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى اذا قلت فى كتاب الله ما لا علم لى به (متفق عليه وعن ابن سيرين) وهو محمد بن سيرين مولى أنس بن مالك وهو من مشاهير التابعين وهو غيرمنصرف للعلمية والمزيدتين على مذهب أبى على فى اعتبار مجرد الزائدتين (قال ان هذا العلم دين) اللام للعهد وهو ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم لتعليم الخلق من الكتاب والسنة وهما أصول الدين (فانظروا عمن تأخذون دينكم) المراد الاخذ من العدول والثقات وعن متعلق بتأخذون على تضمين معنى تروون ودخول الجار على الاستفهام هنا كدخوله فى قوله تعالى على من تنزل الشياطين وتقديره أعمن تأخذون وضمن أنظر معنى العلم والجملة الاستفهامية سدت مسد المفعولين تعليقا كذا حققه الطيبى (رواه مسلم وعن حذيفة قال يامعشر القراء) أى الذين يحفظون القرآن قاله الطيبى وقال الابهرى قال الشيخ المراد بهم العلماء بالقرآن والسنة اه فكأنه نوع من التغليب أو القراء فى ذلك الزمان كانوا جامعين بين القرآن والسنة ولذا ورد الاولى بالامامة الاقرأ وأما قول ابن حجر أى الذين يحفظون القرآن بالسنتهم فقط ومن ثم ورد أكثر منافقى أمتى قراؤها فلاوجه له تقييدا وتعليلا (استقيموا) أى على جادة الشريعة والطريقة والحقيقة فان الاستقامة خير من ألف كرامة وهى الثبات على العقيدة الصحيحة والمداومة على العلم النافع والعمل الصالح والاخلاص الخالص والحضور

فقد سبقتم سبقا بعيدا و ان أخذتم يمينا و شمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا رواه البخارى و عن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن قالوا يارسول‌الله وما جب الحزن قال واد فى جهنم يتعوذ منه جهنم كل يوم أربعمائة مرة قيل يارسول‌الله ومن يدخلها قال القراء المراؤن بأعمالهم رواه الترمذى و كذا ابن ماجه و زاد فيه و ان من أبغض القراء الى الله تعالى

مع الله و الغيبة عن شهود ما سواه و قال الابهرى الاستقامة كناية عن أمر الله فعلا و تركا (فقد سبقتم) قيل الرواية الصحيحة بفتح السين و الباء و المشهور ضم السين و كسر الباء و المعنى على الاول اسلكوا طريق الاستقامة لانكم أدركتم أوائل الاسلام فان تتمسكوا بالكتاب و السنة تسبقوا الى خير اذ من جاء بعدكم و ان عمل بعملكم لم‌يصل اليكم لسبقكم الى الاسلام و مرتبة المتبوع فوق مرتبة التابع و على الثانى أى سبقكم المتصفون بتلك الاستقامة الى الله فكيف ترضون لنفوسكم هذا التخلف المؤدى الى الانحراف عن سنن الاستقامة يمينا و شمالا الموجب للهلاك الابدى (سبقا بعيدا) أى ظاهر التفاوت (و ان أخذتم يمينا و شمالا) أى بالاعراض عن الجادة و الدخول فى طرق الضلالة (لقد ضللتم ضلالا بعيدا) أى عن الحق بحيث يبعد رجوعكم عنه اليه كما قال تعالى و ان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه و لاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله قال الطيبى الناس مخلوقون للعبادة ولاتتم الا بالاخلاص و المقصود منهما التقرب الى الله تعالى و كان العبد يتحرى فيهما السير الى الله عزوجل و يتوخى سلوك طريق الاستقامة ليوصله الى المقصود و الطريق هو الاسلام و الاستسلام فمن سلك الطريق و ثبت عليها ولم‌يأخذ يمينا و شمالا فقد فاز و سبق ومن ركب متن الرياء أخذ عن يمين الصراط و شماله ثم اذا ثبت المرائى على اعوجاجه ولم‌يرجع الى الصراط المستقيم هام فى أودية الضلال و أداه الشرك الاصغر الى الشرك الاكبر أعاذنا الله منه و هو المراد من قوله ضلالا بعيدا (رواه البخارى و عن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن) بضم الحاء و سكون الزاى و بفتحهما أى من بئر فيها الحزن لاغير قال الطيبى جب الحزن علم و الاضافة فيه كما هى فى دارالاسلام أى دار فيها السلامة من كل حزن و آفة (قالوا يارسول‌الله وما جب الحزن قال واد) أى هو واد عميق من كمال عمقه يشبه البئر (فى جهنم يتعوذ) بالتذكير للفصل و قيل بالتأنيث (منه) أى من شدة عذابه (جهنم) مع اشتمالها عليه قال الطيبى التعوذ من جهنم هنا كالنطق منها فى قوله تعالى هل من مزيد و كالتميز و التغيظ تكاد تميز من الغيظ و الظاهر أن يجرى ذلك على المتعارف لانه تعالى قادر على كل شئ الكشاف سؤال جهنم و جوابها من باب التخييل الذى يقصد به تصوير المعنى فى القلب و تبيينه و تميزها و تغيظها تشبيه لشدة غليانها بالكفار بغيظ المغتاظ و تميزه و اضطرابه عند الغضب (كل يوم) يحتمل النهار و الوقت (أربعمائة مرة) لعل خصوص العدد باعتبار جهاتها الاربعة يعنى كل جهة مائة و هو يحتمل التحديد و التكثير و يمكن أن يقدر مضاف أى يتعوذ زبانيتها أو أهلها (قيل يارسول‌الله و من يدخلها) أى تلك البقعة المسماة بجب الحزن التى ذكر شدتها و هو عطف على محذوف أى ذلك شئ عظيم هائل فمن الذى يستحقها ومن الذى يدخل فيها (قال القراء) بضم القاف أى الرجل المتنسك يقال تقرأ تنسك أى تعبد و الجمع القراؤن وقد يكون القراء جمع القارئ كذا قاله الطيبى و فى القاموس القراء ككتان الحسن القراءة و كرمان الناسك المتعبد كالقارئ و المقرئ (المراؤن بأعمالهم) السماعون بأقوالهم (رواه الترمذى و كذا ابن ماجه و زاد) أى ابن ماجه (فيه) أى فى حديثه أو مرويه (و ان من أبغض القراء الى الله تعالى) قيل أى من القراء المذكورين وهم المراؤن قرائين مخصوصين

الذين يزورون الامراء قال المحاربي يعني الجورة و عن علي قال قال رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم يوشك أن يأتي على الناس زمان لا يبقى من الاسلام الا اسمه و لا يبقى من القرآن الارسمه مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى علماؤهم شر من تحت أديم السماء من عندهم تخرج الفتنة وفيهم تعود

وهم (الذين يزورون الامراء) أي من غير ضرورة تلجئهم بهم بل طمعا في مالهم وجاههم ولذا قيل بئس الفقير على باب الامير و نعم الامير على باب الفقير فان الاول مشعر بأنه متوجه الى الدنيا و الثاني مشير بأنه متقرب الى الاخرى (قال المحاربي) أحد رواة الحديث (يعني الجورة) جمع جائر أي الظلمة لان زيارة الأمير العادل عبادة (و عن علي) رضي‌الله‌عنه (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يوشک) أي يقرب (أن يأتي على الناس زمان) أي فاسد لفساد أهله قال الطيبي أتى متعد الى مفعول واحد بلا واسطة فعدى بعلى ليشعر بان الزمان عليهم حينئذ بعد ان كان لهم قال ميرك أقول الاظهر أن يقال ضمن أتى معنى الاقبال أو المرور فعدى بعلى اه قلت يؤيد كلام الطيبي ما في القاموس أتى عليه الدهر أهلكه مع ان كلام الطيبي لاينافي التضمين ثم لاخفاء انه لايقال يوشک أن يقبل على الناس زمان الا في مقام المدح و المرور أكثر تعديته بالباء (لايبقى من الاسلام) أي شعائره (الا اسمه) أي ما يصح اطلاق اسم الاسلام عليه كلفظة الصلاة و الزكاة و الحج (ولايبقى من القرآن) أي من علومه وآدابه (الا رسمه) أي أثره الظاهر من قراءة لفظه و كتابة خطه بطريق الرسم و العادة لا على جهة تحصيل العلم و العبادة قال الطيبي خص القرآن بالرسم و الاسلام بالاسم دلالة على مراعاة القراء لفظ القرآن من التجويد في حفظ مخارج حروفه وتحسين الالحان فيه دون التفكر في معانيه والامتثال باوامره و الانتهاء عن نواهيه و ليس كذلک الاسلام فان الاسم باق و المسمى مدروس فان الزكاة التي شرعت للشفقة على خلق الله تعالى اندرست ولم‌يبق منها عين ولا أثر و أكثر الناس ساهون عن الصلاة تاركوها و ليس أحدهم يامرهم بالمعروف فيقيمونها و ينهى عن المنكر فيتركونها اه قلت و من مناسبة الرسم بالقرآن ان محافظة آداب كيفية كتابة كلماته من الوصل و الفصل و المجرور و المربوط و الحذف و الاثبات و غيرها مما يسمى بعلم الرسم و هو من جملة علوم القرآن التي اندرست في هذا الزمان (مساجدهم عامرة) أي بالابنية المرتفعة و الجدران المنتقشة و القناديل المسرجة و البسط المفروشة و الأئمة و المؤذنة الجهلة الموظفة من الاموال المحرمة و غيرها من الامور المنكرة (و هي) أي المساجد أو أهلها (خراب من الهدى) أي من ذي الهدى أو الهادي لانه لو وجد الهادي لوجد الهدى فاطلق الهدى و أريد الهادي على سبيل الكناية و هو يحتمل معنيين أحدهما أن خراب المساجد من أجل عدم الهادي الذي ينفع الناس بهداه في أبواب الدين و يرشدهم الى طريق الخير و ثانيهما ان خرابها لوجود هداة السوء الذين يزيغون الناس بدعتهم و ضلالتهم و تسميتهم بالهداة من باب التهكم و لذا عقب هذه الجملة على سبيل الاستئناف لبيان الموجب بقوله (علماؤهم شر من تحت أديم السماء) أي وجهها و كذا أديم الارض و هو صعيدها قيل و منه اشتق آدم لان جسده من أديم الارض كذا قاله الطيبي و قال السيد أقول الظاهر ان المراد بكون مساجدهم عامرة عمارة بنائها الظاهر و بكونها خرابا من الهدى تركهم اياها عاطلة من الصلاة و الجماعة و اقامة الاذان فيها و وضع المصابيح و السرج فيها و غيرها و انما عبر عنها بالهدى لانها سبب هداية الشخص اه أو التقدير من آثار الهداية أو أهلها و الله أعلم (من عندهم تخرج الفتنة) أي للناس لمامر ان فساد العالم فساد العالم (و فيهم تعود) قال الطيبي في مثلها في قوله تعالى أو لتعودن في ملتنا و قوله تعالى

رواه البیهقی فی شعب الایمان و عن زیاد بن لبید قال ذکر النبی صلی‌اللهعلیه‌وسلم شیأ فقال ذاك عند أوان ذهاب العلم قلت یا رسول‌الله و کیف یذهب العلم و نحن نقرأ القرآن و نقرئه أبناءنا و یقرئه أبناؤنا أبناء هم الی یوم القیامة فقال ثکلتک أمک زیاد ان کنت لاراك من أفقه رجل بالمدینة أو لیس هذه الیهود و النصاری یقرؤن التوراة و الانجیل لا یعملون بشئ مما فیهما رواه أحمد و ابن ماجه و روی الترمذی عنه نحوه و کذا الدارمی عن أبی أمامة و عن ابن مسعود قال قال لی رسول‌اللهصلی‌اللهعلیه‌وسلم تعلموا العلم و علموه الناس تعلموا الفرائض و علموها الناس تعلموا القرآن و علموه الناس فانی امرؤ مقبوض و العلم سینقبض

و لاصلبنکم فی جذوع النخل أی یستقر عود ضررهم فیهم و یتمکن منهم اه و المشهور فی جذوع النخل انها بمعنی علی فکان الاکتفاء بالآیة الاولی أولی (رواه البیهقی فی شعب الایمان و عن زیاد ابن لبید) أنصاری خرج الی رسول‌اللهصلی‌اللهعلیه‌وسلم و أقام بمکة ثم هاجر مع رسول‌اللهصلی‌اللهعلیه‌وسلم و کان یقال له مهاجری أنصاری (قال ذکر النبی صلی‌اللهعلیه‌وسلم شیأ) أی هائلا (فقال ذلک) و فی نسخة ذاك أی الشئ المخوف یقع (عند أوان ذهاب العلم) أی وقت الدراسه (قلت یا رسول‌الله و کیف یذهب العلم) الواو للعطف أی متی یقع ذلک المهول و کیف یذهب العلم (و نحن نقرأ القرآن و نقرئه أبناءنا و یقرئه ابناؤنا أبناءهم الی یوم القیامة) یعنی و الحال ان القرآن مستمر بین الناس الی یوم القیامة کما یدل علیه قوله تعالی انا نحن نزلنا الذکر وانا له لحافظون و لما أجمعوا علی بقاء القرآن الی أن یرفع قرب الساعة فالمعنی مع وجوده کیف یذهب العلم (فقال ثکلتک أمک) أی فقدتک و أصله الدعاء بالموت ثم یستعمل فی التعجب (زیاد) أی یا زیاد (ان کنت) ان مخففة من الثقیلة بدلیل اللام الآتیة الفارقة و اسمها ضمیر الشان محذوف أی ان الشان کنت أنا (لاراك) بضم الهمزة أی لاظنک أو بفتحها أی لاعلمک (من أفقه رجل بالمدینة) ثانی مفعولی أراك و بن زائدة فی الاثبات أی علی مذهب الاخفش أو متعلقة بمحذوف أی کائنا کذا قاله الطیبی و الاظهر الثانی و لانظر لافراد رجل لان المراد به الاستغراق (أو لیس) أی أتقول هذا الکلام و لیس (هذه الیهود و النصاری یقرؤن التوراة و الانجیل) أی آباؤهم و ابناؤهم (لایعملون بشئ مما فیهما) أی فکما لم تفدهم قراءتهما مع عدم العلم[عــه] بما فیهما فکذلک أنتم و الجملة حال من یقرؤن أی یقرؤن غیر عالمین نزل العالم الذی لایعمل بعلمه منزلة الجاهل بل منزلة الحمار الذی یحمل أسفارا بل أولئک کالانعام بل هم أضل (رواه أحمد و ابن ماجه) بهذا اللفظ (و روی الترمذی عنه) أی عن زیاد (نحوه) أی نحو هذا اللفظ و هو بمعناه (و کذا الدارمی) أی رواه بمعناه لکن (عن أبی امامة) لا عن زیاد (و عن ابن مسعود قال قال لی رسول‌اللهصلی‌اللهعلیه‌وسلم) و هو یحتمل انه کان وحده أو خصه بالخطاب و عم الحکم بقوله (تعلموا العلم) أو الجمع للتعظیم و المراد بالعلم علم الشریعة بأنواعها (و علموه الناس) لتکونوا کاملین مکملین (تعلموا الفرائض) أی علمها خصوصا سواء أرید بها فرائض الاسلام أو فرائض الارث (و علموه الناس) أی هذا العلم فالضمیر الی المضاف المقدر و فی نسخة صحیحة و علموها الناس فان علمها أهم و ثوابها أتم (تعلموا القرآن و علموه الناس) و هو تخصیص من وجه و تعمیم من وجه و علی کل فتأخیره للترق فان الاهتمام بحفظه و لو بلفظه أوجب فانه معجزة مستمرة بعده علیه‌الصلاةوالسلام (فانی امرؤ مقبوض) قال الطیبی هو کقوله تعالی قل انما أنا بشر مثلکم أی کونی امرأ مثلکم علة لکونی مقبوضا لا أعیش أبدا فاغتنموا فرصة حیاتی (و العلم سیقبض) بعدی لان

[عــه] لعل الصواب مع عدم العمل

و تظهر الفتن حتى يختلف اثنان فى فريضة لا يجدان أحدا يفصل بينهما رواه الدارمى و الدار قطنى
و عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل علم لا ينتفع به كمثل كنز لا ينفق منه فى سبيل الله رواه أحمد و الدارمى

* (كتاب الطهارة) *

* (الفصل الاول) * عن أبى مالك الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطهور شطر الايمان

بعد كل كمال نقصانا و زوالا و فى نسخة سينقبض أى يقبض أو بغيره و فى نسخة سيقبض مجهول مجرد أى يقبض أهله (و تظهر الفتن) الواو لمجرد الجمعية فيمكن أن يكون قبض العلم سبب الفتنة أو هى سبب قبض العلم (حتى يختلف) يجوز أن يتعلق بكل من الفعلين السابقين (اثنان) أى متكلمان أو وارثان (فى فريضة) من فرائض الاسلام أو من فرائض الميراث (لا يجدان أحدا يفصل بينهما) لقلة العلم أو لكثرة الفتنة (رواه الدارمى و الدار قطنى. و عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل علم لا ينتفع به) أى بالعمل و التعليم و لو كان العلم فى نفسه نافعا (كمثل كنز لا ينفق منه فى سبيل الله) أى لا على نفسه و لا على غيره فى الجهاد و سائر وجوه الخير. قال الطيبى التشبيه فى عدم النفع و الانتفاع و الانفاق منهما لا فى أمر آخر و كيف لا و العلم يزيد بالانفاق و الكنز ينقص و العلم باق و الكنز فان (رواه أحمد و الدارمى)

* (كتاب الطهارة) *

أى من الحدث و الخبث و أصلها النظافة و النزاهة من كل عيب حسى أو معنوى و منه قوله تعالى انهم أناس يتطهرون و لما كانت العبادة نتيجة العلم و الصلاة أفضل العبادات و الطهارة من شروطها المتوقف صحتها عليها عقب كتاب العلم بكتاب الطهارة و اختصت من بين شروطها لكونها غير قابلة للسقوط و لكثرة مسائلها المحتاج اليها هنا قال الغزالى للطهارة مراتب من تطهير الظاهر عن الحدث و الخبث ثم تطهير الجوارح عن الجرائم ثم تطهير القلب عن الاخلاق المذمومة ثم تطهير السر عما سوى الله تعالى

* (الفصل الاول عن أبى مالك الاشعرى) * قال المؤلف هو أبو مالك كعب بن عاصم الاشعرى كذا قاله البخارى فى التاريخ و غيره و قال البخارى فى رواية عبد الرحمن بن غنم حدثنا أبو مالك أو أبو عامر بالشك قال ابن المدينى أبو مالك هو الصواب روى عنه جماعة و مات فى خلافة عمر رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطهور) بالضم و هو الاصح و الاظهر أو بالفتح قال الشيخ محيى الدين النووى و جمهور أهل اللغة على أن الطهور و الوضوء يضمان اذا أريد بهما المصدر و يفتحان اذا أريد بهما ما يتطهر به كذا عن ابن الانبارى و ذهب الخليل و الاصمعى و أبو حاتم السجستانى و الازهرى و جماعة الى أنه بالفتح فى الاسم و المصدر اه و قال زين العرب الطهور بالضم ههنا و فى غيره من الاحاديث عن جمهور الرواة و حكى سيبويه أنه بالفتح لان الفعول قد يجئ مصدرا كالولوع و القبول فان جعلته اسما لما يتطهر به كالسعوط فهو على حذف المضاف أى استعماله و من رواه بالضم فلا اشكال (شطر الايمان) قال النووى أصل الشطر النصف قيل معنى شطر الايمان ان الاجر فى الوضوء ينتهى الى نصف أجر الايمان قلت و فيه نظر ظاهر لان ثواب الصلاة التى من جملة شروطها الوضوء لا يقال انه نصف ثواب الايمان بل جميع الاعمال لا يصلح أن يكون نصفا للايمان الا على معتقد فاسد للمعتزلة و الخوارج حيث جعلوا العمل شطر الايمان على أنه لا يلزم من كون العمل شطرا أنه يساوى ثوابه ثواب الايمان كيف و يتوقف صحة العمل على الايمان دون العكس فهو أصل فى الجملة

فلا يكون مساويا للفرع أبدا مع أنه كالعلامة على تحقق الايمان و قيل ان الايمان يجب ما قبله من الخطايا و كذلك الوضوء الا أن الوضوء لا يصح الا مع الايمان فصار لتوقفه عليه فى معنى الشطر قلت و هذا مبنى على أصل الشافعية انه عبادة مستقلة يحتاج الى نية و هى لاتصح الا من أهلها و الا فعندنا يصح الوضوء من الكافر فالاظهر أن يقال انما كان شطرا له لانه يحط الكبائر و الصغائر و الوضوء يختص بالصغائر و لابد من تقييد هذا الوضوء عندنا أيضا بالنية ليصير عبادة مكفرة للسيئة و الله أعلم و قال زين العرب تبعا لغيره المراد هنا بالايمان الصلاة قال الله تعالى و ما كان الله ليضيع ايمانكم أى صلاتكم الى بيت المقدس و أطلق الايمان عليها لانها أعظم آثاره و أشرف نتائجه و أنوار أسراره و جعلت الطهارة شطرها لان صحتها باستجماع الشرائط و الاركان و الطهارة أقوى الشرائط و أظهرها فجعلت كانها لاشرط سواها و الشرط شطر ما يتوقف عليه المشروط و قيل المراد بالشطر مطلق الجزء لا النصف الحقيقى قلت كقوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام ثم اما أن يراد بالايمان الصلاة فلا اشكال أو يراد به الايمان المتعارف فالجزء محمول على اجزاء كماله و لاينافيه ما جاء فى رواية بعبارة النصف فانه قد يكون بمعنى النصف كما قيل فى الحديث المشهور علم الفرائض نصف العلم و قيل المراد بالايمان حقيقته لان الايمان طهارة القلب عن الشرك و الطهور طهارة الاعضاء من الحدث و الخبث و حاصله ان الطهارة نصفان أى فجنسها نوعان طهارة الظاهر و طهارة الباطن و قال بعض المحققين الطهور تزكية عن العقائد الزائغة و الاخلاق الذميمة و هى شطر الايمان الكامل فانه تخلية و تحلية و الاظهر و الله أعلم ان الايمان على حقيقته المنبئة عن نفى الالوهية لغيره تعالى و اثبات الربوبية و التوحيد الذاتى له سبحانه و هذا المركب هو معنى الكلمة الطيبة التى عليها مبنى الايمان و لذا قال تعالى فمن يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى و لا يضرنا ايراد الحديث فى كتاب الطهارة فانه بحسب فهم بعض المصنفين و بما قلنا تظهر المناسبة التامة بين الجملة السابقة و اللاحقة فى قوله (و الحمد لله) أى تلفظه أو تصوره (تملأ الميزان) بالتانيث على تأويل الكلمة أو الجملة و قيل بالتذكير على ارادة اللفظ أو الكلام أو المضاف المقدر أى لو قدر ثوابه مجسما لملأ أو محمول على أن الاقوال و الاعمال و المعانى تتجسد ذواتها فى العالم الثانى و قول ابن حجر أى ثوابها لوجسم أو هى لوجسمت باعتبار ثوابها غير صحيح لظهور عدم الفرق هذا و قد قال بعض المحققين فان قلت كيف توزن الاعمال و هى اعراض مستحيلة البقاء و كذا الاعراض لا توصف بالثقل و الخفة فالجواب ان نصوص الشرع تظاهرت على وزن الافعال و ثقل الموازين و خفتها و ثبت عن ابن عباس ان للميزان لسانا و كفتين احداهما بالمشرق و الاخرى بالمغرب تكتب حسناته فى صحيفة و توضع فى كفة و تكتب سيآته و توضع فى الاخرى فوجب القبول و ترك الاعتراض بسبب قصور الفهم و ركاكة العقل فان من أطلعه الله على الاسرار و كشف له عجائب الاقدار يرى ان المقيد بعقله ليس له مقدار على أنه ورد وزن الصحائف و قال الامام الغزالى النفس بذاتها مهيئة لان ينكشف لها حقائق الامور لكن تعلقها بالجسد مانع عن ذلك فاذا انكشف الغطاء بالموت يعرف ان أعماله مؤثرة فى تقريبه من الله تعالى و ابعاده و يعلم مقادير تلك الآثار و ان بعضها أشد تأثيرا من البعض و الله قادر على أن يجرى سببا يعرف الخلق فى لحظة مقادير الاعمال بتشكيل حقيقى أو تمثيل خيالى فحد الميزان ما يتميز به الزيادة و النقصان و مثاله فى العالم الحسى مختلف كالميزان و القبان للاثقال و الاصطرلاب لحركات الافلاك و المسطرة

و سبحان الله و الحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السموات و الارض والصلاة نور و الصدقة برهان و الصبر ضياء و القرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغد و فبائع نفسه فمعتقها

لمقادير الشعر فلتقريبه بافهام البليد و الجليد مثل ما أريد اه فمخالفة المعتزلة فيه كنظائره انما نشأت عن تحكيم عقولهم الفاسدة و نظرهم الى الادلة الواهية الكاسدة (و سبحان الله و الحمد لله تملآن أو تملأ) الشك من الراوى قال النووى ضبطنا هما بالمثناة من فوق قال الطيبى فالاول أى تملآن ظاهر و الثانى فيها ضمير الجملة أى الجملة الشاملة لهما قلت و يمكن أن يكون الافراد بتقدير كل واحدة منهما (ما بين السموات و الارض) اما باعتبار الثواب أو لانها مملوأة من الآيات الدالة على وجود الصفات الثبوتية و نفى النعوت السلبية و الله أعلم (و الصلاة نور) أى فى القبر و ظلمة القيامة و قيل انها تمنع من الفحشاء و تهدى الى الصواب كالنور و قيل أراد بالنور الامر الذى يهتدى به صاحبه يوم القيامة قال تعالى يسعى نورهم بين أيديهم و قيل لانها سبب اشراق أنواع المعارف و انشراح القلب و مكاشفات الحقائق لفراغ القلب فيها و قيل النور السيما فى وجه المصلى و لايبعد أن يراد بها الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم (و الصدقة برهان) معناه يفزع اليها كما يفزع الى البرهان فان العبد اذا سئل يوم القيامة عن مصرف ماله كانت صدقته براهين فى الجواب و قيل يوسم المتصدق بسيماء يعرف بها فيكون برهانا على الفلاح و الهدى فلا يسئل عن المصرف و قيل انها حجة على ايمان صاحبها فان المنافق يمتنع منها (و الصبر ضياء) بالياء المنقلبة عن الواو لكسرة ما قبلها و روى بالهمزة قبل الالف قيل الصبر هو حبس النفس عما تتمنى من الشهوات و على ما يشق عليها من العبادات و فيما يصعب عليها من النائبات و قيل المراد به الصبر عن الدنيا و لذاتها الدنية و عن المعاصى و على التكاليف الشرعية و فى المصيبات و المحن الكونية فيخرج العبد عن عهدتها فتكون ضياء لان بترك الصبر عليها يدخل فى ظلمة المعاصى و قيل المراد بالصبر هنا الصوم بقرينة ذكره مع الصلاة و الصدقة اذ المراد بها الزكاة كما قيل فى قوله تعالى و استعينوا بالصبر و الصلاة و سمى الصوم صبرا لثبات الصائم و حبسه نفسه عن الشهوات و سمى شهر رمضان شهر الصبر و قيل قوله ضياء يعنى فى ظلمة القبر لان المؤمن اذا صبر على الطاعات و البلايا فى سعة الدنيا و عن المعاصى فيها جازاه الله تعالى بالتفريج و التنوير فى ضيق القبر و ظلمته و قال بعضهم الصبر ضياء فى قلبه لان الصبر على المكاره فى دين الله تذلل و من تذلل فى الله سهل عليه الطاعات و مشاق العبادات و تجنب المحظورات و من كان هذا شعاره لاشك أن فى قلبه ضياء و الضياء أقوى من النور قال الله تعالى هو الذى جعل الشمس ضياء و القمر نورا و ذلك لان الصبر أوسع من الصلاة لان كل واحدة من الواجبات و المحظورات تحتاج الى الصبر نعم اذا فسر الصوم بالصبر فذلك لتخصيصه بالنهار كتخصيص الشمس به لا لمزية الصوم على الصلاة الاعلى قول من يقول الصوم أفضل من الصلاة لان الصوم امساك يشبه الصمدانية و هو من صفات الرب و الصلاة تذلل و هو من صفات العبد و لقوله عليه الصلاة والسلام الصوم لى و أنا أجزى به كذا حققه السيد (و القرآن) أى قراءته (حجة لك) ان عملت به (أو عليك) ان أعرضت عنه أو قصرت فيه بترك العمل بمعانيه (كل الناس يغدو) أى يصبح أو يسير قيل الغدو السير فى أول النهار ضد الرواح و قد غدا يغدو غدوا مأخوذ من الغدوة ما بين الصباح و طلوع الشمس و المعنى كل أحد يسعى و يجتهد فى الدنيا و يرى أثر عمله فى العقبى قال الطيبى و هو مجمل تفصيله (فبائع نفسه) أى حظها باعطائها و أخذ عوضها و هو عمله و كسبه كأن عمل خيرا فقد باعها و أخذ الخير عن ثمنها (فمعتقها) من النار

أو موبقها رواه مسلم و فى رواية لاإله إلا الله و الله أكبر تملآن ما بين السماء و الارض لم أجد هذه الرواية فى الصحيحين ولا فى كتاب الحميدى ولا فى الجامع و لكن ذكرها الدارمى بدل سبحان الله و الحمد لله و عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا و يرفع به الدرجات قالوا بلى يارسول الله قال اسباغ الوضوء على المكاره و كثرة الخطا

بذلك قال الطيبى الفاء للسببية و هو خبر بعد خبر و يجوز ان يكون بدل البعض من قوله فبائع نفسه (أو موبقها) أى مهلكها بان باعها و أخذ الشر عن ثمنها و قال زين العرب تبعا للاشرف وغيره البيع و الشراء يطلق كل واحد منهما على الآخر لارتباطه به و عبر بلفظ البيع و الشراء عن ترك حالة و كسب أخرى كترك البائع ما فى يده ايثارا لما فى يد المشترى فمن صرف نفسه عما تتوخاه و آثر آخرته على دنياه و اشترى نفسه بالآخرة فقد أعتقها عن اليم عقابه و من آثر الدنيا على الآخرة و اشتراها بها فقد أوبق نفسه أى أهلكها بان جعلها عرضة لعظيم عذابه و قوله فبائع نفسه أى فمشتر نفسه من ربه بدليل قوله فمعتقها و الاعتاق انما يصح من المشترى و حاصله أن من ترك الدنيا و آثر الآخرة يكون مشتريا نفسه من ربه بالدنيا فيكون معتقها و من ترك الآخرة و آثر الدنيا يكون مشتريا بالاخرى فيكون موبقها و قيل المعنى كل واحد منهم يسعى فى الامور فمنهم من يبيعها من الله فيعتقها و منهم من يبيعها من الشيطان فيوبقها (رواه مسلم وفى رواية) ظاهره انها لمسلم ولذا يجئ الاعتراض الآتى عليه (لااله الا الله والله أكبر تملآن) بالتأنيث و قيل بالتذكير (ما بين السماء والارض) اما باعتبار الثواب و اما باعتبار ظهور الوحدانية و الكبرياء و العظمة الربانية قال صاحب المشكاة (لم أجد هذه الرواية) أى التى نسبها صاحب المصابيح الى مسلم (فى الصحيحين) أى متنهما (و لا فى كتاب الحميدى) الجامع بين الصحيحين (و لا فى الجامع) أى للاصول الستة (و لكن ذكرها) أى هذه الرواية (الدارمى بدل سبحان الله و الحمد لله) و هو ليس بمخلص له لانه التزم أن يكون جميع ما ذكر فى قوله من الصحاح المعبر عنه بالفصل الاول مما أخرجه الشيخان أو أحدهما و هذه الرواية ليست فى أحدهما و قد يجاب بان الالتزام انما هو فى أصول الاحاديث و أما هذه فانما هى زيادة افادة متفرعة على أصل الحديث الموجود فى مسلم و الله أعلم قال السيد جمال الدين و فى تخريج المصابيح للقاضى عبد الله السلمى الشافعى هذه الرواية لم أقف عليها فى مسلم و انما رواه النسائى فى اليوم و الليلة من حديث أبى مالك الاشعرى فظاهره يشعر بان فيه الجمع لا التبديل و أما ظاهر رواية الدارمى فالتبديل اه (و عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم) الهمزة للاستفهام و لا نافية و ليس ألا للتنبيه بدليل قولهم بلى فقول ابن حجر انه حرف استفتاح غفلة منه (على ما يمحو الله به الخطايا) قال الطيبى محو الخطايا كناية عن غفرانها و يحتمل المحو عن كتاب الحفظة دلالة على غفرانها (و يرفع به الدرجات) أعلى المنازل فى الجنات (قالوا بلى يا رسول الله) وفائدة السؤال و الجواب ان يكون الكلام أوقع فى النفس بحكم الابهام و التبيين (قال اسباغ الوضوء) بضم الواو و قيل بالفتح أى تكميله و اتمامه باستيعاب المحل بالغسل و تطويل الغرة و تكرار الغسل ثلاثا و قيل اسباغه ما لا يجوز الصلاة الا به كذا فى زين العرب نقله السيد وهذا بعيد يأبى عنه لفظ الاسباغ و معنى رفع الدرجات و أصل الوضوء من الوضاءة لانه يحسن المتوضئ و فى النهاية أثبت سيبويه الوضوء و الطهور و الوقود بالفتح فى المصادر و هى تقع على الاسم و المصدر (على المكاره) جمع مكره بفتح الميم من الكره بمعنى المشقة و الالم قيل منها اعواز الماء و الحاجة الى طلبه أو ابتياعه بالثمن الغالى كذا ذكره الطيبى رحمه الله تعالى و قيل المراد حال ما يكره استعمال الماء كالتوضؤ بالماء البارد فى الشتاء أو ألم الجسم (و كثرة الخطا)

الى المساجد و انتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط و فى حديث مالك بن أنس فذلكم الرباط فذلكم الرباط ردد مرتين رواه مسلم و فى رواية الترمذى ثلاثا. و عن عثمان قال قال رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم من توضأ فاحسن الوضوء خرجت خطاياه

جمع خطوة بضم الخاء و هى ما بين القدمين و كثرتها اما لبعد الدار أو على سبيل التكرار (الى المساجد) للصلاة و غيرها من العبادات و لادلالة فى الحديث على فضل الدار البعيدة عن المسجد على القريبة منه كما ذكره ابن حجر فانه لافضيلة للبعد فى ذاته بل فى تحمل المشقة المرتبة عليه و لذا لو كان للدار طريقان الى المسجد و يأتى من الابعد ليس له ثواب على قدر الزيادة و انما رغب فى الحديث على كثرة الخطا تسلية لمن بعد داره و أما قوله عليه‌الصلاة‌والسلام ديار كم تكتب آثار كم لمن بعدت ديارهم عن مسجده فارادوا القرب منه دليل على انهم فهموا ان القرب منه أفضل لما يترتب عليه من معرفة الاوقات و عدم فوت الجمعة و الجماعات فسلاهم عليه‌الصلاة‌والسلام بقوله تكتب آثار كم يعنى ان فاتكم بعض الفوائد يحصل لكم بعض العواعد و الامر بلزوم الديار لما يترتب من تغيير الدار كثير من الاكدار مع انه قيل انما أمرهم بالاستمرار لئلا يخلو حول المدينة و يصير محل الامكار و يؤيد ما قلنا عده عليه‌الصلاة‌والسلام من شؤم الدار بعدها من المسجد (و انتظار الصلاة) أى وقتها أو جماعتها (بعد الصلاة) يعنى اذا صلى بالجماعة أو منفردا ثم ينتظر صلاة أخرى و يعلق فكره بها بان يجلس فى المسجد أو فى بيته ينتظرها أو يكون فى شغله و قلبه معلق بها (فذلكم الرباط) بكسر الراء يقال رابطت أى لازمت الثغر و هو أيضا اسم لما يربط به و سمى مكان المرابطة رباطا قال القاضى ان هذه الاعمال هى المرابطة الحقيقية لانها تسد طرق الشيطان على النفس و تقهر الهوى و تمنعها من قبول الوساوس فيغلب بها جزب الله جنود الشيطان و ذلك هو الجهاد الاكبر (و فى حديث مالك ابن أنس فذلكم الرباط فذلكم الرباط) قيل اسم الاشارة يدل على بعد منزلة المشار اليه و كذا ايقاع الرباط المحلى باللام الجنسية خبرا لاسم الاشارة أى هو الذى يستحق ان يسمى رباطا كقوله تعالى ذلك الكتاب كأن غيره لا يستحق هذا الاسم و لزيادة التقرير و التأكيد (ردد مرتين) أى كرر فذلكم الرباط و هو اشارة الى ان ما ذكر من الطاعات و الخصال المذكورة هو الرباط المذكور فى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اصبروا و صابروا و رابطوا و الرباط الجهاد أى ثواب هذه كثواب الجهاد اذ فيه مجاهدة النفس باذاقتها المكاره و الشدائد كما فى الجهاد (رواه مسلم و فى رواية الترمذى ثلاثا) أى كرره ثلاثا لاجل زيادة الحث و قيل يريد بالاول ربط الخيل و بالثانى جهاد النفس و بالثالث طلب الحلال (و عن عثمان قال قال رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم من توضأ فأحسن الوضوء) قال الطيبى الفاء بمنزلة ثم فى الدلالة على تراخى الرتبة فدلت على أن الاجادة من تطويل الغرة و تكرار الغسل ثلاثا و مراعاة الادب من استقبال القبلة و الدعاء المأثور عن السلف أفضل من أداء ما وجب مطلقا و فيه انه مخالف للقاعدة المقررة من أن ثواب الفرض أفضل من أجر النفل نعم يقال احسان الوضوء و هو الاتيان بالمكملات أفضل من مرتبة الاقتصار على الواجبات و الاظهر أن الفاء لمجرد العطف و الجزاء المذكور مترتب على مجموع الشرط من المعطوف و المعطوف عليه (خرجت خطاياه) تمثيل و تصوير لبراءته لكن هذا العام خص بالصغائر المتعلقة بحقوق الله تعالى لما سيأتى ما لم يأت كبيرة و للاجماع على ماحكاه ابن عبد البر على أن الكبائر لا تغفر الا بالتوبة و ان حقوق الآدميين منوطة برضاهم كذا نقله ابن حجر و فيه انه بظاهره مخالف للنص القاطع الذى عليه مدار مذهب أهل السنة و هو قوله تعالى ان الله لا يغفر

من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره متفق عليه و عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فاذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فاذا غسل رجليه خرج كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب

أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء و التقييد بالتوبة فى الثانى مذهب المعتزلة المدفوع بأن الشرك أيضا يغفر بالتوبة (من جسده) أى جميع بدنه أو أعضاء وضوئه (حتى تخرج من تحت أظفاره) أى مثلا (متفق عليه) قال الابهرى فيه انه من أفراد مسلم و قال ابن حجر كذا فى جامع الاصول و اقتصر شيخ الاسلام و الحفاظ ابن حجر فى تخريجه على عزوه لمسلم (و عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن) شك من الراوى فى لفظ النبوة و الا فهما متراد فان فى الشريعة و المؤمنة فى حكم المؤمن (فغسل وجهه) عطف على توضأ عطف تفسير أو المراد اذا أراد الوضوء و هو الاوجه و فيه ايماء الى اعتبار النية المقتضية للمثوبة (خرج من وجهه) جواب اذا (كل خطيئة نظر اليها) الى الخطيئة يعنى الى سببها اطلاقا لاسم المسبب على السبب مبالغة (بعينيه) قال الطيبى تأكيد و زاد ابن حجر للمبالغة و الا فالنظر لا يكون بغير العين اه و هو موهم انه من باب رأيته بعينى و ليس كذلك فانه قد يكون النظر باحدى العينين و قد يكون بهما (مع الماء) أى مع انفصاله و الجملة المجرورة المحل صفة الخطيئة مجازا و كذا أخواته (أو مع آخر قطر الماء) قيل أو لشك الراوى و قيل لاحد الامرين و القطر اجراء الماء و انزال قطره (فاذا غسل يديه خرج من يديه) أى ذهب و محى (كل خطيئة كان بطشتها) أى أخذتها (يداه) كملامسة المحرمة قال الطيبى قوله يداه للتأكيد و فيه ما سبق (مع الماء أو مع آخر قطر الماء فاذا غسل رجليه خرج كل خطيئة مشتها) الضمير للخطيئة و نصبت بنزع الخافض أى مشت بها الى الخطيئة أو يكون مصدرا أى مشت المشية كقوله عليه الصلاة والسلام واجعله الوارث أى اجعل الجعل (رجلاه) قال الطيبى تأكيد و فيه ما تقدم (مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب) أى ذنوب أعضاء الوضوء أو جميع الذنوب من الصغائر و قال ابن الملك أى يفرغ المتوضئ من وضوئه طاهرا من الذنوب أى التى اكتسبها بهذه الاعضاء و الحديث يدل على ان المغفور ذنوب أعضائه المغسولة فالتوفيق بينه و بين الحديث المتقدم ان غفران جميع الجسد يكون عند التوضؤ بالتسمية يشير اليه احسان الوضوء و غفران أعضاء الوضوء يكون عند عدم التسمية اه و فيه أنه ليس فى الحديث المتقدم نص على غفران جميع الذنوب لان قوله من جسده يحتمل جميع بدنه أو أعضاء الوضوء يشير اليه حتى تخرج من تحت أظفاره و الله أعلم هذا و قال الطيبى فان قيل ذكر لكل عضو ما يخص به من الذنوب و ما يزيلها عن ذلك و الوجه مشتمل على العين و الانف و الاذن فلم خصت العين بالذكر أجيب بأن العين طليعة القلب ورائده فاذا ذكرت أغنت عن سائرها و يعضده الخبر الآتى فاذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من أشفار عينيه اه و يمكن أن يقال ان الانف و اللسان بالمضمضة و الاستنشاق و الاذن بالمسح فيتعين العين و سيأتى فى الفصل الثالث ما هو كالتصريح بذلك أو يقال خصت العين لئلا يتوهم عدم خروج ذنوبها لعدم غسل داخلها و الله أعلم ثم رأيت ابن حجر ذكر ما يؤيد قولى حيث قال بعد نقل كلام الطيبى و جعل الاذن من الوجه غير صحيح عندنا بل هى ليست من الوجه و لا من الرأس و خبر الاذنان من الرأس ضعيف و كون العين طليعة كما ذكر لا ينتج الجواب عن تخصيص خطيئتها بالمغفرة كما هو جلى

رواه مسلم وعن عثمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوأها و خشوعها و ركوعها الا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يؤت كبيرة و ذلك الدهر كله

بل الذى يتجه فى الجواب عن ذلك ان سبب التخصيص هو ان كلا من الفم و الانف و الاذن له طهارة مخصوصة خارجة عن طهارة الوجه فكانت متكفلة باخراج خطاياه بخلاف العين فانه ليس لها طهارة الا فى غسل الوجه فخصت خطيئتها بالخروج عند غسله دون غيرها مما ذكر فتأمله اه و قوله خبر الاذنان ضعيف ضعيف لما رواه ابن ماجه باسناد صحيح عن عبد الله بن زيد و الدارقطنى باسناد صحيح عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الاذنان من الرأس أى حكمهما اذ لم يبعث لبيان الخلقة وقد نص ابن القطان على صحته أيضا (رواه مسلم و عن عثمان) رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من امرئ مسلم) من زائدة لتأكيد النص على العموم (تحضره صلاة مكتوبة) أى مفروضة أى يأتى وقتها أو يقرب دخول وقتها (فيحسن وضوأها) بأن يأتى بفرائضه وسننه (وخشوعها) باتيان كل ركن على وجه هو أكثر تواضعا و اخباتا أو خشوعها خشية القلب و الزام البصر موضع السجود و جمع الهمة لها و الاعراض عما سواها و من الخشوع أن يتوق كف الثوب و الالتفات و العبث و التثاؤب و التغميض و نحوها و فيه ايماء الى قوله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون وهو يكون فى الظاهر و الباطن ولذا قال عليه الصلاة والسلام لمن كان يعبث فى الصلاة بلحيته أو ثوبه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه (وركوعها) قال التوربشتى اكتفى بذكر الركوع عن السجود لانهما ركنان متعاقبان فاذا حث على احسان أحدهما حث على الآخر و فى تخصيصه بالذكر تنبيه على أن الامر فيه أشد فانتقر الى زيادة توكيد لان الراكع يحمل نفسه فى الركوع و يتحامل فى السجود على الارض و قيل الاولى أن يقال انما خص الركوع بالذكر دون السجود لاستتباعه السجود اذ لا يستقل عبادة وحده بخلاف السجود فانه يستقل عبادة كسجدة التلاوة و الشكر كذا نقله السيد قال القاضى و غيره تخصيص الركوع لانه من خصائص المسلمين فاراد التحريض عليه و لعل هذا فى الاغلب لقوله تعالى فى شأن مريم واسجدى واركعى مع الراكعين قيل أمرت أن تركع مع الراكعين ولا تكن مع من لا يركع كذا ذكره الطيبى و قيل معناه انقادى و صلى مع المصلين فحينئذ لا اشكال (الا كانت) أى الصلاة (كفارة) أى ساترة (لما قبلها) أى لجميع ما قبلها (من الذنوب) و اذا أتى الكبيرة لم يكن كفارة للجميع ولذا قال (ما لم يؤت) بكسر التاء معلوما من الايتاء و قيل مجهول أى ما لم يعمل (كبيرة) بالنصب لا غير كان الفاعل يعطى العمل من نفسه أو يعطيه غيره من الداعى أو المحرض عليه أو الممكن له منه فهو على حد ثم سئلوا الفتنة لآتوها بالمد لاعطوها من أنفسهم و فى نسخة ما لم يأت من الاتيان كما فى المصابيح أى ما دام لم يعمل كبيرة قال التوربشتى اثبات يأت على بناء الفاعل فى كتاب المصابيح غير صحيح لان الحديث من مفاريد مسلم ولم يروه الا من الايتاء و ان كان لم يأت أوضح معنى من قولهم أتى فلان منكرا لكن المعتمد من جهة الرواية الايتاء و منهم من يروى على بناء المفعول و المعنى ما لم يعمل كبيرة و وضع الايتاء موضع العمل لان العامل يعطى العمل من نفسه و يحتمل أن يكون معنى بناء المفعول ما لم يصب بكبيرة من قولهم أتى فلان فى بدنه أى أصابته علة كذا ذكره الطيبى (وذلك) أى التكفير بسبب الصلاة و الواو للحال و ذوالحال مستتر فى خبر كانت و هو كفارة قاله الطيبى و الاظهر أن الواو استئنافية (الدهر) بالنصب على الظرفية و محله الرفع على الخبرية أى حاصل فى جميع الدهر (كله) تأكيد له أى لا وقت دون وقت قال الاشرف المشار اليه اما تكفير

رواه مسلم وعنه انه توضأ فافرغ على يديه ثلاثا ثم تمضمض واستنثر ثم غسل وجهه ثلاثا ثم غسل يده اليمنى الى المرفق ثلاثا ثم غسل يده اليسرى الى المرفق ثلاثا ثم مسح برأسه ثم غسل رجله اليمنى ثلاثا ثم اليسرى ثلاثا ثم قال رأيت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم توضأ نحو وضوئى هذا ثم قال من توضأ وضوئى هذا ثم يصلى ركعتين

الذنوب أى تكفير الصلاة المكتوبة الصغائر لايختص بفرض واحد بل فرائض الدهر تكفر صغائره و اما معنى مالم يؤت أى عدم الاتيان بالكبيرة فى الدهر كله مع الاتيان بالمكتوبة كفارة لما قبلها و اما ما قيل أى المكتوبة تكفر ما قبلها ولو كان ذلك ذنوب العمر والوجه هو الاول لما ورد الصلوات الخمس مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر و انتصب الدهر بالظرفية أى و ذلك مستمر فى جميع الدهر قال الامام النووى معنى قوله كفارة لما قبلها الخ أن الذنوب كلها تغفر الا الكبائر فانها لاتغفر و ليس المعنى ان الذنوب تغفر مالم تكن كبيرة فان كانت كبيرة لايغفر شئ من الصغائر فان كان محتملا فلا يذهب اليه و قال العلماء ان هذا الحديث وما أشبهه صالح للتكفير فان وجد ما يكفره من الصغائر كفره و ان صادف كبيرة ولم يصادف صغيرة يعنى غير مكفرة رجونا أن يخفف من الكبائر والا كتب له به حسنات و رفع به درجات كذا ذكره الطيبى و قول الاشرف أى المكتوبة تكفر ما قبلها ولو كان ذلك ذنوب العمر غير صحيح على اطلاقه فتأمله (رواه مسلم و عنه) أى عن عثمان (انه توضأ فافرغ) من الافراغ عطف على سبيل البيان على المبين أى صب الماء (على يديه ثلاثا) أى فغسلهما الى رسغيه (ثم تمضمض) أى ردد الماء فى فمه (و استنثر) قال النووى الجمهور على ان الاستنثار هو اخراج الماء من الانف بعد الاستنشاق و هو جذب الماء بالنفس الى الاقصى و يدل عليه الرواية الاخرى استنشق و استنثر فجمع بينهما و هو مأخوذ من النثرة طرف الانف و قد أجمعوا على كراهة الزيادة على الثلاثة المستوعبة للعضو و اذا لم يستوعب الابغرفتين فهى واحدة ولم يذكر العدد فى مسح الرأس فالظاهر الاكتفاء بالمرة الواحدة اه وهو مذهب الجمهور ولان تكرار المسح يفضى الى الغسل (ثم غسل وجهه ثلاثا) والظاهر أنه قيد لكل من الثلاثة (ثم غسل يده اليمنى الى المرفق) بكسر الميم وفتح الفاء وضبط بالعكس أيضا (ثلاثا ثم غسل يده اليسرى الى المرفق ثلاثا) مراعاة للترتيب و التيامن و الى بمعنى مع عند الجمهور (ثم مسح برأسه) أى ببعضه أو كله و الظاهر الاخير (ثم غسل رجله اليمنى ثلاثا ثم اليسرى ثلاثا) و ليست ثم فى هذه المواضع للتراخى المنافى للموالاة بل لمجرد التعقيب (ثم قال رأيت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم توضأ نحو وضوئى هذا) لم يقل مثله لان حقيقة مماثلة وضوئه عليه‌الصلاة والسلام لايقدر عليها غيره هذا كلام النووى و أغرب ابن حجر فى تعقبه بقوله و قوله عليه‌الصلاة‌والسلام من توضأ وضوئى هذا أى مثله صريح فى رده على انه لايلزم من المماثلة فى شئ المماثلة فى جميع أوصافه اه و هو غيرصريح بل غيرصحيح لان كلام النووى انه آثر عثمان رضى‌الله‌تعالى‌عنه لفظ نحوه على مثله لانه نص على نفى المماثلة الحقيقية بخلاف مثله فانه قد يستعمل فى الحقيقة بل فى الاغلب سيما عند المحدثين فانه اذا قيل روى مثله أى لفظا و معنى واذا قيل روى نحوه أى معنى لالفظا و أما قوله عليه‌الصلاة‌والسلام من توضأ وضوئى هذا ليس المراد الا نحوه بالاجماع فتقدير مثله منه مردود بلا نزاع فان عثمان مع جلالته اذا عجز عن الاتيان بمثله فيرضى كل أحد أن يأتى بنحوه فان الاحاطة بجميع سننه عليه‌الصلاة‌والسلام تعز على أكثر المتفقهة و المتصوفة فضلا عن العوام و السوقة (ثم قال) أى النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم حين فرغ من وضوئه (من توضأ نحو وضوئى هذا) أى جامعا لفرائضه و سننه (ثم يصلى ركعتين) فيه استحباب ركعتين عقيب كل وضوء ولو صلى فريضة حصلت له هذه الفضيلة كما

لايحدث نفسه فيهما بشئى غفرله ما تقدم من ذنبه متفق عليه و لفظه للبخارى و عن عقبة بن عامر قال
قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوأه ثم يقوم فيصلى ركعتين مقبلا عليهما
بقلبه و وجهه الاوجبت له الجنة رواه مسلم و عن عمر بن الخطاب رضى‌الله‌عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله
عليه‌وسلم ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول أشهدأن‌لااله‌الاالله‌وأن‌محمداعبده‌ورسوله

تحصل تحية المسجد بذلك (لايحدث نفسه) أى لايكلمها (فيهما بشئى) من أمور الدنيا وما لايتعلق بالصلاة ولو عرض له حديث فاعرض عنه عفى له ذلك و حصلت له الفضيلة لانه تعالى عفا عن هذه الامة الخواطر التى تعرض ولاتستقر كذا قاله الطيبى و قيل أى بشئى غير ما يتعلق بما هو فيه من صلاته و ان تعلق بالآخرة و قيل بشئى من أمور الدنيا لان عمر رضى‌الله‌تعالى‌عنه كان يجهز الجيش و هو فى الصلاة يعنى يكون قلبه حاضرا و قيل معناه اخلاص الصلاة لله يعنى لاتكون صلاته للرياء و الطمع (غفرله) بصيغة المجهول (ما تقدم من ذنبه) أى من الصغائر و يفهم منه أن الغفران مرتب على الوضوء مع الصلاة ومن الحديث المتقدم ترتبه على مجرد الوضوء لمزيد فضله قال ابن الملك و فيه ان للصلاة مزية على الوضوء دون العكس كما هو ظاهر مقرر فانه وسيلة و شرط لها و يمكن أن يقال كل منهما مكفر أو الوضوء المجرد مكفر لذنوب أعضاء الوضوء و مع الصلاة مكفر لذنوب جميع الاعضاء أو الوضوء مكفر للذنوب الظاهرة و مع الصلاة مكفر للذنوب الظاهرة و الباطنة و الله أعلم (متفق عليه و لفظه للبخارى و عن عقبة بن عامر قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوأه) أغرب ابن حجر و قال أى بان يأتى بواجباته و يحتمل و مكملاته اه فان احسان الوضوء بعد التوضؤ لايحتمل غير المكملات مع ان فى لفظة الاحسان دلالة عليه و اشارة اليه (ثم يقوم) أى حقيقة أو حكما سيما اذا كان يعذر فاطلاقه جرى على الغالب لأنه قيد احترازى و ثم للترق (فيصلى ركعتين مقبل عليهما) أى على الركعتين (بقلبه) أى باطنه (و وجهه) أى ظاهره أو ذاته قال الطيبى مقبل وجد بالرفع فى الاصول و فى بعض النسخ مقبلا منصوبا على الحال يعنى حال كونه متوجها وكونه مرفوعا مشكل لانه اما صفة لمسلم على أن من زائدة ففيه فصل و اما خبر مبتدأ محذوف و الجملة حال و هو أيضا بعيد لعدم الواو الا أن يجعل من قبيل فوه الى فى و الاولى أنه فاعل تنازع فيه الفعلان من باب التجريد مبالغة اه و الاظهر انه صفة مسلم و ليس الفصل أجنبيا (الاوجبت له الجنة) أى انه تعالى يدخل الجنة بفضله بحيث لايخالف وعده ألبتة كمن وجب عليه شئى (رواه مسلم و عن عمر بن الخطاب) رضى‌الله‌تعالى‌عنه (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ما منكم) من بيانية و قيل تبعيضية و هو حال على ضعف (من أحد) الذى هو مبتدأ على رأى سيبويه و من زائدة (يتوضأ فيبلغ) من الابلاغ (أو فيسبغ) من الاسباغ و أو للشك (الوضوء) بفتح الواو و قيل بالضم أى ماء الوضوء و أغرب ابن حجر هنا أيضا حيث قال ان يأتى بواجباته و يحتمل مكملاته اه لان عطف الابلاغ و الاسباغ على التوضؤ لايكون الا بارادة المكملات فان أصل الوضوء لايتصور بدون الواجبات (ثم يقول) أى عقيب وضوئه (أشهدأن‌لااله‌الاالله‌وان‌محمداعبده‌ورسوله) قال الطيبى قول الشهادتين عقيب الوضوء اشارة الى اخلاص العمل لله وطهارة القلب من الشرك و الرياء بعد طهارة الاعضاء من الحدث و الخبث قال الامام النووى يستحب أن يقال عقيب الوضوء كلمتا الشهادة و هذا متفق عليه و ينبغى أن يضم اليهما ما جاء فى رواية الترمذى اللهم اجعلنى من التوابين و اجعلنى من المتطهرين و يضم اليه ما رواه النسائى فى كتاب عمل اليوم و الليلة مرفوعا سبحانك اللهم و بحمدك أشهدأن‌لااله‌الا أنت أستغفرك و أتوب اليك

و فى رواية أشهد أن لااله الاالله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء هكذا رواه مسلم فى صحيحه والحميدى فى أفراد مسلم وكذا ابن الاثير فى جامع الاصول و ذكر الشيخ محيى الدين النووى فى آخر حديث مسلم على ما رويناه وزاد الترمذى اللهم اجعلنى من التوابين و اجعلنى من المتطهرين و الحديث الذى رواه محيى السنة فى الصحاح من توضأ فاحسن الوضوء الى آخره رواه الترمذى فى جامعه بعينه الا كلمة أشهد قبل أن محمدا وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أمتى يدعون يوم القيامة غرا محجلين

قال أصحابنا و تستحب هذه الاذكار للمغتسل أيضا اه (و فى رواية) أى لمسلم (أشهد أن لااله الاالله وحده) أى واحدا بالذات منفردا بالصفات (لاشريك له) فى ذاته وصفاته (وأشهد) ولعل تكراره هنا لطول الفصل (أن محمدا عبده) الافضل (و رسوله) الاكمل (الافتحت) بالتخفيف و التشديد (له أبواب الجنة الثمانية) بالرفع (يدخل من أيها شاء) الاظهر أنها استئنافية لصحة قيام ليدخل مقامها قيل فيخير اظهارا لمزيد شرفه لكنه لايلهم الاالاختيار الدخول من الباب المعد لعاملى نظير ما غلب عليه من أعماله كالريان للصائمين (هكذا رواه مسلم فى صحيحه و الحميدى فى أفراد مسلم وكذا ابن الاثير فى جامع الاصول و ذكر الشيخ محيى الدين) لاينافى ما نقل عنه أنه قال لاأجعل فى حل من يسمينى محيى الدين لان ذلك منه انما هو من باب التواضع (النووى) بواوين ليس بينهما ألف و بعضهم يقولون النواوى بالالف و الاول هو القياس لانه منسوب الى نوى قرية قريب دمشق كذا قال ابن حجر (فى آخر حديث مسلم على ما رويناه) متعلق عليه بآخر و هو معلوم و قيل مجهول أى على وقفه (و زاد الترمذى) هذا مذكور النووى (اللهم اجعلنى من التوابين) أى للذنوب و الراجعين عن العيوب و ليس فيه دعاء صريحا ولالزوما باكثار وقوع الذنوب منه بل بالِه اذا وقع منه ذنب الهم التوبة عنه و ان كثر و فيه تعليم للامة كما ورد كلكم خطاؤن و خير الخطائين التوابون و قال تعالى ان الله يحب التوابين أى الذين لم يرجعوا عن باب مولاهم ولم يقنطوا من رحمة الله (واجعلنى من المتطهرين) أى بالخلاص من تبعات الذنوب السابقة و عن التلوث بالسيآت اللاحقة أو من المتطهرين من الاخلاق الذميمة فيكون فيه اشارة الى أن طهارة الاعضاء الظاهرة لما كانت بيدنا طهرناها و أما طهارة الاحوال الباطنة فانما هى بيدك فانت طهرها بفضلك وكرمك (و الحديث الذى رواه محيى السنة) رحمه الله تعالى (فى الصحاح من توضأ فاحسن الوضوء الى آخره) قال ابن الملك ثم قال أشهد أن لااله الاالله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اللهم اجعلنى من التوابين و اجعلنى من المتطهرين فتحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء رواه عقبة بن عامر كذا فى المصابيح اه (رواه الترمذى فى جامعه بعينه الاكلمة أشهد قبل أن محمدا) والحاصل ورود الاعتراض على صاحب المصابيح حيث ذكر رواية الترمذى فى الصحاح لايهامها أنه كله فى أحد الصحيحين أو كليهما و ليس كذلك قال فى الازهار هذا حديث مضطرب و منقطع و الحاق الضعيف بالصحيح غير مقبول مع تغيير العبارة لفظا و معنى (و عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أمتى) يعنى أمة الاجابة بل الخواص منهم وهم أهل العبادة (يدعون يوم القيامة) أى يسمون (غرا محجلين) و قيل ينادون أيها الغر المحجلون هلموا الى الجنة و قيل يدعون على رؤس الاشهاد أو يطلبون الى الموقف أو الى الجنة حال كونهم غرا محجلين قال الاشرف الغر جمع الاغر و هو الابيض الوجه و المحجل من الدواب التى قوائمها بيض مأخوذ من الحجل و هو القيد كانها مقيدة بالبياض و أصل هذا فى الخيل و معناه أنهم اذا دعوا على رؤس الاشهاد أو الى

من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل متفق عليه و عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وسلم تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء رواه مسلم * (الفصل الثانى) عن ثوبان

الجنة كانوا على هذه الصفة و انتصابهما على الحال اذا كان يدعون بمعنى ينادون أو يطلبون و يحتمل أن يكون غرا مفعولا ثانيا ليدعون بمعنى يسمون كما يقال فلان يدعى ليثا و المعنى أنهم يسمون بهذا الاسم لما يرى عليهم من آثار الوضوء و المعنى هو الاول و يدل عليه قوله عليه‌الصلاة‌والسلام يأتون يوم القيامة غرا محجلين لانها العلامة الفارقة بين هذه الامة و سائر الامم و قيل لايبعد التسمية باعتبار الوصف الظاهر كما يسمى رجل به حمرة أحمر للمناسبة و هو أظهر لان القصد هو الشهرة و التمييز (من آثار الوضوء) بفتح الواو وهو الماء الذى وصل الى أعضاء المتوضئ و قيل بالضم قال فى الازهار و يجوز فتحها لكن الفتح هو أصل السيد و هو أظهر معنى (فمن استطاع منكم أن يطيل غرته) أى و تحجيله بايصال الماء الى أكثر من محل الفرض و حذف اكتفاء (فليفعل) قال المنذرى قوله فمن استطاع الخ مدرج من كلام أبى‌هريرة موقوف عليه ذكره غير واحد من الحفاظ اه و قال العسقلانى قال أبو نعيم لا أدرى قوله من استطاع الخ من قول النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم أو من قول أبى‌هريرة ولم أر هذه الجملة فى رواية أحمد ممن روى هذا الحديث من الصحابة وهم عشرة ولا ممن رواه عن أبى هريرة غير رواية أبى نعيم هذه و قول ابن حجر و دعوى أن فمن الخ من كلام أبى هريرة فلايسن غرة ولاتحجيل يردها أنه لم‌يصح ما يدل على الادراج و الاصل عدمه اذ لوكان ثمة ادراج لبينه أبو هريرة فى طريق من الطرق و احتماله لايجدى بل لابد من تحققه كلام من ليس عنده تحقق من اصطلاح المحققين من المحدثين و الاصوليين المستدلين أما أولا فلان كون قوله فمن استطاع الخ من كلام أبى‌هريرة لايلزم منه أن لايسن غرة ولاتحجيل فان استحبابه علم من قوله عليه‌الصلاة‌والسلام يدعون غرا محجلين و يعلم اطالته من الحديث الآتى و أما ثانيا فلان حفاظ الحديث اذا قالوا فى كلام انه مدرج أو موقوف وجب على الفقهاء متابعتهم بل اذا ترددوا أنه موقوف أو مرفوع فلايصح جعله مرفوعا مجزوما به مرتبا عليه المسئلة الفقهية و أما ثالثا فلان قوله لبينه أبو هريرة غير متجه اذ الكلام أنه من قوله فكيف يبين أنه قوله أو قول غيره و انما بينه من بعده و يكفى تردد من رواه عنه بغير واسطة و هو نعيم أنه من قوله موقوفا أو مرفوعا مع ما يدل عليه من شذوذه و انفراده عمن روى عن أبى هريرة و عن سائر الطرق الواصلة الى حد العشرة الكاملة (متفق عليه وعنه) أى عن أبى هريرة (قال قال رسول‌الله‌صلى‌الله عليه‌وسلم تبلغ الحلية) أى البياض و قيل الزينة فى الجنة (من المؤمن حيث يبلغ الوضوء) بالفتح أى ماؤه و قيل بالضم قال الطيبى ضمن يبلغ معنى يتمكن وعدى بمن أى تتمكن من المؤمن الحلية مبلغا يتمكنه الوضوء منه قال النووى قد استدلوا بالحديثين على أن الوضوء من خصائص هذه الامة و قال آخرون ليس الوضوء مختصا و انما المختص الغرة و التحجيل لقوله عليه‌الصلاة‌والسلام هذا وضوئى و وضوء الانبياء من قبلى ورد بانه حديث معروف الضعف على أنه يحتمل اختصاص الانبياء دون الامم لكن ورد فى صحيح البخارى و غيره أن سارة و جريجا توضآ فينبغى أن تختص الغرة و التحجيل بالانبياء و بهذه الامة من بين سائر الامم و الله أعلم (رواه مسلم)

* (الفصل الثانى عن ثوبان) * مولى رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال المؤلف هو ثوبان بن بجدد بضم الباء الموحدة وسكون الجيم وضم الدال المهملة الاولى أبو عبدالله اشتراه رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم و أعتقه ولم‌يزل معه سفرا وحضرا الى أن توفى النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم فخرج الى الشام فنزل الى الرملة ثم انتقل

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استقيموا و لن تحصوا و اعلموا أن خير أعمالكم الصلاة و لايحافظ على الوضوء الا مؤمن رواه مالک و أحمد و ابن ماجه و الدارمی و عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ على طهر كتب له عشر حسنات رواه الترمذی * (الفصل الثالث) *
عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الجنة الصلاة و مفتاح الصلاة الطهور رواه أحمد
و عن شبيب بن أبى روح

الى حمص و توفى بها سنة أربع و خمسين روى عنه خلق كثير (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استقيموا) قال القاضى الاستقامة اتباع الحق و القيام بالعدل و ملازمة المنهج المستقيم و ذلک خطب جسيم ذكره الطيبى و قال بعضهم و الأمر بالمستطاع منه قال تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها و بين بقوله (و لن تحصوا) أى لن تطيقوا أن تستقيموا حق الاستقامة لان ذلک خطب عظيم و توفية حقها على الدوام عسير و كان القصد فيه التنبيه للمكلفين على رؤية التقصير من أنفسهم و تحريضهم على الجد لكيلا يتكلوا على ما يأتون به و لايغفلوا عنه و لاييأسوا من رحمته فيما يذرون عجزا لاتقصيرا و قيل لن تحصوا أى ثوابها من الاحصاء و هو العد قال الطيبى الاحصاء التحصيل بالعد مأخوذ من الحصى لاستعمالهم ذلک فيه كاعتمادنا على الاصابع اه و قيل المعنى لن تطيقوا و لكن ابذلوا جهدكم فى طاعة الله بقدر ما تطيقون و هو اعتراض بين المتعاطفين للرد على من يتوهم أنه ببذل جهده يصل الى غايتها (و اعلموا أن خير أعمالكم) أى أفضلها و أتمها دلالة على الاستقامة (الصلاة) أى المكتوبة أو جنسها لان فيها من كل عبادة شيأ كالقراءة و التسبيح و التكبير و ترك الاكل و الشرب و غير ذلک فهى أم العبادات و ناهية للسيآت (و لا يحافظ) قال الطيبى جملة تذييلية أى لايواظب (على الوضوء) حقيقة أو حكما ليشمل حالة النوم (الا مؤمن) المراد الجنس و التنوين للتعظيم أى لا يداوم عليه الا مؤمن كامل فى ايمانه دائم الشهود بقلبه و بدنه فى حضرة ربه لان الحضور فى الحضرة القدسية بدون الطهارة الحسية بعيد من الآداب بل صاحبه يستحق أن يطرد من الباب (رواه مالک و أحمد و ابن ماجه و الدارمى) و كذا الحاكم و البيهقى عن ثوبان و رواه ابن ماجه أيضا و الطبرانى عن ابن عمرو و الطبرانى أيضا عن سلمة بن الاكوع و رواه ابن ماجه عن أبى أمامة و الطبرانى عن عبادة و لفظهما استقيموا و نعما ان استقمتم و خير أعمالكم الصلاة الحديث (و عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ على طهر كتب له عشر حسنات) فى شرح السنة تجديد الوضوء مستحب اذا كان قد صلى بالوضوء الاول صلاة و كرهه قوم اذا لم يصل بالاول صلاة ذكره الطيبى و قال ابن الملک و ان لم يصل فلايستحب قلت و الظاهر أن فى معناها الطواف و التلاوة و لعل سبب الكراهة هو الاسراف (رواه الترمذى) و قال اسناده ضعيف و رواه أبو داود و ابن ماجه .

* (الفصل الثالث عن جابر) * رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الجنة الصلاة) أى مفتاح درجاتها و الا فقد تقدم ان مفتاحها كلمة التوحيد (و مفتاح الصلاة الطهور) بالضم و يفتح أى مفتاحها الاعظم فانه من جملة شروطها قال الطيبى فكما لاتتأتى الصلاة بدون الوضوء كذلک لايتهيأ دخول الجنة بدون الصلاة و فيه دليل لمن يكفر تارک الصلاة و انها الفارقة بين الايمان و الكفر و قال غيره هو حث عليها و انها مما لايستغنى عنها قط فانها من أسباب دخول الجنة أولا من غير سابقة عذاب (رواه أحمد) قال ابن حجر بسند حسن و قال ميرک و رواه أبو داود و فى اسناده أبو يحيى القتات قلت و رواه البيهقى على ما فى الجامع الصغير (و عن شبيب بن أبى روح) و فى

عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الصبح فقرأ الروم فالتبس عليه فلما صلى قال ما بال أقوام يصلون معنا لايحسنون الطهور و انما يلبس علينا القرآن أولئك رواه النسائى و عن رجل من بنى سليم قال عدهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يدى أو فى يده قال التسبيح نصف الميزان و الحمد لله يملأه و التكبير يملأ ما بين السماء و الأرض و الصوم نصف الصبر و الطهور نصف الايمان

نسخة بدون ابن قال فى جامع الاصول أبو روح شبيب بن نعيم و يقال ابن أبى روح وحاظى من أهل حمص من تابعى الشاميين روى عن أبى هريرة و هو صالح الحديث مع قلته و روح بفتح الراء و الحاء المهملة و نعيم بضم النون اه و شبيب كحبيب و فى التقريب شبيب بن نعيم أبو روح ثقة من الثالثة و أخطأ من عده فى الصحابة اه و العجب من المؤلف انه لم يذكره فى أسمائه لا فى التابعين و لا فى الصحابة (عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) و كلهم عدول و لذا جهالته لاتضر روايته و قال ميرك اسمه أغر الغفارى (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الصبح فقرأ) أى فيها (الروم) أى سورة الروم كلها أو بعضها فى ركعة أو ركعتين (فالتبس) أى القرآن أو الروم يعنى قراءته اشتبهت (عليه فلما صلى) أى فرغ من الصلاة (قال ما بال أقوام) أى ما حال جماعات (يصلون معنا لا يحسنون الطهور) بالضم و يفتح أى لايأتون بواجباته و سننه قال الطيبى قد تقدم معنى احسان الوضوء فى الفصل الاول و فيه اشارة الى أن السنن و الآداب مكملات للواجب يرجى بركتها و فى فقدانها سد باب الفتوحات الغيبية و ان بركتها تسرى الى الغير كما أن التقصير فيها يتعدى الى حرمان الغير تأمل أيها الناظر اذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأثر من مثل تلك الهيئة فكيف بالغير من صحبة أهل البدعة أعاذنا الله و رزقنا صحبة الصالحين (و انما يلبس) بالتشديد (علينا القرآن) أى يخلطه و يغلطه (أولئك) أى الذين لايحسنون الطهور من المنافقين أو غيرهم (رواه النسائى) قال ابن حجر بسند حسن (و عن رجل) أى من الصحابة (من بنى سليم) مصغرا (قال عدهن) أى الخصال الآتية فهو ضمير مبهم يفسره ما بعده كقوله تعالى فسواهن سبع سموات و المفسر هنا قوله التسبيح الخ (رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يدى) أى أخذ أصابع يدى و جعل يعقدها فى الكف خمس مرات على عد الخصال لمزيد التفهيم و الاستحضار (أو فى يده) شك من الراوى (قال) أى النبى صلى الله عليه وسلم و يجوز رجعه الى الراوى تفسيرا للضمير المبهم (التسبيح) أى ثوابه أو نفسه باعتبار جسمه (نصف الميزان و الحمد لله تملأه) بالتذكير و التأنيث أى الميزان كله أو نصفه الآخر و الاول أظهر قال الطيبى جعل الحمد ضعف التسبيح لانه جامع لصفات الكمال من الثبوتية و السلبية و التسبيح من السلبية (و التكبير يملأ) بالتذكير والتأنيث (ما بين السماء و الارض) أى جنسيهما يعنى ثوابه ان قدر جسما يملأهما و قال الطيبى التكبير أن ينفى عن الغير صفة الكبرياء و العظمة لان أفعل محمول على المبالغة و الكبرياء مختص بالله تعالى فيمتلئ العارف عند ذلك هيبة و جلالا فلا ينظر الى ما سواه اه و الاظهر انه يشاهد كبرياءه فى الآفاق و الانفس (و الصوم نصف الصبر) و هو الصبر على الطاعة فبقى النصف الآخر عن المعصية أو المصيبة أو الصوم صبر عن الحلق و الفرج فبقى نصفه الآخر من الصبر عن سائر الاعضاء و لا يظهر وجه ما قال ابن حجر كان وجهه ان الصبر اما بالباطن و اما بالظاهر و الصوم جامع لصبر الباطن بحفظه عن تعاطى أكثر الشهوات فجعل نصفا لذلك اه و من المعلوم أن الصبر من أحوال الباطن لا غير (و الطهور نصف الايمان) و هذا

رواه الترمذى و قال هذا حديث حسن و عن عبد الله الصنابحى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توضأ العبد المؤمن فمضمض خرجت الخطايا من فيه و اذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه و اذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه فاذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفار يديه فاذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه

تفسير للشطر فى الحديث السابق (رواه الترمذى و قال هذا حديث حسن و عن عبد الله الصنابحى) بضم الصاد و تخفيف النون و بالباء الموحدة و الحاء المهملة منسوب الى صنابح بن طاهر بطن من مراد و حديثه انه هاجر من قبل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم فوصل الى الجحفة فبلغته وفاته عليه الصلاة والسلام و المعروف فيما ذكره البخارى فى تاريخه و مسلم فى كتاب الكنى و غيرهما فى نسبة عبد الرحمن ابن عسيلة أبو عبد الله الصنابحى و عسيلة بضم المهملة ثم فتح المهملة ثم سكون الياء كذا فى جامع الاصول و قال المصنف قيل أبو عبد الله و قال ابن عبد البر عندى ان الصنابحى أبو عبد الله التابعى لا الصحابى قال و أبو عبد الله الصنابحى غير معروف فى الصحابة و الصنابحى قد أخرج حديثه فى المؤطأ مالك ابن أنس و النسائى فى سننه اه قال و قال الترمذى هو الذى روى عن أبى بكر ليس له سماع من النبى صلى الله عليه وسلم اسمه عبد الرحمن بن عسيلة و يكنى أبا عبد الله اه فتحصل ان الصحيح انه أبو عبد الله و انه تابعى فكان حق المؤلف أن يقول مرسلا (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توضأ العبد المؤمن) أى أراد الوضوء (فمضمض) أى غسل فمه فى مختصر النهاية المضمضة المصمصة و قيل المهملة بطرف اللسان و المعجمة بالفم كله و فى القاموس المضمضة أى بالمعجمة تحريك الماء فى الفم فزيادة النقطة لافادة النكتة فالتعبير بالمضمضة يفيد المبالغة فى التطهير (خرجت الخطايا من فيه) أى بعض الخطايا أو الخطايا المتعلقة بالفم و هو الظاهر و هى مقيدة بالصغائر كما تقدم (و اذا استنثر) أى غسل أنفه و بالغ فى الاستنشاق قال الطيبى خص الاستنثار لان القصد خروج الخطايا و هو مناسب للاستنثار لانه اخراج الماء من أقصى الانف و قال ابن حجر و يخدشه التعبير بالمضمضة و هى لا تستلزم اخراج ماء لحصول أصل سنتها و ان ابتلعه فيستفاد منها حصول التكفير و ان لم يخرج و كذا الاستنشاق فالتعبير بالاستنثار يحتمل أنه لانه الغاية المطلوبة من الاستنشاق اذ هو اخراج الماء من أقصى الانف المستلزم لمزيد تنظيفه من اقذاره التى لا يستقصى اخراجها كلها الا به اه و أنت تعلم ان كلام الطيبى لا ينافى ما ذكره بل هو عينه مع زيادة النكتة المناسبة للمقام و لا يلزم اطرادها مع أنه قد يقال لما كان الغالب على الناس فى المضمضة اخراج الماء من الفم اكتفى به بخلاف الاستنشاق فعبر عنه بالاستنثار (خرجت الخطايا) كشم ما لا يجوز له (من أنفه) أى مع الماء (و اذا) و فى نسخة بالفاء (غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت اشفار عينيه) أى أهدابهما قال ابن حجر و مر أن الخطايا انما تخرج من عينيه فقط و جعل الخروج منها هنا غاية يقتضى خلاف ذلك الا أن يجاب بان ما هنا على سبيل الفرض ان اكتسب بما عدا فمه و أنفه و عينه من بقية وجهه خطيئة خرجت بغسله اه و فيه انه كان يلائمه حينئذ أن يقول من ذقنه (فاذا) هنا و فيما بعد بالفاء لا غير (غسل يديه) أى الى المرفقين (خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفار يديه فاذا مسح برأسه) ظاهره الاستيعاب (خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه) بضم الذال و سكونها و فيه دليل لابى حنيفة من أن الاذنين من الرأس و انهما يمسحان بمائه لا بماء جديد كما قاله الشافعى و تكلف له

فاذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من أظفار رجليه ثم كان مشيه الى المسجد و صلاته نافلة له رواه مالک و النسائی و عن أبی هريرة أن رسول‌الله‌صلی‌الله‌علیه‌وسلم أتى المقبرة فقال السلام‌عليكم دار قوم مؤمنين و انا ان شاء الله بكم لاحقون وددت أنا قد رأينا اخواننا قالوا أو لسنا اخوانک يا رسول‌الله قال أنتم أصحابی و اخواننا الذين لم‌يأتوا بعد فقالوا كيف تعرف من لم‌يأت بعد من أمتک يا رسول‌الله فقال أرأيت لو أن رجلاله خيل غرمحجلة بين ظهری خيل

ابن حجر بما ينبوعنه السنح (فاذا غسل رجليه) أی الى الكعبين (خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه ثم كان مشيه الى المسجد و صلاته) سواء كانت فريضة أو نافلة (نافلة له) أی زائدة على تكفير السيآت و هی لرفع الدرجات قاله الطيبی أو زائدة عن تكفير سيآت أعضاء الوضوء فهی السيآت أخران وجدت و الا فلتخفيف الكبائر ثم لرفع الدرجات كما ذكره النووی فيما سبق (رواه مالک و النسائی) قال ابن حجر بسند حسن (و عن أبی هريرة) رضی‌الله‌عنه (أن رسول‌الله‌صلی‌الله‌علیه وسلم أتى المقبرة) بضم الباء و فتحها و الكسر قليل و الظاهر انها مقبرة البقيع (فقال السلام‌عليكم) اشارة الی أنهم يعرفون الزائر و يدركون كلامه و سلامه قال القرطبی فی الحديث ان السلام على الاموات و الاحياء سواء فی تقديم السلام على عليكم (دار قوم مؤمنين) نصب دار على الاختصاص أو النداء لانه مضاف و المراد بالدار على الوجهين الجماعة و الاهل و يحتمل على الاول المنزل قاله الطيبی و لعل مراده أحد المجازين المذكورين فی قوله تعالى و اسأل القرية قال ابن حجر يؤخذ من الحديث تعيين التخصيص فی الدعاء لاهل مقبرة و نحوهم مما يقتضی العموم بالمسلمين منهم لفظا أو نية و الله أعلم (وانا ان شاء الله بكم لاحقون) فی هذا الاستثناء مع أن الموت حق لاشک فيه للعلماء أقوال و الاظهر أنه وارد على سبيل التبرک كما فی قوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين و قال الخطابی و غيره ان ذلک من عادة من يحسن الكلام به و الثالث أن الاستثناء عائد على اللحوق بالمكان المتبرک لانه مشكوک فيه قال تعالى و ما تدری نفس بأی أرض تموت (وددت) بكسر الدال أی تمنيت و أحببت (أنا) أی أنا و أصحابی (قد رأينا اخواننا) تمنى رؤيتهم فی الحياة و قيل بعد الممات (قالوا أولسنا) أی اتقول هذا و لسنا (اخوانک يا رسول‌الله قال أنتم أصحابی) ليس هذا نفيا لاخوتهم لكن ذكر لهم مزية بالصحبة على الاخوة فهم اخوة و صحابة و اللاحقون اخوة فحسب قال تعالى انما المؤمنون اخوة (و اخواننا الذين لم يأتوا بعد) أی لم‌يلحقوا الى الآن أو لم‌يأتوا الينا قيل و لعل الظاهر أن يحمل على اللاحقين بعد موته عليه‌الصلاة‌والسلام من التابعين لكن يأباه سؤالهم الآتی الشامل لهم و لغيرهم فان قلت فأی اتصال لهذه الودادة بذكر أصحاب القبور قلت عند تصور السابقين تصور اللاحقين أو كشف له صلوات الله عليه و سلامه عالم الارواح فشاهد الارواح المجندة السابقين منهم و اللاحقين (فقالوا كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتک يا رسول‌الله) قال الطيبی و سؤالهم بقولهم كيف تعرف أی فی المحشر مبنى على انک تمنيت رؤيتهم فی الدنيا و انما يتمنى ما لم‌يكن حصوله فاذن كيف تعرفهم فی الآخرة و انما حملناه على الآخرة ليطابق قوله الآتی غرمحجلة لظهورهما حينئذ (فقال) و فی نسخة بدون الفاء (أرأيت) أی أخبرنی أيها المخاطب (لو أن رجلا له خيل) أی مثلا (غرمحجلة بين ظهری خيل) قيل الظهر مقحم فی النهاية أقاموا بين ظهرانيهم أی أقاموا بينهم على سبيل الاستظهار و الاستناد اليهم و معناه ان ظهرا منهم قدامه و ظهرا وراءه فهو مكنوف من جانبيه ثم كثر حتى استعمل فی الاقامة بين القوم مطلقا كذا نقله الطيبی أقول ثم استعمل فی الاقامة بين الحيوانات

دهم بهم ألايعرف خيله قالوا بلى يا رسول‌الله قال فانهم يأتون غرا محجلين من الوضوء و أنا فرطهم على الحوض رواه مسلم و عن أبى الدرداء قال قال رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم أنا أول من يؤذن له بالسجود يوم القيامة و أنا أول من يؤذن له أن يرفع رأسه فانظر الى ما بين يدى فاعرف أمتى من بين الامم و من خلفى مثل ذلك و عن يمينى مثل ذلك و عن شمالى مثل ذلك فقال رجل يا رسول‌الله كيف تعرف أمتك من بين الامم فيما بين نوح الى أمتك قال هم غر محجلون من أثر الوضوء ليس أحد كذلك غيرهم و أعرفهم انهم يؤتون كتبهم بايمانهم

مجازا (دهم) أى سود (بهم) البهم السود و قيل الذى لايخالط لونه لون سواه قرنه بالدهم مبالغة فى السواد (ألا يعرف خيله) الهمزة للانكار (قالوا بلى) يعرفها (يا رسول‌الله قال فانهم) أى أمة الاجابة جميعا (يأتون غرا محجلين من الوضوء) بالفتح و الضم أى من أجله (و انا فرطهم على الحوض) أى متقدمهم الى حوضى فى المحشر فان لكل نبى حوضا يقال فرط يفرط فهو فارط و فرط اذا تقدم وسبق القوم ليرتاد لهم الماء و يهيئ لهم الدلاء و الارشية (رواه مسلم و عن أبى الدرداء قال قال رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم أنا أول من يؤذن له) بالهمز و يبدل (بالسجود يوم القيامة) لانه أول ما خلق الله روحه أو نوره (و أنا أول من يؤذن له أن يرفع رأسه) اشارة الى مقام الشفاعة كما ورد فى قوله فيؤذن لى عليه فاذا رأيته وقعت ساجدا الى قوله فيقول لى ارفع محمد (فانظر) الفاء فصيحة أو فارفع رأسى فانظر (الى ما بين يدى) أى قدامى (فاعرف) أى أميز ليستقيم تعلق من به (أمتى) أى الذين أجابوا (من بين الامم و من خلفى) أى و انظر من ورائى (مثل ذلك) بالنصب أى فاعرف أمتى و قول ابن حجر الظاهر انه جملة من مبتدأ و خبر معطوفة على مجموع الجملتين قبلها خلاف النسخ المصححة مع قطع النظر أنه خلاف الظاهر كما يظهر من تقديرنا (وعن يمينى مثل ذلك وعن شمالى مثل ذلك) يعنى من جميع الجوانب و فيه اشارة الى كثرتهم و تفاوت مراتبهم (فقال رجل يا رسول‌الله كيف تعرف أمتك من بين الامم) أى سائرهم (فيما بين نوح) بيان للامم حال منه أى الامم كائنة فيما بين نوح و لو قيل هو ظرف لتعرف لرجع المعنى كيف تعرف أمتك فيما بين نوح و لم‌يكن لقوله من الامم معنى و انما خص نوحا مع أن الانبياء كآدم و شيث و ادريس قد بعثوا قبله لشهرته أو لكثرة أمته و النظر قوله (الى أمتك) للانتهاء أى مبتدئا من نوح منتهيا الى أمتك قال ابن حجر و كان القياس و أمتك لتعين عطف ما بعد بين بالواو فيقدر محذوف بعد نوح و قبل الى لدلالة كل من بين و الى على ذلك المحذوف و التقدير فيما بين نوح و غيره مبتدئا ذلك من أمته أو زمنه الى أمتك أو زمنهم (قال هم غر محجلون من أثر الوضوء ليس أحد كذلك) و فى نسخة كذاك (غيرهم) بالرفع على البدلية و بالنصب على الاستثناء و المختار الاول و هذا صريح فى أن الغرة و التحجيل من خصوصيات أمته عليه‌الصلاةوالسلام (و أعرفهم أنهم يؤتون كتبهم بايمانهم) و لعل هذا فى وقت خاص لهم قبل ايتاء الكتب للامم السالفة أو لكتبهم نور زائد على كتب غيرهم ثم رأيت ابن حجر قال ظاهره أنه من خصوصياتهم الا أن يحمل على انهم يؤتون ذلك قبل غيرهم أو على صفة لم‌تكن لغيرهم اذ الذى دلت عليه الآيات و بقية الاحاديث العموم و أن الفاسق يؤتى كتابه بيمينه أيضا و هو مادلت عليه الآيات أيضا و ما اقتضته الآية من أن من يؤتى كتابه بيمينه لايصلى النار محمول على أنه لايصلاها صلو الكافر المشار اليه بقوله تعالى لايصلاها الا الاشقى الآية و نقل ابن عطية عن قوم ان الفاسق الذى أريد تعذيبه يعطاه بيمينه أولا قبل دخوله النار ثم خالفه و قال انما يعطاه عند خروجه منها ورد بان

و أعرفهم تسعى بين أيديهم ذريتهم رواه أحمد * (باب ما يوجب الوضوء) * (الفصل الاول) *
عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ متفق عليه و عن
ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتقبل صلاة بغير طهور

الظاهر الاول و قد أخرج النقاش عن أنس مرفوعا ما يقتضيه اه لكن قوله دلت عليه الآيات أيضا غير ظاهر لان الآيات القرآنية مسكوتة عن حال الفاسق في اعطاء الكتب يمينا و شمالا و في ثقل الميزان و خفته أيضا و لعله ليكون بين الرجاء و الخوف و الله سبحانه أعلم (و أعرفهم يسعى) بالتذكير و التأنيث (بين أيديهم ذريتهم) يحتمل الاختصاص و أن يكون على وجه خاص قال الطيبي لم يأت بالوصفين هذين تفصلة و تمييزا كالاول بل أتى بهما مدحا لامته و ابتهاجا بما أوتوا من الكرامة و الفضيلة (رواه أحمد) قال ابن حجر و سنده حسن

* (باب ما يوجب الوضوء) *

أى أسباب وجوب الطهارة الصغرى و ما يتعلق به و الموجب هو الله تعالى

* (الفصل الاول) * (عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتقبل) أى قبول اجابة و اثابة بخلاف المسبل و الآبق فان صلاتهما لاتقبل أيضا لكنها لاتقبل بترك الاثابة و تقبل اجابة فلايرد ما قيل من أنه لايلزم من عدم القبول عدم الجواز و الصحة مع أن الطهارة شرط الصحة (صلاة من أحدث) أى صار ذا حدث قبل الصلاة أو في أثنائها و المراد بالصلاة المضافة صورتها أو باعتبار ما كانت (حتى يتوضأ) أى حقيقة أو حكما أو يتوضأ بمعنى يتطهر فيشمل الغسل و الوضوء و التيمم قال المظهر المعنى لايقبل الله صلاة بلاوضوء الا اذا لم يجد الماء فيقوم التيمم مقامه فان لم يجد التراب أيضا يصلي الفرض الوقتي لحرمة الوقت ثم ان مات قبل وجدان الماء و التراب لم يأثم و ان وجدهما يقضي اه و هذا عند الشافعي و أما عندنا فلا يصلي لحرمة الوقت سواء ضاق الوقت أو عدم الصعيد و هو ظاهر الحديث و ما قيل من انه للضرورة و لقوله عليه الصلاة والسلام و اذا أمرتكم بامر فأتوا منه ما استطعتم مدفوع بان مضمون هذا الحديث أنه لاتقبل صلاته و انه منهي عن أن يصلي بلاوضوء فيدخل تحت قوله و اذا نهيتم عن أمر فاجتنبوه أي مطلقا و في شرح الشمني و المحبوس الذى لايجد طهورا لا يصلي عندهما و عند أبي يوسف يصلي بالايماء ثم يعيد و هو رواية عن محمد تشبها بالمصلين قضاء لحق الوقت كما في الصوم و لهما أنه ليس باهل للاداء لمكان الحدث فلايلزمه التشبه كالحائض و بهذه المسئلة تبين أن الصلاة بغير الطهارة متعمدا ليس بكفر فانه لو كان كفرا لما أمر أبو يوسف به و قيل كفر كالصلاة الى غير القبلة أو مع الثوب النجس عمدا لانه كالمستخف و الاصح انه لو صلى الى غير القبلة أو مع الثوب النجس لايكفر لان ذلك يجوز أداؤه بحال و لوصلى بغير طهارة متعمدا يكفر لان ذلك يحرم لكل حال فيكون مستخفا اه و الظاهر أنه اذا قصد به حرمة الوقت لايكفر لان المسئلة اجتهادية و لانه لايصدق عليه انه مستخف بخلاف ما اذا صلى من غير طهارة عمدا لا لهذا القصد فانه يكفر لانه مستخف بالشرع حينئذ و لو صلى بلا طهارة حياء أو رياء أو كسلا فهل يكون مستخفا أم لا محل بحث و الاظهر في المستحيي أن لايكون مستخفا بخلاف الآخرين و الله أعلم و أغرب ابن حجر فقال و اعادة ضمير يتوضأ للمحدث انما هو باعتبار ما كان و لعل وجهه أن التقدير فاذا توضأ و صلى قبلت صلاته أى صلاة المحدث باعتبار ما كان و هذا تكلف مستغنى عنه ثم حتى هنا اما غائية أو تعليلية أو استثنائية (متفق عليه و عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتقبل صلاة بغير طهور) هو بالضم الطهر

ولا صدقة من غلول رواه مسلم وعن على قال كنت رجلا مذاء فكنت أستحيى أن أسأل النبى صلى الله عليه وسلم لمكان ابنته فامرت المقداد فسأله فقال يغسل ذكره ويتوضأ متفق عليه وعن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول توضؤا مما مست النار رواه مسلم قال الشيخ الامام الاجل محيى السنة رحمه الله هذا منسوخ بحديث ابن عباس قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل كتف شاة ثم صلى ولم يتوضأ متفق عليه

و بالفتح الماء الذى يتطهر به نسختان وتقدم تحقيقهما قال ابن حجر أى لاتصح اذ نفى القبول اما بمعنى نفى الصحة كما هنا و اما بمعنى نفى الثواب كما فى خبر من أتى عرافا أى منجما لم تقبل صلاته أربعين صباحا (ولا صدقة) أى التى هى طهارة النفس من رذيلة البخل و قلة الرحمة (من غلول) بالضم على ما فى النسخ المصححة اى مال حرام و أصل الغلول الخيانة فى الغنيمة قال بعض علمائنا من تصدق بمال حرام و يرجو الثواب كفر و وهم ابن حجر أو ظن أن الرواية بفتح الغين فقال أى كثير الغل أى الخيانة فى الغنيمة و فيه أن المبالغة غير مراد ولذا قال و المراد هنا من تصدق بما خان بان تصدق من مال حرام فلايثاب على التصدق به بل يعاقب ان علم انه حرام و ثوابه لمالكه اه و محل هذا اذا كان يعرف مالكه أو وارثه و الا فهو مأمور بالتصدق به ولا يتصور أنه يؤمر بالتصدق به ولا يقبل منه (رواه مسلم) وكذا الترمذى و ابن ماجه (وعن على) رضى الله تعالى عنه (قال كنت رجلا مذاء) بالتشديد والمد أى كثير المذى بالمعجمة من أمذى وهو أرق من المنى يخرج عند الملاعبة أو النظر قال ابن حجر و هو ماء رقيق أصفر يخرج عند الشهوة الضعيفة و فى حكمه الودى بالمهملة و هو ماء أبيض ثخين يخرج عقب البول أو عند حمل شئى ثقيل (فكنت أستحيى أن أسأل النبى صلى الله عليه وسلم) أى عن حكم المذى هل هو نجس موجب للغسل أم لا (لمكان ابنته) أى فاطمة رضى الله عنها لكونها تحته والمذى كثيرا ما يخرج بسبب ملاعبة الزوجة وكان فى السؤال عن كثرته تعريض بشئى من أحوال بنته التى يستحيى من اظهارها لان مثل ذلك لايكاد يفصح به أولو الاحلام خصوصا بحضرة الاكابر العظام و علل الحياء بذلك لئلايرد عليه ان الاستحياء من السؤال و التعلم مذموم (فامرت المقداد) أى التمست منه أن يسأله عن ذلك (فسأله) أى مبهما بان قال مثلا رجل خرج من ذكره مذى ما الحكم فيه (فقال صلى الله عليه وسلم يغسل ذكره) لنجاسته قال ابن حجر أى ما مسه منه لاغير قياسا على نحو البول و قال الطيبى يتعين غسله ولايجوز الاقتصار على الحجر لندوره وهو ظاهر الحديث وأحد قولى الشافعى اه و قال الطحاوى انما أمره بذلك ليتقلص العروق وينقطع المذى لانه لم يؤمر الانسان بغسل الذكر من البول فبالحرى ان لايؤمر بغسله من المذى اه وقال أحمد يجب غسل جميع الذكر و قيل يجب غسل الانثيين أيضا لرواية كذا نقله ابن حجر (و يتوضأ) قيل يحتمل انهم كانوا لايتنزهون عنه تنزههم عن البول ظنا أنه أخف منه اه و هذا لايجدى فى صرف ما اقتضاه ظاهر الخبر من وجوب غسل جميع الذكر و ان لم يمسه منه شئى وبه قال أحمد (متفق عليه وعن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول توضؤا مما مست النار) أى من كل ما مسته و هو الذى أثرت فيه النار كاللحم و الدبس و غير ذلك (رواه مسلم قال الشيخ الاجل محيى السنة رحمه الله تعالى) وفى نسخة رحمة الله عليه (هذا منسوخ) أى قول من حمل الوضوء على الشرعى الواجب و هو الظاهر المتبادر (بحديث ابن عباس قال ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أكل كتف شاة ثم صلى ولم يتوضأ متفق عليه) قال بعض علمائنا الاولى ان يحمل الوضوء فى الحديث المتقدم على اللغوى أو الشرعى و الامر على الاستحباب قال القاضى الوضوء فى أصل اللغة غسل بعض الاعضاء و تنظيفه من الوضاءة بمعنى النظافة و الشرع نقله الى الفعل

وعن جابر بن سمرة ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتوضأ من لحوم الغنم قال ان شئت فتوضأ و ان شئت فلاتتوضأ قال أتوضأ من لحوم الابل قال نعم فتوضأ من لحوم الابل قال أصلى فى مرابض الغنم قال نعم قال أصلى فى مبارك الابل قال لا رواه مسلم وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وجد أحدكم فى بطنه شيأ فاشكل عليه أخرج منه شئى أم لا فلا يخرجن من المسجد حتى يسمع صوتا أو يجد ريحا

المخصوص و قد جاء هنا على أصله و المراد منه و من نظائره غسل اليدين لازالة الزهومة توفيقا بينه و بين حديث ابن عباس و أم سلمة و نحوهما و منهم من حمله على المعنى الشرعى و زعم انه منسوخ بحديث ابن عباس و انما يتقرر ذلك لوعلم تاريخهما و تقدم الاول لايقال صحبة ابن عباس متأخرة لان تأخر الصحبة لايدل على تأخر الرواية الا اذا كان صحبة المتأخر بعد وفاة المتقدم أو غيبته بخلاف ما لو اجتمعا قيل و قد صرح ابن الصلاح فى كتابه بالنسخ حيث قال و مما يعرف به النسخ قول الصحابى كان آخر الامرين من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ترك الوضوء مما مسته النار كذا ذكره الطيبى و قال ابن حجر حمل كلام الشارع على غسل اليدين بعيد و انما يحمل على المدلولات الشرعية لانه عليه الصلاة والسلام انما بعث لبيان الشرعيات و الوجه ان النسخ انما استفيد من قول جابر كان آخر الامرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء مما مست النار (وعن جابر بن سمرة) كنيته أبوعبدالله العامرى ابن أخت سعد بن أبى وقاص نزل الكوفة و مات بها سنة أربع و سبعين روى عنه جماعة (ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتوضأ) بالنون و فى نسخة بالياء مجهولا و فى نسخة صحيحة أتوضأ بالمتكلم المفرد مع الاستفهام و غيره قال الكازرونى فى بعض نسخ المصابيح أيتوضأ و فى بعضها أنتوضأ و الكل غير متبع رواية مطابقة و انما الرواية أأتوضأ بهمزتين لكن حذف احداهما فى بعض الروايات (من لحوم الغنم) أى من أكلها (قال ان شئت فتوضأ و ان شئت فلاتتوضأ) و فى نسخة بحذف احدى التاءين (قال أتوضأ من لحوم الابل قال نعم فتوضأ من لحوم الابل) و فيه تأكيد الوضوء من أكل لحم الابل وهو واجب عند أحمد بن حنبل قال النووى و هذا المذهب أقوى دليلا وعند غيره المراد منه غسل اليدين والفم لما فى لحم الابل من رائحة كريهة ودسومة غليظة بخلاف لحم الغنم أو منسوخ بحديث جابر (قال) أى الرجل (أصلى) بحذف حرف الاستفهام و فى نسخة باثباته (فى مرابض الغنم) جمع مربض بفتح الميم و كسر الباء و هو موضع ربوض الغنم و هو للغنم بمنزلة الاضطجاع للانسان و البروك للابل و الجثوم للطير (قال نعم) فلا كراهة للصلاة فيه لانه لا نفار لها بحيث يشوش على المصلى الخشوع و الحضور (قال أصلى فى مبارك الابل) جمع مبرك بفتح الميم (قال لا) كره الصلاة فى مبارك الابل لما لايؤمن من نفارها فيلحق المصلى ضرر من صدمة و غيرها فلا يكون له حضور قال ابن حجر و البقر كالغنم و فيه بحث و محل الفرق حيث خلت المرابض و المبارك عن النجاسة و الا فكرهت فى المرابض أيضا لكن للنجاسة (رواه مسلم) و رواه ابن ماجه عن ابن عمر و لفظه توضؤا من لحوم الابل ولا تتوضؤا من لحوم الغنم و توضؤا من ألبان الابل ولاتتوضؤا من ألبان الغنم و صلوا فى مراح الغنم ولاتصلوا فى معاطن الابل (وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وجد أحدكم فى بطنه شيأ) أى كالقرقرة بان تردد فى بطنه ريح (فاشكل) أى التبس (عليه أخرج) بهمزة استفهام (منه شئى أم لا فلايخرجن من المسجد) أى للتوضؤ لان المتيقن لايبطله الشك قيل يوهم أن حكم غير المسجد بخلاف المسجد لكن أشير به الى ان الاصل أن يصلى فى المسجد لانه مكانها فعلى المؤمن ملازمة الجماعات للمسجد (حتى يسمع صوتا) أى صوت ريح يخرج منه (أو يجد ريحا)

رواه مسلم و عن عبدالله بن عباس قال ان رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم شرب لبنا فمضمض و قال ان له دسما متفق عليه و عن بريدة ان النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم صلى الصلوات يوم الفتح بوضوء واحد و مسح على خفيه فقال له عمر لقد صنعت اليوم شيأ لم‌تكن تصنعه فقال عمدا صنعته ياعمر

أى يجد رائحة ريح خرجت منه و هذا مجاز عن تيقن الحدث لانهما سبب العلم بذلک كذا قال بعض علمائنا و قال ابن حجر أى يحس بخروجه و ان‌لم‌يشمه و قال فى شرح السنة معناه حتى يتيقن الحدث لا أن سماع الصوت أو وجدان الريح شرط اذ قد يكون أصم فلايسمع الصوت و قد يكون أخشم فلايجد الريح وينتقض طهره اذا تيقن الحدث قال الامام فى الحديث دليل على ان الريح الخارجة من أحد السبيلين توجب الوضوء و قال أصحاب أبى‌حنيفة خروج الريح من القبل لايوجب الوضوء و فيه دليل على ان اليقين لايزول بالشک فى شئ من أمر الشرع و هو قول عامة أهل العلم اه و توجيه قول الحنفية انه نادر فلايشمله النص كذا قيل و الصحيح ما قاله ابن الهمام من ان الريح الخارج من الذكر اختلاج لا ريح فلاينقض كالريح الخارجة من جراحة فى البطن (رواه مسلم وعن عبدالله بن عباس قال ان رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم شرب لبنا فمضمض) زاد مسلم ثم دعابماء فمضمض أى غسل فمه ذكر الابهرى قال الشيخ و يستنبط منه غسل اليدين للتنظيف قال النووى اختلف العلماء فى استحباب غسل اليدين قبل الطعام و بعده و الاظهر استحبابه أولا الا ان تيقن نظافة اليدين من النجاسة و الوسخ و استحبابه بعد الفراغ الا ان لايبقى على اليد أثر الطعام بان‌كان يابسا أولم‌يمسه بها (و قال) صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم (ان له دسما) بفتحتين أى زهومة قال الطيبى جملة استئنافية تعليل للتمضمض و فيه اشعار بان التمضمض مناسب و قيل المضمضة بالماء مستحبة عن كل ماله دسومة اذ يبقى فى الفم بقية تصل الى باطنه فى الصلاة فعلى هذا ينبغى أن يمضمض من كل ما خيف منه الوصول الى الباطن طردا للعلة و يؤيده حديث السويق اه قال ابن الملک هذا عند الشافعية و أما عندنا ففى الظهيرية لو أكل السكر أو الحلواء ثم شرع فى الصلاة و الحلاوة فى فمه فدخل مع الريق لايفسد (متفق عليه) و مناسبة هذا الحديث لعنوان الباب ان المضمضة المذكورة من متممات الوضوء أو مكملاته (و عن بريدة) أى ابن أبى الحصيب بضم الحاء المهملة آخر من مات من الصحابة بخراسان كذا فى التهذيب و قال المؤلف هو اسلمى أسلم قبل بدر ولم‌يشهدها و بايع بيعة الرضوان وكان من ساكنى المدينة ثم تحول الى البصرة ثم خرج منها الى خراسان غازيا فمات بمرو زمن يزيد بن معاوية سنة اثنتين وستين وروى عنه جماعة (ان النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم صلى الصلوات) أى الخمس المعهودة (يوم الفتح) أى يوم فتح مكة (بوضوء واحد و مسح) حال بتقدير قد (على خفيه) فيه دليل على ان الوضوء لكل صلاة ليس من خصوصياته خلافا لمن قال به مستدلا بمارواه البخارى عن عمرو بن عامر عن أنس كان النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم يتوضأ عند كل صلاة قلت كيف كنتم تصنعون قال يجزئ أحدنا مالم يحدث (فقال له عمر لقد صنعت اليوم شيأ لم‌تكن تصنعه فقال عمدا صنعته ياعمر) الضمير راجع الى المذكور و هو الصلوات الخمس بوضوء واحد و المسح على الخفين و عمدا تمييز أو حال من الفاعل فقدم اهتماما لشرعية المسئلتين فى الدين أو اختصاصا ردا لزعم من لايرى جواز المسح على الخفين و فيه دليل على ان من قدر أن يصلى صلوات كثيرة بوضوء واحد لاتكره صلاته الا أن يغلب عليه الاخبثان كذا ذكره الشراح لكن رجع الضمير الى مجموع الجمع المذكور و المسح على الخفين يوهم انه لم‌يكن يمسح على الخفين قبل الفتح و الحال أنه ليس كذلک فالوجه أن يكون الضمير الى الجمع فقط تجريدا عن الحال فانه بيان

رواه مسلم و عن سويد بن النعمان انه خرج مع رسول‌الله‌صلی‌الله‌علیه‌وسلم‌عام خيبر حتى اذا كانوا بالصهباء و هى من أدنى خيبر صلى العصر ثم دعا بالازواد فلم يؤت الا بالسويق فامر به فثرى فأكل رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم و أكلنا ثم قام الى المغرب فمضمض و مضمضنا ثم صلى ولم‌يتوضأ رواه البخارى * (الفصل الثانى) عن أبى هريرة قال قال رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم لاوضوء الا من صوت أو ريح رواه أحمد والترمذى و عن على قال سألت النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم من المذى فقال من المذى الوضوء و من المنى الغسل

للقضية الواقعة فى نفس الامر و غايته انه يفيد استمرار حكم المسح الى آخر الاسلام فينتفى توهم نسخه و الله أعلم (رواه مسلم) و لعل المناسبة بين هذا الحديث و الباب انه يدل على ان كل ما أريد القيام الى الصلاة لايجب الوضوء على ما يتوهم من ظاهر الآية ولذا قال صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم عمدا صنعته ياعمر و قال العلماء تقدير الآية اذا أردتم القيام الى الصلاة و انتم محدثون فاغسلوا الخ و أما ما ذهب اليه ابن‌حجر من ان وجوب الوضوء كان لكل فرض و ان لم يحدث ثم نسخ بهذا الحديث فبعيد من السياق و اللحاق مع انه لم‌يقل به أحد و يرده أيضا حديث البخارى عن أنس على ما قدمناه (و عن سويد) مصغرا (ابن النعمان) بضم النون ولم‌يذكر المصنف فى أسماء رجاله الا سويد بن قيس و قال يكنى أبا صفوان روى عنه سماك بن حرب و عداده فى الكوفيين (انه خرج مع رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم عام خيبر) أى عام غزوة خيبر و هى بلدة معروفة غيرمنصرف للعلمية و التأنيث كذا ذكره الابهرى (حتى اذا كانوا) أى النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم و أصحابه نازلين (بالصهباء) بفتح الموحدة و المد (و هى) أى الصهباء (أدنى خيبر) أى أسفلها أو أقربها و فى نسخة صحيحة من أدنى خيبر أى الصهباء موضع قريب من خيبر (صلى العصر ثم دعا بالازواد) جمع الزاد (فلم يؤت الا بالسويق) و هو ما يجرش من الشعير و الحنطة وغيرهما للزاد (فامر به) أى بالسويق (فثرى) أى بل ليسهل أكله قال الطيبى أى بل من الثرى و هو التراب الندى الذى تحت التراب الظاهر يقال ثرى التراب اذا رش عليه بالماء (فأكل رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم و أكلنا ثم قام الى المغرب فمضمض و مضمضنا) فتستحب المضمضة (ثم صلى ولم‌يتوضأ) وان كان مما مسته النار (رواه البخارى) قال ابن حجر و مسلم و مر ما فيه اه و قال فيما مر بعد قول المصنف رواه مسلم وعند البخارى من حديث أنس طرف منه فان كان مراده من حديث أنس ما قدمناه فليس فيه طرف منه و ان أراد بقوله و مسلم المتفق عليه من حديث ابن عباس حيث ذكر المضمضة فيه فليس هذا من اصطلاح المحدثين وان كان غير ذلك فيحتاج الى بيان ليكون حجة على المؤلف فى تقصير تتبعه * (الفصل الثانى) * (عن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لاوضوء) أى واجب (الا من صوت) أى الا من سماع صوت (أو ريح) أى وجدان رائحة ريح خرج منه قال الطيبى نفى جنس أسباب التوضؤ و استثنى منه الصوت و الريح و النواقض كثيرة و لعل ذلك فى صورة مخصوصة يعنى بحسب السائل فالمراد نفى جنس الشك و اثبات اليقين أى لايتوضأ عن شك مع سبق ظن الطهارة الايقين الصوت أو رائحة الريح (رواه أحمد و الترمذى) و قال حسن صحيح و رواه ابن ماجه أيضا نقله ميرك (و عن على) رضى‌الله‌تعالى‌عنه (قال سألت النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم) أى بواسطة المقداد كما تقدم (عن المذى) و فى نسخة من المذى أى حكمه قال ميرك المذى بفتح الميم و سكون الذال و كسرهما معا هو الماء الرقيق الذى يخرج عند الملاعبة والتقبيل اه وفى القاموس المَذْى و المَذِىّ كغنى و المَذِى ساكنة الياء ما يخرج منك عند الملاعبة والتقبيل اه و الاصح من النسخ هو الاول و الثالث غير موجود (فقال من المذى الوضوء) أى واجب (و من المنى الغسل) و هذا من زيادة الافادة و نوع من جواب

رواه الترمذی و عنه قال قال رسول‌الله‌صلی‌الله‌علیه‌وسلم مفتاح الصلاة الطهور وتحریمها التکبیر وتحلیلها التسلیم رواه أبو داود و الترمذی و الدارمی و رواه ابن ماجه عنه وعن أبی سعید و عن علی بن طلق قال قال رسول‌الله‌صلی‌الله‌علیه‌وسلم اذا فسا أحدکم فلیتوضأ ولا تاتوا النساء فی اعجازهن رواه الترمذی و أبو داود و عن معاویة بن أبی سفیان

أسلوب الحکیم علی حد أنتوضأ بماء البحر فقال هو الطهور ماؤه والحل میتته وقال ابن حجر و یجمع بین هذا وما مر أنه أمر المقداد أن یسأل له بان ذلک فی السؤال عن خصوص نفسه وکثرة امذائه و الحیاء من هذا الخصوص واضح فاستناب فیه و هذا عن مطلق حکم المذی و هذا لاحیاء فی السؤال عنه فباشره بنفسه و اختلاف سیاق الحدیثین یدل علی تعدد الواقعة اه و بعده لایخفی (رواه الترمذی) و قال حسن صحیح و رواه ابن ماجه أیضا (و عنه) أی عن علی (قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم مفتاح الصلاة) أی مجوز الدخول فیها (الطهور) بالضم و یفتح أی بالماء أو التراب ففاقد الطهورین لایجوز له الدخول فی حرم الصلاة علی ما اقتضاه الحصر بتعریف جزأی الجملة کما هو مذهبنا واعتذر الشافعیة بان صحتها مع فقدهما للضرورة (وتحریمها التکبیر) قال المظهر سمی الدخول فی الصلاة تحریما لانه یحرم الاکل و الشرب وغیرهما علی المصلی فلایجوز الدخول فی الصلاة الابالتکبیر مقارنا به النیة اه وهو شرط عندنا ورکن عند الشافعی ثم المراد بالتکبیر المذکور فی الحدیث وفی قوله تعالی وربک فکبر هو التعظیم وهو أعم من خصوص الله أکبر وغیره مما أفاده التعظیم والثابت ببعض الاخبار اللفظ المخصوص فیجب العمل به حتی یکره لمن یحسنه ترکه کما قلنا فی القراءة مع الفاتحة وفی الرکوع و السجود مع التعدیل کذا فی الکافی قال ابن الهمام وهذا یفید وجوبه ظاهرا و هو مقتضی المواظبة التی لم‌تقترن بترک فینبغی أن یعول علی هذا (و تحلیلها التسلیم) التحلیل جعل الشئ المحرم حلالا و سمی التسلیم به لتحلیل ما کان حراما علی المصلی لخروجه عن الصلاة و هو واجب قال ابن الملک و اضافة التحریم و التحلیل الی الصلاة لملابسة بینهما و قال بعضهم أی سبب کون الصلاة محرمة ما لیس منها التکبیر و محللة التسلیم أی انها صارت بهما کذلک فهما مصدران مضافان الی الفاعل و قال الطیبی قیل شبه الشروع فی الصلاة بالدخول فی حریم الملک الکریم المحمی عن الاغیار و جعل فتح باب الحرم بالتطهیر علی الادناس وجعل الالتفات الی الغیر و الاشتغال به تحلیلا تنبیها علی التکمیل بعد الکمال (رواه أبو داود و الترمذی) و قال هذا أصح شئ فی هذاالباب (و الدارمی) أی روی ثلاثتهم عن علی وحده (ورواه ابن ماجه عنه) أی عن علی (و عن أبی سعید و عن علی بن طلق) وفی نسخة طلق بن علی و هو بفتح الطاء و سکون اللام و بالقاف ابن المنذر قال البرقی و بعض الناس یری انه طلق بن علی کذا فی التلقیح و قال المصنف هو علی بن طلق الحنفی الیمامی رواه عنه مسلم بن سلام وهو من أهل الیمامة و حدیثه فیهم (قال قال رسول‌الله‌صلی‌الله‌علیه‌وسلم اذا فسا أحدکم) أی خرج الریح التی لاصوت له من أسفل الانسان (فلیتوضأ و لا تأتوا النساء) أی لاتجامعوهن (فی أعجازهن) ای أدبارهن (رواه الترمذی و أبو داود) و قال الترمذی حدیث حسن و فی الباب عن‌عمر وابن عباس و أبی هریرة و سمعت محمدا یقول لا أعرف لعلی بن طلق غیر هذا الحدیث و لا أعرف هذا من حدیث طلق ابن علی السنجی کأنه رأی ان هذا رجل آخر من أصحاب النبی صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم نقله میرک قال ابن حجر و خبر فلیبن علی صلاته ضعیف اتفاقا و فیه انه لا دخل فی هذا المقام لهذا المرام (و عن معاویة ابن أبی سفیان) و هما صحابیان و قد سبق ذکر معاویة و ترجمته و أما أبوسفیان بن صخر بن حرب

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما العينان وكاء السه فاذا نامت العين استطلق الوكاء رواه الدارمي و عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاء السه العينان فمن نام فليتوضأ رواه أبو داود و قال الشيخ الامام محيي السنة رحمه الله هذا في غير القاعد لما صح عن أنس قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرون العشاء حتى تخفق رؤسهم ثم يصلون و لايتوضؤن رواه أبو داود و الترمذي الا أنه ذكر فيه ينامون بدل ينتظرون العشاء حتى تخفق رؤسهم

الاموي القرشي ولد قبل الفيل بعشر سنين و كان من أشراف قريش في الجاهلية و كان اليه راية الرؤساء في قريش أسلم يوم فتح مكة و كان من المؤلفة قلوبهم و شهد حنينا و أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم من غنائمها مائة و أربعين أوقية فيمن أعطاه من المؤلفة قلوبهم وفقئت عينه يوم الطائف فلم يزل أعور الى يوم اليرموك فأصاب عينه حجر فعميت روى عنه عبد الله بن عباس مات سنة أربع و ثلاثين بالمدينة و دفن بالبقيع (ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انما العينان) أي اليقظة فهما كناية عنها (وكاء السه) بفتح السين و تخفيف الهاء الوكاء ما يشد به الكيس و غيره ليحفظ ما فيه عن الخروج و السه أي الاست أو حلقة الدبر و قيل معناه الدبر و أصله سته فحذف التاء و لذا يجمع على الاستاه و يصغر على ستيهة (فاذا نامت العين) أي جنسها (استطلق الوكاء) أي انحل قال الطيبي العينان كالوكاء للسه شبه عين الانسان و جوفه و دبره بقربة لها فم مشدود بالخيط و شبه ما يطلقه بالغفلة عند النوم بحل ذلك الخيط من فم القربة و فيه تصوير لقبح صدور هذه الغفلة قال القاضي المعنى ان الانسان اذا تيقظ أمسك ما في بطنه فاذا نام زال اختياره و استرخت مفاصله فلعل يخرج منه ما ينقض طهره و ذلك اشارة الى أن نقض الطهارة بالنوم وسائر ما يزيل العقل ليس لانفسها بل لانها مظنة خروج ما ينتقض به الطهر و لذا خص نوم بمكن المقعد من الارض (رواه الدارمي) قال ابن حجر فيه ضعيف و قال ميرك ليس حديث معاوية هذا في المصابيح في هذا الباب و لعله أورده في باب آخر (و عن علي) رضي الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاء السه العينان فمن نام فليتوضأ رواه أبو داود) و قال ابن حجر و ابن ماجه و في سنده ضعيف و قال ميرك في اسناده الوضين بن عطاء و بقية بن الوليد و فيهما مقال (قال) و في نسخة و قال (الشيخ الامام محيي السنة رحمه الله تعالى) و في نسخة رحمة الله تعالى عليه (هذا) أي هذا الحكم (في غير القاعد) أي من النائمين يعني هذا فيمن نام مضطجعا فأما من نام قاعدا ممكنا مقعده من الارض ثم استيقظ و مقعده ممكن كما كان فلايبطل وضوءه و ان طال نومه (لما صح عن أنس قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرون العشاء) أي صلاتها الجماعة فينامون أي جالسين كما يدل عليه قوله (حتى تخفق) بفتح التاء و كسر الفاء أي تتحرك و تضطرب (رؤسهم) من النوم قال الطيبي الخفقة النعسة الخفيفة ومعنى تخفق رؤسهم تسقط أذقانهم على صدورهم و قيل هو من الخفوق و هو الاضطراب (ثم يصلون) أي بذلك الوضوء (ولايتوضؤن) أي وضوأ جديدا (رواه أبو داود و الترمذي الا أنه) أي الترمذي (ذكر فيه) أي في حديثه (ينامون) أي قاعدين (بدل ينتظرون العشاء حتى تخفق رؤسهم) أي بدل مجموع قوله ينتظرون العشاء حتى تخفق رؤسهم كما هو الظاهر لا بدل ينتظرن العشاء فقط كما توهمه بعض الطلبة لما في تخريج المصابيح لابي اسحق السلمي الشافعي نقلا عن المنذري انه أخرج مسلم عن أنس قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينامون ثم يصلون و لايتوضؤن فهذا يؤيد ان المراد ينامون بدل مجموع قوله ينتظرون العشاء حتى تخفق رؤسهم و أما رواية الترمذي فهي موافقة لرواية مسلم و كان المصنف ذهل عن رواية مسلم

وعن ابن عباس رضي‌الله‌عنهما قال قال رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان الوضوء على من نام مضطجعا فانه اذا اضطجع استرخت مفاصله رواه الترمذي وأبو داود وعن بسرة قالت قال رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا مس أحدكم ذكره فليتوضأ رواه مالك وأحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي وعن طلق بن على قال سئل رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم عن مس الرجل ذكره بعد ما يتوضأ قال وهل هو الا بضعة منه رواه أبوداود والترمذي والنسائي وروى ابن ماجه نحوه وقال الشيخ الامام محيي السنة هذا منسوخ لان أبا هريرة أسلم بعد قدوم طلق

حيث لم‌يتعرض لها كذا حققه ميرك شاه رحمه الله تعالى (وعن ابن عباس قال قال رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه وسلم ان الوضوء) أي وجوبه (على من نام مضطجعا فانه اذا اضطجع استرخت) أي فترت وضعفت (مفاصله) جمع مفصل وهو رؤس العظام والعروق فلايخلو حينئذ عن خروج شئ عادة والثابت عادة كالمتيقن (رواه الترمذي وأبوداود) وقال حديث منكر ورجح الترمذي وقفه على ابن عباس ذكره ابن حجر وقال ميرك هذا حديث منكر لم‌يروه الا يزيد الدالاني عن قتادة عن أبي العالية عن ابن عباس قال المنذري وذكر أبوداود ما يدل على ان قتادة لم‌يسمع هذا الحديث من أبي العالية فيكون منقطعا وذكر ابن حبان ان يزيد الدالاني كان كثير الخطأ فاحش الوهم مخالف الثقات (وعن بسرة) بضم الموحدة وسكون المهملة بنت صفوان صحابية كذا في التقريب وقال المصنف هي بسرة بنت صفوان بن نوفل القرشية الاسدية وهي بنت أخي ورقة بن نوفل (قالت قال رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه وسلم اذا مس أحدكم ذكره) قال ابن حجر وذكر غيره كذكره لرواية من مس ذكرا (فليتوضأ) هذا الحديث حجة للشافعي في انتقاض الوضوء بمس الذكر ولكنه مقيد بما اذا كان بالكف بلاحجاب قال ابن حجر أي بباطن الكف كما اقتضته رواية اذا أفضى أحدكم بيده الى فرجه والافضاء المس بباطن الكف وهو الراحة والاصابع اه لكن الافضاء بالمعنى المذكور غير معروف في كتب اللغة بل المشهور معناه مطلق الايصال قال تعالى وقد أفضى بعضكم الى بعض ثم حمل الطحاوي الوضوء على غسل اليد استحبابا (رواه مالك وأحمد وأبوداود والترمذي) وقال هذا حديث حسن صحيح قال وقال محمد بن اسمعيل البخاري أصح شئ في هذا الباب حديث بسرة ذكره ميرك (والنسائي وابن ماجه والدارمي وعن طلق بن علي) يكنى أبا علي الحنفي اليماني ويقال له أيضا طلق بن ثمامة روى عنه ابن قيس (قال سئل رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم عن مس الرجل ذكره بعد ما يتوضأ قال وهل هو الا بضعة) بفتح الباء أي قطعة لحم (منه) أي من الرجل وفي نسخة منك أي فهو كمس بقية أعضائه فلانقض به نقل الطحاوي عن علي قال ما أبالي أنفي مسست أو أذني أو ذكري وعن عبد الله بن مسعود ما أبالي ذكري مسست في الصلاة أو أذني أو أنفي وعن كثير من الصحابة نحوه وعن سعد لما سئل عن مس الذكر فقال ان كان شئ منك نجسا فاقطعه ولاباس به وعن الحسن انه كان يكره مس الفرج فان فعل لم‌ير عليه وضوأ (رواه أبوداود والترمذي والنسائي) أي بهذا اللفظ (وروى ابن ماجه نحوه) أي بالمعنى قال ابن الهمام الحق ان كلا من الحديثين لاينزل عن درجة الحسن لكن يترجح حديث طلق بأن حديث الرجال أقوى لانهم أحفظ للعلم وأضبط ولذا جعل شهادة امرأتين بشهادة رجل اه وأطال الطحاوي في تضعيف حديث بسرة وأبي هريرة والله أعلم (قال الشيخ) وفي نسخة بالواو (محيي السنة رحمه الله هذا) أي ما رواه طلق (منسوخ لان أبا هريرة أسلم بعد قدوم طلق) أي من اليمن قال الطيبي وذلك ان طلقا قدم على النبي صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم وهو يبني مسجد المدينة

و قد روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أفضى أحدكم بيده الى ذكره ليس بينه و بينها شئ فليتوضأ رواه الشافعي و الدار قطني و رواه النسائي عن بسرة الا انه لم يذكر ليس بينه و بينها شئ و عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل بعض أزواجه ثم يصلي و لايتوضأ رواه أبوداود و الترمذي و النسائي و ابن ماجه و قال الترمذي لا يصح عند أصحابنا بحال

و ذلك فى السنة الاولى من الهجرة و أسلم أبو هريرة عام خيبر فى السنة السابعة (و قد روى أبو هريرة) و فى نسخة عن أبي هريرة (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أفضى) أى أوصل (أحدكم بيده) أى بكفه و الباء للتعدية (الى ذكره ليس بينه و بينها) أى بين ذكره و بين يده (شئ) أى مانع من الثياب و غيره (فليتوضأ) قال الحافظ عبد الحق هذا حديث صحيح ذكره ميرك (رواه الشافعي و الدار قطني) أى بهذا اللفظ و رواه أحمد بمعناه و ابن حبان أيضا كلهم عن أبي هريرة (و رواه النسائي عن بسرة الا أنه) أى النسائي (لم يذكر ليس بينه و بينها شئ) اعترض الشيخ التوربشتي رحمه الله على الشيخ محيي السنة رحمه الله بأن ادعاء النسخ فيه مبنى على الاحتمال و هو خارج عن الاحتياط الا اذا أثبت هذا القائل ان طلقا توفى قبل اسلام أبي هريرة أو رجع الى أرضه و لم تبق له صحبة بعد ذلك و ما يدرى هذا القائل إن طلقا سمع هذا الحديث بعد اسلام أبي هريرة و ذكر الخطابي فى المعالم ان أحمد بن حنبل كان يرى الوضوء من مس الذكر و كان ابن معين يرى خلاف ذلك و فى ذلك دليل ظاهر على أن لاسبيل الى معرفة الناسخ و المنسوخ لهما كذا نقله الطيبي و نقل بعض عن الخطابي أنه قال ان أحمد بن حنبل و ابن معين مع بعد شأويهما و جلالة قدرهما فى معرفة الحديث و رجاله تذاكرا و تكلما فى الاخبار التى رويت فى هذا الباب وكان عاقبة أمرهما ان اتفقا على سقوط الاحتجاج بحديث طلق و بسرة أى لانهما تعارضا فتساقطا و هذا دليل ظاهر على أن لا سبيل الى معرفة الناسخ و المنسوخ منهما اه قال الطيبي فاذن الاخذ بالاحوط أولى و تبعه ابن حجر لكن فيه انه ان كان المراد بالاخذ العمل فلا مناقشة فيه و أما ان كان المراد منه الحكم بالنقض فلا نسلم انه الاحوط و قال المظهر على تقدير تعارضهما نعود الى قول الصحابة قال على و ابن مسعود و أبو الدرداء و حذيفة و عمار رضى الله تعالى عنهم ان المس لايبطل و به أخذ أبو حنيفة و قال عمر و ابنه و ابن عباس و سعد بن أبي وقاص و أبو هريرة و عائشة رضى الله تعالى عنهم بالبطلان و به أخذ الشافعي قلت فتعارض أقوال الصحابة أيضا فتساقطت و الاصل عدم النقض مع أن قول بعضهم بالبطلان قابل للحمل على الاحوط فى العمل فلايكون دليلا مع الاحتمال و الله أعلم بالحال ثم الصحيح من مذهب مالك و رواية عن أحمد انه ان مسه بشهوة انتقض و الا فلا (و عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل بعض أزواجه ثم يصلي و لايتوضأ رواه أبو داود و الترمذي و النسائي و ابن ماجه) قال ابن الهمام و روى البزار باسناد حسن و قال الخطابي يحتج به من يذهب الى أن الملامسة المذكورة فى الآية معناها الجماع دون اللمس بسائر البدن الا أن أبا داود ضعفه و قال هو منقطع لان ابراهيم التيمي لم يسمع من عائشة رضى الله عنها و المرسل أنواع فالمرسل المطلق هو أن يقول التابعي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم و منه قسم يسمى بالمنقطع و هو غير الاول و منه قسم يسمى بالمعضل و هو أن يكون بين المرسل و رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من رجل و قال المظهر اختلف العلماء فى المسئلة فقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى المس لايبطل بدليل هذا الحديث و قال الشافعي و أحمد يبطل بلمس الاجنبيات و عند مالك يبطل بالشهوة و الافلا (و قال الترمذي لايصح عند أصحابنا) أى من أهل الحديث أو من الشافعية (بحال) أى من أحوال

اسناد عروة عن عائشة و أيضا اسناد ابراهيم التيمى عنها و قال أبو داود هذا مرسل و ابراهيم التيمى لم‌يسمع عن عائشة وعن ابن عباس قال أكل رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم كتفا ثم مسح يده بمسح كان تحته ثم قام فصلى رواه أبو داود و ابن ماجه وعن أم سلمة رضى‌الله‌عنها انها قالت قربت الى النبى‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم جنبا مشويا فاكل منه ثم قام الى الصلاة و لم‌يتوضأ رواه أحمد

الطرق (اسناد عروة عن عائشة) قال الطيبى اعلم أن فى الصحيحين سماع عروة عن عائشة أكثر من أن يحصى فانه كان تلميذها (و أيضا) أى لايصح (اسناد ابراهيم التيمى عنها) أى عن عائشة (و قال أبو داود هذا مرسل) أى نوع مرسل و هو المنقطع لكن المرسل حجة عندنا و عند الجمهور (و ابراهيم التيمى لم‌يسمع عن عائشة) و فى نسخة من عائشة قال السيد جمال‌الدين المحدث هذا كلام لايصح بحال لانه وقع فى الصحيحين كثيرا ما يدل على صحة سماع عروة عن عائشة و سماع عروة عن عائشة مما لا مجال عند علماء أسماء الرجال للمناقشة فيه و يبعد عن الترمذى أن يقول هذا القول مع أن كتابه مملوء مما يدل على صحة سماع عروة عن عائشة و العجب من المصنف أن يعزو هذا القول اليه فانه ليس فى كتابه كذلك بعد ايراده الحديث و انما فى كتابه ترك أصحابنا حديث عائشة فى هذا لانه لايصح عندهم الاسناد بحال و سمعت أبابكر العطار البصرى يذكر عن على بن المدينى أنه قال ضعف يحيى بن سعيد القطان هذا الحديث و سمعت محمد بن اسمعيل البخارى يضعف هذا الحديث و قال يعنى البخارى حبيب بن أبى ثابت يعنى راوى هذا الحديث عن عروة لم‌يسمع من عروة و قد روى عن ابراهيم التيمى عن عائشة أن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قبلها و لم‌يتوضأ و هذا أيضا لايصح و لانعرف لابراهيم التيمى سماعا عن عائشة و ليس يصح عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم فى هذا الباب شئ اه فتوهم المصنف أن المراد من قوله لايصح عندهم بحال الاسناد اسناد عروة عن عائشة و منشأ هذا الوهم أن الترمذى علل الطريق الثانى لهذا الحديث و هو طريق التيمى عن عائشة بعدم صحة سماعه عنها بقوله و هذا لايصح أيضا و لانعرف لابراهيم التيمى سماعا عن عائشة ففهم المصنف منه أن تضعيف الطريق الاولى أيضا معلل بعدم سماع عروة عن عائشة و غفل عن نقله عن البخارى فانه يعلم منه أنه معلل بعدم سماع ابن أبى ثابت عن عروة لاسماع عروة عن عائشة رضى‌الله‌تعالى‌عنها و الله الموفق و قال نجله السعيد ميرك شاه رحمه الله تعالى و ما ادعى بعض محدثى زماننا أن عروة هذا ليس عروة بن الزبير و انما هو عروة المزنى ليس بشئ لان البيهقى صرح بانه عروة بن الزبير و يشعر به كلام البخارى أيضا اه و قال ابن حجر عروة المذكور هنا ان كان هو المزنى كما قاله بعض الحفاظ فهو لم‌يدرك عائشة و ان كان هو ابن الزبير و هو ابن أختها أسماء و هو ما يدل عليه كلام الترمذى فنقل الترمذى عن البخارى أنه ضعف هذا الحديث لكون حبيب بن أبى ثابت رواه عن عروة و هو لم‌يدركه فيكون منقطعا (و عن ابن عباس قال أكل رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم كتفا) بفتح الكاف و كسر التاء كذا ضبطه ابن الملك و فى القاموس الكتف ككفرح و مثل و حبل و المعنى لحم كتف شاة مشوى (ثم مسح يده بمسح) بكسر الميم أى كساء (كان تحته) أى تحت رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم (ثم قام فصلى) أى و لم‌يتوضأ قال الطيبى و فيه دليل على أن أكل ما مسته النار لايبطل الوضوء (رواه أبوداود) قال ميرك و سكت عليه هو و المنذرى (و ابن ماجه) أى و رواه ابن ماجه أيضا و قال ابن حجر و صححه ابن حبان و أصله فى الصحيح كما مر و فيه أنه لاكراهة فى عدم غسل اليد من الطعام لكن بشرط أن يزال ما فيها من أثره بالمسح (وعن أم سلمة أنها قالت قربت) أى جعلت قريبا (الى النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم

* (الفصل الثالث) * عن أبى رافع قال أشهد لقد كنت أشوى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطن الشاة ثم صلى و لم يتوضأ رواه مسلم و عنه قال أهديت له شاة فجعلها فى القدر فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا يا أبا رافع فقال شاة أهديت لنا يارسول الله فطبختها فى القدر قال ناولنى الذراع يا أبا رافع فناولته الذراع ثم قال ناولنى الذراع الآخر فناولته الذراع الآخر ثم قال ناولنى الذارع الآخر فقال له يارسول الله انما للشاة ذراعان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما انك لو سكت لناولتنى ذراعا فذراعا ما سكت ثم دعا بماء فتمضمض فاه و غسل أطراف أصابعه ثم قام فصلى ثم عاد اليهم فوجد عندهم لحما باردا فأكل

جنبا) أى ضلعا (مشويا فأكل منه ثم قام الى الصلاة و لم يتوضأ) أى لا شرعيا و لا لغويا لبيان الجواز (رواه أحمد) قال ابن حجر و سنده حسن

* (الفصل الثالث) * (عن أبى رافع) مولى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (قال أشهد) أى أقسم بالله (لقد كنت أشوى) لما كان فى أشهد معنى القسم دخل اللام فى قد جوابا له و انما ضمن الشهادة معنى القسم لان الشهادة اخبار عن مواطأة القلب اللسان و اعتقاد ثبوت المدعى و فيه دلالة على اثبات هذه الدعوى فى الخلاف فيما بين الصحابة (لرسول الله) أى لاكله (صلى الله عليه وسلم بطن الشاة) يعنى الكبد و الطحال و ما معهما من القلب و غيرهما (ثم صلى) أى فاكل ثم صلى و كان القياس ثم يصلى لكن أتى به ماضيا لان قوله كنت أشوى ماض فى المعنى لانه حكاية لصورة الحال الماضية (و لم يتوضأ رواه مسلم و عنه) أى عن أبى رافع (قال أهديت له) أى لابى رافع (شاة) برفعها على بناء الفاعل قيل فيه التفات و الاظهر أنه نقل بالمعنى (فجعلها فى القدر) أى للطبخ (فدخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ما هذا) أى أى شئ هذا الذى فى القدر (يا أبا رافع) يقرأ بالهمزة و لا تكتب (فقال شاة أهديت لنا يا رسول الله فطبختها فى القدر فقال ناولنى الذراع) بفتح الياء و تسكن (يا أبا رافع فناولته الذراع) فى القاموس الذراع بالكسر من طرف المرفق الى طرف الاصبع الوسطى و الساعد و قد يذكر فيهما (ثم قال ناولنى الذراع الآخر فناولته الذراع الآخر ثم قال ناولنى الذراع الآخر) لمحبته للذراع تقوية للبدن على عبادة مولاه و لاستغراقه فى الحضور مع الله تعالى حيث لم يخطر بباله سواه (فقال) أى أبو رافع على سبيل الالتفات أو التقدير فقال قائل (يا رسول الله انما للشاة ذراعان) و فى رواية الترمذى و كم للشاة من ذراع و الظاهر أن هذا استفهام استبعاد لا انكار لانه لا يليق بهذا المقام (فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما) بالتخفيف للتنبيه (انك) بالكسر (لو سكت) أى عما قلت لى و امتثلت أدبى (لناولتنى ذراعا فذراعا ما سكت) أى ما سكت أنت و طلبت أنا قال الطيبى الفاء فى فذراعا للتعاقب كما فى قوله الامثل فالامثل وما فى ما سكت للمدة و المعنى ناولتنى ذراعا عقب ذراع الى ما لا نهاية له ما دمت ساكتا فلما نطقت انقطعت اه و فى رواية الترمذى ما دعوت أى ما طلبت من الدعوة بالفتح و المعنى مدة دوام طلبه لان الله سبحانه و تعالى يخلق ما يشاء و كان يخلق فيها ذراعا بعد ذراع معجزة و كرامة له عليه الصلاة والسلام و انما منع كلامه من ذلك قيل لانه شغل النبى صلى الله عليه وسلم عن التوجه الى ربه بالتوجه اليه أو الى جواب سؤاله و الله أعلم (ثم دعا بماء فتمضمض فاه) أى حرك ماء فمه و فى نسخة فمضمض فى القاموس المضمضة تحريك الماء فى الفم و تمضمض للوضوء مضمض (و غسل أطراف أصابعه) أى محل الدسومة و التلوث على قدر الحاجة لا على قصد التكبر (ثم قام فصلى ثم عاد اليهم) أى الى أبى رافع و أهل بيته (فوجد عندهم لحما باردا فأكل) لانه كان صلى الله تعالى عليه وسلم يحب اللحم وما كان تجده دائما ففى الترمذى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت ما كانت الذراع

ثم دخل المسجد فصلى ولم‌يمس ماء رواه أحمد ورواه الدارمى عن أبى عبيد الا أنه لم‌يذكر ثم دعا بماء الى آخره و عن أنس بن مالک قال کنت أنا و أبى و أبو طلحة جلوسا فأكلنا لحما و خبزا ثم دعوت بوضوء فقالا لم‌تتوضأ فقلت لهذا الطعام الذى أكلنا فقالا أنتوضأ من الطيبات لم‌يتوضأ منه من هو خير منک رواه أحمد و عن ابن عمر كان يقول قبلة الرجل امرأته و جسها بيده من الملامسة و من قبل امرأته أو جسها بيده فعليه الوضوء رواه مالک و الشافعى و عن ابن مسعود قال كان يقول من قبلة الرجل امرأته الوضوء رواه مالک و عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب رضى‌الله‌عنه قال ان القبلة من اللمس فتوضؤا منها

أحب اللحم الى رسول‌الله‌صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم و لکنه كان لايجد اللحم الاغبا أى وقتا دون وقت وكان يعجل اليها أى الذراع لانها أعجلها أى اللحوم نضجا أى طبخا (ثم دخل المسجد) أى بعد فراغ المعاش توجه الى السعى فى المعاد (فصلى) أى شكرالله (ولم يمس ماء) أى للوضوء ولالغسل الفم قبل الصلاة (رواه أحمد) أى عن أبى رافع (و رواه الدارمى عن أبى عبيد) وكذا رواه الترمذى عنه و هو مولى للنبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم و صحابى ولم‌يذكره المصنف فى أسمائه (الا أنه). أى الدارمى. (لم‌يذكر ثم دعا بماء الى آخره و عن أنس بن مالک قال کنت أنا و أبى) أى ابن كعب (و أبو طلحة) قال المصنف هو أبو طلحة زيد بن سهل الانصارى النجارى و هو مشهور بكنيته و هو زوج أم أنس ابن مالک و كان من الرماة المذكورين قال النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم لصوت أبى طلحة فى الجيش خير من فئة مات سنة احدى و ثلاثين و هو ابن سبع و سبعين سنة و أهل البصرة يرون انه ركب البحر و مات و دفن فى جزيرة بعد تسعة أيام شهد العقبة مع السبعين ثم شهد بدرا و ما بعد ها من المشاهد روى عنه نفر من الصحابة (جلوسا) أى جالسين (فأكلنا لحما و خبزا) الواو لمطلق الجمع (ثم دعوت بوضوء) بفتح الواو أى طلبت ماء الوضوء (فقالا) أى أبى و أبو طلحة (لم‌تتوضأ فقلت لهذا الطعام الذى أكلنا) يعنى اللحم و الخبز فانهما مما مستهما النار (فقالا أنتوضأ من الطيبات) فيه أن نقض الوضوء انما يكون بخبيث ينافيه كالخارج من السبيلين و هو معقول المعنى و فى معناه خروج الدم والقيح و القىء عندنا و غيره الحق به و ان لم‌يكن معقول المعنى كالنوم و الاغماء و الجنون و السكر لانه مظنة لخروج الخبيث ولذا قلنا نقض الوضوء بالقهقهة فى الصلاة على خلاف القياس فيقتصر على المورد. (لم‌يتوضأ منه) أى من مثل هذا الطعام (من هو خير منک) أى النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم و الحاصل أن الموجب منفى عقلا و نقلا (رواه أحمد و عن ابن عمر) رضى‌الله‌عنه (كان يقول قبلة الرجل امرأته) نصب على المفعولية (و جسها) بالجيم و تشديد السين أى مسها (بيده من الملامسة) أى المذكورة فى قوله تعالى أولامستم النساء (ومن قبل امرأته أوجسها بيده) فقد لامس ومن لامس (فعليه الوضوء) قال الطيبى تفريع على ما أصله من قبل أى اذا كان التقبيل و الجس من الملامسة فيلزم أن يتوضأ من قبل أوجس و الترتيب مفوض الى ذهن السامع قال ابن حجر وبما تقرر علم ان الاحق هنا الفاء لاالواو فى ومن قبل لكنها تركت اتكالا على ذهن السامع و ادراكه الترتيب بادنى التفات اليه (رواه مالک و الشافعى و عن ابن مسعود) رضى‌الله‌عنه (كان يقول من قبلة الرجل امرأته) بالنصب على أنه مفعول قبلة لانها اسم مصدر (الوضوء) مبتدأ مؤخر قال الطيبى أى يجب منها الوضوء و فى تقديم الخبر على المبتدأ المعرف اشعار بالخلاف و رد على من يقول ليس حكم التقبيل و الجس حكم سائر النواقض فرد و قيل ليس حكمه الا كحكمها فيكون من قصر القلب (رواه مالک و عن ابن عمر) رضى‌الله‌عنه (أن عمر بن الخطاب رضى‌الله‌عنه قال ان القبلة من اللمس) أى المذكور فى الآية (فتوضؤا منها) هذه

و عن عمر بن عبدالعزيز عن تميم الدارى قال قال رسول‌اللّه‌صلى‌اللّه‌عليه‌وسلم الوضوء من كل دم سائل روا هما الدار قطنى

الاحاديث كلها موقوفة على بعض الصحابة ممن قال بنقض اللمس و ليست فى حكم المرفوع اذ للرأى فيه مجال مع احتمال أن يحمل قوله على الاستحباب للاحتياط و للمجتهد أن يختار من أقوال الصحابة ما شاء لاسيما و قد ثبت عن النبى صلى‌اللّه‌عليه‌وسلم عدم النقض باللمس كما تقدم عن عائشة و الاصل عدم التخصيص مع أن الشافعى لايرى تقليد المجتهد للصحابى (وعن عمر بن عبدالعزيز) هو عمر بن عبدالعزيز ابن مروان بن الحكم يكنى أباحفص الاموى القرشى أمه أم عاصم بنت عمر بن الخطاب و اسمها ليلى روى عن أبى بكر بن عبدالرحمن وروى عنه الزهرى و أبوبكر بن حزم ولى الخلافة بعد سليمان ابن عبدالملك سنة تسع و تسعين و مات سنة احدى و مائة فى رجب بديرسمعان من أرض حمص و كانت مدة ولايته سنتين و خمسة أشهر و أياما و له من العمر أربعون سنة و قيل لم‌يستكملها و كان على صفة من الزهد و العبادة و التقى و العفة و حسن السيرة لاسيما أيام ولايته قيل لما أفضت اليه الخلافة سمع من منزله بكاء عال فسئل عن ذلك فقالوا ان عمر خير جواريه فقال نزل بى ما شغلنى عنكم فمن أحب أن أعتقه أعتقت و من أحب أن أمسكه أمسكت ولم‌يكن لى اليها شئ و سأل عقبة ابن نافع زوجته فاطمة بنت عبدالملك فقال ألاتخبرينى عن عمر فقالت لا أعلم انه اغتسل من جنابة ولا من احتلام منذ استخلفه الله تعالى حتى قبضه و قالت قد يكون من الرجال من هو أكثر صلاة و صياما من عمر و لكن لم‌أر من الناس أحدا قط أشد خوفا من ربه منه كان اذا دخل البيت ألقى نفسه فى مسجده فلايزال يبكى و يدعو حتى تغلبه عيناه ثم يستيقظ و يفعل مثل ذلك ليله أجمع و مناقبه كثيرة ظاهرة (عن تميم الدارى) نسبة الى الجد فان الدار اسم واحد من أجداده و هو أبو رقية مصغرا تميم بن خارجة صحابى كان يختم القرآن فى ركعة و ربما ردد الآية الواحدة فى الليل كله لزم العبادة و سكن الشام و مات بها كذا فى الانساب للسمعانى قال المصنف هو تميم بن أوس الدارى أسلم سنة تسع قال محمد بن المنكدر ان تميما الدارى نام ليلة لم‌يقم يتهجد فيها فقام سنة لم‌ينم فيها عقوبة للذى صنع سكن المدينة ثم انتقل منها الى الشام بعد قتل عثمان و أقام بها الى أن مات و هو أول من أسرج السراج فى المسجد روى عن النبى صلى‌اللّه‌عليه‌وسلم قصة الدجال و الجساسة وروى عنه أيضا جماعة (قال قال رسول‌اللّه‌صلى‌اللّه‌عليه‌وسلم الوضوء من كل دم سائل) أى الى ما يجب تطهيره كما هو مذهب أبى حنيفة (رواهما) أى الحديثين السابقين (الدار قطنى) وروى الحديث الثانى ابن عدى فى كامله عن زيد بن ثابت كذا ذكره الشمنى يعنى من طريق أخرى و قال ابن عدى لانعلمه الا من طريق أحمد ابن فروخ و هو ممن لايحتج بحديثه و لكنه يكتب فان الناس مع ضعفه قد احتملوا حديثه اه لكن قال ابن أبى‌حاتم فى كتاب العلل قد كتبنا عنه و محله عندنا الصدق قال ابن الهمام و قد تظافر معه حديث البخارى عن عائشة جاءت فاطمة بنت أبى جبيش اليه عليه‌الصلاة‌والسلام و قالت يارسول‌الله انى امرأة استحاض فلاأطهر افادع الصلاة قال لا انما ذلك عرق و ليست بالحيضة فاذا أقبلت الحيضة فدعى الصلاة فاذا أدبرت فاغسلى عنك الدم قال هشام بن عروة قال أبى ثم توضئى لكل صلاة حتى يجئى ذلك الوقت أى وقت الحيض واعترض بانه من كلام عروة و دفع بأنه خلاف الظاهر وقد رواه الترمذى كذلك ولم‌يحمله على ذلك و لفظه و توضئى لكل صلاة حتى يجئى ذلك الوقت و صححه و ما رواه الدار قطنى من أنه صلى‌اللّه‌عليه‌وسلم احتجم و صلى ولم‌يتوضأ ولم‌يزد على غسل محاجمه فضعيف اه

و قال عمر بن عبدالعزيز لم يسمع من تميم الدارى ولا رآه و يزيد بن خالد و يزيد بن محمد مجهولان
* (باب آداب الخلاء) * * (الفصل الاول) * عن أبى أيوب الانصارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتيتم الغائط فلاتستقبلوا القبلة ولاتستدبروها و لكن شرقوا أو غربوا متفق عليه قال الشيخ الامام محيى السنة رحمه الله هذا الحديث فى الصحراء

كلام المحقق ابن الهمام فى شرح الهداية و الله أعلم (و قال) أى الدار قطنى (عمر بن عبدالعزيز لم يسمع) أى بلا واسطة (من تميم الدارى ولا رآه) فى شرح الهداية لخواجه عصام الدين أما كون الحديث مرسلا فليس بطعن عندنا لانا نقبل المراسيل ذكره الابهرى و فى شرح الهداية لابن الهمام و المراسيل عندنا و عند جمهور العلماء حجة (و يزيد بن خالد و يزيد بن محمد مجهولان) قال ميرك أى الراويان عن عمر بن عبدالعزيز قال السمعانى هما ضعيفان مجهولان و قال ابن الهمام رواه الدار قطنى من طريق ضعيفة اه و تقدم أن له طريقا آخر رواه ابن عدى فى كامله و مع ذلك اعتماد المذهب ليس على هذا الحديث بل على حديث البخارى عن عائشة كما سبق

* (باب آداب الخلاء) *

الآداب استعمال ما يحمد قولا و فعلا و الخلاء بالمد كل موضع يقضى الانسان فيه حاجته سمى بذلك لان الانسان يخلو فيه

* (الفصل الاول عن أبى أيوب الانصارى) * شهد العقبة و ما بعدها من المشاهد و نزل عليه النبى صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة مهاجرا و أقام عنده شهرا توفى بالروم غازيا و قبره بالقسطنطينية كذا فى التهذيب قال المصنف هو خالد بن زيد الانصارى الخزرجى و كان مع على بن أبى طالب فى حروبه كلها و مات بالقسطنطينية سنة احدى و خمسين وكان ذالک مع يزيد بن معاوية لما غزا[1] أبوه القسطنطينية خرج معه فمرض فلما ثقل قال لاصحابه اذا أنامت فاحملونى فاذا صاددتم العدو فادفنونى تحت أقدامكم ففعلوا و دفنوه قريبا من سورها و قبره معروف الى اليوم يستشفون به فيشفون روى عنه جماعة و القسطنطينية هو بضم القاف و سكون السين وضم الطاء الاولى و كسر الثانية و بعدها ياء ساكنة و قال النووى هكذا ضبطناه و هو المشهور ونقل القاضى عياض المغربى فى المشارق عن الاكثرين زيادة ياء مشددة بعد النون (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتيتم الغائط) أى جئتم و حضرتم موضع قضاء الحاجة قال الطيبى الغائط فى الاصل المطمئن من الارض و منه قيل لموضع قضاء الحاجة لان العادة أن يقضى فى المنخفض لانه أستر له ثم اتسع حتى أطلق على النجو نفسه أى الخارج تسمية للحال باسم محله (فلاتستقبلوا القبلة) أى جهة الكعبة تعظيما لها (و لا تستدبروها) تكريما لها قال ابن حجر فكل منهما حال قضاء الحاجة و العبرة بالصدر حرام فى الصحراء و البنيان لا يستثنى من ذلك الا المحل المهيأ لقضاء الحاجة فى البنيان و الصحراء فلا حرمة فيه مطلقا لحديث ابن عمر الآتى لكن ان أمكنه الميل عن القبلة بلا مشقة كان الميل عنها أفضل (ولكن شرقوا أو غربوا) أى توجهوا الى جهة الشرق أو الغرب قال فى شرح السنة هذا خطاب لاهل المدينة و لمن كانت قبلته على ذلك السمت فاما من كانت قبلته الى جهة الغرب أو الشرق فانه ينحرف الى الجنوب أو الشمال (متفق عليه) و فى الجامع الصغير اذا أتى أحدكم الغائط فلايستقبل القبلة و لايولها ظهره شرقوا أو غربوا رواه أحمد و الشيخان و الاربعة عن أبى أيوب (قال الشيخ الامام محيى السنة رحمه الله هذا الحديث) أى حكمه (فى الصحراء) أى عند الشافعية قال ابن حجر و كذا البنيان غير الخلاء قال الطيبى ذكر

[1] صحح نظرا الى الاصل - ف

و أما فى البنيان فلا بأس لما روى عن عبد الله بن عمر قال ارتقيت فوق بيت حفصة لبعض حاجتى فرأيت رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقضى حاجته مستدبر القبلة مستقبل الشام متفق عليه و عن سلمان رضى‌الله‌عنه قال نهانا يعنى . رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان نستقبل القبلة بغائط أو بول أو نستنجى باليمين أو ان نستنجى بأقل من ثلاثة أحجار

الشافعى و جماعة أن الصحراء لاتخلو مَن مصل من ملك أو انس أو جن فاذا قعد مستقبل القبلة أو مستدبرها ربما يقع نظر مصل على عورته و أما الابنية فليس فيها ذلك لان الحشوش لاتحضره الا الشياطين (و أما فى البنيان) قال ابن حجر يعنى الخلاء ليطابق الحديث الذى استدل به (فلابأس) قال المظهر هذا مذهب الشافعى و عند أبى حنيفة يستوى الصحراء و البنيان فى حرمة الاستقبال و الاستدبار قال ابن الملك لاستواء العلة فيهما و هو احترام القبلة (لما روى) و كان الاولى أن يقول لما رواه عبدالله قال الابهرى فيه مسامحة فان الحديث صحيح أى و لايستعمل روى غالبا الا فى الضعيف (عن عبد الله ابن عمر) قال ابن الملك هذا مذهب الشيخ و هو مدفوع بان عموم الحديث لايختص بالاثر اه و هو غريب اذ الاثر مرفوع (قال ارتقيت) أى صعدت (فوق بيت حفصة) أى سطحه و هى أخت الراوى زوجة النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم (لبعض حاجتى) يحتمل قضاء الحاجة و غيره (فرأيت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقضى حاجته) أى فى الخلاء كما دلت عليه رواية أخرى (مستدبر القبلة) و فيه أنه يمكن أن يكون قبل النهى أو لعذر كان هناك أو لكونه لاحرج فى حقه سيما فى حالة استغراقه (مستقبل الشام) أى بيت المقدس قاله ابن الملك (متفق عليه) و لفظهما مستدبر القبلة مستقبل الشام فوهم ابن حجر و قلب الكلام و كتب فى الاصل مستقبل القلبة مستدبر الشام ثم فرع عليه و قال و اذا جاز استقبال القلبة حال قضاء الحاجة فى الخلاء جاز الاستدبار فيه بالاولى‌اه فالغلط صريح و التفريع غير صحيح هذا و قد قال بعض علمائنا الاستقبال ممنوع دون الاستدبار و لعل مأخذهم هذا الحديث (و عن سلمان) قال المصنف هو سلمان الفارسى يكنى أبا عبدالله مولى رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم و كان أصله من فارس من رامهرمز و يقال بل كان أصله من أصفهان من قرية يقال لها جن سافر يطلب الدين فدان أولا بدين النصرانية و قرأ الكتب و صبر فى ذلك على مشقات متتالية فاخذه قوم من العرب فباعوه من اليهود ثم انه كوتب فاعانه رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم فى كتابته و يقال انه تداوله بضعة عشر سيدا حتى أفضى الى النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم و أسلم لما قدم النبى الى المدينة و قال سلمان منا أهل البيت و هو أحد الذين اشتاقت اليهم الجنة فكان من المعمرين قيل عاش مائتين و خمسين سنة و قيل ثلثمائة و خمسين سنة و الاول أصح و كان أكل من عمل يده و يتصدق بعطائه مات بالمدائن سنة خمس و ثلاثين روى عنه أنس و أبو هريرة و غيرهما (قال نهانا يعنى) أى يريد سلمان بالناهى (رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم) و انما قال الراوى عن سلمان ذلك لان الصحابى لايطلق ذلك على غير النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم فكأنه لنسه صرح به فقال نهانا رسول‌الله‌صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم (أن نستقبل القبلة بغائط أو بول) قال علماؤنا الاستقبال لهما كراهة تحريم و للاستنجاء كراهة تنزيه (أو ان نستنجى) قال ابن الملك أو فيه و فيما بعده للعطف اه و فى نسخة صحيحة هنا بالواو و أما فيما بعده فبأو اتفاقا و هو للتنويع قال فى الفائق الاستنجاء قطع النجاسة من نجوت الشجرة و أنجاها و استنجاها أى قطعها من الارض (باليمين) نهى تنزيه قاله ابن الملك (أو أن نستنجى بأقل من ثلاثة أحجار) قال المظهر النهى عن الاستنجاء باليمين نهى تنزيه و كراهة لاتحريم و الاستنجاء بثلاثة أحجار واجب عند الشافعى

أو ان نستنجی برجیع أو بعظم رواه مسلم وعن أنس قال کان رسول‌اللهﷺ اذا دخل الخلاء یقول اللهم انی أعوذبک من الخبث و الخبائث متفق علیه وعن ابن عباس قال مر النبیﷺ بقبرین فقال انهما لیعذبان وما یعذبان فی کبیر أما أحدهما فکان لایستتر من البول

و ان حصل النقاء بأقل و عند أبی حنیفة النقاء متعین لاالعدد اه لقوله علیه‌الصلاة‌والسلام من استجمر فلیوتر من فعل فقد أحسن ومن لا فلاحرج فالامر للاستحباب و النهی للتنزیه (أو أن نستنجی برجیع) لنجاسته فعیل بمعنی المفعول و المراد الروث و العذرة لانه رجع أی رد من حال هی الطهارة الی أخری وهی النجاسة وکل مردود رجیع (أو بعظم) قال الخطابی لایجوز الاستنجاء بعظم میتة أو مذکاة قیل علة النهی ملاسة العظم فلایزیل النجاسة و قیل علته انه یمکن مصه أو مضغه عند الحاجة و قیل قوله علیه الصلاة‌والسلام ان العظم زاد اخوانکم من الجن اه یعنی و انهم یجدون علیه من اللحم أوفر ما کان علیه و قیل لان العظم ربما یجرح (رواه مسلم) وروی أبوداود و الدارقطنی و البیهقی عن ابن مسعود مرفوعا نهی أن یستنجی أحد بعظم أو روثة أو حممة أی فحم (و عن أنس قال کان رسول‌اللهﷺ اذا دخل الخلاء) أی اذا أراد دخول الخلاء و فی شرح الابهری قال الشیخ من یکره ذکر الله فی تلک الحالة یفصل و یقول أما فی الامکنة المعدة لذلک فیقوله قبیل دخولها و أما فی غیرها فیقوله فی أوان الشروع کتشمیر ثیابه مثلا و هذا مذهب الجمهور و قالوا من نسی یستعیذ بقلبه لابلسانه و من یجیز مطلقا کما نقل عن مالک لایحتاج الی التفصیل (یقول اللهم انی) بسکون الیاء و فتحها (أعوذبک من الخبث) بضم الباء و تسکن جمع الخبیث وهو المؤذی من الجن والشیاطین (والخبائث) جمع الخبیثة یعنی ذکر ان الشیاطین و اناثهم و خص الخلاء لان الشیاطین تحضر الاخلیة لانه یهجر فیها ذکرالله و قیل الخبث بسکون الباء الکفر أو الشر أو الفجور أو الشئی المکروه مطلقا و الخبائث الافعال الذمیمة والخصال الردیئة و العقائد الزائغة والاحوال الدنیة و قال التوربشتی الخبث ساکن الباء مصدر خبث الشئی یخبث خبثا و فی ایراد الخطابی فی جملة الالفاظ التی یرویها الرواة ملحونة نظر لان الخبیث اذا جمع یجوز اسکان الباء للتخفیف کما فی سبل و غیره من المجموع وهذا مستفیض فی کلامهم لایجوز انکاره الا أن یزعم ان ترک التخفیف أولی لئلایشتبه بالخبث الذی هو المصدر (متفق علیه) ورواه أحمد و الاربعة عنه (وعن ابن عباس قال مر النبیﷺ بقبرین فقال انهما) أی صاحبی القبرین (لیعذبان) قال الابهری أعاد الضمیر الی غیر مذکور لان سیاق الکلام یدل علیه اه و یمکن انه نقل بالمعنی مع ان تقدیر المضاف غیر عزیز فی کلامهم و قال ابن حجر اللام للتأکید و یصح علی بعد أن یکون جواب قسم محذوف و خبر ان محذوف اه و هو غریب لانه لاوجه لحذف خبران مع انه لامانع من أن تکون الجملة القسمیة خبرا لان (وما یعذبان فی کبیر) قال ابن الملک قوله فی کبیر شاهد علی ورود فی للتعلیل قال بعضهم معناه انهما لایعذبان فی أمر یشق ویکبر علیهما الاحتراز عنه و الا لکانا معذورین کسلس البول و الاستحاضة أو فیما یستعظمه الناس ولایجترأ علیه فانه لم‌یشق علیهما الاستتار عند البول و ترک النمیمة ولم‌یرد ان الامر فیهما هین غیر کبیر فی الدین قال فی النهایة کیف لایکون کبیرا وهما یعذبان فیه اه و تبعه ابن حجر و فیه انه یجوز التعذیب علی الصغائر أیضا کما هو مقرر فی العقائد خلافا للمعتزلة فالاولی أن یستدل علی کونهما کبیرتین بقوله علیه‌الصلاة‌والسلام فی روایة بلی انهما کبیران عندالله (أما أحدهما فکان لایستتر من البول) من الاستتار ویؤیده انه أورد هذا الحدیث فی شرح السنة فی باب الاستتار عند قضاء

و فى رواية لمسلم لايستنزه من البول و أما الآخر فكان يمشى بالنميمة ثم أخذ جريدة رطبة فشقها بنصفين ثم غرز فى كل قبر واحدة قالوا يارسول الله لم صنعت هذا فقال لعله أن يخفف عنهما

الحاجة و فى نسخة صحيحة لايستنتر قال الاشرف فى الغريبين و النهاية يستنتر بنون بين التاءين من الاستنتار و هو الاجتذاب مرة بعد أخرى قال الليث النتر جذبة فيه قوة قيل هذا هو الذى يساعد عليه المعنى لا الاستتار و عليه كلام الشيخ محيى الدين الآتى و فى الرواية الاخرى لايستتر و هو غلط كذا ذكره الطيبى و فيه أن الاستنتار و الاستبراء سنة عند الجمهور و التكشف حرام عند الكل و المقام مقام التعذيب لكونه كبيرة على ما حرر فكيف هو الذى يساعده المعنى دون الاستتار و أنه غلط مع أنه رواية الاكثر و قد أورده البغوى فى باب الاستتار و أيضا لايعرف أصل فى الاحاديث للاجتذاب مرة بعد أخرى بل جذبه بعنف يضر بالذكر و يورث الوسواس المتعب بل المخرج عن حيز العقل و الدين ثم وهم ابن حجر و ذكره بلفظ لايستبرئ من الاستبراء و جعله أصلا ولم يذكر غيره مع انه ليس أصل الشيخين و انما هو رواية ابن عساكر و فى رواية أى لمسلم كما فى نسخة الاصل لايستتر من البول قال الابهرى فى أكثر الروايات بمثناتين من فوق الاولى بفتوحة و الثانية مكسورة و فى رواية ابن عساكر لايستبرئ بموحدة ساكنة من الاستبراء (و فى رواية لمسلم لايستنزه) بنون ساكنة بعدها زاى ثم هاء قال الشيخ فعلى رواية الاكثر معنى الاستتار أنه لايجعل بينه و بين بوله سترة يعنى لايتحفظ منه فيوافق رواية لايستنزه لانها من التنزه و هو الابعاد اه و هو جمع حسن ومآله الى عدم التحفظ عن البول المؤدى الى بطلان الصلاة غالبا و هو من جملة الكبائر قال ميرك و عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عامة عذاب القبر من البول استنزهوا من البول رواه البزار و الطبرانى فى الكبير و الحاكم و الدارقطنى و عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزهوا عن البول فان عامة عذاب القبر من البول رواه الدارقطنى و عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر عذاب القبر من البول رواه أحمد و ابن ماجه و اللفظ له و الحاكم و قال صحيح على شرط الشيخين و عن أبى أمامة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال اتقوا البول فانه أول ما يحاسب به العبد فى القبر رواه الطبرانى فى الكبير باسناد لاباس به (و أما الآخر فكان يمشى بالنميمة) أى الى كل واحد من الشخصين اللذين بينهما عداوة أو يلقى بينهما عداوة بان ينقل لكل واحد منهما ما يقول الآخر من الشتم و الاذى قال النووى النميمة نقل كلام الغير لقصد الاضرار و هى من أقبح القبائح (ثم أخذ) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى نسخة (جريدة رطبة) أى غصنا من النخل و فى الفائق هى السعفة التى جردت عنها الخوص أى قشرته (فشقها بنصفين) أى جعلها مشقوقة حال كونها ملتبسة بنصفين و الاصح أنها مفعول مطلق و الباء زائدة للتأكيد (ثم غرز فى كل قبر واحدة) أى فى كل من الشقتين (قالوا يارسول الله لم صنعت هذا) أى الغرز (فقال لعله) أى العذاب (أن يخفف) بالضم و فتح الفاء أى العذاب قبل أن يزال و فى نسخة بكسر الفاء فالضميران لله أو للغرز مجازا و ادخال ان فى خبر لعل مبنى على تشبيهها بعسى (عنهما) بالتثنية على الصحيح و فى نسخة عنها قال المالكى الرواية يخفف عنها على التوحيد و التأنيث و هو ضمير النفس فيجوز اعادة الضميرين فى لعله و عنها الى الميت باعتبار كونه انسانا و نفسا و يجوز أن يكون الأول ضمير الشان و فى عنها للنفس و جاز تفسير الشان بان و صلتها و الرواية بتثنية الضمير فى عنهما لاتستدعى هذا التأويل كذا قاله الطيبى و أغرب ابن حجر حيث جعل رواية ابن مالك أصلا للصحيح مع انه ليس كذلك فى الاصول المصححة ثم أغرب أيضا حيث قال و فى رواية التثنية يتعين كون الضمير

مالم ييبسا متفق عليه وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا اللاعنين قالوا وما اللاعنان يارسول الله قال الذى يتخلى فى طريق الناس أو فى ظلهم رواه مسلم و عن أبى قتادة

للشان و يصح كون الضمير مبهما يفسره ما بعده كما فى ماهى الاحياتنا الدنيا أصله ما الحياة ثم أبدلت بالضمير اكتفاء بدلالة الخبر عليها اه لان التعين ممنوع كما تقدم بل يحتاج فى صحته الى تكلف أحوج اليه الرواية بالافراد وكذا الابهام و التفسير مع ان مثل هذا لايقال الا فى موضع لايوجد للضمير مرجع فليس الحديث المذكور نظيرا للآية المذكورة (مالم ييبسا) بالتذكير أى ما دام لم ييبس النصفان أو القضيبان و بالتأنيث اى الشقتان أو الجريدتان قال النووى أما وضعهما على القبر فقيل انه عليه الصلاة والسلام سأل الشفاعة لهما فأجيب بالتخفيف الى أن ييبسا و قد ذكر مسلم فى آخر الكتاب فى حديث جابر ان صاحبى القبرين أجيبت شفاعتى فيهما أى برفع ذلك عنهما ما دام القضيبان رطبين و قيل انه كان يدعو لهما فى تلك المدة و قيل لانهما يسبحان ما داما رطبين قال كثير من المفسرين فى قوله تعالى و ان من شئى الايسبح بحمده معناه ان من شئى حى ثم قال و حياة كل شئى بحسبه فحياة الخشب ما لم ييبس والحجر مالم يقطع و المحققون على العموم و أن التسبيح على حقيقته لان المراد الدلالة على الصانع و استحب العلماء قراءة القرآن عند القبر لهذا الحديث اذ تلاوة القرآن أولى بالتخفيف من تسبيح الجريد و قد ذكر البخارى ان بريدة بن الحصيب الصحابى أوصى أن يجعل فى قبره جريدتان فكأنه تبرك بفعل مثل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و قد أنكر الخطابى ما يفعله الناس على القبور من الاخواص و نحوها بهذا الحديث و قال لاأصل له و فى الحديث اثبات عذاب القبر كما هو مذهب أهل الحق و فيه نجاسة الابوال و فيه تحريم النميمة لاسيما مع قوله كان فانه يدل على الاستمرار و فيه أن عدم التنزه من البول يبطل الصلاة و تركها كبيرة بلاشك اه قيل و فيه تخفيف عذاب القبر بزيارة الصالحين و وصول بركتهم و أما انكار الخطابى و قوله لاأصل له ففيه بحث واضح اذ هذا الحديث يصلح أن يكون أصلاله ثم رأيت ابن حجر صرح به و قال قوله لاأصل له ممنوع بل هذا الحديث أمثل أصيل له ومن ثم أفتى بعض الائمة من متأخرى أصحابنا بأن ما اعتيد من وضع الريحان والجريد سنة لهذا الحديث اه و لعل وجه كلام الخطابى ان هذا الحديث واقعة حال خاص لايفيد العموم ولهذا وجه له التوجيهات السابقة فتدبر فانه محل نظر (متفق عليه و عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا) أى احذروا أو اجتنبوا (اللاعنين) أى الامرين الجالبين للعن و الشتم فكأنهما لاعنان من باب تسمية الحامل فاعلا أى اللذين هما سببا اللعنة غالبا و فى الازهار قيل اللاعن بمعنى الملعون (قالوا وما اللاعنان يارسول الله قال الذى يتخلى) أى يتغوط و ينجس بحذف المضاف أى أحدهما تخلى الذى يتخلى (فى طريق الناس) أو عبر عن الفعل بفاعله (أو) للتنويع (فى ظلهم) أى فى مستظلهم الذى يجلسون فيه للتحدث و قال الطيبى المراد ما اختاروه ناديا و مقيلا قال الابهرى و مواضع الشمس فى الشتاء كالظل فى الصيف يعنى فى الموضع الذى يتشمسون و يتدفؤن به كما فى البلاد الباردة اه و مثلها موارد الماء و هى طرقه كما فى رواية تأتى و الاضافة تدل على كون المحل مباحا فيكره و أما اذا كان مملوكا فيحرم قضاء الحاجة بغير اذن مالكه (رواه مسلم) و رواه أحمد و مسلم و أبو داود عنه بلفظ اتقوا اللاعنين الذى يتخلى فى طريق الناس أو فى ظلهم كذا فى الجامع الصغير (وعن أبى قتادة) قال المصنف هو أبو قتادة الحرث بن ربعى الانصارى فارس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مات بالمدينة سنة أربع و خمسين و قيل بل مات فى خلافة على بالكوفة و كان شهد معه المشاهد كلها و هو ابن سبعين سنة

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا شرب أحدكم فلايتنفس فى الاناء و اذا أتى الخلاء فلايمس ذكره بيمينه ولايتمسح بيمينه متفق عليه و عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ فليستنثر ومن استجمر فليوتر متفق عليه وعن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الخلاء

و هو ممن غلبت عليه كنيته و ربعى بكسر الراء و سكون الموحدة و كسر العين المهملة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا شرب أحدكم فلايتنفس) بالجزم ولا ناهية فى الثلاثة وروى بالضم فيها على ان لا نافية كذا قاله الشيخ نقله الابهرى و المعنى لايخرج نفسه (فى الاناء) أى فى داخله قال الطيبى ولعل علة النهى تغير ما فى الاناء اه يعنى لئلايقل برودة الماء الكاسرة للعطش بحرارة النفس أو كراهة أن يتحدر قذرة من نفسه بل اذا أراد التنفس فليرفع فمه عن الاناء فيتنفس ثم يشرب و قد ورد مصوا الماء مصا ولاتعبوه عبا رواه البيهقى عن أنس و فى النهاية العب الشرب بلاتنفس و قال البيضاوى الشرب بثلاث دفعات أقمع للعطش و أقوى على الهضم و أقل أثرا فى برد المعدة و اضعاف الاعصاب وفى الشمائل للترمذى انه صلى الله عليه وسلم كان يتنفس فى الاناء ثلاثا اذا شرب و يقول هو أمرأ و أروى و معنى الحديث أن يشرب ثلاث مرات فى كل ذلك يبين الاناء عن فيه فيتنفس ثم يعود و المنهى عنه هو التنفس فى الاناء بلا ابانة أو بلاتنفس فانه يدل على الشره و الحرص و الغفلة ولذا ورد لاتشربوا واحدا كشرب البعير و لكن اشربوا مثنى و ثلاث و ورد بسند حسن انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يشرب فى ثلاثة أنفاس اذا أدنى الاناء الى فيه سمى الله و اذا أخره حمد الله يفعل ذلك ثلاثا أى غالبا اذ جاء فى رواية أنه كان اذا شرب تنفس مرتين و فى رواية البخارى مرة أو مرتين و أو للتنويع لانه ان روى بنفسين و اكتفى بهما والا فبثلاث (و اذا أتى الخلاء فلايمس) بفتح السين و كسرها و يجوز رفعه (ذكره بيمينه ولايتمسح) بالسكون و ضمها (بيمينه) أى لايستنجي لما فى رواية البخارى اذا بال أحدكم فلايأخذ ذكره بيمينه ولايستنج بيمينه ذكره الابهرى فان قيل كيف يستنجي بالحجر فان أخذه بشماله و الذكر بيمينه فقد مس ذكره بها و هو منهى عنه و كذلك العكس قلنا طريقه أن يأخذ الذكر بشماله و يمسحه على جدار أو حجر كبير بحيث لايستعمل يمينه فى ذلك أصلا كذا فى المظهر و الاشرف (متفق عليه) وفى الجامع الصغير رواه البخارى و الترمذى عنه ورواه ابن ماجه عن أبى هريرة و لفظه اذا شرب أحدكم فلايتنفس فى الاناء فاذا أراد أن يعود فلينح الاناء ثم ليعد ان كان يريد وروى سعيد بن منصور و ابن السنى و أبو نعيم فى الطب و البيهقى عن أبى حسين مرسلا اذا شرب أحدكم فليمص مصا ولايعب عبا فان الكباد من العب و فى مسند الفردوس عن على نحوه (و عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ فليستنثر) قد تقدم ان الجمهور على ان الاستنثار هو طرح الماء الذى يستنشقه و قيل معناه فليخرج المخاط من أقصى الانف قال ابن حجر و ظاهر الامر للوجوب لكن منعه أنه عليه الصلاة والسلام توضأ ولم يفعله كما دل عليه سكوت الواصفين لوضوئه الدال على أنه لم يوجد و الا لم يسكتوا عنه فلا يقال لايلزم كما قاله الاصوليون من عدم النقل عدم الفعل اه وحاصل كلامه أنه دل عدم فعله مطلقا أو مع عدم المواظبة على ان الامر للاستحباب و أيضا قد يقال ان نفس الاستنشاق ليس بواجب فى الوضوء لما تقرر فى محله فكيف بالاستنثار الذى هو متمم و مكمل له (ومن استجمر) أى من استنجى بالجمرة وهى الحجر (فليوتر) أى ثلاثا أو خمسا أو سبعا قال الطيبى و الايتار أن يتحراه وترا اه و الامر للاستحباب لما ورد من فعل فقد أحسن الحديث (متفق عليه وعن أنس قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدخل الخلاء) ممدودا المتوضأ لخلو الانسان فيه قاله الطيبى و فى

هذا السوال مع الجواب مما يتعجب به فان اخذ المدر الصغير باليسار و الاستنجاء به من غير مس الذكر باليمين سهل و معمول فى بلادنا ـ (بذل المجهود ملخصا ج ١ ص ٢١) ف ـ

فاحمل أنا و غلام اداوة من ماء و عنزة يستنجي بالماء متفق عليه * (الفصل الثانی) * عن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل الخلاء نزع خاتمه رواه أبو داود و النسائی و الترمذی و قال هذا حديث حسن صحيح غريب و قال أبو داود هذا حديث منكر و في روايته وضع بدل نزع و عن جابر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أراد البراز انطلق حتى لايراه أحد

شرح الابهری قال الشيخ المراد بالخلاء هنا الفضاء لما فی رواية أخرى كان اذا خرج لحاجته و لقرينة حمل العنزة مع الماء و أيضا الاخلية إلتی فی البيوت كانت خدمته فيها متعلقة بأهله ه و قد أشار البخاری ان الغلام هو ابن مسعود (فاحمل أنا و غلام) أی ابن مسعود و قيل بلال أو أبو هريرة (اداوة) أی مطهرة و هی ظرف من جلد يتوضأ منه (من ماء) أی مملوأة منه (و عنزة) بالنصب عطفا على اداوة أی أحدنا يحمل الاداوة و الآخر العنزة قال الطيبی بفتح النون أطول من العصا و أقصر من الرمح فيها سنان و حملها لانه عليه الصلاة والسلام كان يبعد عن الناس بحيث لايرونه دفعا لضرر و غائلة و لينبش الارض الصلبة لئلايرتد البول اليه اه و قيل لسترته فی الصلاة لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا استنجى توضأ و اذ توضأ صلى و قيل ليركزها بجنبه لتكون اشارة الى منع من يروم المرور بقربه (يستنجي) أی يزيل النجوة و العذرة (بالماء) و يؤخذ منه و من غيره انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقتصر على الماء تارة و على الحجر أخرى و كثيرا ما كان يجمع بينهما (متفق عليه)

* (الفصل الثانی) * (عن أنس قال كان النبي) و فی نسخة رسول الله (صلى الله عليه وسلم اذا دخل الخلاء) أی أراد دخوله (نزع) أی أخرج من أصبعه (خاتمه) بفتح التاء و قيل بكسرها لان نقشه محمد رسول الله و فيه دليل على وجوب تنحية المستنجي اسم الله و اسم رسوله و القرآن كذا قاله الطيبی قال الابهری و يعم الرسل و قال ابن حجر استفيد منه انه يندب لمريد التبرز أن ينحی كل ما عليه معظم من اسم الله تعالى أو نبی أو ملك فان خالف كره اه و هو الموافق لمذهبنا (رواه أبو داود و النسائی و الترمذی و قال هذا حديث حسن صحيح غريب) تقدم دفع الاشكال (و قال أبو داود هذا حديث منكر) قال أبو داود الوهم فيه من همام ولم يروه الا همام اه و همام هو أبو عبدالله همام بن يحيى بن دينار الازدی و قد اتفق الشيخان على الاحتجاج به و قد وثقه ابن معين و قال ثبت هو فی كل المشائخ و قال ابن عدی هو أصدق و أشهر من أن يذكر له حديث منكر و أحاديثه مستقيمة اه ولذا صوب المنذری قول ابن عدی و الترمذی و قال نرده لا لوهن الحديث و انما لكونه غريبا قاله الترمذی و رواه الحاكم فی المستدرك و قال على شرط الشيخين كذا حققه ميرك شاه و قال ابن حجر دل تصحيح الترمذی له على أنه ثبت عنده فانجبر ما ذكره أبو داود فيكون حجة (و فی روايته) أی أبی داود (وضع) أی من يده (بدل نزع) أی من أصبعه ولاتفاوت بينهما معنى و فی الجامع الصغير كان اذا دخل الخلاء وضع خاتمه رواه الاربعة و ابن حبان و الحاكم عنه (و عن جابر قال كان النبي) و فی نسخة رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم اذا أراد البراز) بفتح الباء و قيل بكسرها و قيل انه تصحيف أی الفضاء أو قضاء الحاجة (انطلق) أی ذهب فی الصحراء (حتى لايراه) أی الى أن يصل الى موضع لايراه فيه (أحد) ثم يجلس قال الطيبی البراز بفتح الباء اسم للفضاء الواسع كنوا به عن حاجة الانسان يقال تبرز اذا تغوط وهما كنايتان حسنتان يتعففون عما يفحش ذكره صيانة للالسنة عما تصان عنه الابصار و كسر الباء فيه غلط لان البراز بالكسر مصدر بارز فی الحرب اه و فی النهاية لابن الاثير قال الخطابی المحدثون يروونه بالكسر و هو خطأ لانه بالكسر مصدر من المبارزة فی الحرب و قال الجوهری بخلافه و هذا لفظه البراز المبارزة فی

رواه أبو داود و عن أبي موسى قال كنت مع النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم ذات يوم فاراد أن يبول فاتى دمثا في أصل جدار فبال ثم قال اذا اراد أحدكم أن يبول فليرتد لبوله رواه أبو داود و عن أنس قال كان النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا أراد الحاجة لم‌يرفع ثوبه حتى يدنو من الارض رواه الترمذى و أبوداود و الدارمى و عن أبي هريرة قال قال رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم انما أنالكم مثل الوالد لولده أعلمكم

الحرب و البراز أيضا كناية عن ثفل الغذاء و هو الغائط ثم قال و البراز بالفتح الفضاء الواسع اه و الظاهر ان المراد من قوله المحدثون بعضهم و تخطئتهم غير صواب فان روايتهم أقوى من اللغويين عند انفرادهما فكيف اذا توافقا وقد قال صاحب القاموس أيضا البراز ككتاب الغائط نعم للمختار فتح الباء لعدم اللبس بخلاف الكسر فانه مشترك بين المعنيين و الله أعلم (رواه أبو داود) قال ابن حجر بسند حسن و قال ميرك و ابن ماجة أيضا و في اسناده اسمعيل بن محمد الكوفى نزيل مكة شرفها الله و قد تكلم فيه غيرواحد و في الجامع الصغير كان اذا أراد الحاجة أبعد رواه ابن ماجه عن بلال بن الحرث و رواه أحمد و النسائى و ابن ماجه عن عبدالرحمن بن أبي قراد (و عن أبي موسى قال كنت مع النبي صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم ذات يوم) أى يوما و ذات زائدة وقيل كناية عن الساعة أى كنت يوما أو ساعة يوم معه عليه‌الصلاة‌والسلام (فاراد أن يبول فاتى دمثا) بفتح الدال و كسر الميم هو الرواية صفة لمحذوف أى مكانا لينا سهلا في الفائق دمث المكان دمثا لان و سهل (في أصل جدار) أى قريب منه (فبال) قال الخطابى يشبه أن يكون الجدار الذى قعد عنده عاديا غير مملوك لاحد فان البول يضر باصل البناء ويوهى اساسه يعنى لانه ملح يجعل التراب سبخا كذا قيل أى فلايفعل ذلك في ملك أحد بغير اذنه حقيقة أوحكما مع ان تنجيس مال الغير لايجوز أيضا و يمكن ان يكون قعوده عليه‌الصلاة‌والسلام متراخيا عن جزم البناء أى أصله فلايصيبه البول (ثم قال اذا أراد أحدكم أن يبول فليرتد) بسكون الدال المخففة أى فليطلب مكانا مثل هذا فحذف المفعول لدلالة الحال عليه (لبوله) أى لئلايرجع اليه من رشاش البول قال الاشرف الارتياد افتعال من الرود كالابتغاء من البغى و منه الرائد طالب المرعى (رواه أبو داود) قال ميرك و في سنده رجل مجهول و قال النووى حديث ضعيف و قال ابن حجر فيه راو لم‌يسم و رواه البيهقى عنه أيضا و رواه أبو داود في مراسيله و الحرث عن طلحة ابن أبي قتادة مرسلا قال كان صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا أراد أن يبول فاتى غرازا من الارض أى مكانا يابسا أخذ عودا فنكت به في الارض حتى يثير من التراب ثم يبول فيه كذا في الجامع الصغير فيقوى بكثرة الطرق ضعف الحديث (و عن أنس قال كان النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا أراد الحاجة) أى قضاء الحاجة (لم‌يرفع ثوبه حتى يدنو) أى يقرب (من الارض) احترازا عن كشف العورة بغير ضرورة و هذا من أدب قضاء الحاجة قال الطيبى يستوى فيه الصحراء و البنيان لان في رفع الثوب كشف العورة و هو لا يجوز الاعند الحاجة و لاضرورة في الرفع قبل القرب من الارض و قال ابن حجر و في حال الخلوة يجوز كشفه دفعة واحدة اتفاقا (رواه الترمذى) قال ابن حجر و ضعفه (و أبو داود و الدارمى) قال ابن‌حجر و سنده حسن و في الجامع الصغير رواه أبو داود و الترمذى عن أنس و ابن عمر و الطبرانى في الاوسط عن جابر (و عن أبي هريرة قال قال رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم انما أنا لكم مثل الوالد) أى ما أنا لكم الا مثل الوالد في الشفقة (لولده أعلمكم) أى أمور دينكم استئناف بيان قال الخطابى هذا الكلام بسط للمخاطبين و تأنيس لهم لئلايحتشموا و لايستحيوا عن مسئلته فيما يعرض لهم من أمر دينهم كالولد بالنسبة الى الوالد فيما يعن له و في هذا بيان وجوب طاعة الآباء و ان الواجب عليهم تأديب أولادهم

اذا أتيتم الغائط فلاتستقبلوا القبلة و لاتستدبروها و أمر بثلاثة أحجار و نهى عن الروث و الرمة و نهى ان يستطيب الرجل بيمينه رواه ابن ماجه و الدارمى و عن عائشة قالت كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليمنى لطهوره و طعامه و كانت يده اليسرى لخلائه و ما كان من أذى رواه أبوداود و عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب أحدكم الى الغائط فليذهب معه بثلاثة أحجار يستطيب بهن فانها تجزئى عنه رواه أحمد و أبوداود و النسائى و الدارمى

و تعليمهم ما يحتاجون اليه من أمور دينهم (اذا أتيتم الغائط) أى الخلاء أو أردتم قضاء الحاجة بولا أو غائطا (فلاتستقبلوا القبلة و لاتستدبروها) أى مطلقا كما هو مذهبنا و تقييده بالبنيان مخالف لظاهره و ما رواه ابن عمر واقعة حال لاتفيد العموم مع أنه لايلزم من جواز الاستدبار فى البنيان جواز الاستقبال فيه (و أمر) أى هو عليه الصلاة والسلام مريد الاستنجاء أمر استحباب (بثلاثة أحجار) أى باخذها أو باستعمالها للاستنجاء (و نهى عن الروث و الرمة) أى عن استعمالهما فى الاستنجاء و الروث السرجين قيل المراد به كل نجس و الرمة بكسر الراء و تشديد الميم العظام البالية جمع رميم سمى بذلك لان الابل ترمها أى تأكلها و الرمة بضم الراء الحبل البالى كذا فى الازهار نقله السيد و فى الفائق الرمة العظم البالى بمعنى الرميم أو جمع رميم كخليل و خلة من رم العظم اذا بلى قيل المراد به مطلق العظم و قال صاحب النهاية لانها كانت ميتة أى نجسة أو انها لملاستها لاتقلع النجاسة أو لانها تجرح البدن و فى شرح السنة تخصيص النهى بما يدل على أن الاستنجاء يجوز بكل ما يقوم مقام الاحجار فى الانقاء و هو كل جامد طاهر قالع للنجاسة غير محترم من مدر و خشب و خرق و خزف اه قالوا و الكاغد و ان كان بياضا فهو محترم الا اذا كتب عليه نحو المنطق و لم يكن فيه ذكر الله تعالى فيجوز به الاستنجاء (و نهى ان يستطيب) أى يستنجى (الرجل بيمينه) و كذا المرأة قال الطيبى سمى الاستنجاء استطابة لما فيه من ازالة النجاسة و تطهيرها (رواه ابن ماجه) قال ابن حجر و أبوداود (و الدارمى) بسند حسن و روى أحمد نحوه قال ميرك شاه و رواه الشافعى و ابن حبان و النسائى بألفاظ متقاربة و أخرجه مسلم أيضا مختصرا (و عن عائشة قالت كانت) تدل على الاستمرار و العادة (يد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليمنى لطهوره) بالضم أو الفتح أى كان يستعمل اليد اليمنى لوضوئه (و طعامه) أى لاكله و شربه و ما كان من مكرم كالاعطاء و الاخذ و اللبس و السواك و التنعل والترجل (و كانت يده اليسرى لخلائه) أى لاجل الاستنجاء فى الخلاء (و ما كان) تامة أى ما وجد و وقع (من) بيانية (أذى) أى ماتستكرهه النفس الزكية كالمخاط و الرعاف و خلع الثوب و الظاهر أن ادخال الماء فى الانف باليمين و التمخط باليسار و كثيرا ما رأينا عوام طلبة العلم يأخذون الكتاب باليسار و النعال باليمين اما لجهلهم أو غفلتهم (رواه أبوداود) و قال النووى هذا حديث صحيح نقله ميرك قال ابن حجر هو معلول لكن يعضده الحديث الآتى قبيل الفصل الثانى من الوضوء (و عنها) أى عن عائشة (قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب أحدكم الى الغائط) أى الخلاء (فليذهب) أمر استحباب (معه بثلاثة أحجار) الباء للتعدية (يستطيب) بالرفع مستأنف علة للامر أو حال بمعنى عازما على الاستطابة (بهن) الباء للآلة (فانها) أى الاحجار (تجزئى) بضم التاء و كسر الزاى بعده همزة و فى نسخة بفتح التاء و كسر الزاى بعده ياء أى تكفى و تغنى و تنوب (عنه) أى عن الماء و قال ابن حجر أى عن المستنجى و هو بعيد قال الطيبى ذكره عقيب قوله يستطيب أى يزيل النجاسة استطابة للنفوس بهذا الترخص (رواه أحمد و أبوداود و النسائى و الدارمى) قال ميرك و رواه

و عن ابن مسعود قال قال رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم لاتستنجوا بالروث و لا بالعظام فانها زاد اخوانكم من الجن رواه‌الترمذى و النسائى الا أنه لم‌يذكر زاد اخوانكم من الجن و عن رويفع بن ثابت قال قال لى رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم يا رويفع لعل الحياة ستطول بک بعدى فاخبر الناس أن من عقدلحيته أو تقلد وترا

الدار قطنى و قال اسناده صحيح (و عن ابن مسعود قال قال رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم لاتستنجوابالروث) قال ابن حجر لانه نجس و هو يستحيل أن يزيل أو يخفف آخر اه و فيه أن تخفيفه آخر غير مستحيل ثم الاولى انه يعلل بماعلله الشارع بما ورد أن الروث لدوابهم (ولا بالعظام فانه) و فى نسخة صحيحة فانها قال الطيبى الضمير فى فانه راجع الى الروث و العظام باعتبار المذكور كما ورد فى شرح السنة وجامع الاصول و بعض نسخ المصابيح و فى بعضها و جامع الترمذى فانها فالضمير راجع الى العظام و الروث تابع لها ء عليه قوله تعالى و اذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها اه و الاظهر فى التنظير و استعينوا بالصبر و الصلاة و انها لكبيرة الا على الخاشعين فتأمل فان فى هذه الآية و الحديث مع مراعاة الاصل دون الفرع روعى أقرب المذكورين أيضا و قال ابن حجر و سكت عن الروث لان كونه زادا لهم انما هو مجاز لما تقرر أنه لدوابهم اه و هذا يوضح كلام الطيبى و الا فلا معنى لقوله و الروث تابع للعظام و الله أعلم (زاد اخوانكم من الجن) قال الطيبى فيه أن الجن مسلمون حيث سماهم اخوانا و انهم يأكلون روى الحافظ أبونعيم فى دلائل النبوة ان الجن سألوا هدية منه عليه‌الصلاة السلام فاعطاهم العظم و الروث العظم لهم و الروث لدوابهم و روى الحافظ أبوعبدالله الحاكم فى دلائل النبوة قال عليه‌الصلاةوالسلام لابن مسعود ليلة الجن أولئک جن نصيبين جاؤنى فسألونى المتاع و متاع الزاد فمتعتهم بكل عظم حائل أو روثة أو بعرة قلت و ما يغنى منهم من ذلک قال انهم لايجدون عظما الا وجدوا عليه لحمه الذى كان عليه يوم أخذ و لاروثة الاوجدوا فيها حبها الذى كان فيها يوم أكلت فلايستنج أحدكم بعظم أوروث اه و الحب أعم من الشعير و التبن و غيرهما و ذلک معجزة له عليه‌الصلاةوالسلام (رواه الترمذى) و سنده حسن (و النسائى الا أنه) أى النسائى (لم‌يذكر زاد اخوانكم من الجن) أى قوله فانه زاد اخوانكم الخ و استيعاب أحاديث الباب يفضى الى الاطناب قد اتى ابن حجر بجملة منها فراجعها (و عن رويفع) مصغر رافع (ابن ثابت) قال المصنف أنصارى عداده فى المصريين و أمره معاوية على طرابلس المغرب سنة ست و أربعين و مات ببرقة و قيل بالشام روى عنه حنش بن عبدالله و غيره (قال قال لى) أى خاصة (رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم يارويفع لعل الحياة ستطول) السين للتأكيد فى الاستقبال (بک) الباء للالصاق (بعدى) أى بعد موتى (فاخبر الناس) الفاء جزاء شرط محذوف و التقدير فاذا طالت فاخبر و المعنى لعل الحياة ستمتد حال كونها ملتصقة بک حتى ترى الناس قد ارتكبوا أمورا من المعاصى يتجاهرون بها فاذا رأيت ذلک فاخبرهم و فيه اظهار للمعجزة باخبار عن الغيب من تغيير يحصل فى الدين بعد القرن الاول و أن هذه الامور المذكورة مهتم بشأنها (أن من عقد لحيته) قال الاكثرون هو معالجتها حتى تنعقد و تتجعد و هذا مخالف للسنة التى هى تسريح اللحية و قيل كانوا يعقدونها فى الحرب زمن الجاهلية فأمرهم عليه‌الصلاة والسلام بارسالها لما فى عقدها من التأنيث أى التشبه بالنساء و قيل كان ذلک من دأب العجم ايضا فنهوا عنه لانه تغيير خلق الله و قيل كان من عادة العرب أن من له زوجة واحدة عقد فى لحيته عقدة صغيرة و من كان له زوجتان عقد عقدتين كذا ذكره الابهرى (أو تقلدوترا) بفتحتين أى خيطا فيه تعويذ أو خرزات لدفع العين او الحفظ عن الآفات كانوا يعلقون على رقاب الولد و الفرس و قيل

أو استنجى برجيع دابة أو عظم فان محمدا منه برئ رواه أبو داود و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكتحل فليوتر من فعل فقد أحسن و من لا فلا حرج و من استجمر فليوتر من فعل فقد أحسن و من لا فلا حرج و من أكل فما تخلل فليلفظ و ما لاك بلسانه فليبتلع من فعل فقد أحسن و من لا فلا حرج

انهم كانوا يعلقون عليها الاجراس و المعنى أو تقلد الفرس وتر القوس قيل النهى عن العقد و التقليد لما فيهما من التشبه باهل الجاهلية لان ذلك من صنعهم و قيل كان عادة أهل الجاهلية انهم يجعلون فى رقاب دوابهم الوتر و يزعمون دفع العين قال أبو عبيدة الاشبه انه نهى عن تقليد الخيل أوتار القسى لئلا يصيبها العين مخافة اختناقها به لاسيما عند شدة الركض و روى أنه عليه الصلاة والسلام أمر بقطع الاوتار من أعناق الخيل تنبيها على أنها لاترد شيأ من قدر الله تعالى قال الطيبى يعنى و أما الاختناق به فهو سبب عادى فيحترز عنه (أو استنجى برجيع دابة) أى روثها (أو عظم) مطلقا (فان محمدا منه برئ) و هذا من باب الوعيد و المبالغة فى الزجر الشديد قال ابن حجر عدل اليه عن فأنا أو فانى اهتماما بشأن تلك الامور و تأكيدا أو مبالغة فى النهى عنها اه و فيه أن ما ذكر انما هو مستفاد من الجملة لامن العدول عن الضمير الى الظاهر لانه يستوى فى هذا المعنى قول زيد فانى برئ و قوله فان زيدا برئ فالظاهر أن وجه العدول أن لايتوهم البراءة من الراوى المخبر مع الاشارة الى أن المسمى بهذا الاسم المعظم و الوصف المكرم الذى حمده الاولون و الآخرون منه برئ فيكون دلالة على غاية ذمه و ان محمدا لايبرأ الا من مذموم فانه ضده (رواه أبو داود) و كذا النسائى و سنده حسن (و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكتحل) قال ابن حجر أى من أراد الاكتحال و كذا البواق اه و لايخفى أن المباشر للاكتحال مأمور بالايتار لامريد المباشرة فلا يحتاج الى تقدير و كذا البواق و المعنى من شرع فى الاكتحال (فليوتر) أى ثلاثا متوالية فى كل عين و قيل ثلاثا فى اليمنى و اثنين فى اليسرى ليكون المجموع وترا و التثليث علم من فعله عليه الصلاة والسلام و الا فالوتر صادق على مرة ففى شمائل الترمذى أن النبى صلى الله عليه وسلم كانت له مكحلة يكتحل منها كل ليلة ثلاثة فى هذه و ثلاثة فى هذه (من فعل) أى كذلك (فقد أحسن) أى فعل فعلا حسنا و يثاب عليه لانه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم و لانه تخلق باخلاق الله تعالى فان الله وتر يحب الوتر و هذا يدل على استحباب الايتار فى الامور (و من لا) أى لايفعل الوتر (فلا حرج) قال الطيبى و فيه دليل على أن أمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يدل على الوجوب و الا لما احتاج الى بيان سقوط وجوبه بقوله لاحرج أى لا اثم (و من استجمر) أى استنجى بحجر (فليوتر) ثلاثا أو خمسا أو سبعا (من فعل فقد أحسن) أى بالغ فى الحسن (و من لا فلا حرج) اذ المقصود الانقاء و هذا يدل دلالة واضحة على جواز الاستنجاء باقل من ثلاثة أحجار و عدم شرط الايتار و هو مذهب أبي حنيفة (و من أكل فما تخلل) يجوز أن تكون شرطية و الجزاء (فليلفظ) بالكسر أى فليرم و ليطرح ما أخرجه بالخلال من بين أسنانه و الشرطية جزاء الشرط الاول (و ما لاك) عطف على ماتخلل أى ما أخرجه بلسانه قيل اللوك ادارة الشئ بلسانه (فليبتلع) و يجوز أن يكون ما موصولة مبتدأ خبره فليلفظ و الفاء فى خبر الموصولة لشبهه بالشرط أو لتضمنه له و الجملة جزاء الشرط قال المظهر انما أمر بلفظ ماتخلل لانه ربما يخرج مع الخلال دم بخلاف مالاك (من فعل) أى ما ذكر من رمى ذاك عن ابتلاع هذا (فقد أحسن) أى الى نفسه بعمل الاحتياط (و من لا فلا حرج) و انما نفى الحرج لانه لم يتيقن خروج الدم معه

و من أتى الغائط فليستتر فان لم يجد الا أن يجمع كثيبا من رمل فليستدبره فان الشيطان يلعب بمقاعد بنى آدم من فعل فقد أحسن و من لا فلاحرج رواه أبو داود و ابن ماجه و الدارمى وعن عبدالله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايبولن أحدكم فى مستحمه ثم يغتسل فيه

و ان تيقن حرم أكله (و من أتى الغائط) أى الخلاء (فليستتر) قال الخطابى أمر بالتستر ما أمكن حيث لايكون قعوده حيث يقع عليه أبصار الناظرين فيتهتك الستر أو يهب عليه الريح فيصيبه البلل فتلوث ثيابه و بدنه و كل ذلك من لعب الشيطان به و قصده اياه بالفساد (فان لم يجد) أى شيأ ساترا (الا أن يجمع كثيبا) أى كومة (من رمل فليستدبره) أى ليجعله خلفه لئلايراه أحد قال الطيبى الاستثناء متصل أى فان لم يجد ما يستتر به الاجمع كثيب من رمل فليجمعه و يستدبره لان القبل يسهل ستره بالذيل أو بجمع الفخذين (فان الشيطان) فيعال من شطن أى بعد أو فعلان من شاط اذا هلك (يلعب) أى اذا لم يستتر (بمقاعد بنى آدم) أى يتمكن من وسوسة الغير الى النظر الى مقعده (من فعل) أى جمع الكثيب و الستر (فقد أحسن) باساءته الى الشيطان و دفع وسوسته (و من لا فلاحرج) أى اذا لم يره أحد و أما عند الضرورة فالحرج على من نظر اليه (رواه أبو داود و ابن ماجه و الدارمى و عن عبد الله بن مغفل) بمعجمة و فاء مثقلة مفتوحة أول من دخل بلدة تستر حين فتحها المسلمون قال العسقلانى و لابيه صحبة و روى عنه ابنه عبدالله و قال المصنف مزنى كان من أصحاب الشجرة سكن المدينة ثم تحول منها الى البصرة و كان أحد العشرة الذين بعثهم عمر الى البصرة يفقهون الناس و مات بالبصرة سنة ستين روى عنه جماعة من التابعين منهم الحسن البصرى و قال ما نزل البصرة أشرف منه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايبولن أحدكم) فى الازهار النهى فيه للتنزيه (فى مستحمه) مستحم الذى يغتسل فيه من الحميم و هو الماء الحار و المراد المغتسل مطلقا و فى معناه المتوضأ و لذا قال فيما بعد أو يتوضأ (ثم) استبعادية يعنى يستبعد من العاقل أن يجمع بين ماقبلها و ما بعدها (يغتسل فيه) يجوز فيه الرفع أى ثم هو يغتسل و الجزم و هو ظاهر و جوز النصب فى جواب النهى على أن يجعل ثم بمنزلة الواو لكنه يلزم أن يكون المعنى النهى عن الجمع كما فى لاتأكل السمك و تشرب اللبن و الحال ان البول فيه منهى عنه سواء كان فيه اغتسال أو لا هذا خلاصة كلام الطيبى و قال فى المغنى أجرى الكوفيون ثم مجرى الفاء و الواو فى جواز نصب المضارع المقرون بها بعد فعل الشرط و استدل لهم بقراءة الحسن و من يخرج من بيته مهاجرا الى الله و رسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله بنصب يدركه و أجراها ابن مالك مجراهما بعد الطلب فأجاز فى قوله عليه الصلاة والسلام لايبولن أحدكم فى الماء الدائم الذى لا يجرى ثم يغتسل منه ثلاثة أوجه الرفع بتقدير ثم هو يغتسل و به جاءت الرواية و الجزم بالعطف على فعل النهى و النصب قال باعطاء ثم حكم واو الجمع فتوهم تلميذه الامام النووى ان المراد اعطاؤها حكمها فى افادة معنى الجمع فقال لايجوز النصب لانه يقتضى أن المنهى عنه الجمع بينهما دون افراد أحدهما و هذا لم يقل به احد بل البول منهى عنه سواء أراد الاغتسال فيه أو منه أم لا اه و انما أراد ابن مالك اعطاءها حكمها فى النصب لا فى المعية أيضا ثم ما أورده انما جاء من قبل المفهوم لا المنطوق و قد قام دليل آخر على عدم ارادته و نظيره اجازة الزجاج و الزمخشرى فى و لاتلبسوا الحق بالباطل و تكتموا الحق كون تكتموا مجزوما و كونه منصوبا مع أن النصب معناه النهى عن الجمع اه و لاشك ان قول النووى فى الحديث الذى ذكره ابن مالك من أن المنهى كل واحد منهما صحيح و ان علم لمهى أحدهما من حديث آخر كما نبه عليه المغنى بخلاف

أو يتوضأ فيه فان عامة الوسواس منه رواه أبوداود و الترمذى و النسائى الا انهما لم يذكرا ثم يغتسل فيه أو يتوضأ فيه و عن عبد الله بن سرجس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبولن أحدكم فى جحر رواه أبو داود و النسائى و عن معاذ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا الملاعن .

كلام الطيبى هنا ان البول فيه منهى عنه سواء كان فيه اغتسال أولا فانه ممنوع و الصواب أن النهى عن الجمع بدليل التعليل الآتى فى نفس هذا الحديث و لانه لو بال فى المستحم و لم يغتسل فيه بان جعله مهجورا من الاغتسال فيه أو اغتسل فيه ابتداء و لم يبل فيه يجوز له ذلك (أو يتوضأ فيه) أو للتنويع لا للشك (فان عامة الوسواس) أى أكثر وسواس الطهارة (منه) أى يحصل من البول فى المستحم ثم الغسل فيه قال ابن الملك لانه يصير ذلك الموضع نجسا فيقع فى قلبه وسوسة بانه هل أصابه منه رشاش أم لا و قال ابن حجر لان ماء الطهارة حينئذ يصيب أرضه النجسة بالبول ثم يعود اليه فكره البول فيه لذلك و من ثم لو كانت أرضه بحيث لا يعود منها رشاش أو كان له منفذ بحيث لا يثبت فيه شئ من البول لم يكره البول فيه اذ لا يجر الى وسواس لامنه من عود الرشاش اليه فى الاول ولطهر ارضه فى الثانى بأدنى ماء طهور يمر عليها اه و هو يؤيد اعتراضنا على الطيبى وكانه ذهل عن كلام الطيبى أو انتقل الى كلام النووى و لذا سكت عنه و الله أعلم (رواه أبو داود) وكذا ابن ماجه (و الترمذى والنسائى الا أنهما) أى الترمذى و النسائى كابن ماجه (لم يذكرا ثم يغتسل فيه أو يتوضأ فيه) ولعل وجه الاطلاق ان المفهوم من لفظ المستحم هو أن يغتسل فيه أو يتوضأ أو بالنظر الى الاغلب الواقع (و عن عبد الله بن سرجس) بسينين مهملتين بينهما جيم على وزن نرجس كذا فى جامع الاصول و تبعه المصنف فى أسمائه و فى التهذيب بفتح السين و كسر الجيم و فى القاموس النرجس بكسر النون و فتحها ثم فى الاصل منصرف و فى بعض النسخ بفتح السين على عدم الصرف و هو الظاهر و قال ابن حجر و ابن الملك سرجس غير منصرف للعلمية و العجمة قال شيخنا المرحوم مولانا عبدالله السندى ضبط كنرجس و عليه غير منصرف للعلمية و العجمة اذ ليس فى كلامهم فعلل بكسر اللام لان هذا الوزن مختص بالامر من الرباعى و أما نرجس فنونه زائدة و ان ضبط كجعفر فمنصرف كذا ذكره السيوطى فى حاشية البخارى قلت لو ضبط كجعفر لزم فتح اللام الاولى اذ الظاهر من ضبطهم بيان الحركة و السكون لا الانصراف و عدمه نعم يلزم من هذا الضبط أن يكون منصرفا فان علة العجمة وهى عدم وجدان فعلل بكسر اللام قد زالت حينئذ فيتعين كونه منصرفا لكن على هذا الفرض و التقدير فلا يعدل عما ثبت من كسر الجيم لكن يصح الانصراف على تقدير كسر السنين الاولى على ما ذكره فى القاموس فانه حينئذ يصير كزبرج و الله أعلم قال المصنف هو مزنى و يقال مخزومى و أظنه حليفا لهم و هو مصرى حديثه فى البصريين روى عنه عاصم الاحول و غيره (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبولن أحدكم فى جحر) بضم الجيم و سكون الحا المهملة الخرق فى الجدار و الارض لئلا يخرج منه ما يؤذيه أو ربما يكون فيه حيوان ضعيف فيتأذى قيل و الجحر المعد للبول لا كراهة فيه قال الطيبى وجه النهى أن الجحر مأوى الهوام المؤذية و ذات السم فلا يؤمن أن يصيبه مضرة من قبل ذلك و قد يقال ان الذى يبول فى الجحر يخشى عليه من الجن و قد نقل أن سعد بن عبادة الخزرجى قتله الجن لانه بال فى جحر بارض حوران وروى فى كتب الفقه أنه سمع من الجحر

نحن قتلنا سيد الخز * رج سعد بن عباده ورميناه بسه*م فلم نخطئ فؤاده

و الله أعلم بصحته (رواه أبو داود و النسائى و عن معاذ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا) أى احترزوا (الملاعن) أى مجالب اللعن لان أصحابها يلعنهم المار لفعلهم القبيح أو لانهم أفسدوا على

الثلاثة البراز فى الموارد و قارعة الطريق و الظل رواه أبو داود و ابن ماجه و عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايخرج الرجلان يضربان الغائط كاشفين عن عورتهما يتحدثان فان الله يمقت على ذلک رواه أحمد و أبوداود و ابن ماجه وعن زيد بن أرقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

الناس منفعتهم فكان ظلما و كل ظالم ملعون و هو جمع ملعنة و هو الموضع الذى يكثر فيه اللعن كالمأسدة أو اجتنبوا الفعلات التى توجب لعن فاعلها عادة كأنه مظنة اللعن كحديث الولد مبخلة مجبنة وقال زين العرب جمع ملعن مصدر ميمى أو اسم مكان من لعن اذا شتم اه فعلى تقدير كونه مصدرا معناه اتقوا اللعنات أى أسبابها أو المصدر بمعنى الفاعل يعنى اجتنبوا اللاعنات أى الحاملات و الباعثات على اللعن فيصير نظير اتقوا اللاعنين مع زيادة واحد (الثلاثة) أى المواضع أو الافعال الثلاثة و الاول أبلغ لدلالته على المبالغة فكأنه قال اتقوا الاماكن التى تفعل هذه الافعال فيها فكيف الافعال (البراز) بالنصب على البدلية و الربط بعد العطف أو على تقدير أعنى أى التغوط و البول (فى الموارد) قال الطيبى هو الماء الذى يرد عليه الناس من عين أو نهر اه فيحمل على الماء الراكد الدائم الذى لايجرى وقيل المراد بالموارد الامكنة التى يأتيها الناس كالاندية أى موضع ورود الناس للتحدث و قيل جمع موردة مفعلة من الورود و هى طريق الماء ولو لم يكن فيها ماء (و قارعة الطريق) أى وسطه التى يقرعها الناس بارجلهم و تدقها و تمر عليها (و الظل) أى فى ظل الشجر و غيره من مقيل الناس و مناخهم قال ابن حجر و الظل فى الصيف و مثله الشمس فى الشتاء أى فى موضع يستدفئ فيه الناس بها ثم لايخفى أن عدم تقييد الظل بالصيف أولى (رواه أبو داود) قال ميرك و سكت عليه (و ابن ماجه) و سنده حسن (و عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايخرج الرجلان) أكثر الشراح على أنه مجزوم لانه نهى فيكون بكسر الجيم وصلا و قيل منفى فيكون بضم الجيم وصلا و كذا المرأتان (يضربان) أى يفعلان (الغائط) فهو من باب ذكر السبب و ارادة المسبب قال التوربشتى يقال ضربت الارض اذا أتيت الخلاء و ضربت فى الارض اذا سافرت و قال الابهرى الضرب فى الارض الذهاب فيها و الاصل فيه أن الذاهب فى الارض يضربها برجله و قال الطيبى قيل نصب الغائط بنزع الخافض أى للغائط و فى مختصر النهاية يضرب الغائط و الخلاء و الارض اذا ذهب لقضاء الحاجة فالمعنى يمشيان لاجل قضاء الحاجة أو يأتيان الخلاء حال كونهما (كاشفين عن عورتهما) ينظر كل الى عورة صاحبه عند الذهاب أو وقت التغوط (يتحدثان) حال ثانية و قال الطيبى يضربان و يتحدثان صفتا الرجلان لان التعريف فيه للجنس أى رجلان من جنس الرجال و يجوز أن يكونا خبرين لمبتدأ محذوف أى هما يضربان و يتحدثان استئنافا و كاشفين حال مقدرة من ضمير يضربان ولو جعل حالا من ضمير يتحدثان لم تكن مقدرة و على هذه التقادير النهى منصب على الجميع اه فان الجمع بمعنى المجموع و هو الموجب للمقت الذى هو أشد الغضب ولذا قال (فان الله يمقت) بضم القاف أى يغضب (على ذلک) أى على ما ذكر و هو المركب من محرم هو كشف العورة بحضرة الآخر و مكروه و هو التحدث وقت قضاء الحاجة قال فى شرح السنة لايذكر الله بلسانه فى قضاء الحاجة ولا فى المجامعة بل فى النفس قال أبو عمرو سلم على النبى صلى الله عليه وسلم فلم يرد و اذا عطس فى الخلاء يحمد الله فى نفسه قاله الحسن و الشعبى و النخعى (رواه أحمد و أبو داود و ابن ماجه) و سنده حسن (و عن زيد بن أرقم) صحابى مشهور كذا فى التقريب قال المصنف يكنى أبا عمرو الانصارى الخزرجى يعد فى الكوفيين و سكنها و مات بها سنة ثمان و سبعين و هو ابن خمس و ثمانين روى عنه عطاء بن يسار و غيره (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان هذه الحشوش محتضرة فاذا أتى أحدكم الخلاء فليقل أعوذ بالله من الخبث و الخبائث رواه أبو داود و ابن ماجه و عن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستر ما بين أعين الجن و عورات بنى آدم اذا دخل أحدهم الخلاء أن يقول بسم الله رواه الترمذى وقال هذا حديث غريب و اسناده ليس بقوى وعن عائشة قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا خرج من الخلاء قال غفرانك رواه الترمذى و ابن ماجه و الدارمى

ان هذه الحشوش) بضم الحاء المهملة جمع حش بفتح الحاء و ضمها و هو الكنيف و أصل الحش جماعة النخل لا كتنافه ثم كنى به عن الخلاء لانهم كانوا يتغوطون بين النخيل كذا ذكره الشراح وقال الطيبى جمع حش وهو بالضم موضع الغائط و بالفتح البستان لانهم قبل أن يتخذ الكنيف فى البيوت كانوا كثيرا يتغوطون فى البساتين (محتضرة) أى يحضره الجن و الشياطين يترصدون بنى آدم بالاذى و الفساد لأنه موضع تكشف العورة فيه ولا يذكر اسم الله فيه (فاذا أتى أحدكم الخلاء) أى قرب اليه (فليقل) الامر للندب (أعوذ بالله من الخبث) بضم الموحدة و يسكن (و الخبائث) و تقدم أنه يقول اللهم انى أعوذبك من الخبث و الخبائث فيتخير بين الصيغتين كذا قاله ابن حجر و الاولى أن يقول هذا مرة و الآخر مرة أو يجمع بينهما أو هذا مختص بأهل الغفلة و الاول لارباب الحضور و المشاهدة و يدل عليه أن هذا أمر و ذاك فعله (رواه أبو داود و ابن ماجه) وسنده حسن (وعن على) رضى الله تعالى عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستر ما بين أعين الجن) بفتح السين مصدر و قيل بالكسر و هو الحجاب (و عورات بنى آدم) بسكون الواو (اذا دخل أحدهم الخلاء) أى وقت دخول أحد بنى آدم و فى نسخة أحدكم قال الكازرونى فى بعض نسخ المصابيح أحدكم بالخطاب و بغيران و الصواب الغيبة و ايراد ان على يقول و قال الطيبى ستر مبتدأ و ما بين موصولة مضاف اليها و صلتها الظرف أى الفعل الذى تعلق به و خبر المبتدأ قوله (أن يقول بسم الله) قال ابن حجر يسن أن يقدم على كل من التعوذين بسم الله اه ولا بعد أن يؤخر عنهما على وفق تقدم الاستعاذة على البسملة فى التلاوة ولو اكتفى بكل منهما لحصل أصل السنة و الجمع أفضل ثم الظرف قيد واقعى غالبى للتكشف المحتاج الى الستر بالبسملة المتقدمة لا أنه احترازى فانه ينبغى أن يبسمل اذا أراد كشف العورة عند خلع الثوب أو ارادة الغسل (رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب) لانعرفه الا من هذا الوجه (و اسناده ليس بقوى) و مع هذا يعمل به فى فضائل الاعمال سيما و قد رواه أحمد و النسائى عنه وروى الطبرانى عن أنس و لفظه ستر بين أعين الجن و بين عورات بنى آدم اذا وضع أحدهم ثوبه أن يقول بسم الله و هذا الحديث يدل على أن ما زائدة فى الحديث السابق و ان الحكم عام (وعن عائشة) رضى الله تعالى عنها (قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا خرج من الخلاء قال غفرانك) نصبه باضمار فعل مقدر قيل التقدير اغفر غفرانك و قال التوربشتى هو مصدر كالمغفرة و المعنى أسألك غفرانك و قد ذكر فى تعقيبه عليه الصلاة والسلام الخروج بهذا الدعاء وجهان أحدهما أنه استغفر من الحالة التى اقتضت هجران ذكر الله فانه كان يذكر الله تعالى فى سائر حالاته الا عند الحاجة و ثانيهما أن القوة البشرية قاصرة عن الوفاء بشكر ما أنعم الله عليه من تسويغ الطعام و الشراب و ترتيب الغذاء على الوجه المناسب لمصلحة البدن الى أوان الخروج فلجأ الى الاستغفار اعترافا بالقصور عن بلوغ حق تلك النعم و الافضل أن يقول بعده ما ورد فى رواية أخرى الحمد لله الذى أذهب عنى الاذى و عافانى و فى بعض الآثار الحمد لله الذى أذهب عنى ما يؤذينى و أبقى على ما ينفعنى (رواه الترمذى و ابن ماجه و الدارمى) و كذا أبو داود و النسائى و سنده حسن قال ابن حجر و قال الترمذى هذا حديث حسن غريب و رواه ابن حبان فى صحيحه ايضا

و عن أبي هريرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أتى الخلاء أتيته بماء في تور أو ركوة فاستنجى ثم مسح يده على الارض ثم أتيته باناء آخر فتوضأ رواه أبو داود وروى الدارمي و النسائي معناه و عن الحكم ابن سفيان قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا بال توضأ ونضح فرجه رواه أبو داود و النسائي و عن أميمة بنت رقيقة قالت كان للنبي صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان تحت سريره

كذا ذكره ميرك (و عن أبي هريرة قال كان النبي) و في نسخة رسول الله (صلى الله عليه وسلم اذا أتى الخلاء أتيته بماء في تور) بفتح المثناة و سكون الواو اناء من صفر أو حجارة كالاجانة يتوضأ منه و يؤكل فيه (أو ركوة) بفتح الراء و سكون الكاف اناء صغير من جلد يشرب منه قال ابن الملك أو للشك ممن يروى عن أبي هريرة أو للتنويع أي تارة و تارة (فاستنجى) أي بالماء (ثم مسح يده على الارض) عند غسلها لازالة الرائحة وهو سنة قاله ابن الملك وكذا ابن حجر (ثم أتيته باناء آخر فتوضأ) اتيانه باناء آخر ليس لعدم جواز التوضؤ بالماء الباقي من الاستنجاء بل لعدم بقاء الماء الكافي و فيه اشارة الى الاستقصاء في الاستنجاء مالم يفض الى الوسواس في أمر الماء (رواه أبو داود) أي بهذا اللفظ و سكت عليه هو و المنذري وروى الترمذي في معناه حديثا عن عائشة و صححه و نقله ميرك و قال ابن حجر رواه ابن ماجه و سنده حسن (وروى الدارمي و النسائي معناه) قال ابن حجر و كان سبب تقديم الدارمي على خلاف عادته وعادة غيره ان ذلك المعنى في رواية الدارمي أظهر وأتم منه في رواية النسائي اه وفي تقييده بالعادة اشارة الى أنه في الحقيقة يستحق التقديم اذ روى عنه مسلم و أبو داود و الترمذي و غيرهم (و عن الحكم بن سفيان) أي الثقفي له صحبة كذا في التقريب قال المصنف و يقال له سفيان بن الحكم و يقال انه لم يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عبدالبر و سماعه عندي صحيح و بهذا يتبين وجه قول ابن حجر أو سفيان بن الحكم و الا فهو منوهم للشك (قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا بال توضأ ونضح فرجه) أي و رش ازاره بقليل من الماء أو سرواله به لدفع الوسوسة تعليماً للامة قال في النهاية الانتضاح بالماء هو أن يأخذ قليلا منه فيرش مذاكيره بعد الوضوء لينفي عنه الوسواس وقال ابن الملك أي رش فرجه بكف من الماء بعد الاستنجاء اما لدفع نزول البول و قطعه و اما لدفع الوسوسة فان الرجل اذا لم ينتضح و وجد بعد ذلك بللا ربما يظن أنه خرج منه بول بخلاف ما اذا نضح فانه اذ ذاك يعلم أن البلل منه فلايقع في الوسوسة اه و الاظهر وقوع يعلم موضع يظن و بالعكس و قال الخطابي الانتضاح و النضح هو الغسل بالماء يعني اذا غسل فرجه و توضأ و الواو لمطلق الجمع و قيل توضأ بمعنى استنجى و قيل النضح هو الرش كذا ذكره الابهري (رواه أبو داود و النسائي) قال ابن حجر و ابن ماجه و سنده حسن (و عن أميمة) بضم الهمزة و سكون الياء تحتها نقطتان (بنت رقيقة) أخت خديجة بنت خويلد كذا في جامع الاصول و في التقريب بالتصغير فيهما واسم أبيها عبدالله صحابية و ذكر ابن الملك أنها عمة النبي صلى الله عليه وسلم من أمها و قال المصنف رقيقة بضم الراء و فتح القافين و سكون الياء تحتها نقطتان (قالت كان للنبي صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان) في الازهار أي من عود من العيدان لا أنه مركب من عيدان كذا ذكره الابهري و قال ميرك وقع في نسخ المصابيح و المشكاة بكسر العين المهملة و فسره الشراح بأنه جمع عود و هو الخشب قال الطيبي و انما جمعه اعتبارا للاجزاء كبرمة اعشار اه و الصواب الذي عليه المحققون انها عيدان بفتح العين المهملة قال الشيخ مجدالدين الفيروز ابادي في كتابه القاموس العيدان بالفتح طوال النخل واحده عيدانة بالهاء منها كان قدح يبول فيه النبي صلى الله عليه وسلم و كذا صححه صاحب تخريج المصابيح بالفتح أيضا و الله أعلم اه (تحت سريره)

يبول فيه بالليل رواه أبوداود و النسائي و عن عمر قال رآني النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم و أنا أبول قائما فقال ياعمر لاتبل قائما فما بلت قائما بعد رواه الترمذي و ابن ماجه قال الشيخ الامام محيي السنة رحمه‌الله قد صح عن حذيفة قال أتى النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم سباطة قوم فبال قائما متفق عليه قيل كان ذلك لعذر

أي موضوع تحته وفيه أن النوم على السرير لاينا في الزهد لكنه كان يكتفي عليه بأدنى فرش ولقد ثنى له فرشه ليلة فأمر بسطه و قال منعني أو كاد يمنعني لينه من القيام لوردي (يبول فيه بالليل) رفقا بنفسه أن يتعبها في القيام لذلك و تعليما لامته و ذلك لانهم اذا فعلوه تجنبوا به دخول الاخلية في الليل فانها محل الشياطين و ضررهم بالليل أكثر منه بالنهار (رواه أبو داود) و سكت عليه هو و المنذري قاله ميرك (و النسائي) و سنده حسن قاله ابن حجر (و عن عمر رضي‌الله‌تعالى‌عنه قال رآني النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم و أنا أبول قائما) حالان متداخلان (فقال ياعمر لاتبل قائما) قال الخطابي نهي تنزيه وعلة النهي انه تبدو العورة بحيث يراه الناس ولايأمن من رجوع البول اليه (فما بلت قائما بعد) و في نسخة بعده بالضمير أي بعد هذا النهي امتثالا لامره عليه‌الصلاة‌والسلام (رواه الترمذي) و قال هذا حديث ضعيف من وجهين الاول ان هذا الحديث انما رفعه عبدالكريم بن أبي المخارق و هو ضعيف عند أهل الحديث ضعفه السجستاني و تكلم فيه غيره والثاني قال ابن عمر قال عمر ما بلت قائما منذ أسلمت و هذا أصح من حديث عبدالكريم و قال ابن مسعود ان من الجفاء أن تبول قائما رواه الترمذي كذا نقله ميرك عن الازهار قلت في الوجه الثاني نظر اذ يمكن الجمع بينهما بان مراده منذ أسلمت و نهيت عن البول قائما اذ لايعلم الحسن ولاالقبح الا من الشارع (و ابن ماجه قال الشيخ الامام محيي السنة رحمه‌الله تعالى قد صح عن حذيفة قال أتى النبي صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم سباطة قوم) بضم المهملة بعدها موحدة هي المزبلة و الكناسة كذا قاله الابهري وقال بعضهم هي في الاصل قمامة البيت ثم استعمل لمطرحها وملقاها مجازا ثم توسع و استعمل للفناء (فبال قائما) قيل الحديث يدل على أن نهيه عليه‌الصلاة‌والسلام عمر عن ذلك للتنزيه لاللحرمة و قيل ذلك للحرمة و فعله عليه‌الصلاة‌والسلام كان لعذر و هو اما انه لم‌يجد مكانا للقعود أو كان برجله ما يمنعه من القعود قال أبو الليث رخص بعض الناس بان يبول الرجل قائما و كرهه بعض الناس الا من عذر و به نقول و قال الطيبي السباطة و الكناسة الموضع الذي يرمى فيه التراب و الاوساخ وما يكنس من المنازل و اضافتها الى القوم للتخصيص لا للتمليك لانها كانت مواتا مبيحة اه قال الابهري و الا لم‌يفعل النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم في ملكهم و قيل يحتمل أن يكون علم اذنهم في ذلك بالتصريح أوغيره و في شرح السنة السباطة في الا غلب تكون مرتفعة عن وجه الارض لايرتد فيها البول الى البائل و تكون سهلا و قال الابهري قيل كان ما يقابله من السباطة عاليا و من خلفه منحدرا مستفلا لو جلس مستقبل السباطة سقط الى خلفه ولو جلس مستدبرا لها بدا عورته للناس (متفق عليه) قال الشيخ لوصح هذا الحديث لكان فيه غنى عن جميع ما تقدم لكن ضعفه الدار قطني والبيهقي و الاظهر أنه فعل ذلك لبيان الجواز نقله الابهري (قيل كان ذلك لعذر) قال السيد جمال‌الدين قيل فعل ذلك لانه لم‌يجد مكانا للقعود لامتلاء الموضع بالنجاسة و قيل فعل ذلك لانه ان استدبر للسباطة تبدو العورة للمارة و ان استقبلها خيف أن يقع على ظهره مع احتمال ارتداد البول اليه و قيل للامن حينئذ من خروج شئ من السبيل الآخر و قيل كان برجله جرح روى أبو هريرة كما أخرجه الحاكم و البيهقي أن النبي صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم بال قائما لجرح مأبضه و هي بهمزة ساكنة بعدها موحدة بعدها معجمة باطن الركبة اذ لم‌يتمكن من القعود و عن الشافعي أن العرب تستشفي لوجع الصلب

* (الفصل الثالث) عن عائشة رضی‌اللہ‌عنہا قالت من حدثکم أن النبی صلی‌اللہ‌علیہ‌وسلم کان یبول قائما فلاتصدقوہ ما کان یبول الا قاعدا رواہ أحمد و الترمذی و النسائی و عن زید بن حارثة عن النبی صلی‌اللہ علیہ‌وسلم ان جبریل أتاہ فی أول ما أوحی الیہ فعلمہ الوضوء و الصلاة فلما فرغ من الوضوء أخذ غرفة من الماء فنضح بہا فرجہ رواہ أحمد و الدار قطنی و عن أبی ہریرة قال قال رسول‌اللہ‌صلی‌اللہ‌علیہ‌وسلم جاء نی جبریل فقال یامحمد اذا توضأت فانتضح رواہ الترمذی و قال ہذا حدیث غریب و سمعت محمدا یعنی البخاری یقول الحسن بن علی الہاشمی الراوی

بالبول قائما فلعلہ کان بہ ذلک و الا فالمعتاد منہ علیہ‌الصلاة‌والسلام بولہ قاعدا و ہو الاختیار و فی الاحیاء أجمع أربعون طبیبا علی أن البول فی الحمی قائما دواء عن سبعین داء قالہ زین العرب

* (الفصل الثالث) * (عن عائشة رضی‌اللہ‌عنہا قالت من حدثکم أن النبی صلی‌اللہ‌تعالی‌علیہ‌وسلم کان یبول قائما فلا تصدقوہ) قال الشیخ حدیث عائشة مستند الی علمہا فیحمل علی ما وقع فی البیوت (ما کان یبول الا قاعدا) قال الطیبی ہذا یؤید ما ذکر أن بولہ قائما کان لعذر یعنی لان کان للاستمرار والعادة غالبا (رواہ أحمد والترمذی) وقال ہذا حدیث حسن نقلہ میرک (والنسائی وعن زید بن حارثة) یکنی أبا أسامة و أمہ سعداء بنت ثعلبة من بنی معن خرجت بہ أمہ تزور قومہا فاغارت خیل لبنی القین ابن الحرة فی الجاہلیة فمروا علی أبیات من بنی معن رہط أم زید فاحتملوا زیدا و ہو یومئذ غلام یقال لہ ثمان سنین فوافوا بہ سوق عکاظ فعرض للبیع فاشتراہ حکیم بن حزام بن خویلد لعمتہ خدیجة باربعمائة درہم فلما تزوجہا رسول‌اللہ‌صلی‌اللہ‌تعالی‌علیہ‌وسلم وہبتہ لہ فقبضہ ثم ان خبرہ اتصل باہلہ فحضر أبوہ حارثة وعمہ کعب فی فدائہ فخیرہ النبی صلی‌اللہ‌تعالی‌علیہ‌وسلم بین نفسہ و المقام عندہ و بین أہلہ و الرجوع الیہم فاختار النبی صلی‌اللہ‌تعالی‌علیہ‌وسلم لما یری من برہ و احسانہ الیہم فحینئذ خرج بہ النبی صلی‌اللہ‌تعالی‌علیہ‌وسلم الی الحجر فقال یا من حضر اشہدوا أن زیدا ابنی یرثنی و ارثہ فصار یدعی زید ابن محمد الی أن جاء اللہ بالاسلام و نزل أدعوہم لآبائہم ہو أقسط عنداللہ فقیل لہ زید بن حارثة و ہو أول من أسلم من الذکور فی قول وکان النبی صلی‌اللہ‌تعالی‌علیہ‌وسلم أکبر منہ بعشر سنین و قیل بعشرین سنة و زوجہ رسول‌اللہ‌صلی‌اللہ‌تعالی‌علیہ‌وسلم مولاتہ أم أیمن فولدت لہ أسامة ثم تزوج زینب بنت جحش وکان یقال لہ حب رسول‌اللہ‌صلی‌اللہ‌علیہ‌وسلم ولم‌یسم اللہ تعالی فی القرآن أحدا من الصحابة غیرہ فی قولہ تعالی فلما قضی زید منہا وطرا زوجناکہا روی عنہ ابنہ أسامة و غیرہ و قتل فی غزوة موتة و ہو أمیر الجیش فی جمادی الاولی سنة ثمان و ہو ابن خمس و خمسین سنة (عن النبی صلی‌اللہ‌علیہ‌وسلم أن جبریل) تقدم ضبطہ (أتاہ فی أول ما أوحی الیہ فعلمہ الوضوء و الصلاة) فنزول سورة المائدة آخرا کان لتأکید الحکم و تأییدا للامر (فلما فرغ من الوضوء) ہذا صریح فی أن النضح بعد الوضوء و انہ لیس المراد بالنضح غسل الفرج کما تقدم (أخذ غرفة) بالفتح و الضم (من الماء فنضح بہا فرجہ) حقیقة أو حذاءہ قال الابہری و لعلہ لتعلیم الامة ما یدفع الوسوسة أو لقطع البول فان النضح بالماء البارد یردع البول فلاینزل منہ شیء بعد شیء و الظاہر أن النضح مختص بمن یستنجی بغیر الماء (رواہ أحمد و الدار قطنی) و سندہ حسن (و عن أبی ہریرة قال قال رسول‌اللہ صلی‌اللہ‌علیہ‌وسلم جاء نی جبریل فقال یا محمد) فیہ اشارة الی ان النہی عن النداء باسمہ مخصوص بالانسان (اذا توضأت) أی فرغت من الوضوء (فانتضح) أی فرش الماء علی الفرج أو السروال (رواہ الترمذی و قال ہذا حدیث غریب) أی تفردبہ راویہ (و سمعت محمدا یعنی البخاری یقول) أی محمد (الحسن

منكر الحديث و عن عائشة قالت بال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عمر خلفه بكوز من ماء فقال ما هذا ياعمر فقال ماء تتوضأ به قال ما أمرت كلما بلت أن أتوضأ و لو فعلت لكانت سنة رواه أبو داود و ابن ماجه و عن أبي أيوب و جابر و أنس ان هذه الآية لما نزلت فيه رجال يحبون أن يتطهروا و الله يحب المطهرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعشر الانصار ان الله قد أثنى عليكم في الطهور فما طهوركم قالوا نتوضأ للصلاة و نغتسل من الجنابة و نستنجي بالماء قال فهو ذاك فعليكموه

ابن علي الهاشمي الراوي) بسكون الياء أي راوي هذا الحديث الذي تفرد به (منكر الحديث) المنكر ما تفرد به من ليس ثقة و لا ضابطا هو الصواب قاله الطيبي و مع ذلک فهو لم يشتد ضعفه لتعدد طرقه السابقة فيكون حجة في فضائل الاعمال (و عن عائشة قالت بال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عمر خلفه بكوز من ماء) قياما بوظيفة الخدمة فان من خدم خدم و قد ثبت أن ابن عباس صب على يد عمر الوضوء (فقال ما هذا) أي الكوز (يا عمر فقال ماء تتوضأ به) أي تتطهر به ليشمل الاستنجاء (قال ما أمرت) أي وجوبا (كلما بلت) بضم الباء (أن أتوضأ) أي بان أتطهر (و لو فعلت) أي كل مرة (لكانت) أي الفعلة و في نسخة لكان أي الفعل (سنة) أي مؤكدة و الا فالاستنجاء بالماء و دوام الوضوء مستحب بلاخلاف قال الطيبي في الحديث دلالة على أنه عليه الصلاة والسلام ما فعل أمرا و لا تكلم بشئ الا بأمر الله و ان سنته أيضا مأمور بها و ان لم تكن فرضا و انه كان يترك ما هو أولى به تخفيفا على الامة و ان الامر مبني على اليسر (رواه أبو داود و ابن ماجه) و سنده حسن (و عن أبي أيوب و جابر و أنس) رضي الله عنهم (ان هذه الآية) أي الآية أطلقت على بعضها (لما نزلت فيه رجال) ضمير فيه لمسجد قباء أو مسجد المدينة و الجملة بدل من الآية (يحبون أن يتطهروا) و التطهر المبالغة في الطهارة و يحتمل التثليث قاله الطيبي (و الله يحب المطهرين) أصله المتطهرين أبدلت التاء طاء و أدغمت أي يرضى عنهم و يرفع مأواهم أو يعاملهم معاملة المحب مع محبوبه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار ان الله قد أثنى عليكم في الطهور) بالضم أو الفتح أي بسبب استعماله أو في فعله و جعل ظرفا للثناء مبالغة (فما طهوركم قالوا نتوضأ للصلاة و نغتسل من الجنابة و نستنجي بالماء قال) أي عليه الصلاة والسلام (فهو ذاك) أي ثناء الله تعالى عليكم أثر تطهركم البالغ قاله الطيبي و قول ابن حجر أي فثناء الله عليكم انما هو لما ذكرتموه حاصل المعنى لا حل اللفظ كما لا يخفى (فعليكموه) أي الزموا كمال الطهارة ما استطعتم قاله ابن حجر و الاظهر أن الاشارة الى الاستنجاء فانه أقرب مذكور و مخصوص بهم و الا فالوضوء و الاغتسال كان المهاجرون يفعلونهما أيضا و الله أعلم ثم الظاهر أنهم يكتفون بالماء عن الاحجار و يحتمل أنهم كانوا يجمعون بين الحجر و الماء و قال ابن حجر الظاهر أن الذي اختصوا به و كان سببا لمحبة الله العظمى حرصهم على تكميل الاولين و ملازمة الثالث الذي هو أفضل من الاقتصار على الاحجار اه و في اثبات تكميل الاولين لهم دون المهاجرين توقف لانه يحتاج الى نقل صريح صحيح و قد ذكر البغوي في تفسيره باسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزلت هذه الآية في أهل قباء فيه رجال يحبون أن يتطهروا قال كانوا يستنجون بالماء و في الدر رواه أبو داود و الترمذي و ابن ماجه و غيرهم و أخرج الطبراني و الحاكم و غيرهما عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عويمر بن ساعدة فقال ما هذا الطهور الذي أثنى الله به عليكم فقالوا يا رسول الله ما خرج منا رجل و لا امرأة من الغائط الا غسل فرجه أو قال مقعده فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو هذا و أخرج ابن ماجه و الحاكم و الدار قطني

رواه ابن ماجه و عن سلمان قال قال بعض المشركين و هو يستهزئ انی لاری صاحبکم یعلمکم حتی الخراءة قلت أجل أمرنا أن لانستقبل القبلة و لانستنجی بايماننا و لا نكتفي بدون ثلاثة أحجار ليس فيها رجيع و لا عظم

و غيرهم عن جماعة من الصحابة ان هذه الآية لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار ان الله قد أثنى عليكم خيرا فى الطهور فما طهوركم هذا قالوا نتوضأ للصلاة و نغتسل من الجنابة قال فهل مع ذلك غيره قالوا لا غير ان أحدنا اذا خرج من الغائط أحب أن يستنجي بالماء قال هو ذاك فعليكموه فهذا صريح فى المقصود (رواه ابن ماجه) أى و غير واحد كما تقدم ذكرهم لكن ابن ماجه اقتصر فى روايته هذه اقتصارا مخلا للمقصود فتدبر (و عن سلمان قال) أى سلمان (قال بعض المشركين و هو يستهزئ) أى بسلمان و الجملة حال (انى لارى صاحبكم) يعنى النبى صلى الله عليه وسلم (يعلمكم) أى كل شئ (حتى الخراة) أى أدبها و هو بفتح الخاء المعجمة و الراء المهملة مقصورا على الاكثر و قيل ممدودا و قيل بالمد مع كسر الخاء و فى شرح مسلم الخراءة بفتح الخاء و تخفيف الراء و بالمد اسم لهيئة الحدث و أما نفس الحدث فبحذف التاء و بالمد مع فتح الخاء و كسرها نقله الابهرى و قال السيد جمال الدين الخراءة مكسورة الخاء ممدودة التخلى و القعود عند الحاجة و أكثر الرواة يفتحون الخاء و يقصرون الراء كذا فى الطيبى نقلا عن الخطابى ثم قال قال الجوهرى هى بالفتح مصدر و بالكسر اسم (قلت أجل) أى نعم (أمرنا) أى النبى صلى الله عليه وسلم فى آداب قضاء الحاجة (أن لا نستقبل القبلة) أى تعظيما للكعبة لكونها قبلة لنا قال ابن حجر أى و لانستدبرها كما مر و لعله آثر الاول لان الاعتناء به أكمل لما مر أنه أفحش من الاستدبار اه و تقدم ما فى كلامه و يمكن ان النهى عن الاستقبال وقع أولا ثم وقع عن الاستدبار أيضا أو خصه لكون الامتناع عن الاستقبال أدل على تعظيم الكعبة و بهذا يظهر ان المضطر الى أحدهما ينبغى ان يختار الاستدبار و لو لا مخافة مخالفة الاجماع لقلت يجوز الاستدبار فى البنيان دون الاستقبال فيه عملا بظاهر الحديث ثم رايت فى شرح شرعة الاسلام عند قول الماتن و لايستقبل القبلة ببول و لا غائط فان استقبال القبلة بالفرج حال قضاء الحاجة و حال الاستنجاء مكروه و كذا الاستدبار فى رواية لما فيه من ترك التعظيم و لا يكره فى رواية لان فرج المستدبر لا يكون موازيا للقبلة بخلاف المستقبل و روى عن أبى حنيفة جواز الاستدبار اذا كان ذيله ساقطا لامرفوعا كذا فى شرح النقاية و لعل المصنف انما لم يتعرض لنهى الاستدبار لمكان الاختلاف فيه اه ثم قال و هذا كله اذا كان ذاكرا للقبلة و أما اذا غفل فلا بأس به (و لا نستنجي بايماننا) أى تكريما لها لانها آلة لاكلنا (و لانكتفى بدون ثلاثة أحجار) تنظيفا بليغا قال ابن حجر فيه تصريح بمذهبنا انها تجب و ان أنقى بدونها قلت التصريح غير صريح و فى الظهور محل بحث لانه محمول على الغالب اذ الانقاء لايحصل بدون الثلاث غالبا و لما تقدم من حديث من استجمر فليوتر من فعل فقد أحسن و من لا فلاحرج (ليس فيها) أى الاحجار (رجيع) أى روث لنجاسته (و لاعظم) لملاستة أو لكونهما زاد الجن و الجملة صفة مؤكدة لاحجار مزيلة لتوهم انها مجاز أو واردة على التغليب و قول ابن حجر أى و أمرنا بالثلاثة الاحجار التى أوجبها علينا أن لايكون فيها رجيع يوهم ان الجملة مصدرة بالواو و ليست كذلك و فيه استقصاء للارشاد و مبالغة للرد على المشرك و قال الطيبى جواب سلمان من باب أسلوب الحكيم لان المشرك لما استهزأ كان من حقه أن يهدد أو يسكت عن جوابه لكنه رضى الله عنه ما التفت الى ما قال و ما فعل من الاستهزاء و أخرج الجواب مخرج المرشد الذى يلقن السائل المجد يعنى ليس هذا بمكان الاستهزاء

رواه مسلم و أحمد و اللفظ له و عن عبد الرحمن بن حسنة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
و فى يده الدرقة فوضعها ثم جلس فبال اليها فقال بعضهم انظروا اليه يبول كما تبول المرأة فسمعه
النبى صلى الله عليه وسلم فقال ويحک أماعلمت ما أصاب صاحب بنى اسرائيل كانوا اذا أصابهم البول
قرضوه بالمقاريض فنهاهم فعذب فى قبره رواه أبو داود و ابن ماجه و رواه النسائى عنه عن أبى موسى
و عن مروان الاصفر قال رأيت ابن عمر أناخ راحلته مستقبل القبلة ثم جلس يبول اليها فقلت
يا أبا عبد الرحمن أليس قد نهى عن هذا قال بل انما نهى عن ذلک فى الفضاء فاذا كان بينک و بين
القبلة شئى يسترک فلابأس رواه أبو داود

بل هو جد و حق فالواجب ان تترك العناد و تلزم الطريق المستقيم و المنهج القويم بتطهير باطنك و ظاهرك من الارجاس و الانجاس (رواه مسلم و أحمد و اللفظ له) أى لاحمد (و عن عبدالرحمن) صحابى له حديث كذا فى التقريب (ابن حسنة) بفتح المهملتين ثم نون هى أمه و أما اسم أبيه فعبدالله ابن المطاع روى عنه يزيد بن وهب (قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم و فى يده الدرقة) بالفتحات الترس من جلود ليس فيه خشب و لاعصب (فوضعها) أى جعلها حائلا بينه و بين الناس (ثم جلس) أى للبول (فبال) أى مستقبلا (اليها) أى الدرقة (فقال بعضهم) أى بعض المشركين أو بعض المنافقين (انظروا اليه) أى نظر تعجب (يبول) و هو رجل (كما تبول المرأة) أى فى التستر أو فى القعود أو فيهما قاله السيوطى (فسمعه النبى صلى الله عليه وسلم فقال ويحک) قال الطيبى نقلا عن النهاية ويح كلمة تقال لمن ترحم و ترفق به اه فوضع ويحک موضع ويلک ايماء الى كمال رأفته و اشارة الى ارادة الفتح فانه رحمة للعالمين و حريص على هداية الكافرين (أما علمت ما أصاب) ما الاولى نافية دخلت عليها همزة الاستفهام للانكار و الثانية موصولة أو موصوفة أو مصدرية (صاحب بنى اسرائيل) أى من العذاب لنهيه عن المعروف و صاحب منصوب و قيل مرفوع قال الشيخ ولى الدين العراق بالرفع و يجوز نصبه ذكره السيوطى فى حاشية النسائى (كانوا) أى بنو اسرائيل (اذا أصابهم البول قرضوه) أى قطعوه (بالمقاريض) جمع المقراض و هو آلة القطع (فنهاهم) أى صاحبهم عن القطع (فعذب فى قبره) قال الطيبى شبه نهى هذا المنافق عن الامر بما هو معروف عند المسلمين بنهى اسرائيل ما كان معروفا عندهم فى دينهم و القصد منه توبيخه و تهديده و أنه من أصحاب النار فلما عيره بالحياء و فعل النساء وبخه بالوقاحة و انه ينكر ما هو معروف بين رجال الله من الامم السابقة و اللاحقة (رواه أبو داود و ابن ماجه) أى عنه مرسلا و مرسل الصحابى مقبول عند الكل ولهذا قال ابن حجر وسنده حسن (و رواه النسائى عنه) أى عن عبدالرحمن بن حسنة وهو صحابى كما تقدم و ذكره المصنف فى الصحابة (عن أبى موسى) فيكون رواية الصحابى عن الصحابى (وعن مروان الاصفر) بالفاء و فى نسخة بالغين و هو مولى عائشة أم المؤمنين بصرى ثقة كذا بخط السيد أصيل الدين فى حاشية المشكاة و أسقطه صاحب المشكاة من أسماء رجاله (قال رأيت ابن عمر أناخ راحلته مستقبل القبلة ثم جلس يبول اليها) أى الى الراحلة (فقلت أبا عبدالرحمن) و فى نسخة ياأبا عبدالرحمن (أليس قد نهى عنه) أى استقبال القبلة عند قضاء الحاجة (قال بل) للاضراب أى لامطلقا (انما نهى عن ذلک فى الفضاء) أى الصحراء قال ابن حجر و الحق به ما فى معناه و هو البناء بسائر أنواعه الا البناء المعد لقضاء الحاجة (فاذا كان بينک و بين القبلة شئى يسترک فلابأس) تقدم هذا البحث (رواه أبو داود) مرسلا وسكت عليه ولايكون هذا حجة لانه استدل بما تقدم من فعله عليه الصلاة والسلام و قد احتمل احتمالات

و عن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خرج من الخلاء قال الحمد لله الذي أذهب عني الاذى و عافاني رواه ابن ماجه و عن ابن مسعود قال لما قدم وفد الجن على النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله انه أمتك أن يستنجوا بعظم أو روثة أو حممة فان الله جعل لنا فيها رزقا فنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك رواه أبو داود

تقدم ذكرها و مع وجود الاحتمال يسقط الاستدلال (وعن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خرج من الخلاء) أي المطهر (قال الحمد لله الذي أذهب عني الاذى) أي المؤذي (و عافاني) أي من احتباسه أو من نزول الامعاء معه كذا قاله الابهري و في بعض الروايات الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني و أبقى علي ما ينفعني فانظر الى النعمتين العظيمتين اللتين لايخطران ببال الآكلين غالبا (رواه ابن ماجه) قال ميرك حديث حسن و قال ابن حجر و كذا النسائي عن ابي ذر و سنده حسن (و عن ابن مسعود قال لما قدم وفد الجن على النبي) و في نسخة رسول الله (صلى الله عليه وسلم قالوا يارسول الله انه) بسكون النون و فتح الهاء أمر من نهى ينهى (أمتك أن يستنجوا) من الاستنجاء (بعظم أو روثة) تقدم وجههما (أو حممة) بضم الحاء و فتح الميم أي فحم يصير نارا في شرح السنة الحمم الفحم و ما احترق من الخشب أو العظام و نحوهما و الاستنجاء به منهي عنه لانه جعل رزقا للجن فلا يجوز افساده كذا نقله الطيبي و قوله رزقا للجن أي انتفاعا لهم بالطبخ و الدفاء و الاضاءة (فان الله تعالى جعل لنا) أي ولدوابنا (فيها رزقا فنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك رواه أبو داود) وسكت عليه قاله ميرك



بحمد الله تعالى تم الجزء الاول من مرقاة المفاتيح و يتلوه الجزء الثاني من باب السواك ان شاء الله تعالى

اللهم وفقنا لما تحب وترضى و اغفرلنا و للمؤمنين و المؤمنات



الفهرس للجزء الاول من المرقاة شرح المشكوة

